الحجاز واستقلاله

جغرافيته وتاريخه

علم القراء باستقلال سيادة الشريف الاعظم بالحجاز وخلعه النير التركي كما جاءت بذلك الانباء البرقية من كل الانحاء فرأينا ان نبسط ذلك للقراء فنأتي على وصف الحجاز وتاريخه واخبار استقلال امرائه الاشراف واهم ما يقال في ذلك :

اهمية الحجاز وجغرافيته

الحجاز هو مهد الاسلام ومركز مدينتيه المقدستين : مكة والمدينة ، وهما محور أنظار المسلمين يقصدهما الحجاج كل سنة من اقصى الانحاء المتنائية في العالم الاسلامي وتولى اليهما وجوه مئات الملايين من المسلمين فهو بذلك اقدس الامصار واعظم الاقطار عندهم

والحجاز واقع في غرب جزيرة العرب على شواطئ البحر الاحمر ، وهو سلسلة جبال السراة الممتدة من اقصى اليمن الى الشام ، ويجانب هذه السلسلة من جهة الغرب قطعة ارض رملية منخفضة تعرف باسم تهامة او الغور والى شرقيها ارض عالية تعرف باسم نجد . فلذلك سميت حجازاً لانها حجزت بين الغور ونجد . فالحجاز معناه الحاجز او الفاصل

اما حدوده السياسية فتختلف باختلاف الاعصر والدول كما جاء في كتب الجغرافية العربية كمعجم البلدان لياقوت وصفة جزيرة العرب للهمداني وجغرافية ابي الفداء والبكري والمقدسي وغيرهم . الا انه يحد الآن بسوريا شمالاً ونجد وصحراء النفود شرقاً وعسير جنوباً والبحر الاحمر غرباً

ويحتوي الحجاز على بعض اراض خصبة الا ان معظم اراضيه قاحلة كما ان معظم سكانه من البدو أو الاعراب سكان البيوت الشعرية . وكلهم من نسل العرب الاقدمين واغلبهم ينسبون الى القبائل القديمة من بني مزينة وبني حرب وبطونهم العديدة . فالذين يعمرون مابين مكة والمدينة هم بني مزينة ويعرفون بالاحامدة ومنهم نخذ كبيرة هي المعروفة بقبيلة حرب وهم التجار ومنهم البغاة الذين اكثروا من قطع الطرق بين البلدين المكرمين . وقبيلة مزينة المعروفة بالاحامدة هذه تنقسم الى قسمين كبيرين اولهما يسمى المسروح وهم سكان البراري من مكة الى الصفراء وثانيهما يعرف ببني سالم ومنهم حرب وهم سكان بقية

الجهات على هذا الشكل : في شمال المدينة قبيلة تميم وبجوارها قبيلة السعادين وفي بدر قبيلة صبح وبالجديدة من الدرب السلطاني قبيلة بني عمر وفي بئر الراحة قبيلة رحلة ثم قبيلة رهقان بالبعد عن المدينة بكثير وقبيلة صحارى وفضيلة وكلها تسمى بني حرب . هذا فضلاً عن الحوازم وقبائل الطريق الفرعي كبني عوف والصواعد وبلادية ورابغ وزبيد . وقبائل الطريق الشرقي كقبيلة ابي ضباع المعروفة بالزيود او الزبدية وغيرها

اما الحضر وهم سكان المدن في الحجاز فعددهم قليل بالنسبة للبدو ويقرب من ٢٥٠٠٠٠ نسمة وهم من اجناس مختلفة من العرب والترك والمصريين والفرس والهنود والاحباش والصوماليين والسودانيين . وتعداد سكان الحجاز لا يعرف بالضبط الا انه يقدر بمليون ونصف من الانفس وكان الاتراك يقسمون الحجاز تقسيماً سياسياً او ادارياً الى قسمين عظيمين : (١) امارة مكة . (٢) مشيرية المدينة . واليك الكلام على هاتين المدينتين وغيرها من مدن الحجاز

حضر الحجاز ومدنه

﴿ مكة ﴾ وتسمى بكة وام القرى لكثرة القرى التي حولها الى غير ذلك من الاسماء . وقد اختلف المؤرخون في اصل كلمة مكة والارجح انه اشوري لان « مكا » في البابلية « البيت » وهو اسم الكعبة عند العرب ويدل ذلك على قدم هذه المدينة كأنها سميت بذلك من عهد العمالقة على اثر هجرتهم من بين النهرين فسموا المكان بها اشارة الى امتيازها بالبناء الحجري على سائر ما يحيط بها من البادية . ويصعد تاريخ عمارتها وسكانها بالعدنانيين الى ابراهيم وابنه اسماعيل . ومكة هي قصبة الحجاز ومقر حكومته واعظم مدينة في بلاد العرب كلها وهي موطن الرسول وفيها بيت الله الحرام . وتعد مكة وميناءها وجدة مركز تجارة الاقليم برمته كما ان هذه المدينة المقدسة تصير في موسم الحج بفضل هذا العدد الهائل من حجاجها اعظم متجر واغنى مكان في الشرق الاسلامي اذ يقصدها في هذا الوقت انواع العالم الاسلامي من جميع اطراف المسكونة فترى بها الازياء المختلفة والسحن المتباينة حتى يجدر بها ان تسمى بالمعرض الاسلامي . وترى في مكة واسواقها مدة الموسم حركة عظيمة لا تنقطع ويأتي من ورائها ربح كبير . ويبلغ عدد اهالي مكة نحو ١٥٠٠٠٠ شخص تقريباً منهم خمسون الفاً من الاهالي والباقون من الاغراب المسلمين اذ لا يدخل مكة غير مسلم منذ السنة التاسعة من الهجرة . واهالي الحرمين يبالغون في

مراقبة الاجانب الذين يفدون الى بلادهم فلا يتعدى جدة وينبع وصنعاء جنوباً ومحطة العلا شمالاً احد من الاجانب بالمرة

ومن اختلاط الاجناس الساكنة بمكة بعضهم ببعض بالمصاهرة والمعاشرة صار سواد اهلها خليطاً في خلقهم خليطاً في خلقتهم وازيائهم ولغتهم بعكس اهل البادية

وجو مكة كثير الحرارة قليل الامطار ومع ذلك فقد تحصل سيول كثيرة من الامطار التي تنزل بكثرة في الجبال العالية المحيطة بالطائف . واهواؤها تختلف في هبوبها جملة مرات في الساعة الواحدة . واهالي مكة يشربون من ماء الآبار التي فيها مثل زمزم وذلك قليل ، اوالتي في ضواحيها مثل الزاهر والعسقلاني وغيرهما ، او من الصهاريج التي تملأ من مياه المطر او ماء الينابيع ، او من عين زبيدة التي يجري ماؤها الى مكة في قنوات تحت الارض لها خزانات في شوارعها تسمى البازان يملأ السقاءون قربهم منها . وهذه العين لها اهمية عظيمة جداً وهي من اجل الآثار التي تنسب الى زبيدة زوج الرشيد . ومن مدن الحجاز التي تلتحق بامارة مكة مدينة جدة والطائف فلنتكلم عليهما قبل ان نذكر المدينة

﴿ جدة ﴾ هي ميناء مكة وثغرها من عهد الخليفة عثمان وكانت قبل ذلك قرية صغيرة وكان ثغر مكة وقتئذٍ قرية تسمى الشعيبة في جنوبها . ومن ثم اخذت جدة تزيد في عمرانها وتعظم في اهميتها حتى اصبحت اكبر ثغرٍ في بلاد العرب وهي الان مركز تجاري كبير . ويمكن ان يقال عنها انها الثغر العمومي للحجاز فمنها صادراته واليها وارداته . وتجارتها تكاد تنحصر في اصداف اللؤلؤ والمرجان والسبح والاقمشة الحريرية والعطارة والبقالة الجافة والقرب والجلود والسجاجيد وجميع ما يهم الحاج . اما تجارتها الرئيسية فهي الحبوب وخصوصاً القمح والدقيق اللذين عليهما مدار حياة أهل البلاد العربية . وهي تأتي من الهند ومصر والشام وأغلب حجاج مكة يأتون بالبحر الى جدة ولذلك لا تروج تجارة أهلها الا في موسم الحج فيصبح في جدة حركة مستديمة لا تنقطع ليلاً ولا نهاراً . ويقدر عدد سكانها بنحو ٥٠٠٠٠ نسمة على اضبط تقدير . ويحيط بجدة سور كبير وبخارجها قبر شهير يقال له قبر أمنا حواء . وماء الشرب فيها من الصهاريج القديمة التي تملأ بماء المطر أو من العيون التي في خارجها

﴿ الطائف ﴾ ومن مدن الحجاز التي يعد اهلها حضراً الطائف ويقال لها ايضاً

وادي العباس وهي مدينة واقعة في مكان متسع على مفترق طرق الحجاز الداخلية وهي جافة المناخ باردة الماء كثيرة الفواكه والرياحين لما فيها من كثرة الحدائق والبساتين ، واكثر فواكه مكة منها كما ان هواءها معتدل في شدة الصيف . واذا تأذى اشراف مكة واكابرها بالحر خرجوا اليها فهي مصيف الشريف وأعيان مكة وجدة . ويقدر عدد اهلها باكثر من ٨٠٠٠٠ نسمة وهم من عرب ثقيف الذي ذكر كثير في صدر الاسلام وبعده

وبجوار الطائف جنائن مثمرة وعيون جارية وقرى مسكونة وجميع عربانها تحت طاعة الشريف امير مكة منذ زمن طويل واغلبهم مقيم بارض سفيان وثقيف

﴿ المدينة ﴾ المدينة المنورة او مدينة الرسول واسمها طيبة وطابة وكانت تسمى قبل الاسلام يثرب وهي دار هجرة الرسول وموطن انصاره الاوس والخزرج ، وبها الحرم الشريف النبوي . والمدينة هي أصل قاعدة الحجاز وعاصمة عموم الاسلام . وفي مدة اقامة الخلافة بها اتسعت وكبرت وتزايد عمرانها في العصور الاولى من الاسلام وكانت مكة تابعة في الحكم للمدينة حتى بعد فتح مكة . وقد استقر الرسول ومن بعده من الخلفاء الراشدين بالمدينة الى خلافة امير المؤمنين علي فكان صدرها بالمدينة وآخرها بالكوفة . ومع ذلك فقاعدة حكم الحجاز هي المدينة وذلك هو الموافق لحالة البلاد وسياستها لتوغل المدينة منها فيسهل تنفيذ الاحكام بسرعة في الاطراف لاستقرار القوة في الوسط وليست كذلك مكة . وقد تغير الحال مراراً في الاسلام في قاعدة الحكم بالحجاز فكان الامر على ما تقدم من كون المدينة هي القاعدة ثم انفردت مكة بحكمها وبقيت المدينة مستقلة ثم صارت الاحوال تتقلب فتارة تكون مكة تابعة وتارة متبوعة وتارة يستقل كل منهما بحكم حتى بعد الدولة العثمانية . الا ان المتبع في الزمن الحديث هو ان مكة هي القاعدة وللمدينة حاكم يرجع في امره الى حكومة مكة

والمدينة واقعة في وسط واد شاسع وأغلب مبانيها من الحجر ودرجة حرارتها في الصيف شديدة كشدة برودتها في الشتاء . وتجارة المدينة مدارها على وارداتها الخارجية لاسيما واردات جاوة والهند والشام . والحركة فيها تكاد تنحصر في مدة الحج والموسم الرجبي وهو موسم الزيارة الرسمية في بلاد العرب . وتجارة البلح فيها هي اكبر التجارات واوسعها لان في ضواحيها كثير من المزارع والبساتين وفيها نخل كثير تنتج نحو سبعين صنفاً من التمر . ومناخ المدينة صحي جداً وربما كان ذلك من الاسباب التي ساعدت على

رقة اهلها ولطافة امزجتهم فانهم أحسن أهل البلاد العربية على الاطلاق في مكارم الاخلاق . ويبلغ عدد اهل المدينة ٦٠٠٠٠ منهم كثير من المجاورين الاجانب كالمغاربة والهنود والاتراك . وأصل اهلها من الانصار ولكنهم اختلطوا بهؤلاء الاغراب بالتزاوج والتناسل فصار لونهم السمرة المائلة الى السواد . وهم يشربون من آبار كثيرة . ولكن اكثر ماء المدينة يأتي اليها في مواسير من عين غربي مسجد قبا تسمى العين الزرقاء . وفي مكة والمدينة وضواحيهما مزار ومساجد عديدة ومدارس وجرائد عربية

﴿ينبع البحر﴾ ينبع البحر ميناء المدينة وهي ثغر متوسط من ثغور البحر الاحمر ومنها تحمل الغلال والحبوب من مصر لترسل الى المدينة وميناءها مشهورة ويبلغ عدد سكانها ٧٣٠٠ نفس واكثر تجارها من مصر والصعيد وعند موسم الحج تأتي اليها العرب للتجارة . وأما في غير هذا الاوان فلا يوجد بها شيء وجميع ما بها من الابنية الاميرية كالشونة والمحافظة والبرج والسور بنيت في أيام المرحوم محمد علي باشا ولم يتجدد منها شيء بعد ان صارت تحت حكم الدولة العثمانية . وليس هناك آبار وانما تخزن مياه السهول في صهاريج وتباع للحجاج

ومن مدن الحجاز أيضاً ينبع النخل وهي على الدرب السلطاني الذي يتبعه حجاج سوريا من الشمال الى الجنوب . ثم الجديدة ورابغ وخيبر وغيرها من القرى والبلاد الصغيرة . أما محطات القوافل فهي معن وذات الحج وتبوك ودار حمرا والحجر المعروفة قديماً بمدائن صالح . والاماكن التاريخية كثيرة بالحجاز منها بدر وحنين والحديبية وتبوك وكانت فيها الموقعة العظيمة بين المسلمين والروم وعكاظ وبه كانت سوق العرب وأيام الفجار ثم الفخ وكوم غدير وغيره . وكانت القوات العسكرية التي ترسلها حكومة الاستانة للمحافظة على الحجاز تقرب من ٦٠٠٠ جندي وكانت هذه الحامية موزعة على المدن الخمس العظيمة السالف ذكرها

هذه هي مدن الحجاز وجغرافيته . ويحسن بنا قبل الكلام على تاريخه ان نأتي بلمحة صغيرة في أخلاق سكانه العرب لما لذلك من الاهمية العظمى في مجرى حوادث التاريخ

اخلاق العرب وصفاتهم

تختلف أخلاق الناس ومناقبهم باختلاف ضروب معايشهم وأطوار تمدينهم وطبائع اقليمهم فللبدو مناقب غير مناقب الحضر اذ اهل البادية يحتاجون الى الشجاعة مثلاً اكثر

مما يحتاج اليها المتحضرون لتفرد البدوي عن المجتمع وتوحشه في الضواحي وبعده عن الحامية . ولذلك كانت اخلاق العرب من سكان الحجاز ثابتة متأصلة في نفوسهم لم تتغير بجملتها الى اليوم عن اخلاق اسلافهم لعدم تغير طبائع الاقليم وضروب معايشهم كما انه لا يخفى ان الاخلاق والعادات تغلب على السكان باعتبار أصلهم غير انه لا بد ان تحدث فيهم تغيرات تناسب حالة السكان الاصليين ، وبالاجمال ان اخلاق عرب الحجاز اليوم مناسبة لاخلاق العرب القدماء

فمن اخلاقهم ومناقبهم التي ورثوها عن اسلافهم وكان لها شأن عظيم في تاريخهم : العصبية والكرم وطلب الثأر والنجدة والمحافظة على الجوار والحشمة وعدم الالتفات الى الملاهي والملاذ ، ومن أشهرها (الشجاعة) وهي شرط من شروط بقائهم لشدة احتياجهم اليها نظراً لطبيعة اقليمهم . والبدو يعيشون غالباً بالغزو والقتال ويتفاخرون بالشجاعة والبسالة وهم مهرة في ركوب الخيل بل هم امهر فرسان العالم لصبرهم وجلدهم على القتال مع التمكن من معرفة الرماية والفروسية ولكل منهم سلاح مستوفر . ومنها (الاريحية) وهي من مناقب اهل النجدة التي يعبر عنها الافرنج بقولهم Chevaleric ومرجعها الافتخار بحسن الاحدوثة فالرجل منهم تقيمه كلمة وتقعده ورعبا تجردوا للحرب نقمة على عبارة طعن . ومنها (الشيخوخة) كانت ولا تزال لها مقام رفيع عند العرب ولفظ الشيخ يدل عندهم على الشيخوخة والرئاسة معاً وهم يرشحون للامارة اكبرهم سناً الا انهم يفضلون المناقب الدينية الاسلامية على السن وهم يطيعون من توافرت فيه هذه المناقب ولذلك كان للشريف امير مكة عندهم وعند رؤسائهم مقام عظيم . ومنها (الاستقلال) فلا شيء احب الى اهل البادية من الاستقلال فانهم طبعوا على الحرية وعدم المذلة ، وعرب الحجاز لا يحملون ضيماً ولا يصبرون على ظلم فقد نشأوا كسائر العرب والاعراب على الانفة وعزة النفس واباء الضيم . وتاريخهم ملآن بالامثلة والشواهد الكثيرة على ذلك . وقد ساعدت اخلاقهم هذه على خلع النير التركي تحت رئاسة سيادة الشريف أميرهم وصاحب الكلمة العليا بينهم فهبوا في وجه حكومة الاتحاديين ولم يتحملوا شدة عسفها وظلمها فحاربوها وتمكنوا من الاستقلال وانشاء حكومتهم الجديدة ، وليس هذا بأول استقلال لهم كما سترى في الكلام على تاريخ بلادهم

تاريخ الحجاز
وحوادث استقلاله

تاريخ الحجاز هو أهم تاريخ العرب بل هو الجزء الاعظم الذي ترتبط به أجزاء تاريخ جزيرتهم . وهو ينقسم الى قسمين : (١) تاريخ الحجاز في الجاهلية (٢) تاريخه في الاسلام

تاريخ الحجاز في الجاهلية

لجاهلية العرب عصران . الجاهلية الاولى في عهد الحمورابيين ومن خلفهم في اليمن وغيرها . والجاهلية الثانية نريد بها حال جزيرة العرب ولا سيما الحجاز قبل الاسلام بعدة قرون وللحجاز شأن خاص في ذلك . فمنذ الجاهلية الاولى ظل اهل الحجاز في وسط الجزيرة على بداوتهم لجدب ارضهم مع بعدها عن الاحتكاك بالدول العظمى وتوسطها في الصحراء ووعورة المسالك اليها حتى امتنعت على الفاتحين العظام مثل رعمسيس الثاني في القرن الرابع عشر قبل الميلاد والاسكندر الاكبر في القرن الرابع قبله وايليوس غالوس على عهد اوغسطس في القرن الاول للميلاد وامتنعت ايضاً على ملوك الفرس في ابان دولتهم . واقدم من سكن الحجاز العمالقة وسائر قبائل العرب البائدة فقد كان مقامها في شمال جزيرة العرب الى مشارف الشام وقد ذهبت وانقرضت هذه الامم بتوالي الاجيال ولا سيما بعد نزول اسماعيل وبنيه بينها . وكان لهذا النزول تأثير في احوالها اكثر من تأثير سواه . وقد عرفت القبائل الشمالية سكان الحجاز بعدهم في التاريخ القديم باسم « الاسماعيلية » لانهم يرجعون بانسابهم الى اسماعيل ابن ابراهيم كما انهم يسمون « بالعدنانية » نسبة الى عدنان احد اعقاب اسماعيل . وحكاية اخراج اسماعيل وأمه هاجر الى البرية وسكناه مكة ووضعه وابيه ابراهيم البيت وتزوجه بامرأة من جرهم اصحاب مكة في ذلك العهد معروفة . وتتصل اخبار الاسماعيليين باقدم اخبار الجزيرة لان تاريخهم يبدأ في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ومع ذلك فاخبارهم قليلة والغالب انهم كانوا خاملي الذكر لم ينشئوا دولاً بل ظلوا على بداوتهم فقد كان كل العدنانيين غرب الحجاز اهل بادية الا قريشاً فقد تحضروا في مكة بعد ذلك . ولما تحضرت دولة حمير باليمن خضع لها عرب الحجاز لانها كانت اكبر دول العرب وقد رسخ في اعتقاد البدو بتوالي الاجيال ان الاذعان لدولة حمير فرض واجب وكان النزاع بينهم يزيدهم تعلقاً بذلك فكانوا يؤدون لها الاتاوة كل عام

وكانت مكة يومئذٍ اشهر مدن الحجاز بسبب الحج يؤمّها الناس من اقاصي البلاد لزيارة الكعبة فاصبحت بتوالي الاجيال مركزاً للتجارة لما يتوافد اليها من الحجاج في المواسم كل عام ، فطمحت اليها انظار اهل السلطة من القبائل القومية . وكانت في اوائل ازمانها في حوزة الحجازيين بني اسماعيل وهم سدنة الكعبة اي حجابها بعد ان استردوها من جرهم . ثم نزح اليها بنو خزاعة من اليمن بعد سيل العرم نحو القرن الثاني للميلاد وتسلطوا عليها وغلبوا الحجازيين عليها بما تعودوه من السيادة في عهد دولتهم باليمن . وكان الاسماعيليون ضعافاً لكنهم تقووا بعد اجيال فتفرع منهم كنانة وتشعب من كنانة قريش فتغلبت على خزاعة في القرن الخامس للميلاد واستردت منها سدانة البيت . وما زالت السدانة في قريش حتى جاء الاسلام وكانت سدانة الكعبة تستلزم السيادة على مكة فكان لقريش المنزلة العليا بين سائر القبائل لها امتيازات خاصة فتحكم على الناس ولا يحكم عليها احد

استقلال الحجاز عن اليمن

قدمنا ان العدنانيين عرب الحجاز كانوا يستقدون الاذعان لدولة حمير اليمنية وكانوا يؤدون لها الاتاوة حتى رأوا ما اصابها في اثناء حروبها مع الحبشة حينما سطوا على اليمن في القرن الرابع للميلاد وبعده وتغلبوا على الحميريين فتبين لهم ضعفها عن حفظ استقلالها وذهبت هيبتها من قلوبهم واتفق ان الحميريين شددوا في طلب الاتاوة في سنة محل وضيق فتحدث الحجازيون في الخروج عن سيطرتها والامساك عن دفع الاتاوة فاتحدوا واول من فعل ذلك ربيعة في اواخر القرن المذكور واقتدى به غيره فكان ذلك من بواعث استنهاض الهمم . ثم سطا الاحباش على الحجاز في اواسط القرن السادس يريدون فتح مكة والاستيلاء على الكعبة وكانت سدنتها يومئذٍ الى عبد المطلب جد الرسول فجاء الاحباش بافيالهم ورجالهم وعدتهم واهل مكة لم يتعودوا شيئاً من ذلك لما للكعبة من المنزلة الرفيعة في نفوس القبائل وغيرهم فلما رأوا الاحباش قادمين شعروا بما يهددهم من الخطر واحسوا بافتقارهم الى الاتحاد لدفع الاجانب عنهم ، فدفعوا الاحباش وقد تنبهت اذهانهم واخذت مواهبهم في الظهور

فاستقلال عرب الحجاز من سيطرة اليمن واستبدادها انقلاب سياسيّ هاج شاعريتهم وايقظ ما فطروا عليه من عزة واباء للضيم ، على ان غارة الاحباش من جهة اخرى لم

تقتصر على انهاض قريش بل ان هذين السببين انتجا رجالاً نبغوا في السياسة والقيادة والادارة وكانوا من اهم رجال الاسلام

تاريخ الحجاز قبل الاسلام

ان بعثة الرسول قد احدثت تاريخاً جديداً ليس في الحجاز فقط بل في سائر العالم . ومن اكبر الحوادث التاريخية التي يؤرخ بها هجرته من مكة الى المدينة وفتحه لمكة بعد ٨ سنين من الهجرة ومن ثم صارت مكة أكبر مدينة في بلاد العرب تابعة له فانقادت قريش وآمنت به وهي أشرف القبائل واعزها فتابعتهـا العرب بأسرها واعتنقت الاسلام فوحدكلمتها وصارت المدينة هي عاصمة البلاد العربية كلها. ولما خرج العرب للفتح ودوخوا العالم وفتحوا المملكة الاسلامية الواسعة الاطراف في عهد الخلفاء كانت هي عاصمة هذا الملك العظيم في الحجاز فكان الخليفة يقيم في المدينة ويرسل العمال الى الولايات والاعمال في الشام ومصر والعراق وفارس واذربيجان وافريقية وغيرها . وما زال الحـال كذلك والمدينة هي عاصمة الاسلام حتى آخر خلافة علي فنقلت العاصمة من الحجاز الى الكوفة ثم الى دمشق في ايام الدولة الاموية ، ومن ثم صار الحجاز تابعاً لها بل صارت حكومة الحرمين تتبع في أكثر ادوار حياتها مركز الخلافة الاسلامية

ولما انتقلت الخلافة عن الحجاز صار على كلّ من مكة والمدينة وال خصوص . غير ان مكة كانت قد تتابعت عليها الولاة من وقت الفتح ، اما المدينة فمن وقت الامويين فقط اذ كانت هي العاصمة قبل ذلك وكان بنو أمية لا يولون عليهـا الا اقرب الناس وآمنهم لنبيهم خوفاً من استقلالهم بالحجاز لنفور اهله من حكمهم وعلى الاخص اهل البيت . وفي اوائل عهد الدولة الاموية استولى عبد الله بن الزبير على مكة واستقل بالحجاز بضع سنين حتى استرده منه الحجاج بن يوسف الثقفي الى الامويين وما زال تحت حكمهم الى قيام الدولة العباسية ببغداد وانتقال الخلافة اليها فخضع لهـا الحجاز كسائر الاقطار الاسلامية وما زال في ايديهم حتى سنة ٢٥١ التي استقلت فيها عائلة الاشراف بني الاخيضر فبقي في ايديهم الى ان غلب عليهم القرامطة سنة ٣١٧ وهؤلاء القرامطة قوم ظهروا باليمن مظهرين الاسـلام والتمسك بالسنة وهم في الحقيقة على عكس ذلك فادخلوا في الدين الدسائس ووضعوا الاحاديث وفعلوا المنكرات حتى استولوا على مكة والمدينة وخربوا الكعبة وقلعوا الحجر الاسود من موضعه الى ان ارجعه بعد ذلك عمال بني العباس الذين

طهروا الحرمين من أولئك القرامطة ورجع حكم الحجاز الى العباسيين ثانية حتى سنة ٣٥٨ اذ انتقل حكمه الى الفاطميين فقد دخل القائد جوهر مكة ثم دخلها مولاه المعز لدين الله العبيدي فكانت البلاد الاسلامية من بغداد الى حلب الى البصرة يخطب فيها للخليفة العباسي ومن حلب الى الحرمين وسائر بلاد العرب يخطب فيها للعبيديين : وذلك ان الشريف جعفر بن محمد بن الحسن بن الثائر تغلب على مكة وخاف من العباسيين فدعا للمعز الفاطمي صاحب مصر فكتب له المعز بالولاية

تاريخ الحجاز في عهد دولة الاشراف الحالية

واستقل بالحرمين هؤلاء الاشراف بنو سلمان بن الحسن بن داود بن المثني وبقي الملك في ايديهم الى سنة ٤٥٢ هـ . فاستقل بملك الحجاز الهواشم الذين هم العائلة الحاكمة الى الان من السادة الاشراف . واولهم المولى الشريف ابو هاشم محمد العلوي المستولي في السنة المذكورة والمتوفى سنة ٤٨٧ وبقيت في بنيه الى الآن فانهم كانوا مستقلين بالامر والنهي وسائر الادارة الداخلية الا انهم يدلون بالبيعة ظاهراً الى الخلفاء العباسيين والسلاطين الذين تغلبوا عليهم ببغداد . فلما تولى صلاح الدين الايوبي ودعا للعباسيين ولي امارة مكة الشريف مكثر بن عيسى باسم الناصر العباسي . وفي سنة ٦١٩ زحف على مكة صاحب اليمن الملك المسعود بن الملك الكامل صاحب مصر واستولى عليها باسم ابيه وجعل امرها لنور الدين بن عمر ، وفي سنة ٦٢٦ مات الملك المسعود فولي مملكة اليمن نور الدين المذكور مبايعة ولقب نفسه بالملك المنصور ومن ثم اخذت مكة والحجاز تتداول بين حكومة مصر وحكومة اليمن الى اواخر سنة ٦٧٠ فاستولى عليها الملك الكامل وولي امرها الشريف راجح بن قتادة

ولما توفي الملك الكامل اخذ ملك اليمن يتطلع الى الاستيلاء على الحرمين وصار يلقي بذور الشقاق بين الاشراف فكبرت الفتنة فيها بينهم حتى بلغ من خوف الناس منها انه لم يحج احد في سنة ٦٥٢ وصار بعض الاشراف المنتمين لملك اليمن اذا استولوا على مكة يخطبون لصاحب اليمن واذا قامت قائمة الاشراف الآخر يخطبون لصاحب مصر حتى استولى الشريف ابو نمي عليها سنة ٦٦٧ فخطب للسلطان بيبرس ملك مصر الذي حج في هذه السنة . واستمرت حكومة الحرمين تابعة لمصر واشرافها يدلون بالبيعة في الظاهر لسلاطينها وكان الحال يختلف عندهم فتارة تنفرد مكة والمدينة بامير واحد

من هؤلاء الاشراف وتارة تستقل كلٌّ منهما بامير حتى فتح مصر السلطان سليم الاول بعد انتصاره على ملكها الغوري سنة ٩٢٣ (١٥٧١ م) فاستقبله في الطريق وهو راجع الى الاستانة المولى الشريف ابو نمى بن الشريف بركات فبايعه نيابة عن ابيه الذي كان عاملاً للغوري على الحرمين فبايعه السلطان امارة الحجاز كله بمشاركة ابيه في حياته واستقلاله بعد مماته فاستمرت ولاية الحجاز تابعة للدولة العثمانية والاشراف من هذه العائلة الحاكمة يتعاقبون على الامارة فيها الى ان استولى عليها محمد علي باشا والي مصر بعد قمعه فتنة الوهابية من سنة ١٢٢٧ الى سنة ١٢٥٦ التي قررت فيها الدول العظمى اخراج الحجاز من يده الى السلطان عبد المجيد خان وجعلت له في نظير ذلك امتياز ولاية مصر في اولاده من بعده

وكان محمد علي اصدر امره بتعيين الشريف محمد بن عون جد سيادة الشريف الحالي على امارة مكة بدل الشريف يحيى الذي فرَّ منها بعد قتله للشريف شنبر سنة ١٢٤٢ واستمرَّ ابن عون في الامارة بما عهد فيه من حسن الادارة تابعاً لمصر الى ان تخلى محمد علي باشا عنها فارسل السلطان لهذا الشريف فرماناً باستمرار ولايته وخلفه في سنة ١٢٧٤ ابنه الشريف عبد الله باشا كامل وهو اول شريف منح من الدولة العثمانية رتبة الوزارة وأعطي لقب باشا ولما قتل سنة ١٢٩٧ بيد افغاني غيلة خلفه الشريف عبد المطلب ثم عزل بعد سنتين بالشريف عون الرفيق بن محمد بن عون الى ان مات سنة ١٣٢٣ فخلفه الشريف علي باشا بن عبد الله بن محمد بن عون واستقال سنة ١٣٢٧ فخلفه سيادة الشريف الاعظم حسين باشا بن علي بن محمد بن عون الشريف الحالي القائم الآن لاستعادة مجد العرب

الشريف وعراقة اسرته واستقلاله

ترى مما تقدم ان عائلة الاشراف امراء مكة اقدم اسرة شريفة في العالم اذ انها تصعد حلقات سلسلتها الى الرسول ونسبه يصعد الى عدنان كما حققه النسابون والمؤرخون . والانتساب كما لا يخفى من الخصائص التي امتازت بها العرب على سائر الامم فالمسافة التي بين حلقة السلسلة الحالية والحلقة العدنانية نحو ٢٦ قرناً . على اننا لو وقفنا بنسب هذه الاسرة الشريفة الى الحلقة النبوية فقط لكفى ان تكون اعرق الاسر المعروفة على ظهر البسيطة حسباً واقدمها نسباً فان اقدم الاسر التي يحترمها التاريخ في اوربا ويجلها الافرنج لعراقتها في نسبها كاسرة البربون التي حكمت فرنسا واسرة هابسبرج الحاكمة

على النمسا وغيرها لم تظهر الا بعد اسرة اشراف مكة بقرون عديدة

اما سيادة الشريف الحالي حسين باشا امير مكة المستقل بالحجاز الان فهو يبلغ من العمر الثانية والستين مملؤ الجسم لا بالقصير ولا بالطويل اشهب اللحية قصيرها ابيض الوجه مستديره واسع العينين حاد النظر كبير الرأس زيه في ملبسه كزي العلماء في مصر اي يعتم بعمامة بيضاء ويرتدي جبة وقفطاناً ويشد وسطه بعمامة من الحرير

وهو يجيد من اللغات غير العربية : التركية والفارسية قراءة وكتابة ويتكلم الانكليزية والفرنسوية والروسية وقد دُرسها وهو في الاستانة في قصره بيوكدره على ضفاف البسفور على أساتذة خصوصيين قبل تعيينه في أمارة مكة . وهو أول أمير شريف يعرف هذه اللغات ، ناهيك ببراعته في علمي التاريخ والجغرافية علاوة على الهندسة والحساب وعلم الفلك . أما العلوم الشرعية فحدث عنه فيها ولا حرج فان كبار العلماء في مكة والمدينة والطائف يرجعون اليه في حل ما يغمض عليهم منها وله ميل عظيم الى قرض الشعر لا سيا الحماسي منه

والامير كريم النفس عالي الهمة لم يحتمل ما يعانيه العرب من الذل والهوان بعد ان كانوا اهل المجد والفخار وقد حكموا العالم وسادوا اهله قروناً فقام في وجه الاتحاديين بعد ان حاسنهم طويلاً ولم تنفع معهم الحسنى فنهض بالبلاد ليحررها من ظلمهم وعسفهم وقد تكللت مساعيه بالفوز والنجاح ووفقه الله لنيل استقلالها

ركنا الحلفاء

بريان ولويد جورج

رجلان شديدا الشبه خَلْقاً وخُلْقاً ، قويا الحجة ، كثيرا العمل ، عظيما النشاط . رجلان تربطهما وحدة الغرض ووحدة الآراء ووحدة السيرة . رجلان حازا رضى مواطنيهم وثقة حلفائهم واعجاب العالم باسره . هذان الرجلان هما دافيد لويد جورج وزير الحربية الانكليزية وارستيد بريان رئيس الوزارة الفرنسية

هما رجلا الساعة . واليهما يرجع الفضل الاكبر في توحيد خطط الحلفاء وتنظيم

مواردهم ومصانعهم ومرافقهم . سل من شئت في فرنسا وفي انكلترا بل سل الالمان انفسهم عن مصدر الحزم ومبعث القوة والاقدام بين امم الحلفاء تجد الجواب : بريان ولويد جورج

والغريب ان بين الرجلين صلات كثيرة واوجه شبه عديدة : في اصلهما ومنشأهما وحياتهما السياسية . واليك بعض ذلك :

أولا انهما من جنس واحد فكلاهما قلتي الاصل : ولد بريان في مقاطعة بريطانيا الفرنسية وولد لويد جورج في مقاطعة ويلز الانكليزية . والصلة الجنسية بين المقاطعتين ثابتة

ثانياً انهما متساويان في العمر تقريباً (١) وفي القامة والشكل الخارجي

ثالثاً كلاهما نشأ في عائلة وضيعة وحاز مركزه بجده وثباته رغم الصعوبات والعقبات الكثيرة

رابعاً كانا محامين قبل دخولهما السياسة

خامساً كلاهما اشتراكي في المذهب مناهض للطبقات السائدة المستأثرة بالثروة ولكنهما ليسا من طرز الاشتراكيين الهدميين

سادساً اشتهرا في دفاعهم عن العمال وقد لقيا أشد المقاومة والمعارضة من اصحاب المال

سابعاً انهما خطيبان مفوهان

ارستيد بريان

ولد ارستيد بريان سنة ١٨٦٢ في مدينة نانت من عائلة متوسطة الحال وبعد أن تلقى علومه الاولية والثانوية درس الحقوق واشتغل بالمحاماة وكان له شغف بالسياسة . واشتغل زمناً في الصحافة فكتب مقالات كثيرة في جريدة « لو بوبل » (أي الشعب) . اولا وكانت جريدة فوضوية . ثم حرر جريدة اللانترن (الفانوس) فالبتيت ربوبليك (الجمهورية الصغيرة) واخيراً أسس مع جوريس — الاشتراكي الشهير الذي قتل قبيل نشوب الحرب — جريدة اومانيته (الانسانية) وهي الى هذه الايام اكبر جريدة اشتراكية في فرنسا

وقد كان من زعماء حركة العمال وله قسط وافر في اتحادهم ولا سيما بعد مؤتمر

(١) ولد بريان سنة ١٨٦٢ ولويد جورج سنة ١٨٦٣

العمال في ثانت سنة ١٨٩٤ اذ أصبح معدوداً من ذلك الحين احد رؤساء الحزب الاشتراكي الفرنسي . وفي سنة ١٩٠٢ انتخب عضواً في مجلس النواب لاول مرة . وقد كانت اول مسئلة وجه اليها عنايته فصل الكنيسة عن الحكومة . وهوالذي كلف تقديم التقرير عن ذلك القانون فاظهر في تقريره مقدرة عظيمة ووافق المجلس على معظم ما اقترحه . على انه لم يكتف بسن القانون بل اراد تنفيذه بنفسه ولذلك قبل منصب وزير المعارف والاديان في وزارة ساريان سنة ١٩٠٦ فجلب عليه من جراء ذلك غضب الحزب الاشتراكي الذي عد قبوله منصب الوزارة خيانة للاشتراكية . ولكنه كان يجيب منتقديه ولا سيما جوريس بانه ينبغي للاشتراكيين ان يشتركوا في الحكومة ويدخلوا اصلاحاتهم شيئاً فشيئاً لا ان يبقوا في عزلة عن المناصب في انتظار تحقيق احلامهم الذهبية

وقد تولى المسيو بريان رئاسة الوزارة الفرنسية مرتين قبل توليه اياها في اثناء الحرب اثر استقالة وزارة المسيو فيفياني : المرة الاولى في سنة ١٩٠٩ والمرة الثانية في سنة ١٩١٣. ومن أقواله المأثورة في احدى خطبه الانتخابية قوله : « لا يجوز ان تحول المنافسات الانتخابية دون اتحاد الفرنسيين جميعاً للاشتراك في الاعمال العظيمة » . وما برحت هذه خطته في حياته السياسية كلها . فانه من الذين ينظرون الى الامور الاولية بادئ الامر . وقد نال ثقة الفرنسيين من جميع الاحزاب والجمع الناس عموماً والحلفاء خصوصاً على امتداح آرائه السديدة في توثيق عرى الاتحاد بين الحلفاء من الوجهتين السياسية والحربية واليه يرجع الفضل الاكبر في توحيد خططهم على النمط الذي شاهدنا نتائجه الباهرة أخيراً . وهو واضع القاعدة التي تعمل بها جيوش الحلفاء اليوم وهي بان يكون لهم « خطة واحدة على خط واحد » أي ان تعتبر خطوط القتال كلها كأنها خط واحد تحت قيادة واحدة وتكون الاعمال الحربية فيها مترابطة

دافيد لويد جورج

ولد المستر دافيد لويد جورج سنة ١٨٦٣ في مدينة مانشستر الشهيرة ولكن موطنه وموطن اسرته مقاطعة ويلز . وقد كان والده معلماً في احدى المدارس الصغيرة واسمه وليم جورج اما والدته فمن عائلة لويد . ومن ثم اسم الذي يجمع عائلتي امه وابيه . ولما توفي الاب خلف ثلاثة اولاد لم يتجاوز بكرهم (وهو المستر لويد جورج) اربع سنوات من العمر

اذ ذاك رجعت الارملة الى قريتها ونزلت عند اخيها ريشارد الذي عني باولاد اخته عناية عظيمة وانصرف الى تربيتهم وتعليمهم . وقد كان صانع احذية ولكنه كان ذا نفس سامية ومبادىء راقية فامتنع عن الزواج ليتمكن من تربية أولئك الاولاد . وقد كان شديد التدين ، ولاريب ان للروح الدينية التي ترعرع فيها المستر لويد جورج أثراً كبيراً في حياته . فمن ذلك الحين نمى فيه شعور الانعطاف على الضعفاء والفقراء وما برح يقوى فيه الى ان اصبح اليوم أكبر نصير لعامة الشعب على طبقات السادة والمستأثرين

وقد قال المستر لويد جورج عن ايام طفولته مفتخراً بوضاعة اصله «قلما اكلنا اللحم في ذلك الزمن . واني اذكر جيداً ان غاية الاسراف اذ ذاك كانت ان يأكل كل منا نصف بيضة في صباح يوم الاحد»

ذلك هو الوسط الذي نشأ فيه المستر لويد جورج ومنه نفهم شيئاً عن شخصية ذلك الرجل الحديدي وعن مبادئه القويمة وعزمه الأكيد . وقد تمكن خاله بفضل التضحيات الكبيرة من مساعدة دافيد الشاب على اتمام درس الحقوق . فلما اتمه سنة ١٨٨٤ اتخذ مكتباً في مدينة بورتمادوك وشرع يشتغل في مهنة المحاماة

وما برح دافيد لويد جورج منذ ذلك الحين يزداد شهرة ويرتفع في اعين مواطنيه نعني سكان مقاطعة ويلز الى ان انتخب سنة ١٨٩٢ للمرة الاولى نائباً في مجلس العموم وقد لاقى في هـذا السبيل مقاومة شديدة من اعدائه ، بل اعداء الشعب الذي تولى المدافعة عن حقوقه . وبعد دخوله في مجلس العموم تجلت مواهبه العظيمة وعد ركناً من اركان الحركة السياسية في بلاد الانكليز

والغريب ان هذا الرجل الذي يمثل اليوم عداء انكلترا لالمانيا وعزمها الصادق على مقاتلتها الى النهاية كان سلمي المذهب وكثيراً ما قاوم الاعتمادات والتدابير الحربية

ويعلم الجميع اليوم ما كان للمستر لويد جورج من الفضل في تنظيم موارد انكلترا المالية والمادية وفي تجهيز الذخائر وانشاء المعامل . فهو كما سماه احدهم «محرك مجلس الوزراء الانكليزي» وكلما وقعت الوزارة الانكليزية في مشكل من المشاكل اتجهت اليه الانظار ونيط به حل الاشكال

ولما توفي اللورد كتشنر اجمعت الاراء على انتخاب المستر لويد جورج خير خالف لخير سلف

دوران الارض

اهم اسباب الحرب

رأي عالم طبيعي شهير

العنوان غريب بلا ريب . ولكن لا تتسرع أيها القارىء في الحكم على المقالة من مجرد عنوانها واعلم ان كاتبها (واسمه الدكتور رفايل دوبوا) من العلماء الفرنسيين المعروفين وهو أستاذ الفيسيولوجيا في جامعة ليون بفرنسا . واليك خلاصة المقالة التي نشرها في مجلة « العلم والحياة » الفرنسية قال :

منذ نحو ٢٥٠٠ سنة كان حكيم لا يزال مشهوراً الى اليوم واسمه بيتاغورس ومذهبه ان الجسم البشري محكم الارتباط بنظام الكون وان جميع الاعمال البشرية تسير بمقتضى سنن طبيعية ثابتة

انك لا تجد اليوم عالماً طبيعياً حقيقاً بهذا الاسم يجسر على معارضة هذا الرأي بل ان السواد الاعظم من علماء هذا العصر منصرف الى درس الروابط المتينة التي تربط الانسان خصوصاً والمخلوقات الحية عموماً بالبيئة (او الوسط) التي تنمو فيها . نعم ان الذي نعلمه في هذا الباب قليل بالنسبة الى ما لا نعلمه ولكن العلم الحديث مع ذلك قد مهد لنا سبيل البحث فيه واطلعنا على بعض اسرار الطبيعة وسننها الثابتة

غير ان قولنا بوجود روابط متينة بين الانسان والطبيعة لا يعني خضوعه المطلق لها وعجزه عن مقاومة مجاريها . خذ الصواعق مثلا فقد تمكن الانسان من اختراع قضيب حديدي اذا وضعه على منزله أمن شرها . انه لم يناقض سنن الكهربائية الطبيعية بعمله هذا وانما استخدمها لغرضه مما يدل على ان العلم وحده يجعل الانسان قادراً على الاستفادة من مجاري الطبيعة بدلا من الخضوع والاستسلام لاحكامها الجائرة

على هذا القياس نقول ان للحرب احكاماً طبيعية متى علمها الانسان اتقى شرها — كما اتقى شر الصواعق من قبل

تأثير البيئة في الاحياء

ليس المراد بالبيئة هنا البقعة الجغرافية الذي تولد فيها الاحياء وتنمو ، بل المراد منها

جميع المؤثرات الطبيعية — القريبة والبعيدة — التي تترك أثراً في المادة الحية

فاشعة النور مثلا تأتي الى العين بسرعة ٣٠٠٠٠٠ كيلومتر في الثانية فتؤثر في اجزائها تأثيرات مختلفة ينشأ من مجموعها البصر . ثم ان تلك الاشعة تنعكس على الاجسام التي تكتنفنا فتنقل الينا اشكالها وحركاتها . ولا يخفى ان تأثير تلك الاشكال والحركات يختلف باختلاف الاشخاص فنظر الشاعر يختلف عن نظر الفلاح وقس على ذلك

على أن السواد الاعظم من الناس لا ينظرون الى غير الاسباب المباشرة للحوادث . اما انا فسأترك الاسباب القريبة التي باشرت الحرب جانباً واقتصر على درس الجذور الطبيعية التي ولدت تلك النباتة السامة المعروفة بالحرب

فالضغائن الجنسية والاحقاد المتوارثة والمنافسة التجارية والتوسع الاقتصادي والضيق المالي والروح الهمجية والنزعة الحربية والفروق الدينية والاجتماعية والمداولات السياسية — كل تلك العوامل في نظري ثانوية بجانب العوامل الطبيعية العميقة التي ما برحت تسير البشر كأنهم قطيع من الاغنام . ولكي نبين تأثير تلك العوامل في البشر نأتي بالامثلة التالية تمهيداً لبحثنا عن جذور الحرب :

لنفرض ان الجراد وفد بكثرة عظيمة على احدى المستعمرات الفرنسية فاتلف الزرع وسبب ضيقاً شديداً أفضى بالاهلين الى الثورة فاستلزم ذلك ارسال حملة وفتح اعتماد مالي وآل الامر الى سفك الدماء حتى اهتزت البلاد الفرنسية وقام المعارضون يلومون الوزارة فاضطرت الى الاستقالة . واذا بعالم فلكي يستكشف ان ظهور الجراد بكثرة موقوف على البقع الشمسية حين تبلغ اقصى حجمها . فيؤخذ من ذلك انه قد يكون بين سقوط الوزارة وبقع الشمس روابط متينة

ان العوامل الطبيعية التي تؤثر في الاحياء كثيرة نذكر منها هنا دوران الارض اليومي ودورانها السنوي . فعلى الاول يقف تتابع الليل والنهار والنور والظلام . ولا يخفى مقام هذا التتابع لدى كل مخلوق حي . وعلى الثاني يقف توالي فصول السنة ولهذا التوالي ايضاً شأن عظيم في شؤون البشر وقواهم الحيوية . فمن المعلوم ان بعض الامراض تفد في فصل دون آخر وقد وجدوا ان معظم الجرائم الغرامية تحدث في شهر يونيو وان حوادث الانتحار تكثر في الربيع . وكذلك للظواهر الجوية تأثير عظيم في احوال الناس الاقتصادية بل ان تأثيرها يلحق الامزجة ولا سيما الامزجة العصبية فانها شديدة التأثر من جراء تقلب الطقس . وقد لاحظ الاطباء انه عند قرب الصواعق يشتد صياح المجاذيب

وقد جرب غير واحد ان يضع قاعدة ثابتة لترادف الحرب والسلم في التاريخ البشري قال برودون سنة ١٨٦٩ : « ان الحرب والسلم يكمل بعضهما بعضاً فهما عاملان لازمان للجنس البشري فتراهما يتتاليان في حياة الشعوب كما يتتالى النوم واليقظة في حياة الافراد . فالحرب اذاً ضرورية للسلم والسلم ضروري للحرب »

يتراءى لنا ان فيما تقدم جانباً من الحقيقة فالحرب في نظرنا خاضعة لسنن ثابتة يمكن استكشافها كما ان رحيل الطيور ومهاجرتها لمواطنها يجري في أوقات معينة من السنة وفقاً لاتجاه مجاري الهواء أو كرحيل الاسماك وفقاً لمجاري المياه

ومن أغرب ما وجده أحد المؤرخين ان الاستعمار الفرنسي كان أشبه بحركة دورية منظمة . فقد كتب مقالة ذكر فيها ان الفتوحات والحروب الفرنسية منذ سنة ١٨٣٠ كان يفصل بينها فترات مدتها عشر سنوات تقريباً . واليك جدولا يبين ذلك :

سنة ١٨٣٠ الجزائر — ١٨٤٢ تايتي — ١٨٥٣ كليدونيا الجديدة — ١٨٦٠ غينه وغيرها — ١٨٧٠ الحرب البروسية — ١٨٨١ الى ١٨٨٤ تونس والكونغو — ١٨٩٥ مدغسكر — ١٩٠٦ مراكش — ١٩١٤ الحرب الحاضرة

وقد ذكر ذلك الكاتب ايضاً ان تلك التواريخ تقابل الازمنة التي بلغت فيها البقع الشمسية أقصى حجمها . وقد ثبت اليوم ان بين جاذبية الارض وتلك البقع علاقة ثابتة اذ انه كلما كبرت البقع زادت الجاذبية . مما يدل على ان هناك صلة بين بقع الشمس والجاذبية الارضية وحركة الفتح

دوران الارض والحروب

على ان أقوى العوامل المؤثرة في الحروب هي بلا ريب حركة دوران الارض واليك تفصيل ذلك :

لقد لاحظ كثيرون ان المدن تنمو عادة وتتسع على عكس اتجاه حركة الارض أي ان اتساعها يكون من الشرق الى الغرب . وقد وجد العالم فيري (Féré) ان كثيرين من الناس يستريحون في نومهم باتجاه رأسهم الى الغرب ويقل تعبهم في العمل اذا كان ظهرهم نحو الشرق . هذه أمثلة تدل على تأثير الاتجاه في الانسان وهناك أمثلة أخرى لا محل لذكرها هنا . على ان اخطر تلك الادلة جميعاً مهاجرة الجماعات البشرية منذ قديم الزمن من الشرق الى الغرب

تدل الآثار المنبئة عن تاريخ الانسان قبل التاريخ والآثار التاريخية على ان معظم الفتوحات والمهاجرات البشرية حدثت من الشرق الى الغرب . وقليلة هي المهاجرات التي تمت في غير هذا الاتجاه ومع ذلك فان ما تم منها لم يدم طويلا . كفتوحات الاسكندر وحملة القرطاجيين على رومة ، والامبراطورية الرومانية الشرقية ، وفتوحات العرب في الاندلس وجنوبي فرنسا . انظر الى حروب نابوليون التي حدثت في جميع الجهات ما عدا الغرب لان البحر وقف في سبيلها فانها لم تدم طويلا رغم الانتصارات الباهرة التي تخللتها . بل أي مثل ابلغ من فشل الحروب الصليبية الثماني فقد كان اتجاهها جميعاً من الغرب الى الشرق أي على عكس المجرى الطبيعي للمهاجرة البشرية

يظهر ان غرائز الانسان أبعد عن الكمال من غرائز الحيوانات . فالطيور من هذا القبيل أرقى منا لان ارتحالها يجري بمقتضى قواعد ثابتة . ولكن بقطع النظر عن الحركات البشرية التي شذت عن المجرى الطبيعي فتاريخ الانسان ممتلىء بالشواهد التي تبين صحة رأينا هذا مما يطول بنا سرده . وانما نقتصر على مثال واحد جلي نعني استكشاف اميركا وافتتاح العالم الجديد . فقد تم من الغرب الى الشرق كما لا يخفى على ان الغريب هو ان كلا من الشعوب الاوربية التي هاجرت الى اميركا اتجهت الى البقع التي تقابل مواطنها من العالم الجديد . فالسكنديناڤيون استعمروا الجهات الشمالية والانكليز ذهبوا الى كندا والولايات المتحدة والفرنسيون اتجهوا في الغالب الى جنوبي الولايات المتحدة (في لويزيانا) وان يكن بعضهم استوطن كندا ثم الاسبان والبرتغال استعمروا المكسيك واميركا المتوسطة والجنوبية

تلك هي السنة الطبيعية التي تقضي على الانسان بالاتجاه من الشرق الى الغرب غير ان السير بمقتضاها قد يكون على شكلين : اما بالفتح العسكري او بالمهاجرة السلمية . ولو ان الالمان اقتصروا على الشكل الثاني لكان ذلك اصلح لهم واسلم !

الادلة العلمية

هل يمكن اثبات ما تقدم بادلة علمية ؟ ان التجارب التي اجريتها تفي بالغرض المطلوب بل هي تثبت أن هذه الخاصة ليست من ميزات الجنس البشري ولكنها عامة تشمل جميع الكائنات الحية واليك خلاصتها :

اذا وضعت على اسطوانة جسماً حياً نباتاً كان او حيواناً وجعلت لاسطوانة تدور

دوراناً ثابتاً مستديماً وجدت انه يتجه الى ضد جهة الدوران بعكس ما اذا كان ذلك الجسم ميتاً فانه اذ ذاك يخضع لحركة الدوران ويتبعها . فكأن في المادة الحية خاصة مقاومة حركة البيئة ولذا سميت هذه الخاصة خاصة مقاومة الحركة (anti cinèse من كلمتين يونانيتين anti اي ضد و cinèse اي حركة) . وقد صنعت آلة خاصة لاجري عليها تجاربي بهذا الشأن فنجحت جميعها مهما كان المخلوق الحي الذي استخدمته . فقد جئت باسماك فكانت تسبح الى عكس جهة الدوران وكذلك الطيور والحشرات وغيرها فانها تتجه بصورة ثابتة الى عكس حركة الاسطوانة . بل اني استخدمت نباتات لهذا الغرض فوضعت جذور البصل في الماء فكانت النتيجة واحدة اذ ان رأس الجذور كانت تنمو متجهة الى عكس جهة الحركة

ومما ظهر لي من تجاربي إنه كلما تعب الحيوان قلت مقاومته للحركة فيضطر اذا طال التعب الى الوقوف من حين الى آخر . وقد وجدت غير مرة ان الحيوان متى اشتدت وطأة التعب عليه واصبح قريباً من الموت انه يعكس وجهته ويجعلها موافقة لحركة الاسطوانة . فنرى من ذلك ان تلك خاصة من خواص المادة الحية على انواعها تنطبق على الانسان الذي هو ارقى مظاهر الحياة

وفاة وردة

لشاعر القطرين

كأن الشاعر قد رأى وردة في حديقة فاكبرها في الورد واحبها وتعهدها ثم جاء يوماً ليفتقدها كعادته فوجد مكانها خالياً منها وابصر فراشات صدفية البياض في جيئة وذهاب حول مهدها بلا انقطاع فقال رثاء للوردة ووصفاً للفراشات :

ابكت الروضَ عليها جزعاً ... وردة في عنفوان العمر حانت

لبست زينتها عارية ... لشباب ثم ردت ما استدانت

لقيتها الارض تكريماً لها ... بين جفنين فعزت حيث هانت

وابتنت من صدرها قبراً لها ... جثث الحسنى عليه واستكانت

تأثير الحروب في الآداب

عند الامم

الآداب : كلمة تطلق على مآثر أي لسان أو لغة من اللغات ، وتحديد معناها هو التعبير عما في ضمائر الناس وعقولهم من العواطف والمعاني بواسطة الانشاء وعلى نمط جميل مستظرف [١] فهي ثمار عقول الامم ونتاج قرائحها المأثورة عما تقلبت فيه من الاحوال والادوار الاجتماعية والانقلابات السياسية التي أثرت فيها باختلاف العصور والدول

﴿ المؤثرات التي تؤثر في الآداب ﴾ فالآداب كما بينا تعبر عن العواطف والافكار والخيال أعني تعبر عن امور تتأثر بتأثر الاحوال المعاشية وتقلب الهيئة الاجتماعية والنظم السياسية . فالمؤثرات التي تؤثر فيها والعوامل التي تعرض لفنونها المستظرفة من الترقي والانحطاط والانتشار والتغير انما هي مؤثرات وعوامل ترجع بجملتها الى أحوال البلاد الطبيعية التي تعيش فيها كل امة من الامم أو الى خصائص الامة نفسها التي فطرت عليها والى تقاليدها المتوارثة وحال الحضارة وتأثيرها من حيث الرفاهية والثراء وما يتصل بذلك من الاحوال الاجتماعية . ومن أهم هذه العوامل التي تؤثر في الآداب تأثيراً عظيما الاديان وما يتصل بها من المعتقدات والاخلاق ثم العلوم النظرية والتجريبية والاحوال السياسية الداخلية واختلاط الشعوب بعضها ببعض والاقتداء بفنون آداب اللغات الاجنبية ثم الحروب وغيرها . ولكل عامل من هذه العوامل تأثير هام في الآداب يحتاج تبيانه الى بحث خاص به كما سنفعل الآن في بيان تأثير الحروب في الآداب وهو موضوع مقالتنا هذه ، وقبل ان نبدأ بالكلام على ذلك نأتي بكلمة موجزة عن حال

(١) هذا هو تحديد معنى الادب فان بقولنا « بواسطة الانشاء » تحرزنا من الموسيقى وفن التصوير والنقش وهي تشارك الآداب في قصد التعبير عن عواطف الناس وافكارهم وتخالفها باستعمال الانغام والالوان والصور بدلاً من الالفاظ . وبقولنا : « على نمط جميل مستظرف » احترزنا من العلوم الرياضية والفلسفية والطبيعية والشرعية وغيرها من العلوم التي لا بد لتدوينها من الانشاء ولكن بدون قصد الجميل المستظرف

الآداب وقت السلم والحرب

﴿ الآداب وقت السلم والحرب ﴾ اذا كانت الحروب كما قال بونابرت اعظم قواد العالم « عمل بربري وحشي » أو كما قال لويس نابوليون « ما الحرب الا اعمال بربرية منظمة وهي من بقايا الهمجية مهما تختلف مظاهرها واشكالها » فالآداب من غير شك لا تزهر ولا ترتقي في ايامها كعهدها في أيام السلم

ومع ان رجال السلطة وولاة امور الامم كانوا في كل الازمان على علم تام بهذه الحقائق ومعرفة صحيحة بفظائع الحروب وقضائها على التمدين وزهور الآداب فضلا عن خسارة الانفس والاموال فانه ما كان يهمهم مثل هذه الاعتبارات بل كان من مصلحتهم تعظيم الحرب وتحبيب القتال الى رجالهم وشعوبهم لئلا يضعفوا عن حماية ممالكهم واستبقاء دولهم أو فقد السيادة والتوسع في الفتح فاخذوا يحسنون الحرب وبالغوا في تعظيم امرها فنصبوا لها النصب والتماثيل في التمدين القديم . منها اله الحرب (مارس) عند الرومان كان له شأن عظيم لا يفضله في المنزلة الا جوبيتر . وكانوا يعدونه اله الارض والزراعة والماشية . ولعل الاصل في هذه المناقب انهم كانوا يحصلون بالحرب على تلك الاسباب الحيوية . ولم يقل العرب عن غيرهم في تعظيم الحرب وجعلها موضوع مفاخرتهم وحماستهم وانها من أسباب المجد والشرف. الا انه مهما يكن من تعظيم محبي الحرب شأنها وتمجيدهم أمرها و نتائجها واغرائهم الشعراء على التفنن في ذلك فانه لا يخرج عن حد المبالغات ومهما يكن من خدمتها الافراد فانها لا تخدم تمدين الامم أو آدابها اذ ان الحرب لا تتفق مع روح التمدين بل ان الآداب تكسد في ايامها وتقف حركتها ونموها وتتمثل الامم بقول ابي تمام :

السيف أصدق انباء من الكتب

وبقول عمارة اليمني :

وشفرة السيف تستغني عن القلم

فتبدل حال الامم من حيث السلم والحرب يفعل فعلا عظيما في تقلب نضارة الآداب لان تمادي الحروب الهائلة التي تشغل رجال الامة وابناءها عن أمورهم الاعتيادية ودوام الثورات والفتن مع ما يتصل بها من الاضطراب العام ونقصان الثروة والرفاهية كل ذلك أعظم عائق وشر عدو لرقي البشر في عالم الروح فلا تخصب رياض الادب في تلك

الازمان الكدراء ولا تنضج ثمار العلوم فيها اذ يستحيل ان تسطع في ايام الاحتلال شموس تلك المعارف والاداب التي تستدعي راحة القلب وادمان الفكر .

هذه هي حالة الآداب العامة ابان الحرب وهذا هو مجمل ما يقال عن ذلك . الا انه ينتج عن هذه الحرب مؤثرات عديدة في الآداب نبسطها فيما يأتي :

﴿ تأثير الحروب في الآداب وتاريخه ﴾ لو تتبعنا تأثير الحروب في الآداب من حصار طروادة الى حروب نابليون والحرب الحاضرة لرأينا لكل منها تأثيراً خاصاً في الآداب يتشابه كثيراً في موضوعه . اذ ان دوام التحارب بين امتين اوعدة امم وممالك سنين متوالية يسبب اختراع انواع خاصة من الفنون الانشائية نظماً ونثراً ، او يعجل نضوج هذه الفنون ويزيد في رقيها ويهيج ميل الامة اليها اذا كانت معروفة قبل ذلك الحين ، كما انه بتباعد عهد تلك الحوادث الحربية على توالي الايام والقرون وبتناقص وقعها في نفوس الناس وبفتور ذكرها يضمحل استعمال تلك الاساليب الانشائية مهما حفظتها الامة ضمن آثارها

ومن اشهر هذه الفنون الشعرية والآداب الانشائية التي اولدتها الحروب وانضجتها « الشعر القصصي او الحماسي » وهو اقدم انواع الشعر ويصعد تاريخه الى الوقائع الكبيرة والمعارك العظيمة . اما موضوعه فسرد الحوادث والوقائع الملفقة المشتملة على غرائب الشجاعة ونوادر الفروسية ووصف شجاعة الشجعان وذبهم عن الحريم والاوطان وفيه احاديث الشهامة والغيرة والحمية واخبار الالهة ، فهو بهذه الصفة تاريخي ديني ، واذا تدبرت الشعر عند الامم وجدت هذا النوع اقدم آدابها . فقد اولدته الحروب او ولد معها فاننا نرى ان اكبر المنظومات الطويلة من هذا الشعر القصصي انما نظمت تخليداً لذكرى حروب هائلة اضرم سعيرها شعب يدفع عن نفسه غارات شعب آخر او امة تدافع عن كيانها او مملكة رغبت في فتح بلاد رجت خيراً جزيلا من ملكها ، وها هي « الالياذة » التي نظمها هوميروس ابو الشعر ورب الشعر القصصي الذي عاش اسمه بهذه الالياذة المنقولة الى جميع لغات العالم [١] ، فان اصلها كما يظهر من اسمها محاصرة اليون عاصمة طروادة [٢] او محاربة اليونان لشعوب اسيا الصغرى لفتح بلادهم وموضوعها هو

(١) وقد نقلها الى لغتنا العربية الكاتب والشاعر الشهير سليمان افندي البستاني وطبعت بمطبعة الهلال سنة ١٩٠٤

(٢) فان الالياذة أو الالياس نسبة يونانية الى اليون هذه عاصمة بلاد طروادة

غيظ أخيل عنترة اليونان وفارسهم . وقد خلد بها هوميروس ذكر حرب طروادة التي قامت بين مملكة اسبارطة ومملكة طروادة باقتطاع شذرة منها موضوعاً لاناشيده فان الالياذة لا تتناول سوى ستة وخمسين يوماً من حصار عشر سنين ، فهذه الايام القلائل التي تناولها هوميروس من السنة العاشرة لحصار اليون عاصمة طروادة وحروبها هي التي بنى عليها منظومته البالغ عدد اياتها نحو ١٤٠٠ بيت

بل هذه هي المنظومة القصصية الفارسية المعروفة « بالشاهنامه » (ومعنى شاهنامه كتاب الملوك) التي الفها امام شعراء الفرس نصير الدين الطوسي المعروف « بالفردوسي » والملقب بهوميروس الفرس المتوفى سنة ٤١١ هـ (١٠٢٠ م) ألفها للسلطان محمود ابن سبكتكين الغزنوي الفاتح العظيم في تاريخ الفرس فوعده عن كل بيت بدينار وقد اشتغل في نظمها ثلاثين سنة فبلغت أشعارها ٦٠٠٠٠ بيت بالفارسية [1] . فان معظم أخبار الشاهنامه المأخوذ عن تاريخ الفرس القدماء انما يدور على الحروب العظيمة التي دامت عدة قرون بين شعوب ايران وسكان طوران وهي حروب كان ذكرها عند قدماء الفرس الزرداشتيين مفاخر الشعب برمته وقد رمزبها الى تضاد أهرمزد اله الخير وأهرمن اله الشر وهو تضاد لا يزول ولا يمحى على رأي اصحاب الدين الزرادشتي حتى انتهاء الدهور

وللفرس ايضاً منظومات قصصية اخرى باسم الشاهنامه في ذكرى حروب عظيمة كشاهنامة القاسم الكوناباري التي نظمها في وقائع الشاه اسماعيل وحروبه واهداها الى الشاه طهماسب وجعلها نظيرة لتيمورنامه الهاتفي . ومثلها شاهية مجد الدين البابري النسائي في واقعة الخوارزمي

وللترك أيضاً في الشعر القصصي منظومات طويلة عن حروب كبيرة كمنظومة شهودى في اربعة آلاف بيت . ومن اغرب ما روى في هذا الباب ما نقل عن شهنامه الشاعر التركي الملقب « بالفردوسي الطويل » فقد قالوا انه نظمها في مليون وستمئة الف بيت وكتبها في ثلثمائة وثلاثين مجلداً فلما عرضت على السلطان بايزيد العثماني امر بانتخاب ثمانين مجلداً واحراق

---

(١) قد ترجمت الشاهنامة الى معظم لغات اوروبا . أما ترجمتها العربية فقد نقلها الينا قوام الدين الفتح بن علي البغدادي الاصفهاني نثراً للملك المعظم عيسى بن العادل أبي بكر الايوبي وأتم ترجمتها سنة ٦٧٩ هـ كما ذكر صاحب كشف الظنون ص ٤٧ جزء ٢ . ولا نعلم لهذه الترجمة وجوداً فلعلها ضاعت في جملة ما ضاع من آثار العرب

الباقي فتألم المؤلف وترك بلاد الروم الى خراسان فمات فيها كمداً [١]

واذا تركنا اليونان والفرس والترك وانتقلنا الى غيرهم من الامم لنرى تأثير الحروب في آدابها فاننا نجد نفس هذا التأثير ظاهراً كل الظهور. فها هم الهنود مثلاً فان المنظومة الهندية المعروفة « براماياته Ramayana » التي نظمها فالميكي الشاعر الهندي القديم في ثلاثة اضعاف الالياذة فيما بين القرن الثامن والخامس قبل الميلاد قد بنيت كلها على ذكر محاربة راما (وهو اسم للمعبود وشنو متجسداً في ابن قديس ناسك) لارواح الشر المدماة باسم راكشاشا رمزاً الى سكان بلاد الهند الجنوبية الذين اجتهد الاريون في قهرهم. وكذلك « المهابهاراته Mahabharata [٢] » اكبر المنظومات الحماسية كلها التي نظمها فياسه اشهر شعراء الهند وكهانها في اكثر من ٢٠٠ الف بيت او قطعة اي ما يقرب من اربعة اضعاف الرامايانا وهي من هذا الوجه آية في بابها وفذة بين اشباهها ونظائرها ، فان اصلها يرجع برمته الى الحروب العظيمة التي قامت بين بني پندهو وبني كرو. والرامايانه والمهابهاراته عند الهنود بمثابة الالياذة والاوذيسة عند اليونان. وكما ان هوميروس هو فخر الاغريق كذلك فياسه وفالميكي هما فخر الهند وابلغ شعرائها واشهر كهنتها. وتعد منظومتاهما من ارقى وابلغ ما كتب باللغة السانسكريتية وقد ترجمهما العلماء الى اكثر اللغات الاوربية

واذا وجهنا انظارنا الى الافرنج نرى ان ما تغنى به اهل فرنسا في القرون الوسطى من اغاني « رولان » البطل ، او اهل اسبانيا من الاناشيد القصصية الخاصة « بالسيد البراز » يرجع برمته الى مقاتلة امم الافرنج لعرب الاندلس ، واذا اضفنا الى ذلك ما كان يتغنى به الجرمان ايضاً في القرون الوسطى من منظومات هيلدبراند ونيلونجن وجدنا ان مدارها قتال الشرقيين لاهل اوربا .

فمنظومات او اغاني رولان هي من اقدم المنظومات في الادب الفرنسي ويرجع تاريخ نظمها الى النصف الاخير من القرن الحادي عشر. ورولان هذا هو قائد جنود شارلمان الذين حاربوا الاندلسيين وفي منظوماته من المبالغات ما في قصة عنترة. فقد

---

(١) كشف الظنون . ولغات تاريخية ٤ : ١٥٨

(٢) أي حكاية « بهرات » الذي تنسب اليه الدولة الشمسية دولة ملوك الهند المنسوبين للشمس . وترى في الهلال الاخير من السنة الماضية قطعة من المهابهاراته بقلم الكاتب الفاضل وديع افندي البستاني

جسمت فيها الحروب التي حصلت بين الافرنج وعرب الاندلس وجعلت رولان عنترة زمانه والحقته بنسب شارلمان وادعت بانه ابن اخيه وذراعه اليمنى . وذكر في هذه المنظومات ان سبب هزيمته هو خيانة غانيلون الذي ارسله بمهمة حربية الى والي سرقسطة وكان في ذهابه اليها خطر على حياته فاغتاظ هذا الرسول من امره وانضم الى المسلمين ودبر في قتل رولان وانهزامه . فلما رجع رولان بجنوده الى فرنسا ووصل مضيق رونسفو في جبال البيرينه هجم عليه اهالي نافارا وغاسكونية المتفقين مع المسلمين في جيوش جرارة ، وقد كان لرولان مستشار ورفيق اسمه اوليفيه فنصحه بالاستمداد من شارلمان فلم يصغ لمقاله في بادىء الامر ولما اراد ان يعمل برأيه كان قد فات الوقت وغلبهم العدو بكثرة عدده . وقد صورت هذه المنظومة موت رولان ورفيقه وكيف انه اراد ان يكسر سيفه (دورندال) لئلا يقع في يد والي المسلمين فلم يستطع كسره لانه من السيوف التي لا تفل ولعله كان من المعدن المسبوك منه صمصامة عنترة وذو الفقار علي . وقد كان لمنظومات رولان شأن عظيم في كل اوربا فترجمت الى اللغة الفرنسية العصرية والى سائر اللغات الاوربية الاخرى . ومما نظم على نسقها حجيج شارلمان الى بيت المقدس وقصائد ومنظومات كثيرة في الحروب الصليبية

أما اناشيد « السيد »(١) القصصية فموضوعها الحروب بين الافرنج في اسبانيا وعرب الاندلس وتمجيد السيد بطل هذه الحروب . وبيان ذلك ان السيد لقب لاحد ابطال الاسبانيين في القرن الحادي عشر اسمه رودريك كان ابوه من اشراف القوط فادخله في سراي فرديناند الاول ملك استورية وليون وقشتاله في شمال الاندلس ثم دخل بعد وفاته في خدمة ابنه سانش فكان سبباً في نصره على أخيه الفونس حينما اقتتل الاخوان وبذلك تفرد سانش بالملك على ليون وقشتالة فكان له السيد وزيراً ومشيراً ثم حصلت فتنة قتل فيها سانش في محاصرة زاموره وخلفه أخوه الفونس السادس فامن السيد وقربه منه الا انه لما تم له الامر وامن غوائل الرقباء صادر السيد وأراد الفتك به ففر من ملكه الى الحدود الاسلامية وعمر قلعة بالقرب من سرقسطة . ولا تزال أثر تلك القلعة على صخرة عالية تسمى صخرة السيد كما تنسب الصخرة التي في

(١) يسميه اهل اسبانيا « أسيد كمبردور » فالسيد محرفة عن كلمة « السيد » العربية وكمبردور البراز أي السيد البراز أو المبارز

رونسيفو الى رولان . واستقل السيد بحكمه في تلك القلعة وكان يتعيش هو ورجاله من النهب والغارة على القرى المجاورة وقطع الطرق على القوافل الاسلامية والمسيحية . فاشتهر امره وتحدثت الركبان بشجاعته ثم اتفق مع امير سرقسطة وامير البراسين وهما من امراء المسلمين وقاتل معهما امير الاراجون المسيحي وحارب كذلك عسكر الفونس السادس والمتفقين معه من امراء المسلمين لانهم كانوا متفرقي الكلمة يقاتل بعضهم بعضاً حتى جاء يوسف بن تاشفين بجند المرابطين من افريقيا ووحد كلمة الاسلام في الاندلس جميعه مع انه كان امياً بربريا . فوقف السيد امام المرابطين ودفع هجماتهم عن بلنسية ولم يمكنهم من الاستيلاء عليها الا بعد وفاته سنة ١٠٩٩ م في حروب طويلة تحدث الناس بها وبشجاعة السيد وثبات عزمه فطار ذكره في جميع الاقطار ونظمت فيه القصائد والمنظومات

اما منظومات هيلدبراند ونيبلونجن الحماسية التي كانت تتغنى بها الجرمان في القرون الوسطى فان الاولى منها نظمت في القرن التاسع للميلاد بلسان الالمان . أما نيبلونجن فقد جمع هذا الديوان فى القرن الثالث عشر كما جمعت سيرة عنترة . وهو كتاب الحماسة الالمانية وموضوع منظوماته ذكر الحروب الهائلة التي حدثت بين قبائل نيبلونجن وبين اتيلا الفاتح الشرقي قائد قبائل الهون الذي هجم عليهم من الشرق برجاله فاباده ودوخ غيرهم من امم اوربا

فترى من ذلك مبلغ تأثير الحروب فى نشوء هذا النوع من آداب الامم وقس على ذلك القول فى سائر الحروب العظيمة فانك لو تتبعت تأثيرها لما رأيته يخرج عن هذا فكما ان حرب طروادة اوجدت الالياذة وهي موضوعها وان شاهنامة الفردوسي هي ذكرى حروب اهل ايران وسكان طوران وان الرامايانة والمهابهاراته يرجع أصلهما الى حروب سكان الهند فى الزمن القديم كذلك نظمت شاهنامة القاسمي فى حروب الشاه عباس ووضعت منظومات رولان والسيد فى حروب الافرنج مع عرب الاندلس ومنظومات هيلدبراند ونيبلونجن فى حروب الشرقيين بقيادة أتيلا فى اوروبا كما وضعت الحماسة (الابوية) الحميدية (وهي فى الجزء الاول من عكاظ الادب) فى الحرب اليونانية مع الدولة العثمانية وكما وضع فيكتور هوجو الحماسة النابولونية الى غير ذلك من منظومات الشعر القصصي فى العصور القديمة والحديثة كالياذة فرجيل اللاتيني فى تاريخ رومة وحروبها وعاداتها وتخليص اورشليم لطاسو الايطالي فى الحروب الصليبية الخاصة

بحملة جودوفروا دي بو يون Godefroy de Bouillon والجنة الضائعة لملتون في الحروب الاهلية والهنرياد لفولتير في الحروب الدينية الخ

وبالاجمال ان الشعر القصصي الحماسي ومنظوماته الطويلة لم تنضجه وتخرجه الا الحروب كما تبين لنا من كل ما مضى فاذا ما خمدت لظى هذه الحروب والمعارك ورتعت الامة مدة في بحبوحة السلام يعدل الشعراء عن تعاطي هذا الضرب من الشعر ومنظوماته القصصية فلا يرجعون اليه ويعودون الى الضرب على وتر الفخر والحماسة الا اذا حدث من الانقلاب السياسي ومعاداة الامم الاخرى ما يذكرهم باحوال تلك الازمان الغابرة والعصور الخالية ويحركهم الى المفاخرة بمآثر قومهم القديمة وآثار سلفهم العتيقة ، وهذا هو ما حدث في البلاد الايرانية في القرن الرابع للهجرة حينما اشتعلت نيران العداوة والبغضاء بين انجال الدهاقين والعرب المتغلبين عليهم منذ اواخر القرن الاول فابتدأت النهضة الفارسية وذهب الشعراء كدقيقي والفردوسي هذا المذهب وبذلوا الجهد في احياء مفاخر الفرس السالفة بنظم الاناشيد القصصية الشهيرة

واذا قطعنا النظر عن الشعر القصصي الذي ليس له مثيل في آداب اللغة العربية فهاهي سيرة عنترة بن شداد وسيرة بني هلال وسيرة المجاهدين او دلهمة (ذات الهمة) وامثالها من الكتب الحماسية فان تأليفها كان في عهد الحروب الصليبية تقريباً أي في اثناء القرن الخامس والسادس والسابع للهجرة . اذ المرجح ان تلك الحروب التي ملأت افئدة ابناء الشرق بالشعائر الحماسية والرغبة في الجهاد دعت الى ايجاد تلك السير ونشر تلك الروايات المشتملة على ذكر الوغى ووصف الشجاعة ومدح الابطال وتمجيد الفروسية والشهامة لموافقة جميع ذلك ما كانت تستدعيه حينئذ احوال مصر والشام

تأثير الحروب واسباب النهضة بوجه عام

واذا تعدينا الشعر القصصي الى ما يليه من الانواع الاخرى لنرى تأثير الحروب بالجملة في آداب الامم الشعرية ، والحرب كالحب والموت توحي الشعر وتوجهه ، فاننا نجد ان الحروب والثورات تقدح زناد الخاطر وتوقظ ابصار الفطنة عند الشعراء بل ان النهضة في الشعر والعلم والادب على انواعه تحدث على أثر انقلاب سياسي من حرب أو فتح أو نصر أو تغيير اجتماعي على أثر نكبة أو نزلة أو ما يثير العواطف وهي قاعدة تشمل طبائع البشر في كل زمان ومكان ، فان الهنود القدماء لم ينظموا اناشيدهم السنسكريتية الا

بعد ما لاقوه من الحروب والتنازع في اثناء نزولهم الهند قبل الميلاد باجيال ، واليونان مازالوا على الشعر القصصي وهو نتيجة الحروب كما قدمنا وشعراؤهم قليلون حتى قامت بينهم الفتن وتحاربوا ثم حاربوا الفرس وغيرهم فنبغ فيهم الشعراء الموسيقيون ، وظل الرومان ٢٤٠ سنة بعد تأسيس دولتهم في جمود ادبي لم يظهر فيهم شاعر حتى كانت الحروب البونية مع القرطاجيين فتفتقت قرائحهم وظهر فيهم الشعر ، والعرب شأنهم في نهضتهم الشعرية ايام جاهليتهم مثل شؤون سائر الامم . فان كل ما وصلنا من منظومات شعراء الجاهلية نظم بعد استقلال عرب الحجاز من سيطرة اليمن أي بعد الحروب التي قامت بينهم ، فهذا الاستقلال انقلاب سياسي هاج شاعريتهم ، بل ان الذي انهض قبيلة قريش على الخصوص واثار شاعريتهم وشحذ قرائحهم انما هو حروبهم مع الاحباش في عام الفيل فان الاحباش لما فتحوا اليمن حملوا على مكة للاستيلاء عليها ، فلما رأوا الاحباش قادمين شعروا بما يهددهم من الخطر واحسوا افتقارهم الى الاتحاد لدفع الاجانب فدفعوا الاحباش وقد تنبهت اذهانهم واخذت مواهبهم في الظهور . ومما يدل على شدة تأثير هذه الحرب وذلك الهجوم في نفوسهم انهم جعلوا يؤرخون منه وهو عام الفيل

فهذه الحروب والفتن أظهرت مواهب الرجال وايقظت منهم الشاعرية الحماسية والفخرية ونبغ منهم الشعراء على اختلاف القبائل والبطون لمدح الظافرين أو وصف بسالتهم أو التفاخر بالقبائل — وقضت امم اوروبا اجيالاً في القرون الوسطى وقرائحهم خامدة فلما خرجوا للحروب الصليبية وقاسوا ماقاسوه فيها ظهرت مواهبهم في الشعر ونبغ فيهم مشهورو الشعراء

هذا وترى اشعار الامة في نهضتها صورة من صور احوالها اثر الانقلابات والحروب فاذا كانت هي الظافرة كثر شعرها الحماسي والفخري وان كانت المغلوبة كان شعرها اكثره في الرثاء كما فعل اليهود بعد اسرهم في بابل بمراثي ارميا وغيره

واذا نظرنا الى تأثير الحروب والفتوحات في صدر الاسلام في الآداب والشعر عند العرب ابان تمدينهم علمنا صحة ذلك ورأينا جلياً شدة ظهور هذا التأثير في كل فنونه شدة يتبينها كل من له اقل المام بالادب العربي . زد على ذلك ان اتساع دائرة هذه الحروب والفتوح في العصور الاسلامية بعث على اختلاط الامم من الفرس والاتراك والمغول والجركس وغيرهم وتعددت الدول الاسلامية حتى صارت تعد بالعشرات ولذلك تأثير خاص في الادب . اذ ان اختلاط الامم يفتق القرائح والتزاوج بين الاباعد يقوي الابدان

والعقول . فهذا الاختلاط الذي سببته الحروب والفتوح ازهر الادب العربي اذ جعله نتاج قرائح هذه الامم ونتيجة انضمام فضائل وغرائز شعب الى فضائل شعوب أخرى فكان كلا منهم اتى باحسن طبائعه وخصائصه . فسدت مناقب البعض خلل البعض الآخر . فلولا هذا الاختلاط لبقيت الآداب العربية ضيقة النطاق محصورة في انواع يسيرة من النظم والنثر

فالحرب اذاً كما يؤخذ مما تقدم لا يقتصر تأثيرها على اختراع أنواع خاصة من الشعر او انهاض الآداب ورقيها عند امة من الامم بل يسبب في أكثر الاحيان اهمال او نشر ادب امة عند الامم الاخرى وبسببها تروج سوق ادب شعب عند شعوب اخرى ، ألا ترى رواج الادب الفرنسي بعد حرب القرم في الاستانة ومصر ورواجه في اوربا بعد الثورة الفرنسية وحروب نابليون وانكباب الطبقة الراقية فضلا عن الامراء والخاصة في كل ممالكها وبلدانها على تحصيله وحفظ الاشعار الفرنسية والتمثل بها والتكلم بالفرنسية في اندية سمرهم ومجتمعاتهم والتفاهم بها في اعمالهم الخارجية والرسمية وقد صارت لغة المخابرات السياسية في كل اوربا بعد انتصارات نابليون ولا تزال كذلك حتى الآن

تأثير الحرب الحاضرة في الآداب

رأينا تأثير الحروب السالفة في آداب الامم وقد كان اكثرها في بدء تكوينه واوائل عهده بالمدنيـة أو بالاجمال قبل ان تتأسس آدابه فأثرت الحروب في نشوء آداب كل امة من هذه الامم تأثيراً خاصًا كما مرّ ، أما هـذه الحرب الحاضرة فتختلف اختلافاً عظيماً في تأثيرها كما تختلف في شكلها واتساعها ومعداتهـا عن كل ما تقدمها من الحروب إذ انها ناشبة بين دول كثيرة وممـالك عظيمة هي اكبر ممالك العالم وأعظمها بل بين شعوب راقية هي ارقى الشعوب حضارة وعلماً وامم ممدينة ذات آداب راقية على اتم واكمل نشوئها ، وقد اشتركت فيها امم العالم القديم والحديث وامتد لهيبها الى افريقيا وآسيا وجميع انحاء اوربا كما عمت مصائبهـا وشدتها كل اقطار العالم فلذلك يختلف تأثيرها على الآداب ويتنوع تنوعاً عظيما يصعب الالمام به الآن لتشعبه وتباينـه ، الا ان مجمل ما يقال عن تأثيرها ان حالة الآداب قد تغيرت تغيراً كليـًا . فترى انه لاهتمام الامم وانهماك الحكومات في الحرب واشتراكهم فيهـا قلباً وقالباً قل الاهتمام بالادب . ولم يقتصر تأثيرهـا على هذا بل قضت على زهرة اعمار الـكثيرين فماتوا في ساحات القتال وميادينه العديدة . ومن هؤلاء افراد كانوا يخدمون الادب خدمات جليلة ويرقون باعمالهم

ومباحثهم . زد على ذلك حبس اموال الحكومات عنه لصرفها في وجوه الحرب فضلاً عن هذه الازمات الاقتصادية والصناعية الشديدة الناشئة عن انصراف المعامل والمصانع الى عمل الذخائر فارتفعت أثمان الورق ومواد الطباعة واجورها وشلت الحركة الادبية وضعف نموها بموت المشروعات ووقوف الجمعيات عن اعمالها الخاصة باحياء الادب وزهوره . وترى من هذا سوء تأثير الحرب فيه

وبالاجمال ان تأثير هذه الحرب وان لم تظهر نتيجته بعد ظهوراً جليًّا فانه قد كسد حقيقة سوق الادب لما تقدم من الاسباب فقلّت المؤلفات والكتابات فيه وتقصت نسبة ظهورها نقصاً عظيماً لقلة المشتغلين به ، فقد تحولت اقلام الكتاب والادباء الى كل مايخصها أو يبحث فيها بل قد صبغ كل شيء بصبغة حربية حتى يضمن له الرواج بين الجمهور . وها هي الجرائد والمجلات والكتب والروايات الادبية والاناشيد والاغاني الشائعة فانها تشهد بوضوح هذه الصبغة التي ظهرت حتى في المسارح ودور التمثيل والصور المتحركة فقد ملئت كلها باخبار الحرب ومناظرها . بل أن من تأثير هذه الحرب على الادب تأثر الفنون الانشائية والشعرية بها في اوروبا على الاخص فتغير اسلوب الانشاء الرقيق وفنون النظم الجميلة واهملت انواع الغزل والوصف والخيال وغيرها من الانواع الشعرية التي كانت زاهية شائعة أيام السلم بالكتابات والمنظومات التي تتجلى فيها روح الحرب ومظاهرها الفظيعة من الحزن والتفجع والانتقام والرثاء والحماسة وكل ما يهيج ميل الامة ، وكثر النوع الخطابي المعروف عند الافرنج باسم الخطابة السياسية والحربية الذي يشبه خطب ديموستين Demosthenes في استنهاض اليونان لحرب فيلبوس ومقدونيا وهذا النوع ملازم للحروب والاحوال التي تعكر جو السياسة . ومن تأثيرها استعمال الفاظ جديدة فنية واصطلاحات حربية قد دخلت في كل اللغات ولولا هذه الحرب لما استعملت وعرفت وتناولها الخاص والعام بهذا المقدار فمنها : المناطيد المسيرة والنسافات الهوائية والغازات الخانقة والسيارات المدرعة والقنابل المضيئة والقذائف النارية والاسلاك الشائكة والمدمرات والطرادات المدرعة والخفيفة والدردنوطات والغواصات والطوربيد والاساطيل الهوائية والحياد المسلح والحصر البحري والمناطق الحربية والتحصين الهوائي الى غير ذلك كثير من الفاظ الحروب البرية والبحرية والهوائية وما تحت سطح البحر

عبد الفتاح عباده

اخلاق وعادات

هندية

اهل الهند اليوم ممالك وامارات وولايات تظلها الراية البريطانية على مذاهب متشعبة ونزعات متضاربة . ولا بدع فهم يربون على ٣١٥ مليوناً نحو ثلثيهم هندويون والثلث الآخر مسلمون . والهندويون بين طائفة تعبد « فشنو » وأخرى تتعبد لشيفا وفئة على سنة « بوذا » وأخرى على طريقة « كبير » والمسلمون بين سنّي وشيعي و « خوجه »[1]

وفي الهند حتى اليوم البقية الباقية من عبدة النار الذين انهزموا من بلاد فارس في اوائل الفتح الاسلامي . ويسميهم العرب اليوم مجوساً . ومع ان اللغات الاكثر شيوعاً نحو العشر فقط فان الالسنة الهندية اليوم نحو السبعين ومرجعها العام السنسكريتية القديمة التي لا تزال حتى اليوم لغة ادب ودين لا لغة قومية يتفاهم بها . ولا بد دون تفصيل الاخلاق والعادات من الاحاطة بالاحوال الاجتماعية والاستطراد الى الحوادث السياسية وليس هذا زمانها ولا مكانها . واني مجتزئ من الكثير بذكر القليل من

(١) فشنو وشيفا الهان من الثالوث الهندي وثالثهما « اندرا » . ومن أنصف الهنود في الحكم على أديانهم أعجبه القول انهم مشركون موحدون . فان ثالوثهم هذا متحد في « برهما » أي الحق . وعندهم من أسماء الآلهة ما قد لا يعد ولا يحصر . ولكنهم يعتقدون ان كل نفس بشرية هي عبارة عن روح تزهق من مخلوق يموت وتعاود الحياة في مخلوق آخر ولاتني تتطهر وتسمو الى ان تتحد بالذات الالهية أي برهما

أما « بوذا » فهو أحد التجسدات العشرة التي ظهر منها حتى اليوم تسعة والعاشر منتظر . ولفظة بوذا (أو بودا باهمال الدال مع اختلاس حرف المد وتقدير هاء مع الدال والالف) لفظة سنسكريتية معناها المعلم وهو صاحب الديانة المنسوبة اليه المنتشرة في الصين واليابان والهند . وأما « كبير » فهو شاعر هندي أراد ان يجمع بين الهندوية والاسلام وله من الآثار قصائد منثورة يتداولها اتباعه وهم نحو المليون عداً

أما « الخوجة » فهم طائفة حديثة النشأة شذوا عن الاسلام في أشياء واستحلوا بعض محرماته كالتساهل في الحجاب . وكثيرون منهم يكبرون شخص الآغاخان (الذي كثيراً ما يرد ذكره في أخبار الهند السياسية) ويحترمونه احتراماً دينياً يداني حد العبادة . وهو في هذا المقام ينوب خلف لوالده الذي عرف بالتقوى والورع وأسس الطريقة

وليست هذه جميع المذاهب الدينية في الهند ولكن ليس هذا مقام تعدادها

عاداتهم مما يخرج عن مألوفنا ومعهودنا من حيث الملبس والمأكل ونحو ذلك

﴿ الملبس ﴾ اذا استثنينا المجوسيات ساغ لنا القول ان الهنود يلبسون المنسوجات القطنية بين بيضاء ساذجة ومصبوغة وملونة . ولعل السبب في اقتصارهم على القطن هو غناؤهم الطبيعي عن الصوفي المدفئ لان اقليم البلاد اقرب الى الحرّ منه الى البرد والقرّ. وقد خطر لي في تعليل قلة اقبال الهندويين على الحرير انهم ينظرون الى اصله الحيوانيّ فيعدلون عنه الى النباتيّ اتباعاً لسنة دينية تحظر على السواد الاعظم منهم اكل اللحوم وتحرّم قتل غير الضاري من العجماوات . اما المجوسيات فانهنّ لا يلبسنَ الا الحرير ويندر او يستحيل ان يكون وشاح احداهنّ غير مطرّز الاهداب وموشى الحواشي . على ان المجوس اقلية زهيدة والفضل في احكام صناعة الحرير الهندية وفي ترويج سوقها يؤول الى المسلمين خاصة والى التجار كافة . وللهندويين ولوع شديد بالقصب الرهاج يجعلونه على العمامة او الصدرية

اما الازياء فيغلب ان تتنوّع بحسب الطوائف بحيث يسهل على العارف ان يقول تلك هندوية وهذه من طائفة الخوجة وذاك مجوسيّ وهذا برهميّ وما دليله الا اختلاف في شكل وشاح المرأة او مئزر الرجل

على ان ملبوس الرأس هو العلامة الفارقة العامة وسمة الجبين الطقسية علامة اخرى خاصة . فالبنغالي قد يدل عليه عري رأسه والمسلم طربوشه أو عمامته والمجوسي قبعته .أما الطربوش فلا يلبسه الا المسلم وشكله واحد وأما العمامة فعلى خمسين شكلا او اكثر . واكثر عمائم الهنود اختلافاً عمائم الهندويين وتكون من القطن حمراء اللون تشترى مصنوعة وتلبس وتنزع كالطربوش. وللمسلمين عمامة يلفونها باليد وهي شقة طويلة من القطن او الحرير القطني يتفننون في وضعها وارخاء ذؤابتها ويلبسها الهندويون ايضاً ولا يشترط فيها لون معين . وللمجوس في القبعة زيان مختلفان شكلاً وقماشاً قديم وحديث

اما الحديث فيصنع في اوربا كالقبعة الافرنجية وشكله شكل القبعة الانكليزية العالية المستديرة . وهذه الطائفة ميالة الى تقليد الاوربيين في الملبس ورجالها على العموم يلبسون البذلة الافرنجية وليس في معتقدهم من مانع او وازع يردعهم عن سلوك هذا السبيل بخلاف المسلمين مثلاً فانهم قد يتخذون الزي الافرنجي كما اتخذه اهل مصر والشام ولكنهم يغفلون العقدة (كرافات) . ولا شك ان كلامنا هنا يتناول العامة والعام بدون ما تصدّ الى احوال النزر اليسير من خاصة اهل الهند ممن خرج عن حدود

قومه وتفرنج اومرق من دينه لسبب من الاسباب . الا ان النساء المجوسيات قد لا يعدلن عن وشاحهن الى اي الازياء الاوربية لانه يزينهن ويروق كل من يراه وهو هو الحبر والوشي الذي فاضل بينهما وبين الجلابيب والاطمار اليازجي الكبير في قوله :

ما تلبس الفرس من وشي ومن حَبَر فدى الجلابيب والاطمار من وبر

ومن غريب عادات المجوس في الملبس انهم يرتدون البياض الناصع للحداد وللموقف الرسمي فقد تشهدهم مجتمعين في فناء دار فتخالهم في مأدبة شائقة أو حفلة زفاف فتسأل عن علة عبوسهم وكآبتهم فتعلم انهم في مأتم . على ان هذا لا يصدق على النساء

أما الحذاء الهندي فعلى أشكال متشابهة مما يسهل خلعه على العتبة أو دونها ويصلح لسكان الاقاليم الحارة . ولكن النساء الهندويات لا يحتذين مطلقاً وقد تلبس احداهن بين شنف من الماس وعقد من اللؤلؤ وسوار مرصّع وخلخال ثمين ما تبلغ قيمته عشرة آلاف من الذهب ولكنها مع ذلك حافية بل لا تخلو أصابع قدميها من خواتم فضية

أما العلامة الطقسية الخاصة فهي سمة تراها على جبين الهندي فتعرف انه هندوي أي لا مسلم ولا مجوسي . وهي إما نقطة حمراء يرسمها ابن هذه الطائفة على البلجة فوق الحاجبين وابن الطائفة الاخرى يدنيها من الحاجب الايسر أو الايمن . او خط مستقيم أو معوّج او خطان أو ثلاثة تختلف بين طول وقصر ولون فتتعين الطائفة بتعيين هذه السمة . والاتسام من الفرائض الدينيـة الواجبة الا ان الهندويات يرفقن بجباههن ان تشوهها كثرة الخطوط الهندسية فقد يكتفين برسم نقطة حمراء تكاد تخال شامة او نكتة في البَلَج

﴿ المآكل ﴾ الهنود كسائر الشرقيين لا يزالون يأكلون باليد والمسلمون منهم لا يستعملون الا اليمنى. وبعض الهندويين يستغنون عن الصحون والاطباق باوراق الشجر الكبيرة — هذا اذا كانت الالوان غير السائلة او المائعة . ومعظمهم نباتيون لا يعرفون للحم طعماً . والارز هو العيش لغني الهند وفقيرها . وعندهم من الخبز ارغفة تصنع من الدقيق يقلونها في الدهن أو السمن ويتناولونها حارة . وليس خبزهم كالمصري أو الشامي مما يصلح للادخار الى الغد وما بعده . والنباتيون يتفننون في اصلاح النباتات والاثمار ألواناً شهية وهم واكلة اللحوم من مجوس ومسلمين سواء في الاكثار من التوابل . الا ان الهندوي لا يذوق طعاماً أصلحه غير هندوي بل قد يجب ان يكون الطاهي من طبقة الآكل أو

طائفته خاصة . ولذلك ينبغي لكل منهم ان يكون قادراً على اصلاح طعامه بيده حتى اذا كان على سفر استطاع ان يسد جوعه بدون ما انحراف عن طريقته القومية الدينية . أما أواني الطبخ والاكل فهي في الغالب من النحاس الاصفر ولكن لا حرج في استعمال المعدني والزجاجي أو غيرها من الاواني وكذلك أواني الشرب . وقد تزور الهندوي فيقدم لك الفاكهة والحلوى على أطباقه ولكنه لا يسقيك من كاسه واذا فعل تحتم عليه ان يكسر تلك الانية التي شربت بها أو ان يبقيها لأجل غيرك ممن يزوره ولا يكون من جنسه

وبعضهم يتناول العشاء قبل الغروب ليكون على بصيرة وثقة تامة من ان صغار البعوض والغوغاء لم تدخل فمه مع الطعام مبالغة منهم في الحرص على حياة الحيوان لا احتراساً منه على أنفسهم

ولا بد في هذا المقام من ذكر الخمرة وبيان مكانها في نظر اصحابنا الهنود فاقول : أما المسلمون فيحذرونها بقدر ما يحذرون مخالفة نهي دينهم عنها وهم الا القليل يرون في شربها اثماً وحرجاً بخلاف المجوس وهم تبعة ازردشير وفئة مستضعفة مغلوبة على أمرها فانهم يألفون كل عادات الاجانب ويجارونهم في كثير منها والسواد الاعظم منهم يحبون « الوسكي » الانكليزية والفقراء منهم يكتفون « بالطادي » وهو خمرة النارجيل يصنعها الوطنيون وتشربها العامة من الهندويين وغيرهم . ولكن الطبقة العليا أي طبقة البراهمة يتجنبون المسكر ويحرّمونه

ومما يحسن ذكره الى جانب الخمرة التدخين . وهو من العادات التي قد يقوم دون اتخاذها وازع دينيّ الا عند المجوس فانهم يعبدون النار ويحسبون التلذذ باحراق التبغ اي التلهي بالنار امتهاناً لشعائرهم الدينية ولذلك فبينا نرى قس النصارى وربان اليهود وشيخ المسلمين وغيرهم من خدمة الاديان المختلفة لا يربأون بأنفسهم عن التدخين كما يحذرون المسكر مثلاً فموبذ المجوس يستنكف كل الاستنكاف ان يدخّن او ان يُدخَّن امامه

وعند الهنود كافة نوع من المكيفات يسمونه « البان » أو هو من المسليات السليمة قليل الضرر وزهيد القيمة على متناول الجميع . والبان هو ورق شجر يعرف بهذا الاسم تؤخذ الورقة منه ويجعل فيها كِسَر من الفوفل وقليل من « النورة » [1] وتلفّ

---

(١) النورة بضم النون مع التشديد حجر الكلس واللفظة عربية او معربة

بشكل ثلاثي وتشبك جوانبها بكبش القرنفل — ومن رأى آكل البان حسبه لاول وهلة ملطوماً على ثغره او مصاباً بداء اسال الدم من فه وذلك لانه يمتزج باللعاب عند المضغ فيفيضه ويضطر الآكل ان يبصق ويكون بصاقه احمر . ولذلك فعندهم جميع الاواني اللازمة من صينية يوضع عليها الورق وعلبة تضم مكسر فوفل (كمكسر الجوز واللوز) وشبه سكين او ملعقة يتناولون بها «النورة» والمبصقة هي تمام العدة وقد تكون جميع هذه الاواني من الفضة جميلة الصنع عالية القيمة

﴿ الزواج ﴾ لا يزال اهل الهند يكرمون الوالدين ويحترمون الكبير ويصحب هذه الخلة فيهم اذعان الفتى والفتاة لكلمة الوالد في امور شتى ومنها الزواج . وهذا الحكم يصدق عليهم جميعاً من وجه عام . ولكنهم قد يتطرفون ويتهورون في هذا السبيل فيزوجون البنين في سن الحداثة بل قد يتواد الامان الهندويتان فتزوج احداهما جنينها من جنين صاحبتها على امل ان تنجب الواحدة صبياً والاخرى بنتاً . وليس هذا مقام بيان حال المرأة الهندية ازاء الرجل وحسبنا القول انها كسائر اخواتها الشرقيات متحلية بالحياء متجملة بالسذاجة اقرب الى الطاعة العمياء ومراعاة العادات الموروثة منها الى الحرية والاستقلال . والمرأة المسلمة في الهند لم تخلع بعد حجابها ولا لبسته شفافاً ولا شرعت تتفنن في زيّ ازارها شأن الفئة الغالبة من اخواتها المصريات والتركيات . ومما يجب ذكره بهذا الصدد ان الحجاب في الهند منذ القديم مرعيٌ ومتبع عند غير طائفة من طوائف الهندوية

وقد أصاب من قال ان خير الامور أوسطها فان الزواج الباكر عند الهنود يكاد يعادل شر العزوبة والزواج المتأخر في بلاد الغرب وهو اليوم من الادواء الاجتماعية التي يعالجها ساستهم وولاة أمرهم

وقد سألني غير واحد عن صحة ما يقال من انه يتحتم على المرأة الهندوية عند وفاة بعلها ان ترمي بنفسها في النار المشبوبة لاحراق جثته لتموت معه . فاقول ان هذه العادة الفظيعة اليوم تعد مرادفة لجريمة الانتحار في نظر القانون واتباعها محظور . وهي في الاصل دون هذه الفظاعة التي قد يسوغها الخيال الادبي وتستهجنها النفس العاقلة . أما منشأها فهو ان وفاء المرأة لزوجها واخلاصها له شيمة غراء وفضيلة سامية . فاذا سبق أجله أجلها كتب عليها الترمّل مدى الحياة . وغاية ما رسم عليها من هذا القبيل ان تنزع حلاها وتتجرد من كل زينة وتبالغ في الاحتجاب عن الناس . وقد يقال ان كثيراً

من الهندويات انما يقدمن على هذه الفعلة المستغربة اما دفعاً لريبة في تمام وفائهن أو فراراً من مرارة الترمّل

ونفقات الزواج عندهم فادحة باهظة . فالمسلم يدفع المهر ويبذل ما في وسعه بل يتعدّى حدّ طاقته في الانفاق على حفلة العرس . والهندوي يضطر الى الاسراف ولو كان فقيراً وكثير من الوالدين يفقره زفاف بنته . وهذه العادة أيضاً من الشرور البيّنة التي قاموا لتلافيها . والهندويون والمجوس سواء في انهم لا يتخذون الا زوجة واحدة ولا يطلقون

وديع البستاني

النرجسة اليانعة

على قبر الشاعر

يا زهرةً تنمو وتَنـ ـمو فوق قبر الشاعرِ
لا غرو أن غدا شبا بك من حسن الخاطرِ
فالشعر يُبعث كالزهو ر من الجمال الباهرِ
هلا حملت لروحه أرج الحبيب الهاجرِ
حرمته صفوَ حياته الحاظ ظبيٍ نافرِ
فعلامَ ترمى قلبه بسهام لحظٍ فاترِ
يا بيتَ شعرٍ من فتىً أضحى رهين حفائرِ
قد أخرجته من الثرى نفثاتُ ذاكَ الساحرِ
يا قبلةً جاءته من ملكٍ كريمٍ طاهرِ
زلتَ تؤانسُ في الترا ب شهيدَ حظٍ عاثرِ
أني أخالك في النهـا ر شعاع حبٍ زاهرِ
وأخال أنك في الدجى عين المحب الساهرِ
أنت ابتسامة غادة لقدوم صبٍ زائرِ
تحوي خفايا الحسن تكـ شفها لعينِ الناظر

محمد تيمور

فضل المرأة

على نوابغ التاريخ

ليس بين المخلوقات الحية من هو اسرع من المرأة الى بذل النفس عن الرجل والتضحية بكل شيء في سبيل سعادته وبلوغه مراده . وهي تفعل ذلك مدفوعة بعامل العاطفة الغريزية لا طمعاً بشهرة او مكافأة . ويندر ان ترى بين رجال التاريخ من نبغ في امر من الامور الا وكان له من معونة المرأة سلّم ارتقى به الى ذروة الشهرة . ذلك لان عاطفة الحب او الاخاء او النبوة التي تجيش في صدر المرأة تدفعها الى مساعدة الرجل لبلوغ منزلة يفوق بها اقرانه

والاختبار يدلنا على أنه ما من رجل نبغ في هذا العالم الا وهو مدين بنبوغه للمرأة وما من عظمة في الرجال الا وهي مستمدة من روح المرأة . ولقد يحق لهذه أن تتمتع بالفخر الذي يبلغه المرء بسببها ولكنها تفضل ان تكون كالزيت الذي يحترق لينير غيره وان تبذل حبة فؤادها ليبلغ الرجل الدرجة التي يتعلق بها من الشهرة

ومن الثابت ان عقل المرء مهما يبلغ من القوة والذكاء لا يستطيع ان يستمد من نفسه القوة العاملة التي هو في حاجة اليها بل لا بد له من التماس القوة الدافعة من مورد آخر . وهذا المورد هو المرأة فانها تنفخ في الرجل القوة التي هو في حاجة اليها سواء كانت تلك القوة مظهراً من جمالها او خلقها او ما اشبه . وقد قال كاستليون : « ان الانسان لا يستطيع عمل شيء بدون المرأة ولا يقدر ان ينال بدونها شهرة في امر من الامور سواء كان في العلوم او الفنون او الحروب اوالدين » . وقال العلامة جون ستيوارت مل الذي عاش مع زوجته عيشة السعادة والهناء أعواماً عديدة : « من ذا الذي يعلم كم من الافكار السامية والاستنباطات العظيمة مصدرها المرأة؟ » . وقال في ديباجة كتابه الموسوم بالحرية : « انني اهدي هذا الكتاب الى مخلدة تلك الذكرى الطيبة التي اوحت اليّ باحسن ما كتبته — رفيقة حياتي وزوجتي التي كان مقياس الفضيلة عندها خير واقٍ لي من تجاريب الحياة وكان استحسانها لاعمالي خير مكافأة لي . واذا كنت اعطّر هذا الكتاب بذكرها فلانها هي ايضاً مؤلفته بقدرْ ما انا مؤلفه »

***

ولم يكن العلامة غاليليو اقل عرفاناً لفضل ابنته عليه وكانت راهبة تسكن في دير بعيد عنه . وقد كتبت اليه مرة تقول : « انني اباهي بطاعتي واحترامي لوالدي واحبه اكثر مما تحب كل ابنة اباها لانه يحبني اكثر مما يحب كل اب ابنته » . ويؤخذ من رسائل هذه الراهبة ان حبها لابيها لم يكن ناشئاً عن عاطفة نفسية فقط بل عن اتفاق في الرأي والفكر . وقد كانت اكبر عون له في ظلمات الريب والشبهات بما كانت تبسطه له من الافكار السامية والاقوال الصائبة . لذلك ظل يتذكرها حتى نفسه الاخير ويقول : « اراني اسمع صوتها العذب ينادي من وراء القبر ويقول لي يا ابتاه ! »

والتاريخ مفعم بالشواهد الدالة على ان جل الرجال العظماء ان لم نقل كلهم استمدوا شهرتهم من فضل المرأة بما اوحته اليهم من الاراء السامية والافكار الرفيعة . واكثر ما يكون ذلك مظهراً من ظواهر تلك العاطفة الشريفة التي هي الحب ونعني به حب الحبيب لمحبوبه . وهذا امر لا يحتاج الى بيان . فقد كان وراء بسمارك زوجته حنة ووراء هيجو مدام دروه ووراء لويس الرابع عشر مدام دي منتنون

« فالمرأة قهوة الشعراء وافيونهم هي نارهم ودخانهم . قال اللورد بيرون : « تأثير المرأة عجيب فيَّ مع ما انا عليه من سوء الظن بهذا الجنس فتراني اشعر بلذة غريبة اذا كانت المرأة بالقرب مني ولو كانت خادمتي التي توقد لي النار » . وما من شاعر نبغ الا كانت المرأة مهماز عقله وزناد تصوره ومفتاح قريحته . وحيث لا مرأة ولا حب فالشعر بارد لا حياة فيه . واذا محيت المرأة من سفر الوجود فماذا يخلق الفكر البشري ؟ ماذا يعمل بدونها المصور امام لوحه والنقاش امام حجره وماذا يغني الشاعر والموسيقي ؟ ماتت فينوس فسقط آخر حجر من هيكل الحب وآخر بيت من الشعر . ولا ريب انه لم يفهم معنى الشعر ولم يذق لذة الوحي أولئك الذين جهلوا قدر المرأة فذروا عليها الرماد وقصوا شعرها الطويل وملأوا عينيها بالدموع

والتاريخ يثبت لنا علاقة النساء بالشعراء وتأثيرهنّ فيهم فقد كان الانسان في الاعصر الاولى بعيداً عن جمال الشعر لانه لم يكن يعرف غير القوة وما رفع للجمال هياكل الا بعد ان روى الارض من صبيب عرقه فسرت حينئذٍ في فؤاده حركة غريبة وهبت على عواطفه نسمة جديدة جاوبتها اوتار قلبه بنغمات الهوى واشعار الصبابة فسمعنا اوفيد في الرومان يستمد الالهام من جوليا وفرجيل ينشد حب كاليوس وليكوريس ورأينا داليا ترسل شعاع الوحي الى تيبول ورومانينا الى متاستاز وبروسبر وكاتول يكتبان على اقدام ليسبي

وسنيتي وارانا دانتي السماء من ابتسامة بياتريس

هذا هوجو امير شعراء الفرنسيس لم تنطلق قريحته بمعجزات القول الباهر الا بعد الثلاثين من سنيه عند ما جمعته المسارح بالممثلة مدام درُوِّه فان الالفة التي انعقدت اسبابها بينهما حينئذٍ اثارت في فؤاده تلك النار الكامنة . واذا كانت رواية هرناني قد ألفت قبل ذلك العهد فهي واحدة من معجزاته . وما قولك بالبؤساء والقصاص وريبلاس وبيركراف وتاريخ العصور واوراق الخريف والسنة الهائلة وبقية تلك السلسلة الطويلة الدالة على قوته الخارقة ؟ وكانت زوجته عالمة بما بينهما من الحب فلم تعترض وان عذبها ذلك كثيراً لانها كانت تجد من نفسها العجز عن ان توحي اليه الحب وتعلم ان هذه الحبيبة لازمة لزوجها لزوم الخبز والماء وان لها مرجع الفضل في ما يتناول العالم من فيض هذه القريحة . وقد قضى هوجو خمسين سنة تحت سلطة هذا الحب فلم يفصله عنها غير الموت ولولاها ما حفظ الربيع في فؤاده بالرغم من ثلج الشتاء الذي كلل رأسه

وهذا موسه شاعر الهوى كل ابياته انين وشكوى ودموع بالفاظٍ ارق من الدموع ولياليه الاربع مشهورة في الاقطار الاربعة ومنها ما نظم على اثر علاقته بجورج ساند الشهيرة التي ملكت فؤاده ثم آثرت بعاده . وكذلك قصيدته بعنوان الذكرى فليس في وسع القلب البشري ان يرسم خفقانه وتأثره باحسن مما رسمه موسه في شعره الرقيق » . (انتهى نقلاً عن المرأة والشعر للدكتور نقولا فياض)

على ان من الشهرة أيضاً ما تكون وليدة الحب الوالدي أو الاخوي او ما اشبه والامثلة على ذلك كثيرة متعددة

فشهرة جيروم وفرنسيس الاسيسي مثلاً كانت راجعة الى امرأتين تقيتين . وقد قال ساباتيه الذي كتب تاريخ ثانيهما ان كيارا شيفي المعروفة في التاريخ باسم القديسة كلارا كانت تحمي فرنسيس الاسيسي ليس من اعدائه فقط بل من نفسه أيضاً اذ كانت تمرّ به ساعات من اليأس فتقعده عن كل عمل وتجعله يزهد حتى في الابدية

وشهرة رينان راجعة الى شدة حبه لاخته هنريت وقد كان يكتب اليها رسائل هي من أرق ما عرف في آداب اللغة الفرنسية وقد اعترف لها بالفضل في ما ناله من الشهرة لانها هي التي كانت تحرضه على العمل والدرس والتأليف . حتى كتب عنها بعد موتها يقول :

« انني لا اغتفر لنفسي زلتي ان كنت اهمل الواجب المقدس الذي عليّ لاختي هنريت وهو الاعتراف بفضلها العميم عليّ فقد كانت ذخيرة ثمينة لي وما من أحد غيري

يدري تلك النفس العالية التي كانت تجول في صدرها . والذي حجب صفاتها النادرة عن الظهور أمام العالم أجمع عزة نفسها واعتقادها ان وظيفة المرأة هي أن تعضد الرجل بحيث لا يرى العالم من عملها سوى نتيجته . وقد كانت حياة هنريت عبارة عن سلسلة أعمال باهرة متلاصقة الحلقات »

هذا وقد كانت هنريت تكبر أخاها باثني عشر عاماً . ولما كان عمرها سبعة عشر عاماً توفي والدها فانتهت اليها تبعة الاهتمام باخيها وبعد ان سددت ما كان على أبيها من الديون وجهت عنايتها لتهذيب ارنست فكانت تعلم في احدى المدارس ثم رافقت احدى الاسر الفرنسية الى بولونيا بصفة رابة . ومع انها لبثت في بولونيا زمناً طويلاً فقد كانت شديدة الاهتمام بامر اخيها لا يغيب عن ذهنها طرفة عين

وبقي ارنست في مدرسته حتى الثالثة والعشرين من عمره فعادت أخته الى باريس واتخذ الاثنان بيتاً لاقامتهما معاً وبقيا كذلك حتى توفيت هنريت . وقد شهد ارنست في كثير من كتاباته بانها كانت خير معوان له في اعماله ومشاكله . ووصف معيشتهما الهادئة في موضع يسمى « وادي جراس » فقال :

« كانت هنريت تحترم كتاباتي وتغار على أعمالي حتى لقد كانت تجلس في المساء ساعات طويلة وهي تكاد تحبس انفاسها في صدرها لئلا تزعج مخيلتي وكان اتحاد فكرينا تاماً جداً حتى اننا قلما كنا نحتاج الى التفاهم بالالفاظ . وقد كانت تفوقني في امور تاريخية كثيرة . . . وكان لها نفوذ كبير عليّ وتغار على جميع ما اكتبه وأؤلفه »

***

وممن اشتهروا ايضاً بالحب الاخوي تشارلس لامب الكاتب الانكليزي الشهير واخته ماري حتى لقد اصبح اسماهما مرتبطين معاً على كل شفة ولسان وكانا يتسابقان في الحب والاخلاص . ولما اصيبت الاخت باعراض الجنون عدل تشارلس عن فكرة الزواج ليقف حياته على خدمة أخته والاعتناء بها . وقد قال في ذلك انه انما كان يحاول ان يفيها جزءاً من الفضل الذي كان لها عليه فانها اذ كانت أسن منه بعشرة أعوام كانت شديدة العناية به الى ان فارقها عقلها . وقد نظم فيها قصيدة هي ارق ما قاله أخ في أخته ومنها قوله :

« لقد طالما أظهرتِ لي اخلاصاً تاماً وصغيتِ الى اناشيد الحزن التي تنشدها القلوب الحزينة . وكنت تفرحين لفرحيّ وتبكين لحزني . فانا اذاً عاجز عن تسديد دين المحبة

التي لك عليّ يا ماري يا شقيقتي ورفيقتي »

* * *

وكان للشاعر وردزورث ايضاً اخت اديبة ذات فضل عظيم عليه وهي التي ربت فيه ملكة الشعر حتى اورث العالم الانكليزي ذخيرة من بليغ الشعر الانكليزي

* * *

وممن بلغ الشهرة أيضاً بفضل اخته اللورد مكولي المؤرخ الانكليزي الشهير وكان لشدة محبته لاخته حنة (اللايدي تريفلين) قد أقسم ان لا يتزوج . ولما تزوجت هي شعر بوحشة فرقتها حتى انه لم يكن شيء يعزيه . ولما توفي أخذت على عاتقها طبع مؤلفاته وتصحيح مسوداتها اذ لم يكن احد سواها يستطيع قراءة خطه

* * *

واشتهر المؤرخ باركمان الاميركي بفضل اخته التي كانت تدون له ما يمليه عليها لانه كان اعمى . وابت ان تتزوج لتتمكن من وقف نفسها على خدمته وهي من النساء النوادر اللواتي أطفأن شعلة الحب في افئدتهن حرصاً على مصلحة أخ أو أب

* * *

واشتهر ايضاً دزرئيلي السياسي الشهير بحبه لاخته وازوجه . وتعزى شهرته بالاكثر الى الاولى منهما . وكان حبه لها كحب العاشق لمعشوقة . كتب اليها مرة يقول :—

« انني سألتجىء الى أختي في جميع اوقات الاحزان والمصائب لانني اعلم ان في استطاعتها ان ترشدني الى سبيل الظفر والنجاح »

ولما توفي زوجها كتب اليها يقول :

« اختاه — ان افكاري في مثل هذه الاوقات المحزنة تتجه اليك لتعزيك وتذهب عنك الحزن . فانا لا زوجة لي ولا خطيبة ولا سعيت وراءهما . فكوني أيها الكنز الثمين ذخراً لذلك الذي قد كان دائماً يحبك حباً فائقاً وكان يود لو يستطيع ان يبذل نفسه فداك ليكفكف عنك دموع الحزن . اجل ايتها الاخت المحبوبة كوني انت خير معوان لي كما انت علة فرحي وسروري فلا نفترق فيما بعد . واذا لم استطع ان اكون لك كما كان فقيدنا الراحل فلا اقل من ان نشعر معاً بان الحياة ليست فراغاً متى كان يملأها حب الأخ لاخته

* * *

وكان غلادستون ايضاً مديناً بشهرته للمرأة فقد كانت زوجته خير معوان له في جميع أعماله وخططه . ولما مرّ على اقترانه بها ستون عاماً كلها سعادة وهناء كتب يقول : « ان الكلمات تعجز عن وصف المنحة العظيمة التي قد تكرمت بها السماء عليّ في شخص زوجتي » . ويقال انها كانت ماهرة في فن التمريض وقد عرفت كيف تعتني بصحة زوجها وتمكنه من احتمال متاعب السياسة واثقالها . ولم تنحصر مساعدتها له في ذلك فقط بل كثيراً ما كانت تمده بالآراء الصائبة او تنتقد بعض خططه فيصغي الى اقوالها بكل انتباه

***

وممن اشتهروا بفضل نسائهم الفيلسوف هكسلي الذي كانت زوجته خير معوان له مدة اربعين عاماً . وكانت تمده بآرائها وملاحظاتها فلم يكن يكتب او يؤلف شيئاً في العلم والفلسفة الا ويطلعها قبل غيرها عليه . ويقال ان لها وحدها الفضل في تهذيب كتاباته وتقريبها من مدارك العامة . وكانت ثقة هكسلي بها عظيمة جداً فاذا وافقت على ما كتبه ارسله الى المطبعة وهو ضامن نجاحه والا القاه في زاوية الاهمال

وكهكسلي هذا كبلر الفلكي الشهير فقد كانت زوجته معيناً له في جميع ما استكشفه من الاجرام الفلكية وقد قال عن زوجته انها احسن نجمة استكشفها في حياته

***

وذكر جميع مؤرخي سيرة باستور انه كان مديناً بشهرته لزوجته وابنته حتى لقد قال احد اولئك المؤرخين انه ما من احد يستطيع ان يدرك قيمة اعمال باستور الا متى علم مقدار المساعدة التي نالها من زوجته وابنته . فقد كانت الاولى منهما أخلص رفيق له في العمل تباحثه بخصوص اشكال المبلورات وتتابع تجاريبه وتخفف عنه عبء الاعمال وتكتب له ما يمليه عليها . وذكر مؤرخ آخر انه لما نجح باستور مرة في احد استكشافاته ركض الى زوجته وابنته فقبلهما وعيناه مغرورقتان بدموع الفرح وأعلن لهما خبر استكشافه

***

وهنالك عدا الذين ذكرناهم من رجال العلم والسياسة جمهور من الكتاب والشعراء وارباب الفنون الجميلة وقادة الجيوش وغيرهم ممن اعترفوا بفضل امهاتهم او اخواتهم عليهم نذكر منهم كارليل الكاتب الانكليزي الشهير وبرونتغ الشاعر الذائع الصيت ورفيقه شلي

الذي كانت زوجته ماري جودوين خير معين له وهو الشاعر الذي قيل انه لم يلق في هذا العالم الا سعادة واحدة وهي زوجته

***

واذا التفتنا الى عالم الموسيقى نجد ان موزارت ومندلسون وشوبرت وبيتوفن وشومان وشوبان وواجنر ولزت وجونو وكريج وغيرهم انما بلغوا ما بلغوه من المنزلة في الموسيقى بفضل الحب الذي يملأ القلب ويفيض على النفس . وكم انشودة اورثوها لمدنية القرون الحديثة وقد كانت مما اوحي به اليهم عند ما كان كل منهم يخلو بنفسه لمناجاة حبيبته

وكالشعراء هكذا المصورون والغزاة الفاتحون وغيرهم من الرجال الذين ستبقى اسماؤهم ذخراً للاجيال المقبلة

فالمرأة اذاً هي سراج الرجل في ظلمته ومرشده في تيه هذه الحياة . وما من عظيم يزين اسمه صفحات التاريخ الا ويعترف بفضل ام او اخت او زوجة او حبيبة

***

واللغة العربية غنية بهذا الموضوع وعادة شعرائنا في الغزل برهان واضح على تأثير المرأة في قرائحهم لان هذه الصورة الجميلة التي يرسمها الشاعر العربي في غزلياته يستحيل ان تكون وهماً محضاً ولا بد ان الشاعر اخذها عن صورة حية وكل معنى جميل في الغزل لايجيء عفواً دون ان يكون في دماغ صانعه صورة يرسم عنها . الا ان البعض تفردوا وجرت لهم وقائع عرفوا بها وعرفت اسماء الجميلات اللائي اوحين اليهم بغرائب القول والبعض الاخر لم يبق لدينا من جميلاتهم الا رسم شعري مبهم يصدق على كل جميلة . والغزل المنسجم في الشعر العربي لا تراه في اللغات الاخرى ولا تجد للمرأة في سائر الالسن وصفاً يبلغ من الرقة واللطافة وبلاغة المعنى وحسن التشبيه مابلغ وصف شعراء العرب لها

ولو ان شعراء العرب صرفوا قواهم الشعرية الى سائر المواضيع كما صرفوها الى الغزل لما بقي بيت من الشعر لم ينقل الى سائر اللغات الحية لانهم جاوزوا كل حد في هذا الشأن فلم يلحقهم في بلاغة ما كتبوه شاعر من شعراء الغرب ايّاً كان

حداثة المستر ركفلر (١)

صفحات من مذكراته

هذا فصل من مذكرات نشرها المستر ركفلر (اغنى رجل في العالم) حدث فيه عن الخطوات الاولى التي خطاها في سبيل الاثراء والعقبات التي اعترضت تقدمه . وقد آثرنا تعريبه لما فيه من العبر والفوائد قال :

لوالدي عليّ فضل عظيم بانه دربني منذ نعومة اظفاري على طرق المعاملة والتجارة وربى فيّ روح الاجتهاد والعمل حتى انه كان لي — وانا لا ازال ولداً — دفتر خاص اقيد فيه دخلي ونفقاتي اليومية (وهذا الدفتر لا يزال محفوظاً عندي الى اليوم)

لا ريب في ان الحياة العائلية اشد توثقاً وألفة عند متوسطي الحال منها عند أهل الثروة والجاه واني اعد من نعم الله عليّ اني نشأت في عائلة من الفئة الاولى . واني اذكر جيداً اول عمل تجاري قمت به بمساعدة والدتي وانا في الثامنة من عمري . وتفصيل ذلك انه كان لي عدد من الديوك الرومية فكانت والدتي تقدم لي طعامها فلما سمنت بعنايتي بعتها وقيدت ربحها . ولا ازال الى اليوم اسرُّ كلما شاهدت تلك الطيور

وقد كانت والدتي على شيء من الصرامة في تربيتنا . ومن ذلك انني اتهمت مرة بمخالفة قانون المدرسة فضربتني والدتي اثر تلك التهمة ولكني ما لبثت ان بينت براءتي فقالت « لا بأس بهذا العقاب فانه مفيد على كل حال للمرة القادمة »

بدء العمل

كانت النية في الاصل ان أذهب الى احدى الجامعات لاتمام دروسي فيها ولكني لما بلغت السادسة عشرة رأى اولياء امري العدول عن هذه الخطة وارسالي الى مدرسة تجارية في مدينة كليفلند فمكثت في تلك المدرسة بضعة اشهر فقط ولكني استفدت فيها فوائد جمة

(١) نشرت الصحف اخيراً خبر اهتمام معهد ركفلر بمساعدة منكوبي المجاعة في سوريا ووعده بمضاعفة ما تجمعه اللجان السورية وهذا مما يجعل قيمة خاصة لهذه المقالة

وحالما خرجت من المدرسة بدأت ابحث عن عمل فقضيت الاسبوع تلو الاسبوع اعرض خدمتي على التجار والصيارفة ولكن بلا جدوى

اخيراً اجتمعت باحد التجار فضرب لي موعداً لمقابلته والبحث في امر استخدامي فلما حصلت عنده قال لي « سنختبرك مدة من الزمن » ولم يذكر شيئاً عن الاجرة فبدأت عملي . وكان ذلك في ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٥٥

فلما كان شهر يناير من سنة ١٨٥٦ قدم لي مخدمي مبلغ خمسين دولاراً عن مرتب الاشهر الثلاثة التي خدمته فيها فكان سروري بها عظيماً

وفي السنة التالية اصبح مرتبي ٢٥ ريالاً في الشهر فلما قربت السنة من الانتهاء استقال الموظف الذي كنت اعمل تحت ادارته فاخذت مكانه واعطيت ٥٠٠ ريال في السنة . وقد استفدت في هذه الاثناء فوائد جمة ولا سيا ان ذلك المحل التجاري كان ذا معاملات كثيرة ومتنوعة

على اني ما لبثت ان تركت المحل لانني في بدء السنة التالية طلبت ان يزاد مرتبي الى ٨٠٠ ريال فلم يقبل رؤسائي باكثر من ٧٠٠ ريال

وقد كان اهل مدينة كليفلند في تلك الايام يعرفون بعضهم بعضاً لصغر المدينة وكان بين التجار رجل انجليزي اسمه المستر كلارك يزيدني بعشر سنوات وكان يبحث عن شريك يملك رأس مال يعادل رأس ماله — وقيمته ألفا ريال — حتى يضم المبلغان معاً . فاستحسنت الفرصة ولكن ثروتي اذ ذاك لم تكن تتجاوز ثماني مئة ريال فكيف احصل على بقية المبلغ ؟ ذلك كان المشكل الذي فرض عليَّ حله

فبعد التفكير قصدت والدي فاخبرني بانه كان قد قرر منح كل من اولاده مبلغ ألف ريال عند بلوغه الحادية والعشرين ثم قال « واذا شئت ان تأخذ حصتك الان فيمكنك ان تفعل على شرط ان تدفع لي فائدة المبلغ الى ان تبلغ الحادية والعشرين» وبعد هنيهة قال « اما الفائدة فعشرة في المئة »

وقد كان الاقتراض بتلك الفائدة يعد معتدلاً وقتئذ فقبلت للحال وبدأت العمل مع شريكي واتخذنا اسماً تجارياً لمحلنا فسميناه « كلارك وروكفلر »

اذ ذاك شعرت كأنني صرت شخصاً آخر وأخذ مني العجب كل مأخذ . أفلم أصبح شريكاً في محل تجاري رأس ماله ٤٠٠٠ ريال !

وقد اقتسمت العمل مع شريكي على ان يتولى هو البيع والشراء وأتولى انا الحسابات والدفاتر . وما برح محلنا يتقدم وتتسع معاملاته حتى قصر رأس مالنا عن حاجة تجارتنا وشعرنا بافتقار الى الدراهم ولكن انى لنا المال ؟ لم يكن امامنا الا ان نسعى في الاقتراض من احد المصارف . ولكن هل يثق بنا المصرف ؟

القرض الاول

اذ ذاك ذهبت الى مدير بنك كنت أعرفه وكان رجلاً متقدماً في السن وعلى جانب عظيم من الرقة وسمو الاخلاق . ففصّلت له الامر واخبرته عن حالة تجارتنا وعن الغرض الذي من اجله احتجنا الى الاقتراض الخ . . . ثم انتظرت جوابه وأنا على أحر من الجمر

فسألني « وكم تريد ؟ »

فاجبت « الفي ريال »

فقال « حسن يامستر ركفلر سأقرضك المبلغ »

فليتصور القارىء سروري العظيم اذ ذاك ! فقد حزت ثقة بنك على مبلغ الفي ريال . فلا عجب اذا شعرت حينئذ انني شخص ذو مكانة في المجتمع

وما برح ذلك المدير يساعدنا بعد هذا الحادث . ولقد كان سروري عظيماً ان تمكنت من نفعه بعدئذ وذلك بان نصحته ان يشتري أسهماً من شركة الستندرد اويل (وهي الشركة التي اسسها ركفلر لاستخراج زيت البترول وأوشكت أن تحتكر هذا الصنف في العالم كله) على انه قال لي اذ ذاك انه ليس لديه المال اللازم فكان من غرائب الصدف انني اقرضته انا مالاً في تلك المرة

التمسك بالمبادىء

كان السبب الذي جعل مدير البنك يثق في محلنا انه توسم فينا الامانة والحكمة

والمحافظة على الطرق القويمة . ويجدر بي هنا ان اذكر قصة صغيرة حدثت لنا في ابتداء عملنا وهي تدل على التجارب التي تحول دون التمسك بالمبادىء الصحيحة . فان اكبر عملائنا طلب الينا يوماً ان نقدم له مقدارًا من البضاعة وطلب ان نغض النظر موقتاً عن بعض الاجراءات اللازمة فاصبحنا اذ ذاك بين خطرين اما ان نغضب عميلنا او ان نحيد عن الطرق التجارية القويمة . وقد كنت انا اعارض في قبول الطلب بشدة ولكن شريكي خاف نتائج رفضنا والح بالقبول . فعرضت ان اذهب الى الرجل لاقنعه . فذهبت ولكن لم انجح

على انني ما لبثت ان اقنعت شريكي بضرورة التمسك بمبدأنا ورفض الطلب، فما كان اعظم دهشتنا لما رأينا عميلنا وقد استأنف معاملته كأنه لم يحدث شيء بيننا

وقد علمت بعدئذٍ ان احد مديري البنوك حثّ ذلك العميل على تجربتنا بهذه الطريقة ليختبر مقدار تمسكنا بالمبادئ القويمة

ومن عاداتي التي لازمتني اثناء شبابي انني كنت في كل مساء احادث نفسي قبل النوم على هذا النحو : « لقد نلت الآن بعض النجاح ولكن سوف تسقط اذا لم تداوم على تيقظك، تظن الآن انك اصبحت تاجراً ولكن انتبه لا تفقد رشدك . كن رزيناً » ولا ريب انه كان لتلك المحادثات مع نفسي فضل عظيم عليّ

اما والدي فقد كررت الاقتراض منه غير مرة . على انه كان دائماً يراقبني ويمتحنني فقد كان يقرضني احياناً مبلغاً من المال (بفائدة ١٠ في المئة دائماً) ثم يأتيني على غير انتظار ويقول لي « انني في حاجة الى المبلغ الذي اقرضتك اياه » اما جوابي له فكان دائماً « بلا ريب يا والدي العزيز سأرجعه اليك حالاً »

وكنت ارجع المبلغ اليه حقيقة ولكني كنت اعلم انه انما يفعل ذلك ليختبر مقدرتي المالية وكثيراً ما كان يعيد اليّ المال بعد استرجاعه ببضعة ايام

الكلب والانسان

١ — مقدمة تاريخية

لقد يتعذر على الباحث ان يرجع معرفة الانسان بالكلب الى زمن معلوم وانما غاية ما يستطاع قوله انه عرفه منذ اقدم العصور التي لم يكشف لنا حتى الان علم التاريخ عن حقيقتها

ويقول داروين : ان الانسان عرف الكلب منذ اربعة آلاف سنة . فمنذكم من السنين يا ترى عرف الانسان القط والحمار والحصان وغيرها من الحيوانات ؟ سؤال الجواب عنه من الصعوبة بمكان اذ لا يخفى ان الدخول في الاجابة موجب للاشكال فضلاً عن انه لا يؤدي الى اثبات حق او نفي باطل

فالانسان يعرف الكلب لاول عهده بالحياة : يعرفه أيام كان جاهلاً بالفنون صناعة وزراعة هائماً على وجهه في البراري الموحشة والقفار المجدبة والصحراوات السحيقة ضارباً في طول الارض وعرضها لا يعرف ديناً ولا وطناً ولا جامعة فاقداً لقوة التمييز والادراك والاستنباط لا يقع نظره — من صحيفة الطبيعة المنشورة امامه المبعثرة في مسالكه ومظان ارتياده — الا على مواضع العشب ولا يبصر من خلال سطورها الواضحة الجلية الا ما يمكن ان يتقي بالانزواء فيه حمارة القيظ وصبارة البرد وعادية الوحش

عرفه حين تطور فكبر عقله واتسعت مداركه وقويت عارضته واستنارت بصيرته وتعلم وتفنن وتدرج في مراقي العلم والعرفان ونمت فيه ميزة الابتداع والاختراع والاستكشاف واختط البلدان وبنى الجسور وشق الترع وحول مجرى الانهار وروى الارض وزرعها وحولها من مهامه جرداء الى رياض فيحاء وغياض غناء وغاص في بطنها واستخرج دفائنها وخيراتها من الاحجار الكريمة والجواهر الثمينة والمعادن العظيمة النفع التي استخدمها في زينته وصناعته وتجارته . عرفه لما ان بنى القصور الباذخات وملأها بثمين الرياش والاثاث . عرفه حين اقتنى الماشية واهتدى كيف ينتفع باصوافها والبانها ولحومها فكان الكلب والحالة هذه يقوم بحفظ حياة الانسان من ان يغتالها اللصوص والمجرمون والخارجون على الهيئة الاجتماعية

والكلب الان يساعد رجال الحكومات المتمدينة على الاهتداء الى مكامن المجرمين

الذين يعيثون في الارض فساداً والمقلقين لراحة العباد فيفسح والحالة هذه لاولياء الامور الوقت لترقية شؤون الرعية والنظر فيما يعود عليها بالخير والبركة

وهو في كل هذه الادوار يتقلب مع الانسان في كل حالة لا يغير من اخلاقه حلو العيش أو مره وفيّ مخاص لا يرشى ولا يخدع ولا ينظر الى جعل او جزاء على جلائل خدماته اللهم الا كسرة من الخبز أو كلمة طيبة

واذا كان مبلغ الامم من المدنية يوزن بمقدار انعطافها على الحيوان كانت امة الرومان واليونان وقدماء المصريين في طليعتهم جميعاً . لما غزى القائد الاكبر يوليوس قيصر بلاد « الانكليز » أخذ الرومان منها عدداً كبيراً من النوع المسمى المستيف الذي يبلغ ارتفاعه ثلاثين بوصة تقريباً وبعثوا به الى رومة وعلموه مصارعة الوحوش الضارية وأقاموا لذلك الحفلات يحضرها الملوك والقواد . ودعي مرة احد الملوك لحضور حفلة من تلك الحفلات حيث اطلق ثلاث كلاب على أسد فصرع منها اثنين وغلبه الكلب الثالث قام بعلاج جراحه حتى اذا شفي اختصه بنفسه وربت على جسمه قائلاً له « أن الذي يحارب ملك الوحوش ويجالده في ميدان الصراع لا يحارب في مستقبل ايامه نوعاً من المخلوقات المنحطة »

وكان اليونان يبالغون في اكرامه والاحتفاء به حتى بلغ من شأنه معهم ان جالسهم على موائد الطعام

وحلت قدماء المصريين جيده بالاحجار الكريمة ووقفت الارقاء لخدمته ونقشت صورته في معابدهم وهياكلهم وحنطت جثته اعترافاً بفضله واعجاباً بمزاياه

وما زال الكلب يرتقي ويتقدم مع الانسان حتى بلغ اليوم من الذكاء والفطنة حداً عجيباً وأصبح يؤدي للانسان اعمالاً ليس في أستطاعته ان يعملها هو بنفسه

واجتهد الغربيون في تحسين انواعه وتأصيلها حتى اربت على المائة والثمانين نوعاً مختلفة الشكل والحجم واللون والخصال

وهو الآن يقوم بانتشال السياح الضالين الذين غمرهم الثلج في مرتفعات الجبال وهاوياتها واشرفوا على الهلاك من شدة البرد : تطلق هذه الكلاب صباحاً من دير القديس برنار في سويسرا فيتجه كل اثنين منهما الى جهة حاملا احدهما على ظهره غطاء والآخر سلة فيها طعام ونبيذ فلا يزالان باحثين منقبين حتى اذا عثرا على تائه أعطياه الاكل والشرب والغطاء وقاداه الى الدير وان كان مغموراً بالثلج ولم يستطيعا

انتشاله وقف احدها بقربه وذهب الآخر الى حيث يعود براهب ليتكاتف الجميع على انقاذ حياة هذا البائس — ولقد بلغ عدد من نجته هذه الكلاب بين سنتي ١٩٠٤ و ١٩٠٥ ستمائة نفس

وفي متحف برن يرى المتفرج جثة الكلب (برى) محنطة وقد نجى هذا الكلب الشريف وحده ثلاثين ضالا ومات بينما كان يحاول انتشال انسان وتلقى الشعب الايطالي والسويسري خبر موته باسف كما يتلقى خبر موت الرجال الناضين واقامت رهبان الدير صلاة على روحه

والجمعيات الخيرية تستخدمه في جمع الحسنات من ركاب القطارات لاعانة المصابين من عمال سكك الحديد والمناجم ممن فقدوا اعضاءهم او ماتوا وتركوا ارامل وايتاماً

ولقد وصف احد ادباء الانكليز هذا الكلب فقال انه امهر سائل في سبيل البر والاحسان

بينما كانت المرحومة الملكة العظيمة فيكتوريا راكبة قطارها شاهدت (تن) الكلب السائل فنادته ووضعت في صندوقه المعلق على ظهره ليرة وتبعها في ذلك أمراء البيت الكريم المالك والحاشية حتى امتلأ الصندوق ذهباً وكررت ذلك جلالتها في حياتها خمس مرات ولما ذهبت جلالتها لافتتاح سراي كنجستون رأت (تن) هذا في المحطة فأمرت باحضاره اليها ونفحته بليرة وقالت له « ارجو ان يعاملوك يا (تن) معاملة طيبة » وكان ولي العهد اذ ذاك في شغل مع بعض الحاشية فلم يفت ذلك (تن) بل ظل واقفاً امام نافذة العربة حتى لمحه صاحب السمو فناداه قائلا «تعالى ايها الرجل العجوز» فقفز الكلب الى العربة ووقف القطار ريثما اخرج ولي العهد ليره ونفحه بها ولقد رسمت صورة هذا الكلب رسماً بالزيت وحفظت مع الصور الغالية بسراي بكنهام

وهناك كثير من هذه الكلاب السائلة تغافل حراس القصور الكبيرة وتدخلها خلسة فلا تخرج منها مهما يوجه اليها من انواع الايذاء والطرد حتى يوضع في صندوقها قطعة من النقود

وتستخدمها رجال المطافئ — فيجري الكلب بجانب سائق مركبة الاطفاء فاذا توانت الخيل او تكاسلت نزل اليها مستحثاً تارة بعض ارجلها وتارة بالنباح واذا احتشد الجمهور في طريقها فرقه بنباحه واذا وصل الى مكان الحريق كان ذلك الكلب اول الصاعدين على سلم النجاة فيلقي بنفسه بين اللهيب المندلع يفتح النوافذ ويلتقط الاطفال

ويرشد الرجال الى مكامن النار ويبحث عن ثمين الاثاث ويدلي به الى رجال المطافئ

ولقد يستعمله مهربو الجواهر اذ يربطون على ظهره ما يريدون تهريبه فيذهب بما يحمل سالكا أوعر المسالك يتقدمه كلب لا يحمل شيئاً طليعة يستخبر الطريق فاذا رأى رجلاً من رجال الشرطة أو عسساً يمنع التهريب ارتد الى صاحبه فاستخفيا معاً أو سلكا طريقاً آخر . ويتخذها رجال البوليس لتتبع آثار المجرمين والقتلة فيقتفي الكلب الأثر خلف الأثر تارة بين الصخور وطوراً في المزارع والشوارع

وتقود الكلاب اصحابها كفيفي البصر في أكثر الطرق ازدحاماً وحركة وبعضها يستخدم في انقاذ الغرقى — وبعضها من طبيعته قتل الفيران فتستخدمه الانكليز في ذلك منعاً لانتشار امراض تحمل اصلها المعدي تلك الفيران حتى قيل ان كلباً من تلك الكلاب قتل مائة في سبع دقائق

وساعد الكلب الاسكيمو المستكشفين للقطبين مساعدة جلى وقديماً كان الفرنسيون يجعلون منها فرقاً مدرعة بالفولاذ لحراسة القواد وكان كلب نابليون (مستاش) ينفذ كثيراً من الاوامر العسكرية ولما مات ومرت جثته ادت له الجنود التحية العسكرية كما تؤديها للمتوفين من القواد

وجملة القول ان هذا الحيوان الضعيف الذي يراه بعض الناس محتقراً تكاد منافعه لا تعد

وليس ادلّ على ذلك مما نراهُ الآن من استخدام الحكومات المتمدينة له ولا سيما في هذه الحرب الحاضرة فهو يقوم بالحراسة والبحث عن الجرحى ولنقل البريد ومساعدة المصالح الطبية بل وجر المتراليوز الامر الذي جعله في اعينهم من اشرف الحيوانات مرتبة وانفعها عملاً . ففتحوا له المدارس والفوا الجمعيات وانشأوا المعارض إعلاء لشأنه واعترافاً بمواهبه العديدة

وهو الحيوان الوحيد الذي يصاب بخفقان قلبه من غير مرض عضوي فيه اذا رأى صاحبه قادماً بعد غيبة ومهما تغير سحنة صاحبه فانها لا تغيب عن ذاكرته ولقد يعرف اصدقاء صاحبه مهما طال بعدهم عنه ولقد يبلغ به الوفاء ان يقوم على قبر صاحبه حتى يموت ايضاً

الدكتور حسن ذهني
طبيب مستشفى جمعية الرفق بالحيوانات
بالقاهرة

السؤال والاقتراح

أصل الفرس القدماء ومعنى كلمة شاه

﴿قطر﴾ صالح بن سليمان المانع

ما هو أصل الفرس القدماء وهل لهم بقية الآن وما الفرق بينهم وبين الايرانيين . وما معنى كلمة شاه عندهم

﴿الهلال﴾ يراد بالفرس القدماء الايرانيون على الاجمال وأصلهم من الشعب الآري لان الايرانيين فرع منه . وقد كانوا من هذا الوجه هم والهنود شعباً واحداً ثم انفصلوا في عصر دعي بالعصر الايراني القديم كان فيه الايرانيون قبائل متفرقة ثم يليه العصر الاشوري الذي كانوا فيه تحت سلطة الاشوريين نحو القرن العاشر قبل الميلاد ، فالعصر المادي الذي ظهرت فيه دولة مادي اقدم دول الايرانيين ثم يليه العصر الفارسي الحقيقي من الدولة الكيانية الى الدولة الساسانية فالعصر الفارسي الاسلامي ولا يزال حتى الان ، فنرى من ذلك ان الفرس الحاليين هم بقية الفرس القدماء كما يقال في المصريين والهنود وغيرهم من الامم التاريخية انهم بقايا المصريين القدماء والهنود القدماء . الخ

هذا ولا فرق بين الفرس والايرانيين الا اذا قلنا ان الاول اسم خاص والثاني عام . أما لقب « شاه » عندهم فمعناه الملك ويقولون « شاهنشاه » اي ملك الملوك

معنى فارس وايران والعجم

﴿قطر﴾ ومنه

يقال بلاد فارس وبلاد ايران وبلاد العجم وخليج فارس وخليج العجم فما معنى هذه الاسماء وما هو اصلها وهل فارس اسم رجل تنتسب اليه هذه البلاد كما سمعنا

﴿الهلال﴾ ايران اسم اطلقه الاتراك قديماً على بلاد الفرس وقت ان كان هؤلاء في ابان تمدينهم والترك بدو يعرفون بالتركمان غايتهم ان يسطوا على قوافل

الفرس وبلادهم للنهب أو الغزو ولذلك كانوا يسمون بلاد ايران « ارض النور » وبلادهم طوران أو تركستان « ارض الظلمة »

واسم ايران يطلق في اوسع معناه على الهضبة العظيمة التي تمتد بين بحر قزوين (الخزر) وخليج فارس وبين دجلة ووادي نهر السند (الهندوس) وتشمل ارمينيا وفارس وافغانستان وبلوخستان

أما معناه الخاص فيطلق على بلاد فارس وحدها ، فكلمة ايران اسم اختصت به بلاد الفرس دون سواها من الممالك الاخرى التي احتوت عليهن تلك الهضبة المعروفة

هذا والفرس يسمون انفسهم ايرانيين والناس يسمونهم فرساً وعجماً ويعنون بلفظ « الفرس » عادة ما هو اوسع من مدلوله الاصلي لانه (أي لفظ الفرس) في الاصل اسم جزء صغير من بلاد فارس الحالية واقع بين خورستان وكرمان فاطلقه العرب على بلاد ايران كلها . كما اطلق الفرس قبل ذلك اسم « العرب » على اهل جزيرة العرب كافة وهو في الاصل اسم سكان جزئها الشمالي فقط

فترى من هذا ان اسم فارس ليس اسماً لرجل نسبت اليه هذه البلاد كما سمعتم بل هو اسم جزء صغير من هذه المملكة اطلق على البلاد كلها وعلى سكانها (الفرس) ولغتها (الفارسية) كما يقال عن البهلوية لغة هذه البلاد القديمة فانها عرفت بهذا الاسم نسبة الى بهلو (فهلا) وهي البقعة التي فيها همذان وأصفهان وآذربيجان والسرى وغيرها فهي كانت في الاصل لهجة فارسية صغيرة نشأت في هذا الاقليم ثم شاعت فيه وعرفت باسمه حينما انتشرت في كل المملكة الفارسية وهضبة ايران . ويظهر أن تسمية البلاد والممالك باسماء رجال من الخرافات القديمة العامة التي استأصلت من القدم وشاعت في اكثر العالم القديم ولم يقم على صحتها برهان

جمادى الآخرة وربيع الثاني

﴿ قطر ﴾ ومنه

ما معنى تسمية جماد الآخر بجماد الثانية بعلامة التأنيث وربيع الثاني بالتذكير وما وجه تسميتهما باسمهما وما الحكمة في ذلك

﴿ الهلال ﴾ جُمادى الآخرة هو الشهر السادس من الشهور العربية ويجمع مع

جمادى الاولى بجُماديات والعامة تقول فيهما جماد الاول وجماد الآخر وهو خطأ والصواب تأنيثهما اذ جمادى من الجمد كحبارى وفعالى مؤنث فان سمعت جمادى مذكراً في شعر فانما هو لضرورة الشعر واسماء الشهور العربية كلها مذكرة الا جمادى . ووجه تسميتهما انهما مشتقان من الجمد أو الجماد وهو اليبس أو جفاف الارض من مياه المطر اذ فيهما يكف نزوله . ويؤيد ذلك ان لفظ جمادى في اللغة صفة للعين التي لا تدمع فيقولون « وظلت العين جمادى » أي جامدة لا تدمع فيماثل ذلك قولنا « السماء جمادى » أي جامدة لا تمطر

أما الربيع فهو مذكر كباقي الشهور العربية غير جمادى كما قلنا ويدل اسم الربيعان الاول والثاني على أصل تسميتهما فقد كانا يقعان في الربيع ويقابلهما مارس وافريل

الالقاب الافرنجية وتفاوتها

﴿ الفشن ﴾ حسين افندي ابراهيم دبهوم

ما هو الفرق بين اللورد والمستر والدوق والمركيز والسير والبرنس والكوربرل والكاردينال الخ . وأي هذه الالقاب اشرف من الآخر ؟

﴿ الهلال ﴾ جميع ما ذكرتموه من هذه الالقاب انما هو من الالقاب الملكية عند الافرنج وعلى الاخص الانكليز غير لقب كاردينال فانه لقب ديني ، ولقب كوربرل فانه لقب عسكري ، فالاول أي الكاردينال يطلق على احد السبعين حبراً الذين يتألف منهم المجمع المقدس الذي يجتمع لانتخاب البابا ومنهم وزراؤه ومشيروه . والثاني أي الكوربرل Corporal يقابله عندنا من الاصطلاحات العسكرية « الاونباشي »

أما سائر الالقاب الاخرى فنحن ذاكروها بحسب ترتيبها وأهميتها مع بيان الفروق بينها وشيء من تاريخها :

(١) البرنس واصله في اللاتينية Princeps ومعناه الاول أو القائد وأول من لقب به رئيس المشيخة الرومانية ثم صار لقب لصاحب المملكة الرومانية ثم نعت به خاصة القواد العظام وهو الآن في انجلترا خاص بولي العهد « البرنس اوف ويلس » واخوته وتختلف حدود استعماله باختلاف الممالك

(٢) الدوق أو الدوك : وأصله Dux في اللاتينية ومعناه القائد أو الزعيم وكانوا

يلقبون به في المملكة الرومانية حكام المقاطعات العسكرية خاصة وما زال لقباً لقواد العسكرية الى اواخر حكم الدولة الرومانية فصار لقباً لصغار الملوك بقطع النظر عن صفتهم العسكرية وتسمى مملكتهم دوقية ، ولا يزال يستعمل لمثل ذلك حتى الآن في جرمانيا وقد يضيفون اليه في أوله لفظ (ارش) رئيس او (غران) كبير فيقولون ارشيدوق وغراندوق . والارشيدوق Archiduc يطلق خاصة على اعضاء العائلة المالكة في النمسا . وقد كان لقب دوق يطلق اولا على ولي العهد ثم جعل خاصاً لافراد العائلة الملكية الانكليزية ويشترك فيه الآن ايضاً العائلات العريقة في الشرف عند الانكليز وهم المقربون من الاسرة المالكة

(٣) المركيز : لقب سكسوني الاصل مشتق من لفظ March أو Mark الحدود وخصوصاً الحدود بين مقاطعات بريطانيا العظمى ، ومعنى المركيز في الاصل خفر الحدود أو قائد الحدود . وأول من استعمل هذا اللفظ ريكاردوس الثاني لقب به روبرت دي فير فدعاه مركيز دوبلين سنة ١٣٨٥ وجعل مقامه في البرلمان متوسطاً بين الدوق والارل ثم جعل الملوك بعده يمنحونه لقب شرف . ويلقب به ايضاً ابناء الدوقات ولكن ذلك من قبيل التأدب

ثم يأتي بعد المركيز في الاهمية والشرف « الارل » عند الانجليز أو « الكونت » عند الفرنسيين « فالفيكونت » ثم « البارون » و « البارونت » و « النايت » وغيره

أما « اللورد » فهو لقب الاشراف ولهم في أصل هذا اللفظ ما لا يخلو ذكره من فائدة فقد قالوا ان سراة الانكليز كانوا يخبزون خبزاً يفرقونه على المساكين كل اسبوع فكانوا يسمونهم بالسكسونية Lafords أي معطي الخبز ثم نحت اللفظان الى Lord وحفظ فيها معنى السيادة . ومعنى لورد الان لغوياً السيد وباضافة أل التعريف اليه يدل عندهم على اسم الجلالة مثل « الرب » في العربية

أما « سير » فينعت به البارونت والنايت فمعناه السيد وهو من الفارسية (سر) اي الرأس ومنها سر عسكر وسردار وما شاكل . وقد ينعت به من يحرز بعض النياشين العليا ولا بد عند تلقيب احدهم به من ذكر اسمه الخاص فضلاً عن اسم عائلته فلا يقال السير سكوت بل يقال السير جون سكوت . على ان (سير) تستعمل عندهم في الخطاب على الجماهير او في المكاتبات فيبدأ بها الخطيب او الكاتب

أما لفظ « مستر » فهو لقب اعتيادي لخاصة الناس عندهم ومثله موسيو في الفرنسية

والمستر مشتق أو منحوت من ماستر Master ومعناها معلم كما هو الحال في لفظ خوجه وخواجه عندنا . وهناك القاب غير هذه يضيق المقام عن حصرها

العصا المنبئة

﴿ فريبرجو . ولاية ريو . البرازيل ﴾ سوري افندي خالد الحلو

ذكرتم في بعض أعداد الهلال ان جندياً انكليزياً في الدردنيل استكشف نبعاً بواسطة عصا . فما هي تلك العصا وما جنسها وهل يقدر أيٌّ كان أن يستعملها ؟

﴿ الهلال ﴾ في الهلال التاسع من السنة الحادية والعشرين مقالة وافية عن استكشاف الينابيع والمناجم بواسطة العصا المنبئة . والحادث الذي تشيرون اليه من هذا القبيل . وهذا الاستكشاف أمر مختلف فيه علمياً وقد أخذ نفر من العلماء في السنين الاخيرة بدرسه درساً دقيقاً بعد ان اهمل زمناً لاعتباره من ضروب الشعوذة والتلفيق . وأقدم الحوادث من هذا النوع ترجع الى سنة ١٥٠٠ للميلاد . وطريقة الاستكشاف هي ان الرجل يمسك عصا بيديه يسير بها في الجهة المطلوب فحصها فاذا أحس بوجود نبع أو منجم تتشنج يداه فتلتوي العصا اشعاراً عما تحت الارض . وقد ذهبوا في تعليل هذه الظواهر مذاهب مختلفة ليس هذا محل ذكرها فلتراجع في المقالة الآنف ذكرها

الحيوانات الداجنة والانسان

﴿ لاباز . بوليفيا ﴾ سركيس افندي الدبس

هل من تاريخ يدل على الوقت الذي ابتدأ فيه الانسان بتربية الحيوانات والطيور الداجنة

﴿ الهلال ﴾ يتعذر معرفة ذلك لان الانسان ربى الحيوانات والطيور قبل زمن التاريخ والمرجح ان اول حيوان استخدمه هو الكلب — وما برح من ذلك الحين خادماً أميناً له — ثم الثور والماعز ونحوهما ثم استخدم الفرس والحمار وبعض الطيور . ويجدر بنا هنا ان نذكر ان هذه الخاصة — أي تربية نوع لنوع آخر بقصد الاستفادة منه — ليست محصورة في الجنس البشري . ففي الطبيعة أمثلة مختلفة من هذا القبيل منها النمل الذي يأسر نوعاً من الهوام ويأخذها الى مساكنه فيحتفظ بها ويحتلبها بان يضرب بطنها فتخرج مادة حلوة فيتناولها

العائلة والمنزل

كيف نعيش — ١

وصايا صحية أقرها معهد اطالة الحياة باميركا

في اميركا معهد يجمع نفراً من اكابر الاطباء والعلماء اسمه « معهد اطالة الحياة » وغرضه البحث في أصح الطرق الطبية وأحدث الوسائل العلمية المؤدية الى تحسين الصحة واطالة الحياة. ويرأس هذا المجمع المستر وليم تافت الرئيس السابق للولايات المتحدة. وقد نشرت زبدة مباحثه في كتاب ظهر أخيراً اسمه « كيف نعيش » كان له أحسن وقع عند الجمهور وانتشر انتشاراً عظيماً لانه اتى بخلاصة الطب الحديث بطريقة سهلة المنال. فرأينا ان ننقل ذلك الكتاب مقالات متتابعة في الهلال

المقدمة

ان معهد اطالة الحياة يرمي الى زيادة عمر الانسان ولكن لا في الطول فقط، بل في العرض والعمق ايضاً — اذا جاز هذا التعبير. وللوصول الى هذا الغرض يستخدم المعهد وسائل مختلفة اولها « الصحة الفردية »

ومن الادلة على جهل الناس امر صحتهم ان السواد الاعظم منهم يعتقدون أن الصحة الجيدة هي ألا يكون الانسان على فراش المرض. وما برحت الكتب الصحية منذ القدم ترمي الى درس الامراض وعلاجها كأن مدارها المرض لا الصحة [١]. اما هذا الكتاب فمدار البحث فيه اولا المحافظة على الصحة. ثانياً تحسين حالة الانسان جسدياً. ثالثاً مضاعفة قواه الحيوية. وبعبارة اخرى ان الكتاب يرمي الى غرض ايجابي لا الى غرض سلبي. فقد يكون في الانسان جراثيم امراض كثيرة من غير ان تظهر عليه اعراضها. والفرق عظيم بين من كان صحيحاً سليماً ومن كانت صحته قاصرة على عدم ملازمته للفراش. اذ لا بد ان اقل مخالفة للقواعد الصحية تترك اثراً في الجسم وان لم يظهر لساعته

ولكي يحصل « معهد اطالة الحياة » على اوثق الآراء واحدث المباحث ألف لجنة

---

(١) لقد ورثت المدنية الحديثة عن الاجيال الوسطى اهمال الجسد واحتقاره وهو نتيجة التطرف في الدين واساءة فهمه. حتى انك ترى القداسة في صورهم قرينة الوجوه الصفراء المهزولة

خاصة للامور الصحية وهذا الكتاب هو ثمرة درس تلك اللجنة بعد البحث الدقيق مدة سنة كاملة . فلا نكون مغالين اذا قلنا انه يحوي اصح ما توصل اليه العلم الحديث

الفصل الاول

الهواء

١ — المنزل

الهواء اول ضروريات الحياة . فقد يعيش الانسان بلا طعام اياماً ويعيش بلا ماء ساعات ولكنه لا يقدر ان يعيش بلا هواء سوى بضع دقائق . فالهواء اذاً الزم لنا من الطعام والشراب ولذا كانت التهوية اول قاعدة للصحة

فيجب تهوية غرف السكن وغرف العمل على الدوام ، سواء قبل استعمالها وفي اثناء استعمالها

ولا يجوز أن يبرح من الذهن ان بناء المنزل على الطريقة الصحية بنوافذه وابوابه لا يضمن تهويته . وانما يجب استعمال تلك المنافذ والابواب للاستفادة منها

تحرك الهواء

واهم العوامل الداخلة في التهوية اربعة : حركة الهواء ، وبرودته ، والدرجة المطلوبة من الرطوبة ، والنقاوة . ولا شك في ان معظم الناس قد تطرفوا في خوفهم من مجاري الهواء والحقيقة ان المجرى اللطيف من افضل ما ينبغي الحصول عليه لطالب الصحة . نعم انه يجب اجتناب المجرى القوي ولا سيما متى كان موجهاً الى قسم معرض من الجسم ولكن المجرى المعتدل من الزم الامور للصحة

ومن الناس من قد اصبحوا شديدي التأثر من الهواء لاجتنابهم اياه على الدوام . فهؤلاء ينبغي لهم استعمال الحذر عند تغيير هذه العادة وتعرضهم للهواء . وما هي الا ايام قليلة حتى يألفوه وتقل اصابتهم بالامراض الناشئة عن البرد (وما أكثرها) . ولاريب ان من مارس هذه العادة زمناً طويلا يصبح جسمه منيعاً لا يناله البرد بسوء

ان الرأي الشائع من حيث البرد ومجاري الهواء مبالغ فيه ايضاً . فان الزكام والرشح ينشأان عادة عن بعض الميكروبات التي تجد في ضعف القوى الحيوية عموماً ما يمهد لها سبيلها . فان هذه الميكروبات موجودة دائماً في الانف والحلق . فالزكام اوالرشح هو نتيجة عوامل ثلاثة : الميكروبات والضعف العام والبرد . ومن الثابت لدى الجنود انهم ما زالوا

يعيشون في الهواء الطلق ليلا ونهاراً فقلما ينالهم البرد بسوء ولكنهم حالما يرجعون الى مساكنهم يرجع اليهم الزكام والرشح

ولا بد على كل حال من التعقل في هذا الامر . فانه لا يجوز مطلقاً لمن كان ينضح عرقه ان يتعرض لمجرى شديد

والتهوية تكون غالباً عن طريق النوافذ فنحن ننصح ان تبقى النوافذ مفتوحة في الصيف دائماً وفي الشتاء كثيراً

ويستحسن ان يوجد في الغرفة ملتقى لمجاري الهواء اي ان تكون نافذة تجاه الاخرى بحيث يدخل الهواء من جهة ويخرج من الجهة الثانية . واذا لم يتيسر ذلك يجب ان يكون للنافذة الواحدة منفذان للهواء واحد في اعلاها وآخر في اسفلها

ومن المضر أن يبقى الهواء بدون حركة . فعند ما تبطل حركته الطبيعية يجب استعمال المراوح الكهربائية لتحريكه . بل ان مروحة اليد تعود بفائدة صحية عند جمود الهواء

برودة الهواء

ولبرودة الهواء ايضاً اهمية كبرى وخصوصاً في الشتاء فيجب ان يكون معدل حرارة غرف السكن وغرف الشغل من ٦٠ الى ٧٠ درجة (في ميزان فرنهيت). فالحرارة تقلل قوة العقل والجسد بعكس البرودة فانها تنشط الجسم

وقد حدث مرة في معمل كبير من معامل نيويورك ان بعض المستخدمين أصيبوا بنوع من التبثر الجلدي مع قليل من السخونة . فعند الفحص ظهر انه كان مسبباً عن شدة سخونة الهواء في المحل الذي كانوا يشتغلون فيه . فاتخذت التدابير اللازمة لتهوية الغرفة ولم يعد احد يشعر بشيء بعد ذلك

جفاف الهواء

والهواء الجاف ضروري للصحة. فان لم يوجد في محلات السكن وجب ان تصرف ايام العطلة في محل جاف الهواء . وفي الصيف غالباً يكون جفاف الهواء في المساكن زائداً عن المطلوب فيداوى ذلك بوضع وعاء مملوء بالماء الساخن في الغرفة المراد تبخيرها ويترك مكشوفاً والافضل أن يوضع في مجرى الهواء ليسهل تبخير الماء . على ان كثيرين من العلماء في فن الطب يشكون فيما اذا كانت شدة الجفاف في الهواء تعود بضرر على الصحة

نقاوة الهواء

ومن اهم شروط الهواء الصحي نقاوته . ومما يفسد الهواء الغازات السامة والغبار

والدخان والجراثيم المرضية . ويفضل تنوير المساكن بالكهرباء بدلا من الغاز لانه يحتمل ان يفلت الغاز في الغرفة ويفسد هواءها

وتدخين التبغ في محلات مقفلة مضر جداً المدخنين وغير المدخنين

وأما ضرر الغبار فقد تبين من مقابلة الوفيات في المحلات التي يكثر فيها الغبار مع الوفيات في المحلات النقية الهواء ان الفرق عظيم بين الجهتين

فمن الضروري ان نجتنب تراكم الغبار في المساكن وباستعمال طرق مخصوصة للتنظيف . والافضل استعمال قطعة من نسيج رطب لازالة الغبار عن الاثاث بدلا من مكنسة الريش . ويحسن عدم اقتناء الاثاث الذي يجمع غباراً كثيراً

ويجب أن يتعرض الهواء للشمس دائماً فانها تقضي على كثير من الجراثيم التي تتطرق الى اجسامنا

الطبخ الكهربائي

لقد اتسع مجال الكهرباء في هذا العصر واصبح لها دخل في معظم دوائر الحياة الاجتماعية . ففي كل يوم يأتينا المخترعون بآلات كهربائية جديدة لكي تستعمل مكان الآلات القديمة . على ان دولة الكهرباء لم تفتتح بعد دائرة المطبخ ولا تزال ربات المنازل تفضل الطرق القديمة للطبخ مع ان المخترعين وشركات الكهرباء قد بذلوا جهدهم في هذا السبيل وقدموا جميع التسهيلات لتجربة الطريقة الجديدة . فمن ذلك ان بعض شركات الكهرباء الاميركية تقدم مجاناً لمدة شهر كل الآلات اللازمة للطبخ بالكهرباء فضلاً عن القوة الكهربائية وذلك على سبيل التجربة . وهناك شركات أخرى شرعت تلقي محاضرات في هذا الموضوع مع اجراء التجارب أمام الحاضرين . على ان هذه المحاضرات وان اتت بفائدة في المدن فانه يتعذر القاؤها في القرى . ولذلك رأت إحدى تلك الشركات ان تجهز اوتوموبيلاً كبيراً بالقوة الكهربائية وآلات الطبخ وكل مايلزم للطواف على القرى وبيان مزايا الطبخ بالكهرباء . فلا غرابة بعد ذلك ان يسمى هذا العصر عصر الكهرباء

ان شعور الانسان بان ملابسه نظيفة يبعث في قلبه راحة لا يفضلها سوى الراحة الناشئة عن نظافة الضمير

لا شك ان للنظافة تأثيراً ادبياً في اخلاق المرء

تاريخ الشهر

الحرب في سنتين

رأينا ان نذكر خلاصة الاعمال الحربية في السنتين الاولين للحرب جاعلين حوادث كل ميدان وحدها وهي منقولة عن اوثق المصادر . ثم نردف ذلك بارقام وجداول مفيدة تبين موقف الفريقين المتحاربين . وهي ابلغ من كل تعليق عليها

ميدان فرنسا وبلجيكا

٣ اغسطس ١٩١٤ — دخول الالمان في البلجيك

٧ « — استيلاء الالمان على لياج

٢٣ ـ ٢٥ اغسطس — تقهقر الفرنسيين بعد معركة شرلروا والانكليز بعد معركة مونس

٦ ـ ١٠ سبتمبر — كسر الالمان على المارن

١٤ ـ ٢٨ « — وقوف الالمان على خط الاين

٩ اكتوبر — استيلاء الالمان على انفرس

١٠ ـ ١٤ مارس ١٩١٥ — هجوم الانكليز في نوف شابل

٢٢ ابريل ـ ٩ مايو — هجوم الالمان على ايبرس

٩ ـ ١٤ مايو — هجوم الفرنسيين والانكليز في ارتوا

٢٥ـ٢٧ سبتمبر — هجوم الانكليز في لوس والفرنسيين في شمبانيا

٢١ فبراير ١٩١٦ — ابتداء الهجوم على فردان

١ يوليو — ابتداء الهجوم الانكليزي الفرنسي على السوم

الميدان الروسي

٢٦ ـ ٣١ اغسطس ١٩١٤ — تقهقر الروس بعد معركة تاننبرج في بروسيا الشرقية وكانوا قد تقدموا فيها

١ مايو ١٩١٥ — رجوع الروس عن نهر دوناجك في غاليسيا وكانوا قد تقدموا فيها

٥ اغسطس — استيلاء الالمان على وارسو عاصمة بولونيا

١٦ - ١٩ سبتمبر — استيلاء الالمان على بنسك وفيلنا وهو آخر تقدم الالمان في روسيا

١ يونيو ١٩١٦ — ابتداء الهجوم الروسي

١٧ يونيو — استيلاء الروس على شرنوفتز عاصمة بوكوفينا

الميدان الايطالي

٢٣ مايو ١٩١٥ — اعلان ايطاليا الحرب على النمسا

١٥ مايو ١٩١٦ — هجوم النمسويين في ترنتينو

٢٠ يوليو ١٩١٦ — هجوم الايطاليين وتقهقر النمسويين في ترنتينو

الميدان البلقاني

٢٣ اغسطس ١٩١٤ — صد السرب للهجوم النمسوي الاول

١٠ ديسمبر — صد السرب للهجوم النمسوي الثاني

٢٠ سبتمبر ١٩١٥ — حشد البلغار جيوشهم

٢٣ سبتمبر — حشد اليونان جيوشهم

٥ اكتوبر ١٩١٥ — نزول الانكليز والفرنسيين في سلانيك

٨ اكتوبر — استيلاء النمسويين على بلغراد

٥ نوفمبر — استيلاء البلغاريين على نيش

٣٠ نوفمبر — اكتساح سربيا بتمامها

١٤ يناير ١٩١٦ — دخول النمسويين ستنجه عاصمة الجبل الاسود

حملة الدردنيل

١٩ فبراير ١٩١٥ — ضرب الاسطول الانكليزي للقلاع التركية

١٨ مارس — فقد ثلاث مدرعات في الدردنيل . رجوع الاسطول

٢٥ ابريل — نزول الجنود الاسترالية في غاليبولي .

٦ اغسطس — نزول الجنود الاسترالية في خليج سفلا

١٩ ديسمبر — الجلاء عن غاليبولي

ميدان العراق

نوفمبر ١٩١٤ — استيلاء الانكليز على البصره

٢٢ نوفمبر ١٩١٥ — صد التقدم الانكليزي في كتازيفون على بعد ١٨ ميلا من بغداد
٣ ديسمبر — محاصرة الحملة في كوت العمارة
٢٩ ابريل ١٩١٦ — تسليم الانكليز في كوت العمارة

الميدان القوقاسي

١٥ فبراير ١٩١٦ — استيلاء الروس على ارضروم
١٨ ابريل — استيلاء الروس على طرابزون
٢٦ يوليو — استيلاء الروس على ارزنجان

الميدان الافريقي

٢٦ اغسطس ١٩١٤ — فتح الانكليز والفرنسيين مستعمرة التوغو
٩ يوليو ١٩١٥ — فتح الجنرال بوثا لافريقيا الجنوبية الغربية الالمانية
١٨ فبراير ١٩١٦ — فتح الانكليز والفرنسيين مستعمرة كامرون
٩ مارس — ابتداء هجوم الجنرال سمطس على افريقيا الشرقية الالمانية

الحرب البحرية

٥ اغسطس ١٩١٤ — اغراق الاميرال بياتي ٣ طرادات المانية قرب هلجولند
١ نوفمبر — انتصار الاميرال فون سبي الالماني على الاميرال كرادوك الانكليزي قرب شواطيء شيلي
٨ ديسمبر — ملاشاة اسطول فون سبي عن يد الاميرال ستردي قرب جزر فالكلاند

٢٤ يناير ١٩١٥ — انكسار اسطول الماني قرب دوجر بنك في البحر الشمالي
٧ فبراير — اعلان الالمان الحصر البحري على انكلترا
١١ مارس — اعلان انكلترا حصر المانيا
٧ مايو ١٩١٥ — غرق الباخرة لوزيتانيا
٤ مايو ١٩١٦ — قبول المانيا ألا تغرق بواخر بلا انذار
٣١ مايو معركة جتلند البحرية وهي أعظم معركة بحرية في التاريخ
٥ يونيو — غرق الطراد همشير وعليه اللورد كتشنر

حالة الفريقين في آخر السنتين

١ — المساحة

الاراضي التي في حوزة الحلفاء ٣١٣٣٢٠٠٠ ميل مربع

الاراضي التي في حوزة دول الوسط ١٢٤٥٠٠٠ ميل مربع

النسبة ٢٥ : ١

٢ — الاهلون

سكان الاراضي التي في حوزة الحلفاء ٨٤٦٠٠٠٠٠٠ نفس

سكان الاراضي التي في حوزة دول الوسط ١٧٧٠٠٠٠٠٠ نفس

النسبة ٥ : ١

٣ — الاراضي التي استولت عليها كل دولة خارج حدودها

ما استولت عليه	انكلترا	٢٥١٠٠٠٠	ميل مربع فيها	٢٢٠٠٠٠٠٠	نفس
«	« روسيا	٤١٢٠٠٠	«	٥٣٥٠٠٠٠	«
«	« المانيا	١٢٧٠٠٠	«	٢٩٠٠٠٠٠٠	«
«	« فرنسا	١١٢٦٠٠	«	١٨٠٠٠٠٠	«
«	« النمسا	٣١٥٠٠	«	٣٤٠٠٠٠٠	«
«	« بلغاريا	١٧٠٠٠	«	٢٢٧٠٠٠٠	«

٤ — ما تنفقه كل دولة يومياً

انكلترا	٦٠٠٠٠٠	جنيه	ايتاليا	١٦٠٠٠٠	«
المانيا	٤٤٠٠٠٠	«	تركيا	٣٠٠٠٠	«
فرنسا	٣١٠٠٠٠	«	بلغاريا	٣٠٠٠٠	«
روسيا	٣٢٠٠٠٠	«	البلجيك	٣٠٠٠٠	«
النمسا	٢٤٠٠٠٠	«	المجموع	٢١٦٠٠٠٠	جنيه

٥ — الدول المتحاربة

الحلفاء : انكلترا . فرنسا . روسيا . ايتاليا . اليابان . البلجيك . السرب . الجبل الاسود . البورتغال (ورومانيا دخلت في اوائل السنة الثالثة للحرب)

دول الوسط : المانيا . النمسا والمجر . بلغاريا . تركيا

٦ — الاجناس المتلاحمة

دخل في هذه الحرب أجناس وأمم مختلفة جداً اليك أهمها : البانيون . جزائريون . اناميون . أرمن . عرب . نمسويون . بنغالو . بلجيكيون . بوير . انكليز . بلغار . شركس . كرواتيون . شيك . مصريون . فنلنديون . فرنسيون . جورجيون . المان . غوركا . ايتاليون . يابانيون . يهود . اكراد . ليثوانيون . مجر . مهراتا . ملازيون . ماوري . جبليون (اهل الجبل الاسود) . مغول . فرس . بولنديون . بورتغاليون . رومانيون . روسيون . روثينيون . سنغاليون . سرب . سيخ . سلوفاك . سلوفين . تتر . تونكينيون . ترك . الخ . . .

دخول رومانيا الحرب
واعلان ايطاليا الحرب على المانيا

أهم ما حدث بعد الحوادث المتقدمة دخول رومانيا الحرب في جانب الحلفاء باعلانها الحرب على النمسا في ٢٧ اغسطس الساعة ٩ مساء . وفي ذلك اليوم أيضاً أرسلت ايطاليا مذكرة الى الحكومة السويسرية تطلب اليها اخبار الحكومة الالمانية بانها تعد نفسها في حالة حرب معها ابتداء من ٢٨ اغسطس

القتال على الحدود المصرية

اهم الحوادث التي حدثت على حدود مصر في أثناء الصيف معركة رمانة الكبرى التي قضت على الجيش العثماني المرابط في سيناء . وقد دامت هذه المعركة من ٣ — ١٥ بتمبر . واتخذ الاتراك في البدء خطة الهجوم ولكنهم ما لبثوا ان اضطروا الى التقهقر والجيش البريطاني يطاردهم . ثم استؤنف القتال في بئر العبد والنصر حليف الجيش البريطاني . وتعدّ هذه الضربة قاضية على مساعي الاتراك في الهجوم على مصر . وقد ارسل جلالة ملك الانكليز وعظمة السلطان وغيرهما تلغرافات التهاني اثر هذا النصر الى الجنرال السر ارشيبلد مري والجيش البريطاني الظافر

من الطوبجية والمهندسين الخ . وقد اشترك من هذه القوة في بئر العبد في قتال الساقة ثلاث ارط بمجموع عددها نحو ثلثة آلاف مقاتل . أما خسارة العثمانيين فهي :

الاسرى ٣٩٣٠ (ومن ضمنهم ٤٩ ضابطاً و٢٥ المانياً) والقتلى ١٢٥١ وهم الذين دفناهم بايدينا والجرحى ٤٠٠٠ تقريباً . ويدخل في هذا العدد القتلى الذين دفنهم الاعداء أنفسهم بأيديهم . ومجموع ذلك كله نحو ٩ آلاف مقاتل

أما خسارتنا نحن فهي :

القتلى ٢٠٢ والجرحى ٨٨٧ والمفقودون ٤٩ ومجموع ذلك ١١٣٠

أما غنائمنا فهي :

مدفع من مدافع كروب من طراز ٧٥ ملليمتر . وبطارية جبلية مؤلفة من اربعة مدافع كاملة بكل ملحقاتها . و ٤٠٠ قنبلة من قنابل المدافع الكبيرة . وتسعة مدافع سريعة المانية كاملة . و٣٢ ماسورة للمدافع المذكورة و٣٠ صندوقاً من الجلد للقنابل الكبيرة . وسبعة تروس كبيرة واثنان صغيران فضلاً عن بعض ذخائر اخرى للمدافع المذكورة . و٢٣٠٠ بندقية . و١٠٠٠٠٠ قنبلة صغيرة . و٢٥٠ قاعدة للبطاريات الجبلية التي تحمل فوق ظهور الدواب . و٦٠ قاعدة اخرى . وكميات كبيرة من الذخائر كاكياس الرمل . وبراميل المياه . وملابس واسلحة . وسهام نارية . وملفات من الاسلاك الشائكة . واحواض للمياه مستطيلة . ونقالات ومعاول ومجارف وسيوف الخيالة الراكبة وغير ذلك . وطيارة من طراز الاريلان وثلاثة احواض بترول . و ١٠٠ بغل وحصان . و ٥٠٠ جمل

وقد تخلى العدو عن مستشفيين كاملين من مستشفيات الميدان . واحرق كميات كبيرة من الذخائر في بئر العبد لئلا نغنمها وتقع في ايدينا . اه

وقد حدث فضلاً عما تقدم مناوشات صغيرة في جهات مختلفة

ومما يجدر ذكره أيضاً المقام المتزايد الذي اصبح للطيارات . فقد قامت الطيارات البريطانية بخدمات جليلة للجيش وقاتلت طيارات الاعداء غير مرة والقت القنابل على معسكراتهم ولا سيا انتقاماً من الغارة الجوية التي قام بها العدو على بورسعيد وقتل فيها ١٠ أشخاص وجرح ٣٦

استقلال الحجاز

يوالي جنود الشريف الاستيلاء على الحصون والمدن التي كانت في قبضة الاتراك . وقد فتحت طريق الحج هذا العام على ان يكون قاصراً على مكة . وقد نشرت الحكومة البريطانية في لندن بياناً عن موقفها ازاء الشريف والدولة العثمانية كان له احسن وقع في النفوس . واليك هذا البيان الخطير مترجماً في قلم المطبوعات المصري بتاريخ ٢٨ يوليو سنة ١٩١٦

بيان الحكومة الانكليزية

منذ سنين والعرب المعذبون بسوء الحكم التركي ينتظرون اليوم الذي يتمكنون فيه من استرجاع حريتهم السابقة . وقد قاموا في الماضي بثورات عديدة ضد الاستبداد التركي في البلاد العربية

وقد أدى سوء تصرف الحكومة الحالية في الاستانة وخضوعها التام لسلطة الالمان الى دخول تركيا مضطرة في حرب مشؤومة اوصلت الاحوال فيها الى حد النهاية . فرأى شريف مكة وغيره من الزعماء في البلاد العربية ان الاوان قد آن لخلع النير التركي عن أعناقهم والمناداة باستقلالهم

وكانت بريطانيا العظمى تعطف دائماً على العرب في أمانيهم ولكن صداقتها التقليدية لتركيا اضطرتها في الماضي الى البقاء على الحياد . أما الآن وقد انضمت تركيا الى صف الدول الوسطى فقد أصبحت بريطانيا العظمى حرة في اظهار عطفها على أولئك العرب الذين انخرطوا في جانب الحلفاء ضد العدو المشترك

على ان بريطانيا العظمى ستبقى محافظة على سياستها الثابتة في الابتعاد عن أية مداخلة في الشؤون الدينية وعلى بذل جهدها في بقاء الاماكن المقدسة أمينة من كل طارئ خارجي

ومن النقط التي لا تقبل التغيير والتبديل في سياسة بريطانيا العظمى هو أن تبقى هذه الاماكن المقدسة في أيدي حكومة اسلامية مستقلة

ولا يخفى ان احوال الحرب الحاضرة تلقي العقبات الكثيرة والاخطار في سبيل الراغبين في القيام بفريضة الحج ولكن العمل الذي قام به شريف مكة يجعل الامل كبيراً

في اتخاذ التدابير اللازمة التي تمكن الحجاج في المستقبل من زيارة الاراضي المقدسة بسلام واطمئنان

بيان شريف مكة

وقد نشر أيضاً سيادة شريف مكة بياناً الى العالم الاسلامي اجمع يبين فيه الاسباب التي دعته الى مناهضة الحكومة التركية . هذا هو بحرفه

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا منشورنا العام الى اخواننا المسلمين

ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين

كل من له المام بالتاريخ يعلم ان امراء مكة المكرمة هم أول من اعترف بالدولة العلية من حكام المسلمين وأمرائهم رغبة منهم في جمع كلمة المسلمين وتحكيماً لعرى جامعتهم لتمسك سلاطينها من (آل عثمان) العظام طاب ثراهم ، وجعل دار الخلد مثواهم ، بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلوات الله عليه ، وتفانيهم في انفاذ أحكامهما ولنفس تلك الغاية السامية الرفيعة ما زال الامراء المشار اليهم يحافظون عليها حتى انني حملت بالعرب على العرب بذاتي في سنة ١٣٢٧ لفك حصار (ابها) محافظة على شرف الدولة ، وفي السنة التي تلتها جرت عين هذه الحركة تحت قيادة احد انجالي الى غير ذلك مما هو في هذا المعنى كما هو مشهود ومعهود . الى ان نشأت في الدولة جمعية الاتحاد وتوصلت الى القبض على ادارتها وكافة شؤونها فكانت نتيجته انتقاصها من الممالك ما قوض عظمتها مما عرفه أفراد العالم وخصوصاً بخوضهم بها غمرات الحروب الحاضرة وايقافهم اياها اليوم في موقف الهلكة التي لا تحتاج الى بيان

كل هذا لمحض غايات معلومة تأبى احساساتنا البحث فيها وتستدعي تفطر قلوب مسلمي المعمورة اسى وحزناً على دولة الاسلام وتمزيق ما بقي من سكان ممالكها مسلمهم وذميهم فريق منهم بالصلب وأنواع الاعدام وفريق باجلائه عن وطنه على الصورة المعهودة والحالة المشهودة علاوة على ما أصيبوا به في أموالهم وأنفسهم من آفات الحروب ولا سيما هذه الاخيرة التي كان للارض المقدسة منها النصيب الاعظم كما يعلم بالاجمال من اضطرار الكثيرين حتى ابناء الدرجة الثانية من الاهالي الى بيع ابواب دورهم ودواليبها واخشاب سقفها بعد بيعهم لجميع مايملكون وذلك للحصول على سد الرمق . كل هذا وكان

جمعية الاتحاد لم تره كافياً لغرضها كما يظهر من تجاوزها واقدامها على اخلال الرابطة الوحيدة بين السلطنة السنية العثمانية وجميع مسلمي المعمورة الا وهي التمسك بالكتاب والسنة فقد وصفت احدى صحفها الموسومة (بالاجتهاد) الصادرة في دار السلطنة السنية سيرة صلوات الله عليه وسلامه بشر السير (نسأل الله العافية) وهذا بمرأى ومسمع وزير الدولة الاعظم وشيخ اسلامها وسائر علمائها ووزرائها وأعيان رجالها وشفعت هذه الجراة بالغاء قوله تعالى « للذكر مثل حظ الانثيين » فساوت بينهما في الميراث. وعززتهما بالطامة الكبرى وهي هدم احد اركان الاسلام الخمس وهو صوم رمضان اذ امرت الجند المقيمين بالمدينة المنورة أو مكة المكرمة أو الشام مثلا بالافطار في رمضان للمساواة بينهم وبين الجنود الذين يقاتلون في حدود الروس ولفقت لهذا اقاويل لمعارضة صراحة قوله تعالى « فمن كان منكم مريضاً أو على سفر » الى غير ذلك مما يمس بأساسات الاسلام من الاقدام على المنكرات المعلومة احكام مرتكبها من الدين بالضرورة بعد أن ضربت على يدي شوكة السلطان المعظم وسلبته حتى حق الاقتدار على انتخاب رئيس كتاب (مابين) سلطنته الشريفة أو رئيس خاصته المبجلة المنيفة فضلا عن النظر في امور المسلمين ومصالح البلاد والعباد وما في هذا من اسقاطهم لشروط الخلافة التي يطالب بها المسلمون . فوجوب البراءة منهم والحالة هذه مما لا مشاحة فيه ومع هذا ما زلنا نتأول صحة هذه الجراة هرباً وحذراً من نسبة تهمة التفرقة وبواعث الاختلاف حتى ظهر الخفاء وانكشف الغطاء واتضح ان الدولة اصبحت في يد أنور باشا وجمال باشا وطلعت بك يحكمون فيها بما يشاؤون ويفعلون بها ما يريدون . وابسط دليل على صحة هذا الامر الذي ورد أخيراً لقاضي محكمة مكة الشرعية بان لا يحكم الا بالشهادة التي تحررت في محكمته وبين يديه ولا يلتفت الى الشهادات التي يكتبها المسلمون فيما بينهم غير مبالين بما في آية البقرة . هذا كله من جهة ومن جهة أخرى صلبهم في آن واحد الكثير من عظماء افاضل المسلمين وكبراء نوابغ العرب من قبل أو من بعد (كالامير عمر الجزائري والامير عارف الشهابي وشفيق بك المؤيد وشكري بك العسلي وعبد الوهاب وتوفيق بك البساط وعبد الحميد الزهراوي وعبد الغني العريسي) ولا ريب انه يصعب حتى على ذوي القلوب القاسية ازهاق أنفس الجماعات الكثيرة في آن واحد ولو كانت من بهائم الانعام . وهب اننا التمسنا لهم عذراً وانحلنا لهم مسوغا في قتل هؤلاء الافاضل فما المسوغ لنفي عائلاتهم البائسة البريئة من كل ذنب وفيها من الاطفال والشيوخ وربات الخدور من تتفطر لهم القلوب وتذهب الانفس

حسرات عليهم ولاذاقتهم انواع العذاب فوق ما قد جرعوه من سم المصيبة بقتل عميدهم الذي خربت بفقده منازلهم والله تعالى يقول « ولا تزر وازرة وزر اخرى » واذا أتحلنا لهذه مسوغاً أيضاً فما الذي يسوغ لهم مصادرة أملاكهم وأموالهم التي يأوون اليها ويعيشون بها بعد ان قضوا على عزيزهم وسلبوا من أيديهم أسباب عزهم . واذا تعامينا عن هذا كله أيضاً وقلنا ربما كان لهم مسوغ سوغه لهم فكيف يمكن ان ننتحل مسوغاً لجرأتهم على قبر الامير الابر والمجاهد التقي الزاهد مولانا الشريف عبد القادر الجزائري الحسني واهانته وتحقيره

هذا بعض ما أبدوه من الاعمال أتينا به مختصراً تاركين الحكم فيه للعالم الانساني عموماً والعالم الاسلامي خصوصاً . وحسبنا برهاناً على ما تكنه صدورهم للدين الاسلامي والعرب رميهم للبيت العتيق الذي أضافته العزة الاحدية لذاتها السبحانية في قوله تعالى « وطهر بيتي للطائفين » وهو قبلة المسلمين وكعبة الموحدين بقنبلتين من قنابل مدافعهم التي بحصن جياد اثناء قيام البلاد بالمطالبة باستقلالها وقعت احداها فوق الحجر الاسود بنحو ذراع ونصف والثانية تبعد عنه بمقدار ثلاثة أذرع التهبت بنارها أستار البيت حتى هرع الالوف من المسلمين لاطفاء لهيبه بالضجيج والنحب واضطروا الى فتح باب البيت والصعود الى سطحه للتمكن من اطفاء اللهيب وما انتهى أمرهم بهذا حتى عززوا الاثنتين بثالثة في مقام ابراهيم عدا ما وقع منها في قبة المسجد الذي اتخذوه هدفهم الوحيد في غالب مقذوفاتهم بالقنابل والرصاص وما زالوا يقتلون الثلاثة والاربعة في نفس المسجد كل يوم حتى تعذر على العباد القرب من البيت وفي هذا من الاستخفاف والازدراء بالبيت وتجليله وحرمته ما نترك القول والحكم فيه أيضاً لعموم المسلمين في مشارق الارض ومغاربها (نعم) نترك الحكم في هذا الاستخفاف والازدراء للعالم الاسلامي ولكننا لا نترك كياننا الديني والقومي العوبة في أيدي الاتحاديين وقد يسر الله تبارك وتعالى للبلاد نهضتها كما وفقها بحوله وقوته لاخذ استقلالها وتكليل مساعيها بالفوز والنجاح بعد أن ضربت على أيدي موظفي الاتحاديين بيننا ورجال حامياتهم فاستقلت فعلا وانفصلت عن البلاد التي لم تزل تئن تحت سلطة المتغلبين من الاتحاديين انفصالا تاماً مطلقاً بكل معاني الاستقلال الذي لا تشوبه شائبة مداخلة اجنبية ولا تحكم خارجي جاعلة غايتها ومبادئها نصرة دين الاسلام والسعي لاعلاء شأن المسلمين قائمة في كل أعمالها على أساس أحكام الشرع الشريف الذي لا يكون لنا مرجع سواه ولا مستند غيره في جميع الاحكام واصول القضاء وفروعه مع استعدادها لقبول كل ما ينطبق على أصول الدين ويلائم شعائره من انواع فنون الترقي

الحديث وأسباب النهضة الصحيحة باذلة كل ما في الجهد والطاقة لاعزاز العلم وتعميمه بين الناس على اختلاف الطبقات وعلى حسب الحاجة والاستعداد

هذا ما قد قمنا به لاداء الواجب الديني علينا راجين من اخواننا المسلمين في مشارق الارض ومغاربها أن يؤدوا كذلك ما يرونه واجباً لنا عليهم من احكام روابط الاخاء الاسلامي رافعين اكف الضراعة لرب الارباب ومتوسلين برسول الملك الوهاب ان يتولانا بالتوفيق ويعدنا بالهداية الى ما فيه خير الاسلام والمسلمين والاعتماد على الله العلي الكبير وهو حسبنا ونعم النصير

شريف مكة وأميرها

في ٢٥ شعبان سنة ١٣٢٤ الحسين بن علي

معرض الصناعات المصرية

في ٥ اغسطس الماضي احتفل بافتتاح معرض الصناعات المصرية بالاسكندرية فأمه عظمة السلطان وحضرات الامراء والوزراء والاعيان . وقد قسم المعرض الى أقسام مختلفة تحوي أنواع المصنوعات . وقد استبشر الجميع بهذا المعرض ونجاحه

الحج المصري

من نتائج استقلال الحجاز ان الحج اصبح ممكنا في هذا العام . الا انه قاصر على مكة . وقد نقل المحمل المصري صباح ٢٢ سبتمبر من ميدان الحصوة بالعباسية الى السويس بقطار خاص . وقد اقتضت ارادة عظمة السلطان ان يحج على نفقته ١٩ عالماً وطالباً بعضهم من الدرجة الاولى وبعضهم من الثانية و١٤ شخصاً آخرين من الاهالي

اعانة منكوبي المجاعة في سوريا

لما ثبتت اخبار المجاعة في سوريا اهتم السوريون في جميع الأنحاء على اختلاف مللهم ونحلهم في اعانة اخوانهم البائسين فتألفت اللجان في المدن الكبرى في مصر والمهاجر الاميركية وغيرها وما فتئت تبحث في وسائل ايصال الدراهم والمعونة الى تلك البلاد المنكودة الحظ الى ان جاءت البشرى أخيراً بان الطريق قد فتحت للعموم من أهل الشفقة والاحسان ليرسلوا العون الى سوريا . وقد تم ذلك اثر المساعي التي بذلتها اللجان

السورية مع الدولة الأميركية الرحيمة

فنحن نستحث همم السوريين في البلاد النائية فضلاً عن القريبة ليمدوا يد المساعدة لهذا العمل الانساني وحسبنا محرضاً على ذلك أن يتصور كل منا ان ما حل باولئك المساكين قد حل به وليعاملهم بما يحب ان يعاملوه به لو كان مكانهم

وفاة السلطانة والدة عظمة السلطان

في صباح الثلثاء ١٥ اغسطس الماضي لبت نداء ربها ربة الصلاح والطهر والاحسان حضرة صاحبة العظمة والدة مولانا السلطان في قصر المعمورة بضواحي الاسكندرية فلم يكد ينتشر الخبر في القطر حتى عم الحزن والاسى جميع القلوب . وقد نقلت جثتها الكريمة الى مصر في اليوم التالي وشيعت من المحطة الساعة الرابعة بعد الظهر بمشهد رسمي حافل . وقد صلى على الجثة في مسجد الرفاعي ثم حملت الى مدفن البيت السلطاني . أطال الله حياة السلطان ونفعه بجميل رضاها

دانيال بلس

الرئيس الاول للمدرسة الكلية السورية

توفي في ٢٨ يوليو الماضي الدكتور دانيال بلس الرئيس الاول للمدرسة الكلية فكان لهذا الخبر وقع سيء في قلوب تلاميذ تلك الكلية المنتشرين في جميع انحاء العالم ولا سيا ان سنة وفاته وافقت سنة اليوبيل الخمسيني لانشاء الكلية (١٨٦٦) وقد كان خريجوها في كل الاقطار يترقبون تلك الفرصة للاحتفال بهذا اليوبيل احتفالا شائقاً يليق بمعهد كان مبعثاً للعلم والادب والاخلاق الراقية والمبادئ السامية في الشرق كله

ولد الدكتور بلس في ١٧ اغسطس سنة ١٨٣٢ ولم تتح له أحواله المالية ان يتلقى العلوم العالية وهو فتى فاشتغل مدة الى ان تمكن من دخول جامعة امهرست فقضى فيها أربع سنوات وتركها وهو في التاسعة والعشرين من عمره . ثم درس اللاهوت ثلاث سنوات أخرى اقترن بعدها بزوجته الفاضلة التي كان لها أعظم تأثير في حياته

وفي سنة ١٨٥٥ قصد بيروت في سفينة شراعية فوصلها في العام التالي وأقام في عبيه

وسوق الغرب يتعلم العربية ويعلم ويبشر فرأى البلاد في حاجة الى كلية علمية تمهد للطلبة تلقي العلوم الفنية كالطب وغيره فخاطب زملاءه المبشرين بذلك . فاكبروا اقتراحه لكثرة ما يقتضيه من المال . لكنه اقنعهم فانتدبوه لجمع المال فعاد الى اميركا يخطب ويحرض فانبرسعيه فتألف هناك مجلس لادارة الشؤون المالية يعرف بدائرة الامناء . وعاد الدكتور بلس الى سوريا لمباشرة العمل وتألفت لذلك لجنة تحت رئاسته أقدم اعضائها المرحومان الدكتور فانديك والدكتور ورتبات . وما زال هو رئيساً للمدرسة حتى اقعدته الشيخوخة فخلفه عليها نجله الدكتور هورد بلس رئيسها الحالي سنة ١٩٠٢

فتحت المدرسة الكلية السورية ابوابها في اكتوبر سنة ١٨٦٦ وعدد تلاميذها ١٦ تلميذاً ليس لهم منزل يأوون اليه . وكان المرحوم بطرس البستاني قد انشأ المدرسة الوطنية فاتفقت دائرة الامناء معه على ان يخصص قسما من مدرسته لتلاميذ الكلية ومعلميها وان يتولى هو مناظرة هذه المدرسة مع مدرسته . ومدة الاتفاق لثلاث سنوات . ولم يتخرج من التلاميذ الستة عشر المشار اليهم الا خمسة اتموا دروسهم العلمية سنة ١٨٧٠ وثلاثة تخرجوا في الطب سنة ١٨٧١ (١)

ويؤخذ من مفكرات نشرها الدكتور دانيال بلس في مجلة الكلية يصف فيها نشوء هذه المدرسة انهم قضوا السنتين الاولين في اربع غرف ثم توسعوا قليلا في بناء آخر حتى اخذوا في تشييد المدرسة الكلية الحالية واتموا منها الدائرتين العلمية والطبية وانتقلوا اليهما سنة ١٨٧٣ وفي هذه المفكرات تفصيلات ممتعة لما قاسوه في سبيل ابتياع الارض واقامة البناء ومعاملة التلاميذ وتدبير شؤونهم . وعمدة المدرسة يومئذ مؤلفة من هؤلاء الثلاثة : بلس وفانديك وورتبات . ثم اضيف اليهم الدكتور بوست وغيره

كان الدكتور بلس شديد العناية بتدبير شؤون المدرسة وتربية اخلاق التلاميذ . كثيراً ما يقضي الليل ساهراً في تعقب تلميذ اشتبه في سيرته حتى يحقق امره . وربما تعقبه سراً الى اماكن اللهو ليراه رأي العين فلا يظلمه اذا حكم بطرده . ويتناقل التلاميذ وقائع عديدة من هذا النوع يروونها عن ذلك الشيخ الغيور تدل على سهره ونشاطه وتفانيه في سبيل ترقية التلاميذ

(١) كان عدد تلاميذ الكلية قبل الحرب نحو الالف وقد نال شهادتها اكثر من ٢٥٠٠ شاب وعدد ابنيتها ٢٤ بناء كبيراً في ساحة واسعة كانها بلد قائم بنفسه . وفيها ثماني دوائر للتعليم وسبعة معارض فضلا عن المختبرات والمستشفيات

وفاة عالمين : متشنيكوف ورمسي

توفي هذان العالمان في عطلة الهلال ويعد موتهما خسارة كبيرة للعلوم الطبيعية . واليك حياة كل منهما باختصار مع ذكر اعمالهما

الياس متشنيكوف

ولد الياس متشنيكوف في مدينة خاركوف في روسيا سنة ١٨٤٥ وتلقى علومه في روسيا اولاً ثم في المانيا . ولما بلغ الخامسة والعشرين عين استاذاً لعلم الحيوان في جامعة اودسا وله آثار تذكر في هذا العلم ولا سيما فيما يختص بالحيوانات المنحطة . ثم انصرف الى درس كريات الدم وعلى الاخص الكريات البيضاء ودفعته رغبته في البحث الى مغادرة اودسا الى باريس . فمكث مع باستور وما لبث ان بيّن ان هذه الكريات التي تبتلع الميكروبات وتهضمها ــ وخصوصاً ذوات النواة الواحدة ــ تفرز خميراً سماه سيتاز فائدته قتل المواد السامة . وقد استخرج من ذوات النواة الواحدة مادة خميرية اطلق عليها اسم ماكروستياز تتولد في الكريات البيضاء ثم تمتزج بالمصل فتكسبه صفات مخصوصة تشبه فعل تلك الكريات

وله فضلاً عما تقدم مباحث علمية أخرى . وقد كان آخر ما وجه له عنايته البحث في الشيخوخة واسبابها . فبين تأثير السموم التي تتولد في الامعاء الغليظة في الجسم واثبت أن تلك السموم بانتشارها في الدم تسبب تصلب الشرايين . ووجد أن افضل دواء لملاشاة تأثيرها تعاطي اللبن الرائب

وظل متشنيكوف في فرنسا منذ سنة ١٨٨٧ وقد كان نائب مدير معهد باستور الشهير وعضواً في اكاديمية العلوم وقد حاز جوائز والقاب شرف مختلفة

السير وليم رمسي

ولد وليم رمسي في مدينة غلاسكو بانكلترا سنة ١٨٥٢ من اسرة اشتهرت بميلها الى الكيمياء فهو سادس فرد من تلك الاسرة انصرف الى المباحث الكيماوية . وهاهو ابنه اليوم يتمم تقاليد تلك الاسرة . وقد تلقى علومه في غلاسكو اولا ثم في المانيا . وبعد رجوعه الى انكلترا عين مساعداً لاستاذ الكيمياء في غلاسكو ثم استاذا في بريستول وعين اخيراً استاذاً للكيمياء العمومية في جامعة لندن وبقي في هذا المنصب ٢٦ سنة الى سنة ١٩١٣ اذ غادره لموالاة بحثه

وهو مشهور على الاخص باستكشافه غازات في الهواء لم تكن معروفة من قبل . فقد كان المعلوم ان الهواء مؤلف من اكسيجين ونيتروجين وان فيه كمية قليلة من الحامض الكربوني وبخار الماء . فوجد السر وليم رمسي (وحده أو بمساعدة غيره من العلماء) غازات أخرى غير معروفة ، كان اول ما استكشفه منها الارغون ثم الهيليوم ثم النيون والكريبتون والكزينون . وهي موجودة بكميات قليلة جداً في الهواء

ثم انصرف بعد ذلك الى درس الراديوم وخواصه وقام بتجارب كثيرة في هذا الباب يؤخذ منها ان المادة قابلة للانحلال وان العنصر قد يتحول بانحلاله الى عنصر آخر وهي آراء جديدة تخالف آراء الكيماويين المشهورة . على أن تحويل العناصر يفتقر بعد الى الاثبات حتى ان السر وليم نفسه اعترف بان هذه الحقيقة لم تقرر بعد وانه ينبغي اجراء تجارب كثيرة لاستيفاء هذا البحث

وله أيضاً مباحث أخرى في الطبيعيات والكيمياء . وآخر ما شهر اسمه في أثناء هذه الحرب حمله على الحكومة الانكليزية حتى تعد القطن من المهربات وقد نجح اخيراً في مسعاه

لي يوان هنج

رئيس الصين الجديد

توفي يوان شي كاي رئيس الجمهورية الصينية في ٦ يونيو الماضي نخلفه لي يوان هنج الذي كان نائب الرئيس من دون أن يلقى مقاومة ما . وقد كان احد زعماء الثورة الصينية التي اسقطت الاسرة المالكة سنة ١٩١١

ولد الرئيس لي يوان هنج سنة ١٨٦٤ ودخل سلك البحرية فعين في احد الطرادات وحضر الحرب الصينية اليابانية . ثم ذهب الى اليابان للتوسع في الفنون الحربية . فلما رجع عين في الجيش واخذ يرتقي مراتبه الى ان عين قائداً عاماً للجيوش الصينية سنة ١٩٠٥ وهو الذي دبر مناورات الجيش في تلك السنة فاظهر فيها براعة عظيمة

رسمياً الا حديثاً فقد كان يتعاطاه الالمانيون في جهات مختلفة . واقدم الامم تعاطياً للحم الكلاب الصينيون ولا يزال الى اليوم يتعاطاه فريق منهم . وقد ذكر أحد المؤرخين ان الفينيقيين أيضاً تعاطوه . وكذلك الرومانيون الذين كانوا يربون الكلاب ويسمنونها لهذا الغرض

وقد كان الكلب قديماً يقوم مقام النقود عند الصينيين أي انهم كانوا يتبادلون سلعهم ويقدرونها بالكلاب كما تقدر اليوم السلع بالنقود . ولا يزال بعض التتر وسكان كمشتكا في سيبريا يستخدمونها لهذه الغاية الى اليوم . ولحم الكلب يؤكل أيضاً في بعض جهات افريقيا كالسينغال وغيره . أما في اوربا فالارجح ان الالمان هم الشعب الوحيد الذي مابرح منذ زمن بعيد يأكله ولا سيما في مملكة ساكس . فقد ذبح فيها سنة ١٩٠٢ نحو ٢٨٦٩ وهذا الطعام آخذ في الانتشار

مطبوعات جديدة

﴿ Mohamedan Theories of Finance ﴾ هو بحث في المذاهب المالية في الاسلام تأليف نقولا اغنيدس الحائز لقب دكتور في الفلسفة من جامعة كولومبيا الشهيرة بنيويورك . وقد صدره المؤلف بتمهيد في الشرع الاسلامي وبقاعة وافية حوت الكتب القديمة والحديثة التي بحثت في هذا الموضوع من شرقية وغربية . وهو أول بحث واف في هذا الموضوع الخطير يستحق عليه المؤلف كل شكر وثناء . والكتاب يقع في أكثر من ٥٣٠ صفحة وفي آخر كل صفحة ذكر المصادر التي استند عليها المؤلف وهي تدل على مقدار ما عاناه في جمع تلك الحقائق المشتتة

﴿ Ink, Oil & Mirror Gazing Ceremonies in Modern Egypt ﴾ هذه رسالة نشرت أولاً في مجلة الجمعية الشرقية الاميركية ثم طبعت على حدة وضعها الاستاذ وليم ورل المستشرق الاميركي بحث فيها عن ضرب المندل في مصر الحديثة وما يتعلق بذلك بحثاً تاريخياً وعلمياً معتمداً على ما كتبه غيره في هذا الموضوع وما اختبره هو بنفسه . وهو بحث لذيذ طلي قد نعود الى تلخيصه في عدد قادم

﴿ تصحيح لسان العرب ﴾ لصاحب العزة أحمد بك تيمور مباحث في اللغة والتاريخ تشهد بسعة علمه وأدبه . وقد وصلنا اخيراً القسم الاول من تصحيح لسان العرب بقلمه .

ولا يخفى ما لهذا العمل من القيمة لدى جميع الناطقين بالضاد ولا سيما في هذا الوقت الذي استبشر فيه العرب بنهضة لغتهم وتحدثت الصحف والمجلات بالمجمع اللغوي ونحو ذلك . وقد عني بطبع هذه الرسالة ونشرها الشيخ محمد عبد الجواد الاصمعي الذي عني قبلاً بنشر تصحيح الاغاني . وهي خدمات للغة يشكر عليها شكراً جزيلا . وقد وعد في خاتمة الكتاب الذي نحن بصدده انه سيوالي نشر ما دونه اللغويون من التصحيحات الاخرى للسان العرب كالشنقيطي واليازجي وغيرهما

﴿ صبح الاعشى . الجزء التاسع ﴾ صدر الجزء التاسع من هذا الكتاب النفيس وثمنه كسائر الاجزاء ١٢٠ مليما

﴿ لغة الفؤاد ﴾ هي منظومات للشاعر الاديب امين افندي حمدي مؤلف كتاب الحياة القومية وقد سماها لغة الفؤاد او صور الشعر في روضة البحرين وصدرها بهذه الجملة : «بدائع روح شعرية النزعة حلقت في سماء الخيال وأودعت فيما حواه هذا الديوان من نثر وقريض ما تجلى لها من جمال وجلال . تلك صور الشعر في روضة البحرين تبسطها يد الذكرى على ضفاف القنال »

﴿ المنظومات الدرية ﴾ هي قصائد شتى من مديح وغزل وفخر وسياسة ورثاء نظمها الياس افندي طربيه في بلاد الارجنتين وطبعت في مطبعة جريدة الوطن في توكومان بالارجنتين

﴿ اليأس والرجاء ﴾ نظم عزيز افندي ميرزا . هي منظومات عربية على اسلوب جديد تجلى فيها روح غربية ونزوع الى الخروج عن طرق النظم المقررة . صدرها الناظم بمقدمة بين فيها رأيه في الشعر العربي وما يمكن ان يستفيده من الشعر الغربي

﴿ قنبلة صغيرة ﴾ رسالة سياسية بقلم شكري افندي الخوري صاحب جريدة ابو الهول نشرها رداً على طعن جريدة العثماني التركية النزعة على الحلفاء والمدارس التي أنشأوها في سوريا . وقد بين الكاتب ما كان لتلك المدارس من الفضل ولا سيما الكليتين اليسوعية والاميركية . والرسالة مصدرة برسم الدكتور شبلي شميل ومقدمة له

﴿ محاكمة الملوك ﴾ رواية خيالية في الحرب الحاضرة لواضعها عبد الهادي افندي تصور فيها ان الله تعالى أمر بتشكيل محكمة لمحاكمة الملوك الداخلين في هذه الحرب وذكر دفاع كل منهم عن قضيته مما تلذ مطالعته

﴿ تذكار العيد الفضي لمطبعة المعارف ﴾ في ٢٨ ابريل من هذه السنة أقام

فريق من الكتاب والادباء احتفالا في فندق الكونتنتال لدخول مطبعة المعارف في العام السادس والعشرين من سني حياتها . وقد تليت القصائد والخطب في هذا الاحتفال بحضور نخبة من الاعيان والادباء ثم نشرت في كتاب متقن الطبع هو خير مثال لاتقان تلك المطبعة وعناية صاحبها بترقية فنه

﴿ فتاة غسان . الطبعة الرابعة ﴾ صدرت أخيراً الطبعة الرابعة من رواية فتاة غسان لمؤسس الهلال رحمه الله . وهي الحلقة الاولى من سلسلة روايات تاريخ الاسلام

﴿ النتيجة القبطية ﴾ اصدرت هذه النتيجة جمعية التوفيق المركزية لسنة ١٦٣٣ للشهداء حاوية لفوائد ومعلومات شتى

الجرائد والمجلات

﴿ القبلة ﴾ جريدة دينية سياسية اجتماعية تصدر في مكة مرتين في الاسبوع لخدمة الاسلام والعرب . مديرها محب الدين افندي الخطيب . وقد اسست بايعاز سيادة شريف مكة لتكون لسان حاله . وفي ذلك ما يكفي لبيان مقامها . قيمة اشتراكها في الخارج عشرة فرنكات

﴿ الروايات الكبرى ﴾ مجلة روائية ادبية تاريخية علمية تصدر في القاهرة لمنشئها وصاحبها مراد افندي الحسيني . قيمة اشتراكها في السنة ٤٠ قرشاً

﴿ الحمراء ﴾ عادت الى الظهور هذه الجريدة بعد احتجابها مدة من الزمن وهي تصدر في ريو دي جانيرو لصاحبها ومحررها الياس افندي طعمه مؤلف رواية اليتيم . وهي ادبية نصف شهرية وفيها كثير من الشعر والمقالات الادبية

﴿ الصاعقة ﴾ جريدة هزلية انتقادية حرة تصدر في بونس ايرس لصاحبيها سليمان افندي ابي شر وتوفيق افندي ابي نادر . قيمة اشتراكها ١٥ فرنكا في الخارج

﴿ الفنون ﴾ عادت الى الظهور هذه المجلة الراقية الفريدة في نوعها وهي تصدر في نيويورك ويحررها نخبة من كتاب المهجر وادبائه ولها عناية خاصة بالادب الغربي والشعر . وهي مطبوعة طبعاً متقناً ومزينة بصور جميلة فنتمنى لها ما تستحقه من الاقبال

﴿ روايات الاهالي ﴾ جاءنا الجزء الاول من هذه الروايات لمعربها الكاتب المعروف عبد القادر افندي حمزه مدير جريدة الاهالي . واسم الرواية الاولى (فتاة السرب) واسمها ينم عن موضوعها . قيمة اشتراكها في السنة ٤٠ قرشاً

تاريخ روسيا الحديث

وجهدها في هذه الحرب

تحمل روسيا في هذه الحرب عبئاً أثقل من اعباء سائر الدول المتحاربة . ولا غرابة في ذلك فهي اكبرها مساحة واكثرها سكاناً وخطوط قتالها تمتد في اوربا من شواطئ بحر البلطيك الى شواطئ البحر الاسود وفي اسيا من شواطئ البحر الاسود الى بلاد ايران . وهي متصلة على طول هذا الخط بجميع الدول المعادية واولها المانيا فالنمسا فبلغاريا فتركيا . فضلاً عن البعثات التي ارسلتها الى ميدان فرنسا والى سالونيك لتسعف بها حلفاءها . فروسيا بهذا الاعتبار مورد الرجال للحلفاء كما أن انكلترا مورد المال وفرنسا مورد البراعة الفنية

وبالرغم مما اصابها في السنة الماضية من النكبات لافتقارها الى الذخائر فقد استرجعت قواها ولمت شعثها بسرعة غريبة . وقد رأينا في الصيف الماضي كيف بينت لاعدائها انها لا تزال قوية جبارة وانها ستواصل القتال بعزم نافذ وارادة حديدية

وقد حدتنا هذه الاعتبارات الى كتابة كلمة وجيزة في تاريخ روسيا الحديث من اول القرن الماضي الى هذه الحرب وما اعترض تلك البلاد العظيمة من المشاكل الداخلية والخارجية . ثم نردف ذلك بذكر الجهد العظيم الذي بذلته في هذه الحرب والمنافذ التي افتتحتها لتستورد منها ما يلزمها من مؤن وذخيرة

روسيا في القرن الماضي

كانت اهم الحوادث الخارجية التي شغلت روسيا في القرن الماضي الحروب الثلاث التي نشبت بينها وبين الدولة العثمانية : الاولى سنة ١٨٢٩ والثانية سنة ١٨٥٤ — ١٨٥٦ (حرب القرم) والثالثة سنة ١٨٧٧ — ١٨٧٨ . وقد كانت نتيجة تلك الحروب ان استقلت الشعوب البلقانية تدريجاً وخرجت من تحت النير التركي وتمكن النفوذ الروسي في البلقان

اما في الداخل فقد حدثت ثورتان في بولونيا (١٨٣٠ و١٨٦٢) وتم تحرير الارقاء (١٨٦١) وهو اصلاح اجتماعي عظيم الشأن . وكثرت القلاقل الداخلية

في أثناء ذلك القرن وتألفت الجمعيات الفوضوية والارهابية لحمل الحكومة على منح النظام الدستوري للشعب الروسي ولكن تلك المساعي ذهبت ادراج الرياح الى ما بعد الحرب الروسية اليابانية اذ امر القيصر نقولا الثاني بتأليف مجلس الدوما

وقد حكم روسيا منذ اول القرن الماضي الى اليوم خمسة قياصرة هم :

(١) اسكندر الاول (١٨٠١ — ١٨٢٥) وهو الذي عاصر نابليون

(٢) نقولا الاول شقيق السابق (١٨٢٥ — ١٨٥٥) وهو مثال الحكام المستبدين . انتصر على الاتراك اولا سنة ١٨٢٩ ثم كسر في حرب القرم

(٣) اسكندر الثاني ابن السابق (١٨٥٥ — ١٨٨١) ويسمى القيصر المحرر لانه حرر الارقاء

(٤) اسكندر الثالث (١٨٨١ — ١٨٩٤) وهو مؤسس الاتفاق بين فرنسا وروسيا

(٥) نقولا الثاني : القيصر الحالي

ولنلق الآن نظرة اجمالية الى تاريخ روسيا في زمن هؤلاء القياصرة :

استلم اسكندر الاول زمام روسيا وقد خطت شوطاً بعيداً في سبيل المدنية والارتقاء والاتساع المادي والادبي بفضل اسلافه ولاسيما بطرس الاكبر وكاترينا الثانية . فاخذ على نفسه اتمام ما بدأ به أولئك المصلحون . فنظم الوزارات وألف مجلساً استشارياً للامبراطورية وأنشأ جامعات خاركوف وسان بطرسبرج وقازان . واتحد هو والنمسا وبروسيا على نابليون ولكن عبقرية نابليون بهرته وجذبته فامضيا اتفاق تلست سنة ١٨٠٧ وأصبحا صديقين . غير انه ما لبث ان رفض الخضوع للحصر البحري الذي أعلنه نابليون على انكلترا فاكتسح نابليون روسيا ودخل موسكو ولكنه اضطر الى الرجوع عنها أثر احراقها ورداءة الطقس فطارده الروس حتى أسوار باريس . وفي مؤتمر باريس (سنة ١٨١٥) أقر تقسيم بولونيا ونالت روسيا حصتها منها . وكانت روسيا قبل ذلك قد انتزعت مقاطعة فنلندا من أسوج (١٨٠٩) وبسارابيا من تركيا (١٨١٢) . وأصبحت روسيا عقب انكسار نابليون روح الاتحاد المقدس الذي رمى الى ارجاع اوربا الى ما كانت عليه قبل حروب نابليون ، والى محاربة الافكار الحرة . على ان الجمعيات السرية كثرت في روسيا وانتشرت انتشاراً عظيماً ولا سيما أثر موت القيصر اسكندر الاول (١٨٢٥)

ولكن نقولا الاول قمعها بشدة ووطد سلطته الاستبدادية . ثم وسع روسيا من جهة القوقاز وما لبث ان حمى الرومانيين والسرب واليونانيين ودفع عنهم مظالم الاتراك وتقدم بجيشه الى ادرنه وأجبر الحكومة التركية على تصحيح الحدود ومنحه حرية المرور في الدردنيل والبوسفور . وفي سنة ١٨٣٠ ثار البولونيون فقمع ثورتهم ثم أمضى مع بروسيا والنمسا اتفاقاً لتوطيد السلطة الرجعية الاستبدادية . وفي سنة ١٨٤٨ ساعدت روسيا النمسا على قمع الثورة المجرية . ولما نشبت الحرب بين روسيا وتركيا خافت فرنسا وانكلترا من توسع روسيا فاتحدتا عليها فقُهرت روسيا في سباستوبول واضطرت الى امضاء معاهدة باريس وبها أعادت قطعة من بسارابيا الى تركيا وأضاعت سلطتها في البحر الاسود

على ان القيصر اسكندر الثاني أخذ على عاتقه الانتقام لهذا الفشل . فحسن أحوال مملكته وماليتها ومحاكمها وطرق مواصلاتها ثم الغى الاسترقاق الذي كان منتشراً في روسيا انتشاراً عظيماً . وفي سنة ١٨٦٢ نشبت ثورة بولونيا ثانية فقمعت بغاية الشدة والقسوة . ومن جهة الشرق واصلت روسيا فتوحاتها فاتمت الاستيلاء على القوقاز ثم وسعت أملاكها في الشرق الاقصى وآسيا المتوسطة . واغتنم القيصر اسكندر الثاني فرصة انكسار فرنسا في حرب السبعين لتنقيح معاهدة باريس فنال الحق في إنشاء أسطول حربي في البحر الاسود . ولما أعلنت السرب والجبل الاسود الحرب على تركيا سنة ١٨٧٦ رأى اسكندر ان الوقت قد حان للثأر بروسيا عن انكسارها في حرب القرم فقطعت الجيوش الروسية الدانوب ووصلت الى أبواب الاستانة فاضطرت تركيا الى امضاء معاهدة سان ستفانو ولكن الدول اذ ذاك دخلت في الامر وجمعت مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ وهو الذي وضع الاساس لاستقلال الشعوب البلقانية . وقد كان في نية اسكندر الثاني ان يمنح رعيته الاصلاح الذي أنشدته ولكنه ما عتم ان قتله أحد الفوضويين العدميين في ١٣ مارس سنة ١٨٨١

فحدث اذ ذاك رد فعل في زمن اسكندر الثالث ولم تتم الاصلاحات المطلوبة . وأهم ما يذكر عن هذا القيصر انه تقرب من فرنسا ووضع اساس الاتفاق الروسي الفرنسي . وقد توطد ذلك الاتفاق في زمن ابنه نقولا الثاني القيصر الحالي

القيصر نقولا الثاني

هو القيصر الثامن عشر من أسرة رومانوف التي ما زالت تحكم روسيا منذ جلس

على العرش مؤسسها نخائيل رومانوف سنة ١٦١٣ . ولد سنة ١٨٦٨ وهو اكبر انجال اسكندر الثالث ووالدته ابنة ملك الدانمارك . وتولى الملك بعد وفاة والده في اول نوفمبر سنة ١٨٩٤ . وفي ٢٦ من ذلك الشهر نفسه تزوج بالبرنسس الكسندرة ابنة غراندوق هيس التي كان خطبها بحضور والده أثناء مرضه الاخير . وقد ولد له أربع أناث أولغا وتاتيانا وماري وانستاسيا وولد هو الغرندوق الكسيس ولي العهد المولود سنة ١٩٠٤

واذا نظرت الى مساحة الامبراطورية الروسية والى عدد سكانها وعلمت مقام القيصر عند رعيته وتجليلهم اياه وما لمركزه من الصبغة الدينية أيقنت انه أعظم ملوك الارض سلطة وأوسعهم نفوذاً وارفعهم مقاماً في اعين رعيته وخصوصاً عامة الشعب فانهم ينظرون اليه نظرهم الى ما هو أرقى من البشر . هذا فضلاً عن ثروته الشخصية فانه يتعذر تقديرها ويعده البعض أغنى رجل في العالم

على أن تلك العظمة لم تنسه شيئاً من مكارم الاخلاق فهو مشهور بحنوه ودعته . وحياته البيتية مثال في رقة الجانب والرأفة حتى على الخدم والاعوان

ولا يخفى ما يستدعيه ملكه الواسع من السهر والعناء . قال البرنس لوبانوف الوزير الروسي الشهير « ان ادارة هذه المملكة لا يستطيعها رجل من البشر مهما تكن قوته » . وقد أحس القيصر هذا الحمل الثقيل أثر وفاة والده فاصبح بعد توليه الملك هادئاً كثير التفكير قليل الكلام

وهو نحيف البدن ولا سيا بالقياس على والده الذي كان قوي العضل عامر البنية. وكذلك كان معظم سلالة رومانوف اقوياء الاجسام فكان طول بطرس الاكبر نحو سبع اقدام . ونقولا الاول كان اطول اهل مملكته . أما القيصر الحالي فلم يرث قامة اجداده فانه دون الربعة طولا وهو اقصر من امرأته

وتثقف القيصر في حداثته تحت ادارة الجنرال دانيلوفتش. وفي سنة ١٨٩٠—١٨٩١ قام بسياحة في اليونان ومصر والهند وسيلان واليابان حيث اوشك ان يذهب ضحية فوضوي ياباني . والقيصر مشهور بميله السلمي بالرغم من انه تربى تربية عسكرية كسائر اولياء العهد في روسيا . ومن مظاهر ميله السلمي انه اصدر الدعوة الى مؤتمر الهاي الاول . وهو الذي وطد الاتفاق الودي بين روسيا وفرنسا. ولكنه اضطر الى خوض غمار الحرب الروسية اليابانية رغم ارادته وأمرها مشهور . وعلى أثرها منح الشعب

الروسي مجلساً نيابياً هو مجلس الدوما وقد انحل هذا المجلس غير مرة

ولي العهد

ولد ولي العهد الغراندوق الكسيس نيقولا يفتش في ٣٠ يوليو سنة ١٩٠٤ وقد كان ينتظر الروس بفروغ صبر ولداً ذكراً للقيصر . وتنصر في اليوم الثاني عشر من ولادته باحتفال عظيم . وكان يرتدي ثوباً ابيض وازرق وهو راكب عربة مذهبة يجرها ثمانية جياد . وقد كان عرابوه ملك الدانمارك وامبراطور المانيا والملك ادوارد والغراندوق الكسيس . وفي اثناء التعميد رفع الطفل يده كأنه يبارك الحاضرين فاعتد العامة هذه الحركة فألا حسناً كما اعتدوا ايضاً تساقط المطر اثر الاحتفال

وقد نال ولي العهد وهو لا يزال حدثاً القاب شرف عسكرية من دول مختلفة وهو رئيس الشرف لعدة فرق من الجيش الروسي . وبالرغم من ضعف صحته يقال عنه انه ميال الى المشاهد الحربية والبحرية

روسيا في هذه الحرب

قال المستر ستانلي واشبرن مكاتب التيمس الحربي المرافق للجيوش الروسية « ان ما يعلمه العالم عن روسيا اشبه شيء بجبال الثلج العائمة على الماء . فانك لا ترى الا ثمنها ظاهراً فوق سطح الماء وسبعة الاثمان الاخرى تبقى محجوبة عن النظر تحته . والذي اعتقده ان الجزء الاكبر من جهد روسيا وتضحياتها في هذه الحرب لا يقدر حق قدره في خارج روسيا » وقد ذكر الكاتب في المقالة التي اخذنا عنها هذه الفقرة ما نال روسيا من هذه الحرب ليس بالنسبة الى نفسها فقط بل بالنظر الى خطوط الحلفاء المشتركة . واول ما ذكره من هذا القبيل ان خلاص باريس في اول الحرب انما كان نتيجة هجوم الروس (قبل الاوان) في بروسيا الشرقية . وكذلك حدث عند هجوم الالمان على كاليه . واسترسل الكاتب في بيان جهد روسيا وبذلها نفسها في مواقف مختلفة وبين اسباب تقهقرها في السنة الماضية وكيف تم هذا التقهقر بادارة الغراندوق نقولا يفتش الذي استحق بمهارته وقتئذٍ أن يعد من اكبر القواد في التاريخ

على أن روسيا ما برحت تشكو منذ اول الحرب من قلة ذخائرها . ولكنها انصرفت الى سد هذا النقص اولا بانشاء المصانع في بلادها وثانياً بجلب ما يلزمها من

الخارج . وقد اضطرت في هذا السبيل الى انشاء موانئ وطرق مواصلات جديدة لان معظم الطرق القديمة أصبحت مسدودة بسبب اقفال الدردنيل والبوسفور وحياد اسوج ونروج وحصر البحر البلطيكي . فلروسيا الآن اربع منافذ وهي :



منافذ روسيا

(١) سكة حديد سيبيريا — وطولها ٦٦٧٧ ميلا . وكان الروس قد شرعوا في جعل هذا الخط مزدوجاً فلما نشبت الحرب ارسلت الحكومة ألوفاً من العمال لاتمام هذا العمل بسرعة وقد تم اخيراً واخذت الذخائر ترد على ميناء فلاديفستوك من اميركا واليابان وانكلترا . وقد كان هذا الميناء ضيقاً لايسع حركة البواخر الناشئة عن توريد الذخائر فوسع اخيراً واصبحت مساحته ثلاثة اضعاف ما كانت

وقد انشأت روسيا ايضاً ميناء آخر على المحيط الباسيفيكي شمالي فلاديفستوك هو ميناء نقولايفسك الكائن على مصب نهر آمور . فالذخائر ترسل منه اولا في النهر الى مدينة ستريتنسك المتصلة بالسكة الحديدية السيبيرية

(٢) طريق اركنجل — كانت اركنجل مدينة قليلة الشأن فلما نشبت الحرب اتسعت اتساعاً عظيماً واصلح ميناؤها . وقد كان ينتهي اليها خط حديدي ضيق فوسع واصلح ولا تقتصر هذه المدينة على توريد الذخائر بل اصبحت روسيا الآن تصدر منها كميات كبيرة من حاصلاتها . وقد فتحت اخيراً طريق للاوتوموبيل تؤدي اليها فضلاً عن السكة الحديدية

(٣) السكة الحديدية بين مدينة نارفيك وهي ميناء على شاطئ نروج وتورنيا على حدود روسيا (ومنها الى بتروغراد) . ولم تكن هذه السكة تامة فقد كانت البضاعة تنقل مسافة في البحر عند خليج بثنيا ولا يخفى ما في ذلك من التعطيل والخطر . فلما نشبت الحرب اتمت السكة واصبحت متواصلة

(٤) الميناء الجديد على البحر المتجمد الشمالي . كان ميناء اركنجل ابعد ميناء لروسيا شمالا . وهو كما لا يخفى يبقى معطلا جانباً من السنة لسبب الثلج . وقد افتتحت روسيا حديثاً ميناء نوفو الكسندروفسك على خليج كاترينا وهو ابعد شمالا من اركنجل ولكنه مع ذلك يظل مفتوحاً للملاحة طول السنة بفضل تيار الغولف ستريم Gulf Stream الذي لا تجمد مياهه . وهذا الميناء متصل بتروغراد بسكة حديدية أنشئت بسرعة غريبة تحت اشراف مهندسين اميركيين . وقد أصبح لهذا المنفذ شأن عظيم في عون روسيا

اقوال في اللسان

اللسان الحاد هو الآلة الوحيدة التي تزداد حدة كلما قدم الزمان عليها
واشنطن ارفنغ

يستطيع الكثيرون ان يسيطروا على الناس لو عرفوا كيف يسيطرون على لسانهم

قلب الغبي على لسانه أما العاقل فلسانه في قلبه

كما أن الاطباء يفحصون اللسان لمعرفة صحة الجسد كذلك الفلاسفة يفحصونه لمعرفة صحة العقل

اذا لم تفه بكلمة لن تجد من ينقلها عنك

الرشيد وشارلمان

أو علاقة العرب بدول اوربا ابان الحضارة الاسلامية

﴿ العلاقة بين خلفاء العرب وملوك اوربا ﴾ لما قام العرب بفتوحاتهم العظيمة وتوغلوا في اسيا وافريقيا واوربا وانتصروا على ممالكها وافتتحوها في بضع عشرة سنة على اسلوب لم يسبق له مثيل أذهلوا العالم وكأنهم بغتوا اهله وهم في خمول فارادوا صدهم فعجزوا عن ذلك . وما لبثوا ان شاهدوا حضارتهم وعظمتهم وعمران مملكتهم الواسعة الاطراف واشتغالهم بالعلوم والفنون والصناعة والتجارة والرحلة فهابوهم وأخذوا يتقربون اليهم بالوفود والهدايا الى المدينة فدمشق ثم اصبحت بغداد مجتمع الوفود القادمين من اطراف العالم من الهند والصين وممالك اسيا وافريقيا ومملكة الروم وغيرها من ممالك أوربا

على ان الوفود والعلائق بين خلفاء المسلمين وملوك اوربا — واعظمهم يومئذ الروم والجرمان والافرنك والاسبان — كانت أكثر واوثق منها مع سواهم

أما الروم وهم ملوك القسطنطينية فكانت المخابرة متواصلة بينهم وبين المسلمين من أيام بني أمية إما لصلح أو مهاداة أو مفاداة . والحرب كانت سجالاً بين الفريقين على الحدود أو في البحار . وقد حاصر الامويون القسطنطينية غير مرة ولم يفتحوها ولكنهم فتحوا بلاداً أخرى من أوربا واوقعوا الرعب في دول الافرنج ، وكذلك بنو العباس فان الرشيد أخذ الجزية من ايريني صاحبة القسطنطينية . وقد كانت هدايا ملوك الروم الى دار الخلافة متواصلة واكثرها من السيوف والثياب والاطياب والذهب وغيرها . منها هدية بعث بها قيصر الروم ميخائيل الثاني الى المأمون وفيها تحفة سنية من جملتها مائة رطل مسك ومائة حلة سمور وغيرها من الهدايا والوفود الكثيرة. وكان الخلفاء أيضاً يوجهون وفوداً من عندهم في مراسلة أو مخابرة . وممن سار في ذلك القاضي الاشعري المعروف بابن الباقلاني انفذه عضد الدولة سنة ٣٧١ هـ الى قيصر الروم في رسالة فاظهر في بلاط القيصر انفة زادت مقام المسلمين عندهم كما ترى في ابن الاثير (ص ٦ ج ٩)

أما الاسبان وملوك الافرنج فكانت العلائق اكثر وثوقاً بينهم وبين ملوك الاسلام

وعلى الاخص في الاندلس لان قياصرة القسطنطينية كانوا يتقربون من الخلفاء الامويين في قرطبة ليستنصروهم على العباسيين اعداء الجانبين . حتى أن تيوفيلوس ملك الروم المعاصر لعبد الرحمن الاوسط هاداه سنة ٢٢٥ ﻫ وكتب اليه يرغبه في ملك المشرق من أجل ماضيق عليه به المأمون والمعتصم وقد ذكرهما في كتابه له وعبر عنهما بابن مراجل وابن ماردة تحقيراً لهما بالانتساب الى أمهات من الجواري . فكافأه عبد الرحمن عن الهدية وبعث اليه يحيى الغزال شاعره وأحد كبار دولته فاحكم الصلة بينهما . ولما تولى الخليفة عبد الرحمن الناصر واوطأ عساكر المسلمين من بلاد الافرنج ما لم يطأه أحد من اسلافه تقدم اليه ملوكهم بالطاعة وتقربوا بالهدايا فاوفدوا رسلهم وهداياهم من رومية والقسطنطينية وغيرها على سبيل المهادنة والسلم . ووصل الى بابه الملوك من الاسبان المتاخمين لبلاده بجهات قشتالة وبنبلونة وما ينسب اليهما من الثغور الجوفية فقبلوا يده والتمسوا رضاه واحتقبوا جوائزه وامتطوا ركبه ، وتوالت الهدايا على عبد الرحمن الناصر من سائر ملوك الاسبان وقياصرة الروم وملوك الافرنج والجرمان على ما فصله صاحب نفح الطيب مما يضيق بذكره المقام

وقس على ما تقدم علائق ملوك اوربا بسائر خلفاء المسلمين وملوكهم فكانت هدايا قيصر القسطنطينية ترد على صاحب مصر ولا سيما في زمن الفاطميين بعد ان ضخمت دولتهم . منها هدية بعث بها الامبراطور قسطنطين التاسع الى المستنصر بالله الفاطمي سنة ٤٣٧ ﻫ اشتملت قيمتها على ثلاثين قنطاراً من الذهب الاحمر كل قنطار في عشرة آلاف دينار

وذكر المقريزي (١٠٧ ج ٢) ان رسول الروم كان اذا قدم القاهرة نزل عند باب الفتوح ولا يزال يقبل الارض وهو ماش حتى يصل القصر الكبير مقر الخليفة

هذه لمحة وجيزة عن العلائق بين خلفاء المسلمين وملوك اوربا الا ان امتن هذه العلائق واعظمها واشهر حوادث المهاداة بينهم كانت بين الرشيد وشارلمان

وسنبسط في هذه المقالة تاريخ هذه العلائق وتفصيل مهاداتهم ووفودهم ومرامي سياستهم وما كان من الاتصال بين اهل اوربا والعرب في ذلك الوقت وكيف بدأ أولئك يقتبسون علوم هؤلاء وآدابهم ويحذونهم في اسباب مدنيتهم قبل بزوغ التمدن الحديث ببضعة قرون

شارلمان والرشيد

تبدأ العلائق الودية بين العرب وأهل اوربا وعلى الاخص الافرنج والجرمان من القرن الثامن للميلاد في زمن پيبين القصير فقد ارسل سنة ٧٦٥ سفارة الى الخليفة المنصور عادت اليه بعد ثلاث سنوات مع وفد اسلامي يحمل هدية فاخرة ، لكن أوثق هذه العلائق كانت في عهد هارون الرشيد وصديقه شارلمان . وقبل ان نبدأ بذكر المودة التي كانت بين هذين الرجلين وما كان من تبادل الهدايا بينهما نأتي بكلمة عن حالهما ووصف عهدهما ومملكتيهما فنقول :

﴿ شارلمان واوربا ﴾ يتنازع الجرمان والفرنسيون اسم شارلمان في تعداد ملوكهم فهو من جهة مؤسس الامبراطورية الجرمانية كما انه من جهة اخرى تنسب اليه الدولة الثانية من دول الافرنك ملوك فرنسا وهو حفيد شارل مارتل ناظر سراي الملوك الفرنسيين من اسرة الميروفنجيان الذي حارب العرب وقهرهم في واقعة بواتييه تلك الحرب التي استيقظت بسببها فرنسا من غفلتها واجتمعت كلمتها على شارل مارتل فاستبد بالامر وصار الآمر الناهي في المملكة دون الملوك الاصليين ولا سيما بعد ان صد العرب وكانوا قد فتحوا اكثر من نصف فرنسا وكادوا يلتهمونها كلها . الا ان شارل مارتل لم يتمكن من التملك على الفرنسيين لشدة ظلمه لكنه يعد واضع اساس الدولة الثانية في ملك الافرنج اعني دولة كارلوفنجيان التي نسبت الى حفيده شارلمان بن پين بن شارل مارتل. وبيان ذلك انه لما مات پين جلس مكانه على كرسي ملك الافرنج ابنه شارلمان سنة ٨٤٢ — ٨١٤ م ومعناه « شارل الكبير » فنسبت اليه هذه السلالة الثانية من ملوك الافرنج وقيل لها (كارلوفنجيان) اي آل كارلو لان اسم شارل يلفظ بصور مختلفة حسب اللغات واللهجات فالالمان يلفظونه كارل وعند الاسبان كارلوس وعند الانجليز تشارلس . جلس شارلمان معاصر الرشيد هذا على عرش الملك ففتح ممالك لومباردية وعاصمتها ميلان وهي القسم الشمالي من ايطاليا وكان بين ملوكها وبين باباوات رومة عداوة وضغائن فسر البابا لذلك وبارك شارلمان ثم اتبع ذلك بفتح بافاريا وساكسونيا وهما من ممالك المانيا واخضع ايالة اكيتانيا التي كانت ميداناً ترمح فيه غزاة العرب . فجمع شارلمان في حكمه بين فرنسا والمانيا وايطاليا ومزج الاقوام الجرمانية بالاقوام الرومانية وهم الذين كانوا في حكم الرومان وقد جعل عاصمته اكس

لا شابل وهي على نهر الرين بالمانيا وزينها بالقصور والمباني الفخمة ولذلك يعتبره الالمانيون في عداد ملوكهم كما يعتبره الفرنسيين

وفي سنة ٧٧٨ م (١٦٢ ﻫ) تجاوز شارلمان بعساكره جبال البيرينه فضبط ولاية نافار وولاية قطلونيا وتقدم على ضفاف نهر ايبرحتى بلغ مدينة سرقسطة مركز ولاية اراغون والقى الحصار عليها وكانت بيد المسلمين فبعث اليه عبد الرحمن الاول الاموي الملقب بالعادل بجيش منظم طرد به عساكر شارلمان وارجعها الى ما وراء البيرينه . ثم دامت هذه الحروب طويلاً بين عرب اسبانيا وجند شارلمان الا ان الافرنج لم ينالوا من ورائها ربحاً كبيراً في تلك الجهات . وبالجملة ان شارلمان لم يتمكن من اسبانيا ولكن حكمه كان نافذاً في عموم اوربا الغربية وكان البابا وجميع الاكليروس يميلون اليه ويرغبون في اعادة نفوذ امبراطورية الرومان الغربية ليضاهوا بذلك الامبراطورية الشرقية القائم بها قياصرة الروم وليحصلوا على النفوذ الذي حصل عليه بطارقة القسطنطينية وكهنتها ، ولذلك رغب البابا في تتويج شارلمان فدهنه بالزيت المقدس والبسه تاج الامبراطورية في اواخر القرن الثامن اي سنة ٨٠٠ للميلاد (١٨٤ ﻫ)

وكانت اوربا اذ ذاك في ابان ظلمتها وقد قامت الشحناء فيها بين رجال السياسة ورجال الدين وكانت الكنيسة في خطر من تيار برابرة الجرمان الذين هبطوا على المملكة الرومانية من الشمال واكثرهم كان يدين بالاريوسية فوقع نزاع بين الاريوسية والكنيسة الرومانية فكان شارلمان من اكبر انصار هذه الكنيسة فجمع شتات شعوبها وايدها ووقف دون تيار الاريوسية وهو انما استطاع ذلك بما اختص به شخصه من المواهب السامية .

هذه كانت حال اوربا في عصر شارلمان من الجهل والانحطاط وانطفاء منار العلوم والآداب التي اندرست وانقرضت بانقراض الرومانيين فضلاً عن العداوة والمشاحنات الدينية التي كانت بين الملل الغربية والشرقية

﴿ الرشيد ودولة العرب ﴾ ليس بين قراء التاريخ من يجهل ما بلغته الدولة العباسية من منتهى العز والرفعة واوج الكمال على عهد الرشيد وما بلغه العرب يومئذ من الرقي وقد كانوا في ابان مجدهم وحضارتهم وقد امتدت دولهم الى اطراف الهند وحدود الصين شرقاً الى اقاصي بلاد المغرب غرباً ومن اعالي بلاد التتر وماوراء النهر شمالاً الى اواسط افريقيا جنوباً . وقد غصت بغداد بالعلماء والحكماء والاطباء

والفلاسفة وقصدها طلاب المعرفة ورجال العلم من الشرق والغرب . فالتق فيها الطبيب الفارسي والحكيم الهندي والمترجم العراقي والسوري والعالم المصري والمغربي وعقدت مجالس الادب والشعر وبعث ملوك الارض يخطبون صداقة الرشيد وفي جملتهم شارلمان معاصره وصديقه . ولهذه الصداقة اسباب ومصالح سياسية نأتي عليها

اساس المودة بينهما

اصبح شارلمان في اوربا اعظم ملوك زمانه اعترف له بذلك العدو والصديق فكان كما تقدم قد مهد دولة عظيمة فيها واعاد مجد قياصرة الرومان وامتدت امبراطوريته من البحر البلطيكي والبحور الشمالية شمالا الى شمال اسبانيا واواسط ايطاليا جنوباً ومن الاطلانتيك غرباً الى نهر اودر شرقاً . الا انه كان مع ذلك دائم الفكر والقلق من هجوم اهل الاسلام عليه متخوفاً انحدار هذا السيل الجارف من العرب ثانية على مملكته واوربا برمتها من جهة الجنوب بعد ان صدهم جده في المرة الاولى . فاخذ من جهة يحارب كما سلف الخلفاء الامويين الذين جددوا الدولة الاسلامية في الاندلس ومن الجهة الاخرى يسعى في احكام صلات المودة والاتفاق بينه وبين عدوهم اللدود هارون الرشيد خليفة العباسيين ، كما ان قياصرة القسطنطينية كانوا يتقربون في ذلك الوقت من الخلفاء الامويين في قرطبة يستنصرونهم على العباسيين اعداء الجانبين كما مر . فشارلمان لم يتقرب من الرشيد ولم يجب هذا طلبه ويبادله الصداقة والمودة الا عملاً بما تتطلبه مصالحهما السياسية التي كان محورها الامور الآتية:

(١) ارادة شارلمان ان يجعل العرب من جهته قياماً من جانبهم ويقوى على الدولة الاموية في الاندلس

(٢) رغبة الرشيد في اضعاف هذه الدولة الخارجة على دولته والمحاربة من وجه عائلته حتى يتسنى له ضم الاندلس الى مملكته الواسعة الاطراف

(٣) آمال شارلمان التي كانت منصرفة الى أسقاط دولة القيصر في القسطنطينية او على الاقل جعل دولته متقدمة عليها في اوربا . ولذلك سر كل السرور بالفوز العظيم الذي ناله هارون الرشيد في حروبه في ذلك الوقت مع عدوه قيصر الروم

(٤) رغبة الرشيد ايضاً في اضعاف دولة القيصر هذا بالاتفاق مع شارلمان اكبر ملك مسيحي في ذلك الوقت فيجعل اوربا من جهته

(٥) رغبة شارلمان وسعيه في حماية المسيحيين الموجودين في الشرق الاسلامي تحت حكم الرشيد.

(٦) حماية زائري القدس الشريف من حجاج المسيحيين

فنرى ان اساس مودتهما هو اتفاق مصالحهما وآرائهما وميولهما السياسية من جهة اعدائهما اعني دولة القيصر في شرق اوربا والدولة الاموية في غربها ، كما ان هاتين الدولتين ايضاً كانتا على اتفاق في ذلك الوقت عليهما وقد تبادل ملوكهما الهدايا وكثرت بينهما الوفود والسفارات بقصد نصرة احدهما الآخر على اعدائهما . فكان كل اثنتين من الاربع الدول العظمى في العالم القديم كانتا على وفاق واتحاد او شبه محالفة بينهما ضد الدولتين الاخريين على ما يقتضيه التوازن وتستدعيه المصالح

فكانت الخلافة العباسية في عهد الرشيد والامبراطورية الغربية في عهد شارلمان من جهة والخلافة الاموية في الاندلس ودولة قياصرة الروم في القسطنطينية من الجهة الاخرى . وكل من الحليفتين احداهما اسلامية والاخرى مسيحية ، الاولى في الشرق والاخرى في الغرب . ومما سهل الاتفاق بين كل من الحليفين أو الصديقين اولاً : ما كانت فيه كل منهما في ذلك العهد من الظروف السياسية المتشابهة . فقد كان الرشيد في حرب مع قيصر الروم كما كان شارلمان في حرب مع الدولة الاموية . ثانياً : عدم تحاك مصالحهما فقد كانت كل منهما بعيدة عن الاخرى بعداً عظيماً يبعدها عن الطمع في املاك حليفتها بعكس ما اذا كانتا متجاورتين متقاربتين فان التجاور والتقارب يوجد العداوة والبغضاء والطمع

فهذه هي المصالح والاسباب السياسية التي بعثت شارلمان على التقرب من الرشيد واوثقت عرى المودة والاتفاق بينهما

السفارات والهدايا

لما كانت الخلافة العباسية في ذروة مجدها على عهد الرشيد وبلغت ما بلغته من الرقي والحضارة والاتساع والشهرة كما قدمنا وذاع اسم الخليفة في سائر انحاء العالم أخذ شارلمان لما له من المصالح يتقرب الى الرشيد في جملة من تقرب اليه من ملوك الارض بالوفود والسفارات والهدايا

هذا ولم يرَ شارلمان في مملكته الضارب في كل انحائها الجهل من يصلح لرئاسة

وفده وتمثيله عند الرشيد غير اليهود اذ كانوا هم الصلة بين العرب والافرنج . وكان فن الطب وغيره من العلوم اذ ذاك في يدهم وكانوا قد حصلوا هذه العلوم في الممالك الاسلامية وساروا بها الى اوربا فانتخب شارلمان منهم عالماً عظيماً يقال له اسحاق وارسله مع سفارة مؤلفة من سفيرين فرنسيين اسم احدهما Lantfrid والآخر Sigismond برسالة مصحوباً ببعض التحف والهدايا الى هارون الرشيد . فلما وصل الوفد الى مملكة الرشيد كان الخليفة يحارب قيصر الروم ، فاحسن ضيافته واكرم مثواه

وقد تقدم اليه هذا الوفد بطلب شارلمان وهو الاذن بتسهيل طرق الحجاج من النصارى وضمانة متاجرهم في الشرق فاجاب الرشيد طلبه بالرخصة لحجاجهم في زيارة بيت المقدس . وبعث الى شارلمان بهدية فاخرة وبعد أربع سنين عاد الوفد الى شارلمان وكان وقتئذ في مدينة روانة التي كانت بمثابة عاصمة لايطاليا . فجاءه اسحاق ومعه السفيرين الفرنسيين ومعهم ثلاثة من اكابر امراء هارون الرشيد فابلغوه مودة الرشيد واكرامه واجابته طلبه وحملوا اليه انتصارات الخليفة على قيصر الروم وتوغله في بلاده فسر لذلك شارلمان وقابل بمزيد الحفاوة والاكرام سفراء الرشيد فقدموا اليه هداياه الفاخرة وكان منها فيل عظيم وبعض الحيوانات الغريبة وسرادق كبير من الحرير وبعض أقمشة نفيسة وفيها ساعة دقاقة وشطرنج لم يزل بعض أحجاره محفوظة في المكتبة الاهلية بباريس وهي من العاج دقيقة الصنع والقطعة منها كبيرة الحجم . أما الساعة فكانت احدى اختراعات العرب ، اذ هم أول من استعمل الساعة لمعرفة الزمن ، وكانت هذه الساعة التي أهداها هارون الرشيد الى شارلمان دقيقة الصنع اذا حانت الساعة واحدة خرج منها فارس فدق ناقوسها مرة واذا حانت الثانية خرج فارسان فدقا دقتين وهكذا حتى اذا حانت الرابعة والعشرين خرج أربعة وعشرون فارساً فدقوا الناقوس أربعة وعشرين مرة . فلما نظرها جهلاء الافرنج تعجبوا منها واوقعهم امرها في الحيرة والدهشة فظنوها من الامور السحرية وهموا بكسرها فمنعهم الامبراطور من ذلك . ثم ارسل شارلمان الى الرشيد هدايا اخرى مع سفرائه بعد ان اكرم مثواهم . وكان ذلك قبل موت الرشيد بسنة أي في سنة ١٩٢ هـ (٨٠٧ م) وتوفي شارلمان بعد ذلك بسبع سنين أي سنة ٨١٤ ميلادية . ودامت هذه العلائق الودية في عهد لويس التقي فقد كان بينه وبين الخليفة المأمون سفارة ارسلها اليه سنة ٨٣١

الاحتكاك والتواصل بينهما

كانت نتيجة الاحتكاك والتواصل بين شارلمان والرشيد بالوفود والسفارات ونتيجة احتكاك الافرنج بالعرب في جنوب فرنسا واسبانيا أن سعى شارلمان بكل ما في وسعه لاصلاح وتجديد قوانين دولته وشرائعها وأصولها مقلداً هارون الرشيد وخلفاء الاندلس في نشر لواء العلوم والمعارف . وبذل في ترويج سوقها في اوروبا جهداً عظيماً . لكنه مع ما بذله من ذلك كان يرى فرقاً كبيراً وبوناً عظيماً بين مملكته ومملكة العرب من حيث العلم والمدنية . لان العلم في أوروبا كان محصوراً في الاديار قاصراً على المواضيع الدينية بما دخلها من المبالغات والخرافات . وأقتصر أصحاب العقول والقرائح على الجدال والمناقشة واكثر معولهم على الالفاظ . فاقتدى شارلمان بصديقه ومعاصره فقرّب اليه الشعراء والعلماء واكبرهم « الكوين » الشاعر العالم واكثر من نبغ في اوربا في ذلك العصر وما يليه من تلاميذه . فاحدث نهضة حسنة في العلم والادب وكان الكوين ممن تلقى العلم عن العرب . اذ كثير من الافرنج تلقوا العلم في مدارسهم . فعهد شارلمان الى بث روح الاصلاح على يد مجمع علمي رئيسه الكوين هذا

فادخلوا في مدارس الاديرة وغيرها علوماً ترقي العقل كالتي كانت تلقى فى بلاد المسلمين . لكنها لم تثمر لان الامة لم تكن مستعدة لهذه الفروع العالية فاتتها قبل اوانها والشعب جاهل مقصر حتى فى مبادئ العلم الاولية . فكأنما جاء شارلمان يطلب اصطلاحهم قبل الوقت اللازم فذهب سعيه عبثاً . فلما مات عادت الاحوال الى ما كانت عليه وظلت أوربا في ظلمات الجهالة حتى عصر فريدريك والحروب الصليبية . فان فريدريك الثاني لما افضت اليه المملكة وكان قد تثقف على ايدي اساتذة من العرب شب على احترام العرب وآدابهم فقربهم اليه واحسن معاملتهم فخدموه خدماً جزيلة فى السياسة والحرب والقضاء ولما اراد اصلاح مملكته كانوا ساعده اليمين فى نشر نور العرفان ومعاهد العلم والجامعات في اوربا التي يرجع اليه فضل السبق في تأسيسها واقبال الامم الافرنجية عليها ولم يزل كذلك متحدياً وسائل الرقي وضروب الاصلاح حتى مات سنة ١٢٥٠ في فيورنتينو قرب لوسيرا بين اعوانه واصدقائه وفيهم الاطباء والعلماء من المسلمين واليهود وغيرهم

عبد الفتاح عباده

غليوم وبسمارك

صفحة من تاريخ المانيا الحديثة

كان اول عمل سياسي خطير اتاه غليوم الثاني عقب جلوسه على العرش عزل بسمارك الوزير الداهية . وقد ظل تاريخ النفور بين هذين الرجلين غامضاً الى آخر القرن الماضي اذ كشف الغطاء ونشرت مذكرات وتفاصيل عنه اهمها مذكرات بسمارك نفسه . فلخطورة تلك الواقعة الشهيرة في تاريخ اوربا رأينا ان ننقلها مفصلة لقراء الهلال . وهي تدل على ما يجري احياناً بين اعاظم الرجال من الامور الصبيانية فضلا عن أنها درس مفيد يبين لنا اخلاق غليوم الثاني التي لم يطرأ عليها تغيير ما من ذلك الحين الى اليوم . ولا يستغرب ان الرجل الذي اساء معاملة اكبر سياسي عرفته مملكته يرمي بتلك المملكة في جحيم هذه الحرب

لا يسع الواقف على تاريخ النفور بين غليوم وبسمارك الا ان يحار في امره اذ لايدري ما هو ادعى لدهشته : أخبث غليوم وحيلته حتى اضطر خصمه ومنازعه السلطة الى التخلي عن منصبه أو تغفل ذلك السياسي المحنك الذي ظن ان لقب مستشار لايفارقه الا مع حياته !

وقد ظلت هذه الصفحة من تاريخ المانيا غامضة زمناً طويلاً : الا ان المستشار الحديدي لم يشأ ان يدفن ذلك السر في قبره الى الابد ، فاسرَّ في ذات يوم الى صديقه المؤرخ هانس بلوم تاريخ الدسائس التي دبرها له الامبراطور حتى اضطره الى التخلي عن منصب الاستشارة . قال المؤرخ :

« في يوم من سنة ١٨٩٣ اذ كنت مع بسمارك في مدينة فريدريكسرو عرض عليَّ فجأة أن يقص تلك الحكاية كما وقعت . فليتصوَّر القارىء عظم سروري عند هذا الاقتراح ! فاصغيت باشد الاشتياق لتلك المأساة التاريخية الشهيرة من فم أحد ممثليها . وفي مساء ذلك اليوم نفسه اغتنمت فرصة وجودي بالقطار الحديدي فدوَّنت ما قاله لي البرنس (بسمارك) حتى لايفوتني منه جملة . وبعد هذه المقابلة بايام قليلة كتبت اليه استأذنه بنشر تلك التفاصيل فاجاب « لا . ليس هذا وقتها . وانما يجوز لك نشر ذلك بعد موتي »

وكان كما شاء بسمارك . فان المؤرخ هانس بلوم انتظر وفاة المستشار ونشر تاريخ تلك المأساة المجونية التي مثلت في بلاط برلين والتي كان ضحيتها اكبر وزير ظهر في عصره وواضعها ومدبرها جلالة غليوم الثاني امبراطور الالمان وملك بروسيا

بدء النفور بين الامبراطور والمستشار

لم يكد غليوم يرتقي العرش حتى قال « سوف اكون بذاتي وزيري الاول » محتذيا قول لويس الرابع عشر اذ قال « أنا الدولة هي أنا » . فلما بلغ بسمارك هذا القول لم يعبأ به بل اعتبره زلة لسان . على ان غليوم ما لبث ان نفذ قوله . فكان اول اصطدام بين الرجلين في ميدان السياسة الخارجية التي كان يعتقد بسمارك ان نظره فيها لا يخطئ

فان المستشار قاوم بشدة « السياحات الحبية » التي نوى غليوم ان يقوم بها في روسيا وانكلترا واليونان وتركيا لانه اعتدها سابقة لاوانها . أما غليوم فكان يرمي الى استمالة القلوب خارج بلاده كما استمالها فيها واسر الملوك والوزراء في جميع الاقطار بحبه وحذقه . ومن اقوال المستشار لغليوم في هذا الشأن قوله « لا تسع يا مولاي ان ترضي الجميع فانه يتعذر عليك التوفيق بين لندن وبطرسبرج كما يتعذر الجمع بين الماء والنار . فكل كلمة تفوه بها في إحدى هاتين المدينتين سوف تحفظ وتكرر وتفسر بمعان كثيرة »

أما الامبراطور فكان يرمي بتلك النصائح الرشيدة عرض الحائط مستثقلا رقابة ذلك الوزير المحنك . وسرعان ما أعرض عن كلامه

بل انه ما لبث ان استاء من موظفي وزارة الخارجية الذين اختارهم بسمارك واستكشف فيهم من التغفل والجهل ما حمله على تبديل بعضهم واحالة غيرهم الى المعاش

وقد تمّ هذا الانقلاب ولم يؤخذ رأي المستشار في شيء منهُ . وهو حادث لم تعرف وزارة الخارجية الالمانية مثيلا لهُ في تاريخها . قال بسمارك لصديقه المؤرخ : « لقد تصدع خاطري أثر ذلك التغيير . فقد كنت اجد رجالا غير اكفاء في المناصب الخطيرة حتى اني سُلبت بذلك راحة النوم واصبح هذا الامر همي الوحيد في المدة الاخيرة من حياتي السياسية — بل وبعد تركي ميدان السياسة — لعلمي اني وحدي اعرف الصعوبات التي تعترض تدبير الامور الخارجية »

غير ان المستشار مع كل ذلك ظل متفائلاً وهو يعتقد ان طيش الشباب سوف يهدأ بعد حين . وقد كان فضلاً عن ذلك يعتمد على اعضاء وزارته ويظن انهم لن يتركوا شيخهم في نضاله مع الامبراطور

سفر بسمارك للاستشفاء

في هذه الاثناء — أي في اوائل سنة ١٨٩٠ — ثقلت وطأة الروماتزم على بسمارك فنصح له زملاؤه بالراحة والسكينة . واوفد اليه الامبراطور مستشاريه الخصوصيين يحثونه على العناية بأمر صحته ومغادرة برلين للابتعاد عن مشاغل السياسة . فأثر هذا الانعطاف في المستشار الشيخ وشكر ذلك الشعور الرقيق ولم يداخله مثقلة سوء وما لبث ان سافر هادئاً مطمئناً

على انه لم يكد يغرب عن برلين حتى دست الدسائس بتدبير الامبراطور على أمل ان تثير غضب المستشار ومقاومته عند رجوعه . وكانت الحالة تقضي بان ينشأ بين الامبراطور ووزيره خلاف شديد يظهر الثاني أثره بمظهر الملوم في نظر الامة . ولم يكن هذا بالامر السهل اذ لا يخفى ما كان عليه بسمارك من بعد النظر وطول الباع في حلبة الدهاء والسياسة

وكانت مسئلة العمال في ذلك الحين هي الشغل الشاغل لرجال السياسة الالمانية . فرأى الامبراطور ان يستميل حزب العمال اليه وان يمنحه الحقوق والمطالب التي يطلبها . وعلى عكس رأيه كان بسمارك الذي ما برح يقاوم تلك الحركة

ففي ٤ فبراير من سنة ١٨٩٠ شهد البلاط والجمهور في بروسيا وسائر الممالك والامارات التي تؤلف الامبراطورية امراً غريباً وانقلاباً عظيماً ! ففي ذلك اليوم نشرت الجريدة الرسمية قانوناً يختص بالعمال من غير توقيع بسمارك ! وهو اول مرسوم في تاريخ الامبراطورية لم يوقعه المستشار

فكانت النتيجة ان الاشتراكيين عدوا هذا العمل فوزاً مبيناً لهم . وقالت جريدة فوروارتس الاشتراكية : « لقد اتخذ الامبراطور منهج الديمقراطيين الاشتراكيين لانه عاجز عن مقاومتهم ، فجعل نفسه على رأس حزبهم وتولى زعامة حركتهم »

أما الوزراء فانهم شعروا عندئذ بحرج مركزهم اذ اصبحوا بين قوتين متنازعتين . فاختاروا الحياد وظلوا — كما قال بسمارك — يشاهدون المبارزة من دون أن ينحازوا الى أحد الجانبين

فنرى من ذلك ان بسمارك اخطأ في ظنه الاول واعتماده على معونة وزرائه . اذ ذاك امّل ان يستميل مجلس شورى الدولة ولكن أمله هذا ذهب ايضاً ادراج الرياح

منفى بسمارك

عند هذا الفشل لم يطق السياسي الشيخ صبراً على تلك الدسائس فأوقع نفسه في الشرك . ففي اجتماع المجلس في ١٣ مارس خاطب الامبراطور والوزراء بلهجة شديدة شفت عن غضبه وحنقه قال :

« بصفتي مستشاراً امبراطورياً ورئيساً لمجلس وزراء بروسيا لي وحدي الحق ان اكلم الامبراطور في شؤون الادارة والسياسة . فعلى كل الوزراء والرؤساء الآخرين ان يخبروني اولا اما شفاهاً او تحريراً عن المشروعات والقوانين التي يريدون رفعها فاعرضها على جلالته حتى يوقعها . بل علاوة على ذلك ينبغي لكل رئيس مصلحة يريد ان يقدم بنفسه تقريراً مستعجلا للامبراطور ان يخبرني سلفاً حتى احضر ذلك الاجتماع اذا رأيت ثمت ما يستدعي حضوري »

فماذا يظن القارئ كان جواب الامبراطور ? قد يتبادر الى الذهن انه غضب وحنق هو ايضاً . ولكن لا . لم يظهر عليه شيء وانما قال بهدوء : « هذه مسئلة تستدعي الدرس فاكتبوا لي تقريراً عنها حتى احكم فيها »

فليتصور القارئ خيبة المستشار ازاء هذا الجواب البارد . اما زملاؤه فقد رأوا ان شيخهم تطرف في مطالبته ووقاحته فزادوا في الابتعاد عنه

مشكل جديد

كان من عادات المستشار بعد تأليف الريشستاغ الالماني ان يجتمع من حين الى آخر برؤساء الاحزاب حتى يضمن سير اعمال المجلس سيراً قانونياً . وقد كان البعض منهم يترددون الى المستشار في بيته ولم يعترض قط الامبراطور غليوم الاول على هذه الخطة مدة حياته . لذلك ظن بسمارك ان ما كان على زمن الجد يكون كذلك في زمن الحفيد

على ان الحادث الآتي قد خيب ظنه . قال بسمارك :

« في يوم ١٤ مارس اخبرتني امرأتي ان المسيو بليخريدر يريد ان يكلمني . فاستقبلته في الحال لان ذلك المالي الماهر كان صاحب فضل عليَّ بقطع النظر عن سلوكه الشخصي فانه اراحني من ادارة شؤوني الخاصة . فلما واجهته اخبرني انه أتى يستأذن للنائب وندهرست الذي كلفه ذلك فاجبته : « ان الدكتور وندهرست يعلم

انه يجوز له مواجهتي في كل وقت بصفته نائباً وهو لا يحتاج في ذلك الى وساطة احد »
فقال : « ولذلك فقد جئت واياه »

« ودار الحديث بيني وبين وندهرست على هاتين المسئلتين وهما : كيف يكون موقف حزب الوسط (الكاثوليكي) ? وما هي مطالبه في المجلس الجديد ? وطلب اليَّ وندهرست ان ترجع حالة الكاثوليك الى ما كانت قبل سنة ١٨٧٠ فاجبته ان في طلبه هذا غلواً وانه يتعذر قبوله . فنقلت هذه الكلمات مشوهة الى غليوم . واتهمني اثر ذلك اني سعيت لاستمالة حزب الوسط (الكاثوليكي) اليَّ حتى اعتمد على مؤازرته في ما يقع بيني وبينه من الخلاف . ولو انتظر جلالته الى الغد لعلم من مجرد الاطلاع على الصحف الكاثوليكية التي نقلت حديثي مع وندهرست وعلقت عليه بانتقادانها لما اتهمني تلك التهمة ولعلم حقيقة اجتماعي بذلك النائب وكيف خدعه ناقلو الحديث ... »

وهنا لا بد للقارئ من الوقوف مستفسراً عن حقيقة هذه المقابلة الغريبة وعن وظيفة المسيو بلوخريدر فيها . فان فريقاً من المطلعين على دخائل البلاط الالماني يعتقدون ان هذه القصة انما دبرت باتفاق الامبراطور مع ذلك المالي . على ان فريقاً آخر يرى غير ذلك والله اعلم

وعلى كل حال فان الامبراطور اغتنم تلك الفرصة واراد الانتفاع بها . قال بسمارك : « لم يضع غليوم وقته بل ارسل اليَّ في الحال المسيو دو لوكانوس رئيس ديوانه قائلا انه ينبغي لي اشعار جلالته بكل حديث يدور بيني وبين النواب . فاجبته : « ارجو ان تبلغ جلالته انني لا اعترف لاحد بحق مراقبة الاشخاص الذين يطرقون منزلي »

غليوم في منزل بسمارك

قال « في اليوم التالي ١٥ مارس اتى الامبراطور بنفسه منزلي باكراً فطلب مقابلتي وكنت اذ ذاك لا ازال في الفراش فارتديت ملابسي باسرع ما امكنني ومثلت في حضرة جلالته . فبادرني مضطرباً :

— ما معنى مداولاتك مع وندهرست ?

فاجبت : « انه لم يكن ثمت مداولات وانما دار بيننا حديث خصوصي »

ثم الحَّ الامبراطور بوجوب اشعاره بكل مداولة تجري بيني وبين رؤساء

الاحزاب في المجلس . فرفضت هذه الدعوى وقلت :

— لا يسعني التسليم باي مراقبة لعلاقاتي مع النواب واني لا آذن لاحد ان يأمر في منزلي

فبدت على الامبراطور اشد دلائل الاضطراب وقال :

— حتى ولو طلبت ذلك بصفتي صاحب السلطان ؟

— حتى في تلك الحال يا مولاي . ان اوامر امبراطوري تقف عند باب صالون امرأتي

ثم قلت :

— لم يبق لي في خدمة جلالتك سوى الوعد الذي وعدته لجدك غليوم الاول بان اساعد حفيده (أي غليوم الثاني) فاذا كنت اضيق على جلالتك فانا مستعد للانسحاب » اهـ

والغريب في ذلك ان المستشار انما عرض استعفاءه وهو يعتقد كل الاعتقاد انه لن يقبل قط ولكن غليوم تمسك بتلك الكلمة . ففي صبيحة ١٧ مارس جاء الجنرال هانك ياور الامبراطور لمقابلة المستشار فكان الحديث بينهما مختصراً مفيداً . قال الجنرال :

— ان جلالة الامبراطور ينتظر طلب استعفاء سموكم وسيتفضل بقبوله في الساعة الثانية

فاجاب بسمارك وهو يكظم غيظه :

— ارجو ان تبلغ جلالته انه نظراً لحالتي الصحية ولما يترتب على استعفائي فجأة في الاحوال الحاضرة لا استطيع ان اجيب طلبه حالا . فان تركي وظيفتي بهذه الصورة خيانة للامبراطور وللامة . ولو قدمت الى الامبراطور في هذا الوقت طلب احالتي الى المعاش لتركت للمستقبل صورة فاسدة عن سبب اعتزالي منصبي . على ان الامبراطور قادر أن يعزلني في أي ساعة يشاء . اما انا فلا يسعني أن اختم حياتي السياسية بعمل اعد نتائجه وخيمة للشعب وللامبراطورية »

فانحنى الجنرال مودعاً من غير أن ينبس ببنت شفة ثم ذهب يبلغ الرسالة للامبراطور

* * *

ولما رأى زملاء بسمارك ان المسألة بلغت هذه الدرجة من الحدة ادركوا خطأهم

في ترك شيخهم وعلموا انهم بمؤازرتهم للامبراطور على بسمارك انما آزروه على انفسهم بل وعلى جميع خلفائهم . لان سلطة المستشار كانت حائلا دون استبداد الامبراطور . فالتفوا حول بسمارك وكانهم وافقوه على قوله « انه يحق لشيخوخته ان تطالب من الوقار والاحترام اكثر مما اظهره الامبراطور الشاب »

بل انهم اجتمعوا في مساء ذلك اليوم نفسه في منزل احدهم (الا بسمارك) ليتفاوضوا في ازالة سوء التفاهم بين الملك ومستشاره . وبينما هم على ذلك اذا برسول من الامبراطور اتى يطلب من حضرات الوزراء « ان يغنوا انفسهم عن كل مشقة لان الامبراطور لم يعد في حاجة الى نصائحهم اذ قد اقر قراره نهائياً بشأن البرنس بسمارك »

من هنا يدرك القارئ مهارة جواسيس الامبراطور الذين كانوا يخبرونه بكل ما يجري بين رجال دولته

***

والان نرجع الى غليوم الثاني فانه لما اخبره الجنرال هانك بجواب المستشار استشاط غيظاً ورأى انه تمادى في جدال كان يجب ان ينهيه باسرع من ذلك

في مساء ذلك اليوم نفسه ارسل رئيس ديوانه المسيو دولوكانوس الى المستشار مكرراً مطالبته باستعفائه وقائلاً ان الامبراطور قد دهش من تأخيره . فاجاب بسمارك :

— اني مستعد في الحال ان اوقع بنفسي امر عزلي من منصبي . ولكن طلب احالتي على المعاش يستدعي مهلة لانه آخر عمل رسمي يوقعه وزير مثلي كان له شأن في تاريخ المانيا وبروسيا . اني اطلب هذه المهلة لاجل نفسي ولاجل التاريخ الذي سوف يعلم في المستقبل السبب الذي جعلني اتخلى عن منصبي

فقال المسيو دولوكانوس :

— ان جلالته يقدم لكم لقب دوق لونبورج لقاء خدماتكم الجليلة للعرش وللوطن

فقاطعه بسمارك متبسماً ابتسامة الحنق والغيظ قائلاً :

— لقد كان في استطاعتي ان اصير دوقاً منذ زمن بعيد لو شئت ذلك

— واؤكد لكم ايضاً ان جلالته اضاف الى هذا اللقب هبة كبيرة سوف تأذن لسموكم ان تحافظوا على مقامكم

فقاطعه بسمارك ثانية بصورة حاسمة :

— أني لم اشك قط في مودة جلالته . ولكني ارجو ان تبلغ الامبراطور اني أترك خافي حياة سياسية لا تأذن لي ان اختمها بالسعي وراء مكافأة كما يفعل ساعي مصلحة البوستة

فانصرف الرسول بهذا الجواب الحاسم ليبلغه الى غليوم

الضربة الاخيرة

في الايام الثلاثة التي تلت تلك الحادثة التاريخية اشتغل بسمارك في كتابة بيان وافٍ عن الاسباب التي حملته على الاستعفاء ليبرر اعماله السياسية والادارية . وقد اراد بسمارك ان يعلم العالم اذا ما نشر ذلك البيان في المستقبل « ان الاسباب الصحية لم تكن قط الباعث على استعفائه » كما قال . على ان هذا البيان الطويل محفوظ بين الاوراق الرسمية ولم ينشر بعد

اخيراً في ٢٠ مارس ارسل بسمارك الى الامبراطور ذلك البيان الخطير بعد تنقيحه ونقله . وما هو الا قليل حتى جاء رسولان من الامبراطور بصورة طلب الاستعفاء ليوقعها بسمارك . وهنا نترك الكلام قال له :

« بما أن ذلك البيان كان طويلاً فلم يكن في استطاعة الامبراطور ان يقرأه ساعة ارسل لوكانوس وهانك لاوقع لهما على طلب اعفائي من الخدمة . ولكن ذلك لم يكن أغرب ما في المسألة ! فمع ما بذلته من الجهد لابين ان حالتي الصحية لم تكن الدافع لي على استعفائي كان ذهولي عظيما عند ما قرأت الطلب — ووقعته — وفيه أن ضعف قواي هو سبب استقالتي »

وقع بسمارك تلك الورقة وهو يغلي حنقاً . ولم يغفر قط لغليوم معاملته له طول حياته بالرغم من بعض الزيارات الرسمية بين الرجلين

واراد بسمارك أن يحمل حقده في قبره فامر أن تنقش عليه هذه الكلمات :

« هنا يرقد البرنس بسمارك — خادم امين للامبراطور غليوم الاول »

أما غليوم الثاني فلم يذكره بكلمة واحدة

فطرة الاستقلال

عند عرب الجزيرة كما تتجلى في اشعارهم العصرية

شعر العرب في الحقبة الاخيرة كلام مقفّى موزون ذو معنى وقد يكون بليغاً ولكنه غير الفصيح بل هو غير الصحيح مبنى ويسمونهُ « النبط » وهو كالمعنّى الشامي والزجل المصري لا تراعى فيهِ القواعد الصرفيّة ولا النحوية ولا يشترط فيهِ الانطباق على الابحر المعروفة

واذا استثنينا نفراً قليلاً ممن تأدّب وتفقّه من أهل العراق ساغ لنا القول ان عرب الجزيرة اليوم من بدوٍ وحضَر يجهلون اللغة الفصيحة السليمة التي تكلم بها الاعرابيّ وأنشد الشاعر في الجاهلية وفي بدء الفتح الاسلامي . وقد كنت أعلّل النفس بمحادثة نجديّ صميم شوقاً وتوقاً مني الى سماع اللغة الفصحى من « ابن بجدتها » بعد خيبة أملي وانقلاب حسن ظني سوءاً في فصاحة اليمني والحجازي . وأتيح لي الاجتماع ببضعة من شعراء نجد واهلها فطلّقت بتاتاً تلك التعلّة التي كنت أحدث بها وقلت على العربيّة السلام وسلامٌ عليها يوم تُبعث حيةً في ظل علَم عربيّ يخفق فوق الناطقين بالضاد

وهذه ابيات متفرقة من قصائد مختلفة تتجلّى فيها فطارة العربيّ وملَكته كما يتبين لقارئها ما قد اعترى اللسان العربي من العجمة وما صار يجري عليه من وحشيّ الكلام وحوشيّه على غير ما قياس معروف ، أو سماع مألوف

ضمني يوماً والامير « ضاري بن فهيد بن عبيد الرشيد » قطار ركبناهُ معاً وشرعنا ننظم صدراً منهُ وعجزاً مني قصيدة يائية في وصف هذه المطيّة (القطار) وكان ذلك أول عهده بها وما كاد يسمع مني عجز البيت الاخير في اطرائها حتى كأنهُ فطن وتذكّر وتخيّل واعتبر فابتدرني يقول :

فلا كان من صُنعٍ ولا درَّ درُّه يقرّب من دار الاعادي الاعاديا (١)

وهو بيت قد يحصل معناه في شعر اليمنيّ والحجازي ولكنهُ فذّ بمبناهُ وقليل النظير بما هو سليم التركيب رشيق الالفاظ . على ان شعر الامير « ضاري » كشعر غيره من افراد أسرته الكريمة وسائر النجديين هو من النبط بعينه واليك مثالاً منهُ أرويهِ عنهُ :

دنياك هذي تقلْ لولاب دالوبْ تفني عمار الناس بالإقلابِ (٢)

نوبٍ تزين وْحادث الدهر مرهوبْ وْطبعْت على التفريق بين الحبابِ (٣)

قد فرّقت ما بين يوسف ويعقوبْ والاّ فانا وجدي على قد ما بي

لي صاحبٍ شخصه عن العين محجوبْ ولا ساعةٍ عن عين قلبي يغابِ

وما ظنك بفصاحة مَن يخفض المضارع ويصيغه هذه الصيغة . أو ما قولك في فصاحة شاعر صنعاويّ أصاب من العلم ما أهّله للنيابة عن قومهِ في المجلس العثماني شاطرته نظم قصيدة جعلها ذيلاً لمقالةٍ نشرت في حينها (سنة ١٩١٠) في الجرائد المصرية عاد اليَّ في الغد وقد ختمها ببيتين من عنده اليك احدهما :—

ثم الصلاة على المختار من مضر محمدٍ من نطقْ بالحقّ واعترفِ (٤)

فانه اعرب المبني وجزم الماضي وكسره في شطرٍ واحدٍ مراعاة للوزن والقافية وقد أعود ان شاء « الهلال » وقراؤه الى ذكر النبط من حيث الشعر واللغة

---

(١) « درّ درّه » من الكلام الفصيح واكثر منها وروداً « لله درّه » وأهل نجد حتى اليوم خاصتهم وعامتهم ينطقون بمثل هذه الالفاظ والعبارات الفصيحة

(٢) حاولت تهجئة الالفاظ في هذه الاشعار على أقرب صورة لكيفية النطق بها مع مراعاة الوزن . ولذلك ترى في العجز « عمار » لا (أعمار) حسب الاصل والمراد واحد . و « دالوب » أي دولاب أو (عجلة)

(٣) نوب اي مرة مثل « نوبة » في كلام المصريين .

(٤) ختام القصيدة بالصلاة والسلام على « النبي » مألوف معروف بل يكاد يكون واجباً وكذلك الاستهلال بذكر الله تعالى حمداً أو دعاء . ولا يستثنى من هذا النبط الغزلي وهو كثير

واكتفي الآن بإيراد المقتطفات التالية على ذكر الحجاز وخبر استقلاله . ولعل خيرها جميعاً هذه الابيات الغراء في نوعها وبابها وهي من قصيدة حكمية فخرية منسوبة للشاعر المعروف « بديوي الوقداني البكري العتيبي » شاعر الشريف عون — على ماحدثني أحد كرام العرب في بمباي :

ايامنا والليالي كم نعاتبها	شابت وشبنا وعفنا بعض الاحوال[١]
توعد مواعيد والعاقل يكذبها	واللي عرف حدّها عن همها سالي[٢]
لو اقبلتْ يوم ما تصفي مشاربها	واليوم الاول تراه احسن من التالي[٣]
جربت الايام ومثلي مَن يجربها	تجريب عاقل وذقت المرّ والحالي[٤]
ايام في غلبها وايام تغلبنا	وأيام فيها سوا والدهر ميال[٥]

الى أن يقول :

والارض لله نسعى في مناكبها	والله قدّر لنا رزق وآجال
دارٍ بدار وجيران تقاربها	وارض بارض واطلالٍ باطلال

(١) في النبط طرائق مختلفة ومنها التزام قافية معينة للصدر وأخرى للعجز ويستحسن ان تكون القافيتان من حرف واحد كقوله :

هبّ النسيم بريح ريحان الاحباب	وترنمت أغصان قلبي بتطريب
وأحيا هشيم القلب من بعد ما ذاب	من كثر ما تمرح عليه اللواهيب

(٢) اللي أو هلي — أحياناً — بمعنى الذي والذين

(٣) يغلب في هذه الاشعار ان تخفف همزة القطع الواقعة بعد اداة التعريف وان تسقط وتكون همزة وصل في محال متعددة توسلا لاقامة الوزن

(٤) الحالي اي الحلو

(٥) سوا اي على مستوى واحد وبهذا المقام « لا غالبين ولا مغلوبين » . ميّال اي قلّب . ولعل الشاعر يريد هنا ان المرء قد يساوي وقته ولكنه لا يأمن ان يميل به الدهر فيخفضه بعد ارتفاع . ولا غرو ان يعجب الاديب لخبر مخفوض كهذا أو لمفعول به مجرور كما ترى في البيت التالي . فليعلم مرة واحدة ان العرب اليوم هذه حالهم من انحطاط لغتهم

لا خير في ديرةٍ يشكي العزيزِ بها — يمشي مع الناس في همٍ واذلال[1]
جاعت سراحينها وشبعت ثعالبها — والكلب والهرّ قاوم كل رئبال
إطعن بحور الفيافي في ترايبها — تصبح بدوٍّ بعيد دارسٍ خالي
مِن فوق عيرانة تقطع براكبها — فدافد البيد روجامٍ وزرفالي[2]
أخير من ديرة يجفاك صاحبها — كم ذا الجفا والتجافي والتملاّلِ
دوس المخاطر ولا تحذر عواقبها — الموت واحد وبعده العز يحلالي
قوم اذا جيتها رفت شواربها — وأبدت لي البغض في مقفاي واقبالي[3]
وقوم اذا جيتها صكت حواجبها — واللي على بالهم كله على بالي
ما ماتت الاسد في عالي مراتبها — تسعى للارزاق ما حنت للاشبال

والابيات التالية من قصيدة منسوبة الى « الامام تركي بن السعود » يتفجع فيها لبعد ابن عمه « مشاري » يوم كان اسيراً[4] في القاهرة للقائد الباسل ابراهيم باشا

---

(١) ديرة اي جهة أو ناحية من بلاد . وقوله « العزيز بها » بجعل الزاي المكسورة « من العزيز » والباء الساكنة من « بها » مقطعاً واحداً مثال لكثير مما باتوا يستحلونه اليوم ولا يرون في التعويل عليه أي بأس . ومن هذا القبيل وصل ما بين الصدر والعجز في هذا البيت

وأ نسبت لهُ في جنح ليل ولا هُو ب — عيبٍ على خلٍّ الى خلّه انسابْ

فالمراد « ولا هو بعيب » . فتأمل

(٢) في هذا البيت وسابقيه جملة طيبة من الكلام الجاهلي الجزل وهو معروف . مثل رئبال للأسد وسرحان للذئب وترايب لعظم في أعلى الصدر . أما العيرانة فهي الناقة وروجام وزرفال نوعان من خطو الابل

(٣) لعله يريد برفّ الشارب الدلالة على عدم الاكتراث أو التكبر . وكذلك صك الحواجب أي تقريب ما بين الحاجبين وتقطيب الجبين عبارة عن العبوس اظهاراً للاحتقار أو البغضاء

(٤) نظمت هذه القصيدة في اثناء حرب « الوهابيه » والوهابية مذهب في

طار الكرى عن مقلتي النوم فرّا ... وفزيت من نومي طرا لي طواري (١)
خط افاني زاد قلبي بحرّا ... من مس ضيم للبني والذراري (٢)
مر يا قلم واكتب على ما تورّى ... بازكى سلامي لابن عمي مشاري (٣)
شيخ على طرق المراجل مطرّا ... من لابة يوم الملاق ضواري (٤)
يا ما سهر من حولكم ما تذرّى ... واليوم دنيا ضاع فيها افكاري (٥)
اشكي لمن يبكي له الحور طراً ... طلاب هامات العدى ومايداري

الاسلام منسوب الى محمد بن عبد الوهاب وقد ورد ذكره مراراً في هذه المجلة . وانتشر هذا المذهب في بلاد نجد لا سيما بين القبائل التي يحكمها آل السعود المشهورون وعاصمتهم الرياض والامام تركي منهم . أما الوقائع التي حصلت فكانت بينهم وبين الاتراك ولم يكن ابراهيم باشا نجل محمد علي (المغفور لهما) الاّ منتصراً لسلطان تركيا وقد قيل لي ان مشاري المعنيّ في هذه القصيدة تمكن من الفرار على يد اعرابيين ساعداه عليه

(١) أليس هذا البيت حافلاً بالالفاظ الفصحى ؟ وحبذا لو سلم من حلّ الادغام على هذه الصورة في لفظة « فزّيت » وأصلها فززت

(٢) خط اي كتاب وجمعها خطوط . وهم يقولون : طرّش خطاً أي أرسل بكتاب كقول المصريين « بشيع جواب » . ولفاني أي وردني . وقوله « بحرّا » هكذا بالالف مراعاة للعروض أي بحرّه . ومثله كثير من هذه القصيدة وغيرها فليتنبه له في محله . و « البني » أي البنين والذراري جمع ذرّية . والمراد الاهل والعيال

(٣) تورّى على زعمهم المضارع المجهول من « أرى » والمراد على ما ترى

(٤) كلمة شيخ عندهم ذات معان مختلفة وكثيرة الدلالة . وعند آل الرشيد وآل السعود أيضاً لا يسمى أميراً الا الحاكم . وبنوه وأولاد عمه شيوخ . وفي مثل هذا المقام شيخ تدل على الوجاهة وعلو المكانة على الاطلاق . والمراجل الفروسية . ومطّرا اي مدرب . « ومن لابة » اي من نفر او جماعة . ويوم الملاق اي الملاقاة — يوم الكريهة او المعركة

(٥) تذرّى اي تخبأ او جانب وحاذر

يا حيف يا للي بالمراجل يطرا	في مصر مملوك الى حمر الحداري [(١)]
من الزاد غادٍ له سنام وسرا	من الذل شبعانٍ من العز عاري [(٢)]
والله لو يلبس حريرٍ مزرى	متوجه تمليق ذلٍ واضرار [(٣)]
فـديناك يا ابن العم هني مغرا [(٤)]	ولا خير في دنيا تريكَ الأكدار
توريك خـير ثم توريك شرا	ولذاتهـا بين البرايا عواري [(٥)]
واسلم وسـلم لي على من تورى	واذكر لهم حالي وما صار جاري
اليوم كل من عشيره تبرا	ولا خير في مَن يدوس المحاري [(٦)]
ونزات غصبٍ عقب خير وشرا	وجمعت شملي بالقرايا وقاري
وحكمت نجـدٍ عقب ما هي تطرا	وسورت عزي عن لفيح الذراري [(٧)]

(١) يطرًا أي يطرأ و يمدح أو يذكر . والحداري جمع حدريّة وهي «العرقيّة» في كلام الشام او ما يلبس على الرأس تحت «الـكوفية» ويسميها أهل نجد والعراق «شبَابة» . والمراد بحمر الحداري لابسي الطرابيش

(٢) الزاد الطعام . والسنام معروف . والسّرا انما هي السرة بالتاء وانما كتبتها بالالف كالنطق بها . واني ألفت نظر القارئ الى بلاغة هذا البيت خصوصاً والى بيت آخر يضارعه معنى ومبنى اوله (جاءت سراحينها) في القصيدة السابقة . فانهما شاهدان عدلان على مقدرة شاعريهما

(٣) مزرىً اي مزركش والزري عنـدهم القصب أو التنتير في كلام أهل الشام . ولعل في هذين البيتين نفحة من البيت المشهور :

ولبس عباءة وتقرّ عيني احب اليّ من لبس الشفوف

(٤) مغرًا اي مغرّة وهنيّ بمعنى هم

(٥) اي ان اللذة لا تدوم لأحد بل تكون نصيبه تارة ونصيب غيره أخرى حتى كأنها شئ يستعار ليرد لا ملك عين

(٦) المحاري الخاطر

(٧) تطرًا أي تفلت من اليد — اشارة الى استعادته ملكه في نجد بعد ما استولى عليه العدو واستلبه اياه . والعجز واضح المعنى وبليغ كما ترى

والشرع فيها قد جرى واستمرا — مناد ينادي غدوة كل كاري[1]
ذل العدو عنها عيار .وفرا — يقضي بها القاضي بليًا مصاري[2]
وما سيَّلتْ عمن قال لي لا تغرا — وحطيت الاجرب لي صديق مباري[3]
نعم الرفيق الا سطا ثم جرا — يودع مناعير الشامي حباري[4]
من غاص غبات الابحار جاب درا — ويحمد مصابيح السرى كل ساري
وانا احمد اللي جاب لي ما اتحرى — واذهب غبار الذل عني وطاري[5]
وشربت كاسات العسل عقب مرا — وطاب الكرى مع لابسات الخزاري
والحال ما يزداد مثقال ذرا — وما قدر الباري على العبد جاري[6]
وصلاة ربي عد ما هي تطرى — على النبي ما طاف بالبيت قاري[7]

ومما ينسب الى « ابن عصفور » في ذم الاتراك وحكمهم الفاسد وزيغهم عن الشريعة الاسلامية قوله من قصيدة طويلة مطلعها :

---

(١) في هذا البيت وفي القصيدة التالية يتضح لك مقام الشريعة الاسلامية عندهم وترى مصداقاً للقول ان العرب لا يرون في الاتراك اخواناً لهم في الاسلام بقدر ما يعدونهم بعيدين عن السنة والشرع في أقوالهم وأعمالهم . والكاري النائم

(٢) المصاري جمع مصريّة . ولعل المصرية عندهم هي نفس النقد الذي ينسب الى مصر وكان متداولا في الشام . ومهما يكن من أصل الكلمة فالمراد بها الدراهم . وهذا إلماع بيّن الى الرشوة التي اشتهر بها قضاة الاتراك وسائر موظفيهم لا سيما في أيام عبد الحميد

(٣) الاجرب اسم سيف له والمباري أي القائم على الخدمة الملازم لمخدومه

(٤) ألا والارجح انها دائماً غير مشدّدة تعني اذا الشرطية . يودع بمعنى يدع أي يترك

(٥) أتحرى أي أنتظر . والحروة عندهم ما يتوقعه المرء أو يتمنّاه . طاري يريد طاريه أي ذكره

(٦) ذرّا اي ذرّة

(٧) عدّ اي عدد . والقاري اي قارىء القرآن او تاليه

يا الله يا والي على كل والي — يا من بعلمه دبر الفلك والكون
يا واحد عرشه على الناس عالي — وأمره وحكمه بين كاف ونون
ومع ذا نوالي كل من لك يوالي — وننقص جميع اللي لغيرك يوالون (١)
عبادة الاوثان حزب الضلال — بأصنامهم وأوثانهم يستغيثون
ومحارب بين الله عزيز الجلال — ومحارب بين اللي بدينه يدينون
متجمعة ما بين جافي وعالي — عدوان للدين الحنيفي يسبون
فيا الله يا مفني جميع الدوالي — ويا وارث الدنيا وما كان مدفون (٢)
مفني القرون الأوله والتوالي — نمرود مع كسرى وهرقل وفرعون
وعاد وشداد طغا ثم زال — ولا فادته جناته اللي يغرسون

***

وجونا خبيثين العمل والفعال — اللي عن احكام الشريعة يحيدون
. . . . — وهم للفواحش والخمر يستحلون
يبغون هم ملكي لهم والعيال — وتمشاة حكم اللي يبون يمشون (٣)
فرحب بهم اللي من الدين خالي — عبادة الدينار للدين يبيعون
وتبدلوا بالسحت عقب الحلال — وهم يعظون الناس عما يسوون
نحنا حراري في الليالي السبالي — هداتنا يفرح بها كل مغبون (٤)

---

(١) ننقص — أي نؤذي ونخسر بالقتل منهم

(٢) الدوالي يريد الدول جمع دولة

(٣) لا أشك ان كل من يقرأ عجز هذا البيت يجزم بانه مختل الوزن . واني أوافقه على ذلك وأزيد ان (يبون) هي تحريف (يبغون) ولكنهم ينشدونه على صورة وتقطيع يستقيم معهما الوزن تماماً . وفعل « يبغي » في كلام النجديين والعراقيين مثل « يشتهي » في لغة « اليمنيين » بمقام « عاوز » في اللهجة المصرية

(٤) نحنا اي فنحن . الحر عندهم طائر الصيد الشريف وكما يشبهون به للمدح بالشجاعة مثلا كذلك يقولون فلان حباري (ويجمعونها على حباري كما ترى في القصيدة

ونفوسنا ترخص لنا كل غالي ونرخص بها في ساعة الناس يغلون (١)

والشعر السياسي الذي قد يمكن ادخال ما تقدم في بابه هو نادر عندهم وقليل بخلاف الحربي مثلاً أو غيره من أبواب الشعر لا سيما الغزلي فانه كثير شائع . وهم لا يزالون على عهدهم المعروف يتغازون و يتحاربون . وهذه أبيات فخرية حماسية أختم بها هذه الكلمة وهي من قصيدة من نظم عبيد بن الرشيد مطلعها :

القلب من كثر الهواجيس قزان ما يستريح من الدهر ربع ساعه

يا غافر الزلات يا والي الاحسان تجعل من التقوى لنفسي شفاعه

عيب على مثلي يحوّل الا بان ويرضى بممشى الذل عقب ارتفاعه (٢)

من طربة الدنيا من الملح دخان وقتامة شناق خطو الصعاعه (٣)

اما تجيب عقود لؤلؤ ومرجان والا فلابليس يطير بشعاعه

اضرب على العايد اذ صر بلشان وعند الولي وصل الحبل وانقطاعه

والناس ماتسقيك الا صرت عطشان وما يشرب المظمي سوى من ذراعه (٤)

و . ف . ب

السابقة) أي جبان لا يقوى على احقاق حقه والاستقلال بامره . والهدّات جمع هدة . من قولهم هد الحصان أو الطائر أو غيرهما أطلقه

(١) ويا حسن هذا البيت . ولكن أين فصاحته من فصاحة قول السموأل بمعناه : وانا لقوم لا نرى القتل سبة اذا ما رأته عامرٌ وسلول

تسيل على حدّ الظباة نفوسنا وليست على غير الظباة تسيل

(٢) يحوّل : أي يعدل عن خطته أو يتراجع عن غايته . ألا بمعنى اذا وقد مرّت وهي هنا كالاصل فيها مخففة

(٣) الملح — البارود

(٤) لعل هذا البيت وأمثاله غاية ما تبلغه فصاحة النجديين اليوم وقائله عبيد بن الرشيد من حائل نفسها ترعرع وشب وشاب بين جبلي أجاء وسلمى اللذين حكمهما مع أخيه عبد الله واللذين افتخر بهما من قبله شاعر طيّ قائلا :

لنا الحصنان من أجاء وسلمى وشرقياهما غير انتحال

السفارات في الاسلام

بيانها وتاريخها

رأينا في احدى زياراتنا للآثار في انحاء القاهرة وضواحيها كتابة على قبرية (شاهد) ضريح من اضرحة مقابر الخلفاء بالسيدة نفيسة دهشنا لها واستوقفنا ما ذكر فيها واليك نصه : « هـذا قبر السيد ابن نضلة هاشم بن علي بن المرتضى بن السيد العلوي سفير الخلافة المعظمة العباسية سنة ٦٤٠ » فتعجبنا من هذا النص الاثري الغريب وما دل عليه من وجود رتبة السفارة في الدول الاسلامية وهو امر في غاية الندورة فيما روي عن العرب . فدفعنا ذلك الى الخوض في هذا الموضوع لغرابته وفائدته والبحث عن السفارات في الاسلام وتاريخها على اختلاف العصور والدول وهل كان عندهم ابان حضارتهم سفراء بالمعنى المعروف اليوم كما نطقت بذلك الآثار ؟ هذا ما نريد أن نتكلم عليه في هذه المقالة، ولنبتدئ الآن بتعريف السفير والسفارة وتحديد معناها في اللغة والاصطلاح

السفير في اللغة والاصطلاح

السفير في اللغة الرسول والمصلح بين القوم . قال صاحب لسان العرب : « والجمع سفراء وقد سفر بينهم يسفر سفراً وسفارة اصلح . وفي حديث علي انه قال لعثمان ان الناس قد استسفروني بينك وبينهم اي جعلوني سفيراً وهو الرسول المصلح بين القوم. يقال سفرت بين القوم اذا سعيت بينهم في الاصلاح »

هذا معنى السفير في اللغة أما معناه الآن فهو ممثل حكومته عند دولة اجنبية أو هو كل شخص مكلف باداء رسالة . وفي الاصطلاح السفير هو وكيل حكومته المرخص بتمثيلها عند الدولة الاخرى في جميع المفاوضات الهامة . فالسفير في عرف علم السياسة هو ذلك الشخص المرسل رسمياً من طرف دولة الى دولة اخرى ليكون نائباً للدولة التي ارسلته ووكيلا عنها

وهذا المعنى الحديث كان معروفاً في الاسلام كما سترى فيما يأتي . فلننظر الان في تاريخ السفارة ومعناها في الجاهلية والاسلام حتى نشوء هذا المعنى المتأخر وهو نفس المعنى الذي وجدناه في الكتابة الماضية

السفارة في الجاهلية

كانت السفارة معروفة في الجاهليـة وهي من المناصب التي كانت في يد قريش وبطونها ، ومعنى السفارة عندهم هو : انهم كانوا اذا وقعت بينهم وبين غيرهم من القبائل حرب وارادوا المخابرة بشأن الصلح بعثوا سفيراً ، وان نافرهم حيٌّ لمفاخرة جعلوا السفير منافراً ورضوا به ، وكان آخر سفراء قريش في الجاهلية عمر ابن الخطاب قبل ان يسلم . فمعنى السفارة في اللغة مأخوذ عن نفس هذا المعنى الذي كان معروفاً عند العرب في الجاهلية

السفارة في الاسلام

أما معنى السفارة في صدر الاسلام فلم يتغير عن معناها في الجاهلية فكانوا يتبادلون السفراء للصلح والمخابرة كما سفر علي بن أبي طالب بين الناس وبين عثمان بن عفان في الفتنة التي حدثت قبل مقتله . واستمر الحال كذلك في عهد بني أمية فكانوا في حروبهم وفتوحهم اذا تداعوا الى الصلح مشت السفراء بينهم . الا انهم لما تحضروا واخذوا باسباب المدنية بعد رسوخ قدمهم في مملكتهم الواسعة الاطراف وكثرت علاقاتهم بالدول والممالك المعاصرة لهم تغير معنى السفارة عندهم قليلا فكانوا يرسلون السفراء وعلى الاخص في عهد العباسيين الى الملوك والامراء ليس في احوال الصلح فقط بل في المخابرات والمفاوضات السياسية والودية وحوادث المصاهرة كسفارة ابن الجصاص سنة ٢٧٩ من مصر الى بغداد وكان خمارويه بن احمد بن طولون قد ارسله سفيراً الى الخليفة المعتضد لمصاهرته فخلع عليه وعلى من معه (١)

أما سفاراتهم في المخابرات والمفاوضات مع الملوك الاجانب ففي التاريخ نصوص كثيرة على العلائق التجارية والسفارات السياسية بين العباسيين وملوك الشرق في الهند والصين وان حوادث السفارات والمهاداة كانت متواصلة بينهما فكان سفراء ملوك الهند تؤم بغداد في اواخر القرن الثاني للهجرة تحمل الهدايا او كتب المخابرة (٢) وكذلك كان سفراء الخلفاء ، أما السفارات بين ملوك اوربا وملوك الاسلام في الشرق والاندلس فكثيرة ايضا وقد فصلناها في غير هذا الموضع من الهلال واشهرها السفارة

(١) انظر تفصيل ذلك في المسعودي ص ٣١٨ ج ٢
(٢) العقد الفريد ١٤٩ ج ١ وترتيب الدول ٩٦ والمسعودي ٢٤٨ ج ٢

بين الرشيد وشارلمان كما ترى هناك وسفارة القاضي ابو بكر بن الباقلاني الامام الحجة وكان عضد الدولة البويهي قد ارسله سفيراً الى قيصر الروم في القسطنطينية وهو قسطنطين التاسع من سلالة مكدونيا وكانت السفارة في جواب رسالة وردت عليه منه فاظهر في بلاد القيصر انفة زادت في مقام المسلمين عندهم ، الى غير ذلك من السفارات بين الخلفاء في الشرق وملوك اوربا مما يضيق المقام عن سردها

أما في الاندلس فكانت السفارة شائعة لا تنقطع بين خلفائها وملوك الافرنج كالسفارات في عهد عبد الرحمن الناصر وغيره وبين ملوك الطوائف فيها لامور سياسية ولمخابرات تقتضيها المعاملات والمجاملات التي يوجبها الجوار او تدعو اليها علاقاتهم معهم او مع ملوك الاسبان والافرنج او ملوك المغرب وكانوا يولونها الوزراء والاكابر ، ومن الوزراء السفراء أبو الوليد احمد بن زيدون اشهر ادباء الاندلس وعظمائه وزير ابن جهور صاحب قرطبة وقد تولى له السفارة فاحسن التصرف فيها وغلب على قلوب الملوك حتى كان كل ملك يخطب وده ويتمنى أن يقيم عنده . وقد تولى أخوه ابو بكر بن زيدون السفارة عن بن عباد صاحب اشبيلية الى يوسف بن تاشفين صاحب المغرب الاقصى

أما السفارة في عهد الفاطميين وما بعدها فكانت من الوظائف الهامة يتولاها عظماء الدولة واكابر الكتاب وكانت تسمى عندهم « بالوساطة والسفارة » فالوساطة هي ماكانت بين الناس وبين السلطان والسفارة ما بين العظماء والملوك وبين السلاطين

وبالاجمال ان خلفاء المسلمين كانوا يستخدمون السفارات في المخابرات الدولية ويتبادلون السفراء بينهم وبين غيرهم من الملوك في الامور السياسية والعلاقات الودية وارسال الهدايا أو الكتب مع السفراء لفك عراقيل السياسة بالوسائط الديلوماتية ، كما كانوا يتهادون بواسطة السفراء بهدايا يراد بها المعاني والالغاز كانواع الاسلحة ويراد بها التهديد وما أشبه ذلك [١] . هذا اما كتابة السيد أبي نضلة هاشم بن المرتضى المتوفى سنة ٦٤٠ هـ التي كتبت على قبره وأشرنا فيما سلف أنها لقبته بسفير الخلافة المعظمة العباسية فهي تدل على ان الخلفاء العباسيين كانوا يرسلون السفراء الى مصر ليمثلوهم عند حكومتها . ويظهر ان وظيفة السفارة بين الحكومتين أو سفارة العباسيين في مصر على الاخص كانت دائمة في هذا العهد كما هي الان بين الحكومات

(١) ترتيب الدول ص ٩٦

في عصرنا فاذا عزل السفير استبدل بغيره أو مات خلفه سفير آخر وهكذا ، ويؤيد ذلك ما عثرنا عليه في المقريزي عن خلف هذا السفير المتوفى فقد قال عند كلامه على جامع محمود بالقرافة : « وأول من خطب فيه السيد الشريف شهاب الدين الحسين ابن محمد قاضي العسكر والمدرس بالمدرسة الناصرية الصلاحية بجوار جامع عمرو وبه عرفت بالشريفية « وسفير الخلافة المعظمة » توفي سنة ٦٥٥ ﻫ وكان أيضاً نقيب الاشراف » (١) فهذا يؤيد ان السفراء الذين كان يعينهم الخلفاء العباسيون ببغداد ليمثلوهم في حكومة السلاطين المماليك بمصر كانت سفارتهم دائمة كما انهم كانوا ينتخبون عادة من الاشراف والاكابر فان هذا الشريف الاخير فضلا عن انه سفير الخلافة المعظمة فانه كان : أولا : قاضي عسكر ، ثانياً : مدرس بالمدرسة الصلاحية ، ثالثاً : نقيب الاشراف . ولا يتسنى له ذلك الا اذا كان مقيماً أبداً في مصر

وقد ذكر المقريزي هذه المرة سفير العباسيين بعد هذا باسم « رسول بغداد » قال عند كلامه على جامع الصالح : « واقيمت الجمعة فيه في الايام المغزية في سنة بضع وخمسين وستمائة بحضور رسول بغداد الشيخ نجم الدين عبد الله البادرائي » (٢)

هذا ولا يستغرب ارسال العباسيين سفراء دائمين لهم في مصر ليمثلوهم عند السلاطين المماليك فقد كان هؤلاء يخطبون باسم العباسيين منذ صلاح الدين فكان لهم من السيادة الاسمية على مصر ما كان لتركيا قبل الحرب الحاضرة . بل نستنتج انه كان للعباسيين سفراء في كل البلاد والممالك التي تخطب باسمهم مثل ما كان في مصر

أما السلاطين المماليك فكانوا هم أيضاً يسفرون السفارات في هذا العهد الى الملوك والسلاطين الذين تربطهم بهم صلة العلائق والمصالح كما كان بينهم وبين ملوك (قانات) التتر مثلا . ولا يخفى ما كان بينهم من رابطة الجنسية والمصاهرة والمصالح ، وقد أتى المقريزي على ذكر سفارة من سفاراتهم عند كلامه على اسماعيل بن محمد بن ياقوت المعروف بخواجا مجد الدين السلامي تاجر الخاص في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون قال : « وكان يدخل الي بلاد الططر (التتر) ويتجر ويعود بالرقيق وغيره واجتهد مع جوبان الى ان اتفق الصلح بين الناصر وبين القان (الخان أو الملك) أبي سعيد فانتظم بسفارته وحسن سعيه فازدادت وجاهته عند الملكين ، وكان الملك الناصر يسفره ويقرر معه أموراً فيتوجه ويقضيها على وفق مراده بزيادات فاحبه وقربه

(١) المقريزي ص ٢٩٧ ج ٢ (٢) خطط مصر ٢٩٣ ج ٢

ورتب له الرواتب الوافرة الخ » (١)

وكانوا أيضاً يستعملون السفارة في أمور الصلح وحمل الاموال وغيره ، من ذلك ما أورده المقريزي عما كان بين سلطان مصر ونصارى دمشق . قال : « فلما دخل السلطان الملك المظفر قطز الى دمشق قرر على النصارى بها مائة الف وخمسين الف درهم جمعوها من بينهم وحملوها اليه بسفارة الامير فارس الدين اقطاي المستعرب اتابك العسكري » (٢)

وقد استعملوا السفارة أيضاً فيما بينهم وبين الاميرات وغيرهن من النساء ولو كانوا في بلدة واحدة كما كان بين الملك المنصور قلاوون وبين مؤنسة خاتون ابنة الملك العادل المعروفة بالقطبية عند ما اخذ منها دارها المسماة بالدار القطبية لبناء مارستانه الكبير المنصوري قال المقريزي « وعوضت عن ذلك قصر الزمردة برحبة العيد سنة ٦٨٢ بسفارة الامير علم الدين سنجر الشجاعي مدبر الممالك »

انواع السفراء وصفاتهم

فالسفراء عند العرب على نوعين : النوع الاول السفراء الذين يرسلون بمهمات خاصة كسفارة ابن الباقلاني الى ملك الروم في جواب رسالته ، وغيره كثير ، هؤلاء السفراء كانوا ينتخبون من علية القوم عند الحاجة وتزول صفتهم بانقضاء مهمتهم

والنوع الثاني السفراء الدائمون الذين يرجع اليهم في جميع المفاوضات الهامة ولهم منزلة سامية وينتخبون دائماً من اكابر القوم كسفارة ابن زيدون والسيد أبي نضلة والشريف شهاب الدين الحسين وغيره . فقد كان العرب يهتمون أبداً بانتقاء السفراء ويسمونهم « رسل الملوك » وتظهر هذه الاهمية من اقوالهم في هذا الموضوع فقد قالوا : « كتاب الملك لسانه ورسوله ترجمانه ، وقد شبه المتكلم عن القوم باللسان المترجم عما في النفس يقال فلان لسان القوم فيجب اختياره واختباره » . واشترطوا في صفات السفير ان يكون مع ما تقدم من سمو المركز «حسن الصورة والاسم والشكل وان يكون من الدين ما لا يميل به مع الهوى ولا يفعل من المناكر ما يزري بصاحبه ومن الامانة والنزاهة بحيث لا يقبل الرشا (الرشوة) ولا يستفزه العطا فيقتصر فيما

---

(١) المقريزي ص ٤٣ ج ٢ (٢) خطط مصر ص ٤٩٧ ج ٢

يجب لصاحبه ويبالغ فيما لا ينبغي لمن ارسل اليه وفي ذلك من الوهن ما لا خفاء به ، ويكون فيه من العقل والرزانة ما لا يرتاع لتهديدات مرهبة ولا يتغير باطماع مرغبة بل يضع الامور مواضعها ويقابل كل فعل من ذلك بما لا يليق به »[1] هذه هي شروطهم في السفير وصفاته وهي شروط في غاية الدقة والاهمية لا تختلف عما هو متبع اليوم . ومن دقة ملوكهم في ارسال السفارات انهم كانوا يرسلون رسولين أحدهما يسمونه « صاحب سيف » والآخر من أهل الشريعة وقد يعززونهما بثالث من الكتاب فصاحب الشريعة يقرّر ما يسوغ فيها ويدفع ما لا يسوغ ، وصاحب السيف يرتب ما لا مضرة فيه على الملك ولا جنده ولا حيف ولا مخاطرة ، والكاتب يحفظ القوانين السياسية ورسوم المكاتبات وأدب المخاطبة ، ويشبه ذلك ما هو معروف اليوم في السفارات باسم الملحق الحربي والملحق السياسي وغيرها

قال الحسن بن عبد الله في كتابه آثار الاول في ترتيب الدول « وفي هذا الوقت (أي في أوائل القرن الثامن) اقتصر على رسولين صاحب سيف وصاحب قلم ، وفي انفاذ رسول واحد أمين كفاية سيما اذا كان كافياً في اموره موثوقاً بمحبته للدولة ومناصحته فليسخر الله تعالى الملك ولرسله ويكتب له تذكرة بما لا يكون في الكتاب أو بما يحتاج للبيان ويشافهه في ذلك ليصح ابلاغه عنه وان كانت فيه أهلية للتفويض سيما ما يرد عليه ورد الاجوبة حسبما تقتضيه المصلحة فعل فان الناس تفاوت أقدارهم وأخطارهم ، ويحذر ان يكون الرسول شارب خمر وان كان فليتركه في ذلك الوقت بالكلية فان الخمر تفضح شاربها وتطلع على ما في نفسه من الاسرار فقد كانت الحزمة من ملوك الفرس تحرم على الرسل شربها وتضرب عليه الاعناق عند مخالفته وكانوا اذا ورد عليهم رسول من الهند أو الترك أو الروم اقاموا له الضيافات والرواتب وبعثوا له بالخمر والمغاني والملاهي فان أجاب الى ذلك طمعوا فيه واطلعوا على جميع أسراره وهان عليهم ، وان امتنع نبل قدره عندهم وعلم سداده ، وان كان الرسول من عند بعض الاعداء فينبغي ان يشدد حجابه ولا يؤذن لاحد ان يجتمع به فربما افسد قلوب احد من اركان الدولة ورعاياها »[2]

---

(١) ترتيب الدول ص ٩٣ (٢) ترتيب الدول ٩٤

امتيازات السفراء واكرامهم

اما امتيازات السفراء وحسن معاملتهم واكرامهم في جميع الجهات التي يقصدونها في عهد الحضارة الاسلامية فكان من الامور المقررة والقواعد المرعية في جميع دولهم وكان للسفراء في ذلك العهد من الحقوق مثل ما لهم الآن ان لم يكن ضعفه لما كانوا ينالونه من حفاوة الملوك واكرامهم فضلا عن جوائزهم وانعاماتهم وخلعهم

وقد كان في القاهرة في عهد الدولة الفاطمية دار للضيافة من اخفر دور القاهرة برسم السفراء الواردين من الملوك [1] واليك رسوم لقاء السفراء واكرامهم على ما كان يتبعه العرب في ذلك : فقد كان الخليفة او الملك عندهم يتقدم امره الى جميع عماله بالبلاد التي تحت حكمه ان يعتنوا بامر السفراء من اطراف البلاد فينزلوا في مساكن تليق بهم ويجري عليهم من النفقات والاطعمة ما يرغد به عيشهم ، وكذلك يقام لهم بوظيفة المراكب حسبما تدعو الحاجة اليه وان نفق لهم دابة عوضوا عنها ويكون ذلك معدًّا لهم في جميع البلاد التي على اطراف الطرق وما يلزم الطرقات لمثل هذا فان كانت هذه الطرق والمسالك تحتاج الى خفراء يسيروا معهم الخفراء والادلاء . اما الحزمة من الخلفاء والملوك فانهم كانوا اذا سمعوا باخبار وصول السفير الى اطراف بلاده يجهزون له جماعة من الجيش مع اكبر الامراء ليحتفظوا به وبمن معه ويرتبون له الاقامات والمراكب وجميع ما يحتاج اليه ويوعرون به في الطرقات ولا يمكنون احداً من الاجتماع بهم حتى ينتهوا الى الملك فان كان ممن ينبغي للملك الاجتماع به وان يستقبله بنفسه فعل ذلك وهو على مقدار ، المرسل وكل سفير على مقداره ومقدار مرسله ومن السفراء والرسل من يعتبر حاله وان لم يمكن الملك أن يتلقاه بنفسه بعث اليه احداً من اركان دولته

وصف استقبال الملوك للسفراء

اذا كان السفير كما قال صاحب ترتيب الدول من والي حرب او صاحب ثغر اجتمع الملك به لوقته وسمع رسالته فربما كان فيه مصلحة وفي تأخيره مضرة ، وان لم يكن كذلك يترك في دار الضيافة ثلاثة أيام ولا يمكن لاحد من الاجتماع به ثم يستدعى

(١) المقريزي ٦٤١ ج ١

وقد رتبت دار الملك في ذلك اليوم ويجتمع العساكر والجند ويجلس الملك على سرير الملك في أحسن ابهة وزي وتصطف السلحدارية حوله بالسيوف والطبردارية وغيرهم من ارباب السلاح ثم يمد السماط وتأكل الناس اثر خدمة لا اكل نهمة وتنصة واركان الدولة جلوس على مقدار مراتبهم وقيام في الخدمة ويدخل السفير والحاجب معه والمهمدارية تقدمه فاذا وصل بحيث يلمحه الملك يخدم السفير ثم يتقدم الى وسط الدار وبعد ذلك يتقدم الى المكان الذي يليق بمخاطبة الملك فيخدم ويقف والحجاب والتراجم حوله فيبلغ سلام مرسله ويخدم عنه الخدمة اللائقة بهما فيقابل الملك تلك التحية بما يليق بهما من الجواب بالقيام والخدمة او القيام حسب ما يقتضيه حال المرسل والمرسل اليه ثم يخرج الكتب التي معه فيضعها على وجهه وعينه ثم يطرحها بين يدي الملك فان اراد الملك اكرام صاحبها يقوم لتناولها ويشير بالخدمة عند فضها وقراءة اسم مرسلها ثم يلبث قليلاً حتى يشير اليه الملك بالجلوس فيتأخر ويجلس حيث يجلسه الحاجب أو امير المجلس وهو احد الحجاب فان سأله الملك عن شيء من احوال مرسله اجابه عنه بما ليس فيه سر ولا كتمان ويترك ما عنده من المشافهة والاسرار الى مجلس الخلوة ثم يشير الى حاجبه بانصرافه الى دار الضيافة للاستراحة وان كان معه هدية يخاطب الحاجب عنها الملك قائلاً ان الملك الفلاني قد بعث هدية يلتمس قبولها فيشير الملك بحضورها وهي محصلة عند اقرب الابواب فتعرض عليه بما فيها من دواب وجوارح وثياب مع ثبت [1] يتضمن ذلك الا الجواري فلا تعرض بل يمضى بها الى دار الحريم بعد استئذانه مع الخدم والقهرمانة تعرض ذلك [2] . وكانوا فوق ذلك يحتفلون بالهدايا والسفراء احتفالا عظيماً من ذلك سفارة ملك الروم وهديته للمقتدر التي تأهب لالقائها وزينت البلد والقصور لدخولها وهدية المعز بن باديس للمعز الفاطمي وغيرها

القناصل

هذا اهم ما يقال عن السفراء والسفارات في الدول الاسلامية . اما استخدام القناصل فيرتقي تاريخه الى عهد الحروب الصليبية فهو احدى تنسيقات دول هذا العصر

(١) المراد بالثبت الورقة التي تكتب فيها اصناف الهدية

(٢) ترتيب الدول بتصرف ص ٩٥ و ٩٦

ومبتكراتها وذلك انه لما وقعت هذه الحروب بين سلاطين السلجوقيين والأيوبيين وبين ملوك الافرنج وامرائهم في حملاتهم على الشرق لافتتاح بيت المقدس ودخلت هذه الاراضي المقدسة في حوزة المسيحيين حيناً من الزمن لزمهم ان ينصبوا فيها حكاماً ، فاستخدمت فرنسا وايطاليا واسبانيا في تلك الولايات حكاماً تجاريين تحت اسم « القناصل » وكانت مهمتهم وقاية حقوق الحجاج والسواح والتجار المسيحيين المقيمين في تلك الجهات والمترددين عليها وفصل ما قد يقع هناك من القضايا والمنازعات وتسويته. وقد اخذت باقي الدول هذا النظام واتبعته حتى بعد خروج هذه الاراضي من ايديهم ثم استعملته جميع الدول في سائر اقطار العالم

عبد الفتاح عبادة

كلمات مختارة

لقد كان واجب التفكير والتقرير والقيادة عبئاً ثقيلاً عليَّ في هذه الحرب

غليوم الثاني

كل من يشرب كأساً من الحليب أو يأكل اوقية من الزبدة أو بيضة واحدة من غير ان يكون في اضطرار اليها يرتكب جريمة نحو الوطن . باتوكي مدير المأكولات في المانيا

لا يدوم ما يتم بالقوة الرئيس ولسن

ان تأثير القدوة الحسنة وان يكن بطيئاً اقرب الى اصلاح الهيئة الاجتماعية من سن القوانين هادلي رئيس جامعة يايل باميركا

كل درس في وسائل الصحة هو ايضاً درس في وسائل الثروة ارفنج فيشر

ان جميع الذين وثقوا بنصرنا سوف يكافأون على صبرهم الجنرال هايغ

ينبغي لي الاحتفاظ بحياتي حتى اقوم بالواجبات التي فرضتها عليَّ الارادة الالهية

غليوم الثاني

سوف يأتي زمن يعد فيه البراز بين الدول من الحوادث التاريخية كما يعد اليوم البراز بين الافراد كاردينال جبنس

التجارة الالمانية

وطرقها الغريبة

ادعت المانيا انها أعظم الامم حذقاً ومهارة في ضروب الصناعة وأساليب التجارة فسلم لها الكثيرون بهذه الدعوى كلها أو بعضها لما رأوه من تقدمها الغريب في السنين الاخيرة . وقد ادعت أيضاً ان هذه الحرب انما أضرمها أعداؤها ولا سيما انكلترا خوفاً من تفوقها عليهم في هذا المضمار . ولو كانت القضية الاولى صحيحة لصحت أيضاً القضية الثانية وتنصلت المانيا من تبعة هذه الحرب اذ لا يعقل ان تلجأ دولة الى شهر الحرب وتحمل ويلاتها اذا كانت صاحبة السيطرة في اسواق العالم . فان الفتح الاقتصادي اوفر من الفتح الحربي واسلم منه

على ان من يتبصر في حالة المانيا الاقتصادية قبل الحرب ويستطلع خفاياها يرى غير ما يراه من يكتفي بمجرد الاطلاع على الارقام . فالحقيقة المثبتة اليوم هي ان توسع التجارة الالمانية لم يكن طبيعياً ثابتاً وان جانباً كبيراً من تلك التجارة كان يتم بالخسارة . وقد ثبت ايضاً انه لم يكن في استطاعة المانيا ان تفتتح العالم فتحاً سلمياً وان نموها السريع حتم عليها ايجاد موارد جديدة للمواد الاولية ومنافذ لتصريف السلع . والجملة ان خوف المانيا على مستقبل تجارتها دفعها الى الحرب اكثر مما دفع جيرانها خوفهم منها

تلك هي الحقائق الراهنة التي اثبتها الاستاذ موريس ميليو (من جامعة لوزان بسويسرا) في كتاب نفيس أصدره حديثاً . وقد رأينا ان نقتطف من ذلك الكتاب الفصل التالي لما فيه من الحقائق التي تسهل على القارئ فهم البواعث الاقتصادية التي تقدمت الحرب قال الكاتب :

في ١١ مايو سنة ١٩١٢ القى الهر بو سهل — وهو من اكبر تجار مدينة لوبك — خطاباً في برلين عما يكون من تأثير الحرب — لو شهرت — في الصناعة والتجارة الالمانيتين . ولا يخفى ان ذلك الزمن يقع بعد المشكلة المراكشية التي نشأت بين فرنسا والمانيا سنة ١٩١١ واوشكت ان تشب الحرب بسببها بين الدولتين

وبدأ الخطيب خطابه بقوله انه لا ينبغي نقل كلامه الى الخارج لكونه مضطراً ان

يوجه الانظار الى بعض النقط الضعيفة في الدولة الالمانية . ثم قال « لا ريب عندي في ان الحرب التي سوف تشهرها انكلترا على تجارتنا البحرية تجر علينا عواقب وخيمة جداً وتضطرنا الى الخضوع لها رغم انوفنا »

واسترسل بعد ذلك في ذكر الارقام المثبتة لقوله هذا فقال ان التجارة الالمانية تقدر بنحو ٩٠٠ مليون جنيه بين صادر ووارد وان ٦٥٠ مليون منها تحت رحمة الاسطول الانكليزي . ثم ذكر ما تستجلبه المانيا من الاصناف الاولية والحبوب ، وما ينجم عن الحرب من توقيف المصانع ، وقلة العمل ، وتعطيل العمال ، الى آخر ما هنالك من الويلات والمصائب

وختم بقوله « على هذه المسائل الاقتصادية يقف مستقبل أمتنا ولذلك يجب ان يحسب لها حساب بجانب الاعتبارات الحربية »

تلك كانت لهجة الخطاب الذي نحن بصدده . وهي تشف عن الخوف على مستقبل المانيا وتجارتها . وقد حدث قبل هذا الخطاب حوادث مختلفة دلت على بعض الضيق المستحوذ على البلاد كاضطراب البورصة وافلاس متاجر عديدة وغير ذلك

نعم ان جميع الادلة تشير الى ان هذه الحرب انما شهرت بدافع اليأس للتخلص من الضيق الداخلي . ولكن ما عسى ان يكون ذلك الضيق وكل الظواهر انما كانت تشير الى سعة الرزق والتقدم المتواصل ؟ قليل من التاريخ يرشدنا الى حل هذا الاشكال

لمحة تاريخية

في سنة ١٨٧٩ سن بسمارك قانوناً للرسوم الجمركية وبذل جهده ليوفق به بين مصالح اصحاب الاملاك واصحاب المصانع ولا يخفى ان الفئة الحاكمة في المانيا اليوم انما تمثل هذين الفريقين . ولا يراد بذلك ان لهم اغلبية الاصوات فان المانيا ليست من الدول التي تنقاد بالرأي العام[1] في الانتخابات الاخيرة مثلاً كان لتلك الفئة المستأثرة نحو ٤٥٠٠٠٠٠ صوت بينما الاحزاب الحرة حازت ٧٥٠٠٠٠٠ صوت

وفي سنة ١٨٨٨ توفي غليوم الاول فخلفه ابنه فريدريك الثالث ولكن حالته الصحية لم تأذن له ان يستلم زمام الاحكام وما هي الا بضعة اشهر حتى تبع والده الى العالم

(١) ومن اهم اسباب ذلك ان المستشار ووزراء الدولة غير مسؤولين امام المجلس فضلاً عن نظر الالمان الى الحكومة كأنها سلطة فوق الشعب وليست ممثلة له

الآخر نخلفه ابنه غليوم الثاني . وبعد جلوسه بقليل عزل بسمارك من منصب الاستشارة وجعل مكانه كابريفي . فاتبع هذا سياسة بسمارك ولكن بطريقة لم يوافق عليها « المستشار الحديدي » فان كابريفي قد مهد السبيل لحركة العمال فقويت وانتشرت واصبح لها شأن عظيم في السياسة الداخلية . زد على ذلك انه لم يسوّ بين اصحاب الاراضي واصحاب المصانع بل فضل هذا على ذاك ومن اقواله الدالة على خطته قوله في الريشستاغ « ان المانيا بلاد صناعية »

لذلك سخط عليه حزب الاشراف اصحاب الاطيان ولا سيما النبلاء البروسيون . حتى أن الامبراطور اضطر في عدة مواقف الى تذكيرهم بواجبهم نحو العرش وضرورة اخلادهم الى السكينة . والحق يقال انه بذل كل ما في وسعه لاستمالتهم اليه فنجح واقنعهم بانه يسير بهم الى مستقبل باهر عظيم

وبعد جلوسه بسنتين اي سنة ١٨٩٠ فاه بذلك القول المأثور عنه وهو «ان مستقبلنا على البحر» . ولابد هنا من درس حالته الفكرية اذ ذاك وما كان يداخله من المطامع والآمال : استلم الامير الشاب زمام الامبراطورية الالمانية بعد ان توثقت عراها واتحدت ممالكها اتحاداً متيناً فقال في نفسه « اما الآن وقد تم تكوين الامبراطورية وامنت الشر الداخلي فالواجب علي ان اوسعها في الخارج وان اجعلها اغنى واقوى واعظم مما كانت » ذلك هو الحلم الذهبي الذي شغل عقل غليوم منذ جلس على العرش والذي يتجلى المطلع على اقواله واعماله

وقد اشتغل غليوم في تحقيق هذا الحلم فانصرف الى استثمار الاراضي الالمانية والاستفادة من نشاط كل فرد من شعبه وافتتاح المناجم وانشاء المصانع وتحسين وسائل النقل ونشر التجارة وتنظيم الموارد المالية الخ . بحيث لم تعد عظمة المانيا قاصرة على الاسواق الوطنية بل اوشكت ان تسيطر على العالم اجمع اقتصادياً اولاً ثم ادبياً

نمو المانيا الصناعي

كانت نتيجة هذه الخطة ان تقدمت المانيا من سنة ١٨٩٠ الى اوائل هذا القرن تقدماً عظيماً كان اشبه شيء باعجوبة سماوية . واليك امثلة تبين ذلك النمو الغريب

كان يستخرج من الفحم ٧٢٠٠٠٠٠٠ طن سنة ١٨٨٦ فاصبح ما يستخرج منه ٢٢٥٠٠٠٠٠٠ سنة ١٩٠٦ . وصناعة الحديد وحدها

تستخدم ٤٠٠٠٠٠ عامل وقد حصل مثل ذلك في الصناعات الاخرى ففي سنة ١٩٠٧ كان في المانيا ١٦٠٠٠ معمل للانسجة على انواعها وكان فيها ٩٠٠٠٠٠ عامل. وقس على صناعة الانسجة سائر الصناعات ويكفيك دليلا على تقدم المانيا الصناعي انه كان فيها قبل الحرب ٣٠٠٠٠٠ مصنع يعمل فيها ٥٠٠٠٠٠٠ عامل فتأمل !

ولكن هذا التقدم الغريب في الصناعة وتلك الزيادة في المصنوعات لم يقابلها افتتاح منافذ جديدة لتصريف السلع والبضائع الالمانية فكأن المصنوع فاق المطلوب بكثير

عندئذ شعرت المانيا انها في حاجة الى منافذ تجارية تفرج عنها الضغط الداخلي فمن ذلك الحين اتجهت انظارها الى الاستعمار ولكنها اتت متأخرة ولم يبق لها مجال يذكر من هذا القبيل

ولا ينبغي أن يخطر على ذهن القارى أن المانيا طلبت الاستعمار لازدياد عدد سكانها فانها في المدة الاخيرة اصبحت تحتاج الى العمال تستجلبهم من الخارج وانما كانت المستعمرات لازمة للتوسع الاقتصادي . فانها اصبحت من جهة في حاجة الى المعادن المختلفة والمواد الاولية والى الحنطة والحبوب (لانها اصبحت بلاداً صناعية اكثر منها زراعية) ومن الجهة الاخرى كانت تشعر كل يوم بتراكم السلع في مصانعها من غير ان تجد لها منفذاً في الخارج

طرق المانيا التجارية

ولكي يصرف الالمان سلعهم استنبطوا طرقاً جديدة وأساليب مبتكرة لمسابقة الدول الاخرى . اهمها اربع :

١ — المهاجرة والاقتباس .

اول هذه الطرق المهاجرة . ولا يظن ان الالماني متى هاجر وطنه ينسى جامعة الجنسية وصلته بوطنه بل انه بعكس ذلك شديد المحافظة على قوميته ويندر ان يمتزج باهل البلاد التي يستوطنها . واغرب من ذلك ان الالمان حيثما هاجروا يجتمعون في جهات مخصوصة بحيث يكوّنون قوة متينة كما هو الحال في الولايات المتحدة اليوم

ثم ان الالماني يزج بنفسه في جميع المهن والوظائف فتراه تارة خادماً في مطعم وطوراً رئيس شركة او محرراً او غير ذلك ولكنه مهما يكن العمل الذي يتخذه فانه

يبقى المانياً قبل كل شيء ويسعى بكل قوته لنشر اللغة الالمانية والنفوذ الالماني

ولا يخفى ان معظم مصالح البلجيك قبل الحرب كانت في قبضة الالمان . بل انهم في جمهوريات اميركا الجنوبية اصبحوا خطراً على الحكومات لاتحادهم في جهات معينة يمكثون فيها كأنهم في حصن حصين . وقد اخذت بعض تلك الجمهوريات تفكر فيما اذا كان ينبغي لها ارجاعهم الى وطنهم او جبرهم على المهاجرة الى داخلية البلاد حيث ينفرط عقدهم . وكذلك في سويسرا فان لهم سلطة ونفوذاً عظيماً

والالمان طريقتان للاستيلاء على مرافق البلاد التي يهاجرون اليها : اولاً بواسطة ممثليهم ووكلائهم العديدين الذين يبشرون بفضل البضاعة الالمانية ويقدمون كل التسهيلات لنشرها . وثانياً بشراء المتاجر الوطنية أو مشاركة اصحابها فيها أو انشاء محلات المانية

ثم ان الالماني مشهور باقتباس افكار غيره وتقليدها . خذ مثلاً الازياء ومصانعها فقد شرع الالمان يقلدون محلات باريس الشهيرة ببراعة عظيمة . فاذا اتى التاجر الاميركي مثلاً اوربا ليشتري شيئاً منها قابله وكيل المحل الالماني والح عليه في الذهاب الى المانيا بل قد يرافقه ويمهد له السبيل بنفسه . فاذا ما رجع الاميركي الى باريس بعد ذلك ليرى فيها امثلة الازياء وجد نفس ما وجده في المانيا . فكيف تم ذلك ؟ ان وكيل المحل الالماني في باريس يبذل كل ما في وسعه للحصول على الازياء الجديدة قبل ظهورها مهما يكلفه ذلك ثم يرسلها الى المانيا حيث تصنع منها كميات كبيرة بسعر رخيص وان تكن اقل اتقاناً منها في باريس

٢ — البيع باقل من الثمن الجاري

وهو ما يسمى عند الاقتصاديين dumping والغرض منه مزاحمة المتاجر غير الالمانية حتى تضطر الى مغادرة الاسواق الاجنبية فاذا ما خلى الجو للالمان رفعوا السعر كما يشاؤون . فان حديد البناء مثلاً كان يباع الطن منه في المانيا بنحو ١٣٠ ماركا (أي ١٣٠ شلناً) . اما في سويسرا فكان ثمنه يتراوح بين ١٢٠ و ١٢٥ ماركاً وفي انكلترا واميركا الجنوبية والبلاد الشرقية بين ١٠٣ و ١١٠ وأغرب من ذلك ان ثمنه في ايتاليا كان ٧٥ ماركاً اي انه كان يباع بخسارة ١٠ أو ٢٠ ماركاً لقهر المناظرين

واليك مثلاً آخر : كان للالمان عدة مصانع يصنعون فيها الحامض النمليك الذي انتشر استعماله في السنين الاخيرة لاغراض مختلفة فاراد احد الفرنسيين منذ بضع سنوات انشاء مصنع لذلك الحامض . فانخفض السعر حالاً من ٢٢٥ فرنك للمئة

كيلو غرام الى ٨٠ فرنكا حتى اضطر الفرنسي الى هجر صناعته

ورب معترض يقول أن الشعوب الاخرى تلجأ احياناً الى البيع على هذه الصورة. فالجواب ان ذلك يكون احياناً ولكن بصفة وقتية في زمن الازمات لتصريف السلع المتراكمة وتفريج الضيق الصناعي لا بقصد التضييق على المزاحمين . أما الالمان فانهم يستخدمونه بصورة ثابتة

٣ — التساهل بالدفع

لقد كان تساهل الالمان في مقدمة الاسباب التي فتحت لهم اسواق العالم . فانهم يؤجلون الدفع احياناً ستة اشهر واثني عشر شهراً وثمانية عشر شهراً او اكثر . بل ان بعض المتاجر الالمانية لا تحدد اجلا للدفع في معاملتها مع الروس . قابل ذلك بما هو جار في فرنسا يتبين لك الفرق العظيم فالفرنسي قلما يقبل تأخير الدفع الى اكثر من ثلاثة اشهر او اربعة اشهر في احوال نادرة

على ان الالمان بتساهلهم هذا قد اكتسبوا الاسواق البرازيلية والارجنتينية والمكسيكية وغيرها

٤ — مساعدة الحكومة

تتخذ مساعدة الحكومة صوراً شتى ولكن اولها النفوذ السياسي . قال بسمارك : « ينبغي للعلَم ان يلحق التجارة » اي انه متى انتشرت التجارة في صقع جاز رفع العلم عليه . اما المانيا فقد حادت في بعض الاحوال عن هذا القول وعكسته فجعلت التجارة تابعة للعلم

ثم ان لامبراطور المانيا في هذا الباب ولافراد اسرته شأناً يذكر . فان ظهورهم بمظهر العظمة والسياحات التي يقومون بها في الشرق والغرب (كزيارة الامبراطور غليوم الى القدس) مما يؤثر في الشعوب والدول التي يفدون اليها

زد على ذلك ان الدولة الالمانية نفسها صاحبة شأن في التجارة الالمانية فانها فضلا عن كونها صاحبة السكك الحديدية الالمانية تملك مناجم ومصالح مختلفة فهي بهذا الاعتبار اول محل تجاري في المانيا . ثم ان الحكومة تجعل تسهيلات خصوصية للتجار وتحثهم على تصدير السلع وتمنحهم في بعض الاحوال جوائز لهذا الغرض

والخلاصة ان هذه العوامل اتحدت جميعها على توسيع نطاق النفوذ الالماني فاتسعت المعامل اتساعاً عظيماً وانتشرت التجارة انتشاراً سريعاً . ولكن ذلك النمو لم يكن طبيعياً لان حالة التجارة لم تستدعه ولم تتطلبه

الكلب والانسان

٢ — الكلب عند العرب

أما العرب فقد انقسموا فيه قبل الاسلام وبعده الى فرق وأحزاب . فنهم من عظمه واكرمه وعرف له ذكاءه ووفاءه واخلاصه وأمانته وصدق خدمته فضلع معه وتشيع له ورغب فيه ومال اليه ولم يرَ غضاضة في تسجيل تلك الاخلاق الكريمة له فاكثر من ذكر اسمه في رائق منظومه ورائع منثوره وبليغ حكمه وغالي أمثاله قال الشاعر

أنت كالكلب في حفاظك للود   وكالليث في قراع الخطوب

فهذا الشاعر لم يرَ بأساً من تشبيه ممدوحه بالكلب في حفظ الود تنويهاً بالاعتقاد الشائع الصحيح في انفراد الكلب عن سائر الحيوانات بهذه الميزة الكريمة . وقال عامر بن الطفيل

ومدجج يسعى بشكته   محمرة عيناه كالكلب

فعامر هذا لم يجرأ على تشبيه ممدوحه مدججاً بالسلاح مهيأ للكر والفر والنضال ومنازلة الابطال ومناوأة الاقران محمر العينين الا وهو معتقد بان ممدوحه يسره ذلك التشبيه وان قومه يرضون بهذا المظهر

وكان العرب لا يستنكفون أيضاً من تسمية أشرافهم وعظمائهم باسمه لما له من جليل المنزلة في قلوبهم

نقل الجاحظ عن صاحب الكلب انه قال « ومما اشتق من اسم الكلب في موضع النباهة كليب بن ربيعة » وكليب هذا من اشراف ربيعة ذو عزة وبأس وشهرة حتى قيل فيه المثل المشهور « اعز من كليب وائل » . وهم يشيرون بذلك الى ما ورد مستفيضاً في كتب الاخبار من ان وائلاً كان له جرو يصحبه في غدواته وروحاته فاذا رأى مرعى مخصباً انطلق ذلك الجرو فيه وعوى فلا يستطيع أحد من العرب ان يقترب من ذلك المرعى . وليس أدل على العزة والنباهة من هذه المكانة

كذلك قالوا كلب بن ربيعة وكلاب بن ربيعة واتخذوا منه كنى والقاباً كقولهم بنو كلبة على ابناء مية بنت علاج بن شحمة العنبري

وكانوا يستدلون على كرم الرجل بحسن اخلاق كلبه وترحيبه بالقادمين على دار صاحبه من الضيوف وابناء السبيل . قال الشاعر

فبابك الين ابوابهم ودارك آهلة عامرة
وكلبك آنس بالمعتفين من الام بابنتها الزائرة

وقال الآخر

يكاد اذا ما ابصر الضيف مقبلا يكلمه من حبه وهو اعجم

وكانوا يضعون له اسماء واعلاماً يعرف بها وترد في مقطعاتهم وقصائدهم . قال الشاعر

بتنا وبات جليد الليل يضربنا بين البيوت قرانا نبح درواس

ودرواس هذا اسم كلب

ولم تقطع عنايتهم به عند هذا الحد بل بالغوا في تكريمه فحفظوا اعلامه ودونوا انسابه ككلب جذعان « المسمى السلهب بن البراق بن يحيى بن ذناب بن مظفر بن عارش » وكان من عاداتهم ان الرجل اذا رزق مولوداً ذكراً خرج يتعرض لزجر الطير والفال فان سمع انساناً يقول حجراً ورأى حجراً سمي ابنه حجراً وتفاءل فيه الشدة والصلابة وان كان حماراً تأول فيه طول العمر والوقاحة . فاما ان كان كلباً فانه يتأول فيه الحراسة واليقظة وبعد الصوت والكسب . قالوا ولذلك صور عبيد الله بن زياد في دهليزه كلباً ، وكبشاً ، واسداً ، وقال : كلب نابح وكبش ناطح واسد كالح

وقد زعم العلماء ان حرب هراميت انما كان سببها كلباً

وعلى رغم ما تقدم من بيان منزلة الكلب عند العرب قبل الاسلام فانه لم يعدم فريقاً سود صحيفته وجعله عنوان النقائص والضعة والمثالب فساق اليه الكلام الجارح والطعن الفاضح وما ترك خلقاً دنيئاً الاوخصه به . فورد على ألسنة شعرائهم كثيراً في مقام الذلة والامتهان يسبون به المشنوء ويرمون به المغضوب عليه الى آخر ما جاء من ذلك الباب مما لا محل لذكره الا ن

وجميع ذلك يشير الى نقائص قد يشترك فيها كرام السباع بل والانسان نفسه مثل اكل الجيفة التي يلجأ اليها عند الضرورة ومن ذا الذي يتعفف في هذه الحالة عن اكل الجيفة وما هو شر من الجيفة ؟

كما انهم قد اعماهم التعصب عليه فوصفوه بما لم يثبته علم ولا حس كقولهم انه نتن العرق مع انه لم يقل احد بان الكلب يعرق مهما يصبه الاعياء وينله الجهد الى غير ذلك من تافه الصفات والخاتاتات كعضه الصبيان وتمزيقه الثياب وايذائه للضيفان وازعاجه للجيران وبوله وسلاحه مما لو عرض معرض البحث لما وجدنا له وزناً ولا صحة . وامعن بعد الاسلام ذلك الفريق من العرب الغاضب على الكلب الحامل عليه خصوصاً بعد ان ورد ذكره في القرآن في معرض التحقير والازدراء اذ شبه الله به الذين كذبوا بآياته وضلوا عن سبيل الهدى وتمنوا ان لو كان لهم هاد يهديهم ويبين لهم مواضع الخطأ ويرسم لهم طريق السعادة حتى اذا جاءهم ذلك الداعي الى الصواب (محمد بن عبد الله) انحرفوا عنه وابتعدوا منه وتوغلوا في سبيل كفرهم وعصيانهم فقال فيهم « مثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث وان تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا » فانهم لا ينفكون على وتيرة واحدة سواء غاب المرشد أم حضر فكأنهم كالكلب الذي يلهث لغير ما داع ولا سبب ابعدته أم قربته اجهدته أم ارحته

وورد في بعض الاخبار ان النبي كنى به عن الحمى . قالوا لما سأل ابن جابر حين خرج من عنده واستأذنه الى اهله « نعم ان لم تدركه أم كلبه — يعني الحمى »

كذلك ورد في الخبر عن جابر . قال « امرنا رسول الله بقتل الكلاب حتى ان المرأة لتقدم بكلبها من البادية فنقتله ثم نهانا عن قتلها (الكلاب) قال عليكم بالاسود البهيم ذي النكتتين على عينه فانه شيطان »

وعن جابر ايضاً ان النبي أمرنا بقتل الكلاب فكنا نقتلها كلها حتى قال انها أمة من الامم فاقتلوا الاسود ذا النكتتين على عينه فانه شيطان نافع

وعن ابي رافع قال أمرني رسول الله أن اقتل الكلاب فكنا نقتلها فانتقلت الى ظاهر بني عامر فاذا بعجوز مسكينة معها كلبها وليس بقربها انسان فقالت ارجع الى النبي فاخبره ان هذا الكلب يؤنسني وليس قربي أحد فرجع اليه فاخبره فامر أن يقتل كلبها فقتله

وقال في حديث آخر انه لما فرغ من قتل كلاب المدينة وقتل كلب المرأة قال الآن استرحت

ومما روى في كتاب فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب ان النبي رأى رجلا

قتيلا فقال ما شأنه قالوا انه وثب على غنم بني زهرة فاخذ منها شاة فوثب عليه كلب الماشية فقتله فقال النبي قتل نفسه واضاع دينه وعصى ربه وخان اخاه وكان الكلب خيراً منه

وروى الاشعث عن الحسن قال ما خطب عثمان خطبة الا وامر بقتل الكلاب وقال سمعت عثمان يقول اقتلوا الكلاب

وقال ابو هريرة ان النبي قال من اقتنى كلباً فانه ينقص من عمله كل يوم قيراطاً

وعاد بعض نفر من اصحاب النبي رجلا من الانصار فلما انتهوا الى باب الدار ثارت أكلب في وجوههم فقال بعضهم لبعض : ما يبقي هؤلاء (الكلاب) من عمل فلان شيئاً كل كلب منها ينقص قيراطاً من عمله في كل يوم (والقيراط مثل جبل احد)

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : ان الملائكة لا تدخل داراً فيها كلب

كذلك انتقل هذا الى ألسنة الشعراء فقال الاحوص يهجو ابناً له وقد شبهه بجرو كلب :

أقبح به من ولد وأشقح مثل جري الكلب لم يفقح
ان يرَ سوءاً لم يقم فينبح بالباب عند خلقه المستقبح

كذلك جعلوه مثلا للؤم فقالوا :

سرت ما سرت من ليلها ثم عرست على رجل بالعرج الأم من كلب

ومثل قول سهم بن حنظلة :

وأما كلاب فمثل الكلا ب لا يحسن الكلب الا هريرا

ثم جاءت بعد ذلك الفقهاء فاختلفوا في شأنه وتضاربت آراؤهم في نجاسته وطهارته وتشعبت أفكارهم في تحليل وتحريم اقتنائه فرأى بعضهم فيه النجاسة لا يطهر الاناء منها الا أن يغسل بالتراب سبع مرات وهو حكم الشافعي (اذا ولغ الكلب في اناء) أما مالك فقد رأى ان الماء اذا ولغ فيه الكلب فلا بأس من أن يكون مطهراً يجوز الوضوء منه ولم يمنع اللبن اذا ولغ الكلب فيه من أن يؤكل ويتمتع به

كل هذا واضرابه احرج مركز الكلب والجأ كثيراً من المسلمين الى اهماله وعدم الانتفاع به اخذا بالاحوط من الامر

ولم يقتصر هذا الخلاف على فريق دون فريق بل عم الطبقات ومنهم الشعراء

فتناولوه بالذم كما نال منهم المدح . فمن ذمه ابو الطيب المتنبي حيث يقول في هجاء كافور :

ما كنت احسبني ابقى الى زمن   يسيء بي فيه كلب وهو محمود

وفي هذا المعرض أيضاً يقول :

جاز الاولى ملكت كفاك قدرهمو   فعرفوا بك أن الكلب فوقهم

وقال ابو العلاء المعري يهجو ابن الحصين :

لا تغتبط يا ابن الحصين بصبية   اضحت لديك كثيرة الاعداد
لا فخر فيك ولا افتخاراً فيهمو   ان الكلاب كثيرة الاعداد

وقال سبط بن التعاويذي :

هجوت أبا سعد فنوهت باسمه   ورب مديح جاء من جهة الثلب
وشبهته بالكلب نقساً وهمة   ولم أر اني قد أسأت مع الكلب

وقال ابن الرومي يهجو خالد القحطبي :

خسأت كلباً مرّ بي مرة   فقال مهلا يا أخا خالد
حسبكم خزياً بني آدم   شركتكم اياه في والد

وقال ابن الرومي يذم بعض الرؤساء :

قل للذين مدحتهم فكأنما   مسخوا كلاباً غير ذات خلاق

ولقد جاء عن الرجل الواحد ما يكاد يكون من التناقض بمكان ذلك هو مثل أبي الطيب المتنبي فقد رأيناه يهجو كافوراً فيسمه سمة الكلاب ورأينا له هذه الكلمة في وصف كلب ارسله أبو علي الاورجاني على ظبي ينعت سرعة عدوه وقوة حضره :

يكاد في الوثب من التفتل   يجمع بين متنه والكلكل
نيل المنى وحكم نفس المرسل   وعقلة الظبي وحتف التتفل
مقتحماً على المكان الاهول   يخال طول البحر عرض الجدول
كأنه من علمه بالمقتل   علّم بقراط فصاد الاكحل

أما التناقض فلا وجه له لان أبا الطيب ينظر اليه في ذمه من تلك الجهة التي نظرها فيه أولئك الذين خرجوا عليه وذموه . وأما مدحه فهو في مثل الصيد وليس يختلف معه احد فقد جاء في الخبر المأثور « انه من اقتنى كلباً ليس بكلب زرع ولا ضرع ولا قنص فهو آثم »

كذلك ممن مدحه ابو نواس اذ يقول :

هجنا بكلب طالما هجنا به ينتسف المقود من كلابه
من مرح يغلو اذا اغلولى به وميعة تغلب من شبابه
كأن متنيه لدى انسلابه متنا شجاع لج في انسيابه
كأنما الأظفور في قنابه موسى صناع رد في قرابه
تراه في الحضر اذا ها هي به يكاد يخرج من اهابه

وهو القائل ايضاً :

انعت كلباً اهله في كده قد سعدت جدودهم بجده
وكل خير عندهم من عنده يظل مولاه له كعبده

وفي كلبة صيد يقول ابن المعتز ايضاً :

قدنا لعين الوحش والظباء داهية محذورة اللقاء
تحملها اجنحة الهواء تستلب الخطو بلا ابطاء

فكان مدح هؤلاء الشعراء اياه من جهة نفعه أي في الصيد والقنص . وهناك من الناس من رأى فيه الوفاء والامانة يجرى ذكره على لسانهم من هذه الوجهة أيضاً . مثال ذلك أنهم قالوا : كان للحارث بن صعصعة ندماء لا يفارقهم وكان شديد المحبة لهم فخرج في بعض تنزهاته مع ندمائه فتخلف منهم واحد فدخل على زوجة الحارث فاكلا وشربا فلما رآهما الكلب على هذه الحال وثب عليهما فقتلهما فلما رجع الحارث الى منزله وجدهما قتيلين ففطن الى الامر وأنشأ يقول

وما زال يرعى ذمتي ويحوطني ويحفظ عرسي والخليل يخون
فيا عجباً للخل يهتك حرمتي ويا عجباً للكلب كيف يصون

هذا بيان لحالة الكلب قبل الاسلام وبعده مما يدعو بطبيعة الحال الى الشك في شأنه ولا غرابة أن يجد المطلع على ما سردناه بل والكثير الذي لم نأت به مما هو مستفيض في الكتب من دواعي الشك شيئاً كثيراً فاضطر اغلب المسلمين والحالة هذه الى اهمال ذلك الحيوان من باب الاخذ بالاحوط من الامر كما قدمنا

والظاهر ان نجم الكلب الافريقي (البلدي) بدأ في الافول منذ الفتح العربي . ذلك لان من اسلم لم يعبأ به للاسباب السالفة ومن بقي على دينه تركه تزلفاً لاصحاب الشأن او خوفاً من تعكير امزجتهم وازعاجهم بعوائه

فلم يجد الكلب بدأً من ان يغادر منازل سعادته ورفاهيته فسكن الدور الخربة ليلا فراراً من الاضطهاد وسوء المعاملة نهاراً فاذا آنس من بعضهم الرحمة والانعطاف ربض نهاره كله تحت منافذ منازلهم انتظاراً لما يلقى به اليه من فتات المائدة وقد يلبث نهاره راقداً امام دكاكين القصابين او بائعي الاطعمة رجاء ان يلقى اليه بقطعة من العظم او كسرة من الخبز

ولما اتسع العمران وعمت الحركة تركها خوفاً مما عساه ان يدهمه من الايذاء واتخذ التلال والمقابر مسكناً له واخذ نفوره يزداد من الانسان خصوصاً لتعدد سرقة اجرائه اما لتتلهى بها الصبيان او لذبحها على صدور المولودين حديثاً لاطالة اعمارهم او اكلها للسمن عند نحفاء البنية او اطعامها للمتخاصمين من الاصدقاء لمحو الحقد والضغينة او استعمال بعض اعضائها للتداوي والعلاج من مثل الصرع وغيره وانتهت به الحال الى ان اصبح نوعاً دنيئاً وتأصلت فيه البلادة وورثها عنه اجراؤه وبات يتعذر تأديبه وترقية نوعه وطاردته الحكومة وسمته فراراً من أذاه اذا كلب

على ان الكلب الافريقي لا يزال الى الآن في بلاد الارياف يخفر الزرع والماشية والنفس

الدكتور حسن ذهني

طبيب مستشفى جمعية الرفق بالحيوانات بالقاهرة

اقوال في اللسان

كلما تقدم الانسان في السن وجد ان اللسان سبب كل شر في العالم

باكستون هود

لقد وجدت في هذا العالم ان سعادة الناس تصدر عن السنتهم اكثر منها عن فضائلهم . كذلك وجدت ان مصائبهم تنسب الى السنتهم اكثر منها الى رذائلهم

اقتح فمك وكيسك بحذر — زمرمن

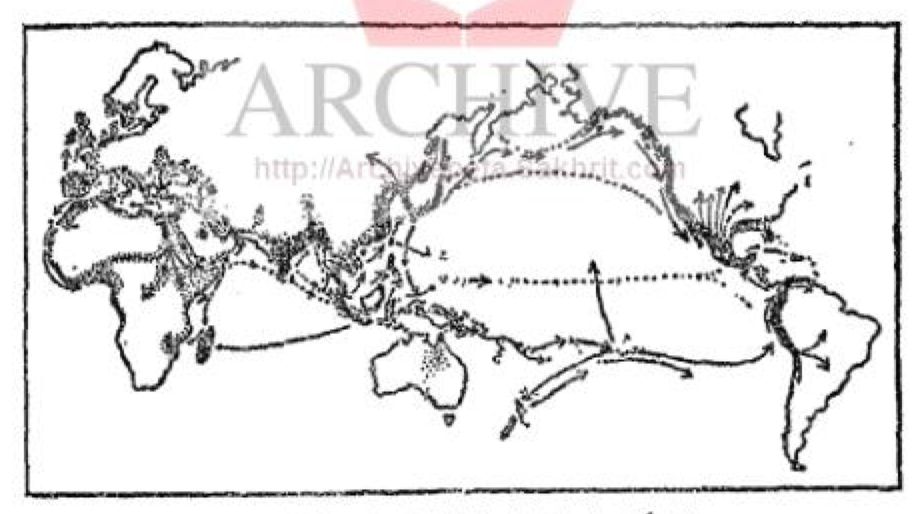
ان جرح اللسان اشد من جرح السيف . لان هذا لا يؤثر الا في الجسد اما ذاك فيلحق الروح

يثاغورس

المدنية المصرية القديمة

وانتقالها الى اميركا

من النظريات التي كانت شائعة بين علماء التاريخ في اوربا واميركا منذ اربعين أو خمسين سنة قولهم بانتقال العادات والعقائد من العالم القديم الى العالم الجديد في الازمنة الاولى للتاريخ . اذ لا يخفى انهم وجدوا في تلك القارة التي نسميها «جديدة» آثاراً كثيرة تدل على ان سكان تلك البلاد بلغوا درجة رفيعة من العلم والتمدن تضاهي مدنيات الشرق القديمة . على ان العلماء شكّوا اخيراً في تلك النظرية ثم نفوها ووضعوا مكانها نظرية أخرى مؤداها ان الشعوب التي تعيش في اقطار متشابهة تدخل اثناء نموها في ادوار متشابهة من التطور الاجتماعي



الاماكن التي انتقلت اليها المدنية المصرية القديمة

غير انه قد قام اخيراً عالم اسمهُ المسترج . اليوت سميث فنفى هذا الاعتقاد بدعوى أن الشبه عظيم جدًّا بين مدنية مصر ومدنيات اميركا بحيث انه لا يعقل ان ينسب هذا الشبه الى مجرد الاتفاق . وهو يرى ان مدنية اميركا القديمة انما جاءت اليها من مصر حوالي سنة ٩٠٠ قبل الميلاد عن طريق الهند والصين وجزر الاوقيانوس الباسيفيكي ، وان ذلك الانتقال ترك آثاره في تلك الاقطار وانه

طرأ على المدنية المصرية اثناء انتقالها هذا بعض التغيير بفعل المدنيات الاخرى التي احتكت بها فاقتبست منها ما اقتبسته ثم وصلت الى شواطئ اميركا . وقد نشر آراءه في مجلة « العلم » الاميركية قال مثبتاً حركة انتقال المدنية المصرية شرقاً الى اميركا :

ليس البرهان على صحة هذا الحادث التاريخي محصوراً في اوجه الشبه العديدة بين العادات والعقائد والانظمة ، بل يكفي ان تتأمل في العناصر الغريبة والمتشعبة التي تتكوَّن منها تلك المدنيات حتى تتيقن من تعذر اتفاق شعبين في نموهما لدرجة ان يتفقا في التفاصيل الدقيقة والامور الغريبة ولا سيما اذا كانت نتيجة احوال خصوصية اكتنفت نشأتها ونموها

فقد يعقل مثلاً — وان كنت اعتقد خلاف ذلك — ان شعوباً مختلفة بعيد كل منها عن غيره تتفق في استنباط طرق التحنيط و بناء الابنية العظيمة ، وفي معرفة الختان والوشم ، وفي بعض الخرافات والعقائد المتعلقة بعالم الارواح والموتى ، وفي عبادة الشمس ونحو ذلك . ولكن على فرض التسليم بذلك فانه يتعذر التسليم بان المصريين والاميركيين القدماء اتفقوا ايضاً بمحض طريق المصادفة في البناء على اشكال هندسية ذات خواص معروفة . وهل يعقل ان يتفق الشعبان ايضاً مصادفة في وشم ذقون نسائهم ؟ أو ليس من الغريب ان يعبد الفريقان الشمس بنفس الطريقة وان يتخذا معاً صورة رمزية واحدة هي صورة الحيَّة المجنحة والشمس ، وان يستخدما اساليب الري على نفس المبادئ وان يقيما النصب والتماثيل على شكل واحد وان يكون لهما عقائد واحدة بخصوص الموتى والارواح ونحوها ؟

يتضح لنا من ذلك — حتى على فرض صحة النظرية القائلة بتشابه الآداب والنُّظُم الاجتماعية لدى الشعوب التي تتشابه بيئاتها — انهُ من العسير جداً التسليم بان ذلك الشبه يلحق اموراً دقيقة كالتي قدمناها . بل لا يسع الباحث المنصف الا أن يعترف بان المدنية الاميركية القديمة مقتبسة من المدنية المصرية القديمة في دورها الاخير مع ما طرأ عليها من التغيير اثر احتكاكها بمدنيات إثيوبيا والهند والجزر الهندية وغيرها

وخلاصة رأيي في هذا الشأن ان المدنية المصرية انتقلت تدريجاً من مبعثها في وادي النيل حوالي سنة ٩٠٠ ق . م متجهة شرقاً الى ان وصلت الى اميركا . وقد طرأ عليها في طريقها تغييرات مختلفة ناجمة عن تأثير البيئة ومعيشة الاهلين واحوالهم الاجتماعية . وفي كل مكان حطت فيه تلك الحركة رحالها سواء في الهند أو في الجزر الهندية أو في اميركا أو غيرها نشأت مدنية مستمدة من المدنيـة المصرية وازدهرت حتى اصبح كل من تلك الاقطار مبعثاً للمدنية ومناراً يضيء ماحوله من الاقطار المظلمة

خواطر ستندهال (١)

الحب شعر العواطف . ينبغي ان تشعر لا ان تعرف

نصائح الشيب كشمس الشتاء تضيء ولكنها لا تدفئ

دمعة في الغنى خير من الف ابتسامة في الفقر

السعادة هي ان تُحِب اكثر مما تُحَب

من خطأ القلب أنه يؤثر جمال الصورة على جمال الروح

عدو مباسط أحب الي من صديق مضجر

يلوح لي ان المحارب ليس أحوج الى الجرأة من الكاتب . وانت لا ترى الاول يفكر في ضجعة المستشفى الا بمقدار ما يهجس الثاني في محك النقاد

لن ننال المجد اذا لم نعرف قيمة للزمن

الرجل الطيب في عرفنا هو الرجل السعيد . وليست السعادة ان تملك بل ان تنجح

من رأيي ان فكر الكاتب يجب ألا يعلو على مجموع الآراء التي تكوّن ذكاء الجمهور الا بخمس أو ست درجات فقط فان بلغ به العلو والاتساع الى اقصى من ذلك احدثت كتابته ولا محالة صداعاً في رأس ذلك الجمهور

السعادة عندي ألا اكون آمراً ولا مأموراً

عبد الحميد محمد

(١) هو الروائي الفرنسي الشهير واسمه الحقيقي هنري بيل ولد في جرينوبل سنة ١٧٨٣ ومات في باريس سنة ١٨٤٢ وكان نجل محام مثر وقد زاول مهناً مختلفة لم يستقر فيها على حال وكان مغرماً بالتجوال في انحاء اوربا واشتغل بالسياسة وعين قنصلاً المعرب

انكلترا بعد الحرب

كيف تحوّل معاملها الحربية الى معامل صناعية

لقد انقضى الزمن الذي كان الناس فيه يحولون محاريثهم عند نشوب الحرب الى سيوف او دروع ثم يعيدونها الى حالتها الاولى حين تضع الحرب اوزارها . على ان تحويل ادوات السلام الى ادوات حربية لا يزال آخذاً مجراه ولكنه يلحق المصانع العظيمة بدلا من ان يلحق المحارث وما شاكلها

فالحروب الحديثة وهذه الحرب خاصة تسبب انقلابين عظيمين في الحالة الصناعية: الاول تحول الصناعة عند نشوب الحرب الى صنع الذخائر الحربية . والثاني رجوعها الى مجراها الاول بعد ان تطبعها الحرب بطابعها الخاص

وقد شهدت الدول المتحاربة اليوم الانقلاب الاول . فانصرفت المصانع على انواعها الى صنع الذخائر واللوازم الحربية ، فضلاً عن المصانع التي أنشئت خصيصاً في اثناء الحرب للاغراض الحربية المحضة . على ان بعض الدول كانت اكثر استعداداً وأشد تأهباً من سواها لاحداث هذا الانقلاب بنظام وسرعة . ولعل المانيا سبقت الدول الاخرى في هذا المضمار لمرونة نظامها الصناعي فانها ما برحت تحسب للحرب حساباً في جميع مشروعاتها السلمية . وبعكسها انكلترا فقد تطورت تطوراً بطيئاً بعد نشوب الحرب ويقول العارفون انها قضت ستة الاشهر الاولى بدون ان يطرأ على حالتها الصناعية تغير يذكر مما يدل على صلابة نظامها الصناعي . ولكن بعد انشاء وزارة الذخائر ووضعها تحت ادارة المستر لويد جورج اخذ الانقلاب يتم بسرعة عظيمة حتى لقد يجوز لنا القول بان انكلترا اليوم اشبه شيء بمصنع عظيم للذخائر . فقد اصبحت معامل البسكلت تصنع الطيارات والقنابل ، ومعامل الآلات الزراعية تصنع العربات والقطرات ، ومعامل مكنات الخياطة والتيبيرتر وآلات التصوير الخ . تصنع القذائف والبنادق ونحوها

هذا هو الانقلاب الاول أما الانقلاب الثاني فما يكون من أمره يا ترى ؟ وما عسى ان يكون اثر الحرب في الصناعات والمصانع الانكليزية ؟

لقد احتاطت انكلترا وهي تنشىء المصانع الجديدة وتحول الوف المصانع السلمية

الى مصانع حربية لما يكون من امرها في المستقبل فلم تخط خطوة الا وهي تحسب حساب زمن السلم الآتي

ستكون اول المصانع رجوعاً الى وظيفتها الاصلية بلا ريب تلك التي لم تبدّل آلاتها وادواتها وانما اقتصرت على التوريد للحكومة بدلاً من التوريد للجمهور . تليها المصانع التي غيرت ما عندها من الآلات او اضافت اليها آلات جديدة لصنع الذخائر الحربية . وقد بذل الانكليز جهدهم لتكون التغيرات والاضافات وقتية بقدر الامكان بحيث يتيسر ارجاع الامور الى مجراها الاصلي بسهولة والاستفادة من التدابير والآلات المستجدة

ومما يدفع اصحاب المعامل الى توسيع معاملهم ان الحكومة فرضت عليهم ضريبة قدرها ٥٠ في المئة من صافي الربح . فهم يختارون توسيعها لان الضريبة لا تلحق الربح الذي يصرف في هذا الباب . وقد بلغ من هذا التوسيع انك لا تجد مصنعاً من مصانع انكلترا لم يتسع اتساعاً يتراوح بين ٥٠ و ٥٠٠ في المئة عما كان قبل الحرب . هذا فضلاً عن تنظيم تلك المعامل وتدبيرها على احدث الطرق العلمية والاقتصادية

اما مصانع الذخائر التي انشئت في اثناء الحرب فانها ستكون ايضاً من اسباب التقدم الصناعي في انكلترا . فقد انشأت مدن كبيرة عامرة اثر العناية بصنع الذخائر في اماكن لم تكن مأهولة قبل الحرب . وتنوي انكلترا ابقاء جانب من تلك المصانع لصنع الذخائر والمدافع وتحويل الجانب الآخر الى صنع الاصناف التي كانت المانيا قد احتكرتها تقريباً ولا سيما اصباغ الانيلين . فان هذه الاصباغ انكليزية الاصل ولكن الالمان تخصصوا في صنعها حتى احتكروها تقريباً في العالم . وقد انشأت انكلترا اخيراً معملاً لهذه المواد نال من النجاح ما يؤمل بتقدم تلك الصناعة في المستقبل . ومما تفكر انكلترا في صنعه ايضاً الآلات المحركة من نوع ديزل والالات الكهربائية الضخمة وغير ذلك من الاصناف التي كانت المانيا صاحبة السبق فيها

وما عسى ان يكون من مستقبل المانيا في هذا المضمار ؟ لا شك ان الحرب ستفيد مصانعها ايضاً ولكن الفائدة ستكون اقل من فائدة انكلترا لان نظام المانيا الصناعي كان قد بلغ درجة عالية من الاتقان لم يبق بعدها مجال كبير للتقدم . فبينما يمكن تقدير تقدم الصناعة الانكليزية من حيث التدبير والنظام والمقدرة على الاجمال بنحو ١٥ الى ٣٠ في المئة فالصناعة الالمانية لم تتقدم اكثر من ٥ او ١٠ في المئة

على ان ما عند المانيا اليوم من السلع والمصنوعات الجاهزة للبيع يقدر بنحو ٣٠٠ مليون جنيه سوف تتدفق على اسواق العالم وتباع بابخس الاثمان لكي تسترجع المانيا عملاءها وتستحصل على ما يلزمها من المال لتسيير مصانعها ومشاريعها . ولكن الحلفاء قد اخذوا حيطتهم من هذا القبيل كما اخذوها في الامور الاخرى .

النجاح في العالم

كم منه يقف على الحظ وكم على الاقتدار ؟

يقول الكسول ان النجاح في العالم انما يقف على حظ الانسان . وبعكسه الناجح فانه ينسب نجاحه الى مقدرته واجتهاده . اما العالم الباحث فيقول بان لكل من العاملين قسطاً من النجاح

ولكن باي نسبة ؟ قال الاستاذ ريشو العضو في اكاديمية العلوم الفرنسية بعد درس هذا الموضوع درساً علمياً ومقابلة احوال الناجحين وعددهم ونحو ذلك : « ان ثلاثين في المئة من النجاح يقف على مجرد الحظ » وليس القصد من ذلك ان تلك النسبة تصح في جميع الحوادث والاحوال . فانه يتعذر تطبيق هذا القول دائماً وانما هو معدل مستخلص من درس سير كثيرة . واليك حصة الذكاء والاجتهاد والحظ من نجاح الانسان بناء على رأي الاستاذ المتقدم ذكره :

٥٠ في المئة للذكاء

٢٠ « للاجتهاد

٣٠ « للحظ او السعد

وقد علق الاستاذ على ذلك بقوله « على انه وان كان النجاح يقف على تلك العناصر الثلاثة فانه لا ينبغي تطبيقها بصورة واحدة . فقد يكفي رجلاً عشرة في المئة من الحظ لينجح في حياته بينما خمسون في المئة لا تكفي لنجاح رجل آخر » والفرق بين الناس من هذا القبيل هو ان البعض يغتنمون الفرص ويستفيدون منها او يخلقون فرصاً لانفسهم بينما البعض الآخر لا يدرك خطورة الفرص التي تعرض له

وقد ذكرت احدى المجلات الاميركية هذا الرأي ثم اتت بامثلة مختلفة تبين مقدار ما دخل في نجاح بعض المثرين من الحظ . فذكرت نفراً من اكابر تجار

الاميركيين الذين ارتقوا من احط المهن والوظائف الى اسمى المراكز وبينت الظروف والاحوال التي ساعدتهم على ذلك فرأينا ان ننقل بعض تلك الحوادث لما فيها من العبرة والفائدة قالت :

استخدم شاب في بعض المصارف وكان يحلم دائماً بالاستقلال في العمل . فشرع يجمع الدراهم شيئاً فشيئاً الى ان تمكن من فتح محل صغير لبيع السجاير داخل فندق من الفنادق الكبيرة . ثم نقل هذا المحل الى الشارع . وفي ذات يوم ذهب الى نيويورك ليشتري منها ما يلزم لمحله من السجاير وبينا هو في احد الشوارع الكبيرة اراد ان يدخن سيجارة وكانت سجايره قد فرغت فالتفت يميناً وشمالاً ليجد محلاً تباع فيه السجاير فلم يجد واضطر ان يمشي مسافة الى ان وجد محلاً لبيع السجاير فقال في نفسه « يجب ان يفتح محل للسجاير عند زاوية كل شارع من الشوارع الكبرى التي يزدحم فيها الناس » وفي الحال درس المشروع وفتح محلاً صغيراً وما لبث يفتح المحل بعد الآخر حتى اصبح الآن يملك اكثر من مئتي محل في المدن والشوارع العظيمة

فلو لم يشأ صاحبنا التدخين وهو في الشارع لبقي في محله الصغير ولكنه وجد فرصة فاغتنمها بفطنته وذكائه وتعهدها باجتهاده فنجح

***

وفق صاحب محل صغير لتصليح البيسكلات وتأجيرها في مدينة كامدن بولاية نيوجرزي من الولايات المتحدة الى جمع قليل من المال فذهب مع رفاق له لقضاء بضعة ايام في متنزه هناك وكان اول ما عملوه ان ذهبوا لسماع الفونوغراف فقال احدهم « انه حسن لولا صريره » فاجابه صاحب محل البيسكلات « اني اوفق الى تطهيره من هذا الصرير »

— كيف ذلك وانت لا تملك ثمن فونوغراف واحد

— سوف استخدم في محل يصنع تلك الالات

وكان كذلك . الا ان المحل الذي استخدم فيه افلس فقبل ان يدفع له بدل جانب من اجرته آلات فونوغراف فاخذها الى منزله وما برح يشتغل حتى نجح في ازالة ذلك الصرير المزعج وهو الان مدير معمل عظيم مساحته ٢٥ فداناً ويقدر ريعه السنوي بعشرة ملايين جنيه

***

هاجر شاب انكليزي الى اميركا وانضم الى جوقة من الممثلين كانت تطوف في الارياف فتقدم للاهلين انواع التسلية واللهو . وكان ذلك الشاب مصوراً في تلك الجوقة يرسم الصور المختلفة أمام الجمهور بسرعة عظيمة . وكانت الجوقة تقدم ايضاً امثلة من الصور المتحركة وهذا الفن اذ ذاك في اول عهده . فخطر يوماً للشاب ان يزور المستر اديسن فضحك رفاقه من فكرته . ولكنه ما لبث ان قابل المستر اديسن فسر هذا من عنايته وضرب له ميعاداً لمقابلته . فاقترح الشاب ان تمثل الروايات الطويلة والقصص الفكاهية في الصور المتحركة . وما لبث ان اخرج فكرته الى حيز العمل ونجح نجاحاً عظيماً . وهو اليوم مدير احدى الشركات السينماتوغرافية الكبرى في اميركا

وقس على ما تقدم امثلة كثيرة . وهي كلها تدل على أن للفرص دخلاً في النجاح ولكن متى وجدت الفرصة ينبغي الاستفادة منها بالفطنة والثبات والمجالدة

تمثال الحب

مترجمة عن شعر هيني Heine (١)

وغابة لا تنال العين غايتها	جنيّة النبت والاشجار والزَّهَرِ
ظللت أمشي بها ما بين دانيةٍ	من القطوف وزهر يانع عَطِرِ
أقلّبُ الطرف طوراً في ازاهرها	وتارةً في فروع الدَّوح والشجرِ
والبدر يلقي عليها من أشعته	ما غادر الحسن فيها غير مستترِ
فالقلب يدرك فيها ما يؤمّلهُ	والعين تبصر ما تهوى من الصورِ
فكاد يسحر قلبي ما رأيت بها	حتى لصدقت ماقد قيل في السيرِ
وبينما كنت أمشي في خمائلها	سمعت شدواً كصوت العود في السحرِ
ولاح لي بعد لأي بلبل غَرِدٌ	يشدو بذكر ذوات الدَّل والحورِ
ومَن أذابت عوادي الحب مهجته	فصار مثل الذي ينسى من الخبرِ

(١) هنري هيني شاعر الماني شهير ولد في دوسلدورف سنة ١٧٩٩ وتوفي في باريس سنة ١٨٥٦

فكاد يقتلني تَرديدهُ طرباً لولا إعادة ما يشجيني من الذكرِ
ولاح لي بعدهُ بيتٌ وقفت بهِ حيران أبحث عما فيهِ من أثر
بيت مهيب يروع النفسَ منظرهُ كأنما قد بناهُ الجن للبشر
وقد يظن بلا أهل لوحشته وأهله فيهِ قد باتوا على غررِ
وعند مدخله تمثال غانيةٍ لولم تكن من ذوات الناب والظفرِ
لليث من شكلها ما دون عاتقها وللغواني جمال الوجه والشعرِ
وكان في وجهها حسنٌ فتنت بهِ والحسن يجلب أحياناً من النظرِ
تقول مقلتها قولاً لناظرها يغريه بالحب بعد الشيب والكبر
وقفت طرفي عليه لا انقله وسال دمعي على خدي بمنحدر
ردي جواب فتى ثارت لواعجه فالحب لم يبق من صبر لمصطبر
وأنشأ البلبل الغريد يطربني بما يرتل من شعر ومن سور
ولم ازل منشداً شعري ومستمعاً وناظراً حسن هذا الفاتن الحجري
حتى تبسم لي يا حسن مبسمه وحسن ما فيه من طيب ومن خصر
فسرت مقترباً منه على وجل اقصّر الخطو من خوف ومن ذعرُ
حتى اذا صرت منه قيد أنملةٍ قبلته لقضاء كان في القدر
فعاد حياً لحيني ثم امسكني فلم أشك بان الموت منتظري
وظل كالبحر مهتاجاً ومرتعداً وظلت كالطير يوم الريح والمطر
وصار يشرب نفاسي برعدته وصرت أصرخ بين الناب والظفر
وانشد البلبل الغريد يسأله ليسمع الناس من بدو ومن حضر
يا حب كم ضاع من سمع ومن بصر وكم اذل عزيز كان ذا خطر

محمد عبد اللطيف
النشار

العائلة والمنزل

كيف نعيش — ٢

وصايا صحية أقرّها معهد إطالة الحياة في اميركا

٢ — الملابس

لا يكفي تهوية المنازل للحصول على الهواء النقي فقد يحجز الهواء ثياب الانسان اذا كانت وثيقة ضيقة . ومن ثمَّ نرى مقام الملابس وأهميتها من حيث الصحة . فقد ثبت اليوم أن الهواء ضروري للبشرة بمقدار ما هو ضروري للرئتين فينبغي ألا تحول الملابس دون وصوله اليها . ولا تكون البشرة في تمام الصحة الا اذا كانت محمرَّة تشف عن قوة ونشاط كما تشف عنهما الخدود المحمرة

فالشروط اللازمة في الملابس لكيلا تعوق الاعضاء عن تأدية وظائفها الحيوية هي : ايصال الهواء الى البشرة ، وعدم ضغط الجسم ، والحرارة المعتدلة ، والنظافة . ولحسن الحظ أن الجمهور أخذ يستعمل الملبوسات الداخلية الواسعة الكثيرة الخلايا . ولكن فائدتها لا تكون تامة الا اذا استوفت الملبوسات الخارجية أيضاً تلك الشروط اللازمة أي ان تكون وسيعة يخترقها الهواء بسهولة . وهو امرٌ لا يزال مهملاً مع انه من الخطورة في مكان عظيم . فان معظم الملبوسات والابطنة المستعملة تحجز الهواء عن لابسيها . وفي الامكان استعمال انسجة يتخللها الهواء كالالبكا مثلاً . ولفحص النسيج من هذا القبيل يكفي أن تضعه على فمك وتنفخ فيه فترى مقدار ما يخترقه من الهواء

حمامات الهواء

ويحسن بالانسان ان يتعاطى حمامات الهواء أي ان يبقى مدة في كل يوم عارياً . فان تلك الحمامات تحسن حالة البشرة وتساعدها على القيام بوظيفتها . وفي البلاد المتمدينة معاهد خاصة لمداولة الحمامات الهوائية فضلاً عن معاهد التربية البدنية التي تستلزم أن يكون الجسم معرضاً للهواء . ولئن لم يستطع معظم الناس التردد على تلك المعاهد في

استطاعة كل واحد أن يقضي فترة من وقته بلا لباس ولا سيما في الصباح عند القيام من الفراش وفي المساء قبل الذهاب اليه . ولكيلا يضيع الوقت سدى يحسن في أثناء تعريض الجسم بهذه الصورة أن نقوم بأعمال نعملها عادة ونحن مرتدون ملابسنا كتنظيف الاسنان والحلاقة وغسيل الوجه ونحو ذلك مما يستغرق وقتاً يمكن الاستفادة منهُ بالتعرض للهواء . ويحسن أيضاً تعاطي الرياضة البدنية في ذلك الوقت حتى وان كان الهواء بارداً (الا اذا كان شديد البرودة) فانه يقوي البشرة ويساعد المعدة على الهضم

الملابس الضيقة

ان ضغط المشدات والاحزمة (في الرجال والنساء) والياقات والحمالات الخ . . تحول دون قيام الاعضاء الملاصقة لها بوظيفتها . فينبغي تجنب كل ضغط من هذا القبيل . وكذلك البرانيط (والطرابيش) فانها متى كانت ضيقة تعرقل حركة الدم في الرأس . أما الاحذية فان الانواع الضيقة منها تشوه الاقدام وتضر بها ولا سيما اذا كانت العقب عالية

ولئن تعسر القيام بلا حذاء (وهو صحي متى تيسر) ففي استطاعة كل واحد أن يلبس احذية واسعة تستريح فيها الاقدام ولا سيما الاصابع . وينبغي للرجل العاقل أن يقتني الحذاء الذي يوافق شكل قدمه لا ان يجعل قدمه توافق شكل الحذاء . وفي جميع الاحوال — الا في البرد — يفضل استعمال الاحذية القصيرة العقب على طويلته . ويجدر استعمال السندال (أي الاحذية التي لا عقب لها والتي تبقى فيها القدم معرضة للهواء) كما تيسر ذلك وخصوصاً للاولاد (على أن تكوين الاقدام وتعودها الاحذية العالية لا يأذن بذلك في بعض الاحيان فينبغي الانتباه الى هذا الامر)

الملابس القطنية والكتانية والصوفية

ينبغي ارتداء اقل ما يمكن من الملابس للحصول على الدفء الكافي . ومع ان الصوف يصون الجسم اكثر من غيره فانه يحول دون اجتهاد الجسم للحصول على حرارته اللازمة . زد على ذلك أن الصوف وان كان يمتص نداوة الجسم سريعاً فانه لا يبخرها الا ببطء . لذلك لا يستحسن أن يكون الصوف ملاصقاً للبشرة لانه يتشرب العرق ويحتفظ به مدة طويلة . وأما يجدر استعماله في الشتاء للملابس الخارجية كالسترة والبالطو أو الباردوسي . أما الملابس الداخلية فينبغي أن تصنع من نسيج أسرع تجففاً واقرب

توصيلاً للهواء كالقطن والكتان . على انه يجوز استعمال الانسجة المؤلفة من الكتان والصوف معاً اذا لم يستحسن استعمال أحدهما وحده

أما من حيث اللون فكلما كان قريباً الى البياض فهو الافضل . ولا سيما في الصيف . على انه يستحسن استعمال الابيض في جميع الفصول على السواء

ان الذين يعودون أنفسهم استعمال الملابس الصحية على ما بينا سابقاً لا يخشون تقلبات الطقس وقلما تؤثر فيهم شدة الصيف أو الشتاء

٣ — المعيشة في الخلاء

على انه لا يجب الاقتناع بتهوية المنازل والملابس بل يجب ان تظل افكارنا متجهة الى المعيشة في الهواء الطلق . فان الهواء في افضل المنازل تهويةً لا يساوي الهواء الطلق . ولا شك ان الذين يقضون معظم حياتهم في الخلاء يعمرون طويلاً ويحافظون على الصحة الجيدة . واذا لم يتيسر ترك المدن في طول السنة فيجب الرحيل عنها مدة من الصيف على الاقل طلباً للخلاء

ان الطقس في ذاته امرٌ ثانوي . ولا يستطيع كل انسان ان يعيش في اجود بقعة من الارض . على انه في امكان اي امرىء ان يتمتع بالهواء النقي مهما تكن البقعة التي يسكنها

ويغالي عموم الناس عادة في مضار الرطوبة . على انه وان كانت نشوفة الهواء المعتدلة نافعة . فان الافضل أن يعيش الانسان في الرطوبة مهما تكن شديدة على أن يبقى مقفلاً عليه في منزله

ولقد ثبت ان التلاميذ الذين يترددون الى المدارس المبنية في الخلاء يفضلون تلاميذ المدارس الاعتيادية ليس في صحتهم فقط بل في مقدرتهم على تلقي العلوم

ان في استطاعة كل واحد من سكان المدن مهما تكن مشاغله أن يتردد من حين الى آخر الى الحدائق العمومية وأن يجد فرصة للخروج من المدينة في طلب النزهة لقضاء يوم أو بعض اليوم بعيداً عن غوغاء المدينة وجلبتها . وكلما تيسرت الالعاب التي تلعب في الهواء الطلق يجب أن تؤثر على الالعاب البيتية

على انه ينبغي التثبت من افضلية عيشة الحقول على عيشة المدن وكل من يستطيع الحصول على مهنة خارج المدن فليفعل فانه خير له ولاولاده . وقد انتشرت في البلاد المتمدينة اخيراً حركة « الرجوع الى الحقول » . وانه لمن دواعي الاسف أن

يفكر سكان الحقول في القدوم الى المدن . فانهم بذلك ينفقون صحتهم للحصول على الثروة حتى اذا حصلوا عليها انفقوها لاسترجاع صحتهم المفقودة

٤ — النوم في الهواء الطلق

ومما يؤسف عليه أن السواد الاعظم من الناس لا تتيح لهم أحوالهم أن يعيشوا في الخلاء وكثيرون هم المقصرون في مسألة التهوية . على ان هناك قسماً من اليوم يستطيع كل واحد ان ينال فيه من الهواء النقي ما ينشط جسمه وينبه ذهنه نعني الليل فاننا نقضي ثلث اعمارنا تقريباً في الفراش

وقد اتفق جميع الذين جربوا النوم في الهواء الطلق على ان الفرق عظيم بين النوم في غرفة وان تكن حسنة التهوية والنوم تحت القبة الزرقاء او على الاقل في مكان معرض التعرض الكافي للهواء . وقد أصبح النوم في الهواء الطلق يعد من طرق المعالجة القانونية . فمن ذلك ان الدكتور ميلت الاميركي وصفه منذ بضع سنوات لبعض المصابين بالسل فكانت النتيجة ان حالتهم تحسنت تحسناً عظيماً وشفي بعضهم تماماً في اشهر قليلة مع انهم ظلوا يزاولون عملهم نهاراً في معمل لم يستوف شروط الصحة . وقد وصفه آخرون للامراض العصبية والالتهاب الرئوي وغيرها من الامراض

غير ان النوم في الهواء الطلق لا يقتصر على المرضى بل يجب ان يعم جميع الطبقات . ومن فوائده الثابتة انه يزيد قوة المقاومة في الجسم والنشاط والجلد . ولاشك في ان هواء الليل خصوصاً في المدن انقى من هواء النهار . على انه يحسن في الاماكن التي يخشى فيها من الملاريا استعمال الناموسيات الواقية من البرغش (الناموس). اذ لا يخفى ان مرض الملاريا ينقله نوع من البرغش اسمه انوفيليس Anopheles

ويمكن استعمال البلكونات للنوم في الهواء الطلق ويكفي ان يدارى جانبان من جوانب البلكون او ثلاثة (اذا كان الهواء شديداً) بحواجز تقام حول الفراش . ولكن ينبغي ان لا يحجز الهواء من جميع الجهات لئلا تضيع الفائدة المطلوبة

وفي الايام الباردة يستحسن النوم على مرتبة كثيفة او مرتبتين اذ لا يخفى ان الدفء يتأتى مما تحت النائم بمقدار ما يتأتى مما فوقه . وينبغي ان يكون على الجسم لباس دافئ وان يدفأ الرأس والعنق . ولكيلا يتسرب الهواء البارد الى تحت الغطاء فالاوفق استعمال حرام او حرامين وفي كل واحد خرق يدخل فيه الرأس . وحتى لا يستيقظ النائم باكراً من النور يمكنه حف جفونه بقطعة فلين محروقة أو ربط عينيه بنسيج

اسود أو نحو ذلك . ويجب في الشتاء تدفئة الفراش قبل النوم بوعاء أو قنينة فيها ماء ساخن أو بمكواة أو غير ذلك

ان النوم في الهواء الطلق أقرب منالاً مما يظن الكثيرون . واذا لم يتيسر النوم على البلكون فيمكن استخدام المنافذ بان يوضع الفراش بلصق النافذة ويحاط بنسيج من كل جهة بحيث يصبح النائم بلا اتصال مع باقي الغرفة ويكون معرضاً تمام التعريض للهواء . ويجوز ايضاً النوم في الخيم على شرط ان تكون مفتوحة للهواء

٥ — التنفس العميق

فضلا عن التنفس الاعتيادي الذي يتم بصورة ميكانيكية ينبغي لكل راغب في تحسين صحته ان يخصص بعض الدقائق في كل يوم للتنفس العميق . قال أحد الاطباء : « تنفس كل يوم مئة مرة تنفساً عميقاً تصبح في مأمن من السل » . وذكر احد الكتاب الروسيين أنه اصيب بانحلال في اعصابه واضطراب في مزاجه فجرب ادوية كثيرة بلا جدوى ووفق اخيراً الى تعاطي التنفس العميق مع بعض الرياضة فشفي تماماً

ان التنفس العميق عظيم الفائدة للذين يقضون معظم يومهم في داخل الابنية . فالواجب على هؤلاء ان يسترقوا الفرص ليأخذوا كل مرة قدر عشرة أنفاس عميقة على بضع مرات في اليوم . وبذلك يتلافون بعض اضرار معيشتهم في داخل الابنية

ويقدر الهواء الذي يتجدد في التنفس الاعتيادي بعشر الهواء الذي في الرئة . أما في التنفس العميق فالكمية التي تتجدد اكثر بكثير . زد على ذلك انه يضطر الرئة كلها الى العمل وينشط حركة الدم ويساعد على تطهيره وتعديل ضغطه

وينبغي أن تكون حركات التنفس عميقة وبطيئة ومنتظمة وأن يكون خروج الهواء ودخوله عن طريق الانف لا عن طريق الفم . ومعدل تلك التنفسات ثلاثة في الدقيقة وكلما تكررت امكن تطويل مدتها حتى يستغرق كل نفس نصف دقيقة أو اكثر . ولا يخفى ان التمرين العضلي يساعد على التنفس العميق ويحسن ان يسيرا معاً . وللغناء ايضاً فائدة صحية كبيرة من هذا القبيل فانه يضطر الى التنفس العميق

وأخيراً ينبغي ان نشير الى الصلة بين الحالة النفسية والحالة التنفسية . فمن المعلوم ان الاضطراب والكآبة والفرح وغيرها من المشاعر تؤثر في سرعة التنفس . على انه يمكننا القول بعكس ذلك وان نعتقد بان التنفس العميق البطيء المنتظم يسكن الاضطراب العقلي

السؤال والاقتراح

المهر والدوطة

﴿ ابو تيج ﴾ امين افندي غالي

لماذا يدفع الشرقي مهر العروس اذا اراد الزواج بعكس الغربي فان العروس هي التي تدفع (دوطه) وما تاريخ ذلك ؟

﴿ الهلال ﴾ المهر منذ القدم من حقوق العروس وابيها او من قام مقامه من ذويها عند اكثر الامم القديمة كاليهود واليونان والعرب وغيرهم ما عدا اهل بابل كما سيأتي . فالمهر عند اليهود كان قاعدة مرعية . فاذا احب الشاب فتاة طلبها له والده من والدها ويتراضى اهلهما على مال أو عقار يدفعه الرجل مهراً لوالد الفتاة . والمهر مهران عندهم احدهما للاهل والاخر للفتاة . فابراهيم الخليل اهدى خرصاً من ذهب وسوارين الى رفقة خطيبة ابنه اسحاق . اما اذا لم يكن الشاب قادراً على اداء المهر نقداً عوض عنه بخدمة يقوم بها لحميه كما فعل يعقوب فانه خدم حميه لابان سبع سنوات وكذلك فعل موسى الى غير ذلك مما جاء ذكره في التوراة . أما العرب في الجاهلية فالمهر كان في الغالب لوالد البنت او اهلها حتى لقد كانوا اذا ولد لاحدهم بنت يقولون له « هنيئاً لك النافجة » اي المعظمة لمالك لانك تأخذ مهرها فتضمه الى مالك فينتفج ، وقس على ذلك سائر الامم القديمة ، ويظهر ان اصل المهر انما هو جعل او ثمن يسد ما انفقه الوالد في تربية ابنته او يعتاض به عما خسره من خدمتها في منزله . أما المهر الذي تدفعه المرأة (او الدوطة) فهو مال تحمله الزوجة عند الزواج او المتدينة عند دخول الدير . والدوطة عادة من العادات الحديثة الشائعة عند الافرنج وقد اقتضاها التمدين الحديث ويماثلها ما ذكره هيرودوتس عن زواج البابليين اذ كانوا يجمعون الاوانس الفتيات والعوانس التي طال بهن القعود مرة كل سنة فيجتمع اليهن كل عزب وطالب ثم ينادى باجملهن وتدفع لدافع المهر الاعظم ، ثم ينادى بمن تليها حسناً وهكذا الى أن تنفق الجميلات فيؤخذ مهرهن جميعاً وينادى بالباقيات مع اضافة مبلغ الى كل منهن وتدفع الفتاة التي لم ترزق الجمال للقانع بأيسر مبلغ — المناقصة في الدور الثاني

كما تمت المزايدة في الدور الاول ، وعلى كل فليس من المهر شيء للعرائس وذويهن بل يؤدى لفريق من الازواج ما يؤخذ من الفريق الآخر . ولم تؤثر هذه الحكمة الا عن بابل

صور الخلفاء الفاطميين

﴿ اوماها . اميركا ﴾ شفيق افندي القاضي

ارجو ان تفيدوني لماذا لا تزينون الهلال برسوم الدولة الفاطمية ؟ أفهل من حرج في ذلك أم انها غير موجودة أم هم لا يستحقون الذكر وقد حكمت دولتهم ٢١١ سنة على دار الفراعنة وهم الذين اوجدوا القاهرة وسموها باسمها . اين رسم المعز والعزيز والحاكم والآمر وغيرهم من الخلفاء والقواد العظام كجوهر الصقلي وغيره

﴿ الهلال ﴾ لا حرج في تزيين صفحات الهلال بصور الخلفاء الفاطميين او غيرهم من الخلفاء وليست المسألة مسألة استحقاقهم للذكر او عدمه وانما هي مسألة عدم وجود صورهم حتى ننشرها . ونحن نرغب في نشر مثل هذه الصور اشد الرغبة لو وجدت . والذي نعلمه من بحث صديقنا عباده افندي في التصوير ان الخلفاء الفاطميين قد صوروا انفسهم مثل كثير من خلفاء وملوك الاسلام في مختلف العصور ولم يكن الامر قاصراً على ذلك بل قد صوروا رجال دولتهم حتى الشعراء كما فعل الآمر باحكام الله الفاطمي فقد صور في منظرة بركة الحبش كل شاعر وبلده وكما فعل الاشرف خليل بن قلاوون سلطان مصر في الرفرف الذي بناه في الجيزة فقد صور فيه أمراء دولته وخواصها وكما صور خماويه بن احمد بن طولون في العصور الاولى صورته وصورة حظيته واهل قصره الى غير ذلك . الا ان كل هذه الصور قد فقدت واندثرت ولم يبق منها الا ذكرها اللهم الا بعض نقود عليها صور افراد من ملوك الاسلام ليس بينهم احد من خلفاء الفاطميين

قصيدة عمارة اليمني

(عدن) محمد افندي علي ابراهيم

ارجو ان تنشروا لنا القصيدة التي منها هذا البيت :

ليت الكواكب تدنو لي فأنظمها عقود مدح فما أرضى لكم كلمي

اذ انني لم أحصل عليها بعد البحث

(الهلال) القصيدة هي للفقيه الشاعر عمارة اليمني الملقب بنجم الدين وقد نظمها (سنة ٥٥٠) في مدح الفائز بن الظافر صاحب مصر ووزيره الصالح بن زريك حينما أرسله امير مكة قاسم بن هاشم رسولاً الى الديار المصرية والكهابر منها :

الحمد للعيس بعد العزم والهمم حمداً يقوم بما أولت من النعم
لا أجحد الحق عندي للركاب يد تمنت اللجم فيها رتبة الخطم
قرّبن بعد مزار العز من نظري حتى رأيت امام العصر من أمم
ورحن من كعبة البطحاء والحرم وفداً الى كعبة المعروف والكرم
فهل دري البيت أني بعد فرقته ما سرت من حرم الاّ الى حرم
حيث الخلافة مضروب سرادقها بين النقيضين من عفو ومن نقم
وللامامة انوار مقدسة تجلو البغيضين من ظلم ومن ظلم
وللنبوة آيات تنص لنا على الحقيقين من حكم ومن حكم
وللمكارم أعلام تعلمنا مدح الجزيلين من بأس ومن كرم
وللعلى ألسن تثني محامدها على الحميدين من فعل ومن شيم
وراية الشرف البذاخ ترفعها يد الرفيعين من مجد ومن همم
أقسمت بالفائز المعصوم معتقداً فوز النجاة وأجر البر في القسم
لقد حمى الدين والدنيا وأهلهما وزيره الصالح الفراج للغمم
اللابس الفخر لم تنسج غلائله الا يد الصانعين السيف والقلم
وجوده أوجد الايام ما اقترحت وجوده أعدم الشاكين للعدم
قد ملكته العوالي رق مملكة تعير أنف الثريا عزة الشمم
أرى مقاماً عظيم الشأن أوهمني في يقظتي أنها من جملة الحلم
يوم من العمر لم يخطر على أملي ولا ترقت اليه رغبة الهمم

(ليت الكواكب تدنو لي فأنظمها عقود مدح فما أرضى لكم كلمي)
ترى الوزارة فيه وهي باذلة عند الخلافة نصحاً غير متهم
عواطف علمتنا ان بينهما قرابة من جميل الرأي لا الرحم
خليفة ووزير مدَّ عدلهما ظلا على مفرق الاسلام والامم
زيادة النيل نقص عند فيضهما فما عسى يتعاطى هاطل الديم

الزنبور والنحلة

﴿ قنا ﴾ اسحاق افندي عبيد

أرجو افادتنا عن مسألة الزنبور والنحلة التي ورد ذكرها في رواية عبد الرحمن الناصر من مؤلفات المرحوم مؤسس الهلال

﴿ الهلال ﴾ كانت البصرة والكوفة مركز العلوم الاسلامية ومصدرها في أوائل الدولة العباسية فكانتا تتنازعان الرياسة في هذه العلوم الا انه لما قدّم العباسيون أهل الكوفة لانهم نصروهم حين قاموا لطلب الخلافة اعتز بذلك أهل الكوفة وأرادوا مسابقة اهل البصرة ومفاخرتهم فقامت المجادلات بين البلدين في مسائل كثيرة في اللغة والنحو والادب اشهرها مسألة الزنبور والنحلة هذه التي انتشبت نارها بين « سيبويه » من البصرة « والكسائي » من الكوفة . وكان الكسائي يعلم الامين بن هارون الرشيد فكان الامين ينصره كأن على انتصار احد النحويين يقف انتصار أهل بلده جميعاً . ولما كان الكسائي مقيما في بغداد لوظيفته هذه اتفق ان سيبويه قدم اليها من البصرة فجمع الامين بينهما في مجلس فتناظرا في أمور كثيرة من جملتها مسألة الزنبور فذكر الكسائي من أمثال العرب مثلا رواه على هذه الصورة : « كنت أظن الزنبور أشد لسعاً من النحلة فاذا هو اياها » فقال سيبويه ليس المثل كذلك بل « فاذا هو هي » وتشاجرا طويلا واتفقا على مراجعة عربي خالص لا يشوب كلامه شيء من كلام اهل الحضر ولشدة عناية الامين بمعلمه الكسائي استدعى عربياً وسأله فقال كما قال سيبويه فقال له « نريد ان تقول كما قال الكسائي » فقال « لساني لا يطاوعني على ذلك فانه ما يسبق الا الى الصواب » فقرروا معه أن شخصاً يقول « قال سيبويه كذا وقال الكسائي كذا فالصواب مع من منهما » فيقول العربي « مع الكسائي » فقال « هذا يمكن » ثم عقد لهما المجلس واجتمع أئمة هذا الشأن

وحضر العربي وقيل له ذلك فقال « الصواب مع الكسائي وهو كلام العرب » فعلم سيبويه انهم تحاملوا عليه وتعصبوا للكسائي فخرج من بغداد وقصد بلاد فارس

تفسير بيت

﴿ سندوه ﴾ الشيخ احمد عدس

قد استعصى عليَّ فهم البيت التالي الوارد في كتاب ذكرى ابي العلاء صفحة ٣٣٢ فارجو ضبطه وتفسيره وهو :

وما ادَبَ الاقوامَ في كل بلدة الى المين الا معشرٌ ادباء

﴿ الهلال ﴾ لقد يسهل معنى البيت اذا عرفنا ان لفظ (اقوام) مفعول (لأدَبَ) وأن فاعله معشر ادباء

وان الاصل في معنى (أَدَبَهُ) علّمه رياضة النفس ومحاسن الاخلاق والادباء هم المعلمون والمربون لذلك . ولما كان المعلمون للشعب في كل امة وجيل هم القدوة الصالحة او على الاقل لهم بعض الزعامة كان الفعل (ادب) مضمناً معنى (قاد) ولذلك جاز لابي العلاء ان يقول : ادب الاقوام الى المين اي قادهم الى المين

ومعنى البيت على هذا التخريج : ان كثيراً من قادة الامم وزعمائها طالما ضلوا سواء السبيل مختارين أو لسلطان بعض المؤثرات عليهم فقادوا شعوبهم وأشياعهم الى حيث مهبط الاهواء من نفوسهم وسلكوا بهم الى المين والضلال طريقاً نابية عن محاسن الاخلاق وكرام الطباع فليس الا عليهم تقع التبعة وليس الا منهم مصدر التعاسة والشقاء للذين رأوا فيهم موضع الثقة والاسترشاد . وهو مقتضى القصر المأخوذ من النفي والاستثناء في البيت

ترجمة رواية دون كيشوت

﴿ اسكيو . ارجنتين ﴾ مخائيل افندي ابراهيم ليوس

هل لكم ان تخبرونا اذا كانت رواية دون كيشوت (Don Quichote) الشهيرة لمؤلفها سرفنتس (Cervantès) الاسباني قد نقلت الى العربية أم لا ؟

﴿ الهلال ﴾ لم تنقل هذه الرواية الى العربية على ما نعلم

عجائب المخلوقات

عدوّ لبق النباتات

ولكل شيء آفة من جنسه

كل من له المام بالزراعة يعرف بق النباتات تلك الحشرات الصغيرة التي تنمو على المزروعات وتتلف النباتات على انواعها . وهي من اكثر الانواع تناسلا ولو لم توجد لها الطبيعة أعداء يحولون دون تكاثرها لأتلفت كل ما على الارض من نبات . تصور ما يحل بالعالم اذ ذاك : فانه يخلو من كل زرع وبالتالي من كل مخلوق حيّ ومن ذلك البق نفسه . وقد حسب احد العلماء انه يتناسل من بقة واحدة في أثناء حياتها (التي لا تجاوز بضعة اسابيع) ٦ مليارات بقة اذا لم تجد حوائل طبيعية تقف دون هذا النمو الغريب . وحسب هكسلي العالم الطبيعي الشهير ان عشرة اجيال متتابعة من نسل بقة واحدة تشغل من المكان ما يشغله ٥٠٠ مليون من البشر

ولكن لحسن الحظ ان الطبيعة تتكفل بحفظ الموازنة بين الانواع فقد أوجدت لهذا البق أعداء مختلفين يلتهمونه ويخففون أضراره . من أولئك الاعداء الذبابة ذات العيون الذهبية فان ديدانها تلتهم جيوشاً جرارة من البق . ومنهم ايضاً نوع من القمل النباتي يسمى الافيدي . وقد افردنا له هذه المقالة

وهذا القمل صغير الحجم جداً لا يزيد طول القملة منه عن مليمترين اي أنها تستطيع ان تدخل في خرم الابرة ولا يحس الانسان وجودها الا اذا أنعم النظر فيها . وفي الرسم المتوسط المنشور تجاه صفحة ١٦٨ تجد شكل قملة مكبرة كثيراً ومنها يتضح تشابه شكلها وشكل الزنبور

تلك هي الحشرات التي تبيد الالوف من بق النباتات فانها تنمو وتترعرع في جوف ذلك البق كما سيتبين فيما يأتي

وقد اشتغل المستر جون ورد في درس تلك الحشرات وطبائعها فجمع في حديقته عدداً منها وما برح يراقبها في أثناء عملها حتى تمكن من جمع فوائد شتى أضيفت الى

ما كان معلوماً عنها . ولعلّ اجل خدمة اتاها من هذا القبيل انه تمكن من تصوير هذا القمل في أثناء مهاجمته البق . ويكفي ان يطلع القارئ على الرسم الاعلى المنشور تجاه صفحة ١٦٨ ليدرك قيمته من الوجهة العلمية . فانه يرينا بوضوح كيفية هجوم القملة على البقة وينقل الى ذهننا صورة واضحة عن تلك الحرب الناشبة بلا انقطاع في عالم الهوام . واليك شيئاً عن طباع تلك الحشرة :

لا تتحرك القملة الا عند طلوع الشمس فتخرج اذ ذاك من مخبأها وتبدأ في اصلاح هندامها فتحك اجنحتها وجسمها بارجلها ثم تتنقل بسرعة بين الاوراق والغصون وهي لا تطير الا عند الانتقال من نباتة الى نباتة أخرى واما في غير ذلك فانها تسير على أرجلها

وتظل تنتقل على هذه الصورة الى ان تأتي مكاناً آهلاً بالبق وهو مجرد من السلاح كما لا يخفى ولا عمل له الا ان يمتص عصارة المزروعات . فحالما تلمحه تقف وتهتز ملامسها (١) اهتزازات سريعة تدل على اضطرابها . وقد كان يظن بعض العلماء ان البق لما يشعر باقتراب الخطر يحول عن امتصاص الاوراق ليدافع عن حياته . ولكن يكفي القاء نظرة الى الرسم الاعلى (تجاه صفحة ١٦٨) حتى يتضح ان هذا الحكم لا يصح او على الاقل انه لا يصح في جميع الاحوال . فان البقة المصورة هناك منهمكة في عملها ولم تفطن للخطر الذي يداهمها

ثم تهجم القملة من مؤخر البقة فتلمسها بملامسها ثم تحول شمالاً ويميناً كأنها تتردد في الخطة التي ينبغي لها اتخاذها . وما هي الا لمحة بصر حتى تتعلق القملة على ظهر البقة بارجلها الامامية الاربع وتبقى رجلاها الخلفيتان على الورقة او الغصن ثم تأخذ اجنحتها في الاهتزاز اهتزازاً شديداً جداً وفي هذه الاثناء ينحني مؤخرها الى الامام فتخرج منه أبرة رفيعة تلسع البقة في بطنها . على ان مجرد النظر الى الشكل المومإ اليه سابقاً ابلغ من كل وصف

فما الذي تم عند تلك اللسعة ؟ ان القملة بهذا العمل وضعت بيضة من بيضها في جوف البقة . وحين أن تنمو تلك البيضة وتصبح دودة تتغذى مما في جوف البقة فتميتها

---

(١) هي اعضاء في رؤوس الحشرات والهوام على شكل قرون لكل حشرة ملمسان يختلفان في طولهما وشكلهما باختلاف الحشرات وهما عضوا اللمس . ويظن بعض العلماء ان لهما خاصة السمع ايضاً

وحالما تنتهي من عملها هذا تنتقل القملة الى بقة أخرى فثالثة فرابعة حتى انها تلسع عشر بقات أو اكثر في دقيقتين او ثلاث دقائق

أما البقة الملسوعة فانها تبقى معلقة على الورقة أو الغصن لا تبدي حراكا ولا تلبث قليلا حتى يتغير لونها من الاخضر الى الاسمر ثم تنتفخ شيئاً فشيئاً حتى تصير مستديرة الشكل . هذا ما يرى من الخارج أما في جوفها فان البيضة التي وضعتها القملة تنمو فتصبح دودة فلا تزال تتغذى في جوف البقة وتلتهم انسجتها الى ان يتم نموها

وبعد أسبوعين تقريباً يظهر على غلاف البقة خرق مستدير ثم تخرج منه قملة كاملة النمو فتبدأ تفتك بالبق في دورها وهلم جراً

منجم ثلج

يجمد في الصيف ويذوب في الشتاء

في كودرسبورت بولاية بنسلفانيا من الولايات المتحدة منجم ثلج فريد في بابه . وقد استكشفه منذ ٦٨ سنة مزارع كان يشعر ببرودة شديدة في بقعة من حقله حتى في الايام الحارة فظن أن في حقله منجم فضة فاخذ يحفر فيه واذا به يجد ثلجاً . وعمق المنجم اليوم ٤٠ قدماً وعرضه ١٠ أو ١٣ قدماً . والغريب ان مياهه تجمد في الصيف وتذوب في الشتاء

ولم يستطع علماء طبقات الارض معرفة سبب وجود ذلك المنجم ولا تعليل جمود الثلج صيفاً وذوبانه شتاء على عكس المعروف في الطبيعة . أما الثلج فانه يتكون من ضباب يخرج من ثقوب في جدران المنجم فلا يلبث أن يتحوّل الى ثلج وكلما زادت الحرارة زاد الثلج كثافة . ويشاهد الثلج في المنجم بين شهري مايو واكتوبر

وقد اقيم عند مدخل المنجم مأوى ولكنه انتزع بعد حين لانهم وجدوا ان الثلج لا يحدث اذا حجبت اشعة الشمس عن المكان

واستعملت امرأة ذلك المزارع هذا المنجم مخزناً بارداً لمنع التعفن . وقد قالت انها حفظت فيه بيضاً مدة سبعة شهور بدون ان يفسد

وقد اهتم سكان البلدة بهذا الامر الغريب واتفقوا مع صاحب المنجم على الاستفادة من حقله لجلب السياح والمتفرجين

سالونيك

تاريخها وجغرافيتها

سالونيك (بالتركية سلانيك وباليونانية تسالونيكي وبالسلافية سولون) مدينة قديمة قائمة في داخل الخليج المسمى باسمها . وهي اكبر ميناء في مقدونيا . ويبلغ عدد سكانها ١٤٥٠٠٠ نفس مختلفي الاجناس والاديان . وقد نالت هذه المدينة شأناً مابرح يتزايد بعد نشوب الحرب ولا سيما في الاشهر الاخيرة اذ اصبحت مركز الحكومة التي انشأها المسيو فنزيلوس الوزير اليوناني الحر لاستعادة الاراضي اليونانية التي احتلها البلغار . وقد انزل فيها الحلفاء جيشاً عظيماً مؤلفاً من جميع الشعوب المتحالفة. ولسالونيك فضلاً عن شأنها في هذه الحرب شأن قديم وتاريخ يرجع الى ابعد الازمنة التاريخية . وكل الادلة تشير الى ان تاريخها في المستقبل لن يكون اقل شأناً من تاريخها في الماضي . فلذلك رأينا ان نأتي بتاريخ هذه المدينة القديمة مع وصف اهلها وأحوالهم الى غير ذلك مما يجمل معرفته في هذا الوقت

تاريخ سالونيك

جاء ذكر هذه المدينة في أقدم الآثار التاريخية . وأول اسم عرفت به « ترمس » (وهذه الكلمة مشتقة من اللفظ اليوناني الدال على الحرارة) . قيل سميت بهذا الاسم لكثرة الينابيع المعدنية الحارة في جوارها . ولما غزا اكسركسيس (احشويرش) ملك الفرس بلاد اليونان نزل بها وضرب خيامه في سهلها . وقد استولى عليها الاثينيون في اول الحرب المعروفة بحرب البيلوبونيز . ثم دخلها قواد الاسكندر وقد اطلق عليها احدهم المسمى كاسندر سنة ٣١٥ ق . م . اسم تسالونيكي بعد توسيعها وتحصينها تخليداً لذكر امرأته المسماة بهذا الاسم وكانت شقيقة الاسكندر

ولم تلبث سالونيك حتى ازدهرت واصبحت أعظم ميناء في مقدونيا . وكانت محصنة تحصيناً عظيماً حتى انها بعد دخولها في حوزة الرومانيين سنة ١٤٨ ق . م . عدت اكبر حصن على الطريق الحربي المؤدي من دراج في البانيا (وكانت تسمى دراشيوم) الى الاستانة (بيزنطة)

ويعلم الجميع ان بولس الرسول بشر فيها بالديانة المسيحية ووجه الى اهلها رسالتين من رسائله . وفي زمن الامبراطور البيزنطي ثيودوسيوس (٣٧٩ — ٣٩٥ م) أعدم ٧٠٠٠ من سكانها في مكان سباق الخيل اثر ثورة شبت فيها لمقاومة الجيش الروماني . على أنها في السنين التالية قاومت الشعوب البربرية التي اكتسحت أوربا في ذلك الحين اشد المقاومة وأولهم القوط ثم السلاف . فلم يستطيعوا الاستيلاء عليها

وفي سنة ٩٠٤ احتلها العرب وباعوا من أهلها ٢٢٠٠٠ نفس . وفي سنة ١١٨٥ دخلها النورمنديون وخربوها . ثم أصبحت في أثناء الحرب الصليبية الرابعة عاصمة لمملكة وعين الكونت بونيفاس دي مونفرات ملكاً عليها . ولكن تلك المملكة لم تدم طويلا ففي سنة ١٢٢٢ استولى عليها ثيودوروس كومينوس حاكم ابيروس وتتوج فيها . على ان البلغار ما لبثوا ان اكتسحوا الاراضي المجاورة لها واستولوا عليها حتى انه لما نصب الملك جان بن المقدم لم يبق في قبضته سوى المدينة

ثم مرت عليها حوادث قليلة الشأن الى سنة ١٤٢٢ اذ هدد المدينة جيش تركي فاستنجد الاهلون بجمهورية البندقية فانجدتهم . ثم باعها الامبراطور البيزنطي لاهل البندقية بثمن بخس . فانتشر بذلك نفوذ البندقية في البحر المتوسط . الا ان حكمها لم يدم اكثر من خمس سنوات ولكن هذه المدة كانت كافية لتترك في سالونيك آثار مدنيتها ورقيها الادبي والفني

وفي اول مايو سنة ١٤٣٠ استولى عليها الاتراك نهائياً بعد مقاومة شديدة من الاهلين وظلت في الحكم التركي الى اليوم الثامن من شهر نوفمبر سنة ١٩١٢ أثناء الحرب البلقانية اذ دخلها جورج الاول ملك اليونان بجيشه المنصور . وقد كانت في أواخر عهدها التركي مركزاً لجمعية الاتحاد والترقي قبل اعلان الدستور . ونفي اليها عبد الحميد سنة ١٩٠٩ ثم نقل منها عند بدء حرب البلقان

وبعد دخول اليونان في مدينة سالونيك بايام قليلة دخلها جيش بلغاري بقصد احتلالها أيضاً . فظل الجيشان جنباً بجنب ولكنهما ما لبثا ان تلاحما اثر شهر الحرب البلقانية الثانية في ٣٠ يونيو سنة ١٩١٣ اذ طلبت السلطة اليونانية من الحامية البلغارية (نحو ١٤٥٠ جندياً) أن تغادر سالونيك في مدة ساعة واعدت لهم قطاراً لنقلهم . ومع أن القائد البلغاري كان قد ترك المدينة في صباح ذلك اليوم لم يقبل الجنود البلغار طلب السلطة اليونانية فنشب القتال بين الفريقين في شوارع المدينة ودام طول

الليل (ليل ٣٠ يونيو الى اول يوليو) ولكن البلغار اضطروا عند الفجر الى تسليم آخر منزل كانوا محصنين فيه

وقبل هذا الحادث ببضعة اشهر بينما كان جورج الاول ملك اليونان يتنزه في المدينة قتل اغتيالاً عن يد معتوه يوناني اسمه سكيناس . وكان مقتله بقرب البرج الابيض وهو آخر أثر للتحصينات العظيمة التي كانت تحمي المدينة من جهة البحر

سكانها

لقد محا الحكم العثماني في خمسة قرون ما كان في سالونيك من آثار بيزنطة والبندقية وجعلها مدينة شرقية ولكن المسلمين مع ذلك اقلية فيها . واليك تقسيم سكان سالونيك حسب الاجناس منذ بضع سنوات : النصف اسرائيليون والربع يونانيون فيكون ذلك ٧٥ في المئة . واما الربع الباقي فيؤلف من ٥ في المئة سلافيين ورومانيين و٥ في المئة اوربيين و١٥ في المئة اتراك ومجموعهم ٢٥ في المئة

ولا يخفى ان اسرائيلي سالونيك هم من نسل اليهود المنفيين من اسبانيا والبورتغال بعد جلاء العرب عن الاندلس . وهم محتفظون بلغتهم الاصلية ولكن اختلاطهم بالشعوب المختلفة التي تقطن مقدونيا اضطرهم الى استقراض بعض الالفاظ الغريبة عن لغتهم من التركية واليونانية خاصة . وهم يكتبون لغتهم هذه بالحرف العبراني وبه تطبع كتبهم وجرائدهم . ولا يقتصر عملهم على التجارة والصيرفة كما هو معهود فيهم بل أن منهم عمالاً وفعالاً وصيادين وبحارة وغيرهم مما يندر بين الاسرائيليين

اما الاتراك من سكان سالونيك فاصلهم اما من الموظفين او من الجنود . الا انها كانت ايضاً مركزاً لنفر من احرار الاتراك كما ذكرنا سابقاً . ومنها انتشرت ثورة ١٩٠٨ التي انتهت بمنح الدستور العثماني . وقد ساعد هذه الحركة حسين حلمي باشا مفتش الولايات التركية في اوربا اذ ذاك الذي عين فيما بعد صدراً أعظم (وعين بعد الحرب سفيراً للدولة العثمانية في فينا) . على انه بعد احتلال اليونانيين لسالونيك اخذ الاتراك يهاجرون المدينة ولا يعرف بالضبط عددهم فيها الآن

وبعكس الاتراك اليونانيون فانهم ما برح عددهم يتزايد في تلك المدينة . وهم ينافسون الاسرائيليين فيها اشد المنافسة

وأما الرومانيون فنهم نفر من اصحاب المراكز التجارية المنظورة . وأما البلغار

فقد محي اثرهم تقريباً من تلك المدينة بعد القضاء على آمالهم في الاستيلاء عليها

وقد كان للنمسويين قبل الحروب البلقانية شأن عظيم فيها اذ لا يخفى ان تلك المدينة ما برحت مطمح ابصارحكومة فينا منذ زمن قديم . والسبب في ذلك ان النمسا كانت تحلم بالسيطرة التجارية على اسواق البلقان لانها وجدت معظم اسواق العالم مقفلة في وجهها . وطبيعي ان تكون سالونيك اول ما وجهت اليه انظارها لمركزها التجاري الفريد بين الغرب والشرق . على ان الحربين البلقانيتين ما لبثتا ان قضتا على آمال النمسا باقامتهما دولا مستقلة عند حدودها الجنوبية كأنها حواجز تحول بينها وبين امانيها

وللفرنسيين مدارس ومستشفيات كثيرة في سالونيك واللغة الفرنسية كثيرة الاستعمال بين الاهلين ولاسيما الاسرائيليون . اما الصرب فقد ازدادوا زيادة محسوسة بعد انتصاراتهم في سنتي ١٩١٢ و١٩١٣ وفي اوائل سنة ١٩١٤ اتفقت الحكومتان اليونانية والصربية على تسهيل النقل بين سالونيك والصرب بحيث تمر الصادرات والواردات الصربية من غير الخضوع لاجراءات الجمرك في البلاد اليونانية

الميناء والسكك الحديدية

يرجع الفضل في بناء مرفأ سالونيك الى شركة فرنسية رئيسها أحد اعضاء مجلس النواب الفرنسي سابقاً . ويبلغ طول الارصفة ١٢٠٠ متر ويتراوح العمق بين ٨ و ١٠ أمتار ويحمي مدخل الميناء سد مواز للشاطىء على بعد ٣٠٠ متر منه . ويمكن نقل البضائع من السفن الى السكة الحديدية رأساً

وتمتد من سالونيك ثلاثة خطوط حديدية : الخط الاول متجه شمالا الى بحيرة دويران حيث ملتقى الحدود الفاصلة بين الصرب واليونان وبلغاريا . ومن محطة دويران (اليونانية) يتجه الخط الى وادي ستروما فسرس ودراما ثم يتصل بقرب ديموتيكا بخط الشرق الذي يمر ببلغراد فصوفيا فادرنة فالاستانة

والخط الثاني ويسمى خط وادي الواردار يتجه الى الشمال الغربي فيمر باسكوب ونيش حيث يتصل ايضاً بخط الشرق المتقدم

وأما الخط الثالث فيمر غرباً بوادي الواردار ثم يتجه الى مناستير ويمر في الطريق باثار پلا Pella مسقط رأس اسكندر الاكبر

وهذه الخطوط الثلاثة مشتركة بين اليونان والصرب وبلغاريا فلكل منها قسم

الدولة العثمانية

في لبنان وسورية

حكم اربعة قرون (١٥١٧ — ١٩١٦)

تمهيد

تنطوي صفحة هذا العام وبها تنطوي آخر صفحة من تاريخ المئة الرابعة للحكم العثماني في الديار السورية (١٥١٧ — ١٩١٦) . فقد دخلت سورية في حيازة بني عثمان في منتصف الربع الاول من القرن السادس عشر بعد انقراض دولة المماليك[١] على يد السلطان سليم الاول الفاتح العثماني الشهير وبعد قرنين ونيف لخروج الصليبيين منها [٢]

وتاريخ سورية في عهد بني عثمان انما هو حلقة من سلسلة البلايا والارزاء التي توالت عليها في عصر المماليك فذهبت بالضرع والزرع واوردت العباد موارد الضنك والشقاء . يتصفح المرء تاريخها في ذلك العصر فيخيل اليه انه يتصفح تاريخ العصور الاولى للبشرية . فيقف مبهوتاً حائراً ازاء ما يقع عليه نظره في ذلك السفر الضخم من اخبار تلك الحقبة الطويلة التي اجتازتها الديار الشامية وهي تتعثر باذيال الحطة

(١) يعرف هؤلاء المماليك بالبرجية أو الجركسية . أسس دولتهم الملك الظاهر برقوق المعروف بيلبغا الكبير سنة ١٣٨١ م وحكمت سورية الى سنة ١٥١٧ حيث دانت هذه البلاد لصولجان بني عثمان . وقد تخلل حكمهم لها فتن وحروب شديدة مزقتها تمزيقاً وقضت على البقية الباقية من مجدها . ودخلت هذه الفتن في القرن الرابع عشر وما يليه في دور مخيف محزن حتى نفرت همم اهلها وفلّ عزائمهم الماضية ما توالى عليها من الكوارث والنكبات وباتوا لا يشعرون بضغط الحكام وتحكمهم برقابهم لان المصائب الفادحة التي نزلت بهم افقدتهم حاسة التأثر . وزادت حالة سوريا سوءاً على اثر غزوة تيمورلنك الطاغية المغولي الشهير لها سنة ١٤٠٠ وفتحه دمشق ودكها من اساسها وسبيه علماءها وصناعها الى آخر ما هو معلوم من اخبار تلك الغزوة

(٢) دخل الصليبيون الى سورية سنة ١٠٩٩ م وتملكوها زهاء قرنين صرفوهما في محاربة الدول الكردية والتركية ومملكة الروم ومن والى هذه الدول من امراء البلاد واعوانهم وكان عهدهم في الديار الشامية عهد رخاء ورقي بالقياس على ما عانته هذه البلاد في عهد اسلافهم واعقابهم من الشدائد والاهوال

والهوان تمزق احشاءها فتن داخلية لا تخبو نارها وتقطع اوصالها حروب خارجية طاحنة لا يخمد اوارها تفنى الجيوش واحداً بعد آخر وتدمي الاقطار والامصار قطراً بعد قطر ومصراً بعد مصر ووزراء الدولة ونوابها في هذه البلاد التعسة منصرفون الى السلب والنهب وسفك الدماء اشباعاً لمطامعهم الاشعبية وزعماء الاحزاب والانكشارية في قاعدة السلطنة يكيدون المكايد ويعقدون المؤآمرات لخلع السلاطين والاستبداد من دونهم بشؤون الدولة على ماتشاء اهواؤهم وتقضي به مآربهم واغراضهم

ظهر الاتراك عند استيلائهم على الديار الشامية والمصرية والعربية بمظهر الخلفاء الاولين فاجروا العدل بين الناس واقاموا دعائم سلطانهم على اساس الحلم والانصاف فاقالوا البلاد من عثرتها وانتشلوها من وهدة الخراب والانحطاط التي كانت دول الاكراد والمماليك والمغول قذفت بها اليها . لكنهم بعد انقضاء زمن الفتح واستتباب الامر لهم في هاتيك الديار فقدوا صفات الخلفاء الاولين لان هذه الصفات لم تكن من خلالهم الفطرية ولم يألفوها في قصور السلاطين الذين تقدموهم وشادوا مجد دولتهم على اسنة الرماح وشفار السيوف ذاهلين عما ينبغي لارباب التيجان ان يتحلوا به من الفضائل الرائعة ليتمكنوا من توطيد اركان الدولة على اساس صحيح ثابت لا تقوى عليه صروف الدهر وكوارث الايام . فلم تتمكن لذلك هذه الصفات من نفوسهم الا على قدر ما كانوا في حاجة اليه لتهدئة الخواطر وذر الرماد في العيون حملا للرعية على الاستسلام لمشيئتهم والخضوع لسلطانهم . وعلى هذا لم تكن بلاد الشام تطمئن الى حكم آل عثمان وتذوق طعم الراحة فترة قصيرة وتحمد الله على انقضاء زمن الشدائد والاهوال التي عانت مرارتها ودكّت الى الحضيض معالم مجدها حتى عادت الى اسوأ مما كانت عليه لجار السلاطين وجار نوابهم وعمالهم فيها فرجعت القهقرى وغرقت في لجة عميقة من الضنك والشقاء وفني الشعب السوري في الفتن والحروب الاهلية وحال اعتساف الحكام ووشاياتهم بعضهم ببعض وتحاسد الزعماء وتنابذهم دون سدّ ثلمتها واصلاح ما فسد من امورها . وجرى ذكر الحكام الذين تفوّقوا على غيرهم بالجور والاعتساف مجرى الامثال الى يومنا هذا نظير قراقوش والي حلب واحمد الجزار والي صيداء ويوسف باشا سيفا والي طرابلس وبني حمادة حكام المتيطره وبلاد جبيل وغيرهم ممن سنأتي على ذكرهم في ما يلي من فصول هذه النبذة

وقد ظلت سورية الى ايامنا هذه خاضعة للدولة العثمانية . الا انه تخلل عصر

العثمانيين فيها فتن وحروب اخرجتها من حكمهم الى حين ثم استرجعوا سيادتهم عليها كما سنبين ذلك فيما بعد

على ان في الشعب السوري نزعة شديدة الى الاستقلال كامنة فيه من أقدم أزمنة التاريخ ورثها من الآراميين والفينيقيين اجداده الاولين مع ما ورثه من مميزاتهم وفضائلهم واحتفظ بها احتفاظه بدمه بحيث باتت خلقاً فيه فتأصلت وشائجها في نفسه ونمت جرثومتها في صدره على رغم ما توالى عليه من النكبات الماحقة لكيان الشعوب والمميتة لمادة الحياة فيها فلم يستطع لذلك الوزراء والنواب الذين تداولوا ولاية سورية في عهد بني عثمان ان يستأصلوا من نفس الشعب السوري هذا العامل الحيوي العظيم الذي هو في اعتبار علماء الاجتماع اساس الحياة القومية . فظلت سلطة الامراء والحكام المحليين ولا سيما في لبنان على ما كانت عليه قبلا فكانوا مستقلين في شؤونهم الداخلية على تمام حريتهم لا يرجعون الى الدولة الا في الامور الكلية الكبرى ولا سيما في عهد الامراء التنوخيين والمعنيين والشهابيين واللمعيين وبني عساف وسيفا وغيرهم فكان اولئك الامراء والمقدمون والمشايخ من ورائهم يقضون بين الناس بحسب مشيئتهم ومنازعهم والناس بين هولاء واولئك فرق واحزاب مختلفة المشارب متباينة الاغراض والمآرب

على ان ما كان سائداً بين هولاء الحكام من التقاطع والتحاسد وما كان يجري بسبب ذلك من الفتن الداخلية كان من اكبر البواعث على تداخل الدولة في شؤونهم وتوطيد سلطتها في هاتيك الربوع . ومن البلية ان الحكام كانوا يعلمون حق العلم ان المال في الدولة عماد الحق ودعامته الكبرى فكانوا يقدمونه في الاعتبار على حقوقهم الموروثة في الولاية فيتنافسون في احراز النصيب الاوفر منه واستمالة رجال الدولة بما ينفحونهم به منه طمعاً في الظفر بمساعدتهم لهم على بلوغ مناصب الحكم . وكان هولاء الطغاة السفاحون يتفننون في اساليب النهب والسلب اشباعاً لمطامعهم واملاء لجيوبهم من مال الرعية على يد اولئك الحكام . وقلما كان يستتب الامر لواحد منهم بغير المال . وكانت ولاياتهم واقطاعاتهم ودوائر حكمهم ونفوذهم تتسع او تضيق بنسبة الهدايا المالية التي كانوا ينفحون بها زمرة الوزراء والنواب . وكانت مباراتهم وبذلهم في هذا السبيل باعثاً لهم على ظلم الرعية وارهاقها بالضرائب الفادحة والرعية تئن تحت هذا النير الثقيل . وكثيراً ما كانت تنقض على حكامها فيقاسون الشدائد في ردها الى الطاعة . واذا لم يكن لها قبل بمناهضتهم هجرت

اوطانها الى حيث تأمن جورهم وتتقي نقمتهم وهو ما يعلل به انتقال جماعات كبيرة من جهة الى جهة اخرى من لبنان وسورية واستيطانهم لها الى اليوم . ومن نكد الطالع أن هذه العادة تأصلت في الديار الشامية الى عهدنا هذا مع ان اهلها يعلمون يقيناً انها في مقدمة البواعث الرئيسية على تقهقر بلادهم وبلوغها من الفوضى السياسية والانحطاط الادبي درجة ليس بعدها زيادة لمستزيد

ولو اتفق امراء سورية ومقدموها ومشايخها وعرفوا ان يستفيدوا من الاستقلال الداخلي الذي كانوا يستمتعون به في ذلك الحين لكان شأنهم مع الدولة السائدة فيهم غيره في ذلك العهد ولا سيما انهم ورثوا السيادة في بلادهم وعشائرهم اباً عن جدّ . ومن احرزها منهم بنفسه فانما أحرزها بسيفه وقوة ساعده وفطنته وذكاء فؤاده . فلم يكن ينقصهم للاحتفاظ بها وتركها ارثاً ثميناً لاعقابهم الا شيء من التفاهم والاتفاق وهو لسوء الحظ ما لم يدركوه الى اليوم

على ان التاريخ والتقليد حفظا لنا من الآثار الطيبة التي خلفتها فئة كبيرة من اولئك الحكام ما يجمل بالابناء الذين ورثوا السيادة عنهم ان ينسجوا على منوالهم فيه . ولهذه الفئة من الفضل في بثها روح الوطنية الصادقة في صدور الابناء وبذرها في نفوسهم بذور الفضائل الرائعة والصفات الممتازة ما لا يسع المنصف جحده واغماطه . غير ان سيئات ذلك الحكم البائد الذي كان قائماً على شفار السيوف حطّت من قدر تلك الفئة وطمست معالم فضلها واضاعت في ذلك التيّار الجارف فضائلها . فاختلط الحابل بالنابل . ولم يعد بالامكان تمييزها عن غيرها من الفئات الفاسدة الضالّة التي افسدت على الناس امورهم واغمطت فضل نوابغهم وفضلائهم وهي تؤلف الاكثرية المطلقة . ولهذا كان حكم المؤرخين الناقدين على ذلك العصر الذي نشأت فيه تلك الفئة عاماً شاملاً اخذ فيه البريء بجريرة المذنب

ومن الذين حكموا الديار الشامية في عصر العثمانيين الامراء التوخيون والمعنيون وآل علم الدين اليمنيون والشهابيون واللمعيون وآل ارسلان وعساف وسيفا والمقدمون كبني المشروقي او الحصروني والعناحلة وبني الشاعر والمشايخ بنو جنبلاط وبنو حماده والخازن وحبيش والعازار وتلحوق ودحداح ونكد والضاهر والخوري والاعيان كآل العظم والمطرجي والعمر وبربر والاسعد وغيرهم . ولكثير من هؤلاء الامراء والمقدمين والمشايخ والاعيان حروب شهيرة مع وزراء الدولة ونوابها وعمّالها . وكثيراً

ما كانوا يعصونها فتقاسي الشدائد في خضد شوكتهم واخضاعهم كالامير فخر الدين المعني وجنبلاط باشا والي حلب والامير بشير الشهابي الكبير ويوسف بك كرم وغيرهم ممن سنأتي على ذكرهم في ما يلي . ولا يزال خلفاؤهم الى اليوم يقاومون النفوذ التركي في الديار الشامية ويصدون تياره الجارف . الا ان مقاومتهم للدولة خرجت عن طورها القديم وأفرغت في قالب ادبي سياسي وهو ما كان اشدّ خطراً على نفوذها وسيادتها من المقاومة الحربية . ولنا في الثورة الفكرية الحاضرة التي نشأت عن المظالم والموبقات التي يرتكبها رجالها اليوم في الديار الشامية وألفت بين مختلف العناصر السورية في الداخل والخارج ما يحمل على الرجاء بان هذه البلاد داخلة قريباً في دور جديد ينسيها مساوىء هذا العصر الذي حملت نيره الثقيل على عاتقها سحابة اربعة قرون كاملة

سورية في القرن السادس عشر

﴿ الفتح العثماني ﴾ لما جلس السلطان سليم الفاتح العثماني الشهير على سرير السلطنة [1] كانت القوتان المادية والمعنوية في الجيش العثماني من الوهن والانحطاط لما ناله من الخسائر الفادحة في الحروب التي خاض غمارها والفتن التي قمعها بحيث لم يكن يستطاع التعويل عليه كثيراً لتدويخ الامصار وفتح الممالك التي كان هذا الفاتح العظيم يطمع باخضاعها لصولجانه . وكان الغازي شجاعاً باسلاً صادق العزيمة قوي الشكيمة مشغفاً كاسلافه بالفتح فانصرف الى تنظيم الجيش وتعزيزه واذكاء نار الحمية في صدور قادته . ثم زحف به لمقاتلة الفرس وملكهم يومئذ شاه اسمعيل الشيعي — وكان فاتحاً عظيماً شديد البأس قوي المراس . فقاتله الفاتح العثماني سنة ١٥١٥ ودوخ بلاده وأضعفه حتى امن شره . ولم يكد يفرغ من قتال الفرس ويستتب له الامر في ولاياته البلقانية والاوربية حتى طمحت نفسه الى فتح الديار الشامية

(١) هو ثالث ابناء السلطان بايزيد الثاني . ولاه ابوه على طرابزون فلم يقنع بها وعصاه وزحف بجيش من التتر الموالين له على الروملي فدانت له وسمى نفسه سلطاناً على ادرنه. وما انفك عاكفاً على اضعاف سلطة ابيه حتى قوي عليه واستمال الانكشارية اليه. فشدوا ازره في ما وقع بينهما من النزاع وأفضى به الامر الى انتزاع الصولجان من يده وارغامه على الخروج من عاصمة ملكه شريداً طريداً (سنة ١٥١٢) الى حيث قضى نحبه . ونازعه اخواه العرش فقمع فتنتهما وأمن شرهما وفتك بمن وقع تحت يده من آل عثمان ليأمن غدرهم ويستبد بالدولة من دونهم

والمصرية . وكان ما آلى اليه هذان القطران الشقيقان في عهد المماليك من الضعف والانحطاط باعثاً له على استصغار شأنهما والتعجيل في اجتياحهما ولا سيما انه شعر بعدم انتظام أمور هؤلاء المماليك فيهما وعجزهم عن الاحتفاظ بسيادتهم عليهما . فزحف على سورية بجيش عظيم (١٥١٦ — ١٥١٧) فالتقاه الملك الاشرف قانصوه الغوري من مماليك مصر — وهو يومئذ سلطان مصر والشام — في مرج دابق شمالي حلب ومعه الغزالي نائبه في دمشق والامير فخر الدين المعني الاول امير لبنان . فتسعرت نار الحرب واستمال الغازي ابن معن والغزالي اليه . فانحازا الى جانبه ورجحت كفته . فدحر جيش المماليك واعمل السيف في رقابهم ولقي الغوري حتفه في هذه الوقعة وخلفه ابن اخيه الملك الاشرف طومان باي (١) . ثم احتشدت جيوش الجراكسة عند غزة . فتأثرها الظافر وكسرها شرّ كسرة . ففرّ طومان باي الى البلاد المصرية ووقف هناك بفلول جيشه يستعد لمقاومة عدوه . فاستأنف الغازي العثماني زحفه وادركه . وكان في طليعة الجيش المصري خير بك احد امراء المماليك ونائب الغوري في حلب . فاستماله السلطان سليم اليه ووعده بان يوليه على مصر ان هو خان مولاه . فانحاز برجاله الى الغازي وقاتل في صفوف جيشه . فظفر بجيش الجراكسة ونكل به واستأسر الملك طومان وشنقه (١٥١٧) وبه انقرضت دولة المماليك البرجية أو الجركسية وتم لسلطان سليم ما منى النفس به من التسلط على مصر والشام

على ان السلطان لم ينتزع الحكم من ايدي الامراء والحكام الذين كانوا يتولون البلاد المصرية والشامية لئلا ينتقضوا عليه فيجرعونه الغصص قبل أن يقمع ثورتهم ويردهم الى طاعته . فأقر اكثرهم في ولاياتهم واقطاعاتهم بعد ان فرض عليهم جزية قليلة . فترك للمماليك في مصر بيكاتهم الاربعة والعشرين وهي الاقطاعات التي كانوا يحكمونها بأمر ملوكهم . الا انه وضع لها نظاماً مماثلاً لنظام الولايات العثمانية واطلق عليها أسم سناجق . ولم يقض في وادي النيل الا على سلطة المماليك العليا . وجعل خير بك نائباً له في مصر مكافأة له على انحيازه اليه في حربه مع طومان بك .

(١) هو السابع والاربعون من ملوك الترك والثاني والعشرون والاخير من ملوك الجراكسة في مصر والشام

وتخلى له المتوكل على الله آخر الخلفاء العباسيين في مصر عن الخلافة العربية[١] واقتدى به شريف مكة فبايع السلطان في السنة التالية وبذلك دانت الامة العربية لصولجانه

وعاد الغازي الى سورية مستصحباً المتوكل على الله فدخل دمشق وأقرّ الغزالي في ولايتها وألحق بها القدس وغزّة وصفد والكرك . ونصب العمال على حلب وحمص وطرابلس وغيرها من المدن الساحلية . وجاءه امراء لبنان وفي مقدمتهم الامير فخر الدين وابنه الامير قرقماس[٢] ودخل عليه ابن معن وهيبة الامارة تحف به والانفة تلوح على محياه وتلا بين يديه دعاء مستطاباً استرعى نظره فسأل عنه فقيل له أنه سلطان البر فقال الغازي « نعم اللقب والملقب به » ومن ذلك الحين لقب فخر الدين بسلطان البرّ وبأمير لبنان . وأقرّه الغازي على ولاية الشوف وولى الامير عساف منصور التركماني على كسروان وبلاد جبيل وترك لبقية الحكام اقطاعاتهم وفرض على بلادهم مالاً قليلاً واوصاهم بالسعي في تعمير البلاد واجراء العدل في اهلها . أما الامراء التنوخيون اصحاب الغرب — وهو ما يلي بيروت شرقاً الى سفح لبنان وجنوباً الى الدامور — فتخلفوا عن المثول بين يدي السلطان لانهم كانوا من اعوان المماليك فانتزع الولاية من يدهم وعهد بها الى الامير جمال الدين اليمني . وسمع الناس بعدل السلطان وحلمه فتقاطروا الى لبنان من كل صوب ولا سيما من بلاد بعلبك حيث

---

(١) لما شاخت دولة بني العباس وانصرف الخلفاء الى ملاذهم وشؤونهم الخصوصية عن شؤون الدولة والامة ضعفت دولتهم وتضعضعت أمورها وطمحت ابصار الفاتحين من الدول التركية والكردية اليها واشتدتنازعهم على السلطة السياسية فيها . وأعظم هذه الدول شوكة يومئذ دولة التتر أو المغول . فاستولت على بغداد عاصمتهم وطاردتهم فارتحلوا الى مصر وليس بين ايديهم الا السلطة الدينية . فكان فيها منهم خمسة عشر خليفة آخرهم المتوكل على الله وبه انقرضت دولتهم بعد ان حكمت ٧٦٧ سنة (٧٥٠ — ١٥١٧)

(٢) يذهب بعض المؤرخين الى أن الامير قرقماس هو ابن الامير يونس بن معن وأن قرقماس هذا هو الذي مثل بين يدي السلطان سليم فولاه السلطان على بلاد الشوف. والحقيقة أن الذي مثل بين يدي السلطان ودعا له فولاه على الشوف هو فخر الدين الاول بن يونس ابن معن . وقرقماس هو ابنه وهو الذي خلفه على ولاية الشوف ومات في مغارة جزين وله ولدان فخر الدين الثاني ويونس . وهما اللذان اويا الى كسروان لحماهما المشايخ الخوازنة ثم استعادا ولايتهما على بلاد الشوف

كانوا يسامون خسفاً وظلماً [١] . وبعد ان فرغ السلطان من تدبير شؤون سورية الجنوبية سار الى حلب فنظم شؤونها وعاد الى القسطنطينية . وما لبث أن نفض عنه غبار السفر حتى طمحت نفسه الى فتوحات جديدة وصحت عزيمته على فتح جزيرة رودس واجتياح بلاد الفرس ثانية فعاجلته منيته سنة ١٥٢٠ قبل ان يدرك امنيته

﴿ ولاية الامراء المعنيين وبني عساف وسيفا ﴾ بعد انتضاء زمن الفتح وعودة السلطان سليم الى عاصمة ملكه رجع الامراء والحكام في لبنان وسورية الى ما كانوا عليه من الانقسام وتنازع السلطة وعادت الفتن فيهما الى عهدها السابق . فساءت حالهما وقُضي على ما كان علقه الناس على العهد الجديد الذي دخلا فيه من الآمال البعيدة والاماني العلية

وأول من ذكره المؤرخون من الامراء الذين عاصروا السلطان سليم وخلفاءه الاولين الامراء بنو عساف وبنو معن وبنو سيفا . ولذلك رأينا ان نقدم اخبارهم على اخبار غيرهم من الامراء الذين تداولوا الحكم في لبنان وسورية :

كان الامير عساف منصور التركماني يصطاف في عين شقيق احدى مزارع صرود كسروان ويصرف الشتاء في عين طوره . وجماعته ينزلون الازواق (زوق مكايل وزوق مصبح وزوق الخراب) على ساحل البحر . وولايته تتناول البقعة الواقعة بين نهر الموت بقرب بيروت والنهر البارد على مدى قريب من طرابلس [٢] . فلما اقرّه السلطان سليم على ولايته اتخذ بلدة غزير قاعدة لها وابتنى له فيها داراً فخمة وبجانبها

---

(١) كان في جملة الذين لجأوا الى لبنان في ذلك العهد قوم من متاولة بعلبك . جاءوا الى كسروان واستوطنوا فاريا وحراجل وبقعاتة عشقوت . ثم تكاثر عددهم حتى ملأوا صرود كسروان ولا سيما جبة المنيطرة وتملكوها . وانتقل جماعة من المسلمين السنيين الى فتقا وساحل علما وفقيع وعرامون وجديدة غزير وفيطرون حيث يوجد الى اليوم جماعة منهم . ونزح دروز الصرود الى برمانا وبعض مزارع كسروان الجنوبية . وانتقل فريق من نصارى الجدل وطرابلس الى عرامون . ونزح غيرهم من قرية بانوح الى فتوح كسروان فاستوطن قسم منهم قرية السكفور وحل القسم الآخر في غزير ومنه الشيخ حبيش بن موسى مخائيل الذي كان لذريته شأن يذكر في عهد امراء لبنان ولا سيما في عهد بني عساف وبني سيفا وبني معن

(٢) ينتسب امراء بنو عساف الى قبائل كردية أقامها سلاطين الشام في ساحل لبنان لصد غزوات الافرنج عن الديار الشامية وقد حكموا ٢٨٤ سنة (١٣٠٦ — ١٥٩٠) وخلفهم في ولاية غزير الامراء بنو سيفا الاكراد سنة ١٥٩٣ كما سيجيء

جامعاً وحماماً لا تزال آثارها باقية الى اليوم . غير انه لم يكد يستقر هناك حتى وافته منيته في السنة التالية « ١٥١٨ » وله ثلاثة بنين حسن وحسين وقيتبيه . فولى نائب السلطان في دمشق بمكانه ابنه حسن فوقع تعيينه هذا من نفس حسين موقعاً حسناً . اما قيتبيه فلم يرضه ذلك لانه كان طامعاً في الولاية فاضمر لاخويه الشر وتربص لهما حتى سنحت له الفرصة فغدر بهما وحكم البلاد وسجن يوسف وسليمان ابني الشيخ حبيش انتقاماً منهما على موالاتهما لاخويه ثم نفاهما الى مصر . ولم يطل حكمه فمات سنة ١٥٢٣ وخلفه الامير منصور ابن اخيه حسن وهو اشهر بني عساف . انبسط رواق ولايته حتى امتدت الى حمص وحماة فكان ينصب العمال على المدن والاقطاعات على تمام حريته وعلا سلطانه ولا سيما في عهد السلطان سليم الثاني حيث بلغ اوج مجده والغاية القصوى من شهرته

وخلف السلطان سليم ابنه سليمان الاول وهو حديث السن . فاستضعفه الغزالي والي دمشق وحدثته نفسه بالاستقلال بالولاية من دونه . فنشر راية العصيان عليه واستولى على قلعة الفيحاء وبعث بجيش الى بيروت فاحتلها . وحاول استمالة خير بك نائب السلطان في مصر الى غرضه فاخفق سعيه ووشى به هذا الى السلطان فانفذ اليه وزيره فرحات باشا بجيش كبير . وكان الغزالي زحف على حلب وحاصرها . فلما شعر بدنو جيش السلطان رفع الحصار عنها وتقهقر الى دمشق فتأثره الوزير وحاصره فيها وحاول العاصي ان يفرّ من وجهه فوقع في كمين نصبه له احد اعوانه وسلمه الى فرحات باشا فقتله وارسل رأسه الى مولاه في القسطنطينية

وافنى السلطان سليمان سني ملكه في الحروب والفتوحات كابيه . فحارب النمسا والمجر وحاصر فينا مرتين وحارب الفرس واستفتح بغداد ومعظم جزر الروم وفي جملتها رودس . وعقد مع جمهورية البندقية وفرنسوا الاول ملك فرنسا حلفتين كانتا اساساً لما اقره خلفاؤه للاجانب في السلطنة العثمانية من الحقوق والامتيازات [1] ومات

---

(١) اهم ما اشتهر به السلطان سليمان الاول انه حاصر جزيرة رودس وأصحابها يومئذ فرسان القديس يوحنا الاورشليمي فسلموا له وخرجوا منها الى مالطة بعد ان ابلوا في دفاعهم عنها بمعاونة اللبنانيين الذين كانوا صحبوا الفرسان اليها واستوطنوها بلاء حسناً كان لصداه في تاريخها رنة عظيمة رددتها الاجيال التالية بمنتهى الفخر والاعجاب . ثم حارب المجر وخضد شوكتهم وحاصر فينا مرتين (١٥٢٨ . ١٥٣١) وطال النزاع بينه وبين ملوك النمسا على سيادة بلادهم الى حين وفاته . وقد حارب الفرس وقهرهم (١٥٣٤) واستفتح بغداد . وعقد

سنة ١٥٦٦ وخلفه ابنه سليم الثاني . ويعد السلطان سليمان من أعظم سلاطين آل عثمان

واظهر ما اشتهر به عهد السلطان سليمان في الديار الشامية انه في سنة ١٥٢٨ وقعت بين بني شعيب اصحاب عرقا وبني سيفا امراء عكار (١) نفرة افضت الى اقتتالهم فاستنجد بنو سيفا على اعدائهم الامير قرقماس المعني امير الشوف (٢) وانجدهم الامير منصور عساف برجاله فنكلوا ببني شعيب وعادوا الى عكار . وكان والي طرابلس يومئذ محمد آغا شعيب فساءه انتصار الامير منصور لبني سيفا على قومه وعشيرته وهم بالانتقام منه . فانفذ اليه ابن عساف الامير عبد المنعم ابن عمه والشيخين يوسف وسليمان حبيش اللذين كان استعادهما من منفاهما في مصر وأغدق عليهما نعمه وعطاياه . فقتلوا ابن شعيب شرّ قتلة وامن الامير العسافي غدره . على ان ذلك لم يكن كافياً لالقاء الرعب في قلوب اعوانه وحملهم على الاخلاد الى السكينة فعصاه منهم حاكما جبيل والبترون ففتك بهما وعين مكانهما حاكمين من قومه وبذلك استتم نقمته من بني شعيب واعوانهم وقضى على سطوتهم قضاء مبرماً

مع فرنسا والبندقية الحلقتين اللتين ذكرناهما في انتك . وزادت حلقته مع فرنسا احكاماً على عهد هنري الثاني بن فرنسوا الاول وحاربت جيوشهما معاً تحت راية واحدة

(١) ينتسب آل سيفا كبني عساف الى قبائل كردية اسكنها سلاطين الشام في ساحل لبنان من صيداء الى طرابلس لترد عن البلاد غزوات الصليبيين . وكان بنو سيفا يحكمون في بدء امرهم بلاد عكار . ولما انقرضت سلالة بني عساف افضى الحكم في كسروان اليهم (١٥٩٣) . وأشهر رجال هذه الاسرة يوسف باشا سيفا وهو اول من تولى طرابلس من الباشوات

(٢) الامراء المعنيون بطن من بني ربيعة ويعرفون بالعرب الايوبية نسبة الى زعيم منهم يدعى ايوب كان فارساً مغواراً . فاخرجه سادة ربيعة حسداً من بينهم واضطروه الى الرحيل عن بلاد نجد وديار ربيعة حيثما كانوا ينزلون بعشائرهم فحل في الجزيرة الفراتية وتكاثر نسله هناك وانتقل امير من سلالته الى جهات حلب ومات بعد ان خلف ولداً سماه معناً وهو أصل الامراء المعنيين واليه ينتسبون . ولما اجتاح الافرنج سورية الشمالية أخذ الامير معن يغزوهم بعرب الايوبية حتى عظم أمره . ثم ظفر الافرنج به فارتحل بعشائره وقومه الى سهل البقاع واتصلت شهرته بطفتكين صاحب دمشق فخلع عليه وصادقه وانزله جبل الشوف لحماية البلاد من غارات الافرنج وكان الجبل مقفراً خاليا من السكان فجاءه الامير معن (١١١٨ م) واستعمره بمساعدة آل تنوخ أمراء الغرب وعميدهم يومئذ الامير بحتر جد الامير زهر الدين فاتخذه الامير معن حليفاً له وعضداً على الافرنج فاشتركا في شن الغارة عليهم حتى احرجاهم وسدا عليهم سبل الهناء . وأرسل الامير زهر الدين الى الامير معن عمالا اقاموا له ولخاصته الابنية الحجرية فسكنوها واعتزلوا المضارب والخيام وذاع أمره في البلاد فتقاطر الناس الى جبل الشوف من كل فج وغص بالسكان وحكمه زهاء ثلاثين سنة وأقام الامير معن اولا في بعقلين ثم انتقل خلفاؤه الى دير القمر وجعلوها قاعدة لولايتهم . وخلفه ابنه الامير يونس وخلف هذا ابنه الامير فخر الدين الاول ابو الامير قرقماس المعني الذي سبقت الاشارة اليه .

وفي سنة ١٥٣٣ شبت بين اليمنية والقيسية في بلاد جبيل وجبة المنيطرة فتنة كبيرة انجلت عن فوز الاولين وقتل في هذه الفتنة مالك بن غيث اليمني شيخ العاقوره . وكان للحزبين فيها انصار واعوان يتنازعون السلطة والنفوذ . فذعر أهلها وخرجوا منها لا يلوون على شيء ففرّ اليمنية الى دمشق يستغيثون بنائبها . وفرّ القيسية الى طرابلس . وخلت العاقورة من السكان سبع سنين الى ان استعمرها الشيخان أيوب وفضول ابنا الشماس توما العاقوري بامر نائب دمشق واعادا اهلها اليها وتوليا امرها [١] . ولجأ هاشم العجمي القيسي حاكم جبيل بفريق من جماعته القيسية الى بعلبك واصحابها اذ ذاك الامراء بنو الحرفوش فامنوه على حياته . وبعث نائب دمشق فعهد الى الامير منصور عساف بمعاقبة قاتلي مالك اليمني . فانفذ هذا عبد المنعم ابن عم هاشم العجمي واخا مالك للقبض على هاشم وجماعته . وكان بنو الحرفوش ناقمين على الامير منصور يتحينون الفرص لاهلاكه والقضاء على سطوته . فعاهدهم عبد المنعم على الايقاع به ان هم قتلوا هاشماً . ففتك الحرافشة بهاشم ورموا بجثته الى بئر هناك تعرف الى اليوم ببئر هاشم . اما عبد المنعم فادرك الامير منصور مأربه قبل ان ينفذه فيه . فاحبط مسعاه بان امر الشيخين الحبيشيين ففتكا به واوقعا بجماعته واراحا الامير من شره . وطاب خاطر الامير فعهد اليهما بتدبير شؤون حكومته وجعلهما كاخيين له مكافأة لهما على صدقهما في خدمته . على ان مكائد حساد الامير العسافي لم تكن لتقف عند هذا الحد . ففي سنة ١٥٤١ تامر المقدم مخائيل حاكم زوق مكائيل وبنو حنش حكام فتقا على الايقاع به فاحبط مسعاهم وفتك بهم

(ستأتي البقية) « المسعودي »

وتعاقب الامراء المعنيون من بعده على حكم بلاد الشوف وعظمت شوكتهم حتى تناولت ولايتهم جبل لبنان وما جاوره من البلاد شمالا وجنوباً من حدود حلب الى صيداء . وكان لهم منزلة رفيعة عند سلاطين آل عثمان فيخاطبون حكامهم كما يخاطبون الوزراء ورجال الدولة العظام . وقد عظم امرهم في حروبهم مع الافرنج وولاة سورية ولبنان وهم فيما نعلم أعظم أمراء الديار الشامية في عهد بني عثمان . وانقرضت دولتهم سنة ١٦٩٧ بموت الامير احمد المعني لانه لم يرزق ذكوراً بعد ان حكمت في لبنان ٥٧٩ سنة (١١١٨ — ١٦٩٧)

(١) يعرف المنتسبون الى هذين الشيخين من اهل العاقورة ببني الهاشم نسبة الى هاشم بن الشيخ ايوب بن الشماس توما البكر لان هاشما هذا كان أعز منزلة وأكبر شأناً من اخويه ضاهر ورعد

خطر تعاليم نيتشه

على الهيئة الاجتماعية

دلتنا الحرب الحاضرة على أن مبادئ طائفة من المفكرين الالمان مثل نيتشه وترتشكي ومن يضرب على وترهما لعبت ادواراً خطيرة في تطور الامة الالمانية . واذا استمرت العقول تتشربها فقد تكون هذه المبادئ خطراً على المدنية الحاضرة وقد يخشى ان تتقوض بها اركان الهيئة الاجتماعية العمومية برمتها

فقد ظهرت تلك المبادئ في سياسة المانيا الدولية وفي احكامها الداخلية واتضحت على الخصوص في استعدادها لهذه الحرب الشعواء وفي انذاراتها للدول جاراتها . بل انجلت كالصبح لذي عينين في اساليبها الحربية وفي كيفية معاملتها للبلاد التي تحتلها . ولا تزال كل يوم بعد آخر ترينا المانيا اموراً تدل على الدلالة على تأثر اهلها من تلك المبادئ وتخلقهم باخلاق الذين نشروها وعلموها وتسمم عقولهم بتلك السموم الزعافة

زبدة مبادئ نيتشه

أما مبادئ نيتشه ومن جاراه فقد أصبحت معروفة مما نشرته بعض المجلات والصحف . وخلاصتها انه يجب ان يفنى الضعيف وينمو القوي لكي تكون الاجيال القادمة قوية وخالية من الضعف والضعفاء . فنجم عن تشرب الالمان لهذا المبدإ حركتان خطيرتان :

الاولى ان السواد الاعظم من الشعب الالماني ولا سيما رجال الجندية اصبحوا يعتقدون ان الالماني هو الرجل القوي الذي يجب ان يبقى وان الاجناس الاخرى يجب ان تفنى وتبيد وان المدنية الالمانية (المؤسسة على هذا المبدإ ونحوه من مبادئ نيتشه) يجب ان تكون سيدة المدنيات الاخرى أو بالاحرى يجب أن تسود على العالم كله وان تطبعه بطابعها لكي يثبت القوي من الجنسيات الاخرى ويفنى الضعيف منها

والثانية ان القوة الجندية الالمانية التي ارتوت من معين هذا المبدإ واخذت على عاتقها تنفيذه قبضت على عنق الحكومة الالمانية واصبحت ذات الامر والنهي فيها تتصرف بها كما تشاء حتى اصبح رئيس كل دائرة أو ديوان في الحكومة الالمانية واحداً

من الضباط . واصبحت منزلة الضباط الالمان في بلادهم منزلة السبرمان (الرجل الاعلى) الذي حلم به نيتشه . وكان من نتيجة هذين الامرين ان انساقت الامة الالمانية كلها بحكم الطبع الى معاداة الامم الاخرى وعدم مراعاة الحق والانصاف في معاملاتها السياسية حتى انتهى الامر باثارة هذه الحرب الضروس

مقتضى هذه المبادىء

واذا كانت المانيا تحارب العالم الآن وهي تصرّ على جعل هذه المبادىء دستوراً للعالم فماذا تكون حالة الهيئة الاجتماعية المستقبلة إن تمّ النصر الذي تحلم به لا سمح الله ؟ لاريب ان السياسة الالمانية تقضي حينئذ بترتيب الامم كلها في ثلاث رتب ولكل رتبة شرائع اجتماعية خاصة بحسب درجتها وهي :

(١) رتبة السبرمان (Superman أي الانسان الاعلى) . وبالطبع لا يكون في هذه الرتبة الا الشعب الالماني ومن اندغم فيه من الشعوب الاخرى ان صحّ لشعب منها هذا الاندغام

(٢) رتبة الانسان الوسط . وهي تشمل جميع الشعوب الاخرى المتمدنة

(٣) رتبة السبمان (Subman أي الانسان الادنى) وهي تشمل الامم المنحطة .

وبالطبع ستساعد شرائع الانسان الوسط على سحق السبمان وقرضه وتتكفل شرائع السبرمان على سحق الانسان الوسط . واخيراً لا يبقى الا السبرمان وهو الالماني — هذا مآل المبادىء التي بنيت عليها سياسة المانيا النيتشية

ولما كانت هذه المبادىء قد ظهرت في سياسة المانيا في السنين الماضية ظهور الشمس ولا سيما في مسألة اغادير وانفضحت نيات الالمان في إثارة هذه الحرب وفي دوس المعاهدات الدولية واتضح تأثرهم من تلك المبادىء والتعاليم في معاملاتهم للبلاد التي احتلوها ولاهلها ولآثارها ولمفاخرها — لم تجد الامم الاوربية الاخرى بدًّا من الدفاع عن كيانها بازاء استفحال هذه النزعة الالمانية ولم ترَ الامم الاخرى ما يبرد جمودها لقاء هذا التنازع الهائل فجعلت تظهر عطفها نحو اعداء المانيا وتبثّ حنقها من الالمان وذلك لان هذه الحرب أصبحت للحياة أو للموت بل هي حرب لاجل مبادىء أساسية للاجتماع متباينة كل التباين

اليوجنيون والنيتشيون

أجل . لقد اهتم بعض الاجتماعيين وأخصهم جلتون في مسألة تحسين النسل البشري من الوجهتين الفسيولوجية والعقلية وبحثوا فيه بحثاً علمياً وحاولوا ان يضعوا له قواعد عملية فنشأ علم اليوجنية Eugenics أي علم تحسين النسل . ولكن شتان ما بين تعاليم هؤلاء وتعاليم نيتشه ومن تحدّاه وجاراه . فاليوجنيون يحاولون ان يجعلوا المواليد قوية لكي تكون السلالات القادمة قوية وذلك من غير ان يصاب الضعفاء باذى . وأما النيتشيون فيريدون اهلاك الضعفاء لكيلا يبقى الا الاقوياء . اليوجنيون يسعون الى تحسين النسل لا من طريق التنازع بل من أي طريق لا ينافي مبادىء التعاون والمساواة والمسالمة . وأما النيتشيون فيررون كل تنازع بدعوى أن للقوي حق اطلاق العنان لقوته في مصلحته وان ديست مصالح الضعيف في سبيله

وبالاجمال يقال أن نيتشه جرد نفسه عن هذا العالم (الذي لم يكن الا ذرة فيه) وجعل نفسه في مقام المدبر للعالم ورام ان تمّحق من الوجود كل أمة ضعيفة وكل سلالة حقيرة وكل فرد صعلوك وان تبقى سلالة واحدة فقط قوية وخالية من الافراد الضعفاء لكي تتناسل وتملأ المسكونة عالماً بشرياً قوياً . وفي مذهبه ليس للضعيف حق البقاء وانما البقاء حق للقوي وحده . وهذا يسوغ للقوي ان يُبيد الضعيف من طريقه

ولكن لا اليوجنيون ولا أية طائفة من الطوائف الاجتماعية على اختلاف انواعها حرّمت حق البقاء على أحد ضعيفاً كان أو قوياً ولا حللت تحليلاً قانونياً صريحاً ابادة الضعيف لكي يخلو الجو للقوي وحده . بل بالعكس تعترف كل طائفة من الطوائف الاجتماعية بحق البقاء لكل جماعة ولكل فرد وباحقية القوانين والنظامات التي تزع القوي عن الضعيف وتستوقف التنازع عند الحد الذي بعده لا يمكن ان ينتفع الواحد الا باذى الآخر

مسخ رأي دارون

والظاهر ان هذه المبادىء تطرقت الى أدمغة نيتشه وأنصاره من جرّاء ما أثر في أذهانهم ناموس التنازع الذي اكتشفه دارون وشرحه وراموا ان يطبقوه على كل مظاهر الطبيعة جمعاء من غير ان يكيفوه كتكييف هذه المظاهر . فقاسوا الانسان على الحيوان وقالوا اذا كانت القطة تنازع الفأرة بقاءها فلا بدع ان ينازع الانسان الابيض

الانسان الاسود بقاءه . واذا كان سنوران يتنازعان جبنة وأقواهما يظفر بها فلا بدع ان يتنازع زيدٌ وعمرٌ الرزق وأقواهما أحق به . وذلك لان الانسان متسلسل من الحيوان فلا بد ان يجريا كلاهما على ناموس واحد عام

ولكنهم لم يقولوا لنا لماذا لا تنازع النملة النملة حبة القمح بل تتعاونان كلتاهما على ادّخارها في الوكر الذي تعاونتا على بنائه . ولماذا لا تنازع النحلة النحلة رحيق زهرة بل تتعاونان كلتاهما على امتصاص الرحيق من الزهور وادّخاره عسلاً في الشهد الذي تعاونتا على بنائه

تعاقب التعاون والتنازع

واذا بحثنا في كل عوالم الطبيعة ولا سيما عوالم الحياة على اختلاف درجاتها نجد ناموس التنازع والتعاون يعملان معاً ولكنهما لا يعملان جنباً الى جنب ولا يعملان متنافيين متعاندين بل يعملان متعاقبين أي انه متى شرع الواحد بعمل يشرع الآخر يبطل الى ان يعقب ذاك هذا تدريجاً وأخيراً يحل محله حلا نهائياً . ويغلب ان يكون التعاون عاقباً والتنازع معقوباً

أما ناموس التنازع فيعمل بين الأفراد المنفصلة المتنافرة المتباينة فيعمل بين فارة وقطة . وبين قطة وقطة اذا لم توجد الا فارة واحدة لاحداهما أو اذا كانت السليقة ترشدها الى ان الفئران التي تنشدانها معاً قليلة . وكذلك كان يعمل بين نحلة ونحلة حين كانت النحلات زراقط لا تدّخر الرحيق بل تتنازعه كما تتنازعه الزراقط والزنابير الآن

ولكن لما جعل النحل يدرك بالسليقة انه اذا لم يدّخر الرحيق وقت الربيع فلا يجده في بقية فصول السنة بل يهلك جوعاً صارت أفراده تتعاون في ادّخاره وحمايته الى حين الحاجة اليه . وهكذا انتفى التنازع من بينها وحل التعاون محله . ومعنى ذلك ان أفراد النحل التي كانت متنافرة متباينة اتحدت فيما بينها وتألفت منها جماعة واحدة وأصبحت هذه الجماعة كالجسم الواحد المتضامن الاجزاء في حياته . واذا كان التنازع قد انتفى من بين أفراده فلم ينتف من بين جماعته وجماعة الزنابير مثلا لان الجماعتين متنافرتان متباينتان

ولما كان كل ما في هذا الكون من جماد وحي جارياً على « ناموس التجمع » أي تجمع الاجزاء بالتدريج في جماعات وتجمع الجماعات في جماعات أعم وهكذا على

توالي الازمان لم يبق بد من تعاقب ناموس التنازع والتعاون . أي انه قبل ان تجمع الاجزاء لا بد من تنازعها (تجاذباً وتدافعاً) حتى تهتدي الى كيفية توافقها . ومن ثم اذا اتحدت تعاونت تلك الاجزاء على حفظ كيان اتحادها وتوثيق رباط تجمعها

هذا هو الناموس الاعم الذي نجده في جميع مظاهر الطبيعة من سديم المادة وأجرام السماء وقشرة الارض وما عليها من جمادات وأحياء بسيطة ومركبة ومن فصائل نباتية وعائلات حيوانيـة وسلالات بشرية وأسباط وقبائل وأمم وحكومات وجمعيات وأحزاب

حلول التعاون محل التنازع

بعد هذا البيان الجلي الوجيز لا يبقى متعذراً على احد ان يفهم وان يبرهن أيضاً ان مبادئ نيتشه وأنصاره تنافي على خط مستقيم سنن الاجتماع البشري . حتى اذا أطلق لهذه المبادئ العنان كان المعمور مضمار تنازع دائم — تنازع على صوره المختلفة وأفظعها صورة الحروب الدموية — والقوي يهلك الضعيف ويبيده وهكذا دواليك الى ألّا يبقى أخيراً إلّا سبرمان واحد وهو النموذج الوحيد الذي يبقى ممثلا الصورة التي كانت في مخيلة نيتشه . وهذا السبرمان يبيد أيضاً لانه لا يقدر وحده ان يغلب الطبيعة . والطبيعة تتغلب عليه فتبيده

الاجتماع البشري هو خطوة الى الامام من جملة خطوات الكون العمومية على سنة التجمع . وعند هذه الخطوة العظمى قد حلّ تعاون الانسان محل تنازع الاعجم . ولولا هذا التعاون الذي يتسلح به البشر ضد الطبيعة والعجماوات لما انفصل الجنس البشري عن العجماوات واستقل عنها وتميز بهيئته الاجتماعية بل لبقي بين العجماوات الوحشية ينازع بعضه بعضاً كما تتنازع هي أيضاً الى الآن

على ان الجنس البشري لم يخلع عنه آخر ثوب من أثواب التنازع ليرتدي آخر ثوب من أثواب التعاون بل لم يزل التنازع يلعب فيه أدواراً — يلعب التنازع أدواره بين أمة وأمة في مضمار الاستعمار وفي مضمار التجارة بل في مضمار التفوّق في النفوذ السياسي — بل لا يزال التنازع يلعب أدواره بين الافراد في نفس الجماعة الواحدة في مضمار الاحوال الاقتصادية وفي مضمار السياسة الداخلية أيضاً . ولكن نزعة الجنس البشري العمومية متجهة — كما يتضح لكل مفكّر — الى جهة تغليب التعاون على التنازع وملاشاة هذا بتقوية ذاك تدريجاً . والكمال الذي تقترب الهيئة

الاجتماعية اليه موقوف على ملاشاة التنازع وتعميم التعاون بين أفراد الامم في كل شيء لكي تكون كل أمة جسما متين البنيـة وعلى تقارب الامم بعضها من بعض لـكي تتحد في امة واحدة كبرى متعاونة على خير الجنس البشري كله وسعادته

خطر تعاليم نيتشه على الهيئة الاجتماعية

فكل عمل وكل حركة ومسعى لا يتفق مع هذه النزعة الطبيعية يكون عاملاً مدمراً لبنيان الهيئة الاجتماعية — وهذا البنيان لم يزل في اوائله . وبناء على ما تقدم ترى أن مبادئ نيتشه ومن تحدّاهُ اذا تفشّت في بعض الامم وحاول ذوو النفوذ تنفيذها وتسيير الجنس البشري عليها كانت مقاومة للنزعة الطبيعيـة المذكورة وبالتالي مدمرة للبنيان الاجتماعي الوطيد . بل كانت خطوة الى الوراء يرتدّ بها الجنس البشري من بشريته الاجتماعية المتعاونة الى بهيميته الانفرادية المتنازعة

يريد نيتشه ان ينظف الجنس البشري من الضعفاء — عقليًا وفسيولوجيًا — وألاّ يبقى إلاّ الاقوياء عقلاً وجسماً حتى تكون السلالة الآتية كلها قوية . وهو يبرر كل واسطة لهذه الغاية كما برر تلاميذه الحزب العسكري الالماني كل واسطة حقة أو غير حقة وشريفة أو خسيسة وقانونية أو غير قانونية للحصول على النصر أخيراً

أما مطلق تنظيف الجسم البشري من كل ضعف بقطع النظر عن كون الواسطة جائزة أو محرمة فليس في مقدور أحد غير الخالق . وعلى نيتشه أن يوجه هـذا الاقتراح اليهِ تعالى . وأما الناس فاذا سئلوا في هذا الامر أجاب كل منهم أن لهُ حقاً أزليًا ابدياً أن يعيش ما استطاع ان يعيش وأن يبذل جهدهُ في أن يعيش ويقاوم كل ما ينافي حقه في ان يعيش . ولم يبقَ في هذا العصر مناص من استشارة الناس في تدبير امورهم . وليس لفرد كنيتشه أن يستبد في أمر تدبير الـكون وسياسة العالم

تعليم نيتشه مناقض لنفسه

وكيف قلّبت تعليم نيتشه لا تجد لهُ منطقاً يبررهُ أو عقلاً يرتاح اليه

فاولاً انه لم يضع حدًا بين الضعف والقوة ولا يقدر أن يضع هـذا الحد لان الناس درجات في القوة . فاذا اطلق العنان للقوي حتى يسحق الضعيف ويشغل حيزه في الوجود أدّى الامر الى سحق الناس بعضهم لبعض وأخيراً لا يبقى نظرياً الا واحد

وثانياً هب انه استطاع أن يضع حدًا بين القوة والضعف فلا أظن أحداً يسلم

بان الذين حُسبوا في صف الضعفاء يرضون عن طيب خاطر أن يفنوا لاجل خاطر الاقوياء بل بالاحرى يضطرون ان يتألبوا على الاقوياء ويقاوموهم ليدفعوا اذاهم عنهم وهكذا قد يتغلب الضعفاء على الاقوياء تغلب الكثرة على القلة وتغلب الحيلة على الصراحة وتكون النتيجة ابادة الاقوياء ونشوء سلالات ضعيفة خلافاً لما يريد نيتشه

ثالثاً ان تبرير كل وسيلة لحصول القوي على رزق الضعيف تستلزم حتماً الغاء الشرائع التي تقيد النّاس بواجباتهم وحقوقهم لانهُ لا يمكن أن تبقى شريعة بين قوي وقوي متى سقطت كل شريعة بين قوي وضعيف . ولا يخفى ان القوانين والشرائع هي الرباط الوحيد الذي ترتبط بهِ اجزاء الهيئة الاجتماعية . فاذا انحل هذا الرباط وتقطع تبعثرت اجزاء الهيئة الاجتماعية وارتدت الى همجيتها القديمة

تعليم نيتشه يصح في عهد الحيوانية

والغريب ان نيتشه بث هذه المبادئ وعلَّم بها ولكنهُ لم يضع دستوراً عمليًّا لها يمكن تنفيذه ولذلك تبقى تعاليمه نظريات . ولكنها نظريات غير منظمة فهي متطرفة من جهات وناقصة من جهات أخرى

فقد مدح القوة وحث على الاستقواء بها وكره الضعف وحث على محقه . وكلنا نمدح القوة ونحث كل فرد أن يستقوي ونكره الضعف ونجتهد في مداواته حتى لا يبقى ضعفاء . ولكن ما من أحد يقبل بقانون ينص على اهلاك الضعيف وإبادته لا لذنب سوى انه خلق ضعيفاً وما هو مسئول عن خلقتهِ . ولا أحد يقبل بنظام يقضي بحرمان الضعيف حقوقاً مخولة للقوي . لان الذي وجد في عالم الاحياء المتضامنة صار ذا حق بان يحيا ويتمتع

كان يصح مذهب نيتشه قبل ان ارتقى الانسان وأصبح اجتماعياً . أي يوم كان البشر دون بشر اليوم — يوم كانوا كالعجماوات يتنازعون افراداً — في ذلك الحين كان يسوغ ان ينازع القوي الضعيف رزقه وبقاءه بلا وازع ولا قانون . وقد حدث ذلك وعن يده تفوّق الانسان على سائر الحيوان . اما الان وقد اصبح البشر جسماً اجتماعياً مترابطاً واجزاؤه متضامنة فاذا أذن فيه للجزء القوي ان ينازع الضعيف ويبيده انحل رباط ذلك الجسم وانتفت اجتماعيته . فمحق الجزء الضعيف في ذلك الجسم الاجتماعي محق للجسم كله

اعتبار الضعف في الهيئة الاجتماعية مرضاً يداوى

نعتبر ضعف بعض السلالات أو بعض الافراد في السلالة الواحدة مرضاً في الجسم الاجتماعي يجب علاجه وشفاؤه . على ان العلاج لا يكون بقطع تلك الاجزاء ونفيها ولا سيما اذا كانت ضرورية لحياة الجسم لئلا يلحق الضعف بسائر الاجزاء أو يهلك الجسم برمته معها . وانما يكون العلاج بتقوية الجزء الضعيف . والعلاج على هذا النحو هو المهمة العظمى التي تشغل الاجتماعيين في كل زمان ولا سيما كلما تقدمت الهيئة الاجتماعية في عمرها . فالى هذا العصر كانت الهيئة الاجتماعية طفلاً أو غلاماً حديث السن لا يعرف مصلحته جيداً . فلا بدع اذا اخطأ مراراً في معالجة الضعف الذي فيه أو أهمل هذا الضعف أو اذا اتى اموراً تضعف بعض اعضائه . أما وقد شبت الهيئة الاجتماعية وصارت تفهم مواضع الضعف فيها واساليب علاجها فصار يمكن أن تستشفي من ادوائها من غير أن تبتر اعضاءها الواحد بعد الآخر ومن غير أن تتلف اجزاء من بدنها

علاج هذا الضعف

اذا كان عضل الجسم أو عصبه أو أي جهاز فيه ضعيفاً فيعالج بالادوية والاغذية وبالرياضة الخ لا بازالة ذلك الجهاز . والمعلوم في نظر الفسيولوجيين والهستولوجيين ان الحويصلات التي تألف منها ذلك الجهاز في عهد ضعفه اندثرت وقام مقامها حويصلات جديدة في عهد قوته . وهكذا الامر في الهيئة الاجتماعية فيمكن ان يعالج الضعيف في كل سلالة منها ليس بازالة الفرد الضعيف والسلالة الضعيفة بل بتربية الجيل الجديد الذي يحل محل الجيل الحاضر — بتربيته قوياً . وعلى التمادي تكون الاجيال المقبلة أقوى من الاجيال الماضية

وهذه الطريقة في المعالجة توجب علينا ان نعني بالجزء الضعيف كل العناية لكي نحفظه في مركزه الى ان ينمو الجزء الجديد الذي يحل محله . وهذا هو السر في وجوب العناية بالمساكين والبؤساء والضعفاء الخ

واذا كان الجسم الاجتماعي لا تقوم له قائمة الا بتعاون أفراد الجنس البشري وتضامنهم كان التضامن والتعاون خاصتان من أهم خواص الاجتماع فكيف يمكن التوفيق بين التضامن والتعاون وبين استقواء القوي على الضعيف . واذا لم يساعد القوي الضعيف ويعتني السليم بالعليل والغني بالفقير فكيف يمكن ان يتضامن البشر

ويتعاونوا ؟ بل كيف يمكن ان يثقوا بفائدة هذين التضامن والتعاون لمصلحتهم

ان الغاية التي يتوخاها نيتشه في تكوين هيئة اجتماعية قوية سليمة تتوخاها الطبيعة نفسها بدليل ان كل جيل يكون أصلح من كل جيل سبقه . وان حدث تقهقر في عصر من العصور كان كبوة لا يطول عهدها بل يعود الرقي الى استئناف مسيره الى الامام . على ان الطبيعة تعمل عملها في اختيار الاصلح وافناء الاضعف من غير جور على الضعيف لا يطاق وبغير الاسلوب الذي ينصح به نيتشه

العالم يسير الى الامام على نظام تجمع الاجزاء في جسم واحد متين البنيات . فكل عمل أو مشروع أو ترتيب يأتيه البشر لتقوية البنيان وتوطيده يؤدي حتماً الى اسعاد الجنس البشري برمته واصابة كل فرد من افراده نصيباً من السعادة على قدر عمله وجهده في هذا البناء . ولو كنا نود ان نهتم في مستقبل الاجيال المقبلة فعلينا ان نهتم بجعل بنائها الاجتماعي وطيداً متيناً . واذا رأينا من الواجب علينا ان نجعل أولادنا وأحفادنا أقوى بنية وعقلا فعلينا ان نربيهم كذلك بكل وسائل التربية الاكيدة الفائدة لا بان نستأصل من بيننا اخواننا الضعفاء لئلا يلدوا أولاداً ضعفاء

نقولا الحداد

نتف

من اجداد تيوبلد فون بتمن هولويج المستشار الالماني الحالي سيمون موني بتمن (١٧٦٨ — ١٨٢٦) وكان اسرائيلياً من سكان مدينة فرنكفورت وفي مقدمة صيارفتها ووجهائها . وقد رفعه امبراطور النمسا فرنسيس الاول الى رتبة الاشراف . وفي ٣١ اكتوبر سنة ١٨١٣ نزل نابوليون في منزله فتوسل اليه ألا يخرب مدينته

***

اول مدن العالم في عدد المكاتب العمومية مدينة نيويورك ففيها ٢١٤ مكتبة

***

من اقوال القاضي هيوز « لكل رجل ينجح امرأة تعتقد ان زوجها أعظم رجل في العالم »

سياحة في البلقان

لصاحب السعادة ادوار باشا الياس

قد وفقت في السنين الماضية الى السياحة في اميركا واوربا فزرت أهم اقطارها ومدنها ومشاهدها ودونت زبدة اختباراتي وصفوة مباحثي في كتاب سميته « مشاهد الممالك » ثم سحت في رومانيا وسربيا وبلغاريا وغيرها من جهات البلقان ولما كانت الانظار اليوم متجهة الى تلك الاقطار رأيت أن أنشر شيئاً عنها في الهلال مبتدئاً برومانيا

رومانيا

يبلغ عدد سكان رومانيا الآن نحو ثمانية ملايين نفس منهم سبعة ملايين من الارثوذكس (وكان ادخال الديانة الارثوذكسية اليها في القرن التاسع عن يد كيرلس ومثوديوس وهما راهبان يونانيان والطريقة التي اتخذاها لادخال ديانتهم هي انهما تعلما لغة البلاد وترجما الانجيل اليها وكانا يعظان ويبشران فيها) اما المليون الباقي فيدخل فيه خمسمائة وخمسون ألف اسرائيلي ومايتان وخمسون ألف مسلم وثمانون ألف بروتستانتي وستون ألف كاثوليكي وخمسون ألف من مذاهب مختلفة . وقد احتلت تركيا هذه البلاد ستة قرون فدخل اللغة الرومانية كثير من الالفاظ التركية فهم يكتبون وينطقون : توتون . كبريت . سقا . اغا . صراف . بخشيش . حمال . هايدي (هيا بنا) وغير ذلك

ولم يمتزج الشعب الروماني بالدولة العثمانيـة وما برح ثائراً عاصياً الى ان عقد مؤتمر باريز في سنة ١٨٥٦ اثر حرب القريم فنح بعض الامتيازات اهمها : أولاً ضم الامارات الرومانيـة الى ايالة واحدة ثانياً استقلالها ادارياً تحت سيادة الدولة ثالثاً تعيين حاكم مسيحي لها . وقد عين البرنس شارل (او كارل) هوهنزولرن في هذا المنصب وهو من اسرة امبراطور المانيا . وكان تنصيبه على رومانيا فاتحة عصر مجيد . ولما وصل الى بخارست عاصمة رومانيا في ١٠ مايو سنة ١٨٦٦ اقيمت له الافراح والاحتفالات الشائقة . وقد كان له القدح المعلى في تقدم البلاد ورقيها فتح

المدارس ومدّ السكك الحديدية وعني بتحسين العاصمة حتى صارت تضاهي اجمل عواصم اوربا . ثم وجه عنايته الى تنظيم الجيش وهو عسكري الماني محنك (وكان قائداً لآلاي من الجنود الالمانية في حرب المانيا والدانمرك سنة ١٨٦٤)

ورومانيا الآن بلاد غنية يزرع فيها من القمح وحده ثلاثة ملايين هكتار (أي اكثر من سبعة ملايين فدان) ومن الذرة بمقدار ذلك وهي تعد في استخراج زيت البترول في مقدمة الدول بعد اميركا وروسيا . وفيها من الاحراج ثلاثة ملايين هكتار وهي تصدر جانباً من الاخشاب الى الخارج

وفي ١٠ مايو سنة ١٨٧٧ اثر الحرب الروسية التركية رفعت رومانيا الى مصاف الممالك ونودي بالبرنس شارل ملكاً عليها . وتوفي هذا الملك اخيراً عن ابنة ماتت حديثة السن وخلفه ابن اخيه فرديناند ملكها الآن وهو متزوج بالبرنسس ماري بنت الدوق دي ادمبرج شقيق ادوار السابع ووالدتهما الغراندوقة ماري بنت اسكندر الثاني قيصر روسيا . وقد رزق الملك فرديناند من هذا القران ولدين وثلاث بنات

﴿ السفر الى رومانيا ﴾ ابحرت من الاسكندرية على باخرة رومانية اسمها داسيا (وهو اسم رومانيا القديم) ووجهتها ازمير فالاستانة . فبعد ان مكثنا يوماً في الاستانة قامت بنا الباخرة من مرساها ودخلت البوسفور ثم الى البحر الاسود . ويبلغ طول هذا البحر ١١٨٧ كيلومتراً وعرضه ٦١٣ كيلومتراً ومساحته ٤٢٣٧٩٢ كيلومتراً مربعاً وهو مشهور في العمق اذ يبلغ متوسطه ١١٠٠ متر وهو يبلغ عند القريم ٢٦١٦ متراً

وبعد سير ثماني ساعات لاحت لنا شواطئ بلغاريا على الشمال وبعد ساعة رست الباخرة في قسطنسه وهي ثغر عظيم الشأن لرومانيا . ولكي يستريح المسافرون من عناء الجمارك رأت حكومة رومانيا ان تندب من قبلها موظفاً يرافق السفن من الاستانة الى قسطنسة للقيام بتفتيش الركاب وهو يكتفي بسؤالهم هل معهم ما يؤخذ عليه رسم فاذا اجابوه سلباً لصق علامة على طرودهم وتركهم وشأنهم

﴿ قسطنسه ﴾ سماها الاتراك قسطنجه واقعة في اقليم دوبريجه وكان هذا الاقليم تابعاً لتركيا وبقي في حوزتها الى سنة ١٨٨٨ ثم ضم الى رومانيا بعد مخابرات طويلة كادت الحرب تنشب بسببها . وكانت قسطنسه فيما مضى قرية صغيرة واما الآن فانها ثغر كبير فيه شوارع واسعة مرصوصة بالاسفلت وقد غرست الاشجار على

جانبيها . فمررنا في شارع رومانيا وفيه قصر لولي العهد (الملك الحالي) حتى وصلنا الى ادارة التلغراف اللاسلكي فدخلناها وهناك رأينا سارية شاهقة العلو قائمة بقرب البحر تتدلى منها أسلاك تتصل ببطارية ويتصل بالبطارية سلك يفضي الى غرفة تحوي جهازاً تلغرافياً يخرج منه شريط فيه العلامات التلغرافية التي تتركب منها الكلمات . وقد علمنا من الجرائد ان الرومانيين أخلوا هذا الثغر وان الاسطول الروسي اخذ يضربه ولا يخفى ما ينتج عن ذلك من الخراب فان نفقات الميناء والارصفة وحدها بلغت ٨٩ مليون فرنك

﴿ من قسطنسه الى بخارست ﴾ ركبت القطار من قسطنسة الى بخارست عاصمة رومانيا والمسافة بينهما ٦ ساعات وعدد المحطات ٢٢.

وما زال القطار يستقبل محطة ويودع أخرى الى ان بلغنا الجسر الذي له شهرة مستطيرة في العالم وهو مبني على نهر الدانوب عند مدينة شرناڤودا وطوله ٤٠٠٠ متر . وقد استدعى من النفقات ٣٥ مليون فرنك (وقد ذكرت التلغرافات ان الرومانيين نسفوه ليمنعوا العدو من المرور عليه) وفي الميعاد المحتم دخل القطار بخارست . ولا يخفى ان اقليم دوبريجه واقع في المنطقة التي مررنا بها وفيه تجري الآن المواقع الحربية التي نطالع أخبارها في الجرائد

﴿ بخارست ﴾ عاصمة رومانيا سموها الاتراك بكرش ويبلغ تعدادها ثلاثمائة الف نفس لا يسع القادم اليها الا ان يدهش من جمالها فانها في الحقيقة قسم من اوربا في جميع احوالها المدنية والعلمية ولا ينقصها شيء مما يرى في أي عاصمة من العواصم الكبرى. سرنا في شارع فيكتوري وهو اهم شارع في بخارست وفيه الابنية الكبيرة كوزارة الخارجية وبنك الحكومة ومساحته ١٢٠٠٠ متر ووزارة الحقانية وهي تشغل مساحة ٢٠٠٠٠ متر وفيها المجالس الابتدائية والاستئنافية وادارة البوستة وبين عمالها شابات كما هي العادة في اوربا

وقد اكثروا من غرس الاشجار والازهار في الميادين والشوارع حتى يخيل الى الانسان كأنه في بستان . فضلاً عن الحدائق العمومية في داخل العاصمة وفي ضواحيها

ان الحركة في شارع فيكتوري السالف الذكر لا تبطل من مرور العربات والاتوموبيلات تسير بعضها وراء بعض متصلة غير منفصلة. وفيه قهاوي يظن الجالس فيها انه جالس في احدى قهاوي بولفارات باريز . وعربات الاجرة في بخارست تمتاز من

امثالها في كل عاصمة أخرى حسناً واتقاناً وخدمة لانه مفروض على الحوذيين جميعاً ان يتخذوا زياً واحداً يتألف من جبة من القطيفة ذات لون ازرق وهي تصل الى القدمين ويضم وسطها حزام أحمر . واما الخيل فمن أجود الانواع ويأتون بها من روسيا . وقد بلغني أمر غريب عن هؤلاء الحوذيين (ومعظمهم من روسيا) وهو ان أحدهم بعد ما يتزوج ويرزق الولد الاول يجري عملية جراحية تسبب عقمه ويقال ان روسيا طردتهم لما علمت بعادتهم هذه فلجأوا بخيولهم الى بخارست

وفيها شارع آخر يدعى كولنسا وهو سكن أهل الطبقة العالية وقد بني على نسق شارع الرينغ ستراس في فينا أي ان له ممشى على اليمين بجانبه الاشجار لمرور الناس ثم طريق لمرور العربات ثم طريق في الوسط للخيل مفروش بالرمل وبجانبه الاشجار ثم طريق آخر لمرور العربات ثم الممشى وبجانبه الاشجار . ومن هنا يتضح لك اتساع هذا الشارع الجميل

وفي ذلك اليوم زرت غبطة المتروبوليت وهو رئيس الدين في رومانيا ثم دعا شماساً ليرافقنا في الكنيسة وهي قديمة كثيرة التذهيب . فكانت مني التفاتة الى تابوت من فضة وضع على مائدة مستطيلة وفيه عظام القديس ديمتري الذي له مقام كبير عند الرومانيين ومن عاداتهم انه اذا شح المطر يأخذ رجال الاكليروس التابوت ويطوفون به طالبين الى الله تعالى ان يجود عليهم بالمطر . والرومانيون متعبدون لا ينقطعون عن الصلاة وفي عاصمتهم ١١٦ كنيسة ارثوذكسية مع ان تعدادهم لا يزيد على ثلاثمائة الف نفس

﴿ جبل سنايا ﴾ قبل أن أبرح مصر أشار عليّ حضرة معتمد رومانيا أن أذهب الى جبل سنايا وهو من المشاهد النادرة المثال يقيم فيه جلالة الملك وحاشيته وأهل الطبقة العالية في فصل الصيف والمسافة من بخارست اليه تقطع في ثلاث ساعات . فقطعت تذكرة ولما نظرت اليها وجدت عليها تاريخ ٦ من الشهر وكنا في ١٨ منه ففهمت ان رومانيا تتبع الحساب الشرقي في اعمالها كروسيا لكونها بلاداً ارثوذكسية . وكان معنا في القطار بعض الرومانيين وهم قريبون الى المعاشرة لا يتطلبون للتعارف شروطاً وقيوداً كالانكليز . وكان كل واحد منهم يجتهد ان يرينا شيئاً جديداً ومما شاهدناه ينابيع زيت البترول والمواسير التي توصله الى قطارات السكة الحديدية . أما عن محاسن هذا الجبل فمهما اقل أراني مقصراً في وصفه وفيه الحدائق الواسعة والمروج

الخضراء وفيها البرك تتدفق منها المياه على صورة جميلة

وفي هذا اليوم ذهبت الى قصر الملك وبيدي توصية من معتمد رومانيا بالقطر المصري الى السر تشريفاتي ومضمونها اني ذاهب الى رومانيا بقصد ان اكتب عنها في اللغة العربية لفائدة الشرقيين . والقصر على مسافة ساعة تقريباً من الفندق . فسرت في طريق من أجمل الطرق تحف به غابات الصنوبر ويسمع منه خرير المياه وتغريد الطيور. فلما قابلت السر تشريفاتي وكان اسمه ماڤروكوردات (وهو من أسرة الامراء الوطنيين) قابلني بالترحاب وقال لي « لا بد أن قد بلغكم من الجرائد خبر انحراف صحة الملك ولكنكم تستطيعون ان تقابلوا ولي العهد (وهو الملك الحالي) وسأرسل لكم خبراً بذلك الى الفندق » وبالفعل وردتني في الغد افادة بان أحضر الى القصر في الساعة الثالثة بعد الظهر وفي الميعاد كنت في القصر حيث مكثت قليلاً في غرفة الانتظار مع أحد التشريفاتية ثم دخلت الى قاعة الاستقبال فقابلني جلالته بالترحاب وكان لابساً كسوته العسكرية وعلى صدره سلسلة نياشين. فدار الحديث عن مصر ورومانيا وقد تفضل بالقول انه ينبغي لي زيارة دير أرجيش لأرى قبب الاجراس الرخامية المذهبة التي صنعت بطريقة هندسية غريبة الشكل من نوعها في كل العالم بحيث يخيل الى الناظر انها على وشك السقوط الى الارض، ومناجم الملح وهي أيضاً غريبة في بابها اذ انه يستطيع الانسان ان ينزل فيها الى عمق ١٥٠ متراً في عرض ٥٠٠ متر من غير ان يجد حجراً أو تراباً وليس فيها الا الملح النقي الابيض . وقال أيضاً ان رومانيا كالقطر المصري بلاد زراعية الا ان الحكومة الرومانية موجهة التفاتها أيضاً الى الصناعة . فدامت مقابلتي نصف ساعة فاكثر ثم انصرفت شاكراً

الصرب

اشتهر السربيون بحبهم للاستقلال منذ القدم وما برحوا بعد دخولهم في حوزة الدولة عاصين ناقمين . ويروى عن احدهم واسمه البطل ميلوش انه تقدم في موقعة كوسوفو الى خيمة السلطان مراد وطعنه في بطنه بخنجر فقتله . وفي سنة ١٨٠٤ جاهروا بالعصيان عن يد احدهم المدعو قرا جورج (اي جورج الاسود) وحكاية هذا الرجل انه كان راعياً واراد احد الجنود الاتراك ان يأخذ منه رأس غنم بالقوة فضربه على رأسه بالعصا ضربة أودت بحياته ففر الى الجبال . واشتدت بعد ذلك وطأة الحكام

الاتراك على السربيين فكانت الثورة عامة ظهر فيها قرا جورج السالف الذكر وكان يقود السربيين للقتال وبعد وفاته تولى قيادة الثورة ولده وهذا توفي وخلفه ولده وهو الملك الحالي حفيد قرا جورج راعي الغنم السالف الذكر

﴿ بلغراد عاصمة السرب ﴾ مبنية على قمة جبل يشرف على نهر الدانوب من جهة ومن الجهة الاخرى على نهر ساف . فهي في هذه الحالة جميلة جداً وكل مناظرها بالغة الجمال فاحياء العاصمة بعضها مبني على قمة هذا الجبل وبعضها على لحفه . فمن يكون في الاحياء الواقعة على رأس الجبل يرى شوارع مستطيلة جداً بجانبها الاشجار الى آخر الوادي والنهر ويرى عربات الترمواي نازلة الى النهر وصاعدة كأنها خارجة منه

قمنا للتفرج على ما في هذه العاصمة فسرنا في شارع ممتد في قلب البلد وفيه احسن البنايات وتمثال يمثل رسوماً حربية وقعت ما بين الاتراك والسربيين منها رسوم نساء صربيات يدهن اطفال تتوسل الى عساكر الاتراك تطلب الرحمة والشفقة وهم يقصدون بذلك لان يغرسوا في قلوب الشبيبة السربية كره القساوة التركية . الى ان وصلنا الى قره ميدان والاسم تركي وهو اليوم الحديقة العمومية للاهالي وهي لطيفة جداً فيها برك المياه والازهار المتنوعة وتشرف على نهر الدانوب الفاصل ما بين بلغراد والمجر . ويرى جلياً من هذه الحديقة قرى المجر والفلاحون يشتغلون فيها

﴿ بين بلغراد وصوفيا ﴾ قمنا من بلغراد الى صوفيا عاصمة بلاد بلغاريا والمسافة بين عاصمتي السرب والبلغار عشر ساعات ومررنا بمدينة نيش السربية التي كان قد اتخذها ملك سربيا ورجال حكومته مركزاً لهم بعد خراب عاصمتهم بلغراد

بلغاريا

قد اصاب بلغاريا من الحكم التركي ما اصاب جاراتها . ومما يؤثر عن ذلك العهد ان احد الحكام اغتصب ابنة فلاح واخذها لمنزله فلما علمت اختها وكانت جميلة ايضاً هربت الى الجبال العالية وهي تنشد قصيدة مؤثرة عن اغتصاب اختها وهي قصيدة يغنيها القوم الى اليوم . وكان الشعب البلغاري يطلب الاستقلال ويعقد الجمعيات في الكنائس فبعد ان عصي اليونان على الدولة في سنة ١٨٢١ طلباً للاستقلال وشهرت روسيا حرباً عليها في سنة ١٨٢٧ قوي حزب الاستقلال في بلغاريا . وقد تلا ذلك ان الفلاح والبغدان ثارت في سنة ١٨٥٧ فاقتدت بلغاريا بهذه

الامم في طلب الاستقلال . وطاف وفد بلغاري في عواصم اوربا لهذا الغرض وساعد في ذلك المستر غلادستون السياسي الشهير في انكلترا

وأهم من كل ذلك ان قيصر روسيا اسكندر الثاني جمع سفراء الدول في قصره في بطرسبورغ في ١٢ ابريل سنة ١٨٧٧ وقال لهم انه لم يبق في طوقه ترك البلغاريين اخوانه في الجنسية والمذهب يقاسون العذاب من ظلم الاتراك وانه شهر الحرب على الدولة لتنال بلغاريا استقلالها وأمر جنوده ان تزحف في الحد فزحفت الى البلقان حتى وصلت سان استفانو من ضواحي الاستانة حيث عقدت معاهدة الصلح ما بين روسيا والدولة ثم ابدلت الشروط في مؤتمر برلين وأهم ذلك استقلال بلغاريا تحت سيادة الدولة وتعيين والٍ مسيحي ينتخبه الشعب البلغاري

وقد وقع اختيارهم على البرنس اسكندر باتنبرج وكان البرنس وقتئذ شاباً في الثانية والعشرين من عمره وهو من اسرة المانية ذات قرابة بعيدة مع الامبراطورة زوجة اسكندر الثاني قيصر روسيا . فتربى في حاشية القيصر بصفته ياوراً . وقد عرفه البلغاريون لانه حارب واياهم قبل ذلك الحين بعامين في صفوف الجنود الروسية . فحضر الى صوفيا عاصمة البلغار واستلم الاعمال فعمت الافراح في طول البلاد وعرضها

وحصل بعد ذلك خلاف بين القيصر والبرنس بشأن الروملي الشرقية التي أراد هذا الاخير أن يستولي عليها فاضطر الى التخلي عن منصبه فتشكلت حكومة موقتة برياسة ستامبولوف وهو أشهر وزير بلغاري في تاريخ بلغاريا الحديث وما لبثت ان أرسلت تدعو البرنس ان يعود فلما رجع قابله الناس بسرور . ولكن قيصر روسيا اظل مستاء منه فترك بلغاريا مرة أخرى وعاد الى النمسا وتزوج راقصة بارعة الجمال وتوفي مغموماً وهو في السادسة والثلاثين من عمره . وقد شكلت على أثر استعفاء البرنس اسكندر حكومة موقتة رأسها ستامبولوف ايضاً وعنيت الامة بانتخاب امير جديد فوقع اختيارهم في اواخر سنة ١٨٨٧ على البرنس فردينان من آل كوبورج في النمسا وهو حفيد لويس فيليب من عائلة اورليان الشهيرة في فرنسا من بنته البرنسيس كليمنتين

وصل البرنس الجديد الى صوفيا والف وزارة رأسها ستامبولوف وكان هذا الوزير ذا أثرة واقدام فقبض على البرنس الجديد بيد من حديد . وكان يولي الناظر أو الموظف الذي يريده وظل الحاكم المطلق في كل بلغاريا مدة سبع سنين . وقد

حدث يوماً انه كان خارجاً من نادي الاحرار فهاجمه ثلاثة رجال بالخناجر فقتلوه . فتشكلت وزارة جديدة ثم ذهب البرنس فرديناند الى بطرسبورغ حيث قابل القيصر وتم الاتفاق على ان ولي العهد يعتنق المذهب الارثوذكسي ويكون القيصر عرابه . وظل امير البلغار من ذلك العهد يسعى في الاستقلال فلما أعلن الدستور في سنة ١٩٠٨ أعلنت حكومة بلغاريا استقلالها التام في بلغاريا والروملي الشرقية ونودي بفرديناند ملكاً

﴿ صوفيا ﴾ عاصمة بلغاريا كانت قبل الاستقلال قرية صغيرة ولكنها نمت حتى اصبحت من المدن العامرة . نزلنا من الفندق من شارع المحرر (أي القيصر اسكندر الثاني) وفيه قصر الملك وهو مبني على مرتفع في مكان السراي التركية وسط حديقة فيها كل انواع الشجر والازهار وهو اليوم من اجمل القصور في اوربا . دخلنا احدى قاعاته فرأينا فيها صور قياصرة الروس ويليها قاعة الطعام وهي طويلة تسع مئتي مدعو وشاهدنا ايضاً قاعة عظيمة معدة للاحتفالات ومن بعدها قاعة الرقص وتسع ألف شخص وفي الدور السفلي من القصر كنيستان احداهما كاثوليكية يذهب اليها الملك وزوجته وبناته والثانية ارثوذكسية يصلي فيها ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء وسائر الوزراء والتشريفاتية والياورية . ثم قصدنا قصر السوبرانا (مجلس النواب) وهو قصر فخيم جميل . وقد مر ان قيصر روسيا اسكندر الثاني انال بلغاريا استقلالها فنصبوا تخليداً لذلك تمثالاً ما رأيت احسن منه في كل سياحتي مثلوا فيه القيصر في حجمه الطبيعي راكباً جواداً بملابسه الحربية والجواد واقف على قاعدة ضخمة من الصوان الازرق وفي هذه القاعدة من الامام رسوم بارزة لنحو اربعين قائداً من القواد الروسيين مثل سكوبليف وغيره بعضهم على رؤوس الخيل والبعض يشيرون بسيوفهم الى الامام . وكتب على الوجه الآخر من القاعدة بحروف ذهبية « من بلغاريا المتشكرة » . فليت البلغار تأملوا في هذا التمثال قبل شهرهم الحرب على روسيا



مستقبل الحرب في جوف البحر

الغام تسمع . وغواصات تبصر وتنتقل على خطوط حديدية

كلفت مجلة « العلم العام » الاميركية اثنين من اصحاب الخبرة في الغواصات ومن أشهر المشتغلين في اتقانها ابداء آرائهما عن مستقبل الحرب في جوف البحر وما ينتظر حدوثه من تحسين الغواصات والالغام وتوسيع نطاقها وزيادة فتكها . فكتب أحدهما المستر سيمون ليك مقالة وجيزة في « نقل الغواصات على السكك الحديدية » وكتب الثاني المستر ادوارد شندلر مقالتين موضوع الواحدة « القتال بالتلفون في جوف البحر » وموضوع الاخرى « الغام تسمع » . فرأينا أن ننقل خلاصة هذه التنبؤات المبنية على العلم والتجربة وكلا الكاتبين من المخترعين اصحاب الفضل في صنع الغواصات والالغام . وذلك مما يجعل لارائهما شأناً خاصاً

غواصات تسير على خطوط حديدية

قال المستر سيمون ليك : اعتقد كل الاعتقاد ان اتقان الغواصات المطرد سوف يمنع كل حرب على سطح البحر بين الدول . على انني أرى انها لن تصلح للهجوم والفتح فان الغواصة مع شدة فتكها سريعة العطب تتعرض للهلاك حالما يظهر جزء منها على سطح البحر . فانما وظيفتها التربص والانتظار والمفاجأة . ومن العسير بل من المستحيل نقل الجنود والذخائر الى جهات تحميها الغواصات الكثيرة . ولا أظن احداً من الخبيرين ينكر أنهُ متى زادت سرعة الغواصات الى أن تعادل سرعة البواخر لا يعود في امكان امة من الامم أن تتاجر بطريق البحر الا اذا اتفقت مع الدول الاخرى حتى تكون سفنها في مأمن من مفاجأة الغواصات

ولاشك أنهُ لواستطاعت كل دولة أن تحوّق نفسها بمنطقة حصينة عرضها عشرة أميال بحيث يتعذر اجتيازها ويعدّ كل حي يدخلها في حكم الاموات لامنت الدول شر جيرانها ولما خافت تعدي عدو عليها . واني شديد الاعتقاد بانهُ اذا كان لدى

حكومتنا (أي الولايات المتحدة) العدد الكافي من الغواصات فانها تستطيع اذ ذاك انشاء تلك المنطقة حولها ووقاية شواطئها وقاية تامة تجعل الاقتراب منها وخيم العاقبة

ولقد قرأت في السنة الماضية ان مجلس النواب خصص مبلغاً لانشاء غواصات كبيرة ذات سرعة عظيمة (٢٥ عقدة) على شرط ألا تزيد نفقات الغواصة الواحدة عن ١٥٠٠٠٠٠ دولار (أي ٣٠٠٠٠٠ جنيه) . فلما قرأت ذلك في الجرائد خابرت وزارة البحرية بالتليفون وقلت انه يتعذر انشاء غواصات سرعتها ٢٥ عقدة في الساعة باقل من مليوني دولار وربع مليون للغواصة الواحدة ، فضلاً عن ان صنع الآلات اللازمة واتقانها يستدعي عدة سنوات . فان اتقن الغواصات التي بلغني خبرها غواصة صنعت في مصنع ايطالي قبيل الحرب تسير بقوة ١٣٠٠ حصان . وينبغي للحصول على ٢٥ عقدة في الساعة قوة ١٠٠٠٠ حصان تقريباً . وهذا أمر عسير بالنظر الى حالة الصناعة في الوقت الحاضر . وقد فات المجلس النيابي الصعوبات الفنية التي تعترض انشاء غواصة تكون سرعتها ضعفي سرعة أسرع الغواصات المعروفة اليوم

على انه وان تعسر انشاء غواصات كبيرة الحجم بتلك السرعة فمن الممكن صنع غواصات صغيرة تقوم مقامها . ولا شك عندي اننا لو صنعنا عدداً كبيراً من تلك الغواصات الصغيرة فانها تجعلنا في مأمن من كل هجوم بحري وان لم تستطع الابتعاد الى مسافات بعيدة

ولقد سميت تلك الغواصات الصغيرة « بالضفدعية » اشارة الى انها تنتقل بين البر والبحر . وهي صغيرة الحجم محمول الواحدة ٢٠٠ طن ويسهل نقلها مع رجالها ومعداتها على سكك حديدية بقرب الشاطئ . وينبغي ان يكون لتلك السكك فروع ممتدة في البحر بحيث يمكن انزال الغواصة في الجهة المطلوبة رأساً من الخط الحديدي الى البحر

تلك هي الغواصات الصغيرة التي تقي الشواطئ في اعتقادي من مهاجمة أي أسطول . وتقدر سرعة تلك الغواصات بثماني عقد وهي غائصة وعشر وهي عائمة .

وقيمة الغواصة من هذا النوع نحو ٣٠٠٠٠٠ دولار أي ٦٠٠٠٠ جنيه فترى انه يمكن صنع ٦ أو ٨ غواصات من هذا الطرز بثمن غواصة واحدة من ذات سرعة ٢٥ عقدة . ولا يخفى ان فتك الطوربيل واحد سواء أكان قادماً من غواصة صغيرة أو كبيرة

ومزية تلك الغواصات الصغيرة انه يمكن نقلها بسرعة القطرات الحديدية التي تحملها أي ٥٠ عقدة الى أي مكان من الشاطئ يهدده العدو

وليس هذا بالامر السهل على الغواصات المستعملة اليوم اذ انها لا تستطيع الا السير ببطء فضلا عما تتعرض له من الخطر حال ظهورها على سطح الماء . ان مئة من تلك الغواصات السهلة الصنع تقوم باجل الخدم وتحمي بلاداً واسعة من اقتراب العدو بطريق البحر . على انه لا غنى للحكومة فضلاً عن تلك الغواصات الصغيرة من بعض الغواصات الكبيرة للقيام بمهمات لا تستطيع تلك تأديتها

المحاربة بالنفوذ في جوف البحر

قال المستر شاندلر : لا تزال صناعة الغواصات في طفولتها ولا بد لها من بلوغ درجة عالية من الاتقان بالقياس على ما بلغته الاختراعات الحديثة من التقدم المطرد . وفي مقدمة الاصلاحات التي ينبغي ادخالها على الغواصات بل أعظمها شأناً ما يجعلها ترى الهدف الذي تصوب اليه طوربيلها وهي غائصة في الماء أو على الاقل ما يمكنها من تعيين موقع هذا الهدف بطريقة علمية ثابتة لا تخطئ . اذ لا يخفى ان الغواصة بحالتها الحاضرة لا تستطيع ان ترى شيئاً الا اذا كان منظارها (أو البريسكوب) طافياً فوق سطح الماء . فاذا شاهدت به سفينة عن بعد وأرادت اغراقها وجب عليها أولا ان تقترب منها الى مسافة نصف ميل تقريباً حتى تستطيع تعيين سرعتها واتجاهها بالتقريب ثم تغوص وتوجه اليها طوربيلا فيندفع بزخم نحو السفينة . على ان الطوربيل لا يصيب دائماً مرماه لان الغواصة اذا اقتربت كثيراً من السفينة وبريسكوبها ظاهر اصبحت عرضة التلف والهلاك واذا غاصت هي وبريسكوبها فانها لا ترى هدفها وانما تعتمد على الحساب التقريبي الذي يحسبه

ضباطها قبل الغوص كما ذكرنا فينبغي اذاً استنباط طريقة تستطيع بها الغواصة الصناعية ان تحكم مرماها . وانه من العبث استعمال الانوار للاستكشاف في ظلمة البحر فان أقوى الانوار الكهربائية لا تنير الا مسافة قصيرة من جوف البحر

أما الطريقة التي جرَّبتها واعتقد نجاحها فانها تمكن من تعيين مكان السفينة تماماً بواسطة الصوت الناشئ عن حركتها . واساسها استعمال الميكروفون . وهو كما لا يخفى آلة تضخم أضعف الاصوات . والميكروفون من الاجزاء الرئيسية في كل آلة تلفون . وقد ذكرنا في بعض الاهلة السابقة انهم يستخدمونهُ اليوم في محاربة الطيارات فانه يلتقط ازيز الطيارة وهي في الجو مهما يكن ارتفاعها وتضخمه بحيث يصبح مسموعاً بسهولة وان لم ترَ الطيارة

فعلى هذا المبدأ قد تمكنت من صنع طوربيل ركِّبت فيهِ ميكروفونات يسترشد بواسطتها بعدخروجه من الغواصة الى الهدف المطلوب بفضل تأثرها من الصوت الناشئ عن حركة الرفاس (ولا يخفى ان الصوت أسرع انتقالاً وأشد قوة في الماء منهُ في الهواء) . وكيفية ذلك اني وضعت في كل جهة من مقدم الطوربيل ميكروفونين يستدل بهما . فطالما كان اتجاه الطوربيل نحو السفينة بالضبط فان تأثير صوت الرفاس في الجهتين يكون متساوياً . ولكن اذا غيرت السفينة وجهتها كان تأثر أحدى الجهتين أشد من تأثر الاخرى . اذ ذاك يتحوَّل الطوربيل الى أن تستوي قوة الصوت الواقعة على الجهتين . وذلك لان الميكروفونات متصلة اتصالاً كهربائياً بدقة تتحرَّك وفقاً لتأثرها

وفي الامكان تركيب الميكروفونات على الغواصة نفسها بدلاً من تركيبها على الطوربيل . والفرق بين الاثنين أن قبطان الغواصة يستفيد من المعلومات التي يأتيهِ بها الميكروفون لتوجيه غواصته واختيار الوقت المناسب لقذف الطوربيل . في حين أن الطوربيل السابق وصفه يتحرك حركة ميكانيكية محضة لا دخل فيها للعقل والاختيار

وتركيب الميكروفونات على الغواصة يكون من الجهتين مثل تركيبها على الطوربيل .

وتلك الميكروفونات متصلة بسماعات تجعل القبطان يسمع الاصوات الآتية من الجهتين فيعدل اتجاه غواصته الى ان تتساوى ضخامتها . اذ ذاك يعلم ان الغواصة متجهة رأساً الى السفينة

على أنني قد وفقت الى ايجاد اتصال كهربائي يصل تلك الميكروفونات بعقرب تدور على محورٍ بحيث تتحرك العقرب الى اليمين أو اليسار وفقاً لتفاوت الاصوات الواقعة على الجهتين في الضخامة . فاذا كانت الجهة اليمنى أقرب الى الغواصة من الجهة اليسرى (أي اذا كان يمين الغواصة نحو السفينة) تحركت العقرب نحو اليمين مشعرة بذلك . عندئذ تدار الدفة حتى تنتصف العقرب بين الجهتين فيكون اتجاه الغواصة الى السفينة المراد اغراقها بالضبط

ولكن لاستعمال التلفونات والسماعات التلفونية فوائد أخرى لا تدرك باستعمال العقرب المتقدم ذكرها . فان التلفون يرشد السامع الى تباين الاصوات القادمة من جهات البحر فيميز بينها . اذ لا يخفى ان الصوت الناشئ عن حركة باخرة كبيرة كالباخرة موريتانيا مثلاً غير الصوت الناشئ عن نقالة صغيرة أو صوت مدرعة حربية أو مدمرة أو غواصة وقس على ذلك . وبالتمرين يسهل التمييز بين تلك الاصوات المختلفة

ثم انهُ يمكن استخدام الميكروفون لاستلام الاوامر من قائد اسطول الى الغواصات التابعة له اذ يكفي توليد اصوات مخصوصة في الماء (باجراس خاصة أو غير ذلك) حتى تنتشر في جميع جهات الماء فتلتقطها الغواصات وتعمل بمقتضاها

وهناك فوائد أخرى لتلك الآلات أعدها من الخطورة بمكان عظيم ولا سيما اذا فرضنا ان السفينة المراد اغراقها راسية في ميناء . فكيف تتمكن الغواصة من تعيين مكانها وهي واقفة لاصوت لها ؟ يمكن الغواصة في تلك الحال توليد صوت في الماء وانتظار رجع صداه (اثر اصطدامه بالسفينة) فتلتقطه الميكروفونات وتعين مكان السفينة

ويجوز استخدام الصدى ايضاً للنجاة من بعض المآزق الضيقة : افرض ان

غواصة اقتفت أثر سفينة داخلة في بعض الموانئ وان بعض القوارب الاوتوموبيلية المسلحة (وهي من ألد اعداء الغواصات) شاهدتها. فماذا تفعل ؟ قد تغوص الغواصة حالاً فتأمن شر القوارب مؤقتاً. ولكن كيف تخرج من المرفأ وهي تعلم ان تلك القوارب متربصة لها تصوب اليها نيرانها حالما يظهر بريسكوبها فوق سطح الماء ؟ تستطيع ذلك بواسطة الصدى والميكروفونات. فانها اذا ولدت صوتاً في جهة معلومة لا يلبث ان يرجع صداه اثر اصدامه بالشاطىء أو بسد المرفأ. فتكرر توليد الصوت تلو الصوت في جهات مختلفة الى ان تحدث صوتاً بلا صدى فتعلم اذ ذاك ان في تلك الجهة مدخل المرفأ حيث لا حاجز يُرجع الصدى فتتجه نحوه وتخرج بامان

واخيراً ارى انه يحتمل في المستقبل ان تحارب الغواصات بعضها بعضاً وهي في جوف البحر اذ لا مانع من التقاط صوت الغواصة على نحو ما قدمنا وقذفها بالطور بيل. اذ ذاك تتحارب الغواصات من غير أن ترى بعضها بعضاً وانما تقوم الآلات مقام الحواس

ألغام تسمع

وقال ايضاً : لا يخفى ان الالغام نوعان : الالغام التي تنفجر أثر اصطدام السفن بها، والالغام المتصلة بالشاطئ باسلاك كهربائية والتي يكفي ضغط زر لانفجارها. والنوع الثاني آمن عاقبة من الاول لان الغامه وقف ارادة المكلفين مناظرتها بعكس الالغام الثانية فانها تنفجر عند اصطدامها باي سفينة سواء كانت سلمية أو حربية أو كانت معادية أو محالفة فضلاً عن كونها قد تجر من مركزها الى عرض البحر فتصبح خطراً على التجارة عظيماً

وقد فكر بعض المخترعين في ايجاد طريقة تبيح للغواصات دخول الموانئ رغم الالغام التي تبث عند مدخلها. وفي مقدمتهم المستر سيمون ليك (المتقدم ذكره) فقد بين انه يمكن اضافة أجزاء مستطيلة عند مقدم الغواصات تتلمس بها طريقها في المناطق الخطرة فتبعد الالغام من قربها دون ان تنفجر وتتقدم. بفضل تلك الملامس الصناعية شيئاً فشيئاً الى الغرض المطلوب

فلو صح هذا الاختراع لأصبحت الموانئ معرضة للخطر فلا تأمن شر العدو مما يبث حواليها من الالغام. غير اني قد وقفت الى تركيب ميكروفونات في الالغام (على نحو ما تقدم ذكره بخصوص الطوربيل والغواصات) بحيث يصبح اللغم يسمع صوت كل سفينة أو غواصة تقترب منه وينقله الى مركز المكلفين مناظرة الميناء فيكفي ان يضغطوا زرًا كهربائياً لينفجر اللغم في الحال فتهلك السفينة أو الغواصة التي بقربه

وليس من الضروري ان تكون كل الالغام بميكروفونات بل يكفي استعمال تلك الالغام السامعة على مسافات معلومة اذ لا يخفى انها شديدة الاحساس . فقد ثبت انها تسمع أحياناً صوت الغواصات على مسافة ١٥ ميلاً . زد على ذلك انه ليس من الضروري ان يكون الانفجار بلصق السفينة أو الغواصة حتى تصاب به فقد يفتك الانفجار بها على مسافة خمسين قدماً منها

ويجوز أيضاً وصل الميكروفونات بانوار كهربائية تضاء وتطفأ عند اقتراب الغواصة وبعدها من الالغام بحيث يمكن تتبع سير الغواصة في المنطقة المبثوثة خطوة خطوة بفضل انطفاء الانوار واضاءتها

طوربيل يسيره رجل

وقد اطلعنا في الجزء الاخير من احدى المجلات العلمية على اقتراح لاحد المهندسين البحريين يقضي بجعل الطوربيل مسيرًا وفقاً لارادة رجل جالس في مركبة صغيرة مرتبطة بالطوربيل ولاصقة به من خلفه ولا يخفى ما يستدعي تسيير هذا الطوربيل من الخطر الجسيم على مسيره ولكن الحرب الحاضرة قد دلت على ان الشجاعة تبلغ من بعض الافراد مبلغاً عظيماً يجعلهم يخاطرون بحياتهم وان يكن خلاصهم اقرب الى المحال منه الى الممكن . على ان المخترع قد احتاط لحفظ حياة المكلف تسيير الطوربيل لجعل المركبة الصغيرة المتصلة بالطوربيل سهلة الانفصال عنه فتنفصل عند ما يقترب راكبها من السفينة المراد اغراقها بحيث يكون اغراقها في حكم المؤكد فيتابع الطوربيل سيره وحده ويرجع الرجل بمركبته من حيث اتى

الشرطة (البوليس) عند العرب

نظامها وتاريخها

لما فتح العرب فتوحاتهم تركوا في ابتداء حكمهم جميع النظم المدنيـة على حالها فابقوا في كل مدينة ما كان بها من الوظائف الادارية والشرطة والقوانين الخاصة والعوائد وغيرها الا انهم ما لبثوا ان أخذوا في ادارة هذه الوظائف بانفسهم بعد ان رسخت قدمهم في جميع الجهات فاسسوا المصالح والنظامات لادارة الاعمال المدنية ولا سيما ما كان خاصاً منها بالمحافظة على الاموال والامن العام وهو نظام الشرطة (Police) عندهم . وكانوا يسمون البوليس بالشرطة والعسس والولاية وغيرها من الاسماء التي كانت تختلف باختلاف البلاد والازمنة كما سيأتي تفصيله

وأول من قام بالطواف ليلاً للمحافظة على الامن وتتبع أهل الريب عبد الله بن مسعود فهو أول من عسس بالليل في الاسلام ، فقد أمره أبو بكر الصديق بعسس المدينة والطواف حولها . ويظهر من الرواية الآتية ان نظام هذه الوظيفة كان كنظام البوليس والخفر وليس كالبوليس السري والتجسس ، فقد روى ابو داود (عن الاعمش عن زيد) قال « أتي عبد الله بن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمراً فقال ابن مسعود انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شئ نأخذ به » وذكر الثعلبي هذه الرواية بشكل آخر فقد روى انه « قيل لابن مسعود هل لك في الوليد ابن عقبة تقطر لحيته خمراً فقال انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شئ نأخذ به »

وكان الخليفة عمر بن الخطاب يتولى في خلافته العسس بنفسه ومعه مولاه أسلم وكان ربما استصحب معه عبد الرحمن بن عوف

وبعد وفاة الخليفة علي بن أبي طالب آخر الخلفاء الراشدين أي في أوائل الدولة الاموية حينما استأثر معاوية بالملك وانفرد به استحدثت وظيفة « صاحب الشرطة » وهو المكلف بالمحافظة على راحة أهل المدن والسهر على الامن العام . وكان نصير (والد موسى بن نصير فاتح الاندلس) هو صاحب الشرطة في عهد معاوية ، ففي هذا العهد ظهرت لاول مرة هذه الوظيفة التي سمي صاحبها فيما بعد بالوالي . وكلمة « شرطة » معناها الحامية التي تطوف حول المدينة ليلا وهذا هو ما تدل عليه كلمة

«عسس» التي لقبوا صاحبها أيضاً «بصاحب العسس» وقد نظمها الخليفة عمر واهتم بها ، ولم يزل الحاكم (القمندان . الحكمدار) في القسطنطينية يلقب حتى اليوم «بعسس باشي» وزياد ابن أبيه هو اول من اتخذ العسس وسيره بين يديه بالاسلحة والحراب فمشت بين يديه حامية المدن بالاعمدة وغيرها ، وهو أول من اخذ على أهل السوق أجراً من جهة العسس ، وكان من آداب الشرطة في ايامه ان لا يتكلموا أو يرفعوا أصواتهم اذا ساروا بين يديه . قال الجاحظ «كان على شرطة زياد : عبد الله بن الحصين صاحب مقبرة بني حصين والجعد بن قيس النمري صاحب طاق (طاقة) الجعدي ، وكانا يتعاقبان مجلس صاحب الشرطة ، فاذا كان يوم حمل الحربة سارا بين يديه معاً ، فجرى بينهما كلام وهما يسيران بين يديه ، فكان صوت الجعد أرفع وصوت عبد الله أخفض فقال زياد لصاحب حربته : تناول الحربة من يد الجعد ومره بالانصراف الى منزله[1]» وذلك لانه سمع صوت الجعد دون صوت عبد الله والا لكان ألحقه بصاحبه

وقد توسعوا في وظيفة الشرطة فاضيف اليها تنفيذ أحكام القضاة أو فرض العقوبات الزاجرة واقامة التأديب في حق من لم ينته عن الجريمة ، فكانت الشرطة خاضعة للقضاء تساعد القاضي في ثبات الذنب على مرتكبه وتساعد الحكومة على تنفيذ الاحكام ، ويتولى صاحبها أيضاً اقامة الحدود على الزنا وشرب المسكر وكثير من الامور الشرعية التي يجلون مقام القاضي عنها

الشرطة في الدولة العباسية والفاطمية

ثم صار النظر في الجرائم واقامة الحدود في الدولة العباسية ببغداد والفاطمية بمصر راجعاً الى صاحب الشرطة وأفردوها من نظر القاضي . قال ابن خلدون : وكان أصل وضعها في الدولة العباسية لمن يقيم احكام الجرائم في حال استبدائها أولا (أي كوظيفة النيابة الآن) ثم الحدود بعد استيفائها فان التهم التي تعرض من الجرائم لا نظر للشرع الا في استيفاء حدودها وللسياسة النظر في استيفاء موجباتها باقرار يكرهه عليه الحاكم اذا احتفت به القرائن لما توجبه المصلحة العامة في ذلك . فكان الذي يقوم بهذا الاستبداء وباستيفاء الحدود بعده اذا تنزه عنه القاضي يسمى «صاحب الشرطة» وربما جعلوا اليه النظر في الحدود والدماء باطلاق وافردوها من نظر القاضي

(١) البيان والتبيين للجاحظ ص ٩٣٣ ج ٢

وقد نزهوا هذه المرتبة وقلدوها كبار القواد وعظماء الخاصة من مواليهم . ولم تكن الشرطة عامة التنفيذ في طبقات الناس وانما كان حكمهم على الدهاء من العامة واهل الريب والضرب على ايدي الرعاع والفجرة

الشرطة في دول الاندلس وافريقية

كان صاحب الشرطة يسمى حوالي القرن الثامن في افريقيا « بالحاكم » وفي دول الاندلس « صاحب الشرطة » وعند العامة « صاحب المدينة » و « صاحب الليل » وفي مصر في عهد السلاطين المماليك « الوالي » . وكانت وظيفته في هذه الدول مثلها في الدول السابقة مرؤوسة لصاحب السيف في الدولة وحكمه نافذ في صاحبها في بعض الاحيان . الا انه قد ارتفعت منزلتها وعظمت نباهتها وقدرها في عهد دولة بني أمية بالاندلس فاخذت بعض الصبغة الحربية في عهد الخليفة الحاكم الاول ثم نوعت بعده وتفرعت الى قسمين :

(١) شرطة كبرى تحكم في الخاصة والزعماء وجعل لصاحبها الحكم على اهل المراتب السلطانية والضرب على ايديهم في الظلامات وعلى ايدي اقاربهم ومن اليهم من اهل الجاه

(٢) شرطة صغرى وتنحصر وظيفتها في الاحكام على العامة والرعاع

وكان صاحب الشرطة في هذه الدولة رفيع المقام عظيم الجاه نافذ الكلمة : فكانوا ينصبون لصاحب الشرطة الكبرى كرسياً بباب دار السلطان وله رجال يتبوأون المقاعد بين يديه فلا يبرحون عنها الا في تصريفه ، وكانت ولايتها من رجالات الدولة حتى كانت تعد ترشيحاً للوزارة والحجابة . وقد وصف صاحب نفح الطيب مؤرخ الاندلس حال الشرطة فيها على عهده فقال : «أما خطة الشرطة فانها مضبوطة الى الان معروفة بهذه السمة ويعرف صاحبها في ألسن العامة بصاحب المدينة وصاحب الليل واذا كان عظيم القدر عند السلطان كان له القتل لمن وجب عليه دون استئذان السلطان وذلك قليل ولا يكون الا في حضرة السلطان الاعظم ، وهو الذي يحد على الزنا وشرب الخمر وكثير من الامور الشرعية راجع اليه قد صارت تلك عادة تقرر عليها رضى القاضي ، وكانت خطة القاضي اوقر واتقى عندهم من ذلك »

أما في المغرب فكان للشرطة (في دولة الموحدين) بعض الحظ من التنويه

وان لم يجعلوها عامة كما في الاندلس ، وكان لا يليها الا رجالات الموحدين وكبراؤهم الا انه لم يكن لصاحبها التحكم على اهل المراتب السلطانية كما كان لصاحب الشرطة في الاندلس ، ثم فسد نظامها بعد ذلك عندهم وانحطت مرتبتها فخرجت عن رجال الموحدين وصارت ولايتها لمن قام بها من المصطنعين

أما في (دولة بني مرين) فكانت ولايتها في بيوت من مواليهم وصنائعهم ولم يكن لها من الشأن مثل ما كان لها في الممالك الاخرى

الشرطة في دولة السلاطين بمصر

وتاريخها قبل ذلك

كانت الشرطة في دولة السلاطين المماليك في مصر يتولاها رجالاتهم من المماليك والترك او اعقاب اهل الدولة (الايوبية) قبلهم من الكرد ، يتخيرونهم لها كما قال ابن خلدون بالنظر لما يظهر منهم من الصلابة والمضاء في الاحكام والحزم في الامور لقطع مواد الفساد وحسم ابواب الدعارة وتخريب مواطن الفسوق وتفريق مجامعه مع اقامة الحدود الشرعية والسياسية كما تقتضيه رعاية المصالح العامة في المدينة

وقد وصف كاترمير المستشرق الفرنسي عن كتاب مسالك الابصار دائرة اختصاص الولاة في مصر على عهد هذه الدولة فقال : كانت العادة تقضي بان ولاة كل مدينة اعني اصحاب الشرطة فيها يتلقفون يومياً من افواه الموظفين الذين كلفوهم حراسة المدينة والسهر على مراقبة انحائها جميع الحوادث التي حدثت فيودعونها في مذكرات خاصة يدونونها فيها باسهاب وتفصيل ثم يرفعونها الى السلطان

وقد روى المؤرخون ان اول من انشأ في مصر وظيفة « متولي القاهرة » الذي كان يسمى بصاحب الشرطة هو الخليفة عثمان بن عفان . وكثيراً ما كانوا في عهد الدولة الاموية يولون قضاء مصر وصاحب شرطتها لشخص واحد فكانوا يعتبرون الشرطة من توابع القضاء لان المراد بها تنفيذ احكام القضاة . الا انهم في العصور التالية وعلى الاخص في ايام استقلال مصر على عهد الفاطميين والايوبيين والسلاطين المماليك ازدادت اهمية الشرطة ففصلوها عن القضاء وصاروا يلقبونها حتى في المراسيم السلطانية التي تسلم لصاحبها بلقب « الولاية » وجمعوا تحت امرة متولي القاهرة ولاية مصر (شرطة الفسطاط) وشرطة الضواحي فكان مكلفاً تنفيذ عقوبات المجرمين

وتفتيش السجون وفتح ابواب المدينة وغلقها ، والطواف بنفسه في الاماكن التي يظن انها تحتوي على الثروة أو متاع نفيس . فكان لا يمكنه المبيت خارج المدينة الا بتصريح كتابي خشية ان يحدث اثناء غيابه سرقة أو حريق مكان او التباس في امر مسجون وكان متولي القاهرة حتى عصر الملك المؤيد يضرب الطبل على بابه (طبلخانة) ويمتلك الاقطاعات الا انه بعد ذلك ألغيت امتيازاته هذه

وكما كان والي (متولي) القاهرة يخضع للسلطان رأساً كان الوالي في كل اقليم (مديرية) يخضع « للكاشف » وقد استبدل اسم الوالي في عهد الدولة التركية بمصر باسم « النائب »

الشرطة والحسبة

هذا هو نظام الشرطة وتحديد وظيفتها واعمالها في مختلف العصور والدول العربية ، الا انه كثيراً ما يلتبس بينها وبين الحسبة ومشتبه في امرها .

ولذلك يحسن بنا ان نأتي على الفرق بين الاثنين وتعريف وظيفة كل منهما

فصاحب الحسبة الذي كان يسمى « بالمحتسب » وظيفته ان يبحث عن المنكرات ويستأصلها ، ويحمل الناس على المصالح العامة في المدن مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الحمالين واهل السفن من الاكثار في الحمل . والحكم على اهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها وازالة ما يتوقع من ضررها على السابلة (كما تفعل الحكومة الآن بواسطة مهندسي مصلحة التنظيم بعد الشعم الذي حدث اثر فيضان النيل العظيم في هذا العام) ، والضرب على ايدي المعلمين في المكاتب اذا بالغوا في ضربهم التلامذة وله النظر في الغش والتدليس في المعايش وغيرها وفي المكاييل والموازين (مما يعد اليوم من واجبات مصلحة المساحة وقد انشئت له ادارة خاصة تابعة لها) ، وتفقد اللحومات والمطبوخات وغيرها

وكان صاحب الحسبة يولي عنه نواباً في سائر الكور والاعمال ويبعث نوابه وعماله في الشوارع فيطوفون على ارباب الحرف والمعايش ويتفقدون جميع ذلك ، فالحسبة منصب ديني من قبيل القضاء اذ الاصل فيها أنها كانت من واجبات القاضي وكثيراً ما كانت تجعل في جملة اعمال القضاة في عهد الفاطميين وغيرهم كما كانت الشرطة في بعض العصور . الا انهم جعلوها عملاً مستقلا بنفسه فكان لا يتولاها الا رجل من

وجهاء المسلمين لانها خدمة دينية

اما الشرطة فكانت منصباً ادارياً اكثر منه دينياً ، ويستنتج من كل ما تقدم من الكلام عليها أنهم استعملوها في اغراض شتى تكاد في جملتها تشبه نظام البوليس في ايامنا كل الشبه ، فقد استعملوها : (اولا) في الطواف ليلا لتتبع اهل الريب والمحافظة على الامن (ثانياً) في السير بين يدي الخلفاء والامراء بالاسلحة والحراب (ثالثاً) في تنفيذ احكام القضاء وضبط المذنبين وتنفيذ العقوبات واقامة الحدود وتخريب مواطن الفسوق (رابعاً) في المحافظة على المدينة بوجه الاجمال وادارة شؤونها كفتح ابوابها وغلقها وتفتيش سجونها والانتباه الى السرقات والحرائق واماكن الثروة فيها وغير ذلك مما يختلف عن وظيفة الحسبة

الشرطة والطواف بالليل

على ان العرب لما تقدموا في الحضارة والمدنية وبلغوا شأواً بعيداً في الادارة فصلوا الطواف بالليل عن الشرطة وجعلوه عملا مستقلا بذاته وخطة قائمة بنفسها في نظمها وعمالها غير خطة الشرطة وسرى ذلك في المشرق والمغرب والاندلس فكانت الشرطة كالبوليس في عهدنا هذا والطواف بالليل كالخفر الا ان الانفصال كان بين الادارتين اكثر مما هو الآن

فخطة الطواف بالليل كان اصحابها يسمون بالمشرق « اصحاب ارباع » وحفظت الكلمة الاصلية بالمغرب فكانوا يسمونها « الطواف » أو « الطواف بالليل » أما في الاندلس فكانوا يسمون اصحابها « بالداربين » جمع دربان وهي كلمة فارسية معناها حارس الباب أو حارس الدرب . قال صاحب نفح الطيب : « لان بلاد الاندلس لها دروب باغلاق تغلق بعد العتمة ولكل زقاق بائت (خفير) فيه له سراج معلق وكلب يسهر وسلاح معد . وذلك لشطارة عامتها وكثرة شرهم واعيائهم في امور التلصص الى أن يظهروا على المباني المشيدة ، ويفتحوا الاغلاق الصعبة ، ويقتلوا صاحب الدار خوفاً أن يقرّ عليهم او يطالبهم بعد ذلك ، ولا تكاد في الاندلس تخلو من سماع « دار فلان دُخلت البارحة » و « فلان ذبحهُ اللصوص على فراشه » وهذا يرجع التكثير منهُ والتقليل الى شدة الوالي ولينه . ومع افراطه في الشدة وكون سيفه يقطر دماً فان ذلك لايعدم وقد آل الحال عندهم الى ان قتلوا على عنقود سرقه شخص من كرم وما اشبه

ذلك ولم ينته اللصوص »

وقد نقل الدكتور ولتر بيهرنوى في الجريدة الاسيوية Journal Asiatique كلام ابن سيد صاحب كتاب الشهب الثاقبة في الانصاف بين المشارقة والمغاربة عن الدرابين ونظامهم فقال ان كل هذه الاحتياطات غير كافية في مدن الاندلس الكبيرة لكثرة هذا العدد العظيم من اللصوص والاشرار الذين يمكنهم بسهولة ان يعكروا صفو الامن والراحة العامة بصراخهم وصياحهم في الليل وارتكابهم الجرائم القطيعة . فلا غرو اذا رأينا شدة نظام الدرابين بالاندلس وتسلحهم حتى أنهم عاقبوا بالقتل على السرقات الصغيرة كما روى صاحب نفح الطيب ، وقس على ذلك القول في اصحاب الارباع بالمشرق وغيرهم

وبالاجمال ان خطة الطواف بالليل كانت معروفة في كل الممالك وان اختلفت اسماؤها عندهم وهي تشبه الخفر الآن . على أن الخفر كان معروفاً عندهم أيضاً الا أنه في غير هذا المعنى ، فقد كانوا يضعون الخفير فقط في الاسواق التي تعقد في المدن للبيع والشراء لمنع السرقات فيها

العرب والشرطة في اوربا

هذا وقد نشر العرب نظام شرطتهم في كل الممالك التي افتتحوها فادخلوه في صقلية فضلاً عن الاندلس وغيرها من انحاء اوربا ، وقد اخذه الافرنج عنهم كما لاحظ ذلك المسيو ميشيل اماري M. Amari فقد احتفظوا به في صقلية حتى في عهد الحكم المسيحي اعني بعد خروجها من ايدى العرب ، ومما يدل على ذلك اننا نرى في قوانين دولة الاراغونيين (الاسرة الاراغونية) La dynastie aragonaise في صقلية ان البوليس كان يسمى عندهم حتى القرن الرابع عشر للميلاد « Xurta » أي الشرطة

عبد الفتاح عباده

من الحيل التي ابتكرها الالمان لاغراق سفن الدول المتحالفة أنهم صنعوا لغماً وركبوا في أعلاه بريسكوباً (أي منظار الغواصة) حتى اذا ما رأته السفينة التجارية هجمت عليه بأمل تحطيمه على ما هو جار في محاربة السفن للغواصات . وقد استكشف هذه الحيلة أخيراً قبطان انكليزي رابه جمود البريسكوب وهو هاجم عليه فحول وجهة سفينته في آخر دقيقة وكانت على وشك الاصطدام باللغم

الكلب والانسان

٣ – أصل الكلب وامراضه

يشبه الكلب الذئب في مجموعه العضلي وهيكله العظمي وليس بينهما اختلاف الا بقدر ما يختلف الكلب في المجموعين المذكورين عن سائر انواعه

ويشبهه أيضاً في استدارة انسان العين وفي كريات الدم الحمراء – فانها فيهما متشابهة بحيث لا يمكن الباحث أن يفرق بين هذه وتلك

واذا استونس جرو الذئب تخلق باخلاق الكلب وتطبع بطباعه في فرط حبه لصاحبه ومزيد شغفه به واخلاصه له واظهار عواطف الوحشة لغيابه والسرور بقدمه والتودد لمعارفه وأصدقائه

واذا تربى مع الكلب عاشا بوفاق ووئام فاذا حملت منه الكلبة ولدت جراء يصعب تمييزها عن اجراء الكلاب الصحيحة – وقد برهن على ذلك اللوردان بمبروك وكلامبرسل (Pembroke & Clambrassil) منذ نصف قرن مضى بما لا يقبل شكاً ولا نقضاً

ويرى الزائر لسراي ولتون Wilton House مكتوباً على قبر كلبة : –

كانت جدة (لوبا) المدفونة هنا ذئبة . أما أمها فكان أبوها كلباً وكانت أمها ذئبة ونفقت سنة ١٨٧٢

ويختلف الذئب عن الكلب بابتعاد حجاجي عينيه عن الخط الرأسي الذي يقطع الجمجمة الى قسمين متساويين كما يختلف بانحرافهما نحو الجبهة الوحشية مما يجعل مسافة البعد بينهما أكثر طولاً منها في الكلب . ويختلف عنه أيضاً بوجود غدتين بعينيه تفرزان مادة منتنة تعطيه رائحة مخصوصة – هذا وغيره من الاختلافات مما ضربنا صفحاً عنه لا يعتد به علماء الحيوان القائلون بتسلسل الكلب من الذئب لان الشبه بينهما اكبر من ان يؤثر فيه مثل هذا الاختلاف . ويعزو أهل هذا الرأي قرب حجاجي عيني الكلب من الخط الرأسي السالف الذكر وقصر مسافة البعد بينهما الى تأثير العادة فان من مميزات الكلب اطالة النظر في وجه صاحبه ليعرف حالته بما يظهر على وجهه من أعراض خواطر النفس . فان رأى صاحبه هاشاً باشاً

سعيداً فرحاً ابرقت عيناه ونشطت أعضاؤه وكثر لعبه وهرجه ومرجه وان رآه حزيناً اكتأب ولبس لباس البؤس واقفل عينيه وأخلد الى السكون — وفحصه لوجه صاحبه يستلزم ان يجبهه ويبقى أمامه بشكل يمكنه من الاقبال عليه بكليته وهذا لا يكون وعيناه منحرفتان اذ لو كانتا منحرفتين لاتجهت أشعة كل عين الى جهة تخالف اتجاه أشعة الاخرى فلا يستطيع ان يجمع النظرين في منظور واحد ولا نقطة واحدة . فقد أخذت عينا الكلب لذلك تتجهان الى الجهة الانسية وقربت مسافة البعد بينهما رويداً رويداً تحت تأثير العادة على مدى الازمان حتى اصبحتا بمكانهما من الجمجمة كما نراهما الآن

ويشترك ابن اوى مع الكلب في اغلب ما ذكر خصوصاً في مدة الحمل والاسنان (التسنين) وكثرة الاستعداد لمرض الكلب ويختلف عنه في شكل مقدم الرأس الذي يشبه مثلثاً قاعدته خط يمتد بين الاذنين ورأسه نقطة تتلاقى فيها ضلعاه عند فمه الامر الذي يجعل مقدم رأسه اعرض من مقدم رأس الكلب ويمتاز ابن آوى كذلك بوجود قطعة من مادة قرنية في رأسه يعتبرها السنغاليون عضواً مقدساً . فلهذا التشابه بين الكلب وابن آوى مال بعض العلماء للاعتقاد بان الكلب قد تسلسل منه وقد غالى بعضهم فقال بالنسبة الى كثرة الشبه بينهما بان الكلب هو ابن آوى بعينه ارتقى وتمدن وبلغ مبلغ الكلب في الذكاء والفطنة

ولعل اقرب الاراء الى الصواب رأي القائلين بان الكلب المستأنس نوع من الكلاب الوحشية انسلخ عنها واتاحت له الظروف اوساطاً صالحة موافقة لنموه ورقيه واحتك بالانسان منذ اقدم عصور التاريخ وتقلب معه فتنوع وتطور وارتقى الى حالته من الانس كما يشاهد الان

أما القائلون بتسلسل الكلب من الثعلب فالظاهر انهم مخطئون فيما ذهبوا اليه — ذلك لان البون بين الكلب والثعلب شاسع . فانسان عين الاخير رأسي الشكل قطره الاطول من اعلى الى اسفل وذيله اطول واغزر شعراً وفكاه اكثر امتداداً ونحافة ويوجد عند اصل ذيله غدة تفرز مادة تعطيه رائحة كريهة جداً وفضلاً عن ذلك فانه يوجد اربعة وعشرون نوعاً من انواع الثعالب لا يعلم من أي نوع منها قد تسلسل الكلب كما انه لم يعرف التاريخ ايلاداً بين كلب وثعلب

هذا مجمل ما قيل في اصل الكلب ذكرناه على علاته واوردناه باختصار خوفاً

من اضاعة الوقت فيما لا يفيد من المشاحنات والمجادلات — وسواء كان الكلب متسلسلاً من الذئب او من ابن آوى او هو ابن آوى نفسه او من الثعلب او من الكلب الوحشي فان ذلك لا يدخل في جوهر موضوعنا لاننا نريد ان نتكلم على الكلب من حيث هو ليكون القارئ على بينة من امر حيوان له صلة قريبة به توطئة لما سنبحثه ونذكره من الامراض التي يعديها للانسان ليأخذ لنفسه الحيطة من الوقوع في شرها قبل ان يفوت الاوان

أما الامراض التي يعديها الكلب للانسان فكثيرة — ولكننا لا نذكر منها الآن الا اشدها خطراً واكثرها شيوعاً مبتدئين بالكلب لجهل اغلب الناس به ولكونه من سوء العاقبة بالمكان الاول ورأينا ان نكتب نتفاً من آراء المتقدمين ضمن الكلام عليه ليقارن القارئ بنفسه بين هزل الكلام وجده وصحة القول وسقمه

الكَلَب

الكَلَب مرض معدٍ يصيب المخ والنخاع الشوكي ويصحبه اضطراب وانحلال ينتهيان غالباً بالموت

ولكون الكلب اكثر الحيوانات استعداداً للاصابة به اخذ اسمه منه واطلق عليه من باب التغليب

واول من فطن له في الانسان عند الاصابة به ووضع له كلمة هيدروفوبيا (Hydrophobia) الخائف من الماء هو كارنليس سلسيس Carnelius Celsuis في القرن الاول للمسيح

وذكره ارسطوطاليس في القرن الرابع . فقال يصيب الكلاب جنون فتهيج وكل حيوان تعضه يصاب بالكلب . ولم يرد شيء عنه في القرون الوسطى

وكانت العرب تعتقد ان الكلب اذا اكل لحوم الناس اخذه لذلك سعار وداء يشبه الجنون فاذا عقر الكلب المعقور انساناً اصابه داء الكلب فانه يعوي عواءه ويمزق ثيابه ويعقر من اصاب ثم يصير امره الى العطاش فيموت من شدة العطش

وقال المفضل ان الكلب داء يقع على الزرع فلا ينحل عنه حتى تطلع عليه الشمس فيذوب فاذا اكل من ذلك الزرع بعير قبل طلوع الشمس مات وان اكل من لحم هذا البعير كلب كلِب . ويروون عن النبي انه نهى عن سوم الليل اي عن

رعبه وربما كان ذلك تنبيهاً ومنعاً لما عساه ان يحصل من خطر سوم الليل

وجرى اسم المرض على ألسنتهم مجرى المثل في سوء الوقع واستعملوا مادة كلب وما اشتق منهـا لمعان مختلفة كلها تشير الى الشدة من الامر . قالوا كلِب فلان اذا غضب وسفه ، ومنعت عنك كلَبه اي اذاه وشره وهو في كُلْبة من العيش اي في ضيق منه وكلب الرجل اذا كان في فقر فنبح لتسمعه الكلاب فتنبح فيستدل بهـا ويعلم انه قريب من ماء او حِلّـة قال الشاعر

ما لي ارى الناس لا ابا لهم قد اكلوا لحم نابح كلِب

وهم يتكالبون عليه اي يتواثبون . وورد عن النبي انه قال « ستخرج في أمتي اقوام تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكَلَب بصاحبه »

ولما مثلت ليلى الاخيلية بين يدي الحجاج وقال لها ما الذي جاء بك يا ليلى — قالت اخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلَب البرد فجعلت ليلى للبرد كلباً اشارة الى فرط اذاه وانشد الاخفش لابي علي البصير يهجو مغنية

غناؤك عندي يميت الطرب وضربك بالعود يحيي الكُرَبْ

الى ان قال

فكيف تصدّين عن عاشق يودك لو كان كلباً كَلِبْ

ولا شك أن الكلب الكلِب كان في نظر ابي علي شبحا مخيفاً يجب اتقاء شره فوبخ تلك المغنية على صدها عن عاشقها وعجب لذلك منها مع ان الواجب يقضي عليها ان تصله حتى ولو كان كلباً كلِباً في قبيح منظره وفي هوله وخطره وثقيل ظله . وقال الدميري : ويعرض له (للكلب) داء يشبه الجنون وعلامة ذلك ان تحمر عيناه وتعلوها غشاوة وتسترخي اذناه ويندلع لسانه ويكثر لعابه وسيلان انفه ويطأطئ رأسه ويتحدب ظهره ويميـل صلبه الى جانب ولا يزال يدخل ذنبه بين رجليه ويمشي خائفاً مغموماً كأنه سكران ويجوع فلا يأكل ويعطش فلا يشرب وربما رأى الماء فيفزع منه وربما يموت منه خوفاً واذا لاح له شبح حمل عليه من غير نبح والكلاب تهرب منه فان دنا منها بصبصت له وخضعت وخشعت بين يديه فاذا عقر هذا الكلب انساناً عرضت له امراض رديئة منها ان يمتنع عن شرب الماء حتى يهلك عطشاً ولا يزال يستقي حتى اذا سقي الماء لم يشربه فاذا استحكمت هذه العلة به فقعد للبول خرج منه شيء على هيئة الكلاب الصغار

وقال أبو علي المجوسي في كامل الصناعة ان الاعراض التي تنتاب الكلب الكلِب هي ان يصير كالمجنون ويمتنع عن الاكل والشرب ويشتد عطشهُ ولا يقرب الماء ويهرب منه ويخرج من فيه زبد يشبه الزبد الذي يخرج من افواه الجمال اذا هاجت ويكون رأسه الى جانب وعيناه حمراوتان وأذناه مسترخيتان ويكثر تحريكهما ويتصاعد منهما فضل زبد واذا نبح كان صوته ابح وربما انقطع صوته ويتمايل في مشيته ولا يعرف اربابه ويهر على الناس والكلاب وسائر من يرى

وذكره صاحب الموجز في الطب قال ان الكلَب حالة كالجذام تعرض للكلب والذئب وابن آوى وابن عرس ثم أشار الى أغلب ما تقدم مما ذكر ابو علي المجوسي

أما الدميري فربما اراد بذكر خروج الكلاب الصغار في البول ضمن أعراض الكلب ان المصاب بمثل هذا المرض العصبي يخيل اليه ان كلاباً صغاراً بل وأبقاراً وافيالاً وقططاً تخرج في بوله مما يمكن ان يراه المختل الشعور من المناظر الخارجة عن حد المعقول . هذا اذا أحسنا ظناً بالدميري وحملنا كلامه على غير محمله وخرجناه على غير مخرجه اما اذا اخذناه على عواهنه قلنا ان خروج شيءٍ على هيئة الكلاب الصغار في بول المصابين بالكلب ليس من الاعراض الصحيحة في شيءٍ اللهم الا اذا كان المصابون بهذا الداء فيما مضى من سالف الزمن غيرهم الآن وان المرض تنوع وتغير وأصبح بول المريض اليوم خالياً من هذه الكلاب — كذلك ليست بحة الصوت من الاعراض المميزة لانه قد يكون نتيجة التهاب حنجرة الكلب من كثرة النباح لاي سبب من الاسباب فيبح صوته كما يبح صوت الخطباء والوعاظ وغيرهم ممن يجهدون حناجرهم ويكلفونها ما لا تطيق من العمل . والفزع من الماء كعرض من اعراض المرض في الكلب لا صحة له البتة لان المصاب يعبر الترع والانهر في غضون الدور التهيجي ولذا وضعت له العلماء اسماً خاصاً به في الحيوان هو رابز (Rabis)

ولما كان الانسان المصاب بالكلب هو الذي يخشى الماء ويفزع من خريره ورؤيته وضعت له العلماء اسماً آخر خاصاً به كما قدمنا (الخائف من الماء)

وقول صاحب الموجز — ان الكلَب حالة كالجذام خطأٌ محض لان الجذام مرض خاص بالانسان تقريباً وأعراضه تظهر على هيئة اورام متقرحة في الجلد والاغشية المخاطية والغدد اللمفاوية والاعصاب والخيشوم والاصابع استكشف أصله

المعدي (Bacillus leprae) ارمان هنسن (Armauer Hansen) في سنة ١٨٧٩ وطرق العدوى به غير مفهومة وأخفق بعض العلماء الباحثين في أعداء أحد المجرمين بواسطة تلقيحه بمحصول جذامي أخذ من جهة مصابة من جسم مجذوم — فالبعد اذن بين الكلب والجذام كالبعد بين السماء والارض

الدكتور حسن ذهني
طبيب مستشفى جمعية الرفق بالحيوانات في القاهرة

كلمات في القلب

وحي القلب اشد اقناعاً من امهر المنطقيين — وندل فيلبس

من العبث اصلاح عقولنا اذا فسدت قلوبنا — يونغ

قد يتعب القلب ولكنه لا يشيخ

اصوب ضروب الحكمة قلب محب — ديكنز

للقلب احكام غير احكام العقل — بوسويه

لنفرض أن احدهم اخترع آلة تصور القلوب . فهل يكثر الاقبال عليه ؟

مودي الواعظ الشهير

يعلم الانسان محتويات عقله . ولكنه قلما يعلم مكنونات قلبه — لاروشفوكو

تجعدات القلب اشد ثباتاً من تجعدات الوجه

متى تكلم القلب بطل كل شيء حتى المجد — نابوليون

أخر ما نستطيع التسلط عليه القلب فانما هو المتسلط على حياتنا — روسو

القلب كحجارة الرحى اذا وضعت بينها قمحاً طحنته واذا لم تضع شيئاً برت نفسها — لوثيروس

يُعرف القلب الطيب عند فشل المناظر

قلب الرجل الطيب هو حرم الله على هذه الارض — مدام نكر

متى أسر القلب سهل اقناع العقل

القلب مبصّر قلما يخطئ في تبصيره

لا بد للقلب من شيء يصرف اليه حرارته والا احرق نفسه

بحث في النقد

— ١ —

النقد علم حديث قد بلغ اليوم في اوربا أرقى درجات الكمال . على انه لم يصل الى هذه المرتبة الا بعد تطور مستمر دام قروناً طويلة . ولم يعرفه العرب في أرقى صوره لان أحوالهم السياسية وانحلال دولتهم لم تمكنهم من مواصلة التقدم في العلوم والفنون ومن جملتها النقد . فانهم لم يدركوه الا في ادواره الاولى اذ كان مقصوراً في الغالب على النقد الكلامي واللغوي . ولو دامت لهم جامعة الى عهدنا هذا لدخل النقد عندهم في دوره الحديث كما حصل في سائر الامم المتمدينة

وللافرنج في علم النقد مؤلفات عديدة وهو قديم عندهم كتب فيه اليونان وأخذه عنهم الرومان فدول اوربا الحديثة بعد سقوط القسطنطينية في ايدي الاتراك اذ نزح علماء اليونان الى ايتاليا وتيسر لهم نشر العلوم والمعارف المدفونة طي الكتب القديمة بمساعدة الملوك والامراء فوضعوا بذلك أساس التمدن الحديث . وما برحت العلوم والفنون تتقدم وتنتشر شيئاً فشيئاً الى ان بلغت طورها الحالي . ومن تلك العلوم علم النقد

على ان علم النقد لم يحز مكانته الحاضرة الا بعد انتشار الروح العلمية وتعدد العلوم والفنون وتشعب الآراء والمذاهب فاصبح الاحتياج اليه شديداً للتمييز بين الصالح والفاسد والفصل بين الغث والسمين . فالشعر مثلاً عند الافرنج انواع كثيرة يستلزم درسها كتباً ضخمة اهمها النوع القصصي والغنائي والتمثيلي وكل من هذه الانواع يتفرع الى فروع مختلفة . فمن الشعر القصصي القصة الخرافية épopée مثل الياذة هوميروس Iliade والحكاية conte مثل حكايات هوجو الخرافية Légende des siècles . ومن التمثيلي التراجيدي tragédie كاوديب الملك لسوفوكل والكوميدي comédie كالبخيل لموليير والدرام drame كمضحك الملك لهوجو وشارل السابع لاسكندر دوماس (ومعظم الروايات التمثيلية الحديثة من هذا النوع . وقد يكون الدرام شعراً او نثراً) وهناك انواع أخرى من الشعر تسمى الانواع الثانوية genres secondaires منها الحكايات على ألسنة الحيوانات fable مثل كليلة ودمنة . ولم يعرف العرب من

أنواع الشعر الا تف ذكرها ومن سائر الفنون والعلوم الحديثة الا القليل . وهذا مما جعل حاجتهم الى النقد قليلة

وقد بلغ علم النقد أسمى درجاته في فرنسا فان غريزة الفرنسي وعبقريته تؤهلانه لهذا الموضوع لما فطر عليه من صفاء الذهن وشدة الملاحظة وروح الاستهزاء . وقد تطور النقد مثل سائر العلوم ووجد من يعتني به الاعتناء اللازم حتى اصبح علماً قائماً بنفسه له قواعد عامة وشروط ثابتة . ومن طالع التاريخ وتتبع أثر النقد في عالم الادب ظهر له فضله العظيم في تقدم العلوم والفنون التي وجه لها عنايته

وللفرنسيين ولع شديد بهذا العلم وللناقد عندهم شأن رفيع . ولئن تعامى نفر من الكتاب عن اقوال المنتقدين تكبراً منهم وعتواً فان تأثيرهم في جمهور القراء عظيم اذ انهم يكيفونه كما يشاؤون . قال احد المؤرخين ان تسعة اعشار الطبقة الراقية من الفرنسيين في القرن التاسع عشر مدينة لتين Taine وهو من مشهوري كتاب النقد وقد كان تأثيره في شبان عصره عظيماً جداً

ويحكى عن سيطرة الناقد في فرنسا ان تين المتقدم ذكره نشر في احدى المجلات مقالة يمدح فيها طريقة ستاندهال Stendhal الروائي البسيكولوجي الفرنسي في مباحثه النفسية . وكان الرجل في ذلك الوقت مغموراً لدى النفر القليل الذي عرفه وقرأ كتبه فما مرَّ يومان على تلك المقالة حتى اصبح ستاندهال اشهر من نار على علم يحسده كل أقرانه . ولتين ايضاً اليد البيضاء في احراز اوغست كنت Auguste Comte الفيلسوف الفرنسي الشهير بعض شهرته بين اهل زمانه فانه لم يكن معروفاً لديهم ولم ينتشر مذهبه ويرخ في انحاء العالم الا بعد ان قرظه ذلك الناقد

ويروى ايضاً عن سيطرة الناقد ان احد الروائيين الذين حازوا شهرة واسعة بلا استحقاق وضع رواية نالت اعجاب العامة فطبع منها عشرات الالوف الى ان تنبه اليها ناقد شهير فقرأها وانتقدها انتقاداً مراً عقبه سقوط الروائي المذكور واندثار ذكر رواياته حتى اصبح الآن نسياً منسياً

النقد قديماً

النقد معروف من زمن بعيد عند كل أمة اشتغلت بالعلوم والآداب ولكنه لم يعد علماً بقواعد وشروط الا في القرن الماضي. وقد كان مقصوراً فيما مضى على تطبيق

القواعد اللغوية والرجوع الى ما وضعه الاولون من الشروط الفنية لكل ضرب من ضروب العلوم والفنون وما استخلص من كتاباتهم من القوانين كأنهم اعتدوها مثالاً اعلى ينبغي لهم الاقتداء به . وقد جاءت تلك القوانين والشروط موافقة للطبيعة وسلامة الذوق لما كان عليه الاولون من القرب الى الطبيعة والبعد عن الزخارف الفاسدة وانما كان جل غرضهم تصوير الشيء كما هو على بساطته بلا تكلف ولا تزويق بخلاف من أتى بعدهم في عصور الرخاء والحضارة . فشعراء الجاهلية مثلاً الذين لم يفسد زخرف التمدين قرائحهم ولم يروا في الطبيعة سوى الحقيقة العارية من كل تصنع نظموا فيها شعراً لا يزال مثال البلاغة فنسج على منوالهم الشعراء الذين خلفوهم واخذوا عنهم ضروب الشعر واوزانه . كذلك وضع هوميروس الياذته فاعجب بها من اتى بعده من الشعراء فحذوا حذوه . والّف اوريد وسوفوكل روايات تمثيلية حازت رضى معاصريهم وراقت لدى اهل العصور التالية فصاغ على مثالها من جاء بعدها

واذا نظرنا الى اصل اوزان الشعر عند العرب وجدنا ما يؤيد النظرية السالفة . قال جرجي زيدان في الجزء الاول من تاريخ آداب اللغة العربية : « والغالب في اعتقادنا ان الوزن مأخوذ في الاصل من توقيع سير الجمال في الصحراء وتقطيعه يوافق وقع خطاها ويؤيد ذلك ان الرجز اول ما استعمله العرب لسوق الجمال وهو الحداء في اصطلاحهم وكأنه وضع لهذا الغرض لان العربي يقضي اكثر اوقاته في معاشرة جمله او ناقته . . . ولما وضعوا الاوزان صار الغناء عندهم الحاناً معينة فجعلوا لكل غناء او لحن وزناً مخصوصاً . فصار عندهم للرثاء وزن وللحماسة آخر . . . وظلوا بعد الاسلام يخصون كل لحن بوزن . تلك كانت بداية النظم عند العرب على ما نظن » فنرى من ذلك ان تفرّغ العرب للتأمل في الطبيعة جعلهم يقتبسون منها اوزان شعرهم وانواع قريضهم فاكتفى الشعراء المتأخرون بالنسج على منهاج الشعراء الاولين ولم يكن في استطاعتهم ابتكار الاوزان الشعرية لبعدهم عن الطبيعة

وقد نشأ عن التمسك بالقواعد المستخلصة من تراث الاقدمين تشابه الآثار الفنية التي من نوع واحد وتوحيد نسقها . ولولا هذا التقييد لما عرفنا لكل من فروع الادب تحديداً ثابتاً وشروطاً معينة . فلو فرضنا ان الشعراء لم يراعوا في نظمهم اوزاناً معروفة وقواعد معلومة وان كلاً منهم ذهب مذهباً خاصاً به لتعددت الاوزان تعدداً عظيماً يتعذر معه تمييز الشعر من النثر والتلذذ به . ولما كانت الاوزان الشعرية راسخة

في ذهننا بالصورة التي ألفناها فانه من الصعب جداً ان تروق لنا قصيدة نظمت على وزن غريب وان ابدع الناظم في انتقاء المعاني والالفاظ

النقد الحديث

يمتاز القرن التاسع عشر عن القرون السالفة بالروح العلمية التي عمت دوائر الحياة البشرية جميعاً ففيه اتخذت العلوم والمعارف وجهة يصح ان تسمى جديدة ووضعت على اساس راهن بفضل البحث العلمي المبني على الملاحظة والتجربة بخلاف ما كانت عليه قبلاً من الاعتماد على آثار السلف والاكتفاء بما تركوه من العقائد والآراء . فقد كان معظمها ان لم نقل كلها مبنية على مؤلفات ارسطو التي ما برحت منذ القدم المرجع الاعلى لكل علم وفن . فلما بزغ فجر العصر الحديث وتحررت الشعوب من القيود القديمة على اختلافها تخللت تلك الروح جميع العلوم والمعارف فترك المفكرون سلطة الاقدمين جانباً لان الخضوع الاعمى لها كان حجر عثرة في سبيل التقدم المادي والادبي وانتهجوا طريقاً جديداً كان رائدهم فيه الوقوف على الحقيقة المجردة عن كل غرض

ثم انهم شرعوا يميزون المعارف بعضها من بعض ويرتبونها ويقسمونها الى فروع وابواب ويبينون ما بينها من الصلة والارتباط فحدث اثر ذلك ان نشأت علوم مستقلة واختص كل منها بباب معين . خذ المباحث الاجتماعية مثلاً فكثيرون هم الذين كتبوا فيها منذ قديم الزمن ودرسوا احوال الجماعات واحكامها واطوارها ولكنهم انما طرقوها عرضاً في سياق مباحثهم الاخرى . الى ان تكوّن علم الاجتماع في اوائل القرن الماضي وتحددت اغراضه ومراميه فاصبح علماً قائماً بذاته . فهو حديث بهذا الاعتبار

وقد كان لعلم النقد الحديث قسط وافر في تقدم العلوم والفنون في القرون الاخيرة ولا سيما القرن الماضي وبلوغها حالتها الحاضرة

وقبل ان يبلغ النقد درجته الآن من الاتقان مرّ بادوار عديدة . وسندرس فيما بعد ادوار تطوره والآراء المتضاربة فيه ومذاهبه المختلفة

فالنقد اليوم علم قائم بنفسه لا علاقة له مباشرة بسائر العلوم غير الاشراف والحكم عليها ناهجاً في ذلك منهجاً خاصاً سنأتي على بيانه . ومن مراميه الاثبات والتعميم والحكم وتلك صفات العلم . وهو يبحث عن جوهر الآثار الفنية وعلتها يلم بكلياتها

وجزئياتها ويشرّحها تشريحاً علمياً . الا انه كثيراً ما يجتاز حدود العلم الى مجال الفن من جهة ومجال الفلسفة من جهة أخرى . فهو في آن واحد علم وفن وفلسفة . أما من حيث هو علم فانه يشرّح ويقارن ويعلّل ويستنتج ، اما من حيث هو فن فانه يستخرج القواعد العملية الصحيحة ويرشد الى المناهج الفنية القويمة ، وأما من حيث هو فلسفة فانه يرمي الى استكشاف الاحكام النفسية والبواعث البعيدة والعلل الخفية

وغرض النقد في درس الكتب البحث في وضعها وموضوعها وعلاقتها بالكاتب وعصره ونسبتها الى المؤلفات الاخرى في بابها الصادرة في عصور وبلاد مختلفة . وليس من شأنه ان يتصدى لنقد الآراء العلمية المحضة لانه لا يشترط في من يشتغل بالنقد أن يكون ذا آراء خاصة في كل موضوع ينتقده فجل ما يجب عليه معرفته تاريخ العلوم في كل عصر ومصر والوقوف على الاراء المشهورة فيها حتى يتيسر له المقارنة بين الكتب وبيان مكانها للقارئ . ولذا فالصلة متينة بين تاريخ الاداب وعلم النقد

اغراض النقد الحديث

اغراض النقد المشهورة ثلاثة : التشريح والحكم والترتيب

فعلى من يبغي نقد كتاب أن يبدأ بفهمه ودرسه جيداً وتشريحه تشريحاً وافياً حتى يتيسر له الحكم عليه ولا بدّ من مطالعة الكتب الكثيرة في الموضوع نفسه لتقرير مكانه بينها ووضعه في الصف الاول أو الثاني أو الثالث

وقد ذكرنا ان النقد قديماً كان محصوراً في بسط موضوع الكتاب وبيان محتوياته وفحصها من حيث المعاني واللغة والاعراب وبعبارة اخرى فقد كان مقصوراً على المعنى القريب الظاهر كأن مدارك القارىء لاتقوى على فهم المرامي البعيدة والتعاليل العامة . وكذلك عرفنا النقد عند العرب

اما اليوم فان مهمة النقد اوسع نطاقاً واعظم شأناً . فان التشريح الصحيح في عرف علماء النقد الحديث هو فضلا عن التفسير السطحي ايضاح مركز الكتاب المنتقد في تاريخ الآداب وفحصه من حيث القواعد الخاصة بموضوعه وبيان علاقته بالزمن الذي صدر فيه والصلة بينه وبين الكاتب والوسط الذي عاش فيه

وأول ما يجب معرفته حياة الكاتب فينبغي درس موطنه من حيث موقعه الجغرافي وحالته الجوية — والزمن الذي عاش فيه — والامة أو القبيلة التي ينتمي اليها —

والعائلة التي ربي في أحضانها ، هل كانت في عسر أو يسر — وهل بسمت له الحياة في حداثته وهل صفا له الدهر أو عبس — وكيف كانت تربيته المنزلية وابن تلقى علومه وعلى من — وكيف عاش وكيف احب وكم تورع وتخشع وهل أحب الحياة او كرهها — وهل ساح في غير بلاده وما اكتسبه من اختبار وحنكة . ثم ينبغي فحص اطواره واخلاقه وغرائزه ، وبنيته هل كانت صحيحة او ضئيلة فان لصحة الشخص تأثيراً بيناً في أخلاقه وكتاباته . وعليك بعد ذلك ان تمتحن آراء الكاتب الخصوصية في الفن او العلم الذي كتب فيه وما اودع مؤلفاته من مبتكراته وما امتازت به من سائر المؤلفات التي في موضوعها . فكل ذلك مما يعين على معرفة الكاتب وشرح كتابه وادراك الصلة بينهما

غير انه قد تكون اخلاق الرجل الغريزية وصفاته المكتسبة على خلاف ما تشف عنه كتاباته . انظر الى موليير الشاعر الفرنسي الشهير صاحب الروايات التمثيلية المجونية فقد كان حزيناً بائساً منغصاً في عيشه ولكنه تمكن رغم ذلك من تأليف رواياته التي لا تزال افضل ما ألف في بابها . فقد يفيدك معرفة ذلك التناقض بين خلق الكاتب ومؤلفاته لادراك شخصيته وقوة ارادته وتغلبه على نفسه وشهواته

وبعد الوقوف على حياة الكاتب ينبغي درس الوسط الذي عاش فيه وتيار الافكار في زمانه وحالة العلوم والفنون . فان الكاتب مهما يقل ويفعل فانه لا يبتدع الا القليل وانما الاكثر من فعل عصره ومعاصريه . فان كثيراً من آرائنا وافكارنا ليس الا مقتبساً من غيرنا وقد يحصل هذا الاقتباس بدون ان نشعر به فنظن اننا مبتكرون وانما نحن مجارون . والآراء الشائعة كالهواء يستنشقه الجميع

بقي على الناقد ان يفحص الكتاب من حيث موضوعه وان يقارن بينه وبين الكتب الاخرى التي ظهرت قبله في بابه . فقد يكتب الكاتب في موضوع طرقه غيره من قبل ولا غرض له الا ان يقول غير ما قالوا . ولكنه لا بدّ له مع ذلك من اقتفاء اثرهم والسير في سبيلهم وان حاد قليلا وأتى جديداً . فما كتابه ازاء الكتب الاخرى الاّ بمثابة حلقة جديدة أضيفت الى سلسلة حلقات . وقد تختلف هذه الحلقة عن تلك بعض الاختلاف وهو امر طبيعي اذ ان الاختلاف من شروط التطور الدائم الملازم للانسانية

ويجدر بنا هنا ان نذكر كلمة مشهورة عن وجوب المقارنة وفائدتها مؤداها انه يستحيل معرفة الكل بدون معرفة الاجزاء ومعرفة الاجزاء بدون معرفة الكل .

وقد يحسن بالناقد ان يقارن بين الكتاب الذي يرغب في نقده وسائر ما كتب في موضوعه ليس بلغة ذلك الكتاب فقط بل باللغات الاخرى لان شعوب الارض تجمعها رابطة الانسانية والفكر . ولآداب كل شعب تأثير في آداب الشعوب الاخرى ولا سيما في هذا العصر

ويتبع التشريح الحكم والترتيب . أما الحكم فهو نتيجة التشريح اذ انهُ يفضي اليهِ بطبيعة الحال ولكي يكون الحكم صادقاً عادلا يشترط لمن يشتغل في النقد ان يطرح ميوله الشخصية جانباً وان يحكم عقله لا هواه وان يتبع في نقده القواعد والقوانين الصحيحة والمبادي التي وضعها الذوق السليم أساساً للنقد فلا يجعل ميلهُ الى الدرام مثلاً وسيلة للحط من قدر الكوميدي ولا يدع حبه لشكسبير سبباً للتعريض براسين . انما واجب المنتقد الحر ان يضع نفسه محل الكاتب الذي ينتقده ليمتحن أخلاقه وميزاته ومواهبه ويفرض انه هو هو يفتكر افكاره ويعيش عيشته في وسطه وزمانه ومكانه حتى يعرفه تمام المعرفة ويحكم عليهِ حكماً لا غرض له فيهِ سوى أظهار الحقيقة. فافضل صفة في الناقد ألا يكون له رغبة في ضرب مخصوص من ضروب الفن ولا طريقة مخصوصة من طرق التأليف لكي لا يكون مغرضاً في نقده

وأما الترتيب فالحكم يفضي اليه . والترتيب هو تعيين المركز الملائم للكتاب الذي شرحه الناقد وحكم عليه فقد تقرأ أشعار امرئ القيس وأبي تمام وابن الفارض فالارجح في أن الذوق السليم يجعلك تضع امرأ القيس في المقام الاول والطائي في المقام الثاني وابن الفارض في المقام الثالث . ومن فضائل الترتيب تقدير الكتاب المنتقد عليه حق قدره بالنسبة الى غيره لان جمال الشيء وقبحه ليس الا نسبياً . فقولك ان هذا الرجل طويل أو قصير انما يصح بناء على وجود صورة في ذهنك للرجل المتوسط والاصح ان تقول انهُ اطول من هذا واقصر من ذاك . فمعرفة الشيء لا تكون الا بالمقارنة والمقارنة تؤدي الى الترتيب. ان معلقة امرئ القيس جميلة وقصائد ابي تمام جميلة ايضاً وكذلك شعر ابن الفارض ولكنك قد فضلت الاول على الثاني والثاني على الثالث . ألا ترى أن شعر ابي تمام كان يظهر لك اجمل مما هو لو لم يكن هنالك شعر احسن منه ؟

***

بقي علينا ان نقول كلمة وجيزة في فضل النقد ليس على الآداب والفنون بل على المشتغلين بها وعلى القراء

ليس كل من يقرأ كتاباً يمكنه التمييز فيما اذا كان حسناً أو رديئاً . فقليلون هم الذين وهبهم الله قوة التمييز وكثيرون من هؤلاء لا تتيح لهم أعمالهم واحوالهم من احراز العلوم اللازمة للفصل بين الحسن والقبيح

الكتاب كثيرون وكثيرة كتاباتهم . ففي كل عام يصدر ألوف من الكتب ولا يتيسر لنا الا مطالعة القليل منها وربما طالعنا ما لا يستحق ان نضيع وقتنا في قراءته . فوظيفة النقد تعيين الكتب النافعة والحض على مطالعتها . والفائدة التي يحصل عليها القارئ من جراء ذلك مزدوجة فانه يستدل الى ما يفيده ويقتصد وقتاً ثميناً

وفي الوقت نفسه يكون النقد قد احسن الى مؤلف الكتاب اذ انه يوجه اليه الانظار ويكسبه الشهرة التي يستحقها . اما اذا كان الكتاب مما لا قيمة له فانه يلقي بصاحبه في طي النسيان فيكون بذلك قد انصف بين المحق وغير المحق

م . ب .

في اميركا مزرعة لتربية البط تبيع سنوياً ١٢٤٠٠٠ بطة وهي بلا ريب اكبر مزرعة من نوعها

***

من الحيل المستعملة لتهريب البضائع في هذه الحرب بالرغم من الحصر البحري الانكليزي وتفتيش السفن التجارية صنع الكاوتشوك بشكل البصل وارساله في اكياس بصفته بصلاً . ووضعه في وسط اكياس البن . ومنها ايضاً وضع رزم القطن في وسط براميل ومن حولها الدقيق . ووضع المهربات في داخل قاعدة السواري الفارغة

***

اخترع احدهم مكنسة ذات عصا فارغة تملأ ماء فتساقط الماء قليلا عند استعمال المكنسة كما يسقط الحبر من القلم المداد (فونتن بن)

***

كيف ينتخب رئيس الولايات المتحدة

والوسائل التي تستخدمها الاحزاب لاستمالة الجمهور

في كل أربع سنوات تقوم في الولايات المتحدة حملات سياسية منظمة لانتخاب رئيس الجمهورية. وقد كانت السنة الحاضرة ميعاد هذا الانتخاب الذي انتهى بفوز المستر ويلسون الرئيس الحالي مرشح الحزب الديموقراطي على القاضي هيوز مرشح الحزب الجمهوري

الجمهوريون والديموقراطيون

قد تألف في الولايات المتحدة احزاب مختلفة ظلت زمناً محافظة على كيانها ثم أخذت تندمج بعضها في بعض حتى أصبح يتنازع السلطة الآن حزبان قويان وهما الحزب الديموقراطي والحزب الجمهوري. وفي الانتخابات الماضية (أي سنة ١٩١٢) أنشأ المستر روزفلت حزباً ثالثاً سماه حزب التقدم ولكنه لم يكن له شأن في انتخابات هذه السنة لان روزفلت أعلن انضمامه الى القاضي هيوز. ثم ان عندهم فضلاً عن ذلك أحزاباً صغيرة للعمال والاشتراكيين ولكنها قليلة النفوذ

وبين الحزبين الرئيسيين الآنف ذكرهما اختلافات شتى تطورت مع الايام وانما يقال على الاجمال ان الحزب الجمهوري ميال الى الروح المحافظة والحزب الديموقراطي يميل الى توسيع نطاق الحرية لجميع الطبقات فمن ذلك ان من مبادئ الديموقراطيين منح المستعمرات الاميركية استقلالها، وتخفيض التعريفة الجمركية وغير ذلك مما يطول بنا شرحه

من ينتخب الرئيس

ينتخب أهالي كل ولاية بالاقتراع العام عدداً من المندوبين يساوي عدد النواب الذين ترسلهم الولاية الى المؤتمر العام (Congress) في واشنطون . ويجتمع هؤلاء المندوبون اجتماعاً ينتخبون فيه رئيس الولايات . وفي أثناء هذه الانتخابات يسعى كل من الحزبين السالف ذكرهما في انتجاع كل الطرق التي تساعده على فوز زعيمه للرياسة وينفق في سبيل ذلك الاموال الطائلة ويقف كل قواه وكل نفوذه لدى الشعب حتى ينجح في سعيه كما سيأتي البيان

اللجان الوطنية

يبدأ اعداد الحملة الانتخابية قبل انتخاب الرئيس بسنة كاملة ولكل حزب من الحزبين لجنة وطنية عامة تلقي على عاتق أعضائها كل المسؤولية في ادارة الحملة وتسييرها . وهذه اللجان تؤلف عادة عقب انتهاء الانتخابات السالفة وتظل مدة اربع سنوات لحين الاجتماع العام لكل حزب اذ ينتخب الشخص المراد ترشيحه للرياسة . وتقوم لجنة كل حزب بادارة الحركة السياسية للحملة الانتخابية في بحر السنوات الاربع ولكن اهم اعمالها تقع في السنة الاخيرة التي تتقدم الانتخاب

تبدأ اللجان بانتخاب رئيس لها ونائب رئيس وسكرتير وامين صندوق ثم تعين من ضمنها لجاناً فرعية وتقسم الى اقلام مختلفة لتنظيم اعمالها وقلما تختلف لجنة الحزب الواحد عن لجنة الآخر في نظامها وسير اعمالها . وقد اتبعت هذه اللجان في تأليفها واعمالها سنة النشوء والارتقاء فبعد ان كانت حملاتها مختلفة النظام واشغالها مرتبكة اخذت تنتظم تدريجياً حتى اصبحت عنوان الترتيب والاتقان

على أنها تحتاج في نجاحها الى المال الكثير وهو يأتيها بطريق التبرعات والاشتراكات الاختيارية من افراد الحزبين . خذ لك مثلا التنازع على الانتخاب بين ماكنلي وبريان فقد فاق الحملات الانتخابية كافة وانفق الحزب الجمهوري في اثنائه ستة ملايين دولار على وجه التقريب والحزب الديموقراطي ما يقرب من مليوني دولار

على ان الديموقراطيين سائرون على خطة مثلى وهي تكثير عدد المشتركين لسد هذه النفقات ومقاضاتهم اشتراكات قليلة القيمة . وهو ما يسعى اليه ايضاً الحزب الجمهوري

وتستخدم كل لجنة من لجنتي الحزبين بضع مئات من العمال للقيام باعمالها الاعتيادية الكثيرة واما الاعمال الرئيسية فتلقى على عاتق اناس من افراد الحزب الذي تنتمي اليه اللجنة يتطوعون لخدمة هذا الحزب مضحين في سبيل ذلك باوقاتهم وراحتهم مما يبرهن على شدة تعلق اعضاء الاحزاب هناك بمبادئهم وتفانيهم في خدمة مذاهبهم السياسية

قلم النشر الجمهوري

هو اكثر اقلام لجنة الحزب الجمهوري عملاً واشدها حركة ويقوم بطبع المنشورات والكتب والنبذ والجرائد والمجلات وغيرها الخاصة بالحملة الانتخابية وتوزيعها على جميع انحاء الولايات وتحصى هذه المطبوعات بالالوف ومئات الالوف .

وهو يصنع عدا ذلك الملايين من الرايات والازرار وغيرها من الشارات الخاصة بالحزب المذكور والتي يمكن اتخاذها واسطة للتعارف بين افراده ومظهراً من المظاهر الحماسية التي يؤثر بها في الشعب

وفي الولايات المتحدة نحو الفي جريدة ومجلة يرسل اليها قلم النشر يومياً كل ما يلزمها من الاخبار والمقالات المتعلقة بالانتخابات والاحوال السياسية وكثيراً ما يرسل المقالات بالتلغراف لخطورتها

ثم انه يستخدم الكثيرين من المصورين لرسم الصور الهزلية تحبيذاً لسياسة الحزب الجمهوري واستهزاء بالحزب المعارض ويقوم بنشر الاعلانات العديدة في المجلات والجرائد الاسبوعيـة واليومية . وقد بلغ به التفنن انه شرع في استخدام الصور المتحركة والفونوغراف لنفس الغرض كأن يعرض على الجمهور صور حفلة حضرها عدد من افراد حزبه ومرشحيهم او يسمعه شيئاً من محاضرة او خطاب القاه عضو مرشح لرياسة الجمهورية الخ

ومن ذلك يتضح للقارئ خطورة الاعمال التي يقوم بها هذا القلم والتي تستدعي استخدام المئات من العمال والمقادير الوافرة من معدات الكتابة والرسم والتصوير فضلا عن السينماتوغراف والفونوغراف وغيرها

قلم الخطابة الجمهوري

لهذا القلم رئيس ومساعد رئيس تلقى على عاتقهما وظيفة انتقاء الخطباء وتحضير الخطب واعطاء الآراء الخاصة بها لالقائها في المجتمعات السياسية الكبرى التي تعقد في الولايات المتحدة

والقليل من هؤلاء الخطباء يتقاضون اجرة على عملهم هذا . على ان اللجنة في كل حال من الاحوال تحمل نفقات انتقالهم في اسفارهم وما يتبع ذلك

قلم النشر الديموقراطي

وهو كقلم النشر الجمهوري من اهم اقسام اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي وله جريدة يقوم بتحريرها اثنان من خيرة الكتاب تملأ عادة بالمقالات الحماسية وترسل الى ادارات الجرائد في الولايات المتحدة للاطلاع عليهـا واقتباس آرائها ومقالاتها

ويقدم القلم المذكور ادوات طبع الصور والكليشيهات ونماذج الصور الهزلية

الى نحو ٤٥٠٠ جريدة ومجلة فضلا عن عرضه الصور المتحركة واستخدامه التلغراف في كثير من الاحيان عند ما تستدعي الحال سرعة نشر المقالات في الجرائد كما يفعل قلم النشر الجمهوري. ولديه نحو ٣٧ محرراً لتحرير المقالات الرنانة

قلم الخطابة الديموقراطي

لا يقل هذا القلم شأناً عن قلم الخطابة الجمهوري واعماله ملقاة في عهدة شخص واحد وهو الرئيس الذي عليه ملاحظة نحو ١٥٠٠ خطيب وامدادهم بالآراء وارشادهم في خطبهم وتوزيع الموضوعات عليهم . ومن هؤلاء الخطباء الكاتب والشاعر والنائب والحاكم والموظف وغيره ولا يدفع لهم شيء مطلقاً نظير اتعابهم وقلما ترد اليهم التي ينفقونها في سبيل هذه الخدمات المجانية وكثيراً ما تستدعي الحال تعيين خطباء للخطابة بلغات غير اللغة الانكليزية في مجالس مختلفة للتأثير في اهالي الولايات المتحدة الذين هم من أصل غير بريطاني

القلب الخليّ

عبثاً يسرف العواذل في اللو م فما يستفيق قلب عميدُ
ليس يفنى الهوى فقد فنى العشـ ـاق من قبل وهو باق جديد
وبزيد الهوى على الدهر بأساً وسواه يفنى به ويبيد
انما الحب قوة من قوى الكو ن ففيها بقاؤه والخلود
عُرف الحب قبل ان تفطن النفـ ـس اليه ويستقيم الوجود
عالجته النفوس غافلة عنـ ـه كما عالج الحياة الوليد
ايه يا حب كم عرفت من النا س وكم مات من هواه شهيد
لك في الناس سطوة يخضع المُلـ ـكُ اليها ويستذل الصيد
سطوة الموت لا تغادر حياً فسواه جزوعنا والجليد
لست اشكو من الهوى وجميع النـ ـاس مثلي متيم معمود
يا سعيداً لم يدر ما سطوة الحـ ـب وهل في الانام هذا السعيد
اعطني قلبك الخليّ فقلبي كاد في نضرة الشباب يبيد
لست صباً مثلي فينفعك القلـ ـب فهبه لعاشق يا سعيد

عبد اللطيف النشار

المناظرة والمراسلة

الشريف الشهيد

حضرة محرر الهلال

وصلنا العدد الاول من مجلتكم الغراء لسنتها الحالية ، وعند مطالعته وجدت في اوله مقالة شائقة تحت عنوان « الحجاز واستقلاله » فطالعتها بشوق الى ان وصلت الى آخرها فوجدتكم في الصفحة ١٤ تذكرون عند بيان عائلة الاشراف الحاكمة ان الشريف عبد الله باشا كامل قتل غيلة (ولم تذكروا الشريف حسين) والحقيقة التي ارويها لكم عن والدي وقد شاهدها بعيني رأسه ان الشريف عبد الله لم يقتل بل توفي بالطائف وان الذي قتل هو الشريف حسين في جدة بينما كان ماراً بركبه في احتفال امام منزل المحترم عمر افندي واصف وبعد قتله تولى الشريف عبد المطلب كما ذكرتم ، فنرجو خدمة للتاريخ اثبات الحقيقة وتفصيل ذلك

احمد ابراهيم حجازي بمصر

﴿ الهلال ﴾ نشكر لكم ايراد هذه الملاحظة وعنايتكم بلفت نظرنا اليها وهي كما لاحظتم سهو حدث عند الطبع ، فقد ذكرنا في المقالة ان الشريف عبد الله باشا كامل هو اول شريف منح من الدولة العثمانية رتبة الوزارة واعطي لقب باشا « وقد توفي سنة ١٢٩٤ وخلفه اخوه الشريف حسين باشا » ولما قتل غيلة سنة ١٢٩٧ خلفه الشريف عبد المطلب . فسقطت هذه الجملة عند الجمع ومعها الشريف حسين . وهذا هو السبب في عدم ذكر اسمه ، ويفهم ذلك من وجود سنة ١٢٩٧ وهي سنة وفاته وليست سنة وفاة اخيه الشريف عبد الله الذي توفي سنة ١٢٩٤

وتفصيل هذه المسألة ووفاة هذين الشريفين ان الشريف عبد الله باشا كامل بعد ان رجع من القاهرة الى مكة (وكان قد ذهب اليها مع والي مصر سعيد باشا بعد ان استقبله في المدينة فرأى فيها ما يليق بمقامه من الاجلال والاعظام) استمر في الامارة وكانت ايامه هادئة حسنة الى ان توفي في مصيفه بالطائف في ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٢٩٤ فخلفه اخوه الشريف حسين هذا الذي يلقبه اهل مكة « بالشهيد » ولما

عين قدم من الاستانة الى مكة . وكان على جانب عظيم من التقوى والصلاح ووداعة الاخلاق فضلاً عن زهده وورعه ، فاستمر حكمه الى سنة ١٢٩٧ . ففي اثناء دخوله جده وكان قد ذهب اليها في موكب حافل تقدم اليه رجل افغاني كأنه يريد تقبيل يده وطعنه في خاصرته ، فتوفي بعد يومين مأسوفاً عليه من اهل الحجاز

هندي وهندوي

حضرة محرر الهلال

قرأت مقالة رابندرانات طاغور بامضاء وديع افندي البستاني ولقد اجاد الكاتب في الموضوع سوى قوله « زد على ذلك ان قومه من الهندويين » حيث ان هذه الكلمة لم ترد عن لسان كاتب قبلاً ولا نعلم أنها تجوز وانما المشهور انها تكتب وتلفظ هنديون نسبة الى الهند تشابهاً بغيرها كسوريا وسوري وسوريون ونحو ذلك واذا اراد الكاتب اقتباس ذلك من اللغة الانكليزية من قولهم هندو للمفرد وهندوس للجمع فان الانكليز اصطلحوا على ذلك وكان الاولى بهم ان يقولوا Indians نسبة الى India أي بلاد الهند انما جعلوا ذلك الاصطلاح لكونهم يلقبون سكان اميركا الاصليين بهذا الاسم . فهل من سبب آخر لاستعمال كلمة هندوي بدلاً من هندي ؟

ادمنتون البرتا كندا بدوي فران

اشكر لحضرة المنتقد انتقاده لانه يلفت النظر الى هذه اللفظة وينبه اليها فيؤول الى اشتهارها وعمومها . أما أنها لم تجر على الاقلام ولا تداولتها الالسن فيما سلف فذلك لا ينفي جواز استعمالها اليوم دفعاً للالتباس وتوخياً للوضوح في الدلالة . وأما قوله بجمع هنديّ على « هنديين » فانه لا يفيد شيئاً بهذا الصدد وانما الافضل اتباع السماع المألوف وجمعها على « هنود » كما وردت كقولك روس وطليان وانكليز والمان جمعاً لروسي وطلياني وانكليزي والماني . ولكن حضرته نظر في النسبة اولاً الى القياس ثم الى النسبة الى المكان فقط وفاته ان النسبة في لفظة « هندوي » انما هي الى شعب معين في الهنود لا الى بلاد الهند نفسها . وهو بلا ريب يوافق الناس على ان « فرنجيّ » مثلاً نسبة الى فِرَنج و « فرنج » في الاصل قوم معلوم من شعوب اوربا لا قطعة من القارة الاوربية

ثم ان حضرته يظن انني آثرت مجاراة الانكليز في اصطلاحهم اللغوي على التزام القاعدة الصرفية العربية — فاقول ان الانكليز انفسهم يقولون « Indians » أي « هنود » عند ما يريدون أهل الهند كافة من « هندويين » ومسلمين ومجوس وغيرهم ولا غنى ولا مندحة لهم عن لفظة « Hindu » (وجمعها « Hindus » على القياس في لغتهم) حيث المراد طوائف معينة كالبراهمة والبوذيين والسيخ وغيرهم من اهل الهند . ولا يقولون « هندو » ويريدون مسلماً أو مجوسياً او نصرانياً او يهودياً هندياً. وانما سمي سكان اميركا الاصليون « Indians » هنوداً عن خطأ بيّن . وذلك انه لما اهتدى خريستوفورس كولمبوس الى شاطئ العالم الجديد توهم انه على احد سواحل الهند فحسب من رأى من الخلق هنوداً ورآهم غيرو حمراً فقال « الهنود الحمر » . واذا رجعنا الى كلام العرب وجدنا انهم يعولون على لفظة هنود حيث المقصود اهل الهند الاصليون الوثنيون وكثيراً ما يقولون اهل الهند مستغنين بالاضافة عن النسبة. ولعلهم اذا ارادوا الكلام عن « الهندويين » قالوا « الوثنيين » كما يفعل جميع العرب اليوم ممن عرفت في الديار الهندية . وخلاصة ما اريد ان سكان الهند اليوم ٣١٥ مليوناً ونيّف كلهم « هنود » نسبة الى « هند » وثلثاهم هندويون نسبة الى « هندو » والثلث الآخر مسلمون ومجوس وغيرهم . ولفظة هندو يستعملها الهنود أنفسهم في معظم ألسنتهم المختلفة او جميعها وهي عندهم غير ما يقابل قولنا « هنديّ » نسبة الى البلاد . وقد تناولت هذه اللفظة واعتبرتها « اسم علم » لقوم وجريت على القياس فزدت الياء المشددة للمفرد وجمعتها على القياس ايضاً جمع المذكر السالم . كل ذلك فراراً من الالتباس الذي يحصل من قولنا هنود حيث المقصود قوم معلومون معينون هم من أهل البلاد

وديع البستاني

باب السؤال والاقتراح

ضاق هذا الجزء عن نشر ما جاءنا من الاسئلة واجوبتها فارجأناها للعدد القادم .

العائلة والمنزل

كيف نعيش — ٣

وصايا صحية اقرها معهد اطالة الحياة في اميركا

الفصل الثاني

الطعام

١ — كمية الطعام

لقد شبه بعضهم جسم الانسان بجمرة الحداد فالرئتان بمقام المنفاخ والطعام بمقام الفحم . وهو تشبيه جيد اذ ان الطعام يحرق حقيقة في الجسم بواسطة الهواء الذي تستنشقه الرئتان . فليست معظم الاصناف التي نتناولها سوى وقود نحفظ به حرارتنا الحيوية . فالاطباء لذلك يقيسون قيمة الطعام وفائدته للجسم بالكالوري (وهو الوحدة في قياس الحرارة ويعادل كمية الحرارة اللازمة لرفع حرارة سنتيمتر مكعب من الماء درجة واحدة)

من الناس من يأكلون اكثر من حاجتهم ومنهم من يأكلون اقل منها وقد لا يدري الآكل في كلتا الحالتين هل كان مكثراً أو مقلاً لان معظم الناس يرتكبون خطأ عظيماً في قياس قيمة الطعام بالنسبة الى وزنه أو حجمه . الا اننا لو حللنا الاطعمة ووقفنا على ما ينشأ عن كل منها من الحرارة رأينا ان غراماً من صنف قد يعادل اضعافه من صنف آخر . فمن الاطعمة المستجمعة للغذاء زيت الزيتون مثلا فان ثلث اوقية منه تعادل ١٠٠ كالوري وبعكسه الخضار فللحصول على هذا القدر من الحرارة ينبغي استنفاد ليبره (أي ١٦ اوقية) أو اكثر من الطماطم (بندوره) أو الخس أو الخيار أو البطيخ أو نحوها

ويجدر بنا قبل الخوض في بحثنا ان نبين الكمية اللازمة من بعض المأكولات

المتداولة لتوليد مقدار معين من الحرارة — ١٠٠ كالوري مثلا — حتى يبقى في ذهن القارئ صورة حسية لقيمة الطعام الحقيقية بالنسبة الى وزنه . فاليك اصناف مختلفة وما يلزم منها لتوليد مئة كالوري :

قطعة صغيرة من لحم ضأن (أي نحو اوقية) . بيضة كبيرة . طبق صغير من الفاصولية (نحو ٣ اوقيات) . اوقية من الجبن . بطاطسة كبيرة (اذا كانت مشوية ٣ اوقيات وان كانت مسلوقة ٤) . قطعة خبز تزن اوقية ونصف . اوقية سكر . تفاحتان (٧ اوقيات) موزة كبيرة (٤ اوقيات) ٧ زيتونات (اوقية ونصف) . برتقالة كبيرة (١٠ اوقيات) . نصف اوقية زبدة . كاس صغير من اللبن

تلك قائمة باوزان الاصناف المختلفة التي تعادل قيمتها ١٠٠ كالوري . وقد حسبوا ان الرجل الاعتيادي من سكان المدن يحتاج ٢٥٠٠ كالوري في اليوم . ولكن كلما ضخم الجسم (على شرط ان تتأتى الضخامة عن نمو العضلات لا عن السمن) زادت حاجته الى الطعام . وكذلك اذا كان عمله عضلياً متعباً

السمن

لقد وجدت شركات التأمين على الحياة بعد الاحصاءات الكثيرة والاختبارات العديدة ان للوزن ولاسيما بالنسبة الى السن دخلا كبيراً في طول العمر أو قصره

وعلى الاجمال يصح القول بان زيادة الوزن عن المعدل في الحداثة والشباب افضل من نقصه عنه . اما في الكهولة أي بعد سن ٣٥ فيجب عكس الآية اذ تصبح الزيادة عن المعدل منذرة بقصر العمر . على انه لا يجب أن يبرح من الذهن ان الاجسام ليست متساوية في البنية والهيكل العظمي فقد يختلف شخصان متشابهان سناً في معدل الوزن الذي يوافق جسميهما . ولكن ذلك لا يمس القاعدة السابقة التي استخلصت بعد البحث والمقارنة طويلا ومؤداها ان ازدياد الوزن بعد سن ٣٥ ينذر بالخطر وكلما تقدم الانسان في السن زاد الخطر من تزايد وزنه

اذا كان السمن ناشئاً عن استعداد متوارث في العائلة فالطريق الى ملافاته تعويد النفس والجسم العوائد التي من شأنها انقاص الوزن . واذا كان طالب النحافة شديد السمن فعليه أن يحذر الانتقال الفجائي من حالة الى حالة وانما ينبغي أن يتم ذلك رويداً رويداً . ولا شك انه من الممكن ازالة السمن من غير استعمال ادوية ولا يستدعي ذلك سوى المواظبة على قواعد معينة

وحالما يزيد وزن الانسان ١٥ او ٢٠ ليبرة — ولاسيما بعد الخامسة والثلاثين من العمر — ينبغي له أن يتنبه لامره ويحتاط لصحته ولا شك ان تدريب النفس على العادات التي من شأنها ازالة السمن افضل من اتخاذ التدابير الوقتية من حين الى آخر

ان الطبيعة لا تخطئ في حسابها فكل ما يتعاطاه المرء من المأكولات محسوب عليه سواء اكله في ساعات الطعام القانونية او بينها (وكثيرون يتوهمون ان ما يأكلونه من حلوى وفاكهة ومكسرات في بحر النهار ليس له حساب) فاذا فرضنا ان أحدهم اكل ما يعادل ٣٠٠٠ كالوري في اليوم وانه لم يستهلك منه الا ٢٨٠٠ بين غذاء وابراز فالباقي يبقى في الجسم ويتراكم بين الانسجة

أما النحافة الزائدة فعلاجها في الغالب قاصر على أتباع قواعد حفظ الصحة العادية غير انه من الخطأ ان يأكل النحيف اكثر مما يتطلبه جسمه وعليه أن يتجنب الاجهاد والتعب

وكلما تقدم الانسان في السن وجب عليه أن يقلل من اكل اللحوم ويزيد من الفاكهة والخضار . وفي ايام الحر يجب تقليل كمية الطعام عموماً واللحم خصوصاً لان الجسم لا يحتاج من الحرارة بقدر ما يحتاج في ايام البرد

وعلى كل فرد أن يدرس نفسه ويعين لها الكمية الملائمة من الطعام . وعلى الاجمال يصح القول بان تلك الكمية هي التي تجعله يحتفظ بوزن معتدل حسب سنه

ومن الاوهام الشائعة ان الاعمال العقلية تستدعي كمية كبيرة من الطعام والحقيقة ان العمل العضلي لا العقلي هو الذي ينهك الجسم ويجعله في حاجة الى الغذاء . فقد يزيد وزن المشتغل بعقله دون عضلاته من غير أن يأكل الا القليل . وأنما يلزم تلك الفئة من الناس الرياضة البدنية والا فالمحتم عليهم أن يقللوا كمية الطعام التي يتناولونها

٢ — البروتيين

قلنا فيما تقدم ان الطعام اشبه شيء بالوقود لحفظ حرارة الجسم . على أن هناك اصنافاً من الطعام في امكانها أن تقوم بهذه الوظيفة . الا انها في الغالب يستخدمها الجسم لغرض آخر هو تغذية الانسجة وترميمها بفضل المواد البروتينية التي تحويها . اذ لا يخفى ان أصناف الطعام تتركب من ثلاثة عناصر رئيسية هي البروتيين والدهن والكربوهيدرات (ويدخل فيها المواد النشوية والسكرية) فالنوعان الاخيران هما وقود للجسم ليس الا واهم عناصرها الكربون . أما البروتيين فاهم عناصره النتروجين

وهو ضروري لترميم الانسجة ونحوها . وأشهر امثلته اللحم وزلال البيض الا انه يوجد بكميات مختلفة في معظم المأكولات الا الزبدة والزيت والشحم والسكر ونحوها

فمن ذلك نرى انه ينبغي لنا ان ننتخب من اصناف المأكولات ما يحفظ الموازنة بين المواد التي ترمم الانسجة والمواد التي تحفظ حرارته . ولا قوام للحياة من غير المواد البروتينية . فاذا حرم منها الانسان لا يلبث أن تتلاشى انسجته

وقد حصل جدالٌ طويل على النسبة التي ينبغي حفظها بين الجهتين والذي نعتقده اعتماداً على أصح التجارب واوثقها أن البروتيين يجب أن يقدر بنحو ١٠ في المئة من مجموع وحدات الحرارة التي تتولد من الطعام . ولا يعني ذلك ١٠ في المئة من الوزن أو من الحجم بل من عدد الكالوري كما قدمنا

ولكي نقتنع بصحة تقديرنا النسبة السالفة (١٠ في المئة) يكفي أن نحلل لبن الام . ولا يخفى أن الطفل هو احوج الناس الى نمو انسجته (أي الى البروتيين) . فقد وجدوا أن لبن الام يحوي من البروتيين ٧ في كل مئة كالوري حرارة . فهذا قياس الطبيعة ولا ينبغي لنا أن نبتعد عنه . ولو كان الجسم الكامل النمو يتمثل البروتيين على اختلاف مصادره بالسهولة التي يتمثل بها الطفل بروتيين اللبن لكانت نسبة ٧ في المئة كافية وافية . ولكن معظم البروتيين الموجود في النباتات صعب الهضم . ولذلك رفعت النسبة الى ١٠ في المئة

على ان معظم اهل الرخاء بل ومتوسطي الحال يتناولون من المواد البروتنية اكثر مما يطالب الجسم فكثيرون هم الذين يتناولون ٢٠ و٣٠ في المئة من البروتيين أى ضعفي وثلاثة أضعاف الكمية اللازمة . ومرجع ذلك في الغالب الاكثار من اللحوم والبيض وأنواع السمك والطيور والجبن والحمص والفول والفاصولية ونحوها

وينتج عن الاكثار من اللحوم والاسماك تراكم العمل على الكلى والكبد فوق طاقتها مما يجعل صحتها في خطر . فضلاً عن تعرض المأكولات البروتنية لسرعة التعفن وتوليدها للحوامض . اما انواع الخضار الكثيرة البروتيين كالحمص والفاصوليا والفول والبزلة فيعترض عليها بصعوبة هضمها مما يجعلها أيضاً عرضة للتعفن . ولكنها كثيرة الحديد فيجب تفضيلها على اللحوم في تغذية الاولاد وفقراء الدم . زد على ذلك ان خطر الاكثار منها اقل من خطر الاكثار من اللحم لان نسبة البروتيين فيها الى الوزن اقل منها فيه

تاريخ الشهر

في القطرين المصري والسوداني

كان القتال في مصر مقصوراً على غزوات الطيارات والقاء القنابل . واليك أهم ما حدث من هذا القبيل :

في ١١ نوفمبر طارت طيارات استرالية بريطانية واغارت اغارة موفقة على بئر سبع وبئر الجدبة . فالقت القنابل في الاول على ميدان الطيران وعنبره وعلى محطة السكك الحديدية والقتها في الثاني على المعسكرات والمخازن فحدث في كلا المكانين عطل عظيم

وطار طيار استرالي من بئر سبع الى القدس واستطلع الحال فيها

وفي يوم الاثنين ١٣ نوفمبر طارت طيارة للاعداء فوق القاهرة فاسقطت تسع قنابل في الاحياء المأهولة فقتلت ١٤ نفساً وجرحت ٢٥ (وبعض المجروحين ماتوا اثر جراحهم) وقتلت اربعة جياد . ولم يحدث عطل مادي يذكر لان القنابل سقطت في الشوارع الا واحدة سقطت في مطحنة معطلة

وفي ١٤ منه قذفت طيارتان من الطيارات البريطانية القنابل على معسكر الاعداء ومستودعاتهم في بئر مجدبة . فنجحتا في مهمتهما نجاحاً كبيراً ولا سيما انهما فاجأتاهم مفاجأة

وفي ١٥ منه رمت ست طيارات القنابل على معسكرات العثمانيين في مغارة والعوجة وقصيمة

وفي ١٧ منه قذفت طيارة للاعداء القنابل على السويس فلم تحدث الا عطلاً يسيراً وجرحت جندياً . وعلى اثر ذلك هاجمت الطيارات البريطانية معسكراً كبيراً للعثمانيين في بئر المساعيد (على بعد خمسة اميال غربي العريش) وباغتت رجاله فانصبت عليهم وعلى خيامهم والقت بينهم ٨٠٠ ليبرة من المواد المنفجرة ثم عادت سالمة

وفي ٢٤ نوفمبر أغارت طيارتان انكليزيتان على السكة الحديدية الحجازية إغارة موفقة وقذفتا عليها ٣ قنابل ضخمة و ٨ متوسطة الحجم فاصابت جسراً من الحجر

على مسيرة ٤ اميال من قلعة الحصى جنوباً واصابت السكة نفسها واضرت بهما . وقد استطلعنا اموراً على جانب عظيم من الاهمية وقطعنا ٣٠٠ ميل ذهاباً واياباً

***

أما في السودان فقد جاءنا خبر قتل علي دينار سلطان دارفور في المنطقة الواقعة بين جبل مرة ودار سلا (في حدود دارفور غرباً) . وقد ارسل حضرة صاحب المعالي سردار الجيش المصري تلغرافين في ١٢ و١٣ نوفمبر ينبئ بذلك واليك ثانيهما :

وصلت انباء أخرى الآن عن الفوز الذي نلناه في دارفور ووصل خبره امس ومؤداه ان جيش علي دينار هوجم في محلته في فجر ٦ نوفمبر الحالي بعد مسير ليل كامل (في الزحف اليه) وقد بوغت مباغتة تامة حتى ان جنودنا دنت الى مسافة ٥٠٠ يرد منه ولم يرها . وبعد الاستيلاء على محلته طورد مطاردة عنيفة ووجدت جثة علي دينار على بعد ميل تقريباً محوطة بجثث جماعة من كبار اتباعه

هذا وقد جمع الميجر هدلستون (قائد القوة المقاتلة) كمية من الاسلحة والذخائر وسيبقى في مكانه الآن وقتياً (في المنطقة الواقعة بين جبل مرة ودار سلا) لتأمين تسليم الاهالي وتسليحه

المعتمد البريطاني الجديد

الفريق ونجت باشا

جاءتنا شركة روتر في السادس من الشهر الماضي بخبر تعيين حضرة صاحب المعالي الفريق ونجت باشا سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام خلفاً للسر هنري مكماهون بقولها :

« اعلن ان حكومة جلالة الملك قد عينت السير ونجت في منصب المندوب السامي في مصر . وهو المنصب الذي كان يشغله موقتاً السير هنري مكماهون . وقد اعلن ان التغيير المذكور يتم في آخر السنة »

وفي ١١ نوفمبر وزعت تلك الشركة تلغرافاً آخر قالت انه صدر في اليوم السابق من قصر الحاكم في الخرطوم ومؤداه ان تعيين الفريق ونجت باشا في منصبه الجديد

لا يفضي الى اقل تغيير في العلائق الموجودة بين معاليه والسودان . وانه سيقوم بوظيفتي الحاكم العام للسودان وسردار الجيش المصري تحت رقابة معاليه الكولونل ستاك باشا السكرتير الملكي لحكومة السودان . وسيكون تعيينه لهاتين الوظيفتين بالنيابة لطول مدة الحرب

***

ولد السر فرنسيس رجينلد ونجت في برودفيلد بمقاطعة رنفروشير بانكلترا في ٢٥ يونيو سنة ١٨٦١ وهو الابن السابع لابيه أندرو ونجت من غلاسغو وامه بسي ابنة ريشارد ترنر من دبلن بارلندا . وقد تعلم اولا في مدرسة خصوصية ثم دخل مدرسة ولويتش الحربية . وبعد خروجه منها خدم في الهند وفي عدن من سنة ١٨٨١ الى ١٨٨٣ اذ انتظم في الجيش المصري . ثم عين ياوراً وسكرتيراً حربياً للجنرال السر افلين وود في حملة السودان لانقاذ غوردون (سنة ١٨٨٤ — ١٨٨٥)

ثم مكث قليلا في انكلترا وما لبث ان انضم ثانية الى الجيش المصري سنة ١٨٨٦ وقد شهد المعارك على حدود السودان سنة ١٨٨٩ ومنها معركة توسكي وحضر الاستيلاء على طوكر . وفي سنة ١٨٩٤ عين حاكماً لسواكن

على انه اظهر مقدرته وحاز شهرته على الخصوص اثر دخوله قلم المخابرات الذي عين مديراً له سنة ١٨٩٢ . ومما ساعده على ذلك معرفته لغة البلاد واهلها . وبصفته مديراً للمخابرات الحربية شهد حملة السودان (سنة ١٨٩٦ — ١٨٩٨) وقد حضر في أثنائها معركة فركة والاتبره وام درمان وحملة فاشودا . وفي أثناء ذلك ذهب مع وفد لمقابلة منليك ملك الحبشة . وقد عين أثر ذلك ياوراً للملكة فيكتوريا لقاء خدماته ونال ثناء البرلمان الانكليزي . وفي سنة ١٨٩٩ قاد القوة المصرية التي ادركت التعايشي بعد نجاته من ام درمان فضربه ضربة قضت عليه . وفي ديسمبر من السنة نفسها عين حاكماً عاماً للسودان وسرداراً للجيش المصري اثر سفر اللورد كتشنر الى الترنسفال

فبعد أن بسط الامان ظلاله على السودان جاء دور التعمير والاصلاح فجد السر ونجت في ذلك جده فرمم الخرطوم حتى بدت مدينة زاهرة ومد السكك الحديدية الى كردوفان واعد مشروع ري الجزيرة واقام الحدود والمعالم وفتح السدود ونظم القضاء وانشأ المدارس ووضع بمساعدة مجلس شوراه القوانين والنظامات نخطا ببلاد

السودان خطوات واسعة ولم يهمل الموانئ السودانية فانشأ للسودان ميناء اميناً متصلاً بخط حديدي ونظم مدرسة عسكرية تخرج الضباط واستعان بكلية غوردون لتخريج الموظفين من ابناء السودانيين

وقد حاز رتب شرف مختلفة ونال اوسمة عديدة . وله كتاب نشره سنة ١٨٩١ عن المهدية والسودان المصري . وقد ترجم ايضاً كتاب الاب اهروالدر وكتاب سلاتين باشا عن السودان الى اللغة الانكليزية من الاصل الالماني

وفاة امبراطور النمسا

في الساعة التاسعة مساء من يوم الثلثاء ٢١ نوفمبر الماضي توفي الامبراطور فرنسيس يوسف عن ٨٦ سنة من العمر (ولد في ١٨ اغسطس سنة ١٨٣٠) قضى منها ٦٨ على العرش النمسوي . فقد ارتقى العرش سنة ١٨٤٨ اثر اعتزال عمه الامبراطور فرديناند الذي كان ضعيفاً عاجزاً عن اخماد الثورة المجرية . فتمكن الامبراطور الفتى بمساعدة روسيا من ضرب المجريين ضربة شديدة واخماد فتنتهم

ويطول بنا الشرح لو اردنا سرد ما تم في حياة ذلك الامبراطور فان حياته الطويلة مرتبطة ارتباطاً شديداً بتاريخ اوربا الحديث بعد منتصف القرن الماضي وانما نقتصر على القول انه بدأ في الداخل بالاستبداد ثم اضطر الى منح الدستور لرعاياه في النمسا وفي المجر . واما في الخارج فقد نشبت الحرب بينه وبين فرنسا وايتاليا فكسر في سولفرينو سنة ١٨٥٩ وفقد بعض مقاطعاته . ثم نشبت الحرب بينه وبين بروسيا وايتاليا ايضاً فكسر في سادوا سنة ١٨٦٦ واضطر الى التنزل عن اجزاء من مملكته . وبعد هذين الانكسارين انصرف الى شؤونه الداخلية وسياسة امبراطوريته الواسعة والتوفيق بين اهلها المختلفي الاجناس واللغات . وفي سنة ١٩٠٨ أثر الدستور العثماني اعلن ضم البوسنه والهرسك الى النمسا غاضاً النظر عن شروط معاهدة برلين

وحياته مملوءة بالحوادث المفجعة . ففي سنة ١٨٥٣ اوشك مجري ان يقضي على حياته بطعنة سكين ثم شهد بعد ذلك مقتل ولده الوحيد وولي عهده رودولف ثم مقتل

امرأته ثم اخيه الذي عين امبراطوراً على المكسيك واخيراً ولي عهده الارشيدوق فرنسوا فرديننذ

اما خليفته فهو شارل فرنسوا جوزيف ابن اخي ولي العهد السابق وقد وُلد في ١٧ اغسطس سنة ١٨٨٧ فهو في التاسعة والعشرين . وقد سمي الامبراطور كارل

وفاة كاتبين فكاهيين

محمد توفيق صاحب الحمارة * واحمد عباس صاحب الخلاعة

فقدت الصحافة المصرية في شهر اكتوبر الماضي الكاتبين الفكاهيين الشهيرين محمد افندي توفيق صاحب حمارة منيتي واحمد افندي عباس محرر جريدة « السيف »

صاحب الحمارة

وكان صاحب الحمارة من عائلة معروفة في القاهرة . وقد عني ذووه بتربيته فاتقن اصول اللغة العربية ونظم الشعر وهو يافع واجاد اللغتين الفرنسية والتركية . ثم دخل المدرسة الحربية وألحق بحملة السودان فكان من اكبر العوامل لتسلية اخوانه وترويح نفوسهم بنكاته وهزلياته وما يحفظه من تواريخ الاقدمين وما يبتكره ويختلقه من الاقاصيص . ثم انشأ مجلة هزلية كان يطبعها على الغراء ويوزعها على زملائه

واستعفى من خدمة الجيش منذ نحو ١٨ سنة وانشأ مجلة الحمارة . واقتفى في كتابتها اثر الشيخ سانو ابي نظارة وعبد الله نديم والشيخ حسن الآلاتي والشيخ محمد النجار وغيرهم ممن اشتهروا بقوة المفارقات

وكانت كتابة هؤلاء الكتاب والشعراء لا تتعدى الازجال والمقامات ثم المحادثات بين شخصين يتناول حديثهما غرضاً معيناً او حادثة وقتية . ولكنهم كثيراً ما كانوا يدخلون في عباراتهم جملا والفاظاً تنفر منها الاذواق السليمة ولا يرضاها اهل الادب الصحيح

وامتازت عبارة صاحب الحمارة عن سابقيه بتجردها عن فحش القول كما عرف بابتعاده عن « الشخصيات » . ولكنه كان شديد الوطأة على مخالفيه في السياسة فتعرض للمرحوم الشيخ محمد عبده في مسئلة الموقوذة وغيرها من الفتاوي فحوكم وحكم عليه بالسجن

وربما كانت « الحمارة » اول صحيفة عربية بلغ عدد ما يطبع منها ١٢ الف نسخة. فلما رأى بعضهم هذا الاقبال اقتدوا بتوفيق ولكنهم لم يفلحوا

ثم ابطل جريدته وفتح قهوة في شارع فم الخليج . ونقلها بعد ذلك الى ميدان العتبة الخضراء فلم يصادف شيئاً من النجاح فاقفلها ولزم داره يعيش من ريع زراعة لذويه

محرر السيف

ويعد احمد عباس صاحب اليد الطولى في نشر النقد الهزلي في جملة لا تزيد على سطرين بشكل اخباري أو سؤال وجواب

وكانت أغلب عبارته محتوية على نكتة أو اشارة دقيقة لا يدركها الا الواقفون على اسرار البلد ودخائل اكابرها وما يجول في مجالسها

واشتغل عباس بالصحافة منذ ١٢ سنة فانشأ اولا جريدة الخلاعة ثم ابدلها بالشجاعة . وكان كثير التعرض لدخائل البعض ولذعهم بقوارص الكلم . ولكن حلاوة النكته ورشاقتها لم تحمياه من العقاب فسيق الى الحاكم غير مرة . وحكم بتعطيل صحفه . فاشترك مع صاحب جريدة السيف وبعد ان كانت هذه الجريدة جدية حوّلها عباس هزلية وادخل فيها ما يعجب ويطرب من فنون الهزل والتفنن في ايراد الحوادث اليومية ووصف الاشخاص بامور أصبحوا غير قادرين على التخلص منها

وكان عباس حاضر البديهة يخلق من كل حادثة ما لا يستطيع سواه استنباطه أو ادراكه . وحدث منذ أشهر انه تعرض لبعض تلاميذ المدارس بكتابات عدتها النيابة مزرية بهم فساقته مع بعض المحرضين له والمشاركين الى المحكمة وحكمت عليهم بالسجن لمدد متفاوتة

وكان نصيب عباس الحكم ستة اشهر فتجرّع كمية من الكوكايين قضت عليه بعد ساعات وهو واقف الى جانب جامع السلطان ابي العلا توفيق حبيب

الى مشتركي الهلال

نرجو من مشتركي الهلال الذين يغيرون محل اقامتهم ان يعلنوا الادارة بذلك حتى لا تفقد الاعداد . ونذكّر حضراتهم بان ملحق الهلال الذي يصدر في آخر كل سنة لا يرسل الا الى من سدد الاشتراك

الوزارة الانكليزية

نشوءها وتطوُّرها

اتجهت الانظار في الشهر المنصرم الى الازمة الوزارية في انكلترا وقد علم القراء انها انتهت بتعيين المستر لويد جورج [١] رئيساً للوزارة الجديدة . فرأينا على ذكر الوزارات وتغيرها أن نقول كلمة في تاريخ الوزارة الانكليزية وكيف نشأت وتطوَّرت الى هذا اليوم

ليس ادهش لدى المتبصر في التاريخ من نشوء النظم السياسية في انكلترا . فان معظم النظم التي نعتبرها قوام الحكومات اليوم نشأت فيها بالتدريج عن أصل بسيط فما برحت تتكوَّن وتتخصص حتى بلغت صورتها الحاضرة . ولذا كانت نظاماتها أشد ثباتاً من نظامات غيرها . ولا يخفى ان النظم السياسية الانكليزية هي المثل الذي نسجت على منواله سائر الدول الاوربية في اثناء تطوُّرها

أما الوزارة ومكانتها ونظامها فقد طرأ عليها تقلبات كثيرة . فكانت تارة ذات شأن خطير وطوراً كانت ضئيلة الاثر في الحياة السياسية . وقد اختلف عدد الوزراء ونفوذهم وسلطتهم كما يتبين للقارئ من هذه المقالة

يرجع أصل الوزارة الى أقدم عهد للحكم الملكي في انكلترا . فان الملك كان يحتاط دائماً بنفر من المستشارين يساعدونه في ادارة شؤون الملك . وقد كان مجلس الملك في أول الامر مؤلفاً من بعض الاشراف وكبار الموظفين الذين كان يستدعيهم الملك لمشورته . وكان اولئك المستشارون يعرفون في عهد الحكم النورمندي باعضاء مجلس الملك الدائم [٢] ثم عرفوا من عهد هنري السادس (سنة ١٤٢١ — ١٤٧١) باعضاء المجلس الخاص [٣] . وفي حداثة هذا الملك ايضاً تكوَّن من بعض اعضاء المجلس

---

(١) نشرت ترجمته في الهلال الاول من هذه السنة

(٢) King's ordinary or Permanent Council

(٣) Privy Council

الخاص هيئة ما برحت تزداد نفوذاً من ذلك الحين. وقد سميت الكابنت Cabinet وهي اصل الوزارة الحاضرة . الا انها لم تتخذ شكلاً ثابتاً الا بعد ثورة سنة ١٦٨٨ واتساع سلطة البرلمنت اذ ضعف نفوذ المجلس الخاص وانتقلت سلطته الى الكابنت أو الوزارة . ولم يعترف للوزراء قبل ذلك بحق الجلوس في البرلمنت بل كثيراً ما كان الوزراء يختلفون فيما بينهم على الشؤون الجارية . والجملة انه كان ثمت وزراء لا وزارة واحدة اعضاؤها متضامنون كما هو الحال اليوم

فلما نشبت الثورة سنة ١٦٨٨ وأصبحت السلطة في يد مجلس العامة بدت الفائدة من وجود وزراء يقدمون المشروعات والاقتراحات لهذا المجلس ويدافعون عن خطة الحكومة وأصبحت الحاجة ماسة الى منحهم حق دخول المجلسين (أي مجلس الاشراف ومجلس العامة) . ولكن نظام الوزارة ظل في حالة غير تامة نحو مئة سنة أخرى فان الوزراء لم يكونوا يستعفون في حالة عدم تأييد البرلمنت لهم بل كانوا يلبثون في مناصبهم . ولم تكن الوحدة الوزارية معروفة حتى النصف الاول من القرن الثامن عشر أي أن الوزارة لم تكن تعقد أو تستعفي معاً كأنها جسم واحد . وأول وزارة ظهرت فيها آثار الوحدة أي التضامن هي وزارة اللورد ركنهام (سنة ١٧٦٥) . ثم ان الوزراء لم يكونوا حتى اواخر القرن الثامن عشر مقيدين بوجوب العمل باتفاق ولم يبدأ نظام الاتفاق الا في عهد جورج الرابع أي في اوائل القرن التاسع عشر اذ أبى وزراؤه أن يؤيدوه في سياسته الخارجية

وفي القرن التاسع عشر اتسعت سلطة الوزارة وتحددت دائرة اختصاصها . فالدستور الانكليزي اليوم مبني على مسئولية الوزراء أمام البرلمنت وهو ما يعبر عنه بالحكومة البرلمانية

ولا يزال عدد الوزراء في انكلترا غير محدد ولكنه يتراوح بين ١٦ و ٢٠ عضواً بعضهم يشغلون مناصب خطيرة وبعضهم ليس لهم الا مناصب اسمية وهناك أيضاً وزراء بلا منصب قط . وهم يجرون بالاتفاق على سياسة معينة ويتساوون في عبء مسؤوليتهم . أما كيف يعينون فذلك أن الملك يختار رجلاً لرياسة الوزارة

ويعهد اليه في اصطفاء زملائه فيختارهم هذا عادة من الحزب الغالب في مجلس العامة . فاذا لم تؤيدهم اغلبية المجلس استقالوا معاً جرياً على العادة لا اتباعاً لقانون

وكل من الوزراء عضو في أحد المجلسين إما مجلس الاشراف أو مجلس العامة وقد اختلف عدد الوزراء التابعين لكل من المجلسين فوزارة پت (سنة ١٧٨٣) كانت مؤلفة من ثمانية أعضاء كلهم لوردات الا پت نفسه الذي كان يمثل الوزارة في مجلس العامة . ولا شك أن هذا التقسيم غير عادل ولم تأت بعد وزارة پت وزارة ارستوقراطية مثلها . وفي وزارة غلادستون سنة ١٨٦٨ كان من الاعضاء ثمانية (ثم أصبحوا تسعة) في مجلس العامة وستة في مجلس الاشراف . وما برحت الوزارات تسعى في تقوية سلطتها في مجلس العامة على الخصوص . وقد ظهر في القرن الماضي مبدأ جديد يقضي بجعل متولي الوزارات التي تسمى الوزارات المنفقة — أي وزيري الحربية والبحرية — تابعين لمجلس العامة . ولكن دزرائيلي لم يعمل به

وقد حسبوا أن معدل عمر الوزارة الواحدة في انكلترا حوالي خمس سنوات . على أن التاريخ الانكليزي عرف وزارات دامت أكثر من ذلك فان وزارة روبرت والپول دامت من سنة ١٧٢١—١٧٤٢ أي ٢١ سنة ووزارة پت الشهير دامت من سنة ١٧٨٣—١٨٠١ أي ١٨ سنة . وبعكس ذلك وزارات كانت قصيرة العمر لم يتجاوز عمرها بضعة أشهر

وتجتمع الوزارة الانكليزية عادة اما في دار اللورد الاول للخزينة (وهو غالباً رئيس الوزراء) في شارع دوننج بلندن أو في وزارة الخارجية ولكن لا مانع من التئامها في مكان آخر . ولا يؤذن لكاتب أو كاتم اسرار بحضور جلسات الوزارة ولا تدوَّن أعمال مجلس الوزراء بصفة رسمية . الا أنه في بعض الاحوال الاستثنائية يقدم الوزراء مذكرة باعمال المجلس الى الملك لابداء نصيحتهم في الشؤون الخطيرة بصفة رسمية . وفي الغالب يكتفي رئيس الوزراء بمفاوضة الملك بالنيابة عن زملائه

أما الملك فانه لا يحضر قط جلسات مجلس الوزراء لان من قواعد الدستور الانكليزي المتفق عليها ان لا تحدث مناقشات بين مستشاري الملك في حضرته .

وقد نشأت هذه العادة من مصادفة غريبة فان الملوك والملكات كانوا في بادىء الامر يحضرون بانفسهم مجلس الوزراء . ولكن لما انتقل العرش الى الاسرة الهانوفرية لم يكن اعضاؤها الاولون يتقنون اللغة الانكليزية ولا سيما جورج الاول وجورج الثاني (في النصف الاول من القرن الثامن عشر) ولذلك كانوا لا يحضرون جلسات الوزارة . فلما ارتقى جورج الثالث العرش كانت هذه العادة قد تأصلت فجرى عليها وتبعه في ذلك من جاء بعده

رئيس الوزارة

لم يكن لرئيس الوزارة ميزة خاصة في الدستور الانكليزي الى سنة ١٩٠٥ بل لم يرد ذكر هذا المنصب في قانون قبل تلك السنة . واول مرة ذكر فيها لقب رئيس الوزارة كان في معاهدة برلين سنة ١٨٧٨ اذ لقب لورد بيكنسفلد « اللورد الاول لخزينة جلالتها والوزير الاول لانكلترا »

وفي سنة ١٩٠٥ المتقدم ذكرها صدر أمر ملكي يمنح شاغل منصب رئاسة الوزارة حق التقدم على سائر اعيان وموظفي المملكة بعد أسقف يورك . ورئيس الوزارة كما قدمنا هو الصلة بين الملك ووزرائه وعليه ان يلم بما يجري في جميع المصالح . وبه يتم كيان الوزارة فاذا انسحب انحلت الوزارة ولو أعيد جميع أعضائها في الوزارة التالية . ولذلك نجد ان الوزارات تنسب الى رؤسائها فيقال وزارة اسكويث ووزارة لويد جورج وهلم جرا

على انه بالرغم من ذلك لم يكن لرئيس الوزارة — نظرياً ان لم يكن في الواقع — أدنى ميزة من أقرانه الى سنة ١٩٠٥ اذ منح حق التقدم كما ذكرنا سابقاً . ولا يعطى رئيس الوزارة مرتباً بهذه الصفة ولكنه يشغل عادة منصباً آخر يتقاضى عليه مرتباً

ولعل أول رئيس وزارة يستحق هذا الاسم في تاريخ انكلترا هو السر روبرت والبول (١٧٢١ — ١٧٤٢) فانه اول من وحّد الوزارة ووفق بين اعضائها ونال السطوة على اقرانه وقد تألفت بعد وزارته الى اليوم ٥١ وزارة

المصائب والرزايا

في حياة امبراطور النمسا

يندر ان يجد المؤرخ في تواريخ الدول القديمة والحديثة ملكا توالت المصائب والرزايا في حياته توالبها في حياة الامبراطور فرنسيس يوسف. وقد ذكرنا بعض تلك المفجعات عرضاً عند كلامنا عن وفاة امبراطور النمسا في باب تاريخ الشهر من الجزء الماضي. ثم اطلعنا على قائمة وافية بها نشرتها مجلة الالستراسيون الفرنسية وشفعتها برسم هندسي هو أشبه شيء برسم حركة الزلازل أو نبض القلب فرمزت عن حياة الامبراطور بخط متكسر يتجه تارة صعوداً وطوراً هبوطاً وفقاً لتقلبات الدهر وطوارئ الزمان. فرأينا نقل المقالة للتفكهة والاعتبار. قال الكاتب:

لا يعرف التاريخ ملكا من ملوك اوربا جلس على العرش مدة تعادل مدة جلوس الامبراطور فرنسيس يوسف (٦٨ سنة) الا لويس الرابع عشر المسمى بالكبير. على أنه ينفرد عن الجميع بما اصابه في أثناء تلك الحياة الطويلة من المصائب والآلام السياسية والشخصية التي يندر ان تجتمع في حياة انسان وقد ابتدأ الراسم من سنة جلوسه على العرش (١٨٤٨) الى حين وفاته. فلنتبع ذلك الرسم ونذكر ما أصاب ذلك الامبراطور الفريد بآلامه من جور الزمان — وقلما يجور الزمان على من لا يجور

جلس الامبراطور الفتى على عرش النمسا في سنة ١٨٤٨ اثر اعتزال عمه فردينان الاول الذي ترك العرش لعجزه عن قمع الثورة الاهلية فبدأ حياته العمومية في المشاكل الداخلية. فالنمسويون من رعاياه قاموا يطالبون بالحرية السياسية ثم ثار أهالي لومبارديا والبندقية ثم اهل المجر حتى اضطر الامبراطور الى الاستغاثة بروسيا فاغاثته

وتبع ذلك عهد سكون ورخاء الى سنة ١٨٥٩ ولعل هذه المدة كانت افضل سني الامبراطور التعيس. على أنه حدث في خلالها بعض الحوادث المحزنة منها ان مجريا اسمه ليبيني هجم عليه في فينا (١٨ فبراير سنة ١٨٥٣) وطعنه بخنجر في قفاه. ومنها وفاة ابنته الاولى صوفيا (في ٢٩ مايو سنة ١٨٥٧) في الشهر السادس والعشرين من عمرها وكان قد رزق بها اثر قرانه باليزابت من بافاريا في ٢٤ افريل سنة ١٨٥٤. وكان الامبراطور يظهر لزوجته حباً جماً في اول حياتهما الزوجية ولكنه ما لبث ان

تحول عنها وانصرف الى ملاذه وملاهيه . وفي ٢١ اغسطس سنة ١٨٥٨ كان سروره عظيماً اذ رزق ولياً لعهده

أما سنة ١٨٥٩ فقد كانت سنة شؤم على الامبراطور وبلاده فقد حدث فيها اولاً ازمة اقتصادية تلتها مظالم دينية ثم نشبت الحرب بين النمسا وايطاليا فانتصرت ايطاليا بمساعدة فرنسا في عدة معارك اهمها معركة ماجنتا (٤ يونيه) وسولفرينو (٢٤ يونيه) وانتهت الحرب بمعاهدة زوريخ وفيها انتزعت من النمسا مقاطعة لومبارديا

وبعد سنتين اضطر الامبراطور الى تسكين الخواطر أن يعد شعبه بمنح دستور جديد . وقبل ذلك بقليل هربت الامبراطورة من القصر وكانت قد سعت مرة قبل ذلك في الهروب فلم تنجح . وفي اكتوبر سنة ١٨٦١ حدثت فتن في بلاد المجر . وفي اغسطس سنة ١٨٦٣ عقد مؤتمر فرنكفورت وقد فشل الامبراطور في تخصيص رئاسة الاتحاد الجرماني له ولاسرته بسبب تغيب ملك بروسيا الذي لم يتنزل لحضور هذا المؤتمر

وفي ٣ يوليو سنة ١٨٦٦ كسرت الجيوش النمسوية شر كسرة في معركة سادوفا اثر نشوب الحرب بين بروسيا والنمسا . وكانت الجنود البروسية بقيادة مولتكي الشهير فآل هذا الانكسار الى عقد معاهدة براغ (٢٤ اغسطس) وبها تخلت عن سيطرتها على الشعوب الالمانية . وبعد ذلك بستة اسابيع فقدت مقاطعة البندقية في مؤتمر فينا

على ان الدهر كان يخبئ لفرنسيس يوسف آلاماً اشد من تلك الآلام فان الشعب المكسيكي ثار على اخيه مكسيميليان الذي كان قد عين امبراطوراً على المكسيك فقتل رمياً بالرصاص في ١٥ يونيه سنة ١٨٦٧ . وتلا ذلك جنون امرأة اخيه الاميرة شارلوت . عندئذ رجعت الامبراطورة الى القصر بعد ان فارقت زوجها زمناً لتعزيه عما ألم به من المصائب

ومن سنة ١٨٧٢ الى ١٨٧٧ أصيب الامبراطور باحزان مختلفة : فقد توفيت والدته في ٢٨ مايو سنة ١٨٧٢ ثم توفي عمه الامبراطور فردينان (وهو الذي تخلى له عن العرش) في ٢١ يونيه سنة ١٨٧٥ ثم اخوه الارشيدوق فرنسيس شارل في ٨ مارس سنة ١٨٧٨ . وفي اثناء ذلك أي سنة ١٨٧٣ حدثت ازمة مالية في غاية الشدة

ومما زاده ذلاً انه ما لبث أن تعلق باذيال كاسريه في الامس اذ عقد اتفاقاً مع بروسيا سنة ١٨٧٩ نشأت عنه فيما بعد المحالفة الثلاثية (١٨٨٣) . وقبل ذلك بسنتين تزوج ابنه وولي عهده رودولف بالاميرة ستفاني البلجيكية ورزق منها ابنة

وفي ٣٠ يناير سنة ١٨٨٩ نزلت بالامبراطور مصيبة كانت على قلبه الـكسير أشد من نزول الصاعقة فان ابنه ما لبث بعد زواجه ان نفر من زوجته وانصرف الى الملاذ والملاهي على انواعها حتى أسفلها . وكانت نهاية ذلك ان قتل رودولف في ميرلنيج . ومن ذلك الحين لازم الحزن فرنسيس يوسف فلم يرقط بعد ذلك ايام سعد

وفي اكتوبر من السنة نفسها حدث جدال بينه وبين الارشيدوق جان أحد أقاربه وكان من أفضل اعضاء الاسرة الامبراطورية فتنزل الارشيدوق على اثره عن لقبه وحقوقه وسمى نفسه جان اورث وبعد ذلك بقليل توفي هذا الارشيدوق في أحوال لم تجل بعد لاهل التاريخ . ثم ان حفيدة للامبراطور اقترنت في سنة ١٨٩٣ بضابط بروتستنتي صغير . وهو اول زواج في الاسرة الامبراطورية من هذا القبيل

وفي سنة ١٨٩٧ توفيت دوقة النسون اخت الامبراطورة حرقاً في سوق احسان باريس وكان الامبراطور يحبها حباً جماً . وفي اواخر تلك السنة نفسها حدثت مشاغبات وفضائح في مجلس الريشسراث . وفي ١٠ سبتمبر من السنة التالية قتلت الامبراطورة اليزابت في جنيف عن يد فوضوي اسمه لوتشني

وكان قلب الامبراطور تحجر بعد تلك المصائب المتتالية فلم يعد شديد التأثر من تقلبات الدهر . وقد توالت الزيجات بين افراد الاسرة المالكة والعامة أولها زواج ارملة ابنه رودلف بالكونت لوياي المجري (سنة ١٩٠٠) وتلاه زواج ولي العهد فرنسيس فردينان بالكونتة شوتك

وفي سنة ١٩٠٢ حوالي عيد الميلاد هربت الاميرة لويز زوجة ولي عهد مملكة ساكس (وهي من اسرة هابسبورج) هي ومعلم اولادها الذي كانت تحبه . وبعد أيام قليلة لقيت في جنيف أخاها الارشيدوق ليوبولد الذي غادر بلاده وتنزل عن القابه وحقوقه وسمى نفسه ليوبولد ولفلنج

ومما حدث في السنين التالية ان الامير لويس فيكتور اخ الامبراطور أتى أمراً مفضحاً فاضطر الامبراطور ان ينفيه الى مكان بعيد حيث مات بعد قليل من الزمن

ولا حاجة بنا الى ذكر حادثة سراييفو التي قتل فيها ولي العهد وامرأته ونشبت على اثرها هذه المجزرة البشرية بامر من الامبراطور فرنسيس يوسف

الذاكرات الغريبة

ما هي الذاكرة[1] ؟ وهل يمكن تقويتها ؟

كلما تقدمت المدنية وتشعبت المعارف والعلوم شعرنا بخطورة الحافظة الجيدة وغبطنا اصحابها بما وفقوا اليه من المقدرة على استيعاء الحقائق والحوادث . على أن معظم الاراء الشائعة بين الجمهور عن هذه القوة واحكامها فاسدة اذا نظرنا اليها بمنظار علم النفس الحديث كما سيتبين ذلك فيما بعد . أما الآن فاننا ذاكرون أمثلة على الذاكرات الغريبة فنقول :

الذاكرات الغريبة

اشتهر كثيرون من رواة الشعر بين العرب بحفظهم ألوف القصائد . وقد ذكروا أن ابا تمام صاحب كتاب الحماسة كان يحفظ من أشعار العرب (الجاهلية) ١٤٠٠٠ ارجوزة غير القصائد والمقاطيع وكان حماد الراوية يحفظ ٢٧٠٠٠ قصيدة على كل حرف من حروف الهجاء الف قصيدة وكان الاصمعي يحفظ ١٦٠٠٠ ارجوزة وقس على ذلك امثلة أخرى . ومع ما يظن في ذلك من المبالغة فانه يدل على بروز العرب في هذا الميدان ولعل معيشتهم الطبيعية البسيطة وابتعادهم عن المشاغل والمهام الكثيرة كل ذلك كان من الاسباب التي قوت ذاكرتهم فضلاً عن ميلهم الى الشعر . ولا يخفي ان اسهل الامور حفظاً ما كان مستحباً الى الانسان

ومن أشهر الشعوب في قوة ذاكرتهم الصينيون فان الحروف الابجدية الصينية وحدها تعد بالمئات فضلا عن عناية الصينيين من القدم باستظهار كتبهم منذ نعومة أظفارهم . أما الغربيون فقد قام بينهم كثيرون اشتهروا بذاكرتهم ولا يخلو ذكرهم من فكاهة : فمنهم عالم بلجيكي من أهل القرن السادس عشر اسمه جوست ليبس كان يعرف غيباً كل ما كتبه تاسيت المؤرخ الروماني الشهير بل انه من عظم ثقته بذاكرته كان يعرض أن يلقي ما يطلب اليه القاؤه من مؤلفات ذلك المؤرخ على أن يقف بجنبه

(١) تستعمل كلمة الذاكرة هنا بمعناها الواسع اذ لا يخفى ان هذه القوة تفرض أمرين مستقلين اولاً حفظ الحادث او الشيء (ويسمى الحافظة Retention أي القوة الحافظة) وتذكره أي حدوث صورته ثانياً في الذهن Rappel, Recall (وهو الذاكرة بحصر المعنى)

رجل يحمل الكتاب بيدٍ والخنجر باليد الاخرى حتى اذا اخطأ في كلمة واحدة حق للرجل أن يطعنه !

ويؤثر عن الاب منتريه أحد الآباء اليسوعيين (وهو من أهل القرن السابع عشر) أنه عرض في حفلة عمومية حضرتها ملكة أسوج أن تلفظ امامه ٢٠٠٠ كلمة لا رابط بينها فيعيدها بالترتيب . وقد تم ذلك فعلا وأعاد الفي كلمة بلا أدنى خطأ

واشتهر كثيرون من الموسيقيين في مقدرتهم على حفظ القطع الموسيقية الطويلة . ولعل أغرب الحوادث من هذا القبيل ما حدث لموزار الشهير اذ كان في رومية سنة ١٧٦٩ فانه توجه حال وصوله الى كنيسة الفاتيكان ليسمع قطعة موسيقية شهيرة (اسمها Miserere تأليف الموسيقي اليجري) كانت ملكاً للباباوات ولم يأذنوا لاحد بنقلها . فتمكن موزار من حفظها كلها أثر سماعها للمرة الاولى ودون نغماتها حال وصوله الى الفندق الذي كان نازلا فيه

على ان أشهر اصحاب الذاكرات الغريبة كان بلا ريب نابوليون بونابرت فقد قال المسيو دي لاڤالت مدير البوستة في زمنه « ان نابليون كان أمهر مني في معرفة المسافات بين المدن والقرى فضلا عن أمور وتفاصيل دقيقة أخرى تتعلق بمصلحتي وكثيراً ما كان يبين لي ما ارتكبه من الهفوات » . وفي ذات يوم كلف نابليون المسيو دي ساجور أن يتفقد الحصون والاستحكامات الشمالية ليقدم عنها تقريراً وافياً . فلما أتم عمله ابتدره نابليون قائلا « لقد اطلعت على تقريرك وهو مضبوط الا أنه فاتك أن تذكر في أوستند مدفعين من عيار ٤ وهما منصوبان خلف المدينة » وأشار الى المكان على الخارطة

ومن الذين اشتهروا حديثاً بذاكرتهم موندو واينودي . أما الاول فكان فلاحاً أمياً ولكنه مع ذلك كان يستطيع استخراج الجذر الخامس لعدد ارقامه ١٥ رقماً في ثوانٍ قليلة بدون كتابة حرف . ولا يخفى ما يستدعيه هذا العمل من المقدرة الغريبة على حفظ الارقام . وقد فحصته اكاديمية العلوم في فرنسا سنة ١٨٤٠ وعمره اذ ذاك ١٤ سنة . وأما الثاني فقد كان أمياً أيضاً قضى حداثته في الحقول ولم يتعلم القراءة الا في العشرين من عمره . ولكنه مابرح منذ الثامنة يعود نفسه حفظ الارقام وعلاقاتها حتى أصبح قادراً على اتيان اعمال غريبة جداً . فمن ذلك انه سئل امام اكاديمية العلوم (في اجتماع ٨ فبراير سنة ١٨٩٢) أن يطرح من

٨٣١ ٥٢٣ ٤٤٨ ٢٣٨ ٥٤٧ ١٢٣ ٤

١٢٨٩١٠ ٢٣٤ ١٣٨ ١٢٦ ٢٤٨ ١

ثم سئل أيضاً « ما هو العدد الذي يكون من جمع مربعه ومكعبه معاً ٣٦٠٠ » وطلب اليه كذلك ان يجيب عن هذين السؤالين وهما : « أي يوم من أيام الاسبوع وقع في ١١ مارس سنة ١٨٢٢ ؟ » و« كم يساوي جذر $\frac{١٢٩٤-١}{٦}$ » فاجاب عن تلك الاسئلة جميعاً من غير ان تزيد المدة بين السؤل والجواب على ٣٠ أو ٣٥ ثانية . والغريب ان اينودي هذا كان ضئيل الذاكرة في غير الارقام حتى انه كان يجد صعوبة عظيمة في حفظ بضعة أبيات من الشعر وسنرى تعليل ذلك

ما هي الذاكرة

اذا سألت احد الناس عن السبب الذي يجعله يتذكر حادثاً معيناً في وقت معلوم فالارجح ان يجيبك ان في عقله أو نفسه قوة خاصة تسمى قوة الذاكرة وظيفتها اعادة الصور الماضية الى الذهن . وهو الرأي المشهور الى زمن غير بعيد . ولكي تثبت صحة هذا القول أو خطاه لا بد لنا من الاستفسار عما نريده بقولنا « قوة الذاكرة » فاذا اردنا بذلك مجرد التقرير أي تقرير اقتدارنا على تذكر الماضي لا غير فلا بأس من استعمال هذا التعبير اذ لا ريب من وجود هذه المقدرة فينا . ولكن اذا أردنا به تعليل الذاكرة باسنادها الى قوة خاصة مستقلة واكتفينا في تعليل تذكرنا الصور الماضية بنسبتها الى تلك القوة حينئذ يكون قولنا فاسداً في نظر علم النفس الحديث بل يكون سطحياً خالياً من المعنى . فانك اذا اجبت من يسألك « ما سبب التذكر ؟ » بقولك « سببه قوة الذاكرة » كان جوابك ناقصاً اذ ان السائل لا يلبث ان يسألك « ولكن كيف يحدث هذا التذكر ؟ ولماذا يحدث في وقت معين وفي أحوال معينة ؟ ولماذا لا نستطيع تذكر بعض الاشياء أحياناً ونحن في اضطرار الى تذكرها ؟ » ونحو ذلك من الاسئلة

أما علم النفس الحديث فقد وجد تعليلاً يرتاح اليه العقل ويستطيع الانسان بواسطته أن يجيب عن الاسئلة السالفة وهو تعليل الذاكرة بما يسميه علماء النفس « تقارن الافكار » (١) او تصاحبها او تآلفها واليك كلمة توضح لك ما يعنون :

---

(١) Association d'idées, Association of ideas

تقارن الافكار

حياتنا العقلية في تطور دائم فان الصور والافكار تتابع في الذهن بلا انقطاع ولكن هذا التتابع لا يأتي عفواً بلا قانون فكل صورة مرتبطة بالصور التي تقدمتها اي ان الصورة لا تحضر في الذهن الا اذا كان بينها وبين الصور التي تقدمتها صلة معينة . اما هذه الصلة فهي احدى اثنتين : المجاورة او المشابهة

اما المجاورة فتقضي بان الصورة الواحدة تُحدث في الذهن الصورة التي كانت مجاورة لها فيما مضى . وكلما تكرر تتابع الصورتين متجاورتين سهل حضورهما متتابعتين في الذهن . فقد تعودت مثلاً حفظ الابجدية مبتدئاً بالالف فالباء فالتاء الخ .. فاذا حصلت صورة الالف في ذهنك تلتها صورة الباء لما بينهما من المجاورة التي الفها الدماغ . كذلك اذا رأيت قلماً سميته باسمه لانك تعلمت ان تجمع بين شكل القلم واسمه فالنظر الى القلم ينبهك الى اسمه واسمه ينبهك الى شكله وقس على ذلك

واما المشابهة فانها لا تعلل تتابع صورتين بتتابعهما سابقاً . فقد يحدث في الذهن صورتان لم تحدثا من قبل متواليتين . فالصلة اذ ذاك تكون المشابهة أي ان يكون بينهما وجه شبه ما . قف في أي دقيقة وسل نفسك « لماذا أفكر الآن بهذا الامر ؟ » تجد ان هذه الفكرة على الارجح قد تطرقت الى عقلك بواسطة الفكرة السابقة لها اما لسبب المجاورة او المشابهة كما قدمنا . فالاشعار مثلا والصلوات والحوادث التاريخية والقواعد الحسابية الخ انما تثبت في ذهننا ونحفظها بمقتضى سنة المجاورة أي اننا حفظنا الفاظها أو صورها أو أرقامها متقارنة . ولذلك نتذكرها متقارنة أيضاً . وبخلاف ذلك الصور التي تتوالى في الذهن ساعة يسترسل الانسان الى تخيلاته وتأملاته . فقد تحدث في ذهنه صور لم تجتمع قط معاً في عقله سابقاً بل قد لا يكون بينها رابطة أو صلة في الظاهر . ولكنه اذا أنعم النظر وحلل افكاره وجد في الغالب اوجه شبه بين الصور والافكار التي تخطر له . على ان ذلك الشبه قد يكون غامضاً او ضئيلاً فلا يستطيع اذ ذاك ادراكه بوضوح وانما يحسه . فقد يحس المتأمل في الالوان بصلة بين اللون الاحمر والذكورة وبين الازرق والانوثة ولا يستطيع ان يعلل ذلك الاحساس

هذه كلمة وجيزة في موضوع تقارن الافكار الخطير الشأن لم نر بدّاً من ايرادها تمهيداً لدرس الذاكرة . ويكفي ان نتأمل قليلا في ذاكرتنا واحكامها لنتأكد وقوفها

على ذلك التقارن لا على قوة مستقلة . فلا يخفى ان سهولة التذكر في كل واحد منا تقف على شرطين رئيسين وهما :

أولاً قرب عهد الصور في الذهن أي كلما كان الحادث قريب العهد سهل تذكره

وثانياً تكرر تلك الصور أي كلما تكررت سهل تذكرها

فاذا سألنا أصحاب مذهب تقارن الافكار عن سبب وجود هذين الشرطين أجابوا انهما نتيجة ارتباط الصور العقلية بالمادة الدماغية . اذ لا يخفى ان بين العقل والدماغ ترابط متين فلكل من الظواهر النفسية حركة او اثر يقابلها في الدماغ . ولما كان الدماغ مقسوماً الى بقع وخلايا تقوم كل منها بوظيفة فتقارن الافكار ليس الا ايجاد اتصال او فتح طريق بين تلك الخلايا . فهذه الطريق الدماغية هي اشبه شيء بالطريق الارضية تزداد وضوحاً وبروزاً كلما استعملت وتطرقت

الذاكرة الجيدة وشروطها

فنرى مما تقدم ان قوة الذاكرة انما تنشأ عن تقارن الافكار وثباتها في المادة الدماغية . فالذاكرة الجيدة تستدعي شرطين :

اولهما ثبات الصور والافكار وما بينها من الاتصالات في الدماغ ولا بد لنا هنا من التسليم بان بعض الادمغة أقدر من غيرها على حفظ التأثيرات كان مادة الدماغ تختلف جودة باختلاف الناس ، فمنهم من تنقش الافكار في عقلهم كانها تنقش في حجر ومنهم من يكون النقش فيهم اشبه بالنقش في الماء . تلك فروق متأصلة في الادمغة وقد نجد احياناً اناساً ذوي ذاكرة غريبة ولكنهم محدودو المدارك . فميزتهم هذه انما تكون ناشئة عن استعدادهم الفطري . ولا سبيل الى تبديل ماجبل عليه المرء من هذا القبيل . ولكن من كان بفطرته ضئيل الذاكرة يستطيع تحسينها كما ترى في الشرط الثاني

ثانيهما عدد الافكار المتقارنة . فكلما كثرت الافكار والصور المقارنة لحادث معلوم سهل حفظه . فالطريقة المثلى بل الطريقة الوحيدة الناجعة لحفظ الحوادث انما هي ربطها أو اقترانها بصور وحوادث أخرى . وكلما تعددت المقرونات وتكرر ربطها سهل تذكر الحادث . لنفرض انك تريد أن تتذكر ميعاداً عينته لصديق لك في الساعة السادسة مساء . فلئلا يبرح من ذهنك ذلك ينبغي لك أن تسعى جهدك لربط

فكرة الميعاد بكل ما تستطيع ربطه بها من الامور والحوادث الاخرى . فتقول في نفسك مثلاً « الساعة ٥ ونصف سأكون في المحل الفلاني ومع الشخص الفلاني فاذا حضرت هناك وجب ان اذكر ميعادي مع فلان لاباحثه في موضوع كذا الخ . . . » والخلاصة ان سر الذاكرة الجيدة ليس الا السعي في ربط الامر الذي تريد حفظه بكل ما نستطيع ربطه به من الحوادث المختلفة . فكأن تلك الحوادث المترابطة سنارات ملقاة في مجرى عقلنا تعلق عليها الاشياء التي نريد تذكرها . فكلما كثرت تلك السنارات زاد احتمال تذكر الشيء . وبعبارة بسيطة نقول ان سر الذاكرة الجيدة هو التفكير في الشيء وأحواله وأحكامه وكل ما يتعلق به

ذاكرات لا ذاكرة واحدة

مما تقدم نستنتج نتيجة خطيرة الشأن . وهي انه لا يمكن تقوية الذاكرة على الاجمال وانما يمكن تقويتها في موضوعات مخصوصة فحفظك للاشعار مثلاً لا يقوي ذاكرتك في التاريخ مثلاً لانه يتعذر ايجاد روابط عقلية بين الايات والحوادث التاريخية وقد رأينا ان سر الذاكرة انما هو ايجاد تلك الروابط

قال ولم جيمس « ليس في الانسان ذاكرة واحدة وانما فيه ذاكرات متعددة » اي ان لكل موضوع أو جملة موضوعات متقاربة ذاكرة خاصة . والامثلة المثبتة لهذه الحقيقة كثيرة فمعظم الناس يتذكرون الاشياء المتعلقة باشغالهم بسهولة وقد لا يتذكرون أسهل الامور الخارجة عنها . بل انظر الى بعض العلماء كداروين وسبنسر فان قارئ كتبهم يدهش من مقدرتهم على حفظ الحقائق المذكورة فيها . وليس من المحتم ان تكون ذاكرتهم الفطرية من احسن الذاكرات . وانما نعلل مقدرتهم هذه بانصرافهم الى موضوع أو موضوعات متقاربة ما برحوا منذ حداثتهم يجمعون حوادثها ودقائقها واحكامها في ادمغتهم فاصبح دماغهم كالمخزن الواسع المنتظم اذا ما اتاه حادث أو تفصيل جديد عرف موضعه وادرك علاقته بالحوادث الاخرى فيضعه في مكانه

افضل الطرق للحفظ

لقد ابتكر كثيرون طرقاً مختلفة لحفظ ما يريدون حفظه وبعض هذه الطرق (أو ان شئت فالحيل العقلية) تباع او تدرس دروساً متتابعة في اماكن مخصوصة

وليس هذا مكان الافاضة فيها وانما نقتصر على مثال واحد يبين اسلوبها وهو طريقة لحفظ الارقام والتواريخ أساسها تعيين رقم لكل حرف ثم استخراج لفظ من الحروف المقابلة للعدد او التاريخ المراد حفظه . لنفرض مثلا ان أحدهم قد اتفق على جعل الالف بدلا من الواحد والباء بدلا من الاثنين الخ .. على هذا النحو

ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط	ي
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	٠

فاذا اراد مثلا حفظ تاريخ فتح القسطنطينية (سنة ١٤٥٣) اجتمعت لديه الاحرف التالية ا د ه ج ومجموعها يؤلف كلمة « ادهج » وقد يتفق أن تكون الكلمة المستخرجة ذات معنى أو شبه معنى فيسهل تذكرها وقس على ذلك . ومن هذا القبيل وضع العلوم المختلفة في قالب شعري

على أن هذه الطرق الميكانيكية جامدة وقد يكون ضياع الوقت الناشيء عن استعمالها أكثر من فائدتها وشتان بينها وبين الطرق العقلية . فطالب التاريخ الذي يريد حفظ السنة التي فتحت فيها القسطنطينية مثلا يستطيع الوصول الى غرضه بربط هذا الحادث بالحوادث التي تقدمته أو خلفته أو التي رافقته ربطاً معقولا يسترشد به الى معرفة السنة المطلوبة . على انه يجوز في احوال استثنائية الاستعانة بالطرق الميكانيكية متى كان الشيء المراد حفظه عسيراً ربطه بغيره كاستعمال كلمة vibgyor مثلا لترتيب الالوان التي تنشأ عند تحليل النور الابيض فان كل حرف من هذه الكلمة يقوم مقام لون أولها violet ثم indigo و blue الخ ..

لذلك ينتقد الاكثار من حفظ العلوم استظهاراً في المدارس لان ما يحفظ بهذه الطريقة يكون فاقد الارتباط العقلي وهو شرط ضروري لجودة الحفظ . وفي الغالب يفضل تحليل الاشياء المراد حفظها تحليلا عقلياً وبيان أسبابها ونتائجها وعلاقاتها مع غيرها الخ . . .

وخلاصة هذا البحث ان ملكة الذاكرة لا تأتي الا عن ملكة التفكير

تاريخ اللغة العامية

ومصدرها ومن كتب فيها

يرجع تاريخ اللغة العربية العامية الى صدر الاسلام أو قبله بقليل . فقد كانت اللغة العربية الفصحى في الجاهلية الى زمن الفتح الاسلامي غضة الشباب سليمة لم يعتورها تشويه ولم يشبها تحريف . وكان العرب يغارون عليها ويفاخرون بها فلم يتسرب اليها دخيل لعدم اختلاطهم بالامم من الاعاجم خوفاً عليها اللهم الاّ بعض قبائلهم ممن خالط الروم والفرس والعبرانيين والسريان والاحباش وغيرهم من الامم التي كانت تحيط بجزيرتهم . فكانت هذه المخالطات سبباً للتحريف والتصحيف والدخيل ولذلك هجرت لهجات هذه القبائل وسميت بلغات العرب الضعيفة أو المهجورة . ومن اقدم الادلة على كراهة العرب اللحن قول حاتم الطائي :

المهمُ ربي ورب المهم فاقسمت لا ارسو ولا اتمعّدُ

والرسو والتمعد هما ابدال الصاد زاياً كقولهم الزقر من الصقر . ولما جاء الاسلام لم يسمع عن الرسول أنه أنكر على احد من العرب اعوجاجاً في منطقه ، الا ما كان من ذلك الرجل الذي اخطأ في الكلام بحضرته فقال لاصحابه « ارشدوا اخاكم فقد ضل» . وقد بقيت العربية في ريعان شبابها الى اواخر عهد الخلفاء الراشدين ، فلم يكن ليغرب عن فهم احد في ذلك العهد شيء من الكتاب أو السنة يستوي في ذلك كل طبقاتهم

تولد اللغة العامية

فلما فتح العرب فتوحاتهم وانتشروا في الشام والعراق ومصر وفارس وشمال افريقية واتبع اهل هذه البلاد دين الفاتحين اضطروا الى تعلم لغة دينهم الجديد اذ لم يرد العرب ان يتعلموا لغات البلاد التي افتتحوها وكانوا يحتقرونها ويسمونها اللغات الاعجمية فوجب هجرها ، واعتبر ذلك في نهي الخليفة عمر فقد قال : « انها خب » أي مكر وخديعة . ومما ساعد العرب على ذلك ما كان لهم من قوة الفتح وكثرة النازحين منهم الى تلك البلاد . فكانت العربية لغة اهل الدولة (والناس على دين

ملوكهم) وقد صار استعمالها من شعائر الدين فهجرت الامم لغاتها والسنتها في جميع هذه الممالك واخذت في تعلم العربية لغة الدين والدولة ومن ثمَّ اخذ العنصر العربي يتغلب على عناصرها

ولما لم يكن للعرب مدارس يعلمون بها تلك اللغة ، وكان لابد من التفاهم بينهم وبين هذه الامم اضطر الخاضع ان يتعلم لغة الفاتح :

(اولا) ليعرف الدين الذي رضيه لنفسه

(ثانياً) ليحفظ علاقاته مع حاكمه . فتلقفها من افواه العرب المحيطين به واراد ان يحاكيها كرجع الصدى فعسر عليه فنطق بها بدون مراعاة طبعها ، وهذا هو بدء الفساد في اللغة العربية ، وتولد اللغات العامية

اللحن

وقد تسرب هذا الفساد الى السنة بعض العرب لهذه المخالطة ، فابتدأ اللحن ، وكان ابتداؤه في عهد عمر بن الخطاب ، ولكن العرب كانوا يستهجونه ، فقد روي ان عمر بن الخطاب مرَّ بقوم يرمون فاستقبح رميهم . فقال ما اسوأ رميكم . فقالوا نحن قوم « متعلمين» . فقال عمر لحنكم أشد عليَّ من فساد رميكم

ثم انتشر اللحن بعد ذلك لا سيما في طبقات الموالي والمتعربين لصعوبة تمييزهم بين احوال المثنى والجمع في النطق ، مما كان سبباً لاستنباط النحو ووضعه في عهد عليّ

وكان الخلفاء وعمالهم يشددون النكير على اللاحنين . ومما روي عن الحجاج بن يوسف الثقفي انه بعث الى عامله في البصرة ان يختار له عشرة رجال منها ، فاختارهم وبينهم كثير بن ابي كثير وكان عربيًا فصيحاً ، فقال كثير في نفسه ما أراني افلت من الحجاج الا باللحن . فلما استدناه الحجاج وقال له : ابن من انت ؟ قال كثير : انا ابن ابا كثير» . فزجره الحجاج واخرجه من حضرته قائلاً : اعزب لعنك الله ولعن من بعث معك . فتخلص كثير بهذه الحيلة

فاللحن أو ملاحظة اواخر الكلمات اعراباً وبناء هو اول ما اهمل من اللغة العربية لان ذلك لايتم لغير العربي الا بالدرس والتعليم . ولما لم يتيسر ذلك للعامة وكان لامندوحة لهم عن الكلام نطقوا بالكلمات وقفاً على آخرها ، فلم يؤثر ذلك في المعنى المقصود للمتكلم والمخاطب

التحريف والاعراض الاخرى

وقد بقيت اللغة العامية في القرن الاول والثاني تقريباً قاصرة على اللحن وبعض التحريف ، وقد رأينا ان اللحن قد اشتركت فيه العامة وبعض العرب ممن خالطوها ، أما التحريف فانه من خصائص العوام فهو لا يقع الا من الاعاجم أو المولدين أو الموالي وغيرهم من العامة ، وسبب التحريف ان العامي كان همه في اول الامر ان يتلقف الكلمة من فم العربي حتى اذا فهم معناها بمساعدة او اشارة او غيرها اعتقد انه حفظها فتخونه ذاكرته لانها لم تألف مثل هذه الكلمات ، فاذا فهم معنى جملة وأراد التعبير عنها بألفاظ عربية غلب عليه تركيب لغته فقدم وأخر وأضاف بقدر ما يمكنه من الفهم ، وكما اهتم الاولون باستنباط النحو لاصلاح اللحن كذلك عني العلماء قديماً وحديثاً برد العوام عن تحريف الكلم ، وأشهر من الف في ذلك من المتقدمين ابن قتيبة ، فقد عقد في كتابه أبواباً ثمينة في رد المحرف الى أصله ، وسيأتي الكلام على من الف في هذا الموضوع بعد ، ومن الاعراض التي نشأت في اللغة العامية عن التحريف : الحاق الشين باواخر الكلمات للاستفهام والنفي أو جعل هذه الشين بدل شيء كقولهم « مافيش » أي ما في شيء ، وكسر أحرف المضارع ما عدا الهمزة وهذا العرض يشبه التلتلة في لغة بهراء وهم يكسرون أحرف المضارعة مطلقاً . وقد سكنت بهراء هذه مصر العليا وكانت منازلها بجوار البحر الاحمر ثم انتشروا ما بين الحبشة وصعيد مصر وغلبوا على النوبة ، الى غير ذلك من الاعراض الكثيرة

ثم تلي التحريف في اللغة العامية التصحيف والنحت والقلب والابدال والحذف والزيادة وما شاكل ذلك ، فالنحت هو عبارة عن جعل كلمتين كلمة واحدة كالبسملة في بسم الله وكقولهم (بدَّلعدِي) وهي كلمة تصدر من النساء وأصلها منحوتة من قولهم الدعاء على العدو ، وذلك كثير في لغة العامة . أما القلب فهو تقديم أو تأخير أحد حروف اللفظ الواحد مع حفظ معناه أو تغييره تغيراً طفيفاً كقولهم (مِزَبْلَحْ) وصفاً لقليل الادب في الكلام واصلها « مزحلب » قال في الجمهرة فلان مزحلب اذا كان يهزأ بالناس

أما الابدال فهو ابدال حرف او اكثر من كلمة بحرف يقرب منه في المخرج ، والابدال يقع كثيراً في الفاظ اللغة العامية فلا تكاد تخلو منه لفظة ، فمن ذلك ابدالهم

القاف همزة في لهجة سكان القاهرة وبعض البلاد والاقاليم كالفيوم ، وابدالها جيماً في الاسكندرية والصعيد وكثير من بلاد الوجه البحري ، ومن ذلك قولهم (مَطَعَ) بمعنى ذهب وولى مسرعاً وأصله (مَتَعَ) قال في اللسان : ومتع بالشيء ذهب به يمتع متعاً ، و (نغز) في نخس وزغرط في زغرد وشفط في سفت وغيرها

واذا راجعنا كثيراً من كلمات اللغة العامية وجدنا ان العامة سارت مع الطبيعة في اختيار الاسهل ، فالسكون في آخر الكلمة اسهل من الحركة والحركة بالكسر اسهل نطقاً من حركة الفتح ، والنطق بالهمزة والدال والتاء والضاد اقرب لهم من النطق بالقاف والذال والثاء والظاء ، وبكلمة تؤدي المعنى أوفر من جملة تؤدي ذلك المعنى . فنطقت باواخر الكلمات التي تلازمها حركة ساكنة كما هو معلوم وبأداة التعريف بكسر حركة الحرف الاول منها وقالوا دَهَبْ في ذهب وتابت في ثابت وضهر في ظهر وسمعتش في هل سمعت شيئاً

وبالاجمال ان اللغة العامية تتركب من اصلين : (الاول) اللغة العربية الفصحى ، وهي القسم الاكبر فيها اذ ان اكثر الالفاظ العامية ليس الا الفاظاً فصيحة طرأت عليها الطوارئ والتغييرات الماضية من تحريف وابدال ونحت وغيره كما مرّ

و (الثاني) الدخيل او المعرب عن اللغات الاخرى وهو اقل من القسم الاول بما يقرب من ربع اللغة العامية ، فمن هذين القسمين تألفت هذه اللغة ونشأت ، وقد ساعدت الامية على نشوءها ، فبتباعد الاجيال وفشوّ الامية ثم الانفصال بين اللغتين العربية والعامية ، ففسدت هذه ووصلت الى ما هي عليه الان في عصرنا الحاضر . وكلما بعدت المواصلات تفرد اهل كل اقليم بلهجة خاصة وهذا هو سبب تعدد لهجات العامة في البلدان العربية المختلفة . هذا وقد تكلمنا عن القسم الاول من اصول الالفاظ العامية فلنتكلم عن القسم الثاني

الدخيل او المعرب

الدخيل او المعرب عن اللغات الاخرى هو اما عرّبه العرب وأخذه العامة عنهم فحوروه ولاكوه بالسنتهم ، أو اخذه العامة انفسهم مباشرة عن هذه اللغات بالمعاشرة والاختلاط باهلها . وقد حفظ العوام في لغتهم ألفاظاً كثيرة من كل الامم التي اختلطوا بها ، فبقيت في لغة العامة في مصر كلمات من جميع لغات الامم التي حكمت

مصر او انتشرت فيها في جميع العصور القديمة او الحديثة نتيجة لهذا الاختلاط وأثراً لذلك الفتح ، فقد أخذوا عن اليونانية واللاتينية والقبطية واللغات السامية والفارسية والتركية والايطالية والفرنسية والانجليزية وغيرها من اللغات التي شاعت في مصر في عهد استعمارها أو انتشارها فيها كلمات بقيت في لغتهم حتى الان ، وقد أصبحت هذه الكلمات لا يكاد يفرق بينها وبين الالفاظ العربية

فكلمة (فرتلا او فرقلا) أي السوط أصلها لاتيني « flagellum » بهذا المعنى، وكلمة (فانوس) اصلها يوناني « Fhanos » وكذلك كلمة (ترياء او ترياق) فان اصلها « Theriaque » الى غير ذلك من الكلمات اليونانية والرومانية الكثيرة التي بقيت الى اليوم

أما القبطية فقد حفظوا عنها كلمات كثيرة فمن ذلك كلمة (كاط) اي دور او طبقة بلغة اهل الاسكندرية فان أصلها في القبطية « Kôt » اي بناء او طبقة من البناء. وكذلك كلمة (كاني ماني) ماني بمعنى الخلط في الحديث فانها من القبطية (كانى) أي السمن و (ماني) أي العسل ، و (دكان الزلباني) وهو الذي يصنع الفطير المشهور بالزلابية ومن عادته خلط السمن بالعسل

بل اننا نرى في اللغة العامية اوزاناً سامية فمن ذلك كلمة (هاتم) أي اعطوا بدل « هاتوا » في اللغة الفصيحة فان هذه الميم وهي علامة الجمع في فعل الامر في اللغة العامية مأخوذة عن اللغات السامية فانها علامة الجمع في الفينيقية ، وكذلك النسبة في الفاكهة فانهم يقولون (فاكهاني) بدل « فاكهي » في اللغة الفصيحة ، كما يقولون (حلواني وحمصاني الخ) فان هذه النسبة مأخوذة عن اللغة الارامية

أما الفارسية فاخذوا عنها : كلمة (سمبسكة) واصلها « سمبوسق » وكلمة (أشكره خبر) فانها بالفارسية « آشكار خبر » . ومعنى الكلمة الاولى ظاهر وبيّن . وكذلك كلمة (برشت) فان أصلها « نيمبرشت » (نيم) اي نصف و (برشت) اي مستوٍ، والعامة يقولون بيضة برشت اذا شويت نصف شيء . وغير ذلك كثير من الالفاظ الفارسية التي دخلت في اللغة العامية

أما الاتراك فقد تركوا في مصر كما تركوا في غيرها من البلدان التي طال حكمهم فيها كسوريا والعراق آثاراً عديدة من لغتهم تستعمل عند العامة الى الان فمن ذلك : كلمة (ضرب باطة) هي في اللغة الفصيحة « سبهل » اي اقبل وادبر في الطريق لغير شيء

أو طلباً للتفسح فان اصلها بالتركية « أولطه » اي الذهاب والمجيء في مكان واحد . وكلمة (يغمه) للنهب والسلب فانها بالتركية « يغما » بهذا المعنى . وكذلك كلمة (هوبس) فانها بالتركية (هوز) ، ومن الغريب ان كلمة « هوز » هذه محرفة عن حوض العربية

أما الطليان فقد اخذوا عنهم كلمات عديدة في العصر الاخير ككلمة (روبابيكيا) اي الثياب والاشياء العتيقة فان أصلها بالايطالية « Roba vecchia » وكان العرب يسمونها « الثياب الخليع » كما ترى في المقريزي وغيره ، وكذلك كلمة (استبينا) اي اتفقنا فانها في الايطالية « Sta bene » اي الحال طيب . وكلمة (كرّو) اسم العربات المعروفة فهي عند الطليان « Carro »

وقد اخذوا عن الفرنسيين كلمة (بازابورت) « passeport » وكلمة (نونو) اي صغير يقولونها للاطفال وهي فرنساوية عامية « Nounou » كما اخذوا عن الانكليز كلمة (ورشة) فان أصلها عندهم « Workshop » ، وكلمة (دوكار) وأصلها « dog-car » ، كما اخذوا عن الالمان كلمة (برطمان) الاناء الفخار فانهم يكتبونها « Bartmann » ومعناها الرجل ذو اللحية لانهم كانوا يصنعون هذا الاناء في القرنين ١٦ و١٧ للميلاد ويجعلون غطاءه على هيئة وجه رجل ذي لحية طويلة

المؤلفون في اصلاح اللغة العامية

وقد انتبه كثير من اللغويين والمؤلفين منذ القرن الثاني للهجرة الى أصلاح اغلاط العامة فألفوا في ذلك الكتب والرسائل الثمينة

فنهم من ألف في لحن العامة حينما كان ذلك منها قليلا حتى لا يتسرب الى الخاصة شيء منها كما فعل ابو عبيدة المتوفى سنة ٢١٠ في كتاب « ما تلحن فيه العامة » وهو من أقدم النحويين وسادتهم ، والمازني المتوفى سنة ٢٤٩ وأبو حنيفة الدينوري المتوفى سنة ٢٩٠ وأبو حاتم السجستاني وكلهم ألفوا تحت العنوان المتقدم . وكذلك كتاب « ما تلحن فيه العامة » لابي الحسن بن حمزة الكسائي وهذا قد وقف عليه الدكتور كرل بروكلمان في مجموعة تشمل عدة رسائل لغوية في خزانة كتب برلين فبادر الى نشره في المجلة الاشورية وقد طبعه في برسلو في ١٦ صفحة ، وكتاب « لحن العامة »

للفراء وكتاب « الفاخر » [١] للمفضل بن سلمة الضبي وهو في معاني ما يجري على ألسنة العامة في امثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب فيأتي بالمثل ويشرحه على نحو ما في كتاب مجمع الامثال للميداني ، وهؤلاء لم يتعدوا القرن الثالث للهجرة ولم يعدوا في صنيعهم الفاظاً حرفتها العامة ثم تعدوا ذلك الى التأليف في لحن الخاصة بعد ان فشا اللحن فيهم وكان يؤخذ به خواص الكتاب لا عوامهم لان هؤلاء صار اللحن لغتهم ، وكان ظهور ذلك ظهوراً بيناً في القرن الرابع فاخذ ناس من العلماء يتتبعون سقط الخاصة من المؤلفين والكتاب ويجمعون ذلك ويبرزون منه كتباً كما فعل ابو هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ في كتابه « لحن الخاصة » . والحريري صاحب المقامات في كتابه « درة الغواص في اوهام الخواص » وقد شرحه وعلق عليه كثير من العلماء كابن برّي بن عبد الجبار المتوفى سنة ٥٨٢ وحجة الصقلي (٥٥٥) وابن المظفر المكي (٥٦٨) وابن الخشاب النحوي وابو بكر الانصاري واحمد الخفاجي المصري وغيره . وقد طبعت الدرة وشرحها للخفاجي في مطبعة الجوائب . وقد قلّ التأليف بعد القرن الثالث في لحن العامة فألف في القرن الرابع ابو بكر الزبيدي الاندلسي المتوفى سنة ٣٧٩ كتابه « ما يلحن فيه عوام الاندلس » . ثم ابو الفرج بن الجوزي البغدادي بعد ذلك وسلامة بن غياض النحوي في اوائل القرن السادس ، ومحمد بن المعلى الازدي ، وابو هاشم بن محمد اللخمي المتوفى سنة ٦٠٠ وكذلك ابو منصور الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ في « التكملة في ما يلحن فيه العامة » وهي كالذيل لدرة الغواص وقد طبعت في ليبسك سنة ١٨٧٥ وتعرف ايضاً « بخطأ العوام » ، وكذلك كتاب « غلط الضعفاء » لابن برّي وقد طبعه الاستاذ توري C. Torrey في كتاب الابحاث الشرقية المقدم للاستاذ نولدكه ، وكتاب « الفصيح » لثعلب ، وكل هؤلاء العلماء قد اتبعوا في كتبهم هذه ان يذكروا الكلمة محرفة ويردفونها بذكر اصلها على صوابه . وقس على ذلك القول فيمن ألف في اصلاح اللغة العامية او الدخيل فيها وفي العربية بعد هذه العصور كما فعل الخفاجي في كتابه « شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل » وغيره الى ان ألف في ذلك المتأخرون كالمولى مصطفى بن محمد المعروف بخسرو زاده في كتابه « غلطات العوام » والسيد محمد صديق حسن خان بهادر

---

(١) منه نسخة في كتب الشنقيطي بدار الكتب السلطانية ونسخة اخرى من جملة كتب الاستاذ احمد زكي باشا

ملك مملكة بهوبال الهندية من أهل القرن الماضي في كتابه « لف القماط لتصحيح بعض ما استعمله العامة من الاغلاط » المطبوع على الحجر في بهوبال سنة ١٢٩٦ ومخائيل الصباغ في كتابه « الرسالة التامة في كلام العامة » المطبوع في استراسبورج سنة ١٨٨٦ م وغيره كثير فقد اهتمّ الادباء في مصر والشام وغيرها من البلدان العربية بهذا الموضوع في القرنين السالف والحاضر، واشتغل به نفر منهم ليس بالقليل كالشيخ طنوس الشدياق في كتابه « معجم الالفاظ العامية » والشيخ خليل اليازجي في كتابه « الصحيح بين العامي والفصيح » لكنهما لم يظهرا، والمرحوم حسن افندي توفيق العدل في رسالته الثمينة « أصول الكلمات العامية » المطبوعة في مصر سنة ١٨٩٩ و١٩٠٧ والاستاذ محمد اسماعيل في رسالته الزجلية المطبوعة في مصر سنة ١٣٠١ هـ التي أظهر فيها تمازج العربية بغيرها من اللغات والعبارات الركيكة ورشيد افندي عطية في كتابه «الدليل الى مرادف العامي والدخيل» وصاحب كتاب «التحفة الوفائية في اللغة العامية » المطبوع في بولاق، وصاحب كتاب «تبيين اللغات العامية » المطبوع في مصر في جزئين، والاستاذ حفني بك ناصف في كتابه « مميزات لغات العرب وتخريج العامية عليها » المطبوع في بولاق سنة ١٣٠٤، واقلوديس افندي لبيب في رسالته « مجموع الالفاظ القبطية المتداولة باللهجة العربية العامية » وكتاب « تهذيب العامي والمحرف » لحسن أفندي البدراوي (١٩٠٨ و١٩١٢) وكتاب « تهذيب الالفاظ العامية » للاستاذ محمد الدسوقي (١٩١٣) الى غير ذلك كثير من كتب المعاصرين وغيرهم في هذا الموضوع

أما المستشرقون فقد كتبوا في اللغات العامية كتباً هامة ولهم في ذلك مؤلفات ومجموعات كثيرة لضبط قواعدها ومعرفة اصولها او اصطلاحاتها ومن ذلك كتاب : « لغة مصر العامية » للاستاذ الدكتور نللينو الايطالي والاستاذ سيانكو فسكي الروسي، و « لغة مصر والشام وفلسطين» لفيليب وولف الالماني، و « لغة المغرب وتونس » لبعض علماء فرنسا برئاسة أحدهم ماشويل، و « لغة الجزيرة وما بين النهرين » لالياس برازين الروسي و « لغة حلب العامية » لبوريال الفرنسي وكتاب « الكلمات الارامية الدخيلة في العربية » لفرانكل فضلا عن المجاميع الاخرى في اللغات العامية ككتاب هوكداس في لغة الجزائر العامية وكتب برنيه وكوسن دي برسفال وسوتسين وغيرهم ممن يضيق المقام عن ذكرهم

عبد الفتاح عبادة

اسرى الحرب في سويسرا

نظام اعتقالهم وكيفية معيشتهم

في اواخر شهر يناير سنة ١٩١٦ اتفقت حكومتا فرنسا والمانيا على أن ترسلا الى سويسرا اسراهما المصابين بالامراض العضالة كي يعالجوا فيها حتى نهاية الحرب . ولم يتم هذا الاتفاق الا بعد مخابرات طويلة ومساعي جليلة قام بها المسيو هوفمان رئيس حكومة سويسرا وقداسة البابا والمسيو بول بو سفير فرنسا في سويسرا وغيرهم . فحق للانسانية ان تشكرهم وتشكر جمهورية سويسرا تلك الدولة الصغيرة الكريمة التي قامت بحقوق الضيافة والجوار وساعدت على تخفيف ويلات الحرب بانتشال أولئك الاسرى المصابين بالامراض من مخالب الموت وتوفير اسباب الراحة لهم والتطوع لخدمتهم وايوائهم

كيف تم هذا الاتفاق

ظلت المخابرات السياسية بين الدولتين جارية مدة عشرة اشهر قبل الوصول الى هذه النتيجة الحميدة . وحكومة سويسرا هي التي فكرت في هذا السعي اذ اخذ رئيسها المسيو هوفمان في شهر مارس من سنة ١٩١٥ يخابر المسيو بوسفير فرنسا في سويسرا فيما اذا كانت الحكومة الفرنسية توافق على ارسال بعض اسراها المرضى الى بلاد سويسرا حتى يتيسر لهم الشفاء فيها

فقبلت فرنسا هذا الاقتراح بفرح وامتنان ولكن المساعي التي بذلت لدى حكومة المانيا خابت . فقد رفضت هذه الدولة ان تعد — كما وعدت حكومة فرنسا — باعادة الاسرى الالمان الذين قد يهربون اليها من سويسرا

وفى بداية شهر مايو سنة ١٩١٥ عني قداسة البابا في الامر وتخابر مع المسيو هوفمان . وفي اواخر شهر يونيو سنة ١٩١٥ اقترح قداسته على الدولتين ارسال عشرة آلاف اسير من الحلفاء ومثل ذلك من الالمان والنمساويين الى سويسرا ولم يرد اليه الرد

من المانيا الا في شهر اغسطس سنة ١٩١٦ اذ اخبره الامبراطور غليوم بانه يقبل اقتراحه . وقد اخطرت حكومة سويسرا رسمياً ولكن الحكومة الالمانية عارضت امبراطورها في ذلك (وهو مما يستغرب له) ورفضت الاقتراح

كل ذلك لم يثن عزم المسيو هوفمان والبابا فاعادا الكرة وسعيا للتوفيق بين آراء الدولتين وحمل المانيا على الوفاء بوعد امبراطورها فنجحا اخيراً في شهر ديسمبر سنة ١٩١٥ اذ قبلت حكومة المانيا أن تتعهد باعادة من يهرب اليها من الاسرى الالمانيين الذين يعتقلون في سويسرا

وتقرر ان تكلف لجنة اطباء من المحايدين زيارة محلات الاسرى وانتقاء من هم احوج للمعالجة والعناية وتحددت انواع الامراض والعاهات التي يسري عليها ذلك . ووضعت حكومة سويسرا تحت تصرف الدولتين عشر لجان طبية تساعدها لجان وطنية لزيارة الاسرى وتعيين من يلزم تسفيرهم الى سويسرا ومن يقتضي ترحيلهم الى اوطانهم من ذوي العاهات . وقد بدأت هذه اللجان عملها في اول مارس سنة ١٩١٦

نظام الاعتقال

عند ما يصل الاسرى المعينون الى سويسرا يسلمون الى القسم الطبي في الجيش السويسري وهو يوزعهم على أماكن الاستشفاء المعدة لهم وهذه الاماكن تبلغ نحو المائة يدير كل مكان منها طبيب عسكري مسؤول أمام حكيمباشي الجيش السويسري . ويقوم بتسفير هؤلاء الاسرى الى سويسرا جمعيات الصليب الاحمر . وأما نفقات معالجتهم وسكناهم وغيرها فتقوم بها الدول المتحاربة وترسل لهم ملابسهم اللازمة لهم وفقاً لحالتهم المرضية ويجوز لعائلاتهم مكاتبتهم وزيارتهم والسكنى بالقرب منهم ولكن ليس لها الاشتراك في معالجتهم الا في احوال استثنائية

واليك الاجرة اليومية المقررة عن كل مريض من الاسرى :

٨ فرنكات عن كل ضابط مصاب بالسل

٦ فرنكات عن كل ضابط مصاب بغير السل

٥ « « صف ضابط او جندي مصاب بالسل

٤ « « « « « بغير السل

وقد اهتمت حكومة سويسرا اهتماماً يشكر بمسألة شغل اوقات هؤلاء المرضى كي لا يضر بهم الخمول والتقاعد ولا ينسوا الصناعات والحرف التي احترفوها. وأما ذوي الاشغال العقلية كطلبة العلم وغيرهم فقد تفننت الحكومة في ايجاد اعمال لهم تتفق مع استعدادهم وميولهم فانشأت لهم غرفاً للقراءة والمطالعة وأحضرت لهم الجرائد والمجلات وقد فكرت أخيراً بجمعهم في اندية خاصة تلقى فيها المحاضرات والخطب الادبية والعلمية

ونظراً لاختلاف مشارب هؤلاء الاسرى بأخلاقهم وتعدد اميالهم ولضرورة حفظ النظام بينهم ومنع أي شذوذ يبدو منهم اقتضى توقيع جزاءآت على كل من يخالف هذا النظام. وهذه الجزاءات تشمل التوبيخ والانذار وحجز المذنب في سريره وأصعبها اعادة المريض الى محلة الاسرى في الدولة التي أسرته. ولكن هذا العقاب الاخير قلما ينفذ لصرامته ويكتفي اولو الامر بوضع ذوي الاخلاق الفاسدة في منعزل عن اخوانهم لتأديبهم وذلك بمثابة سجن

والمرضى الذين يشفون يبقون في سويسرا الحين انتهاء الحرب

ومما يؤسف عليه ان بعض هؤلاء المرضى يفارقون الحياة لدى وصولهم الى بلاد سويسرا بسبب شدة امراضهم وخطورة جراحهم الا ان وجودهم في سويسرا بلد الحرية والحنان حيث يرددون أنفاسهم الاخيرة بين معارفهم وأقاربهم الذين يأتون لرؤيتهم من أوطانهم فضلاً عن مروءة أطبائهم وشهامة ممرضيهم كل ذلك مما يعزي قلوبهم الكسيرة ويخفف آلام الموت عليهم

المعيشة في محلات الاستشفاء

كما يأتي سويسرا فريق من هؤلاء الاسرى تنظر اليهم هذه الدولة الصغيرة بعين ملؤها الاخلاص والانعطاف ويستقبلهم أهاليها استقبال الاخوة والاصدقاء

ويكرمون وفادتهم ويزينون لهم المنازل والطرقات ويقدمون لهم الازهار والهدايا المختلفة وينشدون لهم الاناشيد الوطنية تعزية واكراماً لهم

وقد خصص لسكناهم الاماكن الجبلية الصحية ذات الهواء النقي المنعش وفرشت لهم هناك الفنادق الكبرى حيث توافرت اسباب الراحة والرفاهية ووضع نظام لمعيشتهم يتبعونه كل يوم في مأكلهم ومشربهم وأعمالهم بطريقة تضمن لهم تحسين صحتهم وترويض اجسامهم وعقولهم . ففي الصباح يعودهم الاطباء ويصفون لهم العلاج الشافي والحمامات (والدوش) وغيرها وفي الظهر يتناولون طعاماً مغذياً وافراً وبعد الظهر يخرجون زرافات الى البساتين والوديان والجبال لترويض أجسامهم وترويح نفوسهم وعند المساء يعودون لتناول العشاء وينامون مبكرين

لا يسع الانسان ازاء هذا المعروف الكبير الذي تقوم به حكومة سويسرا وعطف أهاليها على أولئك الضحايا الابرياء الا أن يطأطئ الرأس اجلالاً لتلك الجمهورية الصغيرة التي سلكت في حيادها مسلكاً شريفاً فلم تأل جهداً في تخفيف آلام الانسانية المعذبة في هذه الحرب الطاحنة ما استطاعت الى ذلك سبيلاً فاستحقت كل شكر وثناء

ومما يجدر ذكره ان الاسرى الفرنسيين والبلجيكيين الذين ارسلوا من المانيا الى سويسرا لغاية الآن بلغ عددهم نحو ١٢٠٠٠ ما بين جنود وضباط وملكيين

بين الضحك واللعب

أعطيت من أعشقها وردة ... من بعد ما أودعتها قلبي
فجعلت تنثر أوراقها ... بأنمل كالعنم الرطب
لا تسألوا العاشق عن قلبه ... قد ضاع بين الضحك واللعب

* * *

لم أقطف الوردة من غصنها ... لو لم تكن كالخد في الاتقاد
ولم تمزق هند أوراقها ... لولا اشتباه بينها والفؤاد

ايليا ابو ماضي

الدولة العثمانية

في لبنان وسورية

حكم اربعة قرون (١٥١٧ — ١٩١٦)

٢

جلس السلطان سليم الثاني على عرش بني عثمان (١٥٦٤ — ١٥٧٤) وفي نفسه من سوء التأثير مما عاناه والده من الشدائد في الحروب التي خاض غمارها ما حمله على الجنوح الى السلم . ثم تاقت نفسه الى الفتح وكانت قبرص أول هدف لمطامعه فاستفتحها سنة ١٥٧٠ عنوة بعد ان هلك في سبيل الدفاع عنها ٧٠ الفاً من حماتها الابطال في جملتهم ٣٠ الف (وقيل ١٨ الفاً) لبناني . وشعر بعجزه عن قهر النمسا بمن سلم من جيشه في فتحه هذا فصالحها على شروط جاءت في مصلحته . وحالف فرنسا أسوة بابيه . وانبرى لمنازلة البنادقة فقهروه وسحقوا اسطوله بمعاونة اسطولي اسبانيا ومالطة . ثم اعاد الكرة عليهم فاجتنبوا القتال وصالحوه سنة ١٥٧٤ وتخلوا له عن قبرص . وارغم الاسبان على الجلاء عن تونس بعد ان مثّل في اهلها تمثيلا فظيعاً كان خاتمة سيئة لملكه

﴿ سطوة بني عساف ﴾ وفي عهد هذا السلطان سادت السكينة النسبية انحاء لبنان وسورية . فاراد ان يريح باله من شرّ الفتن التي كان وزراء الدولة وعمالها في هذه الديار يضرمون نارها جرًّا للمغانم لينصرف الى الحروب التي اصلاها عليه البنادقة والاسبان وغيرهم. فاوصد دونهم باب السعايات وأمنت البلاد شرّهم ردحاً من الزمن. وفي ايامه عظمت شوكة الامير منصور عساف وتوطدت اركان سيادته فتهيّبه الامراء والحكام خوفاً من بطشه واجتنب الولاة التحرش به اشفاقاً على سلطتهم من سطوته. فتوافرت في هذه الفترة لمعظم اهل البلاد السورية اسباب الراحة والهناء ولم يقع فيها مما وقع في عهد السلطان سليمان من الحوادث المشؤومة الا ما كان ينشأ عادة عن جباية الاموال كما حصل سنة ١٥٧٢ في جبة بشري حيث هجر اهل سبع قرى اوطانهم على أثر فرض الامير منصور عساف عليهم ضريبة باهظة أثقلت كواهلهم ولم يكن له بدّ منها

لدفع المال المطلوب للخزينة السلطانية ولنواب السلطان

• أما في عهد خلفه السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ — ١٥٩٤) فعادت الدولة العثمانية الى شر ما كانت عليه من الاضطراب. فقد جلس على العرش وريح الفتن تهب في انحاء شتى من السلطنة فاضطر ان يسالم اوربا حباً في اراحة نفسه من مشاغل الحروب وويلاتها . فهادن النمسا وابرم مع فرنسا والبندقية عهدتين اعترف لهما فيهما بحقوق جديدة في سلطنته وألحقهما بعهدة اخرى ابرمها مع انكلترا . فعد الانكشارية جنوحه هذا الى السلم ضعفاً منه فعصوه مراراً وعظمت شوكتهم واحدثوا في السلطنة كثيراً من المشاغب والفتن التي ضعضعت احوالها وافضت بالسلطان الى صرف اذهانهم الى حرب خارجية يدرأ بها شرهم عن العرش . فحارب العجم واستفتح عاصمة الشاه وظلت الحرب سجالاً بينهما الى سنة ١٥٨٥ اذ عقد الصلح في مصلحة الدولة . ثم حارب النمسا سنة ١٥٩٣ وتراوحت كفة النصر بين الجانبين الى ان خلع طاعته الفلاخ والبغدان وترنسلفانيا فغلب على امره واضاع قسماً كبيراً من ممالكه الاوربية والبلقانية (١)

ولم تكن سورية في عهد هذا السلطان باحسن حظاً من سواها . فقد تفشى فيها داء الطاعون سنة ١٥٧٩ وحل الضيق باهلها واشتدت وطأة الغلاء حتى بلغ ثمن اردب القمح ١٥٠ قرشاً وهو ثمن فاحش جداً اذا قسناه على حالة البلاد في ذلك العصر وازى في قيمته النسبية ما بلغه في هذه الايام من الارتفاع في الديار السورية

﴿ تعاظم نفوذ بني سيفا وتضاؤل سطوة آل عساف ﴾ وكانت ايامه شؤماً على الامير منصور عساف فتذرع نوابه في سورية بما فعله باعدائه للحط من قدره لديه . ورأى السلطان ان يجعل طرابلس ولاية ويرفع شأن حاكمها بحيث لا يكون دون الامير منزلة ومقاماً فيضعف بهذا التكافؤ نفوذه وينحط شأنه فيأمن جانبه . فولى

---

(١) ان المعاهدات التي ابرمها سلاطين آل عثمان مع ملوك اوربا في القرن السادس عشر كانت أساساً لما احرزته الدول الاوربية في الممالك العثمانية من السطوة والنفوذ اللذين احتفظت بهما الى ايامنا هذه . وقد أحرزت الدولة الفرنساوية منهما ما عجزت دونه غيرها بدليل ما جاء في شروط العهدة التي ابرمها السلطان مراد الثالث مع ازابل ملكة انكلترا من انه سمح للسفن الانكليزية برفع العلم الانكليزي عند دخولها المرافئ العثمانية بعد ان كانت لا تدخلها الا وعليها العلم الفرنساوي

عليها يوسف باشا سيفا التركماني واوعز اليه بلسان نوابه ان يعمل على الحط من قدر ابن عساف جهد طاقته . فاضطهد ابن سيفا اعوان الامير ولا سيما الشدياق خاطر الحصروني مقدم جبة بشري وشريكه المقدم مقلد المعروف بالحسيناني من المقدمين العناحلة وكانا من خاصة هؤلاء الاعوان وأعظمهم شأناً في ولاية ابن عساف . ففرّ مقلد الى بلاد الشوف ومات هناك . ولجأ المقدم خاطر الى بعلبك وظل فيها الى ان اضطر سيفا باشا ازاء ما شهده من سطوة عشيرته وانصاره الى استرضائهم برده الى ولاية الجبة وجعل الشدياق باخوس بن صادر الحدشيتي شريكا له فيها (١)

---

(١) ان المقدمين في لبنان بلغوا من بسطة الجاه والنفوذ ولا سيما في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ما كان يضطر الوزراء والامراء أن يحسبوا لهم حساباً كبيراً . وقد اشتهر منهم في هذه الحقبة المقدم يعقوب بن أيوب الذي ولاه على جبة بشري الملك الظاهر برقوق فحكم ٦٢ سنة . وتعاقب اولاده واحفاده على ولايتها وهم المقدمون سيفا وقمر ومزهر وعبد المنعم الاول وعبد المنعم الثاني الذي توفي سنة ١٤٩٤ تاركا الحكم لابنه يوسف ابي المقدم البائس الذي دانت البلاد في عهده لصولجان بني عثمان (١٥١٧) وخلفه ابنه يوحنا المعروف بعبد المنعم الثالث فنازعه الولاية كمال الدين المعروف بابي عجرمه فقتك به عبد المنعم سنة ١٥٣٧ لكنه لم يستتب له الامر طويلا فانتقم منه الحمادية وبنو قمر من نصارى عين حليا وقتلوه غيلة مع اولاده وبذلك انقرضت ذرية المقدم سيفا وانتقلت الولاية الى آل قمر وسمي مقدموهم عناحله . واول من تولى منهم المقدم رزق الله ولاه على الجبة الامير منصور عساف فانصرف الى تعمير البلاد ووقعت بينه وبين اخيه عاشينا نفرة افضت به الى قتله ثم قتل رزق الله هذا بامر قاضي طرابلس سنة ١٥٧٣ فاقام الامير منصور عساف اخاه داعراً وعسافاً ابن اخيهما موسى مقدمين على الجبة . ثم قتل المقدم داعر بامر والي طرابلس وقتل المقدم عساف بامر الامير منصور وتولى البلاد أبو ساهب القبيعي وأساء التصرف فعزله الامير وولى مكانه المقدمين مقلد الحسيناني من العناحلة والشدياق يوسف أبا رعد المعروف بخاطر ابن الشدياق شاهين الحصروني بن الشدياق شاهين المشروقي الكبير الجد الاصلي لبني المشروقي الذين جاءوا من صدد الشرق الى جبة بشري في ولاية المقدمين سنة ١٤٧٠ وارتقوا الى منصب الحكم وهم خمسة فروع أصلية نشأ عنها كثير من الفروع الثانوية اتخذت اسماء مختلفة كبني الشدياق وعواد والسمعاني ومطر وفرحات وثابت ومسعد وبركات . وكان لهم شأن خطير في تاريخ لبنان . وقد تولى المقدم خاطر الى سنة ١٦١٢ وحكم بالاشتراك مع الشدياق باخوس الحدشيتي جد آل باخوس في كسروان ثم مع ابنه الشدياق فرج . وخلفه ابنه المقدم رعد فحكم بالاشتراك مع فرج هذا وخلف هذين المقدمين ابو علبا شلهوب الذي قتله الامير فخر الدين الثاني المعني مع ابيه عاشينا بعد ان ملأ البلاد فساداً وجوراً ومني بنو المشروقي على يده ويد سيفا باشا والي طرابلس بخطب جسيم ذهب باموالهم وارزاقهم واودى بحياة ثلاثة من ابناء المقدم خاطر

﴿ نكبة بني معن الاولى ﴾ ولم تطل بعد ذلك أيام الامير منصور عساف فتوفي سنة ١٥٨٠ وخلفه ابنه الامير محمد . اما يوسف باشا سيفا فلم يكد يبسم له الدهر حتى عزل عن ولاية طرابلس وعاد الى عكار . وحدث بعد ذلك ان عصابة من اللصوص سطت على خزينة السلطان في جون عكار ونهبتها . ونمي الخبر الى السلطان على وجه يوهم أن العصابة فعلت ذلك باشارة امراء الدروز وغيرهم من حكام البلاد وفي جملتهم الامير محمد عساف . فامر نوابه في مصر ودمشق وحلب بحشد جيش كبير لتأديبهم . فاجتاح جعفر باشا الطواشي بلاد عكار . وسد ابراهيم باشا والي مصر سبل النجاة على الدروز . فاشفق الامراء على سلطتهم من بطش ابراهيم باشا واستسلموا له . ولم يخلف الا الامير قرقماس المعني فلجأ الى مغارة جزين الشهيرة ودهمه وهو فيها مرض اودى بحياته . وكان له ابنان فخر الدين ويونس . ففرّ بهما الشيخ كيوان الديراني مدبر ولاية ابيهما الى كسروان حيث آواهما الشيخ ابو صقر ابراهيم الخازن الى ان انفرجت حلقات الازمة عن بني معن فعادا الى عبيه ونزلا على خالهما الامير سيف الدين التنوخي (١) . ولما بلغا اشدهما استعادا ولاية الشوف وذكرا جميل الشيخ ابرهيم الخازن عليهما فجعله الامير فخر الدين مدبراً لحكومته وجعل اخاه رباحاً

(١) يرتقي التنوخيون بنسبهم الى النعمان بن المنذر بن ماء السماء اللخمي ملك الحيرة . وهم ينتسبون الى تنوخ اشهر امرائهم الذي ارتحل بهم الى الجزيرة الفراتية واطلق اسمه على المكان الذي نزلوه هناك . ثم انتقل قسم منهم الى بر حلب . قال ابن العبري في النسخة السريانية من تاريخه ما مؤداه انه لما جاء الهادي الخليفة العباسي المعروف الى حلب خفوا لاستقباله في موكب عظيم استرعى نظره وشق عليه أن يظهروا بهذا المظهر البديع وهم نصارى وعددهم يناهز خمسة آلاف فارس فاكرههم على الاسلام واباه الليث أحد ابطالهم فقتله . وحدث بعد ذلك ان جابي اموال حلب انتهك عرضهم ففتك به نبا أحد امرائهم وارتحل بقبيلته الى لبنان حيث اختار لاقامته مكاناً يعرف الى اليوم ببرج نبا وخاف الذين تخلفوا عنه انتقام والي حلب وكانوا عشر قبائل فلحقوا به الى لبنان وتفرقوا من سواحل بيروت ببلاد الغرب والمتن وكانت مقفرة فاستعمروها . واشهر بني تنوخ علي باشا التنوخي الذي كان أغا الانكشارية في الاستانة وقد نبغ منهم الامير بحتر الذي حالف الامير معن وساعده على استعمار الشوف . وهو أبو الامير زهير التنوخي الذي حاصر الملك نور الدين زنكي صاحب دمشق وحالفه وحارب الافرنج ففتكوا بابنائه الثلاثة في حصن سرحمول . ومنهم الامير حجى الملقب بجمال الدين وقد انفق سني حكمه في محاربة هؤلاء الافرنج ومات سنة ١٢٠٤ . وتعاقب آل تنوخ على حكم بلاد الغرب

دهقاناً لاملاكه (١٦٠٠) وكان ذلك منشأ نجاح الخوازنة [1]

اما ابراهيم باشا والي حلب فسار الى عين صوفر وقتل من عقال الدروز ومشائخهم خمسمائة نفس . ثم واصل السير الى حلب مستصحباً الامراء الذين استسلموا له وفي جملتهم الامير محمد عساف ومضى بهم الى الاستانة فاكرمهم السلطان مراد واقرّهم على ولاياتهم

﴿ انقراض بني عساف وانتقال ولاية كسروان الى بني سيفا ﴾ وسنحت للامير محمد عساف فرصة للثأر لابيه من يوسف باشا سيفا فسار لقتاله سنة ١٥٩٠ وكان ابن سيفا يرقب حركاته لئلا يأخذه على غرّة فاوقعه في كمين نصبه له بين البترون وعقبة المسيلحة وقتله به وبدد رجاله . وبموت هذا الامير انقرضت سلالة بني عساف وانقضت ولايتهم بعد ان حكموا ٢٨٤ سنة . وضبط يوسف باشا أملاكهم وتزوج « أو الامير محمد سيفا » أرملة القتيل وفتك باعوانهم وفي

وفي جانبها ببيروت الى سنة ١٣٠٩ حيث فتك صهرهم الامير علي حفيد الامير علم الدين معن الرصطوني باولادهم لرغبته على انحيازهم الى حزب اليمنية وكان ذلك آخر عهدهم بحكم الغرب . وينتسب الى التنوخيين الامراء الارسلانيون من أصحاب الشوف وبنوا فوارس وهم الامراء اللمعيون اصحاب المتن وسيأتي ذكرهم

(١) ان الشيخين ابا صقر ابراهيم وابا صافي رباحاً هما ابنا الشدياق سركيس الخازن الذي انتقل سنة ١٥٤٥ من قرية جاج في بلاد جبيل الى البوار في الفتوح على عهد الامير منصور عساف . ثم انتقل الى بلونه ومات سنة ١٥٧٠ . وقد تبع من سلالة ابراهيم ابنه خازن المعروف بابي نادر ولاه الامير فخر الدين على كسروان وجبيل وجعلهما ارثاً لذريته من بعده وخلفه ابنه نادر المعروف بابي نوفل فاشتهر بالحكمة والوقار وتوقد الذهن والغيرة وعاصر الامير ملحم المعني ابن أخي فخر الدين وابنيه أحمد وقرقماس وكان له عندهم منزلة سامية . وهو الذي وهب الآباء اليسوعيين في عين طوره ارضاً أقاموا عليها ديرهم الشهير الذي افضى فيما بعد الى الرهبان العازاريين وبلغ من النفوذ وبسطة الجاه ما لم يبلغه سواه من الحكام الذين عاصروه . وقد انعم عليه البابا اسكندر السابع بلقب كافالير وجعله لويس الرابع عشر قنصلا لدولته في بيروت « ١٦٥٩ » وتوارث ابناؤه هذه القنصلية من أبي قانصوه فياض الى ابنه حصن الذي لقبه هذا الملك في البراءة التي اصدرها له بامير الموارنة الى ابنه الشيخ نوفل وهو آخر من تولى هذه القنصلية من بني الخازن . وقسم ولاية كسروان بين ابنائه الثمانية فتولوها من بعده وتركوها ارثاً لاعقابهم واخص ما امتاز به المشائخ الخوازنة حسن دفاعهم عن طائفتهم وشدة غيرتهم على مصلحتها وفي قيام حارسين منهم شاهري السيوف على باب الكنيسة عند انتخاب بطريرك الموارنة اشارة صريحة الى هذه الغيرة التي لاجلها لقبهم احبار رومية بحماة النصرانية في الديار السورية

مقدمتهم سليمان ومنصور حبيش فلجأ ابناهما يونس وحبيش الى الامير محمد بن جمال الدين اليمني في الشويفات وولي ابن سيفا مكانهما على غزير المشائخ الحمادية واستصحبهم الى طرابلس لبعض الشؤون وهناك أوجس شراً منهم فرأى أن يشغلهم عنه والقى بينهم وبين انسبائهم بني المستراح في جبة المنيطرة فتنة كبيرة أفضت الى قتل الشيخ قانصوه حماده وتبدد رجاله وبذلك تمّ لابن سيفا ما اراده من كسر شوكة الحمادية والتخلص من شرهم الى حين

وفي سنة ١٥٩٤ مات السلطان مراد الثالث وخلفه ابنه السلطان محمد الثالث (١٥٩٤ — ١٦٠٣) والسلطنة في اضطراب عظيم تحدق بها المخاطر من كل جانب والامر فيها للانكشارية وأعوانهم . فرأى أن خير ما يصنعه لدرء الخطر عن تاجه أن يقتدي بابيه فيشغلهم بالحرب . فحارب النمسا والفلاخ وجرت له معهما معارك هائلة لكنها لم تكن فاصلة . وانتقض عليه الجيش فردّه الى طاعته . واضطرمت نار الفتن في انحاء شتى من المملكة فعانى الشدائد في قمعها ومات وهي على هذه الحال من الفوضى والاضطراب (١)

﴿ الامير فخر الدين المعني الثاني ﴾ أما في سورية فظلت الفتن في عهد هذا السلطان على سابق عهدها من الشدة . وأشهر ما وقع فيها من الحوادث ان الامير فخر الدين المعني أوجس شراً من انتشار نفوذ بن سيفا واستفحال أمره وأشفق ان يناله من غدره وطغيانه ما نال الاميرين منصور ومحمد عساف . فنازعه ولاية كسروان وكسره سنة ١٥٩٨ عند نهر الكلب وانتزعها من يده ثم استرضاه ابن سيفا فردها اليه في السنة التالية وعاد الى الشوف . ثم عاد يوسف باشا سيفا الى التحرش بفخر الدين فقاتله ابن معن سنة ١٦٠٥ في جونيه وكسره شرّ كسرة وطرده من غزير وعهد بولاية كسروان الى الشيخ يوسف الاسلامي

﴿ نكبة الحرافشة ﴾ وفي سنة ١٦٠٣ اجتاح الامير موسى الحرفوش صاحب بعلبك جبة بشري ونهبها وهي يومئذ في عهدة يوسف باشا سيفا والي طرابلس فسار

---

(١) مما زاد موقف هذا السلطان تحرجاً وحال دون ظفره باعدائه طغيان الانكشارية واستبدادهم بالسلطة وشبوب نار الفتن في انحاء السلطنة ولا سيما في ولايتي قرمان والقرم وفي عاصمة السلطنة نفسها حيث استعان بالانكشارية انفسهم على رد العصاة الى طاعته . فكان عهده حافلاً بالفتن والحروب التي لم تخمد جذوتها حتى النفس الاخير من حياته

هذا الى بعلبك بخمسة آلاف مقاتل من رجاله ورجال الجبة ففر فريق من اهلها وتحصن الحرافشة في القلعة مع جماعة من أعوانهم ففتك ابن سيفا بمن بقي من السكان وأضرم النار في قرية الحدث وحاصر القلعة خمسين يوماً الى ان فتحها عنوة

سورية في القرن السابع عشر

انقضى القرن السادس عشر وتلاه القرن السابع عشر وعواصف الفتن والحروب تهبّ على عرش محمد الثالث من كل جانب . فكان عهده خاتمة سيئة للقرن الاول . وفاتحة مشؤومة للقرن الثاني . وخلفه ابنه السلطان احمد الاول (١٦٠٣—١٦١٧) وله من العمر خمس عشرة سنة والسلطنة في هذه الحال من الفوضى والاضطراب وشاه العجم يتهددها من الشرق وملك النمسا من الغرب . فانصرف أولا الى قمع الفتن التي كانت ناشبة في انحاء شتى من المملكة وظفر ببغيته . ثم حارب النمسا وقهرها ولكنه غلب على أمره في حرب الفرس فاضطر ان يصالحهم على شروط مجحفة بحقوقه . واجتمعت اسبانيا وأمارات ايطاليا ومالطة على محاربته فحطمت أسطوله . وجدّد حلفة الدولة مع فرنسا وبولونيا وابرم حلفة مع دولة الفلمنك فصان بهذه الحلفات ملكه وعزز دولته وهذا كان اسعد حظاً من أبيه وجده (١)

أما في سورية فقد جرت الحوادث في عهد هذا السلطان وسلفه على وتيرة واحدة . فجاءت فاتحة القرن الثاني لحكم بني عثمان فيها أشد خطراً وأوخم عاقبة من خاتمة القرن الاول حيث بدا للناظر في مفتتح هذا الفصل من المأساة التاريخية المفجعة التي لم يُرخ الستار عليها الى الآن أفظع مشهد دموي مثل على مرسح الشرق في تلك الحقبة من الدهر

واول ما يسترعي الانظار من الحوادث التي جرت في عهد السلطان احمد الاول انه في سنة ١٦٠٦ غزا نائب دمشق بلاد بعلبك وصاحبها يومئذ الامير يونس الحرفوش . فانجده الامير فخر الدين المعني برجاله وانقذه من شر الوزير وجنده .

---

(١) ان السلطان احمد الاول تخلى للفرس في الحرب التي شهروها عليه عن جميع الاصقاع التي افتتحها السلطان سليم الاول وخلفاؤه (١٦١٢) وهذا ماجرأ النمسا على محاربته وكان كسره لها سبباً في اجتماع اسبانيا ومالطة وامارات ايطاليا على تحطيم اسطوله وقهره . ولولا المعاهدات التي ابرمها مع الدول الاخرى (١٦٠٤و١٦٠٩و١٦١٢) لما استطاع وقاية عرشه من السقوط ، ولترك العرش لخلفه مزعزع الاركان متداعي البنيان

على ان الدرس الذي تلقاه نائب السلطان من ابن معن لم يكن كافياً فيما يظهر لارعوائه عن غيه فدهم الامير احمد الشهابي صديق المعنيين في وادي التيم فقاتله فخر الدين وهزمه الى دمشق

﴿ نكبة بني جنبلاط ﴾ وفي خلال ذلك كان علي باشا جنبلاط الكردي صاحب حلب [1] بلغ من سعة النفوذ وبسطة الجاه ما جعل سلطته في شمالي سورية فوق كل سلطة . وقد عصا السلطان واستأثر بالحكم المطلق من دونه . فعهد السلطان الى يوسف باشا سيفا والي طرابلس برده الى طاعته . وكان الامير فخر الدين المعني صديقاً حميماً لابن جنبلاط فهبّ لنجدته وكسرا عساكر ابن سيفا في جوار حماه شرّ كسرة . وعظم شأن الصديقين في الديار السورية حتى غلّا أيدي الامراء ووزراء الدولة فيها والقيا الرعب في قلوبهم . فاشفق السلطان ان يقضي نفوذهما واتفاقهما هذا على البقية الباقية من سيادته في البلاد فوطن النفس على محاربتهما لخضد شوكتهما واسترجاع السلطة منهما . غير ان الفتن التي عصفت ريحها في القسم الشرقي من السلطنة صرفت هم السلطان عن حوادث سورية الى حين . فعمد الى قمعها وعهد بهذه المهمة الى وزيره مراد باشا المعروف بقبوجي باشا . فزحف بجيش كثيف الى آسيا وكبح جماح العصاة ثم عاد سنة ١٦٠٧ الى سورية لاخضاع علي باشا جنبلاط فحاصر الشهباء وفتحها خدعة وأعمل السيف في من لم يستطع الفرار من أعوان العاصي وقهر جيشه وبدده ايدي سبا وعدده يناهز ٨٠ الفاً . وأمر الوزير بآل جنبلاط وفي جملتهم والدته وجواريه فبيعوا بيع السلع ثم لجأ هو الى الاستانة طائعاً فعفا السلطان عنه وولاه على احدى مقاطعات المغرب . وبعد ان أتم مراد باشا مهمته في حلب وأمن على سلطة الدولة في هاتيك الربوع من سطوة ابن جنبلاط عمد الى خضد شوكة صديقه الامير فخر الدين . واضطرته الفتنة الناشبة في الاناضول الى التعجيل في قمعها خوفاً من ان يندلع لسانها الى البلاد المجاورة فزحف بجيشه اليها سنة ١٦٠٨ . وانتهز ابن معن هذه الفرصة فنفحه بهدية مالية عظيمة القدر حملها اليه ابنه الامير علي فطاب الوزير

(١) يعرف علي باشا جنبلاط الكردي بجان بولاد . وهو ينتسب الى قبيلة كردية تلقب بقبيلة التفكجية . وهو جد آل جنبلاط في لبنان واليه ينتسبون . فان احد ابنائه فرّ على اثر تلك النكبة الى لبنان حيث لجأ الى صديق أبيه الامير فخر الدين المعني وصرف بقية حياته في الجبل وأقامت ذريته فيه الى اليوم وتولت الزعامة في احد حزبي الدروز الكبيرين (الجنبلاطية واليزبكية) اللذين تنازعا السيادة والنفوذ حقبة طويلة من الدهر

نقساً وخلع على الامير الشاب وأنعم عليه بولاية صيداء بعد ان ألحق بها ولايتي بيروت وغزير وهما ولايتا الغرب وكسروان

﴿ سفر الامير فخر الدين الى اوربا ﴾ على ان الايام لم تصفُ طويلاً لابن معن . ففي سنة ١٦١١ توفي مراد باشا وخلفه في الصدارة نصوحي باشا . فبعث اليه الامير بهدية مالية أردفها بهديتين من الصابون والانسجة اللبنانية الفاخرة . فاستقلّ الوزير ذلك بازاء هديته الى سلفه وأضمر له الشر

وكان ابن معن نصر الامير يونس الحرفوش والامير احمد شهاب على احمد باشا والي دمشق لدن اجتياحه بلاد بعلبك ووادي التيم ومحاولته رفع ولايتهما عنهما. وكان هذا الوالي من جهة أخرى عزل عمال عجلون ونابلس وحوران فثاروا ومدهم فخر الدين بثلاثة آلاف مقاتل أوقعوا بعساكر احمد باشا وأعادوا الى هؤلاء العمال اقطاعاتهم هذه . فنقم الوالي على الامير وأوغر صدر نصوحي باشا عليه وكان الوزير يتحين الفرص لصبّ جام نقمته على ابن معن . فصادفت وشاية الوالي هوى من فؤاده وزحف على سورية بجيش عظيم . وانضوى تحت لوائه ولاة الاناضول وحلب وطرابلس بعساكرهم وأعوانهم . واذ بلغ الى دمشق استسلم له الامير يونس الحرفوش والامير احمد شهاب وابنه حاكم وادي التيم . أما الامير فخر الدين فلم يركن الى الوزير وآنس من نفسه عجزاً عن مقاومة جيش السلطان . فالتمس العزلة في البرية . فاعترضه الامير احمد شهاب متناسياً فضله عليه وقطع الطريق على ابنه الامير علي وبدد رجاله . فجمع الامير فخر الدين أعوانه في الدامور واستفزهم للقتال فلم يفلح . واذ سدّت في وجهه أبواب الظفر أتى بعياله الى قلعة نيحا « شقيف تيرون » وحشد رجاله وأنصاره في قلعتي بانياس وشقيف ارنون بعد ان حصنهما أعظم تحصين . وعهد بحماية ابنه الى الشيخ عمر حاكم حوران وهو أحد العمال الذين استنصروه على والي دمشق يوم طردهم هذا الوالي من اقطاعاتهم على نحو ما قدمنا . ثم جمع مشايخ الشوف والمشايخ الخوازنة وغيرهم من أعوانه وفي جملتهم شقيقه الامير يونس وكاشفهم بعزمه على الرحيل الى اوربا ونصح لهم بالا يركنوا الى وزير السلطان ولا يغتروا بمواعيده وحثهم على الاتحاد والتآزر ليقووا على دفع الملمات عن بلادهم . ثم أبحر الى ايطاليا وبرفقته احدى زوجاته ومدبره الشيخ كيوان الديراني والشيخ ابو صقر الخازن [1] وانتقل

(١) قصد الامير فخر الدين الى توسكانا وكانت في ذلك العهد تحت ولاية ملوك فرنسا وبينه

الامير يونس بجماعته المعنيين من بعقلين الى دير القمر

﴿ نكبة بني معن الثانية ﴾ على ان ارتحال ابن معن عن لبنان لم يثن احمد باشا والي دمشق عن عزمه بل زاده قحة وجرأة على الاسترسال في غيه وتنفيذ غرضه في آله وأعوانه بمبادرتهم بضربة لا تقوم لهم بعدها قائمة . فولى حسين باشا سيفا على بيروت وشيخ مظفر عميد اليمنية على بلاد الشوف وابن البستنجي على صيداء — وهم ألد أعداء المعنيين . ثم زحف بمئة الف مقاتل على بلاد الشوف ليستتم نقمته منهم . وحصر قلعتي شقيف ارنون وبانياس مدة خمسين يوماً . فاستقتل حماتهما في الدفاع وأرغموه على رفع الحصار عنهما من غير ان يظفر منهما بطائل . فاذكى فشله هذا نار الغضب في صدره وأباح لعساكره اجتياح الشوف والتنكيل بسكانها . فهال ذلك الامير يونس المعني واسترضى الوزير بالمال فجلا بعساكره عن البلاد بعد ان ارتهن والدته ونفراً من خاصته ضماناً للمال الذي تعهد له به . غير انه لم يكد يهدأ روع الامير حتى اجتاح هذا الطاغية بلاد الشوف ثانية وأحرق دور المعنيين في دير القمر وفتك بمن كان هناك من أعوان ابن معن . فاعتصم الامير يونس بقلعة بانياس مع اربعمئة من وجهاء الشوف . وغزا الوزير وادي بسرة بقسم من جيشه فظفر الشوفيون به . ثم اعاد الكرة عليهم بجيش كبير فكالوا له ضربة اشد من الاولى فاشتد حنقه على بني معن وانصارهم وأطلق ايدي عساكره الى النهب والسلب واباح لهم اموال العباد وارزاقهم ودماءهم. فكانت مجزرة مريعة هائلة استمرت اربعة ايام متتابعة . ولولا مفاجئة هذا الطاغية نبأ اغتيال نصوحي باشا الصدر الاعظم وخوفه شر العاقبة لما رجع عن بلاد الشوف وفيها نسمة حية . وقد كان ما قدّره لنفسه من العقاب فعزل وجوزي على ما جنت يداه الأثيمتان

(البقية تأتي) « المسعودي »

وبين دوقها مودة يرجع عهدها الى الوقت الذي كان تجار هذه الدوقية يرتادون فيه الديار السورية للاتجار فيلقون من حفاوة الامير بهم وترويجه لمتاجرهم ما احكم صلات المودة بينه وبين اميرهم . فبالغ لذلك دوق توسكانا ورجال دولته في اكرام امير لبنان وعين له مرتباً وانزله في اجل قصور ليفورنو ووقف على خدمته حاشية كبيرة • ثم ام مقاطعة مسينا فاسبانيا فرحب به سلطانها واقام سنة في ضيافته ثم عاد الى توسكانا وسنحت له فرصة فركب البحر الى سورية لمشاهدة اهله ثم رجع الى توسكانا وبعد مدة عاد الى لبنان بعد ان اقام في بلاد الافرنج خمس سنين

سوق الزواج الملكي

١ — اسرة هوهنزلرن

﴿ الهلال ﴾ صدر في السنة الماضية كتاب في الانكليزية عن الاسر المالكة في اوربا وحوادث الغرام والزواج فيها بقلم الاميرة كاترين رادزيويل الالمانية الاصل التي قضت جزءا كبيراً من حياتها متنقلة من بلاط الى آخر فعاشرت الملوك والملكات والامراء والاميرات وجالستهم وعرفت ظواهرهم وبواطنهم . ثم دوّنت اختباراتها في الكتاب المتقدم ذكره فرأينا ان ننقل أهم ما فيه لانه يجمع بين التاريخ والفائدة. وستكون كل مقالة مستقلة عن المقالات الاخرى :

يرجع زواج الامبراطور غليوم الحالي الى مساعي البرنس بسمارك السياسي الشهير. ذلك أنه لمان كان الامبراطور لا يزال وليًّا للعهد أخذ البرنس بسمارك يبحث له عن زوجة ملائمة من الاميرات الالمانيات . وكان في مدينة كيال يومئذ أمير فقير يدعى الدوق فريدريك اوغستنبرج وقد فقد جميع املاكه ومقتنياته بعد حرب سنة ١٨٦٤ وكان له ابن واربع بنات اكبرهن الاميرة اوغسطا فكتوريا وهي التي اختارها بسمارك عروسة لولي العهد . فلما كاشف والدها في الامر أظهر ارتياحاً تامًّا ولا سيما لان بسمارك أمر بارجاع املاكه ومقتنياته التي كانت قد أخذت منه . ولما رأى وليّ العهد (الامبراطور غليوم الحالي) الاميرة اوغسطا فكتوريا أعجبته وأحبها ولم تكد تمرُّ بضعة ايام حتى تمَّ اقترانه بها

وكان البرنس بسمارك يعتقد انها ستكون صنيعته فيستخدمها كما يشاء . ولكنه ما عتم ان رأى أنه قد اخطأ لانها كانت شديدة التعلق بزوجها لا تفعل الا مايسرُّه ويرضيه . ومما وطّد مقامها في البلاط انها ولدت لزوجها عدة اولاد ربتهم تربية المانية بكل معنى الكلمة ونفخت في صدورهم محبة المانيا واعتبارها فوق كل مملكة أخرى وكانت تبغض فرنسا بغضاً شديداً وتكره كل ما له صبغة فرنسوية وتنتقد جميع الاميرات الالمانيات اللواتي كنّ يستجلبن ثيابهن من باريس بحجة ان ذلك ليس مما

ينشط الصناعات الوطنية أو يجعل سوقها رائجة . وقد سرّت هذه الاميال البرنس بسمارك سروراً عظيماً لانه كان يكره الاجنبيات وكل ماله صبغة اجنبية . وفي الواقع أن زواج الامبراطور الحالي كان دليل حكمة وبُعد نظر فان زوجته كانت اطوع له من بنانه وقد وكلت اليه اختيار نوع التربية التي يريدها لاولاده الامراء ولكنهما لم تكن تدع الفرصة تمرّ الا وتنفخ في نفوس اولادها وجوب الطاعة للامبراطور والتمسك بكل ماهو الماني . وقد نشأ جميعهم على حب الوطن وتقديس كل ما هو الماني لان امهم كانت المانية حتى في أدق الامور واتفهها . ولم تكن تجد صعوبة في تربية اولادها على ذلك المبدإ ولكنها كانت تشكو من عناد ولي العهد وشراسة طباعه . وقد كان هذا الامير مشهوراً منذ حداثته بطيشه ونزقه وكثيراً ما كان والده الامبراطور يحاول اخضاعه لارادته ولكنه كان شديد الرعونة قليل الروية لا يخضع لمشورة أحد وكثيراً ما كان يعترض على سياسة ابيه وينتقد سلوكه انتقاداً شديداً . فعلم الامبراطور والامبراطورة انهما اذا أهملاه وشأنه تعرّض للعوامل الرديئة فعزما على أن يزوجاه عند سنوح أول فرصة . ولكن الامر لم يكن يخلو من صعوبة لان الامبراطور كان منذ حداثته يكره الاميرات الاجنبيات ويفضل الالمانيات عليهن

ومع أن الاميرات الالمانيات كنّ كثيرات لم يكن بينهنّ من يرضى بها الامبراطور كنّة . على أن ولي العهد أصرّ منذ أول الامر على ان يكون له مطلق الحرية في اختيار من يشاء من النساء . وكان قد آلى على نفسه أن لا يقترن الا بمن يحبها ويشعر بميل اليها . وهكذا شرع يبحث عن اميرة توافق أمياله وعواطفه . ولا يخفى أن الحسن نادر في الالمانيات وهذا ما زاد المشكلة تعقيداً وكان الامبراطور والامبراطورة يعرضان على الامير كل يوم قائمة من الاميرات ليختار منهنّ من يشاء والامير لا يظهر ميلاً الى احداهن . وكانت الامبراطورة تخشى أن يختار زوجة لا تليق به أو اميرة لا تكون شديدة التعصب لجنسيتها الالمانية

واتفق ان دعي الامير مرةً لزيارة بعض اقاربه في مكلنبرج . وبينما هو هناك وقعت عينه على الاميرة سيسيل مكلنبرج شويرين اخت ملكة الدنمرك وكان عمرها

يومئذٍ نحو ثمانية عشر عاماً وعليها مسحة من الجمال وهي على جانب عظيم من الظرف والنباهة وفي عروقها دم روسي من جهة أمها التي كانت غراندوقة روسية وابنة اخت القيصر. وكانت هذه الاميرة قد نشأت في فرنسا مع امها الارملة فكانت اميالها ومشاربها فرنسوية الا ان ذلك لم يمنع ولي العهد من الوقوع في غرامها فعاد الى ابيه توًّا واخبره بانه قد وجد من يهواها قلبه

فاستاء الامبراطور لاول وهلة ورفض أن يسمح له بان يتزوجها ليس لانه لم يكن ثمت ما يرغب في عقد الزواج (فقد كان للاميرة مهر عظيم) بل لان الامبراطور كان يكره امها بسبب أميالها الروسية . الا أن ولي العهد أصرَّ على الاقتران بها فاضطر ابوه ان يوافق على ذلك ولكنه اشترط على الغراندوقة (والدة الاميرة) ان لا تعود الى برلين بعد زواج ابنتها

وفي الواقع ان البلاط الالماني اظهر احتقاراً كبيراً للغراندوقة ولكنها تلقت جميع الاهانات التي وجهت اليها بالصبر وعدم الاكتراث . ويقال ان عدم اكتراثها ثار سخط الامبراطور

وجرت حفلة الزواج بابهة عظيمة وكان ذلك يوماً مشهوداً في برلين . واظهر الشعب الالماني حبًّا شديداً لقرينة ولي العهد مع ما كان مشهوراً عنها من الجنوح الى المشرب الفرنسوي . الا أن تجار برلين واصحاب مخازن الازياء فيها حقدوا على الاميرة حقداً شديداً لانها كانت تأتي بجميع اثوابها من باريس ولا تشتري شيئاً من برلين

على اننا اذا استثنينا ذوقها فيما يتعلق بمسألة الثياب نجدها المانية بكل معنى الكلمة . وكثيراً ما كان تعصبها للجنسية الالمانية يخرج بها عن حد الاعتدال ويقال أنها أشد تطرفاً من زوجها فيما يتعلق بمسائل السياسة ولنها من اكبر مؤيدي الحزب الحربي في المانيا ومن أعظم أمانيها أن تسود المانيا على جميع الامم والشعوب . ولا ريب في انها تنظر الى المستقبل بعين الطامح الى المجد وتعلل نفسها بذلك اليوم الذي تصبح فيه امبراطورة المانيا وتتمنى لو أن جميع ممالك اوربا تكون يومئذٍ خاضعة لتاجها

ويشاع أن هذه الاميرة قد لعبت دوراً مهماً في هذه الحرب وكانت من أكبر العاملين على ايقاد جذوتها . وقد اكتسبت عطف الشعب الالماني كله لما أظهرته من الهمة والنشاط حتى لقد أصبحت أعمالها حديث القوم فزادتهم تأييداً لحكومتهم . ويقال أن مقامها لدى الرعاع أسمى من مقامها لدى الخاصة والعامة وهذا سبب شهرتها بينهم

ويقال ان الامبراطور غير راض عنها لانها ما فتئت منذ دخلت بلاط برلين تشي به الى زوجها وتؤكد له ان أباه قد شاخ وتطرق اليه الوهن فيجب انتزاع مقاليد السلطة من يده وادارة دفة الامبراطورية بحزم أتم في وسط الزوابع الحاضرة التي تهددها

ولا ريب في ان هذه الاميرة هي أشهر الاميرات الالمانيات وهي تعلم هذه الحقيقة وتبذل منتهى جهدها للاحتفاظ بمقامها . وهي صاحبة السيادة المطلقة في منزلها ولا يجسر زوجها ان يفعل شيئاً بدون استشارتها أو طلب معونتها . وهي ملمة بجميع دقائق السياسة تحب الاطلاع على كل ما يقع حولها من الامور . ولعلها أخبر أهل البلاط بما يقع في جميع انحاء الامبراطورية . على ان سلطتها على ولي العهد قد كانت شؤماً عليه وعلى الامبراطورية معاً . نعم انها تعرف أموراً كثيرة من شؤون السياسة ولكنها لا تستطيع ادارة دفتها حتى لقد قال عنها أحد الذين يعرفونها انها مع سعة اطلاعها لا تصلح للحكم لانها تسعى للحصول على رضى السوقة قبل رضى العامة

هذا واذا فسح الله في أجل هذه الاميرة فستجلس مع زوجها على عرش الامبراطورية وحينئذ يخلو لها الجو لتتعرض لشؤون السياسة بدون ان تجد أمامها من يقاومها . على ان الكثيرين من الالمان أنفسهم يقولون ان ارتقاء الاميرة الى العرش سيؤدي الى كارثة عظيمة لما هو معروف عنها من التعصب والعناد

ومن الامور المشهورة ان الامبراطورة وان تكن في الظاهر تجالس الاميرة وتحادثها تكرهها كرهاً شديداً وتفضل عليها زوجة نجلها الرابع الامير اوغسطوس

وليم وهي ابنة أختها . وعلى كل فانها لا تحجم كلما سنحت لها الفرصة عن اسماعها قوارص الكلم . ويقال انها (أي الامبراطورة) قد اثارت الشبهات في نفس الامبراطور وأوهمته ان ولي العهد يحاول ان يستأثر بحب الشعب كافة وأن يظهر بمظهر الكل في الكل. وهذا سبب الخلاف المستحكم بين الامبراطور وولي العهد. ويرجح أن عناد الامير هو الذي أدى الى فشل الالمان في ساحة فردون

معاني الحب

اله الشعر اسعدني بلفظ ... يُضمّن ما اريد من المعاني
فبين جوانحي معنى غريب ... يقصر عن صياغته لساني
وما بي عن طلاب اللفظ عجز ... ولكن هدّ ركني ما اعاني
معاني الحب ويحك يامعاني ... ملكت علي اسباب البيان
وجدت الحب اطلق لي لساني ... وقيد في مواضعها المعاني
فها انا ان اردت القول اشدو ... كأني طائر بين الجنان
وشدو الطير ليس له معان ... فقوما فاسمعاه أو اسمعاني
اذن لسمعتما انغام صبّ ... اسير القلب محاول اللسان
حبيبي كيف انت وكيف شطت ... بنا عنكم تصاريف الزمان
ظننتك قد دنوت وانت ناء ... وخلتك قد نأيت وانت دان
فهل هذا الذي القى امامي ... خيال صوّرته لي الاماني
بلى انت الذي يهواك قلبٌ ... طعين لا يمل من الطعان
فصوّب نحوه الالحاظ واقتل ... محبك بالجفاء وبالتداني

حبيبي ان لفظي قد عصاني

عبد اللطيف النشار

الكلب والانسان

— ٤ —

الحيوانات القابلة للكَلَب — مواطن الكَلَب — الاصل المعدي — مدة الحضانة — أدوار المرض وأعراضه في الكلب

يصيب الكَلَب جميع انواع الكلب والذئب والثعلب والدب والقِط والسبع والضبع والخيل والبغال والحمير والبقر والجاموس والابل والجمل والشاء والمعز والغزال والخنزير وابن آوى والفأر والارنب والطيور والدجاج

واصابتها تكون إما من طريق عقرها من حيوان مصاب بالكَلَب وإما من طريق تلقيحها بالاصل المعدي

أما الانسان فانه يصاب كذلك بالكَلَب من عقر حيوان كَلِب أو من وصول الاصل المعدي الى جسمه من طريق الاغشية المخاطية للعين والانف والفم، أو من وصول الاصل الى دمه من مثل لحس الجروح أو تناثر لعاب الكلب على بعض الفروح

وكثير من الناس من ماتوا بعد عقر الكلب ثم لم يُفطن الى اصابتهم بهذا الداء لان الكلب لم يكن قد ظهرت عليه اعراضه ولم تحم حوله شبهة ما ولكنهم ماتوا كَلِبين

ولقد يكثر انتشار الكَلَب بين الحيوانات آكلة اللحوم

ونسبته في ذكور الكلاب اكثر منها في اناثها بمقدار ½ وسبب ذلك ان ذكور الكلاب تحترم الاناث اثناء تهيجها الجنسي فلا تؤذيها بل تخرجها من دائرة النزاع ويحمل بعضها على بعض بالعض والنهش حتى يظفر بها الفائز المنتصر فلا تتسرب العدوى والحالة هذه الى الاناث في أغلب الاحيان اذا كان بين المقتتلة كلب كَلِب قبل ان تظهر عليه الاعراض

ونسبة المصابين من الرجال والاطفال اكثر منها في السيدات كذلك. لان الرجال اكثر احتكاكاً بالسابلة ذهاباً واياباً في الطرق واختلاطاً بالجمهور واشتغالاً بامور الحياة ولان الاطفال اكثر حناناً وحباً وميلاً لمداعبة الكلاب في الشوارع والمتنزهات مما يعرّضهم هم والرجال لخطر عقر الكلاب الكلبة

وقلة المصابات به من السيدات ناتجة من انهنَّ يصرفن كثيراً من اوقاتهنَّ في المنازل وبالنسبة الى ما يلبسنه من الغلائل المضمومة النسيج المفتولة الخيوط فاذا عقرهن كلب كلِب فان اسنانه لا تصل الى اجسامهن الا وقد صفرت من ذلك الاصل المعدي وتركته في ثنياتها . وذلك مايصدق أيضاً على الكلاب ذوات الشعر الغزير المتلبد

على انه ليس من المحتم ان كل انسان أو حيوان عقره كلب كلِب يصاب بالكلب إذ هناك جملة احوال قد تكون سبباً في منع العدوى فللذئاب مثلاً ميل طبيعي الى العقر في الاجزاء العارية من الجسم كالوجه والرقبة فاذا عقرت انساناً في مثل هذين الموضعين فاحتمال وقوع العدوى اكثر تأكيداً منها في حالما اذا عقرته وكان لابساً ملابس ثقيلة ودافع عن نفسه فعقرته في بطنه أو فخذه

وقد يعقر الانسان ويتسرب الاصل المعدي الى موضع العقر ولكنه لا يلبث ان ينزف فيخرج الدم مصحوباً بذلك الاصل . وقد يعقر الانسان ولكن من كلب قد كلَّت اسنانه وقلَّت حدتها واصبح نفوذها الى الجسم امراً عسيراً فان الاصل المعدي في هذه الحال قد لا ينفذ بل يبقى في ثنايا الثياب — وقد تصل الاسنان الى جسم المعقور ولكن بعد ان تخلو من ذلك الاصل كما تقدم ولذلك سقط معدل الاصابات الى النصف تقريباً كما يرى في الجدول الآتي

عدد				
١٨٣	من الكلاب	عقرتها كلاب كلبة فكلب منها	٩١ أي	٤٩٫٧٢ ٪
٧٣	« الجاموس والابقار	« « « « «	٤٥	٦١٫٦٤ ٪
١٢١	« الغنم	« « « « «	٥١	٤١٫٨١ ٪
٨٩٠	« الانسان عقرتهم	« « « . «	٤٢٨	٤٨٫٠٨ ٪
٤٤٠	« « «	ذئاب « « «	٢٩١	٦٥٫٩٩ ٪

أما في الظروف الملائمة فان كل عضة من كلب كلِب محدثة للكَلَب خصوصاً اذا كان العقر غائراً أو متعدداً أو كان في الوجه أو الرقبة أو في اجزاء قريبة من المخ .

مواطن الكلب

والكلب ليس مرضاً خاصًّا بمملكة أو طقس أو اقليم ولكنه يُرى كثيراً في المنطقة المعتدلة الشمالية ولا يُرى في استراليا وتازمانيا وجزيرة القديسة هيلانة وجزائر

ازورس ويندر وجوده في بلاد البرتغال وبيت المقدس وتركيا وقد شوهدت اصابات قليلة منه في بلاد العرب والحجاز ولم يثبت حتى الآن أكان يوجد في جهات القطب الشمالي أم لا

ويقول هيرانه انتشر في جنوب الارض الخضراء سنة ١٨٧٠ وشكى كلبه منه ونفق به وعلى كل حال فان الداء يستخفي في الممالك التي تلزم الحكومات فيها اصحاب الكلاب استعمال الكمامات

الاصل المعدي

ولم يستكشف الاصل المعدي لهذا الداء الى الآن بل أخفق جميع الباحثين فيما حاولوه وغاية ما وصلوا اليه بعد الجهد والدرس الطويلين والتجارب العديدة أنهم تمكنوا من معرفة أطواره وطبائعه وتأثيره في البنية الحيوانية ووقفوا على مكامنه من الاعضاء المصابة فيها ولم يفهم حتى اليوم ان كان من نوع الباسلس (Bacillus) أو الكوكس (Cocus) أو من غيرهما من تلك الاصول المعدية

ومن المؤكد انه يوجد في لعاب الكلاب الكلبة قبل ان تظهر عليها فواتح المرض بثلاثة أيام أو ثمانية وكذلك في مجموعها العصبي وقد يكون في الغدة الدمعية والبانكرياس وفي محتويات المعدة لبلع الحيوان لعابه . ولا تظهر أعراض الداء قبل ان يلبث الاصل المعدي في المجموع العصبي المدة الكافية لاحداث التغير الجوهري فيه ويوجد في عصير الغدة الدرقية وفي مخاط الشعب . وانكر بعض المؤلفين كل الانكار وجوده في الدم وقال آخرون بوجوده فيه في الاصابات الحادة المتقدمة ويوجد بالغاً أقصى شدته في النخاع المستطيل واذا امكن حفظ اللعاب من الجفاف ظل معدياً أحد عشر يوماً ويعيش في الماء من عشرين يوماً الى ثمانية وثلاثين يوماً ولذا كان الماء اذا ولغت فيه الكلاب الكلبة خطراً ومعدياً ولا يوجد في الكبد والطحال والنسيج العضلي وقد وجد في جثث المتوفين من البشر بعد اربعة واربعين يوماً ووجد في لبن سيدة مصابة به قبل ان تموت بيومين

مدة الحضانة

أما مدة الحضانة فهي الزمن الواقع بين العقر المعدي وظهور أوائل الاعراض

وتختلف قصراً وطولاً باختلاف انواع الكلاب وموضع العقر وتعدده وشكله وكمية الاصل المعدي الملقح به وحالة الطقس وبنية المصاب ومزاجه وهي على العموم كالآتي

الكلاب والقطط	من ١٥	يوماً	الى ٦٠	يوماً
الحصان والحمار والبغل	« ٢٠	«	« ٤٥	«
البقر والجاموس	« ١٤	«	« ٧٠	«

أما الانسان فانها تختلف فيه من الحيوانات كثيراً وهي عادة من ١٤ يوماً الى ٤٦ يوماً وقد تقصر الى ثلاثة أيام وتمتد الى سنة أو سنتين

وقد ذكر (لو) في الجزء الرابع من كتابه في الامراض المعدية صحيفة ٢٦٧ ان طالبين من طلبة مدرسة مونبليه عضهما كلب كلب وسافر أحدهما الى بلجيكا ولبث هناك عشر سنوات ولما رجع وسأل عن صاحبه قيل له أنه مات كلباً فظهرت عليه أعراض الكلب في الحال وتوفي. ولا شك أن هذه حالات نادرة لا يعبأ بها

ادوار المرض واعراضه في الكلب

للمرض ثلاثة أدوار: الدور الاول — والدور الهائج — والدور الصامت

وهذه الادوار الثلاثة تتتابع في بعض الاصابات وأحياناً لا يظهر الدور الهائج بتاتاً اذ يموت المصاب في بدئه أو يصادفه مقتل في غضون تكبده أو تكبد الدور الصامت مباشرة بعد الدور الاول. والكلب السلوقي والبلدج يتكبدان غالباً الدور الهائج

الدور الاول

أعراض هذا الدور يجب الالتفات اليها كثيراً لانها نذير الخطر المهلك فلا أقل من ان يأخذ الانسان الحيطة لنفسه قبل ان يستفحل خطر الكلب فيعقره أو يعقر ذويه أو جيرانه. ويمتاز هذا الدور بتغير أخلاق الكلب وحينئذ يجب الاشتباه فيه ويجب ان يشتد الاشتباه اذا كان قد ظهرت أي اصابة في وسطه الذي هو فيه

واول ما يلحظه الانسان في الكلب الكليب الكسل وفقد الشعور وعدم الاعتداد بالاشياء وقلة الانس وخمد الحياة فان كان المصاب وديع الاخلاق هادئ الطبع اصبح كثير التملق والانكباب على صاحبه بشكل غير عادي فيكثر من لمس صاحبه والالتفاف حوله ويتبعه ايما ذهب وحيثما اتجه وربما اعداه الداء وهو في هذه

الحالة فان كان كثير النباح انقطع نباحه دفعة واحدة او كان قليله ازداد فيه لغير اسباب ظاهرة او مفهومة . ثم تقل راحته وتكثر يقظته وتأثره وينزعج لاقل صوت ويبحث من حين الى آخر عن محل يرقد فيه يكون اكثر موافقة الى مشتهاه وتضل شهية طعامه فيأكل القش والاوراق ويلتقط الدبابيس والحصى والاحبال والخيوط والشعر فيزدردها ويزداد اجهاده وبحثه حتى اذا عثر بقطعة من الخشب او النسيج عضهما عضاً متواصلاً وقطعهما ارباً ارباً ويلحس الاشياء الناعمة الباردة كالرخام والبلاط واعضاء تناسله واذا نام تخير اظلم موضع في الغرفة فاذا اقلق تذمر وزمجر واذا ناداه صاحبه اقبل عليه بقلة اكتراث ووقف امامه بائساً تعيساً ترى في اثناء وجهه ظواهر الشكوى والالم وكأنه يطلب اليه ان يخفف من مصابه ويلطف ما يشعر به من الوجع

وقد يشاهد في موضع العضة منه شيء من الاحتقان والحكة ذلكما الامران اللذان يلجئانه الى لحس ذلك الموضع وخصه باسنانه حتى تهيج انسجته وتلتهب فتدمى . ثم تتغير معالم صوته فيصبح اجش ذا نغمة خاصة يشبه من بعض الوجوه صوت الاطفال المصابين بالمرض المسمى (كروب) اي الذبحة

والسامع لنباح الكلب الكلب يخيل اليه ان الكلب تائه في بادية سحيقة فيعتقد لاول وهلة ان هذا النباح ليس نباحاً عادياً بل صراخ استنجاد واستغاثة وفزع وردع من خطب مهلك وشعور بنزول مصيبة هائلة وهو في غضون نباحه هذا يشمخ بانفه ويعوي من اعماق حنجرته متبعاً ذلك بخمس او ست او ثمان مقامات متواليات الانخفاض من غير ان يطبق فمه . واذا لوحظ في هذه الحالة وجدت آثار الاوهام والخيالات بادية على وجهه وينظر يميناً وشمالاً في حال الباحث عن اشياء فقدها اتعبه واعياه البحث عنها ويزداد وسواسه وخصه بالسدول وتحت المقاعد وبين اثاثات المنزل ويقف احياناً وقفة المصغي لاصوات وهمية كأنه يسمعها فيهجم على مصدرها مرغياً مزبداً غير ملتفت الى ما يعترضه من الحوائل كحائط او شباك او غيرهما ويرجع الى رشده اذا نبهه صاحبه ثم يذهب لينام فلا يلبث أن يعتريه الدور ثانية فيستأنف تكبد تلك الاعراض

الدور الهائج

في هذا الدور تحتد تلك الاعراض السابقة حدة ظاهرة جلية ويزداد نباحه

الخاص وارقه وقلة راحته واوهامه ويقظته وتضطرب اعصاب الشم لكثرة استخدامه لانفه واستعمالها في البحث والتنقيب وينفعل من الاصوات والنور ومن النسيم العليل والهواء البليل ومن رقيق اللمس والتربيت ويضطرب اذا رأى غريباً . ويكفي لتهيجه واعادة هذا الدور في الكلب الاشارة اليه بعصا او نحوها واذا رأى كلباً قام من مرقده وبرقت عيناه وتجلى فيهما سوء القصد والشر وهجم عليه وعقره ولكن من غير نباح. وفي خلال هذا الدور يثلم اسنانه ويمزق لثته ويهتك الغشاء المخاطي لفمه من امعانه في عض الاشياء الصلبة كالحديد والحصى والحجارة وقد يقبض على الجمر فلا يحس ولا يشعر ويميل الى العض فان لم يجد ما يعضه عض نفسه ومزق جلد اطرافه وعضلاته وهتكها تهتكاً . ومع انه في هذه الحالة من الجنون فانه لايزال به شيء من حب المدافعة والذود عن النفس فيتقهقر الى الوراء عند رؤية النور الساطع والنار وتشخص عيناه وتمدد انسانهما فينعكس النور على الشبكة كاللهيب المشتعل ويزداد منظره توحشاً وتقوى فيه طبيعة الخوف والرعب . واذا رأى اصدقاء صاحبه نظر اليهم لحظة وكأنه مشفق على نفسه مما يجد وترى في عينه اميال من يريد بث الشكوى وعرض المظالمة وسوء الحال عليهم لعلهم يأخذون بيده وينتشلونه مما هو واقع فيه

أما الاغراب فانه يقابلهم بالاشتباه والشر ويقلب لهم بصره ويكثر من غمض اجفانه وفتحها ثم يميل الى الجولان فيترك المنزل هائماً على وجهه لا يلوي على شيء كأنه مسوق بسائق قوي لا يمكنه مقاومته ويعقر كل من صادفه من انسان او حيوان ثم يرجع ثانياً الى المنزل منهوك القوى قذراً باحثاً عن اظلم موضع فيه ليرقد قليلاً ثم لا يلبث أن يترك المنزل ثانياً فيجري في الطريق على غير هدى ولكن كأنه يقصد موضعاً معيناً وقد فاته الوقت فاذا قابله انسان ما عضه في الطريق ولو كان صاحبه وان صادفه كلب عقره فاذا سكت الكلب المعقور تركه وان قاومه او نبحه اشتد سخطه والقاه على الارض وامعن في عقره . وان قابل قطيعاً من الغنم او سرباً من الحيوانات عض بعضها فان قاومته عدا عليها جميعاً وان كانت هذه الحيوانات في زريبة ربما لا يفلت واحد منها بغير أن يعقره . ولهذا يجب على الانسان اذا صادفه كلب كلِب ألا يتحفز لضربه او مقاومته بل يجب عليه أن يقف ساكناً صامتاً فربما تجاوزه الى غيره ممن يرى انه ينوي اذاه او ضربه

والكلب الكلِب له ميل خاص لعقر الحيوانات التي من فصيلته اولاً ثم بني

بالانسان بعد ان يترك له فرصة كافية للهرب من شره . وفي هـذا الدور اذا اعترض الكلب الكلب جدول او نهير او ترعة عبرها سبحاً ويجوز أن يموت من كثرة التعب والاعياء او يصادف مقتلا أو يعود الى المنزل حيث لا يلبث فيه الا قليلا حتى يعوده الدور فيستأنف تلك الاعمال واذا حبس في قفص من حديد عادت اليه الاعراض ولكن في مسافة تقل عن تلك المسافات اذا كان طليقاً واكثر من عض قوائم القفص وكل شيء يلقى اليه يتلقاه بالعض والنهش . ويشاهد به احياناً اعتراض عسر الازدراد وكأنما هناك عظمة او قطعة من مادة صلبة معترضة بحلقة او متخللة بين اسنانه فيجتهد في اخراجها بيده ولكنه عبثاً يحاول ذلك وبالنسبة الى رؤية ذلك بوضوح وجلاء كان بعض الاطباء يشتبه في وجود اشياء غريبة في حلق الكلب المصاب فيدسون يدهم في فمه باحثين فيعقرون ويكلبون ويموتون ولكن ذلك كان طبعاً قبل ان تعتبر مظاهر عسر الازدراد الناتجة من التشنج الحنجري ومظاهر وجود اشياء غريبة عالقة بالاسنان والحلق من الاعراض الخاصة بهذا الداء وربما شابهت هذه الحالة اعراض التشنج الحنجري في الانسان عند اصابته بالكلب

الدور الصامت

في هذا الدور يخط المجموع العصبي وتخور قوى المصاب ويفقد حب الجولان ويرى دائماً باحثاً عن السكوت والهدوء ولا ينبح الا في اوائل الدور لشلل عضلات الدماغ وسقوط الفك الاسفل وبقاء الفم مفتوحاً فيجف غشاؤه المخاطي من تعرضه للطقس ويعلق به العثير والتراب فيكتسب لوناً أحمر قاتماً متكدراً قذراً ولا يميل الى العض والحقيقة انه لا يمكنه ان يعض نظراً لشلل فكه الاسفل ولعابه لا يزال في هذه الحالة معدياً قاتلا وسماً زعافاً . ويبتدئ الشلل في نصفه الخلفي متجهاً الى النصف الامامي وأحياناً تشل اولا احدى الارجل ويتبع ذلك شلل عضلات الوجه والاطراف وبقية الجسم . وأهم الاعراض في هذا الدور بقاء الفم مفتوحاً واندلاع اللسان وكثرة سيلان اللعاب وعدم القدرة على النباح او العقر ويزداد الانحطاط ويموت الكلب بعد يوم او ثلاثة أيام من هذا الدور

الدكتور حسن ذهني
طبيب مستشفى جمعية الرفق بالحيوانات بالقاهرة

بحث في النقد

— ٢ —

نظرنا في المقالة الاولى نظرة اجمالية الى هذا العلم الحديث فذكرنا شروطه وقواعده العمومية بلا اسهاب ولا تفريط ويعترف علماء النقد بهذه القواعد والشروط على مجملها ويمكن تطبيق معظمها على درس الآداب العربية . لذلك نعود اليها في وقت آخر ونفحص كلاً منها على حدته ونورد الآراء المتضاربة فيها . الا انه يجدر بنا قبل ذلك ان نطلع القراء على تفاصيل هذا العلم وتاريخه عند الامم التي درسته وبلغت به درجته السامية في هذا العصر

ففي هذه المقالة والمقالات التالية نذكر تطور النقد في اوربا منذ نشأته الى الآن وفي القرون الاخيرة خاصة اذ اخذت العلوم تتقدم بسرعة عظيمة اثر نزع العقائد القديمة التي رزحت الشعوب تحت اثقالها وأثر انتهاج العلماء منهجاً جديداً قوياً أدى الى انتشار المعارف والآداب بين الخاصة والعامة . ولكننا قد لانجني مباشرة من البحث في تاريخ ذلك التطور فائدة محسوسة تعيننا على درس آدابنا الا انه لا بد لنا من ان نعرف كيف تطور هذا العلم حتى نلم به الماماً وندرك مراميه البعيدة ثم نقف على أغراضه الحقيقية فنحيي في مداركنا ملكة النقد بعد ان كادت تموت بالترك والاهمال ولاسيما ان النقد علم مستحدث لم يطرقه كتابنا بعد ولم يُعن أحد العناية الكافية بنقله عن الافرنج

ومن الغريب ان نجهل النقد في هذا العصر أو ان نتعامى عنه ونحن في اشد الاحتياج اليه — نحتاج اليه لاخراج الآثار الادبية والعلمية التي خلفها لنا آباؤنا وخلدت ذكرهم بين الامم فلا يليق بنا ان نهملها ونتركها الى غيرنا ممن لايتكلمون بلساننا كاننا غير احياء فنكلفهم فحصها وابرازها لنا . فهل هنالك ما يمنعنا من اتباع خطة رشيدة في البحث والتمحيص ؟ أليس عاراً علينا ان يشتغل المستشرقون في علوم العرب ونحن غافلون عنها ؟ ان الاجيال القادمة لا تغتفر لنا تقصيرنا في اظهار الاسرار المدفونة طي كتب العرب وسيكون جرمنا مضاعفاً لانه كلما مرت الايام زادت صعوبة البحث في تلك الكتب وقد تأتي ساعة لن يتيسر فيها . فحصها فيجب علينا ان نتدارك ذلك الخطر وليتبصر أولو الالباب ويعملوا على ما فيه ابراز تلك الكنوز المكنونة واظهارها الى عالم الوجود

وليس يستغني الباحث في آثار الاقدمين عن الاستنارة بالعلوم الحديثة واتخاذ اساليبها . وعليه ان يطرح ما قد رسخ في ذهنه جانباً من المذاهب القديمة والعقائد الموروثة للسير الى الامام بقدم ثابتة وعزيمة لا تكل . فان تلك المذاهب والعقائد حجر عثرة في سبيل التقدم . ولم ترتق العلوم الاوربية الا بعد ان استقل علماء اوربا في الرأي عمن سبقوهم ونهجوا منهجاً جديداً ليس الغرض منه الا اظهار الحقيقة كما هي

لسنا ممن يقولون ان كل مستحدث جميل ولكننا نرى أنه ينبغي للعاقل الا يقابل كل جديد بالعداء والاستهزاء بل عليه أن يفحصه بلا اغراض فان كان حسناً قبله والا رمى به . فان الاصرار على القديم في كل شيء من دواعي التقهقر . وفي جمود العقل وتصلبه موت أكيد

النقد عند اليونان

كان لليونان الاقدمين ولع شديد بالشعر يتناشدونه في المحافل الرسمية والمجتمعات العمومية وكان للشعراء عندهم منزلة رفيعة وكذلك رواة الشعر . ومن هؤلاء طائفة كانوا يمرون بالمدن يتغنون بالقصائد الحماسية والاناشيد الوطنية وكانوا حيثما حلوا يستقبلون بالحفاوة والاكرام ولا سيما في البيوتات العريقة فغبطهم القوم بمنزلتهم ودب الحقد في قلوب الحاسدين فاخذوا يسلقونهم بألسنة حداد ويسمعونهم قارص الكلم ويلاقونهم بالتهكم والسخرية ينتقدون فيهم طريقة القائهم وحركاتهم واصواتهم واشعارهم . هكذا نشأ النقد في قديم الازمنة ، فقد كان اصله حسداً وضغينة . ولكن العقلاء كانوا في البدء يشمئزون من اقوال أولئك المتقدمين ولا يعيرونهم ادنى عناية . الا انهم ما لبثوا ان اعاروهم آذاناً صاغية لما جبل عليه الانسان من حب الحط من قدر نظرائه فصاروا يرتاحون الى تقدهم للشعراء والرواة وخصوصاً لان بعضه كان صحيحاً . فراج النقد وشاع شيئاً فشيئاً حتى صار الناس يتداولونه في مجالسهم

زد على ذلك ان الناس في المحافل الرسمية والمسابقات الشعرية كانوا ينتدبون الخبيرين في فن الشعر لاستماع منظومات الشعراء ونقدها وتقريظها والحكم عليها . وكانت هذه المحافل اشبه شيء بسوق عكاظ عند العرب حيث كان يجتمع الشعراء ويقرأون قصائدهم على مسمع من اساطين الشعر كالنابغة الذبياني وغيره . ولما تقدم فن النقد عند اليونان وارتفع شأنه صار الشعراء الفائزون في المسابقات يفدون على المجالس

الادبية يحمل كل منهم ديوان شعره والجائزة التي حصل عليها مع تفاصيل عن سيرته وملخص آراء النقاد في شعره . وظل النقد مدة طويلة مقصوراً على مجادلات شفاهية ولم يتجرأ احد على الكتابة فيه الى ان جاء ارسطو وهو اول من وصلت الينا اخباره من كتّاب النقد واول من ألف فيه على ما ذكره التاريخ . فاليونان اذاً اسبق الامم الى النقد

ولقد كان موضوع النقد في تلك العصور القديمة فحص الشعر من حيث تركيبه ووزنه وطلاوته وبلاغته واسلوب الشاعر في سرد الحوادث والوقائع . وكان التحيز لشاعر وتفضيله على شاعر آخر من أقوى اسباب المشاحنات فكل فريق كان يؤيد شاعره بالموازنة بين اقواله واقوال مناظريه كما كانت تتناظر القبائل عند العرب وتتفاخر بشعرائها . تلك كانت الخطوة الاولى التي خطاها النقد

قال ارسطو : ان الظواهر العقلية مثل الظواهر الطبيعية خاضعة لعوامل ونواميس خفية وانه لا بد للاعمال العقلية من قواعد واحكام تسير بمقتضاها . وقد استخلص هذه النظرية من درسه الكتب الشعرية والمؤلفات القامية . واشتهر ارسطو بحب الاستطلاع والفحص الدقيق وقوة التمييز فلم يقع نظره على شيء الا وشرحه تشريحاً علمياً ودرس اصله ومنشأه وسببه وقيمته ومنفعته وقابل بينه وبين غيره من نوعه وبحث عن الصلة التي تربطه بسائر الاشياء . وكان يصدر حكمه في كل موضوع يدرسه ولذلك فقد كان لمؤلفاته أثر عظيم في كل فرع من فروع العلم والادب وله في النقد مؤلفات كثيرة ضاع اكثرها . على أن ما وصلنا منها كاف للدلالة على مقدرته في هذا العلم

تأثير علماء الاسكندرية في النقد

وقد خلف ارسطو كتاب كثيرون في النقد ولكن لم يحز احدهم الشهرة التي نالها ونخص بالذكر زينو Zenon وابقور Epicure ولم يذكر التاريخ بعدهما احداً كتب في النقد الى انقضاء زمن الاسكندر . اذ اشتهرت الاسكندرية في عهد البطالسة واصبح لها شأن خطير في العلم والادب فقد حوت بين علمائها الكثيرين نفراً من الناقدين ابتدعوا نوعاً من النقد يرمي الى انتقاد الكتب من حيث لغتها واعرابها وصلتها بالكتب القديمة مما يضطر المنتقد أن يكون ملماً بآثار السلف عالماً باللغة والفقه (critique philologique) ولم يأت اصحاب هذا النوع من النقد بافكار جديدة ولكنهم وسعوا نطاقه واسندوا

اليه وظيفة البحث والتنقيب في الكتب القديمة وسنعود اليه في مقالة قادمة . ويكاد النقد عند العرب يكون مقصوراً على ذلك

ومن مشهوري كتاب النقد في الاسكندرية في عصر البطالسة اريستارك Aristarque وزوئيل Zoïle اختص اولهما بالنقد المهذب اللطيف السمح وعرف الثاني بالنقد القارص والذم والهجو . لذلك كان اليونان يهجون زوئيل . أما اريستارك فهو اول من قال بوجوب الحكم على الكتاب بالنسبة الى العصر الذي صدر فيه وعادات الشعب الذي كتب له وآرائه وعقائده . وقد سبق اريستارك كتّاب النقد العصريين في نقد الالياذة على النهج الحديث وله فيها آراء صادقة . ومن تلك التي يقرون له فيها ولتلاميذه بالفضل والاسبقية انشاء قانون الآداب اليونانية وهوسفر كان له مكانة رفيعة في حينه . وظلت الاسكندرية صاحبة النفوذ في العلوم والمعارف الى عهد اغسطس الامبراطور الروماني الشهير . وآخر كاتب في النقد ظهر في الاسكندرية دنيس هاليكارناس Denis d'Halicarnasse الذي نقل عنه بوالو الناقد الفرنسي كثيراً من آرائه

النقد عند الرومان

قد كان للآداب اليونانية تأثير شديد في الآداب اللاتينية وفضل الاسكندرية وعلمائها على الرومانيين عظيم . وكان النقد في مقدمة ما اقتبسوه ففي منتصف القرن الثاني كتب لوسيوس عوليوس ستيلو Lucius Æbulius Stilo (وهو من متخرجي مدرسة الاسكندرية) كتاباً وجه فيه انظار الرومانيين الى العلوم والآداب اليونانية وحثهم على درسها . ومن ثم عُني الرومانيون باليونانية ونقلوا شيئاً كثيراً من كتب اليونان . ومن جملة الكتاب الرومانيين في ذلك العهد قيصر القائد الروماني الشهير ويؤثر عنه قوله : يجب ان نعمل على اخضاع اللغة اللاتينية الى قواعد تسير بمقتضاها (ولم تكن قد بلغت اذ ذاك تمام تكونها) . وكانت مهمة النقد عند الرومان تهذيب الكلام وتنقيح اللغة ومعظم كتب النقد (ما عدا مؤلفات هوراس Horace وهو من فحول شعرائهم) في ذلك الوقت مقصورة على فن الخطابة وقد اشتهر الرومانيون في الخطابة اكثر من غيرهم . أما العلوم والآداب فلم ينالوا نصيباً كبيراً منها كما كان لليونان في حضارتهم لان الرومانيين مثل الاميركين اليوم لم يعنوا قط الا بالماديات ولان خشونة طباعهم وقسوة قلوبهم وبطء عقولهم لم تؤهلهم الى احراز العلوم

فاهملوا النقد الادبي وتركوا الى اليونان تحسينه وترقيته

ومن هؤلاء اليونانيين بلوتارك Plutarque وديون خريزوستوم Dion Chrysostome ولوسيان Lucien ولونجين Longin . ولهذا الاخير آراء غريبة منها قوله ان غرض النقد ليس البحث في القواعد والشروط التي يجب على الكاتب ان يتبعها ودرس تاريخ الآداب وتطورها بل هو ايضاح الطرق التي حداها السلف وكانت سبب نجاحه حتى يتيسر للكاتب محاكاتها ويجيد تقليدها . وعلى هذا الرأي يكفي ان ندرس طريقة امرئ القيس في الشعر أو طريقة ابن المقفع في النثر لنكتب مثلهما . وقد وقع في هذا الخطأ كثير من الكتاب الذين جاءوا بعده

النقد في القرون الوسطى

لم يمر على الانسانية عهد سقطت فيه العلوم الى الدركة التي وجدناها فيها اثر اضمحلال الدولة الرومانية . وقد طال هذا العهد ثمانية قرون تقريباً ظهر في أثنائها نفر قليل من الكتاب ليس بينهم واحد اشتغل في النقد، حتى في القرن الثالث عشر الذي زهت فيه العلوم بعض الزهو . وسبب انحطاط العلوم في تلك القرون انتصار القوة على الحق واخضاع الشعوب الهمجية للشعوب الراقية المتمدنة . وفي ذلك العهد اندمجت الامم المتباينة في العقائد والمشارب بعضها في بعض ونشأ عن ذلك تلاشي القوة المعنوية وزوال الصبغة الشخصية التي تميز آراء الافراد من آراء الجماعة. وقد ظهر ذلك جلياً في مؤلفاتهم حتى انك اذا قرأتها تعذر عليك أن تفرق بينها لشدة الشبه في النسق والافكار والاراء

قال بوفون : انما الانشاء هو الرجل . ولئن صح هذا القول في الغالب فانه بلا شك غير صحيح في درس آثار القرون الوسطى لانه لا يمكنك ان تعرف الكاتب في ذلك العهد لدى مطالعة كتبه اذ لا تجد فيها أثر الشخصيته فترى قصة رولان الفرنسية (وهي اشبه شئ بقصة عنتر عند العرب) تماثل قصة السيد الاسبانية وسائر القصص التي صدرت في ذلك الحين من نوعها . ولو قرأتها جميعها معربة الى لغة واحدة لتعذر عليك ان تميز بين واضعيها وان تفرق بينها . ويرجع ذلك الى ان الرجل في ذلك الوقت انما كان يعد جزءاً من القبيلة التي ينتسب اليها ولا حياة ولا قيمة له بدونها فكان يعيش ويعمل لاجلها لا لاجله . أما الحرية الشخصية والاستقلال الذاتي والنبوغ والشهرة

فكل ذلك كان مجهولاً لديهم . ولم تشعر الجماعات بحاجة الى تشعب الآراء بل اكتفت بالعقائد والتقاليد الشائعة فكان الكاتب كأنه صدىً لآراء الجماعة ولذا جاءت كتبهم مصبوغة بالصبغة الجماعية ولم يخرج عنها احد من الكتاب حتى الشعراء الغنائيون فلم يرووا شيئاً يعبر عما في انفسهم — ولا يخفى ان الشعر الغنائي ما هو في الحقيقة الا تعبير الشاعر عن خواطره وأحزانه وأفراحه . والجملة انه لم يظهر في القرون الوسطى مؤلفات ذات صبغة شخصية بل نهج جميع الكتاب منهجاً واحداً مستمداً من تأثير البيئة

قال احد علماء النقد : انما يظهر النقد اثر صدور المؤلفات الشخصية لان من يكتب كتاباً يضمنه شعوره وآراءه الخصوصية يجد من يحسده على شهرة نالها أو شعر أجاد في نظمه أو رأى حسن وفق الى استنباطه ، وقد يجد أيضاً من يقرظه . أما الذين لم يعبروا الا عن الشعور العمومي والآراء المتداولة بغير قصد الظهور فأولئك لا يجدون من ينتقدهم . ولذا لم تستدع حالة العلوم في القرون الوسطى وجود النقد

ويتبين لنا مما سبق ان القرون الوسطى كانت عائقاً منيعاً دون سير العلوم وتقدمها وهي أشبه شيء بحائط بين القديم والحديث . فجاء رجال النهضة العلمية وثقبوا في هذا الحائط منفذاً توصلوا منه الى منبع العلوم اليونانية فرووا العالم من مائه العذب بعد ان كادت الانسانية تموت ظمأً وجهلاً . وتضعضع العلوم في القرون الوسطى قضى عليها التاريخ بالهجر والنسيان . غير انه قبل زوال تلك العصور المظلمة ظهر في سمائها القاتمة كوكبان لامعان أرسلا الى العالم أشعة أعادت الى العلوم بعض الحياة احدهما دانتي Dante والآخر بترارك Petrarque وقد مهدا السبيل للادباء الشهيرين الذين جاءوا بعدهما

ودانتي المذكور شاعر ايتالي بعيد الصيت وايتاليا مدينة له بلغتها الحالية وباعظم قصة شعرية ظهرت بعد الياذة هوميروس وانيادة الشاعر اللاتيني فرجيل . أما بترارك فقد اشتهر بقصائده الغزلية ومباحثه في النقد اللغوي الذي ابتدعه نقدة الاسكندرية

النقد في عهد النهضة العلمية

لم يطرأ على الانسانية طارىء اثر في النفوس مثل النهضة العلمية التي قام بها أئمة العلم في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ولا يزال تأثيرها ظاهراً الى أيامنا هذه وفضلها على التمدين الحديث اشهر من ان يجهله احد

لما دخل السلطان محمد الاول القسطنطينية سنة ١٤٥٣ واكتسح البلاد اليونانية اضطر علماء اليونان الى مهاجرة البلاد لما عانوه من ظلم الاتراك فنزحوا الى ايتاليا مع ما امكنهم نقله من الكتب والآثار القديمة . وكانت ايتاليا في ذلك العهد امارات وولايات يتسابق امراؤها في تحصيل الآداب والفنون ويتفاخرون بما لديهم من الآثار الفنية والرجال العظماء — كما كانت تتنافس قبائل العرب بشعرائها وخطبائها . ولذا كان الامراء والحكام يسدون على اصحاب العلم النعماء ويجزلون لهم العطاء فلقي علماء اليونان في تلك البلاد الرحبة ما أنساهم الذل الذي تجرعوه عن يد الاتراك فانقطعوا الى الدرس وتفرغوا الى نشر العلوم والآداب . ونشأ عن احتكاك الايتاليين بأولئك العلماء ان اقتبسوا منهم معارفهم فنقلوها الى اللاتينية وكانت تلك اللغة متداولة في اوربا منذ خضوعها للرومان فانتشرت العلوم وعمت جميع الاقطار

ويعبر الافرنج عن النهضة العلمية في لغتهم بكلمة Renaissance وهو تعبير يوافق معناه فان هذه الكلمة مشتقة من فعل Renaître (الانبعاث ورجوع الحياة) وقد كانت النهضة العلمية في الواقع عقام حياة جديدة سرت في العلوم القديمة . فان رجال النهضة لم يبتدعوا العلوم والآداب التي دونوها بل نقلوها عن كتب الاقدمين .. وقد كانت العلوم في القرون الوسطى قبل النهضة في حالة يرثى لها كما ذكرنا وما اسرع ما اندثرت عند ظهور الكتب اليونانية وتداولها . وقد ساعد على رواج تلك الكتب واندثار آثار القرون الوسطى اختراع آلة الطباعة في ذلك الوقت اذ عني بطبع الكتب اليونانية القديمة دون سواها

وكان جل غرض النهضة العلمية اعادة الحياة الى الافراد وبث روح الاستقلال فيهم وانتشالهم من عبودية الجماعات التي كانوا رازحين تحت أثقالها والسعي للافراج عن ارواحهم المثقلة بالعقائد الدينية . ومن ثم أحس الفرد قوته وقيمته فلم يعد يخضع لاحكام الجماعة ودب فيه حب الشهرة وهي من دعام التقدم فطلب العلى وجد للوصول اليه فاخذت المعارف وجهة جديدة وصار الكتاب يكتبون بلا جزع ولا قيد يوضحون آراءهم جرئين غير حاسبين حساباً للجمهور وعقائده وآرائه . وقد أدت العلوم في اتجاهها ذلك المنهج الى احياء النقد واعادة سيطرته في عالم الادب

وقد نشأ عن الرجوع الى العلوم اليونانية وتقليد السلف في الكتابة ان شعراء النهضة اللمعية لم يقتفوا طريق من تقدمهم من شعراء القرون الوسطى الذين لم ينظموا

الا اشعاراً في تسبيح الله وتمجيده ولم يكتبوا الا قصصاً حماسية مثل قصة رولان وغيرها، بل اخذوا ينسجون على منوال شعراء اليونان مثل هوميروس وبندار وسافو وغيرهم ويتغنون بآلهتهم وحكمائهم حتى ان القارئ لدى مطالعة كتاباتهم يظن انهم وثنيون مثل اليونان القدماء . وقد تشرب الروح اليونانية كل من اشتغل في العلوم والفنون في ذلك العهد فكثيراً ما كان المصورون ينتخبون مواضوعات صورهم من حوادث الالهة اليونانية رغماً من تمسكهم بالعقائد الدينية وتحريم الدين على المؤمنين الرجوع الى الاصول اليونانية خشية على عقيدتهم ان تزول وعلى الوازع الديني ان يضعف . وقد عمد ارباب الفنون الى النقل عن الآثار اليونانية بالرغم من أئمة الدين الذين لم يغفلوا لحظة عن مساعدة رجال العلوم والفنون

ونظراً لتشعب الاصول اليونانية التي نقلوا عنها اقتضت الحال فحصها والفصل بين الغث منها والسمين . ومما يبرهن على شدة الحاجة الى هذا العمل خلط بعض الكتاب بين المؤلفات النفيسة وغيرها فكثيراً ما كانوا يفضلون شاعراً ضئيلاً على شاعر كبير . وقد وقع رونسار Ronsard (وهو اكبر شاعر فرنسي في ذلك العهد) في هذا الخطأ فوضع الشويعر ليكوفرون Lycophron في مرتبة هوميروس . فهب بعضهم لفحص المؤلفات المذكورة وترتيبها حسب قيمتها وهكذا نهض النقد في النهضة العلمية بعد رقاده العميق . وقد اقتفى النقاد في مباحثهم اثر نقدة الاسكندرية واول من كتب في النقد بترارك المتقدم ذكره . وعلى ذلك فقد كانت ايتاليا منشأ النقد في العصور الحديثة

م . ب .

﴿اول جريدة في اوربا﴾ طبعت اول جريدة في اوربا بمدينة ستراسبورغ سنة ١٦٠٩ وكان عنوانها (رواية الحوادث الكبرى التي وقعت او ستقع سنة ١٦٠٩ الحالية بالمانيا العليا والسفلى وبفرنسا وايطاليا وانكلترا وايقوسه وهنكاريا ومدافيا وتركيا الخ وتطبع هذه الحوادث بالصدق كما وردت الينا) وعلى اثر صدور هذه الجريدة الطويلة العنوان صدرت جملة جرائد دورية في برلين وفرنكفورت ثم صدرت اول جريدة انكليزية بلندن سنة ١٦٢٢ ثم اول جريدة فرنسوية بباريس السنة التالية وفي سنة ١٦٥٠ صدرت بالمانيا الجريدتان الاوليان اليوميتان وهما (جورنال دي كولونيا) و (جورنال دي لبسك) (عن تقويم مسعود)

مات اهلي

لجبران خليل جبران

أصدرت مجلة الفنون الغراء عدداً حافلاً سمته (عدد سوريا المنكوبة) جمعت فيه مقالات وقصائد لخيرة كتاب المهجر وزينته بالرسوم الجميلة. فرأينا أن ننقل عنها هذه المقالة البديعة

مات أهلي وأنا قيد الحياة اندب اهلي في وحدتي وانفرادي

مات احبائي وقد اصبحت حياتي بعدهم بعض مصابي بهم

مات اهلي واحبائي وغمرت الدموع والدماء هضبات بلادي وأنا ههنا أعيش مثلما كنت عائشاً عند ما كان اهلي واحبائي جالسين على منكبي الحياة وهضبات بلادي مغمورة بنور الشمس

مات اهلي جائعين، ومن لم يمت منهم جوعاً قضى بحد السيف، وانا في هذه البلاد القصية أسير بين قوم فرحين مغبوطين يتناولون المآكل الشهية والمشارب الطيبة وينامون على الاسرّة الناعمة ويضحكون للايام والايام تضحك لهم

مات اهلي أذل ميتة، وانا ههنا أعيش في رغد وسلام. وهذه هي المأساة المثبتة على مرسح نفسي

لو كنت جائعاً بين اهلي الجائعين، مضطهداً بين قومي المضطهدين لكانت الايام أخف وطأة على صدري، والليالي أقل سواداً أمام عيني. لان من يشارك أهله بالاسى والشدة يشعر بتلك التعزية العلوية التي يولدها الاستشهاد، بل يفتخر بنفسه لانه يموت بريئاً مع الابرياء

ولكني لست مع قومي الجائعين، المضطهدين، السائرين في موكب الموت نحو مجد الاستشهاد، بل أنا ههنا وراء البحار السبعة أعيش في ظل الطمأنينة وخمول السلامة. أنا ههنا بعيد عن النكبة والمنكوبين ولا استطيع أن افتخر بشيء حتى ولا بدموعي

وماذا عسى يقدر المنفي البعيد ان يفعل لاهله الجائعين

ليت شعري ، ما ذا ينفع ندب الشاعر ونواحه !

لو كنت سنبلة من القمح نابتة في تربة بلادي لكان الطفل الجائع يلتقطني ويزيل بحباتي يد الموت عن نفسه

لو كنت ثمرة يانعة في بساتين بلادي لكانت المرأة الجائعة تتناولني وتقضمني طعاماً

لو كنت طائراً في فضاء بلادي لكان الرجل الجائع يصطادني ويزيل بجسدي ظل القبر عن جسده

ولكن ، واحر قلباه ، لست بسنبلة من القمح في سهول سوريا ، ولا بثمرة يانعة في اودية لبنان . وهذه هي نكبتي . هذه هي نكبتي الصامتة التي تجعلني حقيراً أمام نفسي وأمام اشباح الليل

هذه هي المأساة الموجعة التي تعقد لساني وتكبل يدي ثم توقفني بلا عزم ، ولا ارادة ، ولا عمل

***

يقولون لي — ما نكبة بلادك سوى جزء من نكبة العالم ، وما الدموع والدماء التي اهرقت في بلادك سوى قطرات من نهر الدماء والدموع المتدفق ليلاً ونهاراً في اودية الارض وسهولها

نعم . ولكن نكبة بلادي نكبة خرساء — نكبة بلادي جريمة حبلت بها رؤوس الافاعي والثعابين — نكبة بلادي مأساة بغير اناشيد ولا مشاهد

لو ثار قومي على حكامهم الطغاة وماتوا جميعاً متمردين لقلت أن الموت في سبيل الحرية لاشرف من الحياة في ظلال الاستسلام . ومن يعتنق الابدية والسيف في يده كان خالداً بخلود الحق

لو اشتركت امتي بحرب الامم وانقرضت عن بكرة ابيها في ساحة القتال لقلت هي العاصفة الهوجاء تهصر بعزمها الاغصان الخضراء واليابسة معاً ، والموت تحت اقدام العواصف لاشرف منه بين ذراعي الشيخوخة

ولو زلزلت الارض زلزالها وقلبت ظهر بلادي صدراً وغمر التراب اهلي واحبائي

لقلت هي النواميس الخفية تتحرك بمشيئة قوة فوق قوى البشر فمن الجهالة ان نحاول ادراك اسرارها وخفاياها

ولكن لم يمت اهلي متمردين ، ولا هلكوا محاربين ، ولا زعزع الزلزال بلادهم فانقرضوا مستسلمين

مات اهلي على الصليب

ماتوا واكفهم ممدوة نحو الشرق والغرب وعيونهم محدقة بسواد الفضاء

ماتوا صامتين لان آذان البشرية قد أغلقت دون صراخهم

ماتوا لانهم لم يحبوا اعداءهم كالجبناء ، ولم يكرهوا محبيهم كالجاحدين

ماتوا لانهم لم يكونوا مجرمين ، ماتوا لانهم لم يظلموا الظالمين ، ماتوا لانهم كانوا مسالمين

ماتوا جوعاً في الارض التي تدر عسلاً ولبناً

ماتوا لان الثعبان الجهنمي قد التهم كل مافي حقولهم من المواشي ومافي اهرائهم من الاقوات

ماتوا لان الافاعي اولاد الافاعي قد نفثوا السموم في الفضاء الذي كانت تملؤه انفاس الارز وعطور الورود والياسمين

***

مات اهلي واهلكم ايها السوريون ، فماذا نستطيع ان نفعل لمن لم يمت منهم؟

ان نواحنا لا يسد رمقهم ، ودموعنا لا تروي غليلهم

اذن ماذا نفعل لننقذهم من الجوع والشدة ؟ هل نبقى مرتابين ، مترددين متكاسلين ، مشغولين عن المأساة العظمى بتوافه الحياة وصغائرها ؟

ان العاطفة التي تجعلك ، يا اخي السوري ، ان تعطي شيئاً من حياتك لمن يكاد ان يفقد حياته هي هي الامر الوحيد الذي يجعلك حرياً بنور النهار وهدوء الليل

وان الدرهم الذي تضعه في اليد الفارغة الممدودة اليك هو هو الحلقة الذهبية التي تصل ما فيك من البشرية بما فوق البشرية

العائلة والمنزل

كيف نعيش — ٩

وصايا صحية اقرها معهد اطالة الحياة في اميركا

٣ — المأكولات اليابسة والضخمة الحجم والنيئة

لا يكفي ان تحفظ النسبة في الطعام بين المواد البروتينية والمواد الدهنية والنشوية (كما ذكرنا سابقاً) بل هناك شروط أخرى يجب أن يستوفيها الطعام

فمن ذلك أنه يجب تعاطي المأكولات الناشفة التي تحتاج الى عمل الاسنان كالقسم اليابس من الخبز والخبز المحمّى والبسكويت الناشف والفواكه الجامدة ونحو ذلك . فان هذه الاصناف فضلاً عن كونها تمرّن الاسنان وتقويها فهي تساعد على افراز اللعاب في الفم والعصارات في المعدة . ولا ريب في أن تجنب الاصناف اليابسة في مقدمة الاسباب التي تتلف الاسنان لدى المتمدنين . وبعكس ذلك أهل البادية الذين يعيشون قريبين الى الطبيعة ويضطرون الى استخدام اسنانهم فانهم يحفظونها جيدة شديدة

ثم أنه ينبغي أيضاً تعاطي مأكولات ضخمة الحجم . فان معظم الاصناف المتداولة متكثفة الغذاء في حجم صغير . وفي مقدمة ما يجعل للمأكولات حجماً مادة السليلوز أي الالياف الخشبية (وهي المادة الاساسية في تركيب النبات) وقد وجدوا انه ينبغي للفرد أن يتناول اوقية سيلوز في اليوم . وهو موجود في كثير من انواع الفاكهة والخضار كالخس والسبانخ والكرفس والهليون والقرنبيط والكرنب والقمح والشمندر والبصل والكوسه والخيار والطماطم وغيرها

وقد ارتكب بعض طالبي الاصلاح في مسئلة الطعام غلطاً فاحشاً في حضهم على انتخاب الاصناف الكثيفة الغذاء والصغيرة الحجم وسعيهم لتموين الجنود من المأكولات الصناعية المستجمعة للمواد المغذية دون غيرها . على أن حجم الطعام ضروري للانسان

وكذلك ليس من الحكمة تجنب المأكولات النيئة كافة فان بعض الاصناف متى طبخت تفقد من خواصها الطبيعية ولا سيما ما يسمى الفيتامين التي هي ضرورية للانسان وتوجد في قشرة الحبوب وخصوصاً الرز وفي صفار البيض واللبن غير المطبوخ وفي الفواكه والخضار وهي نيئة وخصوصاً الحمص واللوبياء وما شابههما . وقد ثبت ان الجسم متى حرم من الفيتامين يصاب احياناً بامراض معينة كمرض بري بري والاسكربوط أو يصاب بضعف عام . فبناء عليه ينبغي تعاطي بعض الانواع النيئة للحصول على هذا العنصر الحيوي الذي قد ثبت لزومه للجسم وان لم تعرف بعد جميع خواصه ، كالخس والطماطم والكرفس والفاكهة والقلويات والحليب (النيء)

أما الحليب فليس المقصود تعاطيه نيئاً اذ قد يحمل جراثيم مختلفة وانما ليس من الضروري ان يسخن كثيراً حتى لا يفقد الفيتامين الموجود فيه . ويمكن تطهير اللبن على طريقة باستور من دون ان ترفع حرارته الى اكثر من ١٤٠ الى ١٥٥ درجة من ميزان فارنهيت (اي حول ٦٤ درجة من ميزان سنتكراد)

على ان هناك أصنافاً لا تصلح للاكل الا بعد طبخها ومن هذا النوع أغلب المواد النشوية كالبطاطس والحنطة

ثم انه يجب الانتباه الى مسئلة تطهير الاصناف التي تؤكل نيئة اذ لا يخفى ما قد تحمله من الميكروبات . ويحسن كثيراً قبل تعاطي تلك الاصناف ان تغطس في محلول بروكسيد الهيدروجين (على نسبة ٥ في المئة) مدة تتراوح بين ٣ و ٥ دقائق

وفضلا عما تقدم يحتاج الجسم ايضاً الى بعض المواد كالحوامض النباتية والاملاح (ولا سيما املاح الكلس والفوسفور والحديد) . وتوجد هذه المواد عادة بكميات مختلفة في معظم المأكولات المتداولة

٤ — لوك الطعام

لا ريب في ان السواد الاعظم من اهل هذا العصر يسرعون في الاكل . ولعل اسباب ذلك قلة المأكولات الناشفة التي تضطر الانسان الى لوكها واللجاجة الناشئة عن معيشة المدن وكثرة المشاغل . ومتى اصلح هذا الخلل وتعلم كل واحد أن يلوك الاكل لوكاً جيداً تكون الانسانية قد خطت خطوة واسعة في سبيل تحسين الصحة والمراد باللوك الجيد لوك الطعام الى درجة أن يزدرده الانسان من تلقاء نفسه

وهو لا يشعر وليس القصد منه حفظ الطعام في الفم بلا داع ما أو عدّ اللوكات أو نحو ذلك من الطرق الصناعيــة التي تضيع لذة الاكل . وأنما الغرض أن يتجنب الانسان دفع الطعام الى معدته سواء كان الطعام جامداً أو سائلاً ، اذ ينبغي جرع السوائل جرعات صغيرة كما ينبغي لوك الجوامد وتنعيمها جيداً

أما اضرار الاكل السريع فكثيرة اليك أهمها :

قلة استعمال الاسنان والفكين (ومن ثم تطرق الخلل الى الاسنان وتساقطها)

قلة اللعاب الممزوج بالطعام (ومن ثم نقص الهضم ولا سيما في المواد النشوية)

عدم تنعيم الطعام (ومن ثم بطء الهضم)

عجز أعصاب الذوق عن اشعار المعدة وسائر الجهاز الهضمي عن أنواع وكميات العصارات المطلوبة لهضم الطعام (ومن ثم عسر الهضم)

الالتجاء الى الاكثار من التوابل حتى يستلذ الآكل طعامه وان ازدرده بسرعة (ومن ثم تهييج الاغشية المخاطية)

الاكثار من اللحوم والبيض ونحوها لانه يمكن تناولها بسرعة واهمال المأكولات الاخرى كالخبز وانواع الخضار والفاكهة التي تستدعي لوكاً أشد من تلك (ومن ثم تسمم الامعاء)

ولقد أصبحت سرعة الاكل طبيعة ثانية في معظم الناس ولذا ينبغي محاربتها بانجع الطرق وأول ما يلزم من ذلك اطالة مدة الجلوس على المائدة بقدر المستطاع واخلاء الفكر من جميع الشواغل والهموم التي تدفع الانسان الى سرعة الاكل وهو لا يشعر

ولعل اقرب الطرق الى النجاح هي ان ينتبــه الانسان الى اللقمات الاولى من طعامه ويجهد نفسه للوكها جيداً . فاذا ابتدأ بضع لقمات على هــذا البطء فالارجح انه يكمل اكله كذلك ايضاً بدون اجهاد ارادته كثيراً

ولا يخفى أن الانسان متى عود نفسه الاكل البطيء تزداد لذته من الطعام وقد ثبت اليوم ان اللذة المرافقة للطعام من اكبر العوامل في تهيئة الانسان لهضمهـا فكلما زادت اللذة زاد افراز العصارات في المعدة كما ثبت من بعض التجارب العلمية

ولا بد لنا هنا من تكرار ما قد ذكرناه سابقاً من انه يتعذر بل يستحيل عمـل قائمة بالاطعمة حسب جودتها ورداءتها فان الجودة او الرداءة أمر نسبي في غالب الاحيان . فعلى كل فرد ان يرى ما يناسبه من ذلك وأنما يصح القول اجمالاً ان بعض

المأكولات أفضل من غيرها . ففي مقدمة المأكولات المفيدة لمعظم الناس الفواكه والبطاطس وانواع الجوز والمكسرات (اذا مضغت جيداً) واللبن الحليب والزبائب وانواع الخضار . ومن أردأ الاصناف أنواع الجبن القابلة للتعفن والكبد والكلاوي

على أن من انعم النظر في أصناف الاكل وجد أن لكل منها فوائد ومضار وغاية ما يجمل قوله أن يجتهد الانسان في جعل معظم اكله من الاصناف التي هي « أجود » من غيرها ويجتنب الاصناف التي هي « أردأ »

ثم ينبغي استعمال الملح والفلفل وسائر المتبلات بكل حكمة فان الاكثار منها مضر . وينبغي أيضاً الاعتدال في أكل الحلوى ولعل الاكثار منها في مقدمة الاسباب الداعية الى الامراض المختلفة ولا سيما ان السكر سريع التمثل في الجسم يحرق فيه حال تناوله

اما الماء فلا مانع من تناوله باعتدال على المائدة على شرط الا يؤخذ والطعام في الفم لدفعه الى المعدة اذ قد ثبت ان اللعاب لا يسيل متى كان في الفم ماء

فينبغي لكل فرد الا يستسلم الى العادات الشائعة في بيئته كما انه لا ينبغي له ان يتمسك بكل رأي او اختراع جديد يظن ان فيه الصحة والسعادة . وانما الواجب عليه ان يدرس نفسه ويرى ما يناسبها . ولعل الافضل ان يفحص نفسه ويرى أعنده استعداد لبعض الامراض كمرض السكر فينتخب الاصناف التي تلائمه قبل ان يستفحل الامر

اطول الملوك عمراً

ذكرنا في مقالة المصائب والرزايا التي حلت بامبراطور النمسا انه ثاني الملوك الذين جلسوا على عروش اوربا في طول مدة جلوسه (٦٨ سنة) فالاول هو لويس الرابع عشر الذي جلس على العرش اكثر من ٧٢ سنة . ويأتي بعده الملك هارولد النروجي (٨٦٣ — ٩٣٣) فان بين جلوسه على العرش وموته ٧٠ سنة ولكنه تنزل عن الملك لابنه قبل موته بثلاث سنوات فمدة ملكه اذن ٦٧ سنة . وتليه الملكة فيكتوريا فقد ملكت اكثر من ٦٣ سنة . ثم جيمس الاول الاراغوني فقد ملك ٦٢ سنة . ثم جورج الثالث ملك انكلترا (حوالي ٦٠ سنة) . على اننا لو اعتبرنا مدة الحكم الشخصي وحدها فان امبراطور النمسا يحوز الاسبقية لانه حكم منذ ارتقائه العرش وكان عمره ١٨ سنة . اما لويس الرابع عشر فقد ارتقى العرش وهو في الرابعة من عمره

المناظرة والمراسلة

ما رأي قراء الهلال

رفع قيمة الاشتراك او خفض نوع الورق ؟

جاءتنا عدة رسائل بخصوص شكل الهلال الجديد في هذه السنة وتغيير ورقه. وهي متشابهة في المعنى فنكتفي منها بالرسالة التالية انموذجاً لغيرها ونعرض المسألة على قراء الهلال ليبدوا اراءهم في الموضوع

حضرة محرر الهلال

اهنئكم بدخول مجلتكم سنتها الخامسة والعشرين في خدمة الآداب العربية. وبعد فما كاد شهرا العطلة يمران وانا أحسبهما عامين حتى اقبل الجزء الاول من السنة الخامسة والعشرين فاطلعت عليه بلهفة واشتياق لما له من المنزلة السامية عندي . الا أنه يسوءني ان انقل اليكم التأثير السيء الذي حدث في نفسي لدى مطالعة الفاتحة وفيها تشكون من اضطراركم الى استعمال ورق الجرائد نظراً لارتفاع سعر الورق ومواد الطباعة ارتفاعاً باهظاً . على اني بصفتي مشتركاً في مجلتكم غيوراً عليها جئت اعرض عليكم رفع قيمة الاشتراك بما ترونه موافقاً وارجاع الورق الى ما كان — كما فعلت معظم المجلات الاوربية وغيرها . واني على يقين من ان السواد الاعظم من مشتركيكم يوافقونني على رأيي فان الزيادة القليلة التي تضيفونها الى قيمة الاشتراك لا تستحق الذكر ولا تؤثر في الافراد . . . وتفضلوا بقبول احترامنا

بتوشت بالولايات المتحدة　　　　سليم حنا عبسى

﴿الهلال﴾ نشكر لحضرة الفاضل عنايته بالهلال ونغتنم هذه الفرصة لابداء ما شعرنا به من الاسف الشديد لدى اضطرارنا الى تغيير شكل الهلال . وأنما يسرنا من الجهة الاخرى ان يشاركنا القراء في احساسنا ويعذرونا على ما ألجئنا اليه بالرغم منا . وانه لمن دواعي الفخر لنا ان نرى قراء الهلال ومحبيه يزدادون عدداً في هذه الاحوال بالرغم من التغيير الذي طرأ على شكله وظاهره وحسبنا ذلك خير جزاء لنا على خدمتهم

ولما كان الهلال موقوفاً على قرائه رأينا ان نستشيرهم فيما اقترحه علينا بعض الغيورين على الهلال فنشرنا الرسالة السابقة آملين ان يواصلونا بما يعن لهم من الآراء في هذا الشأن

ولا يخفى ان هذه الحرب قد اضطرت معظم المجلات الاوربية حتى اغناها (فكيف بمجلاتنا) الى اختيار احد امور ثلاثة :

اما رفع قيمة الاشتراك وبقاء المجلة على حالها . واما بقاء قيمة الاشتراك على ما هي وتخفيض نوع الورق ، أو تخفيض عدد الصفحات

اما نحن فقد اخترنا بقاء القيمة على ما كانت وتخفيض نوع الورق خوفاً من ان يستثقل القراء زيادة الثمن في هذه الاوقات الحرجة . ولكن لعلنا كنا مخطئين في تقديرنا . فما قول حضرات القراء ؟

وعلى كل حال فان التغيير اذا قررناه لا يسري الا من السنة القادمة للهلال . غير اننا نود قبل قدوم ذلك الوقت ان تكون قد هدأت هذه العاصفة الجنونية التي هبت على العالم ، فنكون اول المستفيدين من رجوع المياه الى مجاريها

جمعية آداب اللغة العربية بلندن

حضرة محرر الهلال

لا تخفى على فطنتكم الحاجة الى النظام الكلي في اعداد أي عمل يراد منه النجاح التام . وباطلاعكم على ما كتبته الى « المقتطف » و « رعمسيس » وغيرهما يتبين لحضرتكم مقاصد هذا المشروع وانه لا بد لانفاذه على ما يرام من تقسيم المساعي المبذولة في سبيله الى الوجوه الآتية أو بالاحرى حصرها في الوجوه الآتية على الترتيب الآتي بحيث انه لا ينبغي حصر هذه المساعي في الوجه الثاني ما لم يستوف الوجه الاول نصيبه الوافر منها وهلم جرا :—

(١) الاعلان عن فوائد العمل ومزاياه بطرق منوّعة وبايضاح كاف وهذا يستدعي كسب صداقة أهم الصحف العربية وفي مقدمتها المجلات المشهورة التي يعتد بها . بل مساعدة المجلات وحدها تكفي لانها رفيقة محبي الادب والعلم . وهذه المساعدة متى كانت وقتية فهي لا تغني فتيلا بل تكون حينئذ احساناً مضيعاً وانما المساعدة

الصحفية الحقيقية هي التي تستمر وتتنوّع الى ان تأتي بالثمرة المقصودة ولو منحتنا كل مجلة وجيهة صفحتين فقط من كل عدد لما مضت سنة الا وفاز المشروع باكثر مما يبتغى له من الاعلان الطيب عنه

(٢) متى حاز المشروع الشهرة الكافية بالنسبة لمراميه وأغراضه وصواب التبرع له بفضل تعضيد الصحافة العربية ومتى نما بين الناس الاطمئنان اليه والشعور بان نصرة عمل كهذا واجب قومي وجب حينئذ على اللجنة التحضيرية أن تبذل قواها في حث الوجهاء والاغنياء بصفة خاصة على ضمانة تبرّع دائم للجمعية حتى يمكنها أن تقوم بمهمتها على اكمل الوجوه واتجهت عندها مساعينا بوجه عام الى جمع التبرعات والاشتراكات باعتبار أن من يرجى منهم التبرع والاشتراك قد تنوروا حينئذ تنوراً كافياً عنه

(٣) متى اجتمع القدر الضروري من المال وضمنت حياة العمل من الوجهة المالية آن الاقدام على انفاذه وهذه الخطوة الثالثة هي في نظري أهون من سابقتيها . هذا وقد قررت اللجنة تأجيل الاعلان عن العمل في اوربا حتى ينال التعضيد الكافي من الامم العربية التي يعود اليها أعظم منافعه وحتى لا نكون عالة على غيرنا كي يتم به صيانة كرامتنا ورفع مستوانا الادبي في نظر الغربيين . وفكرة التأجيل هذه هي رأي الاستاذ مرجليوث ايضاً

فمما تقدم يتضح لحضرتكم أننا لا نزال في الدور الاول ولا عيب في ذلك وانما الخطأ كل الخطأ هو الفوضى والتسرع اللذين لا بد ان يتبعهما الفشل حتماً . ونحن احوج ما نكون الى مساعدة كل من « الهلال » و « المقتطف » و « المنار » و « رعمسيس » على الاقل . واذا لم تفز بذلك فبالشدة خجلنا نحن ابناء العربية من ادباء الانجليز الذين يظهرون من العناية بلغتنا قولا وعملا ما لا اراه من بعض اخواننا بل من كثيرين منا . ولقد ساعدتنا « رعمسيس » مساعدة تذكر بالشكر الخالص ووعدنا « المقتطف » بمثل هذه العناية وأملي من « الهلال » باعتباره اكبر مجلة أدبية تاريخية عربية ان يكون له عناية خاصة بعملنا . ويتضح لحضرتكم مما كتبته من البيان في « المقتطف » و « رعمسيس » انه من السهل كثرة الكتابة في صالح العمل مع اجتناب التكرار بل في الوسع لمثل حضرتكم ان يتفنن في تحرير مجلة باسرها في موضوعه لا صفحتين فقط في كل شهر

الصحافة في انجلترا العماد القوي لنجاح الاعمال العامة وذلك بفضل الاستمرار في الدعوة اليها بشكل جذاب غير مسئم للقراء. أما في بلادنا فقبل أن يسأم الناس من الدعوة الى عمل تسأم الصحافة ذاتها منه وهذا مثال ويا للاسف من قلة ثباتنا ولكني أجلّ « الهلال » وصحافتنا الراقية عن مثل ذلك ولا سيما في الظروف الحاضرة التي علمتنا دروساً كثيرة جهلناها من قبل . . . ؟

احمد زكي ابو شادي

﴿ الهلال ﴾ نشكر لحضرة الدكتور أبي شادي حسن ظنه بنا — بل علينا وعلى كل الناطقين بالضاد ان نشكره لعنايته بمشروع جمعية الاداب العربية وتفانيه في خدمته . ولا ريب عندنا انه اذا ثابرت اللجنة التحضيرية للمشروع على العناية التي ما برحت تبديها منذ تكونها فالنجاح ان شاء الله سوف يكلل اتعابها

نوافق حضرة الكاتب على قوله ان الواجب اولا تهيئة الاذهان للمشروع ثم جمع المال الذي به قوام كل عمل ثم تنفيذ الخطة التي تختطها الجمعية لنيل مآربها . وقد آن لنا ان نعني بشؤوننا ولا نبقى عالة على غيرنا

انا اول من يهمه نجاح المشاريع النافعة كمشروع جمعية الآداب العربية ولذا فنحن نفتح صدر الهلال لها ونعدها بتقديم كل ما في وسعنا تقديمه من المعاضدة

الحبيب

عزائي عما يجلب الدهر من اذى	وعونى على ظلم الزمان وناصري
حبيب على طول الوشايات بيننا	وفيّ على رغم الليالي الغوادر
يضيء لي الليل البهيم بوجهه	ويجلو غيابات المنى والسرائر
فرؤياه تنسيني الحياة ولؤمها	وتبرئ في قلبي جراح المقادر
وتنعشني الفاظه في حديثه	وما لفظه الا ترنم طائر
رويت به قلباً جديباً فاينعت	اماني به مثل الزهور النواضر
وقد كاد لولا الحب يودي بي الاسى	ويدرجني ما بين اهل المقابر
حبيبي قد احييتني بعد ميتة	فدونك قلبي يا حبيب وسائري
فداؤك منا كل عين ومهجة	فانت ضياء للمنى والنواظر

عبد اللطيف النشار

تاريخ الشهر

في مصر والسودان

اعظم اخبار الشهر المنصرم شأناً احتلال الجنود البريطانيين للعريش في ٢١ ديسمبر الماضي . ومما حدث قبل ذلك ان دورية بريطانية دخلت واحات الفرافرة (وهي جزء متمم للواحات البحرية) في ١٩ نوفمبر في خلال طوافها في الصحراء الغربية واسرت فيها طائفة مسلحة من الثوار ووجدت سكانها مبتلين بنوع خبيث من حمى الملاريا وبضربة الذباب ثم فارقت الواحات في ٢١ نوفمبر وصحة رجالها على ما يرام

وحدث ايضاً ان طيارتين من الطيارات البريطانية استطلعتا في ٢ ديسمبر طلع الحالة في بئر سبع استطلاعا موفقاً وقذفتا القنابل على معسكر الاعداء في الوجا واصابتاه ثم اشتبكت احداهما بطيارتين للاعداء . ولكن رصاصة اخترقت مخزن البنزين فيها فاضطر الطيار الى النزول في ارض العدو فاسرع اليه طيار بريطاني آخر مكلف الحراسة لمعاونته فلما وجدا انه يتعذر اصلاح الطيارة المعطوبة احرقاها وركبا معاً طيارة الحراسة وعادا سالمين

أما احتلال العريش فلاهميته رأينا أن نورد البلاغ الرسمي الصادر في ٢٢ دسمبر واليك نصه :

احتل جنودنا العريش امس (الخميس في ٢١ دسمبر) وكان العدو قد انشأ في « مساعد » مواقع حربية على جانب عظيم من المنعة لحماية العريش نفسها وهذه المواقع مؤلفة من خنادق حسنة الترتيب وممتدة فى خط يزيد طوله على اربعة أميال وفيه مصاطب خفية لمدافع الميدان والمدافع السريعة

ويستنتج من كثرة اعمال التحصين التي قام بها العدو في مواقعه الدفاعية ومن المعلومات الوثيقة التي عندنا وهي ان القائد العثماني فى العريش طلب المدد تكراراً والح في التعجيل في ارساله ان العدو كان ينوي الثبات في مواقعه والدفاع دونها بكل قوته لصد تقدمنا ولكن سرعة زحفنا أفسدت حسابه على ما يظهر فلم يتمكن المدد

من الوصول اليه . وبناء على ذلك قر قرار العدو في ليل ١٩ — ٢٠ دسمبر على التخلي عن مواقعه الحصينة فانسحب بقواته على جناح السرعة ذاهباً شرقاً

أما في السودان فقد ورد في آخر نوفمبر رسالة من صاحب المعالي سرادار الجيش المصري وحاكم السودان العام جاء فيها ما يأتي :

ابلغ كلي باشا (مدير دارفور) ان جميع الاحياء من ابناء علي دينار سلطان دارفور السابق ومن ضمنهم زكريا وحمزه وجميع الزعماء الاخرين وفي مقدمتهم علي ود الميرم سلموا الى هدلستون بك انفسهم وبنادقهم وخيلهم وذخائرهم . ويعد تسليم هؤلاء من جهة وخلو منطقة القتال من جهة أخرى من رجال غيرهم ذوي مكانة ونفوذ دليلا على انتهاء الثورة المدبرة على الحكومة في دارفور

الرحلة النيلية السلطانية

وذكرى الميلاد والجلوس السلطانيين

انتقل عظمة السلطان من عاصمة بلاده في ٧ ديسمبر الماضي راكباً البواخر النيلية السلطانية وصاعداً في النيل الى الوجه القبلي ترويحاً للنفس وتبديلا للهواء . وقد صحبت عظمته صاحبة العظمة السلطانة الجليلة وصاحبات السمو كريمتاهما المصونات وطائفة من موظفي القصر السلطاني . وقد وقفت الركائب السلطانية في اهم مدن الوجه القبلي فكانت تستقبل من الموظفين والاعيان والاهلين بما يليق بها من التجلال والاكرام . وقد وقع ذكرى الميلاد (١٥ ديسمبر) والجلوس (١٩ ديسمبر) السلطانيين في اثناء غياب عظمة السلطان

سفر السر هنري مكماهون

وقدوم السر رجينلد ونجت باشا

فارق القاهرة في يوم السبت ٢٣ ديسمبر الماضي جناب السر هنري مكماهون القومسير البريطاني السابق بعد ان اقيمت له الحفلات الشائقة لتوديعه

اما السر رجينلد ونجت القومسير العالي الجديد فيصل الى القاهرة يوم الاربعاء ٢٧ ديسمبر ويستقبل مقابلة رسمية

خلع نجاشي الحبشة

خلع الاحباش ملكهم ليج ياسو واجلسوا على سرير الملك وازيرو (الاميرة) زوديتو . وعينوا الرأس تفرى قائمقاماً امبراطورياً وولياً للعهد

والملك المخلوع شاب في العشرين من عمره . وأبوه الرأس ميخائيل ملك التجريا وامه الاميرة شوجاس بنت الامبراطور منليك

وكان الامبراطور منليك محباً لحفيده ياسو . فاحضره الى العاصمة وعهد في تربيته الى بعض الاساتذة الاجانب واعضاء الارسالية العلمية القبطية . وقبل وفاة الامبراطور منليك زوّج الامير ياسو بالاميرة روماني ابنة الرأس اربا وحفيدة الامبراطور يوحنا كاسا . ثم دعا الامراء والرؤساء فعاهدوه على تولية الامير ياسو عرش المملكة الحبشية بعد وفاته . فسحه الانبا متاوس في سنه ١٩١٣ امبراطوراً على بلاد الحبشة

والامبراطورة الجديدة وازيرو زوديتو ابنة الامبراطور منليك من زوجته الاولى وزوجها الذي عين نائباً وولي عهد لها هو الداز جماتش تفري الابن الثاني للرأس ماكونين حاكم هرر

وكانت الامبراطورة زوديتو قبل أن تتزوج الدازجماتش تفري متزوجة الرأس بكسا الرأس ولي . وقد نفي مع ابيه سنة ١٩٠٨ لارتكابهما جريمة سياسية

وقد نودي بالاميرة زوديتو امبراطورة على الحبشة في ١٧ سبتمبر الماضي

اسباب عزل ياسو

ويؤخذ من رسالة خاصة بعث بها مطران الحبشة الى بطريرك الاقباط في مصر ان الاحباش عزلوا النجاشي ياسو لانه «لم يحسن ادارة الملك الذي آل اليه ولم يلتفت الا الى كل ما من شأنه الضرر بمملكته العظيمة اقتصادياً وسياسياً وانغمس في الشهوات غير مبال بالنصائح والارشادات حتى اوغر صدور جميع رجال مملكته كبيرهم وصغيرهم وباتت الحبشة في احرج المراكز»

وبعد ان أعلن خلع الامبراطور ياسو أعلن والده الرأس ميخائيل الحرب على الحكومة الجديدة وهاجمها ودارت بين الفريقين مناوشة انجلت عن اسر الرأس ميخائيل والانبا بطرس مطران شوا . أما النجاشي ياسو فقد ركن الى الفرار ولا يعرف له احد مقراً

الاقباط والاحباش

ومما يحسن ذكره بهذه المناسبة أن للاحباش علاقة دينية متينة باقباط مصر . فقد جاء في القانون الثاني والاربعين من قوانين مجمع نيقيا المسكوني « ان الحبشة لا يقام عليهم رئيس كهنة من علمائهم ولا باختيار منهم في أنفسهم بل تكون اقامته عليهم من تحت يد بطريرك الاسكندرية ومن قبله وهو دونه في الرتبة وليس له (لرئيس كهنة الحبشة) أن يقيم رؤساء كهنة لبلاده »

وكانت الكنيسة القبطية تعين للحبشة مطراناً واحداً ومعه جماعة من القسوس والرهبان للتلمذة والخدمة . وفي سنة ١٨٨٢ حضر الى مصر وفد من الحبشة طالباً تعيين مطران (بدلاً من مطرانهم الذي توفي في ذاك الوقت) وان يكون معه ثلاثة من الاساقفة فانتخب الانبا بطرس (الذي اسر مع الرأس ميخائيل) مطراناً ومعه ثلاثة أساقفة وهم : متاوس ومرقس ولوكاس

فلما توفي النجاشي يوحنا بن ثودوروس طلب منليك من الانبا بطرس أن يمسحه امبراطوراً على الحبشة فابى لانه تعاهد مع النجاشي يوحنا على ان يمسح ابنه خلفاً له فسأل الامبراطور منليك الاسقف متاوس أن يمسحه فتوقف لانه ليس له اذن بذلك من غبطة البطريرك . ودارت المخابرات في الامر بين مصر والحبشة . وكانت النتيجة ان رقى الاب البطريرك الاسقف متاوس الى درجة المطرانية بخطاب خاص . وثبته في هذه الرتبة عندما حضر الى القطر المصري في أوائل سنة ١٩٠٢

ومنذ تولى الامبراطور منليك (اي من نحو ٢٨ سنة) خرج الانبا بطرس من اديس ابابا وانضم الى الرأس ميخائيل واصبح للحبشة مطرانان

الارسالية القبطية في الحبشة

وقد أنشأ النجاشي منليك مدارس ابتدائية يتعلم فيها أبناء الاحباش بحسب نظامات التربية الحديثة وطلب من بطريكخانة الاقباط انتداب من يدير هذه المدارس فعينت لذلك حضرة الفاضل حنا بك صليب ومعه جماعة من الاساتذة . وهم يديرون المدارس الحبشية . وكان من تلاميذهم الامبراطور ياسو المخلوع

السؤال والاقتراح

(١) لا ننشر في هذا الباب الا الاسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القراء فقد نغفل الرد على بعض الاسئلة اما لكونها خصوصية لا تفيد الا اصحابها او لكوننا قد اجبنا عليها في بعض الاعداد الماضية (٢) نظراً لكثرة السؤالات التي ترد الينا فقد نضطر الى تأجيل الرد على بعضها فنلتمس من السائلين عذراً في هذه الحال

القطن والحرب

﴿القاهرة﴾ ل . م.

سمعنا في الجرائد عن اهتمام الانكليز باعتبار القطن من المهربات وبخطورة هذا الموضوع فنرجو ان تفيدونا عن خواص القطن من الوجهة الحربية

﴿الهلال﴾ القطن في مقدمة المواد القابلة للالتهاب وباتحاده مع الحامض الازوتيك (nitric acid) يصبح شديد الانفجار وهو اكثر المواد استعمالاً في صناعة البارود الابيض كما يأتي :

يوضع القطن في الحامض المذكور فيمتص غاز الاكسيجين الموجود فيه ويمتص معه قليلاً من النتروجين . ويوضع مع الحامض المذكور كمية من حامض الكبريت كي يمتص هذا ايضاً الماء الذي يستخرجه الحامض الازوتيك من القطن وبذا لا يضعف مفعول هذا الحامض لدى اختلاطه بالماء

وكمية الاكسيجين التي يمتصها القطن كافية لان تحدث انفجاراً هائلاً اذا حصر في مكان ضيق مقفل كالخرطوشة والقنبلة واللغم وغير ذلك . وعندما يمتص القطن ما يلزم من الاكسيجين يغسل من الحامض بواسطة آلة مخصوصة ثم يغلى في ماء ساخن حتى تطرد منه المواد الاخرى التي قد تكون مختلطة به ثم يعالج في آلات خاصة حتى يصير ناعماً ويكبس كبساً جيداً على شكل الاسطوانة ثم يغسل بقليل من الكحول كي يطرد الماء الباقي فيه وبذا يصبح القطن ما نسميه البارود الابيض وهو الذي يستعمل في صنع القنابل وغيرها من الادوات المنفجرة في الحرب

من ذلك نعلم اهمية القطن العظيمة في الحرب ولماذا اعتبر من المواد المهربة

وحرم تصديره الى ألمانيا حتى بواسطة الدول المحايدة ولكن الالمان قد عمدوا الى صنع البارود من الياف الخشب وبذا يمكنهم الاستغناء عن القطن

على ان الحامض الازوتيك ايضاً يعد من المواد المهربة وتجارته مقفلة في وجه المانيا ولكن يقال ان علماء الالمان قد تمكنوا من الحصول عليه من الهواء غير انه وان سعى الالمان لاستنباط الطرق املاً بالحصول على مواد مفرقعة والاستغناء عن القطن فللقطن الافضلية على غيره في الوقت الحاضر ولا مشاحة في ان الدول التي يمكنها ان تحوز القطن دون غيرها هي التي يكون تهديدها لاعدائها اشد خطراً واهول عاقبة

مذهب داروين ووجود الله

﴿ اسيوط ﴾ عبده افندي بخيت عوض

هل مذهب داروين ينفي وجود الله ؟ وما هو الاساس الذي بنى عليه نظريته وكيف برهن عليها ؟ وهل وجد بين فلاسفة الاقدمين من جاهر باعتقاد كهذا ؟

﴿ الهلال ﴾ ليس في مذهب داروين ما ينفي وجود الله مطلقاً واكبر برهان على ذلك ان داروين نفسه كان مؤمناً متديناً الى آخر لحظة من حياته . وترى كثيرين من علماء هذا العصر يسلمون بهذا المذهب مع بقائهم على ايمانهم . نعم ان التسليم بمذهب داروين يقتضي التنزل عن بعض العقائد الشائعة وينافي صريحاً ما جاء في الكتب المقدسة عن الخليقة واصل الانسان (ان لم تفسر تلك الاقوال تفسيراً ملائماً) بل قد يضطر من يقبل ذلك المذهب الى تغيير نظره في الله وتصوره لصفاته ولكن كل ذلك لا يحتم نكران قوة ازلية غير مدركة هي المرجع الاول والاخير لكل ما في الكون

ولعل السبب في الوهم الشائع عن مخالفة مذهب داروين للدين كان من جهة مقاومة رجال الدين له مقاومة شديدة وتعصبهم عليه لاعتباره بدعة دينية ولمخالفته الآراء المتوارثة جيلا بعد جيل ، ومن جهة اخرى تطرف رجال العلم الذين خلفوا داروين في تفسير مذهبه والشطط في النتائج التي توصلوا اليها . على ان هذا الخلاف اليوم آخذ في الزوال بعد ان خف تعصب رجال الدين كما خف تعصب رجال العلم

ولا بد لنا هنا من التمييز بين النشوء والارتقاء (او نظرية التحول) ومذهب داروين . فليس مذهب داروين الا تعليلا لتلك النظرية فان نظرية النشوء والارتقاء تقرر تدرج الاحياء في النشوء وتسلسلهم . اما مذهب داروين فانه يعلل ذلك التسلسل

بما قد سماه الانتخاب الطبيعي اي ان تهافت الاحياء على موارد العيش المحدودة يؤول الى تنازع البقاء وبقاء الانسب . وقد يسلم الانسان بنظرية النشوء والارتقاء ويراها معقولة ولا يسلم بمذهب داروين اي بتعليله الخاص

وقد علل لامارك قبل داروين النشوء والارتقاء تعليلاً غير هذا التعليل . فقال ان النشوء والارتقاء انما ينجم عن تكيف الاحياء وفقاً لبيئتها وتوارث الصفات المكتسبة . كذلك قام هوجو دفريس اخيراً بتعليل جديد هو « التحول الفجائي » اي ان تباين المخلوقات لا يتم بالتدريج كما قال داروين بل يحدث فجأة

وعلى ذلك فان كثيرين من الفلاسفة ادركوا الاتصال بين المخلوقات الحية منذ قديم الزمن وقالوا بوجود قرابة بين الانسان وسائر الحيوانات ولكنهم لم يتوصلوا الى ايجاد تعليل واف يبين « كيف » تم ذلك . وفضل داروين على العالم هو انه قضى حياته في جمع الحقائق والوقائع الى ان استخلص منها نظريته المشهورة

البنطو والشيك والليثوانيون الخ .

﴿ ومنه ﴾ هل لكم ان تذكروا لنا من هم البنطو والشيك والليثوانيون والروثينيون والسلوفاك والسلوفين الذين ورد ذكرهم بين الامم التي خاضت غمار الحرب الحاضرة في الهلال الاول لهذه السنة

﴿ الهلال ﴾ كلمة البنطو مأخوذة من لغة الزنوج قطان افريقيا الجنوبية جنوبي خط الاستواء ومعناها عندهم « الانسان » وقد اتخذها احد علماء اللغة للدلالة على لغات أولئك الزنوج . فبقولنا البنطو انما نقصد المتكلمين بهذه اللغات

اما الشيك او التشيك من اهالي النمسا فهذا اللفظ مشتق من الاسم الاصلي لبوهيميا (شمالي النمسا) وهم من السلافيين

والليثوانيون هم من سكان القسم الغربي من روسيا والقسم الشمالي الشرقي من بولونيا وبروسيا على شواطئ البحر البلطيقي

والروثينيون يقطنون غاليسيا وبوكوفينا وجبال الكاربات وهم روسيو الاصل

والسلوفاك هم سلافيون يقطنون شمال بلاد المجر . والسلوفين هم ايضاً سلافيون ولكنهم يقطنون الجهات الواقعة بقرب الحدود الايطالية والنمسوية

أصل كلمتين

﴿ وشنطون . اميركا ﴾ منصور افندي يحنا كرم

ارجو ان تفيدوني عن أصل كلمة دكتور Doctor وكلمة College

﴿ الهلال ﴾ كلمة دكتور لاتينية الاصل مشتقة من لفظة docere أي علَّم . فالدكتور في الاصل هو المعلم . أما كلمة College فهي ايضاً لاتينية اصلها Collegium من فعل Colligere أي جمع

تاريخ البورصة

﴿ جيت . السودان ﴾ محمد افندي عبد السلام ابو شال

متى تشكلت اول بورصة في العالم ومتى انشئت اول بورصة في باريس ولندن وغيرها

﴿ الهلال ﴾ ما برح التجار منذ اقدم الازمنة يجتمعون في امكنة واوقات معينة للمتاجرة . ففي اثينا كانوا يجتمعون في مكان يسمى الامبوريوم Emporium . وفي رومية كانوا يجتمعون في محل اسمه Collegium mercatorum . أما في اوربا فلعل اول مجتمعات تستحق أن تسمى بورصات نشأت في القرن الثالث عشر في ايتاليا وهولاندا وبلجيكا . ويرجح اليوم ان كلمة بورصة تنسب الى رجل اسمه فان در بورس من سكان مدينة بروج البلجيكية وكان التجار يجتمعون في منزله

اما في فرنسا فاول بورصة اعترف بها رسمياً كانت بورصة ليون في النصف الاول من القرن السادس عشر . واما بورصة باريس فلم يعترف بها رسمياً الا في سنة ١٧٢٤ . واما بورصة لندن فقد انشئت سنة ١٥٦٦ وافتتحتها الملكة اليزابت سنة ١٥٧١

ظروف المكاتبات

﴿ ومنه ﴾ متى اخترعت ظروف المكاتبات

﴿ الهلال ﴾ ورد ذكر الظروف منذ اوائل القرن الثامن عشر ولكن الظروف بشكلها الحاضر لم يبدأ باستعمالها الا اثر استعمال ورق البريد اي منذ سنة ١٨٤٠

لدينا ما يدل على ان الانسان في الازمنة قبل التاريخية صنع العرائس . وللعرائس مقاماً سامياً لدى الشعوب المنحطة وهم ينسبون اليها في بعض الاحيان صفات اعلى من الصفات البشرية

﴿ الوعظ بالصور المتحركة ﴾ لقد انتشر السينماتوغراف انتشاراً عظيماً واصبح من ضروريات المدارس عموماً — لا المدارس العالية فقط كمدارس الطب مثلاً التي تستعين به الان، فانه آخذ في الانتشار في المدارس الابتدائية ايضاً وقد اطلعنا على عدة مقالات في حض الحكومات على جعله من ضروريات المدارس اذ ان مشاهدة الشيء تجعله راسخاً في الذهن . وقد اطلعنا اخيراً على مقالة يصف فيها احد القسوس استعمال السينماتوغراف في كنيسة كليفلند (اميركا) ليستعين به في ايضاح بعض الامور الداخلة في موضوع وعظه . وقد كتب القس المذكور مقالته بناء على اقتراح لاحدى المجلات الدينية ونال جائزة كانت قد عينت لافضل مقالة تكتب في بيان فوائد السينماتوغراف للكنائس . وقد حذا هذا الحذو عدة كنائس

﴿ اكرم مدن اميركا ﴾ وجدت احدى المجلات الاميركية بعد ان عملت حساباً دقيقاً ان اكرم المدن في الولايات المتحدة مدينة روشستر بولاية نيويورك تليها هارتفرد (كونكتيكت) فريدج (بنسلفانيا) فدترويت (ميشيغان) . ووجدت ان ابخلها بوستن ونيو يورك وفيلادلفيا وشيكاغو وميناپوليس . وقد حسبوا ان عدد الجمعيات الخيرية قد زاد زيادة عظيمة بعد الحرب لتكاثر الجمعيات لاعانة منكوبي الحرب على اختلاف انواعهم فقد اصبح عددها ثلاثة اضعاف ونصف ضعف ما كان . على ان اعظم باب يظهر فيه كرم الاميركان منح المال للكنائس فقد وهبت اميركا كنائسها في السنة الماضية ٨٢٠ مليون ريال ويظن انها في هذه السنة تهبها الف مليون

شذرات

نظراً لقلة النحاس في المانيا شرع الالمان اخيراً يصنعون القاطرات الحديدية بدونه . وكان النحاس يعدُّ ضرورياً في بعض اجزاء القاطرات وهو يعادل عادة ٦ في المئة من وزن القاطرة أي ان القاطرة التي تزن مئة طن يكون فيها منه ٦ طنات

***

اخترع احدهم صندوقاً لحمل مهام المسافرين يصلح ان يكون مغطساً يُستحم فيه اذا اقتضى الحال ذلك وهو مبطن بصفائح معدنية وفي أسفله منفذ يفتح متى أريد تفريغ الماء

* * *

لقد قامت هولندا وسويسرا في هذه الحرب حق القيام بواجب الجوار . فمن ذلك ان ضيعة صغيرة في هولندا لا يتجاوز عدد سكانها ١٣٠٠ نفس تمكنت من ايواء ٢٥٠٠٠ بلجيكي

* * *

شرعت مدينة نيويورك وغيرها في تلقين تلاميذها درساً خاصاً في تنظيف الاسنان . ولسنا نعني درساً نظرياً بل درساً عملياً فان ٧٠٠٠٠٠ تلميذ في مدارس نيويورك يمرنون في اوقات معينة على تنظيف اسنانهم كما يتعلمون الرياضة البدنية

* * *

لقد نشأ أثر هذه الحرب تيار من الذهب متجه نحو اميركا وما برح هذا التيار يتضاخم حتى رأت حكومة الولايات المتحدة ان تذيبه وتحوله الى نقود مصكوكة باسمها . وقد قدر الذهب الوارد الى الولايات المتحدة منذ اول السنة الحالية الى اوائل اكتوبر الماضي بنحو ٥٠٠ مليون ريال اي مئة مليون جنيه (وهذا يعادل اكثر من جنيه لكل ساكن من سكان الولايات المتحدة)

* * *

يؤخذ من تقارير الاطباء العسكريين أن ضعف القلب منتشر انتشاراً عظيماً بين الجنود على اختلاف طبقاتهم . وقد كانت الآراء متضاربة في اسباب هذا الضعف . فقال أحدهم ان سببه تزايد نمو الغدة الدرقية وقال آخر ان سببه اختلال الدورة الدموية . على أن الجميع متفقون في ان طرق الحرب الحديثة تساعد كثيراً على ظهور هذا الضعف

* * *

تصنع اليوم الياف من الورق يمكن فتلها وغزلها . وقد صنعوا من هذا الورق المفتول مقاعد وكراسي وادوات مختلفة

* * *

ان انواع الافاعي السامة قليلة بالنسبة الى الانواع غير السامة على أن الخوف

منها عامٌ . وقد تراءى لاحدهم (في أميركا) أن يحارب هذا الخوف الزائد فجمع كميات كبيرة من الافاعي غير السامة وحث الاولاد على اللعب بها وقد نجح في ذلك

***

في ٢٦ يناير سنة ١٩١٦ أصطدمت الباخرة وشنطونيان بباخرة أخرى فسقطت في البحر وكانت محملة سكراً . ونظراً لسرعة امتصاص السكر للماء فقد غرقت الباخرة في عشر دقائق ولكنه ما لبث ان ذاب ، وهذا مما يسهل مهمة انتشال السفينة . واصحاب الشأن لم يقطعوا الامل في انتشالها منذ غرقت . وقد اتفقوا على اخراجها من الماء بانفاذ الهواء المضغوط الى اجزائها الداخلية

مطبوعات جديدة

﴿ المجلة العربية ﴾ هي مجلة حديثة راقية يصدرها في نيويورك نفرٌ من الدكاترة والادباء هم سليم افندي شحاده جورج د . ف . (للفلسفة العقلية والادارة الحديثة) وفيليب افندي حتي د . ف . (للتاريخ والآداب الشرقية) والدكتور فؤاد افندي شطاره (للصحة والعلميات) وخليل بك الاسود (للمباحث العصرية) وغيرهم

وقد تصفحنا الجزء الاول فالفيناه جامعاً للمباحث الادبية والاجتماعية التي تنمُّ عن ادب كاتبيها وسعة اطلاعهم . وقد ضُمت مجلة العالم الجديد (لمنشئها خليل بك الاسود) الى المجلة العربية فاصبحتا مجلة واحدة . فنرجو لهذه الزميلة الجديدة الثبات ومداومة التقدم

﴿ تقويم مسعود ﴾ صدر هذا التقويم النفيس للسنة الجديدة وهو يقع في اكثر من اربعمئة صفحة مكتوبة بحرف صغير وجامعة لمعلومات وفوائد شتى . ولا يسع متصفح هذا التقويم الا ان يعجب بهمة مؤلفه محمد افندي مسعود ومقدرته على جمع الامور المفيدة في جميع ابواب العلم والادب ووضعها في قالب شيق لذيذ . ونظراً لارتفاع ثمن الورق اضطر المؤلف الى بيع التقويم هذه السنة بستة قروش صاغ وهو ثمن زهيد بالنسبة الى ما يحويه من الفوائد

﴿ ثورة العرب ﴾ هو كتاب تاريخي سياسي عن مقدمات الثورة العربية

اشهر المؤتمرات الحديثة

كيف يجتمع المندوبون وكيف يتفاوضون

لم تعقد المؤتمرات قديما الا أثر الحروب لانهائها وارجاع السلم الى نصابه. اما في القرن الماضي وهذا القرن فقد عقدت مؤتمرات مختلفة — فضلا عن تلك — لتوطيد الاتفاق بين الدول والنظر في الشؤون الدولية الخطيرة في السياسة والاقتصاد وغير ذلك. وقد فكر غير واحد من الملوك والعظام في عقد مؤتمرات دائمة تكون اشبه شيء بمجلس دولي عام ينظر في شؤون العالم جميعاً. ولعل اول من فكر في ذلك هنري الرابع ووزيره سولي فقد اقترحا انشاء مجلس اوربي مؤلف من ٦٠ نائباً يمثلون ٣٥ دولة. وفي سنة ١٨٦٣ عرض نابوليون الثالث ان يجتمع مؤتمر عام للدول الاوربية فرفضت اوربا هذا الاقتراح خوفاً منها ان يكون ذلك المؤتمر واسطة لازدياد نفوذ فرنسا وسيطرتها

على ان اشهر المؤتمرات وأشدها تأثيرا في تاريخ العالم هي المؤتمرات التي عقدت أثر الحروب الخطيرة. وقد عقدت في القرن الماضي ثلاث مؤتمرات خطيرة الشأن هي مؤتمرات ڤينا (١٨١٥) وباريس (١٨٥٦) وبرلين (١٨٧٨) الاول أثر حروب نابوليون والثاني أثر حرب القرم والثالث أثر الحرب الروسية العثمانية. ولا نكون مغالين اذا قلنا ان اوربا الحديثة تكونت وتحددت على أثرها وسنأتي على كلمة في كل منها. ولكننا نرى قبل ذلك ان نذكر شيئاً عن جلسات المؤتمرات وقوانينها فنقول:

قد نشأ عن اجتماع المندوبين فيما مضى مشاكل عديدة ولا سيما بخصوص مراتبهم وتقدم بعضهم على بعض. وكانت اجتماعاتهم تستدعي اجراءات رسمية كثيرة من شأنها عرقلة العمل، بل ان المندوبين في بعض الاحيان كانوا يقفون عن الاجتماع لمسائل تافهة. وكثيرا ما كانت هذه الامور مانعاً في سبيل عقد الصلح. أما في القرن الماضي فقد تبسطت تلك الاجراءات والقواعد ولا سيما

بعد مؤتمر برلين اذ تم الاتفاق على جلوس المندوبين حول مائدة بشكل نعل الفرس حسب الترتيب الابجدي في اللغة الفرنسية

واول عمل للمؤتمر هو فحص المندوبين والتحقق من السلطة المخولة اياهم للنيابة عن دولهم . وفي الغالب يرأس الجلسات وزير خارجية الدولة التي اجتمع فيها المندوبون فاذا رفض الرياسة انتخب الرئيس باغلبية الاصوات . واذا كان الاجتماع قد تم بوساطة احدى الدول فالارجح أن تعطى الرياسة لممثل تلك الدولة

وفى الجلسة الاولى يلقي الرئيس خطاباً للترحيب بالمندوبين وبيان الغرض من الاجتماع ثم ينتخب سكرتير ومساعد للسكرتير وحافظ للمستندات . ثم يبين الرئيس للاعضاء ضرورة كتمان المفاوضات التي تجري ثم تنصرف الجلسة ليوم أو يومين حتى يتمكن المندوبون في هذه الاثناء من التعارف والتحادث بصفة غير رسمية

وفى الجلسة الثانية تبدأ الاعمال الخطيرة . وتسير اعمال الجلسة وفقاً لقوانين ثابتة : فمن ذلك ان كل اقتراح يجب أن يقدم مكتوباً للرئيس حتى يتناقش فيه الاعضاء ولا بد لسريان القرارات من أن تتفق عليها جميع المندوبين ويصوتوا لها. وعقب كل جلسة يدون السكرتير محضراً يذكر فيه ماحدث من المناقشات ثم يتلوه في اول الجلسة التالية على الحاضرين فيوقعون عليه امضاءاتهم . واذا لم يوافق أحد المندوبين على بعض القرارات فينبغي ذكر ذلك في المحضر . وفي بعض الاحيان ينسحب المندوب من جلسات المؤتمر — اذا اشتد الخلاف — دلالة على عدم موافقته . وفي النهاية تجمع القرارات كلها ويوقعها جميع المندوبين

١ — مؤتمر فينا سنة ١٨١٥

فتحت جلسات هذا المؤتمر في ١٣ نوفمبر سنة ١٨١٤ وختمت في ٩ يونيو سنة ١٨١٥ . وقد حضره ملوك النمسا وبروسيا وروسيا وممثلو انكلترا وفرنسا واسبانيا والبورتغال واسوج وغيرها من الدول. والغرض من عقد هذا المؤتمر كان تسوية الشؤون الاوربية عقب سقوط نابوليون

وقد امتاز اعضاؤه بالروح الرجعية ومقاومة الافكار الحرة والمبادىء الديمقراطية

وبعبارة أخرى قد رمى هذا المؤتمر الى توطيد السلطة الملكية الاستبدادية في أوربا بعد ان تزعزعت اركانها أثر الثورة الفرنسية . وقد تم ذلك باعادة الحكم الملكي في فرنسا الى يد أسرة البوربون وبرجوع نفوذ النمسا وبروسيا وروسيا. وقد اتحدت انكلترا وفرنسا والنمسا سراً قبل المؤتمر لمنع بروسيا وروسيا من التوسع واحتياز السلطة حفظاً للتوازن الاوربي . وكانت اخطر نتائج هذا المؤتمر ان توسعت انكلترا في مستعمراتها ، ونالت روسيا بولونيا، وأرجعت ايتاليا الى أمرائها الاصليين، واسترجع البابا املاكه واستقلاله ، وعادت أسرة البوربون الى اسبانيا ، وأصبحت المانيا اتحاداً مؤلفاً من ٣٩ دولة ، واستعادت النمسا ما كانت قد فقدته وزادت اليه مقاطعة البندقية ، وأخذت بروسيا بولونيا وجزءا من ساكس وبومرانيا وبعض الولايات الالمانية الغربية

٢ — مؤتمر باريس سنة ١٨٥٦

فتح هذا المؤتمر في ٢٤ فبراير وختم في ٣٠ مارس سنة ١٨٥٦ وقد حضره ممثلو انكلترا والنمسا وفرنسا وبيامونتي وبروسيا وروسيا وتركيا . وكان عقده أثر حرب القرم وسببها ان انكلترا اخذت جانب العثمانيين وتعمدت احياء دولتهم فاتخذت نفوذها وصداقتها وسيلة لتحسين أحوالهم فاستاءت روسيا من ذلك وطلبت من السلطان سنة ١٨٥٣ حق حماية المسيحيين الارثوذكس في تركيا فلم يجبها فجردت جندها وحملت على المملكة العثمانية فاحتلت رومانيا فغضبت انكلترا وانحازت اليها فرنسا فاتحدتا على نصرة تركيا وجرت حرب القرم وحاصرت هذه الدول الثلاث حصون سباستبول سنة وبعد عناد شديد فتحوها . وفي اثناء ذلك توفي القيصر نقولا وخلفه القيصر اسكندر الثاني وعقد مؤتمر باريس الذي نحن بصدده . وقد تم فيه الاتفاق على صيانة المملكة العثمانية مع حياد البحر الاسود بحيث لا يكون لروسيا أو لتركيا اسطول حربي فيه واطلاق حرية التجارة في الدانوب واستقلال رومانيا الاداري

٣ — مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨

بعد ان انتصرت روسيا على الدولة العثمانية في حرب سنة ١٨٧٧ — ١٨٧٨ وعقدت معها معاهدة سان ستفانو (٣ مارس ١٨٧٨) رأت الدول الاوربية ولا سيما النمسا وانجلترا والمانيا ان تنكر تلك المعاهدة بحجة ان فيها حيفاً على تركيا ولانها تناقض ماجاء في المعاهدات السابقة عن حماية الدولة العثمانية ولا سيما معاهدة باريس . وبعد الاخذ والرد تم الاتفاق على عقد مؤتمر برلين وقد حضره ممثلو جميع الدول التي امضت معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ الا انه اذن لرومانيا واليونان ان يمثلا فيه لبيان مطالبها من غير ان يكون لهما حق المناقشة والتصويت . وقد نتج عن مؤتمر برلين ان تكونت معظم الدول البلقانية وانسلخت في الفعل ان لم يكن في الاسم عن سلطة الدولة العثمانية

وتتألف معاهدة برلين من ٦٤ مادة . الاثنتا عشرة الاولى منها تختص بامارة البلغار وحدودها وحكمها والمواد ١٣ الى ٢١ بشأن ولاية الروملي الشرقية وحدودها وحكمها ، ثم يلي ذلك تعهد الباب العالي باجراء النظامات في كريت ، ثم تسليم البوسنه والهرسك الى النمسا لتتولى ادارتهما ، فاعتراف تركيا باستقلال الجبل الاسود ، فاعترافها باستقلال السرب وحدودها ، ثم استقلال رومانيا وحدودها ، ويأتي بعد ذلك منح روسيا بعض الاراضي فى اسيا الصغرى . وغير ذلك من الشروط الثانوية التي نضرب عنها صفحاً

تلك هي اهم المعاهدات الحديثة التي غيرت خارطة اوربا ووجهت مجرى التاريخ في القرن الماضي . ولا شك ان المؤتمر المقبل سيكون اعظم شأناً منها كما ان هذه الحرب اعظم من جميع الحروب التي عرفها البشر

شيءٌ

من التاريخ والادب والسياسة

يقولون ان التاريخ يعيد نفسه . ولنا كل يوم على هذا القول برهان ساطع . وكفى بهذه الحرب الزبون ، وما اكتنفها من الظروف السابقة والمرافقة واللاحقة ، دليلا على ان الحوادث التي تعترض المجتمع الانساني في سيره هي واحدة دائماً أبداً من حيث ارتباط المعلولات بالعلل ، مهما اختلفت مظاهرها وتنوعت تفاصيلها ، وان الاسباب الصغيرة في الظاهر التي تولد كبائر الامور ليست في عين المتبصر الحكيم الا كقطرات ضئيلة تتضامّ وتتلاحم ، حتى تكوّن سحابة كبيرة تنهلّ غيثاً مدراراً فسيلاً جارفاً متى آن الاوان — وأوّلُ الغيث قطرٌ ثم ينهمر

وقد عرف الجميع ان الاسباب الحقيقية التي أوقدت نيران هذه الحرب الا كلة ليست فقط محاولة اعتداء النمسا على الصرب أو افتتان عاهل الالمان ببسط النفوذ الجرماني على بني الانسان ، بل ان هناك أسباباً ومقدمات كانت كالنار كامنة تحت الرماد منذ عهد قديم ، وقد شام وميضها كل من تلمس تعليل الحوادث وتحليل البواعث

ولنا في كلمة قالها بسمرك دليل على هذه الحقيقة : فقد أجاب من سأله عن الداعي الى تشديده في معاملة فرنسا بعد قضاء لبانته من الانتصار : « أني أريد الانتقام من لويس الرابع عشر ! »

ومعروف ان بين بسمرك وملك فرنسا المقصود قرنين كاملين من الزمن ..

واستناداً الى ما تقدم نريد اليوم ان نرجع بالقارئ الى سنة ١٨٤٠ ، فقد جرى فيها من الحوادث ما لا يخلو من الارتباط بالحرب الحاضرة ، فوق ارتباطه بتاريخ مصر الحديث وعلاقته بالسياسة والادب لذلك رأينا في ايراد هاتيك الحوادث فكاهة وفائدة

حالة اوربا في سنة ١٨٤٠ — الاضطراب الفكري في فرنسا

قامت في اوربا في سنة ١٨٤٠ مشكلة سياسية دولية عرفت باسم « المسألة المصرية » فان جيوش محمد علي باشا والي مصر كانت قد زحفت في سوريا وآسيا الصغرى ، ولواء النصر معقود لها ، حتى باتت تهدد الاستانة . وكانت فرنسا تؤيد والي مصر بجميع

مالديها من القوة والنفوذ فقلقت حكومات اوربا من مصير الاحوال وأخذت الدوائر السياسية تنظر الى الامر بعين الحذر والاهتمام . وفي غضون ذلك رأت بريطانيا العظمى ان تحل الاتفاق المبرم بينها وبين فرنسا وبدأت المفاوضات بينها وبين حكومات روسيا والنمسا وبروسيا لعقد اتفاق جديد يقوم مقام الاتفاق المنقوض . وقد عقد هذا الاتفاق فعلاً ، وكان توقيعه في ١٥ يوليو (تموز) سنة ١٨٤٠ . وهو معروف باسم « اتفاق لندن » وكان من نتيجته ان قضى على آمال محمد علي وصان مبدأ سلامة الاملاك العثمانية وجعل فرنسا في عزلة عن دول اوربا

فهاج الرأى العام في فرنسا وماج ، ورأى الجميع في هذا العمل اهانة للشرف الفرنسي وساد الاعتقاد بين القوم بان هذا الشرف الرفيع لن يسلَم من الأذى « حتى يراقَ على جوانبه الدمُ »

وتناولت الصحف هذا الحادث وهولت به . فقالت جريدة « الديبا » : « ان في الامر قحة لن تستطيع فرنسا الى الصبر عليها سبيلا ، فمجدها يأبى عليها ذلك » وقالت « مجلة العالمين » : « ان للمسألة حدوداً اذا تخطوها فلا بد من الحرب »

وكان للشعراء جولة في الموضوع ، فمما قاله أحدهم وردده الجميع : « ان الفرنسويين متى أهينوا لا يعرفون شيئاً تعجز عنه عزيمتهم »

وأصدر الكاتب الشهير « ادجار كينه [1] » رسالة ، تراجع صداها في انحاء البلاد ، بين فيها ان حالة الاضطراب السائدة في فرنسا ان هي الا نتيجة المعاهدات المعقودة في سنة ١٨١٥ على اثر الحروب النابوليونية . ومما جاء في رسالته هذه قوله : « ان فرنسا ستظل شبحاً اذا هي لم تنفض الكفن الذي كفنت به في موقعة واترلو ! » وواترلو ، على ما هو معروف ، هي الموقعة التي أفل فيها نجم نابوليون وتقوّض عرشه

ومما كان الفرنسيون يعدونه في تلك المعاهدات مجحفاً بحقوقهم كل الاجحاف أنها « حرمت فرنسا شاطىء الرين الايسر ومكنت الالمان من اقامة حاميات لهم في مدن سارلويس ومايانس وراستد والم » وهي البلاد التي لم يكن الفرنسيون يرون بدأ من استرجاعها ومما قاله « كينه » في رسالته المذكورة مخاطباً الشعب الالماني :

---

(١) Edgar Quinet شاعر وفيلسوف ومؤرخ فرنسي جريء الرأي كان له جولات مشهورة في عالم السياسة (١٨٠٣ — ١٨٧٥)

« ليس من يبغي صداقتكم باخلاص يزيد على اخلاصنا . ولكن اذا لم يكن بدٌ لنيل هذه الصداقة من ان ندع أرجل أمرائكم على رقابنا الى الابد ، ونترك مفاتيح باريس في أيديكم ، فان الواجب يحتم علينا المقاومة حتى النفس الاخير »

ولا يصعب على القارئ ان يدرك عظيم التأثير الذي كان لمثل هذه النشرات في الرأي العام ، ولا سيما أنها جاءت تعبر أحسن تعبير عما في الصدور ، حتى ان الملك « لويس فيليب » ووزيره « تيرس » لم ينكراها . ويقال انه لما اتصل بالملك نبأ اتفاق لندن « بلغ الغضب منه مبلغاً اضطرت معه الملكة الى ايصاد أبواب مخدعه لئلا يسمع صوته في فناء القصر » وعلى أثر ذلك صرح الملك في مقابلة لسفيري النمسا وبروسيا بما معناه :

« عشر سنوات مضت ، وانا واقف بوجه الثورة أحول دون شبوبها ، مخاطراً بمصالح شعبي ومجازفاً براحتي وحياتي . فالملوك أجمعون مدينون لي بحفظ السلم في أوربا ، كما أنهم مدينون لي بسلامة عروشهم من ان تدك . وهذا هو الآن عرفانهم للجميل ! فكأنهم يريدون ارغامي على لبس القبعة الحمراء » ولبس القبعة الحمراء في عرف الفرنسيين كناية عن الانحياز الى حزب الثورة .

وقال الملك ايضاً في مقابلة رسمية أخرى « انتم تريدون الحرب ، فسأضرم نارها . واذا قضت الحال ، سوف أنزع عن النمر كمامته » وهو يقصد كذلك حزب الثورة .

وكان الوزير « تيرس » الحذر الحكيم قد أمسى نفسه نزوعاً الى الحرب . وكثيراً ما رآه أخصاؤه مكباً على الارض فوق المصوّرات الجغرافية المبسوطة أمامه يغرس فيها دبابيس مختلفة الالوان للدلالة على زحف الجحافل وسير الكتائب .

واتفق بعد مرور ثلاثة عشر يوماً على عقد اتفاق لندن ان جرى في فرنسا — ٢٨ يوليو — احتفال لرفع الستار عن « عامود الباستيل » . فقام ثمانون الفاً من الحرس الوطني بمظاهرة كبيرة فساروا هازجين بنشيد « المرسليز » الى قصر « التويلري » وازدحمت الجماهير حول مكاتب التجنيد طالبة التطوّع في الجيش .

قصيدة « بيكر » الالماني : نشيد « الرين »

هذه صورة ما كانت عليه الحال في فرنسا سنة ١٨٤٠ . أما ما وراء « الرين » ، فلم يكن القومُ على مثل هذا الاضطراب الفكريّ . لذلك دهش البروسيون في بداية

الامر أشدّ الدهش من هذه المظاهرات العدائية القائمة عند جيرانهم ، ولم يكونوا ليدركوا العلاقة بين نهر النيل ونهر الرين . على انّ نفس هذه الافكار أخذت تتكوّن شيئاً فشيئاً في رؤوسهم ، فنبتت نفس تلك العواطف في صدورهم ، وشرعت صحفهم تنفخ في النار الكامنة لتؤجج سعيرها : فكثر ذكر « الالزاس » و « اللورين » ووجوب ضمّ تينك المقاطعتين الى بروسيا ، حتى انتشرت هذه الفكرة ، وبات القوم على استعداد فكريّ يقضي بوجوب مقاومة كل اعتداء من فرنسا اذا ما حدّثتها النفسُ بالرجوع الى عهد نابوليون الغازي . وهكذا تلبدت الغيوم في جوّ البلدين ، وكان البرق المنذر بقرب انقضاض الصاعقة قصيدةً نشرها نيقولا بيكر . (Nicolas Becker)

وكان الرجل هذا كاتباً مجهولاً يعيش في احدى القرى قرب مدينة « كولونيا » . فاتفق له ان زار المدينة في شهر اغسطس (آب) من تلك السنة حيث اجتمع مع بعض اصدقائه في احدى القهوات يفرغون من اكواب الجعة ما شاؤوا . ودار حديثهم على السياسة ، فطالعوا الصحف الواردة من فرنسا ، وتناقشوا طويلاً في أنبائها . ثمّ عاد « بيكر » الى منزله ، وقد لعبت برأسه حميّا الخمرة وسورة السياسة ، فنظم أنشودة الرين (Rheinlied) وهي قصيدةٌ ذات سبعة مقاطع يتألف كلُّ مقطعٍ من اربعة ابيات ، وارسلها الى ابن أخته ادمون أبهوف ، فنشرها هذا في « غازت ده تريف » . وكان لها وقعٌ شديدٌ في النفوس تراجع صداها في طول البلاد وعرضها ، واستطار صيت ناظمها استطارة الحريق ، حتى اصبح بين عشيةٍ وضحاها من مشاهير قومه . فحفظ الاهلون « أنشودة الرين » ولحّنوها وباتوا يتناشدونها في روحاتهم وغدواتهم . واليك ترجمتها :

« لن ينالوا الرين ، ذلك النهر الالماني الحرّ ، وان كانوا يطلبونه بنعيقهم كالغربان الجشعة !

« لن ينالوه ما دام يترقرق ساكناً في ثوبه الاخضرِ ، وما دام هناك مجذافٌ يضربُ في مياههِ !

« لن ينالوا الرين ، ذلك النهر الالماني الحرّ ، ما دامت القلوب ترتوي من رحيقه الناريّ !

« وما دامت الصخور قائمة وسط مجراه ، وما دامت الكاندرائيات الشاهقة

تعكس خيالها في مرآته

« لن ينالوا الرين ، ذلك النهر الالماني الحرّ ، ما دام الفتيان الحديدو الفؤاد يغازلون الفتيات الممشوقات القوام !

« وما دام هناك سمكة تسبح في اعماقه ، وما دام على شفاه المنشدين أنشودةٌ تُردَّد !

« لن ينالوا الرين ، ذلك النهر الالماني الحر ، أو تدفن عظام آخر رجل في طيات امواجه ! »

تناقل القوم هذه الانشودة من اقصى البلاد الى اقصاها ، فبلغت مسامع ملك روسيا ، فارتاح اليها أتمّ الارتياح ، وعرض على الشاعر جائزة قدرها الف تالر أو معاشاً يتقاضاه سنوياً أو منصباً رسمياً . فآثر « نيقولا بيكر » المنصب ، وعين كاتباً في المحاكم . وانهالت عليه الهدايا والصلات من كل صوب ، حتى انّ صاحب احد المعامل الكبيرة قدّم له طاقماً للمائدة من سبع قطع من « الصيني » الفاخر ، ونقش على كل قطعة مقطعاً من القصيدة بحروف من ذهب . وأرسل اليه أمير بافاريا كأساً من الفضة مع رسول خاص ! وأراد أمير بروسيا — الذي صار فيما بعد الامبراطور غليوم الاول — أن ينسج على منوال « نشيد الرين » فنظم قصيدة من ابياتها :

« يا مدينة ستراسبورج ، يا حصن الطريق الى فرنسا وبورجونيا ، لا يهنأ للالمان عيشٌ ما دام الفرنسيون في ربوعك . . !

لا بدّ من ان يعود الرين في جميع مجراه ملكاً للبلاد الالمانية ، فانشروا الرايات . . ! »

فسكر « بيكر » بخمرة الشهرة ، فلم يلبث أن نشر ديواناً من نظمه ، غير انّ هذا الديوان جاء خالياً من كل نفس شعريّ ولم يكن فيه ما يعدل « نشيد الرين »

رد لامارتين وآراؤه الاجتماعية

ومن عيوب الفرنسيين — أو من محامدهم — أنهم قليلو الاكتراث لما يحدث خارج بلادهم : فمر صيف تلك السنة وشتاؤها ، وأقبل ربيع سنة ١٨٤١ وهم على غير علم بانشودة الرين التي أقامت بروسيا وأقعدتها . وكانت الافكار في فرنسا قد هدأت في تلك الفترة ، لان الملك لويس فيليب لم يرَ من الحكمة المجازفة بتاجه ،

وكان الشعب قد تنبه الى ويلات الحروب ، فعاد يتذكر ما أصابه منها إبان الثورة الكبرى وعلى عهد نابوليون بعد ان كاد ينساها . وكان « تيرس » رأى نفسه انه ليس بصنو لنابوليون في ميادين القتال ، فقامت بدل وزارته وزارة « غيزو » وهي اكثر نزوعاً الى السلم منها الى الحرب . وفي ذلك العهد — ١٦ مايو (ايار) ١٨٤١ — وقعت نسخة من قصيدة « بكر » في يد « لامارتين » وهو اذ ذاك في ابان عزه . وكان الشاعر الالماني قد اهداها الى الشاعر الفرنسي تأدباً أو تحرشاً . في اليوم الثاني — ١٧ مايو — نشر « لامارتين » رداً على النشيد الالماني بعنوان « مرسليز السلام » نشرته « مجلة العالمين » مع قصيدة « بكر »

ولفهم ردّ « لامارتين » لا بد من معرفة المبادئ التي كان عليها الشاعر في ذلك العهد والتي املت عليه رده السلمي . فانه كان شديد الوطنية لكنه كان يستنكر سفك الدم ، ويرى خطراً عظيماً على امته في تمجيد أعمال نابوليون وبث الروح العسكرية في صدر الشعب ، فكان لسان حاله يقول مع الشاعر العربي :

« لا أحب الوغى ولا انا منه كل ما يقتل النفوس حرامُ »

وقد بين آراءه هذه في خطاب له مشهور جاء فيه : « لست من انصار مذهب نابوليون — مذهب القوة الذي تريدون ان تحلوه محل دين الحرية في رؤوس الشعب . فانا لا أرى موافقاً تأليه الحرب دائماً ابداً والعمل على زيادة غليان الدم الفرنسي الذي تمثلونه توّاقاً الى ان يهرق بعد هدنة خمسة وعشرين عاماً ، كما لو كان السلم الذي هو سعادة العالم وفخره الحقيقي يحتمل ان يكون عاراً على الامم . . . واذا كان لا بد لي من المجاهرة بان في الحرب شهرة وفخفخة وحركة اكثر مما في السلم ، فانني اجاهر في الوقت نفسه أن في السلم من الوطنية الصادقة مئة اضعاف ما في الحرب . . . أنا ابن الانسانية قبل ان اكون ابن فرنسا أو انجلترا أو روسيا . واذا كان بين مصلحة الوطن الضيقة وبين مصلحة البشرية الكبيرة نزاع ، فلا أحجم عن القول مع من قال « فلتهلك امتي ، اذا كان في هلاكها حياة الانسانية »

هذا شيء من اقوال « لامارتين » التي تعبر عن عواطفه في ذلك العهد . وقد ردّد هذه الافكار والآراء الاجتماعية في جوابه « مرسليز السلام » على أنشودة الالماني المتحمس . وقصيدة « لامارتين » طويلة تبلغ ١٣٤ بيتاً يضيق المجال عن ترجمتها بكاملها ، ولكننا نجتزئ ببعض ما جاء فيها للدلالة على روحها الاجتماعية :

« يا نهر الرين ، يا نيل الغرب ، ويا كاساً تستقي منه الامم ، سر حراً متكبراً في مجراك بين عرض شاطئيك ، واحمل في طياتك مطامع الشعوب الساكنة المرتوية من مائك الشبيم . . .

« لن يدنس بعد اليوم بلور مياهك دم الفرنسي الاحمر ودم الجرماني الازرق ، كما ان البارود لن يقوض بعد اليوم الجسور الممتدة فوقك بين الشعبين كاليد الممتدة للمصافحة . . .

« لماذا نتنازع الجبل أو السهل ، وخيمتنا في هذه الدنيا خفيفة تذهب بها نسمة هواء . . . أي عين تقدر ان تستنزف أشعة الشمس ؟

« لماذا نتبادل البغضاء ؟ ولماذا نضع بين الشعوب تلك التخوم الفواصل التي ينكرها الاله العليّ ؟ فهل نرى في السماء للتخوم من أثر ؟

« الامم ! كلمة ترن في الاسماع . ولكن معناها مرادف للتوحش . مزقوا الرايات فان هناك صوتاً يهيب بكم « ان الانانية والبغضاء لهما وطن ، اما الاخاء فلا وطن له ! »

« سر في مجراك ايها النهر ، ولا تبالِ اذا كان الذين تحملهم أو ترويهم هم من قاطني شاطئك الغربي أو شاطئك الشرقي

« وطن كل انسان الاقليم الذي يمتد اليه عقله : فانا مواطن لكل نفس تفكر ، فالحقيقة هي بلادي !

« النسر والثور يشربان من مياهك . فلتقترب اذن الانسان من الانسان ، وليشربا معاً من مياهك . . ! »

هذا مثال من الافكار الاشتراكية التي جاءت في قصيدة « لامارتين » وقد اشار فيها الى الشرق عامة والى وادي النيل خاصة . على انها مع كل ما فيها من البيان الساحر والبلاغة الخلاّبة لم تلاقِ رضىً في نفس الجمهور لانها لم تعبّر عن منازعه وميوله . فتناولتها الصحف بالنقد الشديد ، ووجهت الى شاعرها العبقريّ سهام اللوم والتقريع ، وذهب بعضهم الى اتهامه بالمروق عن الوطنية — وهو الوطني الصادق — مما يطول شرحه .

وتناقشت « الصالونات » الادبية — وهي مشهورة في فرنسا — في مغزى هذه القصيدة ومراميها الاجتماعية فكان ذلك سبباً لدخول شخصٍ ثالث في هذه

الرواية السياسية الادبية — وهو الشاعر المعروف « ألفرد ده موسّه »

رد « ألفرد ده موسه » على الشاعر الالماني

ذلك انه اتفق في احد الايام ان اجتمع في صالون « مدام جيراردَن » طائفة من أعلام أدباء ذلك العصر ، فدار الحديث على قصيدة لامارتين وما فيها من الافكار السامية . فقالت صاحبة المنزل : « لا مشاحة في ان هذه القصيدة آية في البلاغة . ولكنني كنت أوثر ردّاً اكثر ايلاماً منها . . . نحن معشر النساء لا ندرك تماماً هذه الافكار الاجتماعية : فنحن متكبراتٌ ، غيوراتٌ ، محباتٌ للانتقام ، ولا نريد أن نتجرّد من هذه الصفات . وأنا متطرّفة في الوطنية ، ولا تزال عقيدة الوطن راسخة في ذهني . وكم كنتُ اودّ لو انبرى احد شعرائنا لذلك الشاعر الالماني فكال له الصاع صاعين ! »

فاجاب الفرد ده موسه ، وكان حاضراً : — وانا على رأيكِ يا سيدتي !

فصاح الجميع « عليك اذن بالردّ ! » واحاطوا به للحـال ، فاخرجوه الى الحديقة ، واوصدوا بوجهه باب البهو ، تاركين له ما يلزم للكتابة ولفافتين من التبغ (سيجار) وبعد ربع ساعة عادوا اليه فاذا به قد احرق السيجارين ونظم الابيات الآتية ردّاً على « نشيد الرين » :

« قد نلنا الرين ، نهركم الالماني ! وقد وسعه جامٌ من جاماتنا . فهل لانشودة يسير بها القوم هازجين ان تمحو الاثر العظيم الذي تركته حوافر جيادنا المصبوغة بنجيع دمائكم ؟

« قد نلنا الرين ، نهركم الالماني ! فان في احشائه جرحاً يسيل دامياً من عهد ما مزّق « كونده [١] » الظافر ثوبه الاخضر . ولا شكَّ في أن الابناء لمارّون حيث مرّ الآباء

« قد نلنا الرين ، نهركم الالماني ! — اين كانت فضائلكم الجرمانية يوم كان قيصرنا القدير [٢] يبسط ظلّهُ على سهولكم ؟ وأين وقع آخر عظم من عظام رجالكم ؟

---

(١) Condé هو القائد الفرنسي الشهير على عهد لويس الرابع عشر الذي كسر البروسيين في عدة مواقع

(٢) يشير الى انتصارات نابوليون في بروسية

« قد نلنا الرين ، نهركم الالماني ! واذا كنتم قد نسيتم تاريخكم ، فان بناتكم اكثر احتفاظاً بذكرنا منكم : فقد صببنَ في كؤوسنا نبيذكم الابيض

« اذا كان الرين النهر الالماني لكم ، أغسلوا فيه ثيابكم . واذا ما تكلمتم عنه فاخفضوا الصوت : فكم كنتم من غراب في اليوم العصيب حول النسر المحتضر [1] ؟

« فليتدفق نهركم الالماني بسلام ! ولتنعكس صور كاتدرائياتكم القوطية في مياهه ! ولكن احذروا ! فان اناشيدكم الخمرية قد توقظ الاموات من رقادها الدمويّ ! »

فصفق الحاضرون لهذه الابيات الحماسية ونشرتها الصحف مكبرة مهللة ، واشتد هياج الافكار في البلدين . وتلقى الفرد ده موسه من كثيرين من الضباط البروسيين دعوة الى المبارزة ، فابى مجيباً أنه لا يبارز الا قرنه الشاعر « بيكر » . على أن بيكر لم يفعل . . . وجرت على أثر ذلك حوادث أخرى أنست هذه المهاجاة السياسية ، فسكنت العاصفة التي كانت ثارت بسببها ، وذهب عن بال القوم ذكر « نشيد الرين » والردّ عليه حتى كانت حرب السبعين فانبتت البذور التي كان بذرها هذا التهاجي منذ ثلاثين سنة

وقد أعادت الحرب الحاضرة أيضاً ذكرى هذه الحادثة السياسية الادبية ، فعادت الصحف الى نشر تينك القصيدتين وعاد القوم الى التهاجي بهما

التهاجي السياسي عند العرب

وقد ذكّرتنا هذه الحادثة حادثة أخرى من قبيل التهاجي السياسي رواها الازديّ في « بدائع البدائه » عن بديع الزمان ، قال :

كنت عند الصاحب كافي الكفاة أبي القاسم اسماعيل بن عبّاد يوماً ، وقد دخل عليه شاعرٌ من شعراء العجم ، فانشده قصيدة يفضّل فيها قومه على العرب ، وهي :

غنينا بالطبول عن الطلول وعن عنس عذافرةٍ ذمولِ [2]

فلست بتاركٍ إيوان كسرى لتوضح أو لحومل فالدخول [3]

(١) يقصد به نابوليون .

(٢) يشير الى اكثار العرب من ذكر الطلول ووصف النوق في قصائدهم — وعنس وعذافرة وذمول من صفات الناقة

(٣) هي أسماء امكنة في بلاد العرب يكثر شعراؤهم من ذكرها . قال امرؤ القيس في مطلع معلقته المشهورة :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وضبٍ بالفلا ساعٍ وذئب ... بها يعوي وليث وسط غيل
يسلون السيوف لرأس ضب ... حراشاً بالغداة وبالاصيل
اذا ذبحوا فذلك يوم عيدٍ ... وان نحروا ففي عرس جليل
أما لو لم يكن للفرس إلا ... نجار الصاحب القرم النبيل
لكان لهم بذلك خير فخر ... وجيلهم بذلك خير جيل

فلما وصل الى هذا الموضع من انشاده ، قال له الصاحب « قدك [1] ! » ثم اشرأبّ ينظر الى الزوايا وأهل المجلس ، وكنت جالساً في زاوية البهو فلم يرني . فقال : « ابن ابي الفضل ؟ » فقمت وقبلت الارض وقلت « أمرك ! » قال « أجب عن ثلاثتك » قلت « وما هي ؟ » قال « أدبك ونسبك ومذهبك » فاقبلت على الشاعر فقلت « لا فسحة للقول ، ولا راحة للطبع الا السرد كما تسمع » ثم أنشدت :

أراك على شفا خطر مهول ... بما اودعت لفظك من فضول
تريد على مكارمنا دليلا ... متى احتاج النهار الى دليل
ألسنا الضاربين جزى عليكم ... وإن الجزيَ اولى بالذليل
متى قرعَ المنابرَ فارسيٌّ ... متى عرف الأغرَّ من الحجول [2]
متى عرفت ، وأنت بها زعيم ، ... أكفُّ الفرس اعراف الخيول
فخرتَ بملءْ ماضغتيك هجراً ... على قحطان والبيت الاصيل
وتفخر أن مأكولا ولبساً ... وذلك فخر ربات الحجول
ففاخرهنَّ في قدٍ أسيل ... وفرع في مفارقها رسيل
وأبعد من أبيك اذا تزيا ... عراةٌ كالليوث على الخيول

قال : فلما أتممت انشادي التفت اليه الصاحب وقال له « كيف رأيت ؟ » قال : « لو سمعت ما صدقت » قال « فاذن ، جائزتك جوازك [3] ، ان رأيتك بعدها ضربت عنقك » ثم قال « لا أدري أحداً يفضل العجم على العرب الا وفيه عرقٌ من المجوسية ينزع اليه »

* * *

(١) أي : كفاك !
(٢) اشتهر العرب بمعرفة أنساب الخيل — والخيل عندهم عنوان العزة والمجد
(٣) أي ان جائزتك على شعرك الجواز لك بالرحيل

واخبار مثل هذه المهاجاة كثيرةٌ عند العرب : فقد اشتهرت في الجاهلية بين القبائل لذلك كان لشاعر القبيلة في ذلك العصر مقام ممتاز بين قومه . وكان لها شأنٌ يذكر بين المهاجرين والانصار ، وبين آل أمية والعلويين وسائر الاحزاب المعروفة التي تنازعت السلطان . وقد جرى بين جرير والفرزدق وبين جرير والاخطل وكذلك بين بشار بن برد وحماد من التهاجي السياسي ما هو مدوّن في كتب الادب

القاهرة انطون الجميّل

نادرة المستر كرنجي

حدث المستر اندرو كرنجي المثري الاميركي الشهير قال : كنت في القطار الحديدي يوماً قاصداً لندن فاخترت الجلوس في عربة خاصة بغير المدخنين . فعند احدى المحطات دخل العربة راكبٌ فجلس بالقرب مني وما لبث قليلا حتى اشعل غليونه . فلم اطق صبراً وبادرته بقولي :

— ان هذه العربة لغير المدخنين

— نعم ولكني سادخن غليوني هنا

وبالفعل دخن الغليوم حتى آخره ثم ملأه ثانية فاستوقفته وقلت :

— لقد اخبرتك انه لا يجوز التدخين في هذه الغرفة . فاذا بقيت على عنادك شكوتك للحارس في المحطة القادمة

قلت ذلك واخرجت له بطاقة عليها اسمي فسلمته اياها . فنظر اليها ثم وضعها في جيبه واشعل غليونه بلا ادنى انزعاج . ولكنه عند المحطة التالية قام من مجلسه وذهب الى غرفة اخرى . اما انا فناديت الحارس للحال واخبرته بما حصل وطلبت اليه ان يدوّن اسم ذلك الرجل وعنوانه

فذهب وبعد قليل عاد اليّ وقال لي همساً كأنه يعتذر :

— لو كنت مكانك يا سيدي لما تجرأت على طلب هذا الرجل للمحاكمة فقد اعطاني بطاقته وها هي في يدي . انه المستر اندرو كرنجي

كيف تختم الحروب

عقد الصلح وشروطه

بعد انقضاء سنتين ونصف سنة على هذه الحرب الطاحنة التي تطاير شرر نارها المستعرة الى جميع اطراف المعمورة شمرت المانيا بان الوقت قد حان لرد السيف الذي شهرته الى غمده وارجاع السلام الى نصابه فوقفت وقفة القوي الشفيق على عدوه الغيور على الانسانيـة واقترحت أن يعقد مؤتمر للنظر في امر الصلح — فعلت ذلك وهي تعتمد على ماقد حازته من النصر في الآونة الاخيرة وتستعين بالدول المحايدة التي تتمنى السـلام خشاة ان يصاب حيادها باذى . وقد اجاب الحلفاء على تلك الاقتراحات وكثر التحدث اثر ذلك عن الصلح وعقده فرأينـا ان نأتي بمقال موجز نبين فيه كيف تختم الحروب الحديثـة وكيف يعقد الصلح ثم نأتي على ذكر اهم المؤتمرات وما كان من امرها

كيف تختم الحروب

ختمت معظم الحروب في العصور الحديثة بعقد معاهدة صلح بين المتحاربين ولكن بعضها ختمت على غير هذه الصورة : فمن ذلك (١) انه في حالة انكسار احد الفريقين انكسارًا شديداً يضعضعه ويفقده كيانه قد يكتفي المنصور بضم اراضي عدوه من غير معاهدة ما ، كما حدث سنة ١٧٦٦ اذ ضمت مملكة هانوفر الى بروسيا بلا معاهدة ، وحدث مثل ذلك اثر حرب الترنسفال. و (٢) متى تعادلت قوى الفريقين بحيث يعجز احدهما عن اخضاع الآخر قد يعدلان عن مواصلة القتال بدون عقد معاهدة رسمية ولا يخفى مافي ذلك من دواعي الارتباك والخلاف، اذ يتعذر تعيين نهاية الحرب وابتداء السلم فيصعب تمييز الاعمال الحربية من غيرها ولا يدري المحايدون حقيقة موقفهم . ولذلك فالامثلة على ختام الحرب بهذه الصورة

نادرة نذكر منها حرب بولونيا واسوج سنة ١٧١٥ وحرب فرنسا واسبانيا سنة ١٧٢٠ وحرب روسيا والعجم سنة ١٨٠١ فانها انتهت اثر العدول عن القتال لا اثر معاهدة

معاهدة الصلح

على ان الطريقة القانونية انما هي — كما قلنا — عقد معاهدة يمضيها الفريقان بعد تقدير نتائج القتال والمداولة بينهما مباشرة او بواسطة دولة أو دول محايدة . وفي الغالب يبذل المكسور مساعيه للحصول على وساطة بعض الدول المحايدة بأمل التخفيف من مطالب عدوه وبعكسه المنصور فانه يتجنب تلك الوساطة خشية ان تحرمه ثمرة نصره أو تقف في سبيل مطامعه

ويقتضي عقد الصلح ثلاثة ادوار يمر فيها وهي :

اولاً اقتراحات الصلح

ثانياً مقدمات الصلح

ثالثاً معاهدة الصلح

﴿ ١ — اقتراحات الصلح ﴾ يجوز ان تصدر اقتراحات الصلح من أحد الفريقين المتحاربين . وللآخر ان يقبلها او يرفضها : فاذا رفضها استمرت الحرب كما كانت ، اما اذا قبلها فحينئذ تبدأ المفاوضات بشأن شكل الصلح وشروطه ويعين المكان الذي تعقد فيه مقدمات الصلح . وقد يتفق المتحاربان ايضاً على اعلان هدنة ريثما تتم المفاوضات

﴿ ٢ — مقدمات الصلح ﴾ القصد من مقدمات الصلح préliminaires de paix معاهدة تمهيدية يمضيها الفريقان قبل امضاء المعاهدة النهائية وفيها يتم الاتفاق على الشروط الاساسية للصلح . واذا لم يكن الفريقان قد اتفقا بعدُ على اعلان الهدنة فانهما يتفقان على ذلك في تلك المعاهدة . وفيها ايضاً يعين المكان والزمان اللذان سيعقد فيهما الصلح نهائياً

ومن امثلة ذلك المعاهدة التي عقدت في فرسايل في ٢٦ فبراير سنة ١٨٧١ اثر الحرب البروسية الفرنسية مقدمة للمعاهدة النهائية التي عقدت في فرنكفورت

في يوم ١٠ مايو من تلك السنة . وكذلك حصل سنة ١٨٧٨ اثر الحرب الروسية العثمانية فقد عقدت مقدمات الصلح في ادرنه (٣١ يناير سنة ١٨٧٨) وعقدت معاهدة الصلح نفسها في سان استفانو (٣ مارس سنة ١٨٧٨) . وكذلك حصل في معظم الحروب الحديثة

﴿ ٣ — معاهدة الصلح ﴾ وأخيراً تعقد معاهدة الصلح نفسها وهي تحدد جميع المسائل الناشئة عن الحرب بالتفصيل وبصورة نهائية

الشروط اللازمة

وتختلف معاهدات الصلح في المسائل التي تنظمها ولكن هناك أموراً اساسية لا بد من اشتمال كل معاهدات الصلح عليها وها هي :

١ — الكف عن الحرب

وهو امر طبيعي فان اول غرض لعقد المعاهدة انما هو توقيف القتال عند حده . ومن نتائج ذلك ان كل اعتداء او اضرار يصدر من احد الفريقين بعد امضاء المعاهدة لا يكون مشروعاً — بعكس ما لو كانت الحرب آخذة مجراها — ويستدعي معاقبته والتعويض عن الضرر الناشىء عنه . ثم ينتج عن ذلك ايضاً ارجاع الاراضي والحصون والاستحكامات التي يحتلها احد الفريقين وفقاً لنص المعاهدة . الا اذا اتفق الفريقان على اعتبارها رهناً لغرامة حربية

٢ — التنزل عن المطالب والدعاوي التي كانت سبباً للحرب

وهو أمر طبيعي ايضاً اذ لا بد من هذا التنزل لرجوع السلم الى مجراه . واذا لم ينص شيء من ذلك فالسكوت يعد بمقام التنزل الصريح

٣ — العفو عن حوادث الاعتداء

يصدر العفو التام عن جميع الاعمال العدائية التي قام بها الفريقان حتى غير المتحاربين منهم

٤ — تحرير أسرى الحرب

وينبغي تحرير أسرى الحرب بل ينبغي ايضاً غض النظر عن جميع مساعيهم

السابقة في سبيل الهرب وعن سلوكهم في اثناء اعتقالهم وسائر ما نشأ عن حالة أسرهم. وبعكس ذلك الجنايات التي اتوها بقطع النظر عن الاسر فانه يجوز في هذه الحال حبسهم الى نهاية المدة التي حكم بها عليهم

٥ — العمل بالمعاهدات السابقة للحرب

ان حالة الحرب تقف سريان المعاهدات المعقودة بين المتحاربين ولكن رجوع السلم يعيد عمل تلك المعاهدات فتسري ثانية كما كانت تسري قبل الحرب. وهي نتيجة طبيعية لعقد الصلح يعمل بها حتى اذا لم ينص عنها صريحاً في معاهدة الصلح

الشروط غير اللازمة

تلك هي النتائج اللازمة لمعاهدات الصلح وهناك نتائج أخرى خاصة أهمها اثنتان : التعويض الحربي ، والتنزل عن بعض الاراضي

١ — التعويض الحربي

هو مبلغ من المال يفرضه المنصور على المغلوب لاجل غرضين : اما للتعويض عما ألمّ به من الخسارة بسبب الحرب واما لزيادة ثروته وافقار المغلوب . وفي الحالة الثانية تعد الغرامة الحربية ظلماً واستبداداً ، بل انها قد تجر الويل والخراب على الدولة التي تتقاضاها لان ازدياد المال بين ايدي المنصور مما يحمل على انتشار الرخاء والفساد والانحطاط . وما تقهقر اسبانيا في القرون الاخيرة الا نتيجة الاموال الطائلة التي ابتزتها من مستعمراتها في اميركا . على ان الدولة النشيطة الشابة قد تستفيد من تكاثر ثروتها وتستثمرها في الطرق المفيدة

وفي الغالب ينبغي للمغلوب ان يضمن الغرامة المفروضة عليه أما بضمانة مالية وأما برهن جزء من املاكه يتركه في يد العدو . واذا كان الدفع تقسيطاً فالارجح ان يجلو المحتل شيئاً فشيئاً عن الاراضي المرهونة اثر كل قسط يدفعه المغلوب

٢ — التنزل عن بعض الاراضي

اي ان المغلوب يتنزل عن بعض املاكه فتقع تحت سلطة المنصور . ولا بد في هذه الحال من الاتفاق على جنسية الاهلين وسائر احوالهم وعلى حصة تلك الاملاك من الدين الوطني ونحو ذلك من المسائل

الحالة الاقتصادية

والاشتراكية في الحرب

كان من نتائج الاستعدادات الحربية الى الآن ان الدول المتحاربة كلها اومعظمها انساقت بحكم طبيعة الحال الاقتصادية الى الجري على مبادئ الاشتراكية بغية الاقتصاد في كلا العمل والنفقة

وكانت المانيا اسبقهن الى تقلد النظام الاشتراكي في خدمة الحرب لان نظامها العسكري الواسع السلطة والصارم القانون والمتشعب في كثير من الاعمال والمرافق العمومية كالسكك الحديدية والتلغراف والبريد ومعامل التسليح على انواعها سهَّل الامر لها . فضلاً عن ان الحاجة الاقتصادية دفعتها حتماً اليه . فوضعت الشعب العامل كله نساءه ورجاله ما عدا اطفاله وعجائزه الذين لا يستطيعون العمل — وضعتهم كلهم تحت امر السلطة العسكرية لكي توزع الاعمال عليهم بحسب اهليتهم . فالقادر على حمل السلاح يساق الى ميدان القتال والذي لا يستطيعه يساق الى العمل الذي يحسنه . وثمَّ توزع الارزاق عليهم بالقسط والمكيال

ولا ريب ان يشمل هذا النظام الاشتراكي الحربي بلاد النمسا . ولا يبعد أن يمتد الى بلغاريا وتركيا ايضاً — هذا إن بقيت في هاتين المملكتين بقية من القوى العاملة خارجة عن نظام العمل الاشتراكي

وقد اعلنت الوزارة الانكليزية الجديدة ان تحذو هذا الحذو ايضاً ولسان حالها يقول : اذا كنتِ يا المانيا تفرغين آخر ما في وسعك وتبذلين جميع القوى التي عندك في سبيل هذه الحرب فنحن نقابلك بالمثل لانكِ لستِ اوفر منا همة ولا اشد عزيمة ولا اوسع علماً ولا اسمى عقلا ولا اكثر وطنية ونحن أبرُّ منك غاية لاننا ندافع عن القوانين الدولية ومبادئ الانسانية التي كنت في التاريخ الحديث مضرب المثل في انتهاك حرمتها وتمزيق « قصاصاتها »

ولا يبعد ان نسمع في الغد القريب ان سائر الحليفات تحدّى انكلترا في ذلك

ومعنى ذلك كله أن هذه الحرب الضروس دفعت كل امة من الامم المتحاربة أن تتضافر تضافر حويصلات الجسم الواحد على افراغ منتهى ما عندها من القوة لتقدمها ضحية على مذبح القتال

معنى النفقة على الحرب

ولكي نفهم معنى الاشتراكية في ذلك يجب ان نتبسَّط في المسألة من الوجهة المالية . فلنأخذ انكلترا مثلاً لذلك . لقد انفقت انكلترا حتى الآن على الحرب اكثر من ٣ مليارات من الجنيهات على ما يقال . وهذا المبلغ يساوي نحو ٠٠٠ ٣٧٥ كيلوغرام او ٨٣١٦ قنطاراً او ٣٧٥ طناً من الذهب الخالص . وقد يدهش كثيرون لهذا الحساب وربما تساءلوا : — هل توجد في انكلترا هذه القناطير المقنطرة من الذهب؟

قيمة ورق العملة

والجواب : اولا ليس من الضروري ان توجد هذه القناطير كلها ذهباً خالصاً ما دام النظام المالي الحديث (في كل العالم) يسهل التعامل بالورق كالعملة الورقية مثلا وهي كالسندات على الحكومة او على البنوك التي ضمنتها الحكومة . ولما كان في طوق الحكومة أن تسك نقوداً كان في طوقها ايضاً ان تصدر عملة ورق وقد يكون في خزينتها او خزينة البنك الذي اصدر عملة الورق ذهب يفدي ذلك الورق . وقد يكون الذهب المخزون اقل من عملة الورق فلا يكفيه فدية فيكون الزائد من عملة الورق بضمانة الحكومة ويعتبر كدين عليها بلا فائظ . ولذلك لا تنقص قيمة الورق عن قيمة الذهب كما نقصت قيمة المارك الالماني الا اذا كانت الثقة بمركز الحكومة المالي مزعزعة . ولا يقتصر التعامل على العملة الورقية فقط بل يشمل ايضاً التحاويل (الشيكات) على اشخاص وبيوت مالية موثوق بمقامها المالي . وقد يمكن التعامل ايضاً بالسندات (الكمبيالات) التي على الحكومة (وهي دين عليها بفائظ) وباسهم بعض الشركات الثابتة التي يغلب ان تكون اسهمها راسخة القيمة . فالعملة الورقية والتحاويل والسندات والاسهم — كل هذه يمكن أن تقوم في التعامل مقام الذهب

معنى الدين على الحكومة

ثانياً . ليس من الضروري ان توجد تلك الاموال الوافرة في خزينة الحكومة دفعة واحدة . أي ليس من المحتم أن يوجد في خزينة الحكومة من المال ما قيمته ٣ مليارات من الجنيهات مرة واحدة لان الحكومة لم تدفع هذا المبلغ الطائل دفعة واحدة . بل تدفعه تدريجاً كما تجمعه تدريجاً ضرائب وقروضاً . مثال ذلك ان الحكومة تقترض اليوم ٤٠٠ مليون جنيه (علاوة على ما تجبيه من الضرائب المعتادة) وتدَّخر في خزينتها ذهباً واوراقاً على نحو ما تقدم بيانه . ثم تجعل تنفقه تدريجاً حتى متى فرغ

عقدت قرضاً آخر وانفقته تدريجاً . وهكذا دواليك الى ان اصبح ما انفقته على الحرب نحو ٣ مليارات من الجنيهات

وهنا يتبادر الى ذهن بعض الناس أنه اذا كانت الحكومة تستلف المال من الشعب ثم تدفعه تدريجاً للشعب أجرة عمل للحرب وثمن مهمات حربية ثم تعود فتستلفه من الشعب وتدفعه ثانية وهلمَّ جراً — اذا كان الامر كذلك فكأن المال دائر في دائرة من الشعب الى الحكومة ومن الحكومة الى الشعب في فروع مختلفة متعددة وهكذا دواليك . اي ان المال باقٍ في البلاد لا يخرج منها (ولا سيما لان كل حكومة محاربة حظرت خروج الذهب من بلادها بتاتاً) . واذا كانت الحكومة تستدين المال من الشعب لكي تفيه من الضرائب التي تجبيها من الشعب فكأن الحكومة غير مدينة ولا الشعب دائن وبالتالي كانت البلاد لا تخسر شيئاً في سبيل الحرب

وقد سمعت بعض الناس يرددون هذا القول على ما فيه من سذاجة الفكر وجهل الحقيقة الاقتصادية

الخسارة خسارة قوى عاملة لا خسارة عملة

وعلة هذا الخطأ انما هي في جعل القيمة في العملة عينها ذهباً كانت أو ورقاً . والحقيقة أن العملة بحد ذاتها لا قيمة لها البتة لانها ليست جندياً يحارب ولا مدفعاً يطلق ولا معملاً يصنع السلاح ولا زاداً يؤكل وانما هي شيء يعبر عن قوة العامل فقط (اللهم ما دامت العملة معتبرة ذات قيمة في سوق التعامل) وذلك لان العامل عمل الجنيه لا الجنيه عمل العامل . الجنيه يمثل العامل . فاذا كان في يدك جنيه كان في يدك قوة عامل يعمل مدة معينة اي انك تدفع الجنيه اجرة لعامل يعمل . فاذا كنت محتاجاً الى عمل أو الى نتيجة عمل كطعام أو سلاح الخ ولم تجد العامل ولا الطعام الذي عمله العامل كان الجنيه بلا قيمة في يدك لانك لا تقدر أن تتغذى أو تكتسي به او أن تستخرج منه قوة ولهذا قيل « ان أغنى الاغنياء مات جوعاً لانه سجن بلا طعام في خزانة ذهبه »

فاذا استلفت انكلترا مئة مليون جنيه مثلا وقدرنا قيمة عمل العامل بجنيه في الاسبوع كان في وسع الحكومة أن تتصرف بعمل مئة مليون عامل في الاسبوع أو بعمل عشرة ملايين عامل في عشرة اسابيع . واذا انفقت الحكومة مئة مليون جنيه

في عشرة اسابيع كان المعنى انها تصرفت في عمل عشرة ملايين عامل في هذه المدة

واذا كان تقديرنا عمل العامل بجنيه في الاسبوع تقديراً صحيحاً أو تقريبياً كانت الثلاثة مليارات من الجنيهات التي انفقتها انكلترا في الحرب الى الان تعبر عن ٢٣ مليون عامل في مدة ١٣٠ اسبوعاً وهي مدة الحرب الى الان تقريباً . أي ان الامة خسرت في مدة الحرب قيمة عمل ٢٣ مليون عامل كل هذه المدة أو بعبارة اخرى خسرت قيمة عمل نصف عددها . وبعبارة ثانية خسر كل فرد نصف تعبه في هذه الحرب

فأين ذهبت هذه الخسارة ؟

ذهبت في الهواء ، ذهبت بلا فائدة اذا نظرنا الى المسألة من وجهة اجتماعية عمومية ذهبت بلا نتيجة ايجابية منها للعالم سوى رده الخطر الناجم من جنون المانيا وتأديبها على جنايتها الفظيعة على الانسانية . ولولا ذاك لكان كل فرد يتمتع بنتيجة تعبه كله بدل أن يحرم نفسه نصف حقها من التمتع لكي يبذله في سبيل ذلك الواجب

وما يقال عن الامة الانكليزية يقال عن سائر حليفاتها وسائر دول الاعداء ايضاً

اذاً الخسارة جسيمة جداً خلافاً لما يتوهمه بعض السذج الذين يعتبرون القوة في مجرد المال ويقولون ما دام المال متداولا وباقياً في البلاد فالبلاد لم تخسر شيئاً . ولتفهم الحقيقة لا يقتضي الا غض النظر عن العملة وتصورها خلواً من القيمة بحد ذاتها واعتبار القيمة في العمل نفسه فقط . فبدلا من ان تقول ان انكلترا انفقت في الحرب ٣ مليارات جنيه تقول أنها انفقت قوة ٢٣ مليون عامل كان في وسع الامة ان تتمتع بها بدل أن تطلقها لهباً أو مفرقعاً في الهواء لدفع عدو مغتر

لماذا الدين اذاً ؟

وربَّ قائل يقول اذاً اذا كانت الخسارة خسارة قوى عاملة لا خسارة مال حاصل فما معنى أن تستلف الحكومة هذه الاموال الطائلة وتنفقها ولماذا لا تستخدم القوة العاملة رأساً ؟

فالجواب اذا كان الجنيه يعبر عن عمل العامل في مدة معينة فلا فرق في النتيجة بين استخدام الجنيه لاستئجار العامل او لاشتراء نتيجة عمله وبين استخدام العامل نفسه رأساً وانما الفرق في التعامل بكل من الاثنين . فابسط الناس يفهم ان التعامل بالجنيه أسهل جداً من التعامل بالعامل لان الجنيه تقدر أن تجزئه ما شئت وتقدر أن تنقله حيث تشاء وتقدر أن تحوله خلافاً للعامل

فاذا كانت الحكومة تستلف المال من الشعب (أو من الخارج على نية ان تسدده من مال الشعب في المستقبل) وثم تدفعه للشعب اجرة جندي يحارب واجرة عامل يعمل في معمل التسليح وثمن مواد غذاء ولباس الخ. مما يعمله عامل، وثم تسدد هذا الدين من الضرائب التي تجبيها من الشعب في الحال والاستقبال — اذا كانت الحكومة تستلف على ذلك النمط وتنفق على هذاك النحو وتسدد الدين على هذا الاسلوب كانت بالحقيقة غير مستدينة ولا مسددة ديناً وكان الشعب غير دائن ولا مستوف ديناً. بل كان الشعب كله يعمل في سبيل الحرب بلا اجرة

واما عملية الحكومة في الاستلاف والانفاق والتسديد فليست الا عملية حساب تجاري بين افراد الامة بحيث يكون من لا يعمل في الحرب دافعاً من ماله نفقة من يعمل فيها وبحيث توزع الواجبات على الافراد حسب طاقتهم وحسب فائدتهم الشخصية من التضامن الوطني ولا سيما لان معظم الضرائب تجبى في اوربا على نسبة الدخل. فمالية الحرب ليست الا دفتر الحساب بين « من والى ». وادارة هذه المالية ليست الا قيمة على تسوية الحساب العادل بين افراد الشعب بحيث لا يكون ثمت غابن ولا مغبون

هذا هو معنى اقتراض الحكومة للمال

وهنا لا بد أن يلوح للخاطر سؤال وهو: هل كان ٢٣ مليون عامل من جنود وغير جنود يعملون للحرب على حساب انكلترا؟ وهل كان هؤلاء العمال انكليزاً؟ هذا على تقدير ان عمل العامل يساوي ريالا تقريباً. ولكن اذا لم يكن التقدير صحيحاً وقدرنا قيمة عمل العامل ريالين فهل كان نحو ١١ مليون ونصف مليون عامل يعملون على حساب انكلترا مدة الحرب؟ وهل كانوا انكليزاً؟

أما انهم يعملون على حساب انكلترا او بالاحرى على حساب الامة الانكليزية فأمر لا مشاحة فيه لان الحكومة الانكليزية كانت تنفق من جيبها أو قل من جيب الامة واما ان الاحد عشر مليوناً ونصف على التقدير الثاني وال ٢٣ مليوناً على التقدير الاول كلهم انكليز فليس امراً محتوماً. بل ان بعضهم اجانب ومنهم بعض العمال الاميركيين الذين كانوا يصنعون الذخيرة على حساب انكلترا. وقد عقدت انكلترا قرضاً في اميركا لكي تفي ثمن تلك الذخيرة منه. ولا بد ان تكون انكلترا قد ابتاعت مهمات كثيرة من غير اميركا ايضاً ودفعت ثمنها من جيبها

ومعنى ذلك ان كل ما عمله غير الانكليز من مهمات الحرب في خارج البلاد الانكليزية على حساب انكلترا انما هو دين على الامة الانكليزية توفيه من عملها في المستقبل . فكأنَّ الامة الانكليزية استلفت عمل عمال اجانب في الحال لكي تسدده من عمل أفرادها في المستقبل . وبالتالي تكون نفقتها على الحرب من قوى عمالها وحدهم بعضها معجل وبعضها مؤجل

القوات المدخرة

ولا يجوز ان نغفل عن حقيقة اقتصادية أخرى وهي ان للامة الانكليزية ثروة ضخمة تجمعت في السنين الماضية . وهي تنفق منها الآن على كل عمل يعمله الاجانب على حسابها . وعلى عمالها الذين وقفوا أنفسهم للحرب . يدلك على ذلك ان الحكومة الانكليزية انفقت الان ٣ مليارات جنيه معظمها قروض أهلية والنزر القليل منها أجنبي . ولولا ضخامة ثروة الامة لاضطرت الحكومة ان تعقد قروضاً في الخارج وان تدفع رباً فاحشاً ولأصبح شعبها مستعبداً استعباداً اقتصادياً لامم أخرى الى مدة غير قصيرة في المستقبل

قدرنا نفقات انكلترا بما استدانته وأنفقته في مدة الحرب وهو على ما يقال ٣ مليارات وأغفلنا ما كان عندها من المعدات الحربية قبل الحرب . وحسبنا ان نذكر منه أسطولها الضخم الذي قضت سنين عديدة تبنيه . فاعمل حسابه وقدره بقيمة عمل العمال يهلك ما بذل لهذه الحرب من جانب انكلترا وحدها

اتخذنا انكلترا مثلاً فاذا حسبنا نفقات سائر الحلفاء على هذا النحو بهتنا وذهلنا فكيف بنا اذا حسبنا ما استنفدته الحرب من الاعداء أيضاً — ولا تنس الضحايا الدموية .لك ان تقول انه لا أقل من مئة مليون عامل (جنود وغير جنود) يعملون الان لهذه الحرب بلا انقطاع — ويبذلون قواهم بلا فائدة عمرانية . . . لماذا ؟ . .!

تقلد النظام الاشتراكي في الحرب

نعود الان الى مسألة تقلد الدول المحاربة المبادئ الاشتراكية كثيراً أو قليلاً لانها نواة موضوعنا . ولنأخذ المانيا مثلاً للبحث في هذا الموضوع لانها أولى الدول المحاربة التي جنحت الى الخطة الاشتراكية وقد جنحت اليها بواسع معناها . فقد وضعت الحكومة تحت السلطة العسكرية كل من يستطيع عملاً من الغلام الى الشيخ استثناء . واذا لم تجد اقبال النساء على التطوع للعمل في « معمل » الحرب العظيم

وضعهن تحت أمر تلك السلطة أيضاً . وما أكتفت بذلك بل وضعت تحت أمرها أيضاً الاجانب الذين تحت رحمتها الآن كالبلجيكيين والبولونيين والسربيين . وربما وضعت النمسويين والبلغاريين والعثمانيين تحت مثل هذا النظام كلاً في بلاده

الفرق بين النظامين

والفرق بين هذا النظام الجديد والنظام السابق واضح تمام الوضوح لكل من تفهّم النظام الاشتراكي الذي كان الاشتراكيون الالمان أنفسهم في مقدمة دعاته

كان النظام السابق يقضي بوضع الرجال اللائقين للجندية فقط تحت أمر السلطة العسكرية . واما العمال الذين يعملون في مصانع السلاح والذخيرة وسائر المهمات الحربية فكانوا احراراً في ان يعملوا او ألاَّ يعملوا . ولهذا كانت السلطة مضطرة أن تغريهم بالاجور الكافية لكي يعملوا وذلك يستلزم ان تقترض المال لكي تفي الاجور وتشتري الاشياء . وربما دفعت غالياً في كثير من الاحوال . ولعلها لم تكن تجد العدد الكافي من العمال بعد ان جندت كل من يليق للتجنيد

فالنظام السابق اولا لا يطلق يدها في استخدام كل قوى الامة للحرب . وثانياً لا يعدل بين افراد الامة في التضحية للحرب لان كثيرين ممن لا يليقون للخدمة العسكرية من الاحداث والشيوخ والنساء لا يقومون بخدمة للحرب سوى ما يجبى منهم من المال الذي يجبى من غيرهم أيضاً على السواء . فكان فريقاً يضحي بدمه فضلا عن ماله في حين ان فريقاً آخر يضحي بفضل ماله فقط . وربما بقي عدد عديد من الاغنياء يتنعمون كعادتهم لسعة يدهم في حين أن غيرهم يشقى ويضحي حتى بدمه

اما النظام الجديد فيطلق يد السلطة في استخدام كل قوة صالحة للعمل في البلاد من الغلام الى الشيخ ومن الفقير المعدم الى المثري المترفه — استخدام كل في العمل الذي يحسنه ويستطيعه ليس على حسابه بل على حساب السلطة

الاستيلاء على المرافق فضلا عن الافراد

وهذا النظام يستلزم أن تضع السلطة يدها على جميع المرافق والاعمال الزراعية والصناعية حتى التجارية ايضاً . فتصبح المزارع والمصانع وجميع المرافق كأنها ملك للحكومة فهي تدير هذه الاعمال كلها تقريباً والناس كلهم يكونون مستخدمين فيها باجور . وقد قيل انها وضعت يدها على المطاعم لكي يبتاع الناس الغذاء مطبوخاً . ولا يخفى ما في ذلك من الاقتصاد او ربما جعلت تغذية بعض فئات من العمال على نفقتها

وخصصت نفقة التغذية من اجورهم . وانما تفعل ذلك اقتصاداً في الوقت وفي العمل معاً . ولا ندري الى الآن تفاصيل النظام الجديد الذي ستجري عليه المانيا . وانما يمكننا القول اجمالا ان هذا النظام سيجعل الامة الالمانية كلها كعائلة واحدة تعمل معاً للقيام بواجبات الحرب اولا ولسد حاجات الجمهور من الغذاء والكساء ثانياً . وهذا هو النظام الاشتراكي بعينه وربما كان اوسع منه شمولا واضيق منه تحديداً للحرية الشخصية

مزايا النظام الاشتراكي للحرب

وهاك اهم مزايا هذا النظام الجديد :

اولا ان الحكومة تستغني عن استلاف المال الا قليلا ولا سيما اذا جعلت الاجور قليلة تغطيها ايرادات الاعمال الزراعية والصناعية بحيث لا تزيد أجرة العامل عن نفقاته الضرورية . وما زاد من قيمة عمله على نفقته توجه الى ساحة الحرب حيث يستهلك هناك بلا فائدة لاهله

ثانياً ان هذا النظام يضيف الى عدد العمال الاشخاص الذين كانوا بلا عمل وانما كانوا يتعيشون من ريع ثرواتهم الطائلة فتكتسب السلطة فائدة عملهم . وعددهم ليس بالقليل . فمن منهم لا يحسن العمل اليدوي يحسن العمل الكتابي أو الاداري ومهما يكن الامر فان السلطة تنتفع بشيء من قوته ومواهبه

ثالثاً ان هذا النظام يقدر الحكومة على تقليل نفقات الجمهور الى أدنى ما يستطيعونه من التقتير . وبذلك ينتفي البذخ والترف والرفاهة واللهو الى غير ذلك مما يذهب بقسم من قوى الامة في الامور الكمالية التي يستغنى عنها

رابعاً ان هذا النظام يقصر جداً مدى البون بين الغني والمعدم . وربما ساواهم جميعاً أو عادل بينهم بحيث يكون حظ كل منهم على قدر أهليته — وهذا هو مآل الاشتراكية على الخصوص

خامساً ان هذا النظام يخوّل السلطة ان تلغي كثيراً من الاعمال الكمالية التي تستنفد جانباً عظيماً من قوى الامة ولا حاجة ماسة لها كالمصانع التي تصنع « لَعب الاحداث » وكبعض الجرائد والمجلات وكبعض مصانع الزينة والازياء وكبعض الملاهي الخ . ولا يخفى ما في ذلك من التوفير

سادساً ان النظام بحد ذاته اقتصادي محض اذ ينتفي منه ضياع القوى في تعدد الاعمال وتناظرها وتنافسها . فبدلا من ان يوجد في البلد الواحد مثلا ١٠٠ مطعم

او ١٠٠ مغسل ولكل منها ادارة خاصة وعمال متنوعون ومكان خاص الخ توجد ١٠ مطاعم و١٠ مغاسل اواقل من هذا العدد وتوحد ادارتها . ولا يخفى ما في ذلك من الاقتصاد . وهناك مزايا أخرى قد لا تخفى على الملمين بمبادئ الاشتراكية

لماذا لجأوا الى النظام الاشتراكي

وصفوة القول ان المانيا اضطرها مسيس الحاجة الحربية الى اقتباس مبادىء الاشتراكية بعينها لكي تستطيع ان تقوم باعباء الحرب . ومعنى ذلك انها عمدت الى بذل منتهى قوة الامة بحيث توجب على كل فرد ان يعمل بمنتهى قوته وان يكتفي من العيش ما يقوم باوده

وقد اعلن المستر لويد جورج رئيس الوزارة الانكليزية الجديد انوزارته ستضع ذكور الامة من ابن ١٦ الى ابن ٩٠ تحت امر السلطة العسكرية وأنها ربما وضعت يدها على كثير من الاعمال والمرافق وربما الغت بعض المرافق الكمالية . فانكلترا ستحذو حذو المانيا في اقتباس المبادئ الاشتراكية بقدر ما تقتضيه الحال

واذا جرت سائر الحليفات على هذا النمط الذي تجري عليه الدول المعادية ثبت لنا ان فصل الخطاب في هذه الحرب ليس للتفوق في الفنون الحربية ولا في قوى الجيوش المعنوية أو البدنية أو العقلية لان الامم المتحاربة متماثلة من هذا القبيل وانما هو في التفوق الاقتصادي : فالجانب الذي يستطيع أن يضع تحت سلطته العدد الاوفر من العاملين للحرب جنوداً وغير جنود يتفوق على الجانب الآخر اخيراً بلا جدال . والمسألة مسألة قوى عاملة ووقت ولا عبرة في الفتح ولا في كل ما نراه من سجال الحرب

هل تصح تجربة النظام الاشتراكي

وغاية ما نرمي اليه في هذا الموضوع هوان السلطات العسكرية في اوربا شرعت بتنفيذ المبادئ الاشتراكية تماماً اوتقريباً او معدلة . فكأنَّ طبيعة هذا التطور الاجتماعي قضت بارغام الامم الراقية على تجربة النظام الاشتراكي . ولسوف تعلم هذه الامم ان كانت التجربة ناجحة او مخففة وان كان في هذا النظام شيء من العيوب يمكن اصلاحه اولاً . ومهما تكن نتيجة هذه التجربة الحتمية فلسوف تخرج الامم الاوربية في هذه الحرب وقد تعلمت دروساً جديدة اجتماعية واقتصادية على الخصوص

نقولا الحداد

المدمرة الهائلة

هل في الامكان صنع مدمرات ارضية

بالرغم من توالي الاختراعات الحربية وتقدمها تقدماً عظيما كما برهنت الحرب الحاضرة لا يزال بين الحرب البرية والحرب البحرية فرق جوهري وهو ان الثانية انما تعتمد على سفن عظيمة الحجم موحدة الاجزاء بينما الاولى تعتمد على الافراد. نعم ان الجنود يستعينون بالبنادق والمدافع على انواعها ولكن تلك الآلات انما تكون في خدمة الجنود لا هم في خدمتها — كما هي الحال في المدرعات الحربية التي تقاتل كوحدات فتنتصر أو تغرق وهي على مسافات بعيدة. وبالاختصار فان وحدة القتال على البر هي الجندي بينما الوحدة على البحر هي السفينة بمجملها

ويؤخذ من النظر الى نشوء السفن الحربية وتقدمها انها ما برحت تزداد ضخامة واتساعاً — فهل من مانع يمنع المتحاربين في المستقبل من انشاء آلات برية مدمرة عظيمة الحجم تهجم على الجنود فتبعثرهم وتشتتهم وتخرب الابنية والاستحكامات في طريقها ؟ لقد نجح الانكليز في انشاء الاوتوموبيلات المدرعة المعروفة بالتنك ولكنها لا تزال في اول دور من ادوار نموها فحجمها صغير وتأثيرها محدود

أما الآلة التي نحن بصددها فقد استنبطها مهندس اميركي من خيرة المهندسين وهو المستر فرنك شومان الذي يعرفه المصريون بالمحرك الشمسي الذي انشأه في المعادي بقرب القاهرة منذ بضع سنوات (وقد نشرنا بين الاخبار العلمية في الهلال الماضي خبر زجاج اخترعه لا يخشى الكسر ولا تتطاير شظاياه مهما تكن الصدمة الواقعة عليه شديدة). ولا ننكر ان تلك الآلة لا تزال في مخيلة صاحبها وانه من الصعب معرفة تأثيرها الحقيقي اذا صنعت ولكن ذلك لا يمنعنا من تلخيص المقالة التي كتبها مخترع الآلة المذكور لمنزلته الشخصية اولاً، وثانياً لان الخيالات تتقدم الحقائق دائماً. قال:

ليس ثمت مانع هندسي من بناء مدمرة ارضية هائلة ذات عجلات عظيمة الحجم

تنتقل بسرعة كبيرة على الاراضي المستوية وغير المستوية فتقتحم العقبات الطبيعية والصناعية وتفني جيوشاً برمتها . على ان بناء المدرعات الحربية الحديثة هو من الوجهة الفنية اسهل بلا ريب من بناء تلك المدمرات الارضية لان سطح البحر مستو بعكس الارض فان فيها الهضاب والبطاح والرمل والصخور فضلا عن الابنية والمنازل على انواعها . هذا هو السبب الذي جعل القتال على البر قتال افراد اكثر مما هو قتال آلات عظيمة كما في البحر

وبالرغم من هذه المصاعب ارى انه من الممكن صنع مدمرة عظيمة لا يعوقها في سيرها ما يعترضها من العقبات الطبيعية أو الصناعية بحيث تكون الاكمة التي ارتفاعها خمسون قدماً في نظرها بمقام ارتفاع ست بوصات في نظر الاوتوموبيل ، ولا تعبأ بالمستنقعات الواسعة كما لا تعبأ العربة ببقعة ماء عرضها قدم . وتكون سرعة هذه المدمرة مئة ميل في الساعة على الاراضي الرملية المنبسطة وسر تدميرها في سرعتها اذ لا يستطيع شيء ان يقف في سبيل آلة ضخمة تتقدم بهذا الزخم

انه من الصعب ان اذكر بالتفصيل اجزاء هذه المدمرة التي درستها درساً وافياً وانما اكتفي بايراد صورة اجمالية لها (ويجد القارئ في النظر الى الصورة المرفقة عوناً على ادراك شكل المدمرة)

ليتصور القارئ آلة عظيمة ذات ثلاثة دواليب وفي وسطها بناء متين التصفيح يحمل الجنود والمهندسين . اما الدولابان الاماميان فقطرهما ١٥٠ الى ٢٠٠ قدم (اي ان الدولاب يقطع الميل باقل من ١٥ دورة) واما العجلة المفردة فهي اصغر منهما وتقوم مقام الدفة . والمبدأ الذي يعمل به في بناء العجلات أو الدواليب هو نفس المبدأ الذي يعمل به في اقامة الابراج الحديدية على المدرعات الاميركية (ولا يخفى ان تلك المدرعات تمتاز عن سواها بابراج راكزة على ظهرها مصنوعة من عوارض حديدية كثيرة التشبك بحيث لو تهدم جانب منها ظل البرج قائماً) اي ان عوارض الدواليب تكون كثيرة العدد بحيث لو اصيب جانب منها لم تتعطل المدمرة عن مواصلة التقدم . وهذا يغني عن تصفيح الدواليب من جميع جهاتها والا

تنشأ عن ازدياد الثقل ما يضيع الفائدة المطلوبة . على انه لا بد من تصفيح المحور وما حواليه حيث تتكاثف العوارض كما يرى في الشكل

وينبغي ان تكون المسافة بين الدولابين الاماميين نحو ٣٠٠ قدم . اما الغرفة او الصندوق القائم بين الدولابين فليس من الضروري ان يكون كبير الحجم لان اعتماد المدمرة في التخريب والتدمير على زخمها اكثر مما على مدافعها وادواتها . وينبغي ألا يعلو سقف هذا الصندوق عن مستوى الدولابين ولا بد من تصفيحه تصفيحاً متيناً لانه يحوي الآلات المحركة التي عليها جل الاعتماد . اما عدد الجنود الذين يركبون هذه المركبة الهائلة فيكفي ان يكونوا حول الثلاثين . ولا انكر انه من الصعب الحصول على القوة اللازمة لتحريك تلك المدمرة الهائلة . على ان التقدم المطرد في الصناعة والعلم يؤملنا بقرب الوقت الذي تصنع فيه آلات محركة بقوة عشرين الف حصان

***

ثم قال الكاتب انه ينبغي تلافي الهزات الناتجة عن الصدمات الشديدة وابان انه يمكن تلطيف تلك الهزات ومنع تأثيرها على نفس المبدأ الذي تلطف به الهزات الناشئة عن طلق المدفع وهو يقضي باستعمال اسطوانات ممتلئة زيتاً تقف رجوع المدفع بعد طلقه . وقد قدر ان وزن تلك المدمرة بجملها يكون نحو خمسة آلاف طن . ومن وسائل التدمير التي تستخدمها قطع حديدية ضخمة تعلق عند مقدمها (تزن الواحدة منها عدة طنات) وتهبط على الابنية والاستحكامات فتخربها بمجرد تأثير زخمها المتزايد وهي تسقط

ثم قال الكاتب : « ولكن تلك المدمرات الهائلة مع ضخامتها لن تستطيع مقاومة المدافع التي من عيار ١٦ بوصة وان استطاعت مقاومة مدافع الميدان العادية . على انها لا ترمي الى ذلك وانما الغرض من استعمالها الهجوم على المدن والاراضي وتخريب كل ما يقف في سبيلها »

الدولة العثمانية

في لبنان وسورية

حكم اربعة قرون (١٥١٧ — ١٩١٦)

٣

﴿ رجوع فخر الدين واسترجاع المعنيين لسيادتهم ﴾ خلف احمد باشا على ولاية دمشق جركس احمد باشا (١٦١٣) فأمّن أهل الشوف على أرواحهم وأرزاقهم وولى عليهم الشيخ يوسف المسلماني من أعوان المعنيين . وطيب خاطر الامير يونس واطلق سبيل والدته ومن كان اعتقلهم سلفه من خاصته . وعهد الى الشيخين أبي نادر الخازن أوفى أصدقاء آل معن وضاهر حبيش بجباية مال الاشجار . واستدعى الامير فخر الدين من منفاه فعاد سنة ١٦١٧ الى لبنان بعد ان تغيب عنه خمس سنين . وذكر الامير يونس ما للمال من الشأن العظيم عند رجال الدولة فنفح الوزير بهدية مالية عظيمة القدر وعاهده على مثلها مسانهة . ودك قلعتي الشقيف وأرنون الحصينتين الى الحضيض حملاً له على الركون اليه والوثوق بصدق ولائه . فانعم عليه الوزير بولايتي صيداء وبيروت وعلى الامير علي ابن أخيه بولاية صفد . وقد حافظ جركس باشا على العهد الذي قطعه مع آل معن فامر حسين باشا سيفا بالتخلي للامير يونس عن ولايتي بيروت وكسروان فأبى واتفق مع الامير شلهوب الحرفوش وأمراء رأس نحاش على المقاومة . فقاتلهم المعنيون على عين الناعمة وهزموهم وهبّ اليمنية في أعبيه وأغميد وعين دارا لمقاومة القيسية أعوان آل معن . فقاتلهم هؤلاء وظفروا بهم ودخل الامير يونس بيروت فعاهده أعيانها على الولاء . ثم أنفذ رجاله الى بلاد الغرب والجرد والمتن فنهبوا القرى وحرقوها انتقاماً من أهلها لما اقترفوه من الموبقات في بلاد الشوف لدن اجتياح احمد باشا لها على نحو ما تقدم . ورأى الشيخ مظفر والي الشوف وابن سيفا أن لا قبل لهما بمناصبة المعنيين فانهزما باهلهما الى بلاد عكار ولم تطل أيام ابن سيفا بعد هذه النكبة فاغتاله قراقوش والي حلب سنة ١٦١٦ . وبذلك دانت البلاد لسلطة الامير يونس فولى على كسروان الشيخ أبا نادر الخازن ومملوكه ذا الفقار فاقاما في

غرير ونصب العمال على بقية الاعمال

اما جركس باشا فعزل بعد تلك الحوادث المشؤومة بوقت قصير وتولى دمشق مكانه احمد باشا الجوخدار. فانتزع ولاية صفد من الامير علي المعني لتقصيره في نفحه بالمدية المالية التي يتقضاها الولاة عادة لدى قدومهم الى سورية. وولى عليها حسين اليازجي (١٦١٧) فعظم الامر على ابن معن — وكان أبوه الامير فخر الدين عاد من توسكانا واسترجع ولاية الشوف وعزز مركز نجله. فحشد الامير الشاب رجاله وسار الى صفد فدخلها عنوة واسترجعها من اليازجي بعد أن فتك به وأعمل السيف في رقاب رجاله واسترضى وزير الشام بالمال فاستصدر هذا له أمراً من الاستانة بتوليته على صفد وصيداء وبيروت

هذا في الجنوب أما في الشمال فخلف المقدم خاطر الحصروني على ولاية جبة بشري ابنه المقدم رعد (١٦١٢) فحكم بالاشتراك مع المقدم فرج بن باخوس الحدشيتي. وخلفهما أبو عاشينا شلهوب من أنسباء العناحلة الذين كانت انقرضت سلالتهم بموت جمال الدين بن المقدم مقلد. فجار وبغى ونازعه الولاية نعمة وداود وجرجس اخوة المقدم رعد فتغلب عليهم بمعونة يوسف باشا سيفا وفتك بهم ونزح ذووهم الى جبة المنيطرة وخلا له الجو فحكم تسع سنوات

وفي أثناء ذلك شعر السلطان احمد الاول بدنو اجله وابنه عثمان حديث السن. فخالف العادة المرعية في وراثة العرش واوصى بالخلافة الى اخيه مصطفى. على ان هذا السلطان لم يملك الا ثلاثة اشهر فتآمر عليه الانكشارية وخلعوه (١٦١٨) ونادوا بعثمان سلطاناً وسمي عثمان الثاني. وكان عمه اوغر صدر ملك فرنسا عليه لسوء تصرفه مع سفيره فاسترضاه وصادقه. وطمحت نفسه الى الفتح وكانت بولونيا نازعته سيادة البغدان فحاربها وعجز عن خضد شوكتها فارغمه الانكشارية على مصالحتها سنة ١٦٢٠. وحاول انتزاع السلطة منهم فاحبطوا مسعاه وخلعوه في السنة التالية واغتالوه واعادوا عمه السلطان مصطفى الى العرش فالقى مقاليد الامر اليهم مكرهاً فجاروا وبغوا واضطربت احوال السلطنة واستبد الولاة بالحكم فساءت حال الرعية وتولاها الجزع والقنوط فخاف أقطاب الدولة سوء المصير وخلعوا السلطان في السنة التالية لجلوسه على العرش ونودي بالسلطان مراد الرابع

﴿ نكبة آل سيفا الاولى ﴾ أما سورية في عهد هذين السلطانين فلم تكن اسعد

حظاً من غيرها . ففي سنة ١٦١٨ تولى طرابلس عمر باشا الكاتبجي وحاكمها يومئذ يوسف باشا سيفا فتخلى له عنها مرغماً واستبقى لنفسه ملحقاتها وقلب له ظهر المجن . فاستجار الوزير بالامير فخر الدين المعني . فزحف الامير برجاله الى اميون ومعه الشيخ ابو نادر الخازن حاكم كسروان . وفر ابن سيفا الى عكار فجدّ فخر الدين في أثره حتى ادركه وحصره في حصنها . غيران شفاعة وزيري حلب ودمشق به واشفاق ابن معن أن تؤدي مقاومته لجيشهما الذي كان مرابطاً في حمص الى ما لا تحمد عقباه حملاه على رفع الحصار عنه بعد ان فرض عليه الجزية وتركه وشأنه . غير انه عاد بجيشه الى جبيل وكانت في عهدة ابن سيفا هذا فدك قلعتها الى الحضيض على عظم منعتها والحقها بولاية كسروان. ثم فتح قلعة اسمرجبيل وولى على بلاد البترون المقدم يوسف الشاعر . أما يوسف باشا سيفا فتمكن بالمال من استرجاع ولاية طرابلس . لكنه اضطر بعد حين الى التخلي عنها بامر وزير دمشق الى حسين باشا الجلالي . وعُهد الى كتخداه مصطفى أغا بحكم ملحقاتها وفي جملتها جبلة واللاذقية وبدك حصونها وقلاعها وضبط املاك ابن سيفا وارزاقه . فضاقت الحيل بهذا الطاغية ورأى أن لا مناص له من استرضاء ابن معن وخطب مودته فبعث اليه بابنه الامير حسن وكان الامير السيفي حسن الطلعة ذكي الفؤاد فانعطف فخر الدين اليه وازوج ابنه الامير علي المعني بنته — وقيل بشقيقته . وكان هذا الزواج سبباً في عقد الصلح بين ابن معن وابن سيفا وامن هذا بطش فخر الدين فاطمأن باله وتفرغ لاصلاح شأنه مع الدولة فظفر ببغيته واسترجع ولاية طرابلس

غير ان حرص الدولة على قاعدة التفريق التي جرت عليها في سيادة ممالكها واستعباد رعاياها حال دون اتفاق الاميرين الى امد بعيد . ذلك ان الصدر الاعظم بعث سنة ١٦٢٠ يسأل الامير فخر الدين تحصيل المال السلطاني من يوسف باشا سيفا فسار ابن معن برجاله الى برج البحصاص لمطالبة ابن سيفا بالمال فولى مدبراً الى جبلة وحاول ارضاءه على يد ابنه حسن باملاك بني عساف في بيروت وانطلياس وغزير فلم يفلح . وشدد الامير في طلب المال منه فابى واستغاث بسليمان باشا والي دمشق وعرب حمص والبقيعة وتركمانها فشدوا ازره وقاتلوا ابن معن على النهر البارد فدحرهم وحاصر قلعة طرابلس فعجز دونها . وفي اثناء ذلك ارسل اليه الباب العالي خلعة وسأله الكف عن مطاردة ابن سيفا فرفع الحصار عن طرابلس وقفل راجعاً الى قاعدة ولايته

وكأن ما مرّ بابن سيفا من عبر الدهر وعظاته لم يكن كافياً لاثابته الى رشده. فعاد الى اسوأ مما كان عليه من مشاكسة ولاة البلاد وحكامها وانزال البلايا السود بسكانها . على ان الايام لم تصف له طويلا بعد تلك الضربة التي كالها له ابن معن. ذلك انه في سنة ١٦٢١ تولى طرابلس عمر باشا الكتخجي واشفق على سلطته من سطوة يوسف باشا سيفا فاستنجد عليه الامير فخر الدين . ولم يكن الامير الكردي نسي ما ناله من الذل على يد ابن معن فاعتزل الولاية مكرهاً ومضى باهله الى عكار . وبعث الامير المعني فطرد اعوانه من جبة بشري وولى عليها الشيخ أبا صافي الخازن وعلى عجلون ابنه الامير حسين وعلى حمص عمر بك سيفا . ولم يخلد ابن سيفا الى السكون فاوعز محمد باشا الكرجي الصدر الاعظم الى والي دمشق والامير المعني أن يقبضا على سطوته ويضبطا املاكه تسديداً لما كان مطلوباً منه للخزينة من الاموال الاميرية. واراد والي طرابلس أن يستوثق من ولاء ابن معن فتخلى له عن بلاد جبيل والبترون وجبة بشري والضنية وعكار . فزحف فخر الدين بجيشه الى طرابلس وبرفقته الامير محمد شهاب فرحب به عمر باشا اعظم ترحيب . واراد ان يستأنف السير الى عكار لمعاقبة ابن سيفا. ففوجئ بنبأ تولي قراحسين باشا الصدارة واسناده ولاية طرابلس الى عهدة عدوه هذا . فاضطر أن يعود من حيث أتى . وقد استعاد يوسف باشا سيفا ولايته وجدّ في جباية الضرائب تسديداً للاموال المطلوبة منه للخزينة وأتى من ضروب الجور والاعتساف ما حمل جماعات كثيرة من اهل جبة بشري على التماس النجاة في المهاجرة الى دمشق وحلب وغيرها . وكان عاشينا بن شلهوب مقدم هذه المقاطعة قد امعن في البغي والتحكم في الرقاب وبلغت به القحة الى نهب دير القديس توما في حصرون وقتل راهب من رهبانه . وكان الشيخ ابو صافي صاحب الكلمة النافذة فيها فقبض عليه وساقه الى فخر الدين فقتله ثم ألحق به والده (١٦٢١)

﴿ قهر فخر الدين لبني الحرفوش وطرديه وأفنائه جيش دمشق ﴾ غير ان الامير فخر الدين لم يأمن على سمو منزلته وعظم شأنه وسلطانه دسائس حساده ومزاحميه من أمراء البلاد وحكامها . ذلك ان الامير يونس الحرفوش صاحب بعلبك وشي سنة ١٦٢٢ بعمال نابلس وعجلون الى والي دمشق فعزلهم — وكانوا يحكمون البلاد بامر فخر الدين . فنقم الامير المعني على ابن الحرفوش ونهب مزارعه في البقاع . فاستغاث هذا بوالي دمشق وعرض عليه ضعف المال المرتب على اقطاعي صفد وعجلون . فولاه

على أولهما وولى صديقه الامير بشير قانصوه عميد بني طربيه على عجلون . وو الاهما الامير احمد طربيه والشيخ احمد الكناني من حكام تلك البلاد فاشتد ساعدها . وأوجس فخر الدين شراً من هذه العصابة فاوعز الى أعوانه باضرام النار في قرى عجلون والكرمل وزحف برجاله لمعاقبة آل طربيه. فانبرى له العرب عند نهر العوجاء وانتزعوا منه ما كان غنمه من اسلاب أعدائه فتقهقر الى خان جلجولية بعد ان مني بخسارة جسيمة . غير انه لم يطل به الامر حتى استصدر أمراً من الاستانة بتولية ابنه الامير علي على صفد . وحاول الامير يونس الحرفوش الوقوف في سبيله فهزمه ابن معن وأضرم النار في قراه وفي جملتها الكرك وسرعين وفتك بجماعة من أعوانه . فشق الامر على وزير دمشق وزحف في السنة التالية بعشرة آلاف مقاتل للانتقام من المعنيين . وانضوى تحت رايته الامراء الحرافشة وبنو سيفا . فالتقاهم فخر الدين وحليفاه الاميران علي واحمد الشهابيان صاحبي وادي التيم [١] برجالهم وأعوانهم عند نبع عنجر في لبنان الشرقي . ودارت رحى الحرب . فاحرز بن معن فوزاً مبيناً وأفنى جيش دمشق عن بكرة أبيه واستأسر الوزير وعامله معاملة حسنة تليق بكرامة الامراء

(١) الامراء الشهابيون بطن من بني قريش . وهم ينتسبون الى مالك الملقب بشهاب من بني مرة بن كعب . وقد تولى مالك هذا امارة حوران في خلافة عمر بن الخطاب . وتعاقب ابناؤه عليها الى اواخر القرن الثاني عشر حيث ارتحل بهم عميدهم الامير منقذ صديق السلطان صلاح الدين الايوبي الى وادي التيم (١١٧٢ — ١١٧٣) . وكان الافرنج انتزعوها من يد الامير زهير الدين التنوخي فاجلوهم عنها بعد معارك شديدة أسفرت عن اندحار الافرنج واعتصامهم بالجبال العالية . فعظم بذلك شأن الشهابيين لدى الملوك والامراء ولا سيما لدى نور الدين ملك دمشق وبني معن امراء الشوف . فحالفوهم وشاطروهم فخر الانتصار ومذلة الانكسار في الحروب التي خاضوا غمارها تحت راية واحدة . وصاهروهم وبهذه المصاهرة افضت ولاية لبنان الى الشهابيين من بعدهم (١٦٩٧) . وقد حكموا في انحاء شتى من الديار الشامية زهاء ثلاثة عشر قرناً تخللتها فترات قصيرة خرج فيها الحكم من يدهم . وجاء الفتح العثماني موطداً لدعائم سلطانهم حيث اقرهم السلطان سليم على اقطاعهم في وادي التيم مكافأة لحاكمه الامير منصور الشهابي على انحيازه مع الغزالي نائب الغوري في دمشق الى جانبه في وقعة مرج دابق الشهيرة التي كانت بدء القضاء على سلطة المماليك في الديار الشامية والمصرية على نحو ما تقدم . وآخر من نبغ منهم الامير بشير قاسم الكبير البطل اللبناني الشهير . وكان الشهابيون يدينون بالاسلام ثم اعتنقوا النصرانية فكانوا من اكبر انصارها في القرنين الماضيين وظلوا عليها الى اليوم . وقد افقدهم نظام لبنان الاخير (١٨٦١) امتيازاتهم القديمة ففقدوا شيئاً كثيراً من نفوذهم وثروتهم .

وقعت من نفسه أحسن موقع . فخلع الوزير عليه واقره على سناجق عجلون وصفد ونابلس والبقاع العزيز. وزحفا معاً على بعلبك لمعاقبة الامير يونس الحرفوش . ففرّ هذا الى معرّة النعمان حيث قبض عليه مراد باشا وزير حلب واعتقله في قلعة سلمية. وعاد الامير فخر الدين الى بلاده بعد ان فتح قلعة بعلبك الشهيرة ودمر قسماً منها . ثم غزا ابن معن وحليفاه المتقدمان بلاد عجلون ونابلس . فانبرى لهم عرب بني طربيه ومحازبوهم وردوهم عنها الى صيداء وامعنوا في بلاد ابن معن قتلاً وسلباً و بلغوا في غزوتهم هذه الى ساحل عكاء . فحشد الامير المعني جيشه لرد الغزاة وارغم الامير بشير قانصوه وامراء العرب الموالين له على الدخول في طاعته

***

تبوأ السلطان مراد الرابع عرش بني عثمان سنة ١٦٢٣ وهو شاب ضعيف الارادة فاستأسر الانكشارية بالسلطة من دونه عشر سنوات متتابعة الى ان أتيح له ان يستردها منهم ويكبح جماحهم . وقد حارب العجم واستفتح بغداد ثم انتزعها منه الشاه عباس بخيانة بكير أغا رئيس شرطتها. فلم يطق صبراً على خروجها من يده وحاول استرجاعها فاخفق لخروج الانكشارية عليه وانصراف قسم من جيشه الى قمع ثورة اباظه باشا والي ارضروم (١٦٣٨) . على انه ظل مُمَنّى النفس بادماجها في سلطنته الى ان مات الشاه وخلفه ابنه مرزا خان وهو حديث السن . فاستضعفه السلطان واستولى على همذان سنة ١٦٣٠ وحاول استرجاع بغداد فعجز دونها وثار عليه الانكشارية في سنة ١٦٣٢ فقمع ثورتهم وقتل زعيمهم خسرو باشا وانتقم منهم على وجه تقشعر له الابدان. فاستتب له الامر وامن الناس في انحاء السلطنة على ارواحهم وارزاقهم الى حين . ثم استأنف محاربة العجم واستفتح بعض مدنهم وحاصر بغداد سنة ١٦٣٨ وفتحها وارغم الشاه على التخلي له عنها في معاهدة الصلح التي ابرمت بينهما سنة ١٦٣٩ بعد تلك الحروب الهائلة التي استنفدت قوى الدولتين الشرقيتين واوردتهما موارد الهلكة والدمار . على انه لم يكد يهنأ بهذا الفتح المبين حتى وافته منيته في السنة التالية على حين كان مُمَنّى النفس باطيب الاماني وابعد الامال . وخلفه اخوه السلطان ابراهيم (١٦٤٠ — ١٦٤٨)

﴿ نكبة بني سيفا الثانية وتقلص نفوذ الحرافشة ﴾ أما السوريون فقد نالهم في عهد السلطان مراد من البلايا والويلات ما لم ينلهم في عهد اسلافه . وكانت خلافة

شؤماً على بني معن واعوانهم . فاحاطت بهم الارزاء احاطة السوار بالمعصم وقضت على سطوتهم في ديار الشام قضاء مبرماً . ذلك انه بعد ان امن الامير فخر الدين على سلطانه في جنوب سوريا زحف بجيشه على بعلبك للقضاء على سطوة الحرافشة . ثم استأنف السير بطريق جبة بشري الى طرابلس . وكان قد افضى الحكم فيها الى الامير قاسم بن يوسف باشا سيفا (١) الدّ أعداء المعنيين . فدخلها ابن معن عنوة وأمعن رجاله فيها قتلاً ونهباً . ثم جلا عنها وولىّ الباب العالي عليها مصطفى باشا اسكندر فجار وبغى وولى على عكار الامير سلمان سيفا

وفي سنة ١٦٢٥ اقرّت الدولة الامير فخر الدين على ولاية بعلبك . فشق ذلك على الامير حسين بن يونس الحرفوش وسعى في استرجاعها بمساعدة والي حلب فاخفق مسعاه . وحاول الاميرقاسم سيفا استرجاع ولايته على طرابلس فلم يفلح وقهره مصطفى باشا واراد أن يقضي على سطوة آل سيفا وانجده فخر الدين بجيش كبير سار فيه الى بلاد عكار بطريق البقاع ففر الامير سلمان سيفا من وجهه الى سلميه حيث قبض عليه صاحبها الامير مدلج وألقاه في الفرات . فوقع الرعب في قلوب بني سيفا وألقوا امرهم بين يدي ابن معن فعفا عنهم بعد أن عاهدوه على الولاء وتخلوا عن قلعتي المرقب وحصن الاكراد وهما أمنع حصونهم

﴿ اتساع ولاية فخر الدين وتعاظم امر المعنيين ﴾ وكان قد اتصل بالباب العالي ماكان من اجتياح فخر الدين لمدينة طرابلس . فزحف خليل باشا الصدر الاعظم بجيش عظيم على سوريا لمحاربة الامير . فاسترضاه وهو في حلب بالمال وتخلى له عن بعض الحصون في شمال سوريا . وكان فخر الدين على أتم وفاق مع عمر باشا الدفتردار الذي كان خلف مصطفى باشا على ولاية طرابلس . فاوجس الوزير شراً من اتفاقهما هذا وعزل الوالي لكنه ارضى ابن معن بفتكه بالامير يونس الحرفوش عدوه الالد . وانصرف بجيشه الى بغداد لمحاربة شاه العجم . فكان ذلك سبباً في تعاظم نفوذ فخر الدين وانبساط رواق مجده واتساع ولايته الى ما وراء طرابلس وملحقاتها حتى انطاكية (١٦٢٧) شمالاً وتدمر (١٦٣٠) شرقاً . وتعاظم امر ابنه الامير علي في الجنوب

---

(١) توفي يوسف باشا سيفا سنة ١٦٢٤ بعد ان حكم طرابلس ٤٥ سنة (١٥٧٩ — ١٦٢٤) تخللتها فترات قصيرة خرجت فيها من يده وخلفه على ولايتها ابنه الامير قاسم حاكم جبله . وكان له ابنان آخران الامير محمود حاكم حصن الاكراد والامير بلك حاكم بلاد عكار

ولا سيما بعد ظفره سنة ١٦٣٢ بالامير احمد قانصوه أحد كبار امراء العرب في بلاد صفد

﴿ نكبة بني معن الثالثة الكبرى ﴾ وكان الاقدار أبت على عميد آل معن الاكبر الاستمتاع طويلاً بثمرة جهاده المتواصل في سبيل المجد الذي احرز منه في تلك الحقبة شأو الوزراء العظام . فمنذ سنة ١٦٣٣ اخذ نجم سعده بالافول . ذلك ان وشايات حساده ومزاحميه به بعثت كجك احمد وزير دمشق على السعي بامر السلطان مراد الى خضد شوكته . فزحف على لبنان بجيش كبير ومر على وادي التيم فعاث فيها ونكب اهلها . فهب اصحابها الامراء الشهابيون للدفاع عنها بمعاونة الامير علي ابن فخر الدين وبطشوا بجيشه . واستقتل الامير المعني في هذه الوقعة فلقي حتفه — وفي رأي بعض المؤرخين ان كجك احمد قتل في هذه الحرب وهو غير صحيح . واتصل خبر هذه النكبة بالسلطان فأمر باهلاك بني معن عن بكرة ابيهم . فابحر جعفر باشا من الاستانة بجيش عظيم . وانضوى تحت لوائه في بيروت آل سيفا وآل علم الدين ووافاه وزير دمشق بجيشه الى صيداء . فانهزم المعنيون من المدينتين واعتصموا بحصونهم . فجد جعفر باشا في اثرهم وفتح قلعة المرقب . ووقع الامير حسين ابن فخر الدين وصديقه الشيخ ابو نوفل الخازن في الاسر فارسلهما الى الصدر الاعظم في حلب . ثم فر ابو نوفل متنكراً وفتك وزير دمشق بالامير يونس اخي فخر الدين، الا انه عجز عن ادراك ابنه الامير ملحم وظل طليقاً . واباح لعسكره دماء الشوفيين وارزاقهم وولى على بلادهم الامير علم الدين اليمني . ثم حاصر فخر الدين في قلعة شقيف تيرون فافلت من يده واعتصم بقلعة جزين ··· وكانت غاية في المنعة . فتمكن الوزير بخيانة احد خدمة بني معن من نقبها واستأسره مع أولاده واعوانه وفي جملتهم الشيخ ابو نادر الخازن وعمه ومضى بهم الى دمشق حيث اطلق سبيل الشيخين الخازنيين . اما فخر الدين واولاده فارسلوا الى الاستانة واعتذروا للسلطان مراد فعفا عنهم وانزلهم في ضيافته . وانتهز الامير علي علم الدين هذه الفرصة للانتقام من المعنيين وانصارهم ففتك بكبارهم وضبط املاكهم ولم ينج من نقمته الا الشيخان ابو نادر الخازن وابنه ابو نوفل وعدد قليل من انصار بني معن. الا ان الخوازنة لم يأمنوا غدره بهم فالتمسوا النجاة بالسفر الى توسكانا (١٦٣٥) حيث نزلوا في ضيافة دوقها ثلاث سنين . على ان ذلك لم يكن كافياً لتسكين سورة غضبه فاغتال الامراء التنوخيين في عبيه وهو

في ضيافتهم عملا بقاعدة سادته الترك وفي جملتهم ثلاثة اطفال انقرضت بهم سلالة بني تنوخ امراء الغرب

على انه لم يكد يستتب الامر لابن علم الدين في ولايته حتى نهض الامير ملحم المعني للاخذ بثأر عشيرته وقومه . واجتاح بلاد الشوف بجمع كبير من اعوانه القيسيين. ونشبت بينه وبين عدوه في ارض المقيرط بجوار مجدل معوش معركة هائلة اسفرت عن اندحار اليمنية وفرار عميدهم ابن علم الدين الى دمشق وفشل الجيش العثماني الذي انفذه كجك احمد لانجاده بعد ان قتل قائده شر قتلة . ثم استأنف الامير علم الدين الكرة على ابن معن بمعاونة جيش دمشق واستظهر على فرقة من رجاله لكنه عجز عن القضاء على نفوذه وسطوته . واستغاث كجك احمد بالسلطان مراد فكبر عليه بطش الامير ملحم بجيشه ولم يرَ وسيلة للانتقام منه الا بقتل عمه الامير فخر الدين واولاده الثلاثة . وكان الصدر الاعظم اتى بابن فخر الدين الرابع الامير حسين من حلب الى الاستانة فلم تتناوله نقمة السلطان ونجا بنفسه . وعلى ذلك لم يبق من كبار آل معن بعد مصرع فخر الدين الا ابنه هذا والامير ملحم ابن اخيه يونس

وفي عهد الامير فخر الدين عظم شان المسيحيين في الديار الشامية فشيدوا المعابد ومارسوا الفروض الدينية على علم حريتهم وركبوا الخيل المسرجة وتعمموا بعمائم بيضاء وحملوا الاسلحة المجوهرة خلافاً لما كانوا عليه في عهد سلفائه . وراجت في البلاد متاجر الاوربيين من البنادقة وغيرهم وكثرت فيها رسالاتهم الدينية . وكان على قصر قامته ونحول جسمه شجاعاً باسلا مقداماً ذا نفس ابية لا يلتوي لها عود وسياسياً محنكاً جمع الى الحلم وكرم الخلق الفطنة والدهاء والرصانة وذكاء الفؤاد . وقد بلغ من بسطة الجاه واتساع النفوذ والسلطان ما لم يبلغه وزير أو امير في الديار الشامية فهو لذلك في اعتبار المؤرخين اعظم امراء لبنان

« البقية تأتي » « المسعودي »

تتألف الهيئة الاجتماعية من قسمين كبيرين من الناس : قسم تزيد شهوتهم عن طعامهم وقسم تزيد طعامهم عن شهوتهم

شامفورت

في الهيئة الاجتماعية اربعة انواع من الناس : العاشقون والطماحون والملاحظون والمجاذيب . والمجاذيب هم اسعد الجميع

تين

الاوتوموبيلات المصفحة

تاريخها وتطوّرها

كان من مباغتات الالمان في بدء الحرب — عملاً بخطة الانقضاض الفجائي — استخدامهم الاوتوموبيلات المصفحة تتقدم الجيش على الطرق الصالحة لمسيرها في بلجيكا وفرنسا وتفاجيء الحلفاء قبل ان يحتاطوا لامرها . وقد كانت تلك الاوتوموبيلات مظهراً من مظاهر الاستعداد العظيم الذي امتاز بهِ الالمان

على ان الدول الاخرى — وان لم تستعد استعداد المانيا من هذا القبيل — كانت تقدر الاوتوموبيلات حق قدرها وتدرس طرق استخدامها في الحرب ليس لنقل الجنود والمهمات فقط بل للهجوم والاستكشاف ايضاً . بل ان فرنسا استعملتها لهذا الغرض في محاربة القبائل الثائرة بمراكش قبل الحرب ، وكانت في اول ادوار تكونها لا تمتاز من الاوتوموبيلات العادية الا بمتانتها وبمدفع متراليوز مركب عليها

ثم استعملت الاوتوموبيلات المسلحة لمحاربة الطيارات . وليس يشترط في الاوتوموبيلات المعدة لهذا الغرض ان تكون متينة البناء لانها لا تعمل الا بعيدة عن خط النار وانما المطلوب منها ان تكون سريعة متأهبة دائماً للحاق بالطيارات حال ظهورها . وهي تسلح عادة بمتراليوز أو بمدفع صغير (من عيار ٧٥ مثلاً) وبقنديل كشاف

على ان اوتوموبيلات الاستكشاف هي بلا ريب اكثر تعرضاً للخطر من سواها فقد يعترض لها عقبات ومكامن وحفر تعرقل سيرها أو توقعها في يد العدو . ولكن سرعتها تساعدها على اقتحام الاخطار على شرط ان تكون الاجزاء الرئيسية محمية . ومن المحال تصفيح تلك الاوتوموبيلات تصفيحاً سميكاً يجعلها في مأمن من المدافع ذات العيار الكبير لان ازدياد ثقلها يقلل من سرعتها . وانما يكفي ان يكون التصفيح واقياً من البنادق والمدافع ذات العيار الصغير . وهذا

التصفيح يذهب ايضاً بشيء من سرعة الاوتوموبيلات ولكن لا غنى عنه في معظم الاحوال اذا اراد الجيش ان يستفيد منها فائدة محسوسة . والمسئلة الجوهرية في صنع الاوتوموبيلات المصفحة هي حفظ الموازنة بين وزن الاوتوموبيل وسرعتها فانه اذا زاد الاول خف الثاني والعكس بالعكس

وقد دونت هذه الحرب للاوتوموبيلات المصفحة حوادث مجيدة نذكر منها هجوماً قام به فريق منها بقيادة نفر من الضباط البلجيكيين اثناء الهجوم الروسي في غاليسيا في اكتوبر سنة ١٩١٦ . وقد تردد مركز القيادة قبل ان يأذن لتلك الاوتوموبيلات بتنفيذ الخطة التي عرضها ضباطها لما فيها من الخطر الشديد ولكنه ما لبث ان اذن لهم بذلك . فانهالت الاوتوموبيلات على صفوف العدو واخترقتها وتقدمت في غاليسيا الى بعد نحو ١٥٠ كيلومتراً تخرب ما تجده وتشتت الاعداء من خيالة ومشاة تتلف المؤن والمخزونات . ثم عادت من طريق آخر واخترقت صفوف العدو ثانية ورجعت سالمة الى الجيش الروسي بعد ان غابت اسبوعين كاملين قطعت في اثنائهما ٦٠٠ كيلومتر

واستعملها جيش القوقاز في جهات وعرة ولكنها بالرغم من ذلك اتت بفوائد عظيمة . وكذلك استعملت في مصر ولا سيما في محاربة السنوسيين في الصحراء فشتتهم تشتيتاً واستولت على ذخائرهم ومستودعاتهم

وقد تنوعت الاوتوموبيلات في هذه الاثناء وتطورت تطوراً مستدعاً . على ان آخر ما توصلت اليه من الارتقاء الاوتوموبيلات المدرعة الانكليزية المعروفة بالتنك Tanks (نشرنا صورتها في العدد الماضي) وقد ذكرنا ما تقدم تمهيداً لكلمة نقولها في تلك الحصون النقالة التي تحدثت عنها الجرائد والمجالس زمناً طويلا . وهي كما علم القراء تذلل اصعب المصاعب فلا يعوقها رصاص يصوب اليها ولا حفر تعترض لها ولا اشجار تقوم في سبيلها ولا خنادق أو أسلاك شائكة تحمي العدو . تلك هي بعض الاعمال الباهرة التي تقوم بها هذه الاوتوموبيلات المدرعة ولم يكن احد يظن انه في الامكان صنع اوتوموبيلات تستوفي جميع هذه الشروط . وقد كان لظهورها

بغتة تأثير شديد في صفوف الالمان وكان اول ظهورها في ١٥ سبتمبر سنة ١٩١٦ على خط السوم . فكانت تزحف الهوينا نحو العدو فتهدم الاشجار التي تقف في طريقها والاسلاك الشائكة والحيطان وتجتاز الخنادق بعد صب النار والحديد على جانبيها ثم تتابع سيرها غير مبالية بشيء ولا باحد . وهي لا تخشى الا المدافع الضخمة فانها لا تستطيع مقاومتها

وقد تم صنع هذه الاوتوموبيلات بالسر فكان ظهورها مفاجأة للجهتين. وكان العمال الذين صنعوها اذا سئلوا « ماذا تصنعون ؟ » اجابوا « اننا نصنع احواضاً Tanks » ومن ثم عرفت بهذا الاسم

ولا يظن القارئ ان راكبي تلك الاوتوموبيلات ينالون كل الراحة فان ركوبها يستدعي شيئاً كثيراً من الجلد والنشاط والمثابرة ، بل ان البعض يصابون بدوار « التنك » (قياساً على دوار البحر) لكثرة الارتجاج والاهتزاز . واذا نظر الانسان الى « تنك » متحرك فانه يشبهه الى زحافة عظيمة من الزحافات المنقرضة أو لذات الاربع والاربعين مضخمة اضعاف اضعاف حجمها . وهي ثقيلة الوزن وثقلها هذا يجعلها تهدم كل ما يعترض لها

أما تاريخ انشائها فقد ذكرت مجلة Engineering (أي الهندسة) ان لمستر تنيس اينكورت مدير الابنيـة البحرية درس مشروع صنعها بناء على طلب المستر ونستن تشرشل ايام كان وزيراً للبحرية . وقد ضم اليه نفراً من المهندسين ودرسوا الامر معاً وصنعت الامثلة الاولى في الصيف المـاضي وجربت بحضور المرحوم اللورد كتشنر

الحديث يهذب الانسان ولكن الانفراد مهبط العبقرية — جبين

اذا كان الاجتماع يعلمنا كيف نعيش فالانفراد وحده يعلمنا كيف نموت — بيرون

الانفراد غرفة الانتظار قبل المثول أمام الحضرة الالهية

من رافقته الافكار السامية لا يكون في انفراد

بحث في النقد

٣

أصبحت اللغة العربيـة عقب انتشار العلوم الاوربية في الشرق مفتقرة الى ألفاظ اصطلاحية للتعبير عن أشياء ومعان جهلها العرب . وقد اضطر الكتاب الذين اشتغلوا بهذه العلوم الى وضع كلمات فنيـة لم يتفق عليها اللغويون ولم تدخل الى اليوم في لغتنا بصورة رسمية . وقد بلغنا ان نفراً من علماء اللغة عازمون على اختيار الالفاظ الاصطلاحية اللازمة لهذا الغرض ويا حبذا لو نجحوا في سعيهم المشكور . ونرانا الا ن مضطرين الى انتخاب كلمات لا بدّ من استعمالها في كلامنا عن النقد . وبالرغم من ابهامها فانا سنقنع بها موقتاً لحينما يتوفق أصحاب الشأن الى ما هو انسب منها وأليق

ضروب النقد كثيرة والآراء فيها متشعبة . وقد تحدى هذا العلم في تطوره من أقدم الازمنة الى عصرنا أساليب مختلفة فتغيرت أغراضه وتكيفت مباحثه واتخذ في كل عصر لباساً جديداً فتعددت صوره وسميت بأسماء خاصة عرفناها كما يأتي :

النقد النحوي	Critique grammaticale
« الفيلولوجي أو اللغوي التاريخي	» philologique
« الادبي	» littéraire
« الفني	» artistique
« العلمي	» scientifique
« الفلسفي	» philosophique
« التأثري	» impressioniste
« الداخلي (الشخصي)	» subjective
« الخارجي (الغير الشخصي)	» objective

قد راينا كيف نشأ النقد عند اليونان وكيف تداوله علماء الاسكندرية في عهد البطالسة وتقدم في عصرهم فحقق بعض الآمال فيه . وكاد النقد بعد ذلك يسقط في القرون الوسطى سقطة لا قيام له بعدها ، الا ان النهضة العلمية أعادت الحياة الى العلوم وأفاضت على الانسانية نورها الساطع فسرت روح جديدة في الشعوب اللاتينية فسارت

هذه الشعوب من ذلك الحين في طريق التمدين والحضارة . وقد حازت ايتاليا الشرف الرفيع في احياء العلوم في القرن الخامس عشر ففيها بزغ فجر العلوم الحديثة فاشرق على سائر الاقطار . وكانت فرنسا أول من اقتدى بجارتها في احراز العلوم اليونانية فورثت معها آثار الاقدمين ونقلت عنهم علم النقد في صورته الاخيرة اذ كان فيلولوجياً

ويجدر بنا الآن ان نشرح هذا النوع من النقد قبل أن ننتقل الى غيره فقد آن الاوان لدرسه وفحصه جيداً واظهار غرضه وغايته . وقد كان في امكاننا درس النقد الفيلولوجي على علماء الاسكندرية الذين ابتدعوه غير انه لم يبلغ في عهدهم المكانة الرفيعة التي بلغها في النهضة العلمية بفضل الايتاليين فالفرنسيين اذ كان نقاد الاسكندرية اكثر غلواً وادعاء مما هم عليه من العلم والمعرفة الحقيقية ففضلنا نقله عن الذين نقحوه وصعدوا به الى درجته الحالية

وقد كان للنقد الفيلولوجي في الاسكندرية شأن عظيم الا ان الحاجة اليه كانت أشد في النهضة العلمية لنقد الكتب الادبية ولزوم الفصل بينها وانتقاء الحسن منها ليكون قدوة وانموذجاً ينسج على منواله . وليس هذا الضرب من النقد بافضل من سواه فانه ينقصه تعديلات كثيرة لا بد من ادخالها عليه حتى يصبح العمل به مفيداً مثمراً . وبالرغم من شك بعض الكتاب في فائدة هذا النوع من النقد فالبرهان على نفوذه الاكيد ان العصور الحديثة مدينة للعلماء الفيلولوجيين الذين ظهروا في النهضة العلمية ولا يزال علماء اليوم خاضعين لاحكامهم وآرائهم

ولا ريب في انه اذا حصلت في الشرق نهضة علمية مثل التي حدثت في اوربا فان النقد الفيلولوجي يصلح دون سواه لان يمهد لنا طريق البحث والتنقيب في آثار العرب

النقد الفيلولوجي

الفيلولوجيا في عرف اليونان هي الاداب بعينها . وكان يكنى عن العالم الاسكندري بالفيلولوجي . وقد استعملها الرومان بعدهم بنفس المعنى ثم أخذوا يطلقون تلك الكلمة على المباحث الادبية التي تتناول البحث والتحقيق في حياة الشعوب حتى قبل زمن التاريخ . أما المباحث العلمية المحضة مثل الحساب والفلك فانها لا تدخل في دائرة الآداب لان احكام الاعداد ومجاري الافلاك خارجة عن حياة الانسان ولا صلة لها مباشرة بتاريخ الامم . وبعكسها تاريخ العلوم وتطورها وتقدمها فانها داخلة في عداد المعارف

الفيلولوجية . ولذلك فالفيلولوجيا تقسم الى فروع يتناول كل فرع منها بحثاً خاصاً أو شعباً معيناً فنقول مثلاً الفيلولوجيا الشرقية ونعني بذلك الاشياء المتعلقة بالآداب الشرقية وأحوال الامم الشرقية ، والفيلولوجيا الفرنسية ووظيفتها البحث في تطور الشعب الفرنسي وتتبع أحواله السياسية والفردية والجماعية في العصور المختلفة . وجملة القول ان الفيلولوجيا اليوم تبحث في آثار الاقدمين كافة وكل من يشتغل بها يسمى فيلولوجياً . ولكن لا يزال البعض يخطئون في استعمال تلك الكلمة فيطلقون كلمة فيلولوجي على العالم باللغة فقط أو النحو أو النقد والحقيقة ان الفيلولوجي هو الذي يبحث في كل ذلك في آن واحد لان فروع الفيلولوجيا لا تؤدي الى الغاية المنشودة ان هي لم تعمل يد واحدة ولغرض واحد

وعلوم الفيلولوجيا كثيرة أهمها علم الآثار وقراءة الخطوط القديمة والنحو واللغة والمقارنة بين اللغات لمعرفة منشأها وصلتها بعضها ببعض وفحص الكتب القديمة وضبطها والفصل بين الاصل والتقليد . والنقد الفيلولوجي يهتم خصيصاً بدرس طريقة الانشاء ومزايا اللغة وجمالها وتفنن الكتاب في التأليف والتعبير عن شعورهم وآرائهم . وهو دليل كاف على أهمية الفيلولوجيا وفائدتها ويتبين لك ذلك جلياً اذا لاحظت الخدمات الجليلة التي تؤديها لسائر العلوم فانها بمثابة سراج ينير لها الطرق التي تسير فيها . فالفلسفة والتاريخ والعلوم الدينية والتشريعية وعلما السياسة والاجتماع كلها مدينة لها في ما حازته من التقدم منذ خمسة قرون

يبحث النقد الفيلولوجي في كتب الاقدمين من حيث علاقتها بالزمان والمكان والوسط التي صدرت فيها ، ويفحص لغتها فحصاً فنياً وكذلك أسلوب الكاتب وطريقته في التعبير فيستخلص من ذلك درساً تاريخياً لغوياً .

وقد يهم المنتقد الفيلولوجي معرفة الزمان والمكان والوسط من جهة لفهم المؤثرات التي أثرت في الكاتب فجعلته يكتب ما كتب وكما كتب ، وتفيده من جهة أخرى في درس تاريخ الامة أو الطائفة المنتمي اليها ذلك الكاتب فيلم الماماً بعقائدها وعاداتها وتطورها — يطلع على ذلك كله لدى قراءة الكتب التي وضعها كتاب تلك الامة بالتتابع فيتضح له ضمناً كيف تغيرت اللغة التي كتبوا بها وهذا مما يعينه على تعيين الزمان والمكان اللذين كتب فيهما أي كتاب جهل صاحبه وتاريخ ظهوره

لنضرب مثلاً لذلك : زعم بعضهم ان الالياذة ليست من نظم هوميروس ا باعتبار

ان هوميروس شخص لا وجود له) بل هي وضع كتاب عديدين . وزعم آخرون انها نظمت قبل القرن العاشر ق . م بكثير . ثم أتى غيرهم وفندوا هذا الزعم قائلين ان لغة الالياذة مكتوبة على نسق واحد وبنفس واحد وتشف عن فكرة كاتب واحد مستندين الى تعابير وتشابيه واستعارات لم يألفوها الا في تلك القصة ، ثم برهنوا على انها ظهرت في القرن العاشر قبل الميلاد للشبه العظيم الموجود بين لغتها لفظاً واعراباً وبين الكتب التي ظهرت في ذلك العهد

اما فيما يختص بالفحص الفني للغة واسلوب الكاتب في كتابه فالنقد يظهر للعيان محاسن تلك اللغة وعيوبها ويورد الاستعارات البديعة والتشبيهات البليغة وكل ما يتعلق ببلاغة الكتاب في المعاني والبيان والبديع ثم يدرس اسلوب الانشاء فيذكر مقدرة الكاتب على التعبير وطريقته الخصوصية في الانشاء ويبين الفرق بينه وبين سابقيه ولاحقيه ونسبته اليهم وقد يحصي ايضاً ما ورد في الكتاب من الالفاظ والتعابير الغريبة التي قدم عهدها والسبب الذي من اجله اصبحت قديمة فهجرها الكتاب ولم يعودوا الى استعمالها .

فغرض النقد الفيلولوجي اظهار مزايا اللغة التي يبحث فيها ومتانتها . فهو بهذا الاعتبار درس لغوي . وهو يرمي ايضاً الى ابراز الكتب القديمة والفصل بين الحسن منها وسواه فيدعو الى اتباع طريقة الذين اجادوا الكتابة بها والنسج على منوالهم ولذا كان الاحتياج اليه شديداً في النهضة العلمية كما ذكرنا

وقد غالى بعضهم في رفع منزلة هذا الضرب من النقد وبالغوا في الحط من قدر سواه . ومنهم من اسندوا اليه بغير حق وظيفة فلسفية فاستعانوا به لدرس العوامل النفسية التي تكيفت بها الجماعات وتعليلها تعليلاً بسيكولوجياً . على ان هذا البحث انما هو ضرب من ضروب فلسفة التاريخ وهو يدخل ضمناً في النقد الحديث ولكن ليس له علاقة بالنقد الفيلولوجي الا في امور جوهرية اساسية ترجع اليها العلوم كافة

والفضل في وصول النقد الفيلولوجي الى هذه المرتبة الرفيعة يرجع الى ايطاليا ففرنسا فالمانيا . وهو لم يخط الخطوة الاولى الى الامام في ابان العصور الحالية الا بمساعدة العلماء الفرنسيين لان الفرنسي شديد التمييز وله ولع عظيم بالبحث والتنقيب . وأفضل حسنة تذكر للنقاد الفرنسيين الاخلاص في الحكم فجاء نقدهم مجرداً عن التحيزات الشخصية . وقد أدت تلك الصفة الغريزية فيهم الى جعل النقد علماً متيناً له قيود معلومة وقواعد ثابتة

الكلب والانسان

— ٥ —

ذكرنا ان الكلب يصيب كثيراً من الحيوانات المستأنسة والمستوحشة وقد رأينا إتماماً للفائدة ان نذكر أعراضه في تلك الحيوانات

اعراض الكلب في غير الكلب

اعراضه في القط

يشبه مواء القط الكلِب مواءه أثناء تهيجه الجنسي ويأكل الاوراق والخرق البالية وما شاكلهما مما لم تجر العادة بأن يأكلها ويأكل سلاحه أحياناً ويستخفي في زوايا الغرف وتحت الكراسي والمقاعد ووراء السدول (الستائر) ويقلق وينزعج لاقل جلبة ويهجم على الانسان ويعقره في الاجزاء العارية من جسمه كالوجه والرقبة والايدي ويثب على الكلاب والارانب والدجاج ويعقرها أيضاً وقد يسيل لعابه مرغياً مزبداً حول شفتيه وفي شدقيه ثم يشل وينفق في اليوم الثالث أو الرابع

اعراضه في الغنم والماعز

ترى هذه الحيوانات متخذة خطة الهجوم ومتحفزة للوثب على الدجاج والحمام والاوز وتحرق باسنانها (تقرض) وتقفز في الهواء ويخرج من أفواهها زبد مرغ ويكثر تلمظها وخوارها وثغاؤها ونباحها ثم تحط قواها فلا تكاد تقف من شدة الاعياء وقد تشل في أوائل الاصابة وتلبث كذلك طول مدة المرض وتنفق في اليوم الاول وقد تعيش الى الخامس

اعراضه في الجمل

يميل لعقر الانسان ويمتاز بشدة خطره من كثرة لغامه [١] وتغذمه [٢] مما يزيد انتشار العدوى

اعراضه في الغزال

يتنبه احساسه ويخدع في كناسه ويلبث كذلك حتى ينفق مشلولاً

(١) اللغام من البعير بمنزلة البزاق من الانسان (٢) تغذم يزبده تلمظه والقاه من فيه

اعراضه في البقر والجاموس

تصاب هذه الحيوانات بالدور الهائج من الكلب غالباً فترفع رؤوسها وترهف آذانها وتشخص أعينها وتمدد انسانها ويزداد خوارها وطغيانها وترى اما في غاية الوحشية واما مخلدة الى السكينة والبؤس ويغزر سيلان لعابها ويندر ان تعقر وتنطح الانسان وغيره من الحيوانات حتى تكسر قرونها وتهشم اسنانها ويقف اجترارها وتهجم على أشباح لا وجود لها ويكثر روثها وتظهر عليها أعراض المغص وتمعن في لحس الجرح العقري أو في أثرة التحامه حتى تلهبه وتدميه وتهزل بسرعة ويشل نصفها الخلفي ثم يمتد الشلل الى باقي جسمها وتنفق في اليوم الرابع وقد تعيش الى السادس

اعراضه في الخيل والبغال والحمير

تحمر أعينها وتمدد انسانها ويتنبه احساسها وتصبح حركاتها من العنف والشدة بحيث يخشى عليها من الكسر والخلع اثناء تكبدها الدور ويكثر قيامها وقعودها وتقلبها على جنبيها وضربها الارض بارجلها وامعانها في فحصها بسنابكها وتظهر عليها أعراض عسر البول ويبرز مستقيمها وتأكل الطين والتراب وتقلب شفتها العليا ويشل حلقها فيرتد الاكل ويخرج من انوفها واذا رأت افساناً أو كلباً هجمت عليه وتناولته بالعقر والرفس وتظمأ ظمأ شديداً وقد تلتهب حوافرها ويصعب مشيها وتعض موضع العقر منها وتمزق الجلد والعضلات حتى تكشف عن عظامها ويزداد تهيجها الجنسي وترهف آذانها كأنها تنصت لاصوات وهمية وتعقر كل ما حولها من الادوات وما عليها من الغطاء وتعض جلدها ثم تمزقه باسنانها وتقده قداً عنيفاً قاسياً فيتقلص عالقاً بفمها ويرى المشاهد من حركاتها وتلفها شمائل المستعد لقتال ومكافحة كل من يقربه أو يدنو منه ويتقلب بصرها وترتجف عضلات وجهها ويغزر عرقها ويسرع تنفسها ونبضها وترتفع حرارتها الى ١٠٤ (فارنهيت) ويبتدئ الشلل في رجليها الخلفيتين أو في العضلات القريبة من موضع العقر ثم يعمها وتنفق في اليوم الرابع وقد تعيش الى السادس

اعراضه في الخنزير

يجتهد في الاستخفاء في اظلم المحال فاذا انتابه الدور يدور على محوره ويرقد ويقوم مراراً وتكراراً ويهجم على الحائط ويقف كأنه يصغي الى شيء يريد ان يتبينه ويستجليه وترتجف عضلاته ويشخص بصره ويتمدد انسان عينه ويحرق باسنانه ويسيل لعابه

مرغياً وبعض الاخشاب ويبلع قطعاً صغيرة منها ويدس وجهه في الماء او في آنيته ولا يميل للعقر الا انه اذا عقر كان عقره بالغاً منتهى القسوة والفظاظة وفي غضون الدور تعقر اناثه خنانيصها وربما قتلتها وينفق في اليوم الاول الى السادس

اعراضه في الارنب وخنزيرجينا

تعدى الارانب بالكلب لاستحضار نخاعها الشوكي لعمل المروخ الذي يعالج به الانسان المعقور حقناً تحت الجلد وتظهر اعراض الكلب فيه بضعف في رجليه الخلفيتين يعقبه بعد بضعة ساعات شلل فيهما ويرقد على بطنه ويضع رأسه بين كفيه أو ينبطح على جنبه في حالة غشيان وقال هلمان (Helman) ان الارنب يصاب بالدور الهائج اذا اعدى من كلب مصاب بذلك الدور وكذلك يصاب بالدور الصامت اذا اعدى من كلب مصاب بدور ليس بالصامت ولكنه وسط بينه وبين الهائج وخنزيرجينا يعدي صناعياً كالارنب فاذا أصيب بالكلب ارتجفت اعضاؤه وصعب تحركه ورقد طول مدة المرض وذكر بيوش (Peuch) ان خنزيراً من خنازيرجينا لقح في عينه بالاصل المعدي فاصيب بالدور الهائج ورآه يعض اسلاك القفص المحبوس فيه ويكثر من البول وكان لعابه غزيراً وفكه الاسفل متشنجاً

اعراضه في الحيوانات المستوحشة

يغلب فيها الاصابة بالدور الهائج فتفقد طبيعة النفرة من الانسان وتهجم عليه وتعقره سواء كان في المزرعة او المدينة او القرية والذئب وابن عرس اشدها خطراً لان الاول يعقر في الرقبة والوجه والزور والثاني يعقر خلسة وبدون انذار

اعراضه في الانسان

للكلب في الانسان ثلاثة ادوار الدور الاول والدور الهائج والدور الصامت

الدور الاول — يشكو المصاب ألماً في رأسه وفقداً في شهوة طعامه ثم يحتد مزاجه ويقل نومه ويشعر بانه قد اقترب من الوقوع في هوة سحيقة من الخطر ويتألم من النور الساطع ومن علو الاصوات وتختنق حنجرته ويعسر ازدراده ويجش صوته وترتفع حرارته قليلاً او كثيراً حسب الاحوال ويسرع نبضه وتلتهب أثرة التحام جرحه العقري وترم وتصبح ذات لون احمر او ازرق ويحس المصاب بألم ناخس يبتدئ من موضع ذلك الجرح ويتجه الى القلب وقد يسبق هذه الاعراض تشنج

حنجري حاد وعسر ازدراد يفجآن المريض فجاءة

الدور الهائج — يزداد وهم المصاب وغمه وكدره ورعبه وقلقه ويكثر تنقله من محل الى آخر ويقطع ليله في اضغاث احلام ويصبح تشنج حنجرته وفمه مؤلماً جداً يصحب ذلك عسر شديد في التنفس لا تقل شدته او تخف وطأته او تتنوع طبيعته ولو فتحت القصبة الهوائية Tracheotomy وأية محاولة لشرب الماء او سماع خريره او رؤية انائه او النظر الى سطح صقيل من معدن او مرآة يعقبها تشنج في الحنجرة وفي العضلات الرافعة للعظم اللامي (Elevators of the Hyoid Bone) ويصحب هذه التشنجات احياناً كُلاب وترتفع حرارته من ١٠٠ — ١٠٣° (فارنهيت) ويندر ان يؤذي المصاب ممرضيه بل يبتعد عن اساءة الناس حتى في غضون تشنجه ويشحب وجهه وتحتقن عيناه وتضل وترى فيهما علامة اليأس والقنوط ويشتد عطشه ويشعر كأن زوره مربوط ومشدود شداً محكماً ويعمق شهيقه ويقصر زفيره وينتبه احساسه حتى ليضطرب من تيار الهواء ومن النور ومن حفيف الاثواب ومن الكلام والضوضاء ومن رقيق اللمس ويحمر وجهه وكأنما قد شدت عضلاته الى الوراء وربما احولت عيناه واذا تكلم أهذى واقطعت سلسلة اتصال كلامه ويكثر وسواسه وخيالاته واوهامه وييبس ويقبض اسارير جبينه ويشتبه فيمن حوله ولا يكاد نظره يثبت في وجه احدهم بل ينظر اليهم من طرف خفي كأنه يشعر بخطر يخفونه عنه ويلقي تبعة ما يلقاه من الآلام على عاتقهم ويعتقد انهم اجتمعوا وتآمروا عليه ويتحفز للمدافعة عن نفسه بيديه ورجليه وفمه او باي شيء يكون قريباً منه فاذا سكن روعه وهدأ جأشه واستخفى الدور وتلاشت اعراضه اعتذر اليهم عما بدر منه وعزا ما فعله وما عساه ان يفعله الى حكم القضاء والقدر الذي لا مرد له وندم على عدم قدرته منع ذلك عن نفسه ويلبث هذا الدور نصف ساعة اوساعة ثم تزداد حدته وتطول مدته وتستفحل مظاهره وربما مات المصاب في غضونه مختنقاً اومصعوقاً

الدور الثالث — يعقب الاعراض السالفة الذكر الاعياء الشديد والارتجاف ويأخذ التشنج والحركة الذاتية (Reflex action) وتنبه الاحساس في الهبوط والضعف وقد يتمكن المصاب من تناول بعض الاطعمة السائلة ولكن الشلل يعاجله فيموت بعد مدة تتراوح بين ساعة وثماني عشرة ساعة

وهنالك نوع من الكلب الكاذب (Lyssophobia) يصيب الاشخاص

المستريين وذوي الاعصاب الضعيفة ويأتيهم من عقر كلب ليس كلِباً ولكن وسوستهم وهواجسهم تجعلهم يعتقدون انهم أصيبوا بالكَلَب ويشفى هؤلاء الاشخاص من طريق اقناعهم بان الكلب الذي عقرهم لم يكن كلِباً او باحضاره نفسه امامهم ليتحققوا بانفسهم عدم اصابته بالكَلَب وعلى كل حال فان نجاح هذا العلاج موكول الى حسن اسلوب الطبيب وقوة برهانه ولياقته وتأثيره — ويقول كثير من الاطباء ان الاصابات التي قيل انها شفيت من الكَلَب لم تكن كلباً صحيحاً بل كلباً كاذباً لانهم يعتبرون ان المرض الحقيقي متى ظهرت اعراضه كان شفاؤه مستحيلاً

الصفة التشريحية

يكون الدم في جثة الكلب الكَلِب ذا قوام مائع فاذا انفجر وعاء من أوعيته سال منه بسهولة وسرعة ويكون الزور محتقناً ويمتد هذا الاحتقان الى القصبة الهوائية والشعب والرئة وربما يستحيل بعد الموت والغشاء المخاطي للفم يكون ذا لون أحمر ضارب الى الزرقة ومغطى بمخاط ذي قوام لزج وتشاهد فيه جروح مختلفة الشكل جاءت من عض الكلب اثناء تهيجه للاشياء الصلبة أو من بلعه اياها وتكون المعدة ملأى بالاجسام الغريبة كالورق والقش والشعر والحصى والرمل وتكون هذه الاجسام وسائر ما تحتويه المعدة مشوبة بالدم وتكون الامعاء الدقاق والاعور والقولون فارغة وخالية من المواد الغذائية — والاوصاف المرضية التي يشترك الانسان فيها مع الحيوان هي شدة الهزال وزرقة الجلد وامتلاء الاوعية السطحية والقلب بدم اسود كثيف القوام واحتقان الكبد والكليتين والغشاء المخاطي المثاني والانسكابات الدموية فيه وتمتاز الحيوانات بوجود ٣٠ ٪ من السكر في البول المحتبس بعد الموت

أما في المجموع العصبي فترى الاوعية الشعرية (بالمكروسكوب) متمددة والدم فيها جامداً ويشاهد حولها كثير من كرات الدم البيضاء محتلة للمسافات اللمفاوية — وتشاهد جدران الاوعية متضخمة وبها لطائخ هلامية تحدث ضغطاً مستمراً عليها حتى لقد تمحوها محواً وترى الخلايا العصبية وارمة وحاوية لاجسام هلامية بالقرب من النواة المركزية والنسيج العصبي الضام متضخماً ويعلق بعضهم أهمية عظيمة في تشخيص الداء على تجمع خلايا لمفاوية ومخاطية حول الخلايا العصبية في المجموع السمبتاوي والعقد العصبية المخية والشوكية

واثبت بخراي وجود اجسام يختلف حجمها من ٤ الى ١٠ مكرومتر منتشرة

في المجموع العصبي ومن المحتمل ان تكون هذه الاجسام من نوع البروتوزوا (حيوان ذو خلية واحدة) ويقول ان وجودها من البراهين التي لا تقبل شكاً في تشخيص الكلب على انها قد لا توجد دائماً في كل اصابة

الدكتور حسن ذهني
طبيب جمعية الرفق بالحيوانات بالقاهرة

نبوة لفيكتور هوغو. ولكن . . .

من اقوال النابغة الفرنسي : اني امثل حزباً لا وجود له حتى الآن — اعني حزب الثورة ، حزب المدنية . على ان هذا الحزب سوف يقبض على القرن العشرين ، ومنه تنشأ « الولايات المتحدة في اوربا » وتتلوها « الولايات المتحدة في العالم »

ان تلك الجمهورية التي لم تنضج بعد والتي ستضم اوربا جميعاً تحت جناحيها ترمي الى جعل المجتمع البشري صاحب السلطة على شؤونه . وسيحميها اهاليها الجنود ويفصل في مشاكلها المحلفون من بنيها ويدير شؤونها الادارية مجالس محلية ويحكمها ممثلو الشعب . وبذا تستغني عن الاعمدة الاربعة التي تقوم عليها الملكية المستبدة وهي : الجيش الدائم ، والحاكم ، وسلك الموظفين ، والاشراف . فلا تلبث بقايا الاستبداد هذه ان تنحل وتموت

في وسط مكتبة وندسر الملكية بلندن مائدة للمجلات عليها دفتر يحوي صوراً لمشاهير الناس ، وهو مقسوم الى اقسام بحسب المهن . وقد حدث منذ بضع سنوات ان الامير ادوارد كان يتصفح الدفتر فاستوقفه القسم الخاص برؤساء الحكومات وفيه صورة كبيرة للمستر روزفلت . فسأل والده الملك جورج قائلاً :

— ان المستر روزفلت رجلٌ ماهر يا والدي . اليس كذلك ؟

— نعم يا بني انه رجل عظيم ورجل طيب . ومن بعض الوجوه اعتبره نابغة

بعد هذا الحادث ببضعة ايام تصفح الملك جورج ذلك الدفتر بطريق الصدفة فوجد ان صورة المستر روزفلت قد انتقلت الى القسم المخصص « لرجال العصر ونسائه » فاستفسر من الامير الحدث عن سبب هذا التغيير . فاجاب : « لقد قلت لي يا والدي ان المستر روزفلت نابغة . ولذا فقد اخرجته من صف الملوك والاباطرة ووضعته بين الرجال العظام »

سوق الزواج الملكي

٢ — اسرة هابسبرغ

اسرة هابسبرغ من أقدم الاسر الاوربية المالكة ولعل الامبراطور فرنسيس يوسف الذي توفي حديثاً اول ملك نمسوي خالف تقاليد الملوك فاقترن عن حب لا عن مصلحة . وتفصيل ذلك انه لما كان لا يزال في طور الحداثة اتفقت امه الارشيدوقة صوفيا وخالته الدوقة لويز البافارية على أن تزوجاه ابنة ثانيتهما الاميرة هيلانة بان تفسحا له ولها مجال المقابلة في ايشل . فلما التقيا هنالك اعرض عنها لانه وقع في غرام اختها الاميرة اليصابات مع انه لم يرها الا بضع دقائق . فحاولت امه وخالته ان تردعاه فأصر على الاقتران بها وتمّ له ما اراد

وكان عمر اليصابات يومئذ ١٦ عاماً وهي لا تدرك معنى الحياة ولا ما هو مخبوء لها في ثنيات الاقدار . ولكنها كانت متوقدة الذهن كثيرة الذكاء . ولولا ما كان فيها من غرابة الاطوار لكانت اجدر اميرة يومئذ بعرش هابسبرغ

ولسوء طالعها لم يدم حب زوجها لها طويلاً لا نه كان كثير التقلب في اذواقه شديد النزوع الى الملذات . واذ رأت منه هذا الاعراض فترحبها له وانزوت في مقصورتها . ولكن ذلك لم يزد زوجها الا اعراضاً عنها ونسياناً لها فرأت ان تعمد الى السياحة والاسفار لعلها تجد فيها ما يعزيها عن قلى زوجها . فطافت بمعظم انحاء العالم مصحوبة ببطانة قليلة وعملت على نسيان مقامها السياسي حتى انها لم تكن تفوه بشيء يشتمّ منه رائحة السياسة أو السلطة

ولما فرغت من أسفارها وعادت الى قصرها لم يكن زوجها قد خفف من جفائه فقطعت كل صلة بينها و بين مهام الملك ولم تعد تسأل عما يقع حولها من الحوادث حتى ما يختص منها باولادها . واظهرت من عدم المبالاة بالامور ما لا يكاد يصدقه العقل حتى انها اهملت اولادها ولم تجد لذة في الاعتناء بامورهم أو بمستقبلهم . فاذا جاء

دور زواج أحدهم واستشيرت في الامر لم تبد رأياً قط وذلك غاية ما تصل اليه الاستكانة الى الاقدار

وكان ابن عمها لويس الثاني ملك بفاريا يماثلها في أخلاقها وصفاتها . واتفق في اواخر أيامها انها هامت به هياماً عظيماً ولكن يد الجناة اغتالته ويقال انه كان للامير ريجنت لويتبولد ابن عمها يد في تلك الجناية فغضبت عليه غضباً شديداً وأبت ان تقابله بعد ذلك في حياتها

اما زوجها فرنسيس يوسف فكان محباً لذاته كثير التشبث بسلطته ولم يكن شديد الحب لولي عهده الامير رودلف مع ان هذا كان سامي الاخلاق متوقد الذهن وكان شديد الغيرة على مصلحة المملكة يهزأ بسياسة ابيه الخرقاء ويكره المحالفة الالمانية بعكس ابن عمه الذي خلفه في ولاية العهد اي الارشيدوق فرنسيس فرديناند الذي قتل هو وزوجته في سراييفو واتخذت النمسا قتلهما ذريعة لايقاد جذوة الحرب الحاضرة

اما زوجته الكونتسة شوتيك فقد تم له الاقتران بها على نظام الزواج « المورغني » (أي اقتران اعضاء الاسرة المالكة بازواج من العامة) وقد كانت ذكية شديدة المطامع وللجزويت سلطة عليها لأنهم حموها ودافعوا عنها حالما تبين لهم ان الارشيدوق فرنسيس فرديناند يحبها ويميل الى الاقتران بها . وقد كان هذا الارشيدوق مشهوراً بعناده وقلة حنكته . وقد عرف الامبراطور غليوم كيف يستغويه فانه ما عتم فرنسيس يوسف ان منح الكونتسة شوتيك لقب « اميرة هوهنبرج »[1] حتى أبدى لها الامبراطور غليوم من دلائل الود والاحترام ما اكتسب به حب زوجها الارشيدوق

وكان بين هذه الاميرة والاميرة ماري جوزيفه السكسونية (ارملة اخي الارشيدوق فرنسيس فرديناند) نفور شديد يرجع سببه الى مسألة ولاية العهد. ذلك ان القانون النمسوي لا يأذن في ولاية العهد الا الى أولاد الارشيدوقين

(١) لم تنل هذه الاميرة لقب ارشيدوقة الا قبيل وفاتها بقليل

والارشيدوقات ولذلك كانت اميرة هوهنبرج تبذل وسعها للحصول على لقب ارشيدوقة ولكن الاميرة ماري جوزيفه كانت تقاومها خيفة أن يحرم عقبها العرش . وقد صرفت هذه الاميرة جل عنايتها الى انتقاء زوجة تليق بابنها الارشيدوق كارل فرنسيس جوزيف (وهو الامبراطور الحالي) و بعد اعمال الفكرة الطويلة ومراجعة قائمة الاسر الكاثوليكية المالكة أو المتصلة بالسلالات المالكة رأت أن تنتقي لابنها زوجة من اسرة الدوق دي بارما . وكانت الدوقة دي بارما من أميرات براغنزا مولداً وشقيقة الارشيدوقة ماري تريزا ولزوجها منها ومن زوجته الاولى عشرون ولداً وابنة معظمهم في البيمارستانات . على ان ذلك لم يكن ليمنع الاميرة ماري جوزيفه من تولية وجهها شطر البقية الباقية من هذه الاسرة لانتقاء عروس لابنها . فنصحت له ان يذهب الى صرح هذه الاسرة بتوسكانيا

واطاع الارشيدوق كارل امه فذهب الى توسكانيا ونزل ضيفاً في « صرح بيانوري » (بيت اسرة دي بارما) ولم تمر بضعة ايام حتى وقع في هوى الاميرة زيتا فطلب يدها ونالها

اما الامبراطور فرنسيس يوسف فلم يكن راضياً عن قرانه بها لا نه كان على ما يقال يفضل ان يختار له واحدة من حفيداته ولكنه ما عتم ان رأى الاميرة زيتا وابصر ملامحها الجذابة حتى رضي عنها وخلع عليها المنح والهبات

ولكن الامر انتهى عند ذلك الحد فان الارشيدوق كارل توارى بعد ذلك هو وزوجته عن البلاط وعن الحفلات العمومية لان الامبراطور لم يكن يجيز لهما كثرة التظاهر . فاعتزلا الى قصر بعيد عن ضجة السياسة حيث كانا يلهوان بأولادهما و بالمطالعة و هما سعيدان في معيشتهما الراضية الى ان دعيا حديثاً لتقلد صولجان المملكة

ونرجع الى ذكر ما بقي من أخبار أسرة هابسبرغ فنقول :

ان أعضاء هذه الاسرة قلما وفقوا في انتقاء أزواجهم . ومع شدة عناد عميدهم الامبراطور فرنسيس يوسف كان معظمهم يحاول ان يتملص من قيود الرسميات

ويجري على ما توحي اليه أهواؤه وعواطفه

فالأرشيدوق فرنسيس فردينان (ضحية سراييفو) تنزل عن جميع ألقابه وامتيازاته ليقترن بابنة استاذ من أساتذة احدى الجامعات الالمانية . وولية عهد سكسونيا السابقة اختارت لها بعلاً من العامة . وأخوها اختار له زوجة من أوساط الناس . ومعظم أولاد الاعمام والاحفاد حادوا عن قيود الرسميات وتزوجوا بحسب أهوائهم . وابنة فرنسيس يوسف الكبرى (الاميرة اليصابات) هربت مع عشيقها البارون فون سيفرد الذي اضطر الامبراطور فرنسيس يوسف ان يرقيه الى رتبة كونت ويدعوه الى البلاط

أما الامير جورج حفيد فرنسيس يوسف فقد كان بطل فضيحة أعظم من فضيحة أخته فان زوجته لم تقم معه بضعة أيام حتى هربت منه واستحصلت اذناً من البابا لفسخ عقد زواجها ثم وقفت نفسها للاعمال الصالحة . ولما نشبت الحرب الحاضرة تطوعت لخدمة الجرحى في جمعية الصليب الاحمر النسوية . وقد أقسمت بانها لن تتزوج ثانية بسبب ما لاقته في زواجها الاول

ولقد وقع لوالدي هذه الاميرة أيضاً أمور غريبة فان أباها الارشيدوق فريدريك كان من أعرق فروع الاسرة نبلاً وأجملهم خلقاً وخلقاً وكان الوارث الوحيد لوالده الارشيدوق البرت صاحب الثروة الطائلة وكانت كل من أرشيدوقات هابسبرغ تتمنى لو تكون له زوجة ولكنه لما كان في الثانية والعشرين من عمره وقع في غرام ابنة رجل من خاصة الالمان كان يدعي انه سلالة أسرة صاهرت الملوك وتقرَّبت من البيوت المالكة . ومع شدة مقاومة أسرة هابسبرغ تزوج الامير الفتاة التي أحبها ثم التجأ والد الفتاة الى الامبراطور فرنسيس يوسف ليمنح ابنتهُ لقب ارشيدوقة فمنحها الامبراطور اللقب ووضع حدًّا لمشاكل عديدة

وهنالك اميرات وامراء آخرون كثيرون من أسرة هابسبرغ خرجوا عن قيود الرسميات في زواجهم وخالفوا المألوف وكان زواجهم أقرب الى الفضائح منه الى الحوادث العادية الرسمية

العائلة والمنزل

كيف نعيش — ٤

وصايا صحية اقرها معهد اطالة الحياة في اميركا

الفصل الثالث

السموم

١ — الامساك

ان الضرر الناشئ عن احتفاظ الجسم بالمواد غير المتمثلة شديد الخطورة . لان محتويات الامعاء اذا بقيت فيها مدة طويلة تتحول بالانحلال الى مواد عفنة سامة . وقد ثبت انه ينشأ عن الاختلال في عمل الامعاء الصداع الذي يزداد انتشاراً بين الناس وضعف قوة المقاومة في الجسم عموماً — وهذا الضعف كما لا يخفى يمهد السبيل الى كثير من الامراض . وقد أصبح الامساك عاماً في جميع الطبقات وله سببان جوهريان وهما : أولا خلو مأكولاتنا من الاصناف التي تساعد عمل الامعاء ولا سيما المأكولات الضخمة الحجم . وثانياً العجز عن التبريز الوافي في أوقات معينة

وينبغي ألا يستهان بالامساك متى أصبح مزمناً فقد ينشأ عنه نتائج من الخطورة بمكان عظيم . وانا ذاكرون فيما يلي نصائح وارشادات مفيدة للمصابين بهذه العلة :

يفيد شرب الماء بكثرة متى كانت المعدة فارغة ولا سيما في الصباح قبل الفطور . وبعكس ذلك شربه مع الطعام فقد يسبب الامساك . على انه ينبغي لمن ليس قلبه سليماً وللمصابين بالاستسقاء ان يتجنبوا الاكثار من الماء

ولا ريب في ان الاطعمة هي التي عليها ان تحرك الامعاء على شرط ان تكون ضخمة الحجم وان تحوي مقداراً معلوماً من المواد الملينة . وفي مقدمة المأكولات الملينة

البرقوم والتين ومعظم الفواكه الا الموز ، وعصارات الفواكه ، وانواع الخضار التي ومعظم الحبوب . وكذلك الزيت والشحم فانهما مليّنان ولكن ينبغي تعاطيهما بكميات كبيرة للحصول على النتيجة المطلوبة وذلك مما يعرض لفقدان الشهية . ومن المأكولات التي تزيد وطأة الامساك الرز واللبن المغلي و بياض البيض والدقيق في الخبز والنشاء

ويفيد أيضاً استعمال الردة (أو النخالة) في الحبوب وفي الخبز حتى مع الخضار لمنع الامساك . وكذلك نوع من النبات البحري يسمى طحلب سيلان Agar agar . فان الامعاء لا تتحمله وانما يفيد في تنظيف القناة الهضمية بما يحمله من الماء

ويجدر أيضاً تعاطي زيت البارافين فانه يسهل الطريق للطعام حتى يمر في الامعاء وانما يشترط فيه ان يكون نقياً . على ان الافضل للنحلاء القليلي الوزن ألا يتعاطوا هذا الزيت

وعلى الاجمال ينبغي تجنب الادوية المسهلة الا اذا أشار الطبيب بتعاطيها . فان بعض تلك الادوية شديدة الضرر اذا تمادى الانسان في استعمالها فانه كلما تعاطاها صعب عليه الاستغناء عنها . وقد يجد المصاب بالامساك فائدة في استعمال الحقنة من حين الى آخر (لا بصورة دائمة) على شرط استعمال حقنة من الماء الساخن تليها حقنة من الماء البارد

وقد يفيد أيضاً دلك البطن باليد دلكاً شديداً شاملاً ولا سيما من جهة اليسار على ان يكون الدلك متقطعاً من فوق الى تحت

ان الانسان العادي يجب ان يفرغ امعاءه مرتين أو ثلاث مرات في اليوم بصورة دائمة ويكفي لذلك ان يعيش عيشة منتظمة متجنباً التعب الزائد ومتعاطياً المأكولات ذات الحجم الضخم والرياضة البدنية (ولا سيما التنفس العميق) ومحافظاً في قيامه وقعوده على قامة جالسة

* * *

لا بد لنا في هذا المبحث الحيوي من التكلم بالصراحة والبساطة مما قد يأنف

منه أصحاب الحيـاء الكاذب فقد آن لنا ان نهدم الحاجز الوهمي الذي أقامته عاداتنا الخداعة دون البحث في المسائل الجوهرية الضرورية

ان المجالس العالية المستعملة اليوم في معظم بيوت الماء (المستراحات) تساعد على الامساك لانها لا تأذن للانسان باتخاذ القعدة الطبيعيـة لهذا العمل . فانها تمنع ضغط العضلات في البطن وهو ضروري . وقد وجد دارسو غرائز القرود الشبيهة بالانسان انها تبرز ثلاث أو أربع مرات في اليوم . والارجح ان هذا المعدل هو المعدل الطبيعي للانسان أيضاً

ان هذه الغريزة — كغيرها من الغرائز — تضعف بالاهمال . ولا شك ان المدنية قد عرقلت عملها الطبيعي ويكفي المقابلة بين الانسان والحيوان من هذا القبيل حتى يتبين الفرق العظيم بينهما . وقد يكفي ان تهمل تلك الغريزة عند تأثرها خمس دقائق حتى تنسى . ولذا ينبغي متى ضعفت الاهتمام باعادتها الى حالتها الطبيعية من الاحساس . ولعله يكفي الانسان ان يواظب بضعة أسابيع على نظام مخصوص حتى تعود الى احساسها الطبيعي، وذلك باستعمال حقن زيت البارافين في الليل واردافها بحقن ماء بارد بعد تفريغ الامعاء . والافضل ان يتعود الانسان زيارة بيت الماء بعـد الطعام ظهراً ومساء بانتظام كما يفعل معظم الناس بعـد الفطور حتى تتعود تلك الغريزة على العمل في تلك الاوقات وهي أوقاتها الطبيعية

ويجدر بنا هنا ان نكرر التنبيه الى التسمم الناتج عن الاكثار من اللحوم والمواد البروتينية وقد تكلمنا عنها سابقاً . وقد وجدوا ان من أفضل الطرق لتوقي هذا التسمم استعمال اللبن الرائب فان فيـه الحامض اللكتيك الذي يقتل الميكروبات المسببة لانحلال المواد وتوليد السموم

ويمكن معرفة حالة الامعاء من رائحة المواد البرازية . فانها تكون خفيفة اذا كانت المواد البروتينية قليلة وكان اللوك جيداً . والعكس بالعكس

٢ — تقويم الجسم

من أبسط الطرق الفعالة في منع التسمم ومن أشدها تأثيراً تقويم الجسم أي ان يكون مستوياً جالساً بحيث تشدّ العضلات الباطنية ويدور الدم في التجويف الحشوي دوراناً طبيعياً . فاذا كان الجسم هابطاً مخفوضاً تعرقلت الدورة الدموية الباطنية وقد يركد الدم في الكبد والاوعيـة وهذا مما يسبب الشعور بالانحطاط والارتباك العقلي والصداع وبرودة الايدي والارجل والتعب المزمن والنورستينيا وعسر الهضم

على ان هبوط الجسم وانخفاضه قد ينتجا عن امراض خاصة أو عن ضعف القوى الحيوية عامة . ولـكنهما في كثير من الاحيان يكونان سبباً لا نتيجة — ويظن ان لانحناء الجسم دخلاً في تطرق السل الى الرئتين بسبب التسمم الناشئ عن ارتخاء البطن ارتخاء متواصلاً

ولحسن الحظ ان هذه العادة المضرة سهلة الانتزاع وقد نجا منها كثيرون بتمرنهم بضعة أسابيع على تقويم أجسامهم . وقد يستعينون موقتاً بحزام مقوّم وبتمرينات بدنية من شأنها تقوية العضلات الجوفية . وفي مقدمة ما يفيد لمقاومة الارتخاء العضلي التمرين على التنفس العميق . ومنه أيضاً رفع الرجلين والانسان ملقى على ظهره أو رفع البدن والرجلان ثابتتان . ومنه أيضاً التنفس البطيء العميق والانسان ملقى على ظهره وعلى بطنه ثقل كـكيس من الرمل مثلا (وزنه كيلوغرام أو كيلوغرامان)

أما في المشي فـكثيرون هم الذين لا يقومون جسمهم بل يتركونه منخفضاً هابطاً. وانما ينبغي تأخير الـكتفين وابراز الصدر وادخال المعدة وتقويم العنق بحيث يصبح عامودياً وخفض الذقن

ان من الضروري ان يحس الانسان احساس الثبات والاشتداد في عضلاته الداخلية سواء كان قائماً أو قاعداً أو ماشياً

ثم ينبغي ايضاً تقويم الاقدام واتجاهها عند المسير فاننا نرى كثيرين من الناس يسيرون على صورة غير طبيعية ومنهم من تعوّج قدماه عند المشي فتتجه يميناً

وشمالاً ولا بد في هذه الحال من التمرن على تقويم الاقدام ولا سيما الارتفاع على الاقدام مراراً كل يوم

اما في القعود فللقعدة شأن كبير في تسبيب الراحة أو الانزعاج . وللاسف ان معظم الكراسي المستعملة تساعد على القعود قعدة غير طبيعية لكون الظهر على الخصوص لا ينال السندة اللازمة له ويمكن تلافي ذلك باستعمال مخدة يسند عليها الظهر ولا سيما القسم الاسفل منه

ولعل أشد الضرر الناشىء من هذا القبيل يكون في المدرسة اذ يهمل الاولاد ان يجلسوا جلسة صحية على مقاعدهم فتراهم يحنون ظهرهم في الغالب ويقدمون ايديهم وتكون المسافة بين جسمهم وايديهم بعيدة . وينشأ عن ذلك اعوجاج العامود الشوكي وغير ذلك من التشويه البدني والعقلي ايضاً . وفي هذه الحال يفيد التنفس العميق فائدة جمة . وكذلك ينبغي استعمال التمرين العضلي المناسب لتقويم الجسم . ولا بد في المدارس من ارشاد التلاميذ الى الطرق القويمة من هذا القبيل

ثم ان كثيرين من اصحاب المهن الكتابية يقعون في هذا الخطأ فلا يحسنون الجلوس على مكاتبهم . والواجب ان يكون الجسم مستقيماً بقرب المكتب واذا احتاج الى الانحناء فلينحن كله معاً ولا يخفض الصدر وحده . وجملة القول انه يجب تقسيم الحمل على عضلات الجسم لا اتعاب فريق دون آخر . وقد يشعر الانسان احياناً بآلام شبيهة بآلام الروماتزم أو نحوه ولا تكون مسببة الا من اساءة الجلوس

اما النور فينبغي لجميع الذين يكتبون بيدهم اليمنى ان يقع على مكتبهم اما من فوق أو من جهة الشمال

المناظرة والمراسلة

جمعية آداب اللغة العربية بلندن

حضرة محرر الهلال

يتذرع بعض الناس في مصر بظروف الحرب في التنصل من الشؤون الادبية بل من الاشتراك في أي عمل عام يكلفهم مشقة مد أيديهم الى جيوبهم أو صرف خواطرهم ولو برهة من الزمن عن شؤونهم الخاصة التي يخيل لهم أنهم ما خُلقوا الا لها . وأمثال هؤلاء في الزمن العادي حيث لا حرب ولا ضرب لا يتجاسرون على المجاهرة بانانيتهم التي لا تحمد فلما فجع العالم بهذه الحرب الشعواء كان بين سيئاتها شجاعة هؤلاء الأنانين خازني الاموال عابدي الفخر الكاذب والشهرة الباطلة ، المتقطعين عن جل ان لم أقل عن كل الواجبات القومية المحتمة على كل ذي نفس حية

فمنهم من يهزأ بالدعوة الى عمل أدبي وطني بعيد المرمى كمشروع « جمعية آداب اللغة العربية بلندن » متسائلاً كيف يترتب على رقي الآداب رقي الشعب وليس من الأدب علف بقرته ولا تقاوي زرعه ولا ثمن محرائه ولا أجر فلاحه مستغرباً دعوته لنصر عمل ليس له دراية باسراره فما هو من تلاميذ الشنقيطي أو البارودي ولا من أقران المويلحي أو اليازجي . . . فلمثل هذا يقال ان لغة الامة ليست وقفاً على زعماء البيان والادب وان حياتها شرف للشعب باسره وضعفها أو موتها هوان شامل له كالعلم الوطني اذا هين هينت الامة التي تعده شعارها ولم تلحق الاهانة بحماتها وكماتها وحدهم ، وأما عن مزايا الآداب وتأثيرها في نهضة الامة وعلة طلبها والعناية بها في كل عصر فيجيب على ذلك عباس محمود العقاد بقوله الذي أؤمن عليه : « لست أنا من القائلين بأن الآداب مطلوبة لذاتها فان هذا القول مبطل للحقيقة المقررة وهي أن لكل شيء سبباً ونتيجة . ولكني أقول ان الآداب مطلوبة لمنافعها وان كثيراً من منافعها ما ينظر بالاعين ويلمس بالايدي وليس معنى ذلك ان الناس يقصدون منافع الاداب أو يشغفون بها بل هو شغف لدني كاشتهاء الجائع الطعام فهو لا يجوع لانه يعلم ان في الطعام قوام بدنه وان كان الامر كذلك في الحقيقة . ومن كان يماري في

هذا القول فليراجع التاريخ وليذكر أمة واحدة نهضت نهضة اجتماعية فلم تكن نهضتها هذه مسبوقة أو مقرونة بنهضة عالية في آدابها — نعم ان الآداب تروج أحياناً في عصور الانحطاط ولكنها آداب الذكاء ، وينبغي ان يفرق الناقد بين آداب الذكاء وآداب الطبائع : فآداب الذكاء زخارف أقوال وتصيد خواطر وتلفيقات أوهام وهي حبر على ورق ، وآداب الطبائع ايمان صادق وشعور دافق وعمل ناطق وهي كلمات من لحم ودم ، وليس هنالك من يشك في أن الادب الصحيح موصول بالطبائع القوية والفطر الحية فما بالهم يشكون في ان نهوض الامم موصول بنهوض الاداب الصحيحة ؟ »

ومن هذا الفريق المتقهقر من يعد الارتباكات المالية الناشئة عن الحرب أوجه عذر لصدوده عن المساعدة حتى الادبية المحضة منها . وقد تسمح له جراءته فيطعن في ذوق الشبيبة وفضلاء المستشرقين الذين دفعتهم جميعاً حمية الادب والغيرة على سمعة أهل العربية وكرامتهم فاقدموا على اعلان الدعوة لمؤازرة هذا المشروع الجليل دون مبالاة بالازمات السياسية والحربية التي كيفما كانت نتائجها فاغراض هذا العمل لن تفقد أبداً وجاهتها واعتبارها . ولعل أمثال هؤلاء يجهلون انه رغماً عن ارتفاع ثمن الورق بنسبة مائة في المائة ورغماً من ارتفاع نفقة التجليد بنسبة ثلاثين بالمائة ورغماً عن ارتفاع أجر التأليف بنسبة عشرين في المائة فالاقبال على المؤلفات الادبية في انجلترا لم يفقد جزءاً من قوته ان لم يكن على نمو مطرد . وعشرات الالوف من الكتب (وكثير بينها من أوضاع فحول الشعراء والكتاب المشهورين من قديمين وحديثين) ترسل للقوات المقاتلة في الخنادق . فالآداب لا غنى عنها في السلم أو الحرب لانها غذاء الالباب والافهام والهمم والعزائم . ولهذا لم تحل شواغل الحكومة الانكليزية المتعلقة بادارة الحرب عن عنايتها الجدية بمشروعات علمية استكشافية وأعمال أدبية شتى نحن أولى بان نحفل بها ولم يمسنا من أذى الحرب الا الاقل الاهون

كلما طفت بمخازن الكتب في لندن ومتعت نظري بالجديد الذي لا يعد والمستطرف من تآليف العلم والادب المنوعة المفيدة تذكرت حالتنا المؤلمة فيتبدل انشراحي أسى وأسفاً ، وكلما هممت بلوم أرباب الاقلام من علماء وكتاب وشعراء مر بخاطري قول عبد الحليم المصري وهو العذر الحق للكثيرين من الادباء البائسين المتهمين بالبطالة والتواني ظلماً :

لو أنصفتني أمتي بينها لأبصرت لي كل يوم كتاب
فرحمة الله على شاعر قضى ولم يقض حقوق الشباب

وما علة قلة مطبوعاتنا العربية وانحطاط منزلتها الا قلة القارئين والقارئات بل قلة التشجيع بل عامل التثبيط لكل حركة يقصد بها القضاء على النظام القديم الفاسد وبث الروح الادبية الجديدة

تغص المكاتب الانجليزية بالمؤلفات في كل موضوع وعلم وفن حتى ليصح ان يقال أنه لا يوجد بحث لم يطرقه كتاب الانجليز أو لم ينقل الى لغتهم . ومثل هذا يقال عن بقية الشعوب الآرية مالكة زمام المدنية الحاضرة بنسبة ما يقال عكسه عن معظم الامم الناطقة بالضاد التي لم تنصف لغتها أو تاريخها المجيد

وقد يقال انه في الوسع علاج هذا النقص الفاضح عندنا بنشر المؤلفات الاوربية النافعة وترويجها بيننا وتزيين مكاتبنا العامة (وما أقلها) بها . ولكن أليس هذا العلاج وهمياً وأي دليل في ذلك على اقتدارنا وكفاءتنا الادبية ؟ وكيف يتهذب بمثل هذه الوسيلة الغربية شعب يجهل معظمه قراءة اللغات الاوربية ؟ وكيف يرد للغتنا الشريفة بمثل هذا ما فقدته من العافية وجمال الشباب ؟ ان تعليم الامة بغير لغتها تضليل وهو في الواقع مقاومة لنشر العلم

لا تنشأ المكاتب العامة العظيمة في أمة ضعفت فيها روح التأليف فزهدت في جمع الكتب وصيانتها . فوجود هذه الخزائن الادبية والكنوز الثمينة مقياس للحركة الادبية العلمية في أمة من الامم واذا كان هذا الاعتبار صحيحاً فحالتنا مخجلة سيئة تستدعي العلاج العاجل . نعم ان تعدد المكاتب في أية مملكة وقيمة ما تحويه من الاسفار النفيسة من اكبر الادلة على ذكاء أبنائها كما انه من عوامل نموها الادبي . فالتاريخ يخبرنا بمقدرة قدماء المصريين والاغريقيين مستشهداً بامثال مكتبة الاسكندرية العظيمة . والتاريخ يستدل على تفوق العرب وجلالة حضارتهم بمكاتبهم الشهيرة في بغداد وغيرها من الحواضر في ازمنة مختلفة ولا سيما بمكاتب الاندلس التي جمعت عشرات الالوف من المجلدات الغالية التي خطتها أقلام جهابذتهم ولعبت بها نيران الاسبان عند زوال الشوكة العربية لفرط جهلهم بمزاياها وقيمتها . فاين مكتبة الاسكندرية اليوم ؟ أين مكاتب العرب النفيسة الغنية عن التعريف ؟ أين المؤلفات العربية التي طالما كانت حجة الاوربيين أنفسهم في دراستهم ومرجعهم في تآليفهم ؟ تلاشت كلها

ويا للاسف . . . . ولكن ألا يمكن للنهضة العربية الادبية الحديثة التي تستمد حياتها من كتاب وادي النيل وسوريا قبل غيرهم ان تؤسس للخلف ما فاته ان يرثه من متاع السلف ؟ مشروع «جمعية آداب اللغة العربية بلندن» كمشروع المجمع اللغوي بالقاهرة وليد جديد لهذه النهضة الادبية الحديثة التي تبنى عليها آمال كثيرة ولهذا نال من عناية الصحافة العربية وكبار رجال الادب ما تشكر وما يشكرون عليه كما حاز من حزب الجمود والتأخر وأهل الخوف واليأس المعاذير والتثبيط المنتظر

ولكل يوم حالة ولكل أمـ ـرٍ جدة ولكل جيل مأرب

(كلية الملك) بلندن ب . ف . بهمان

عزاء الصديق

قصيدة القاها خليل افندي مطران في رثاء المرحوم حبيب نجل الدكتور اسكندر غريب

يا فاقد الولد الوحيد عجبت من داء عصاك وطالما أخضعته
لو كان طب شافياً لشفيته او كان حب نافعاً لنفعته
أوشكتَ من علم ومن برّ به ان تمطل الاقدار ما استودعته
لكن اطلت بالابتداع بقاءه فاطال فيه السقم ما أبدعته
ولقد سما خلقاً وعز نقيبة وغلا حلى فلاجل ذاك اضعته
وفرت به غر الصفات فقصّرت كلم المؤبن ان توفي نعته
واليوم آمال الفضائل والعلى يحفان في تشييع من شيعته

***

يا أيها المتغرب الفطن الذي بك ضاق دهرك ظالماً ووسعته
اكبرت منك نهى وعاجل خبرة ان ترمع السفر الذي ازمعته
وحقيقةٌ في العمر أنك مخسر بشرائه وموفق ان بعتَه
لكنني أبكي لامّ ثاكل فجّعتها ولوالد فجّعته
ولسوف انظر كل غصن زاهر فاراك عدت به وقد نوعته

مملكة الحجاز

بعد أن عقدت البيعة على صاحب الجلالة الشريف حسين ملكا على الحجاز اعترفت فرنسا وانكلترا وتلتهما ايتاليا به رسمياً وقد صدر بالقاهرة بلاغ مؤرخ في ٢٦ دسمبر وهو :

اعترفت حكومة جلالة الملك البريطانية وحكومة الجمهورية الفرنسوية بحضرة صاحب السمو شريف مكة الاكبر ملكا على الحجاز

الدكتور شبلي شميل

فقيد العلم والادب

لم تكد تمر الساعة الاخيرة من سنة ١٩١٦ حتى لفظ الدكتور شبلي شميل نفسه الاخير فكان موته فاتحة شؤم للعام الجديد . ولقد فقدت البلاد العربية بفقده عالماً وفيلسوفاً وحكيماً بل فقد الشرق مصلحاً اجتماعياً وطبيباً نفسياً

مات الدكتور شبلي شميل ولكن الروح التي نفخها في الآداب العربية لن تموت . مات ولكن الاثر الثابت الذي خلفه في نفوس المستهدين بنوره لا تمحوه السنون

ترجمته

ولد الفقيد في قرية كفر شيما بلبنان سنة ١٨٥٠ — وهي القرية التي انجبت آل اليازجي وتقلا والشميل — ووالده ابراهيم شبلي شميل وكان من وجهاء قومه . وهو سادس وآخر اخوته المرحومين خليل وملحم وامين وبشارة واسعد . فلما دب شبلي وترعرع توسم والده فيه النجابة فارسله الى مدرسة عينطورة بلبنان فتلقى فيها علومه الابتدائية والثانوية . ثم الى الكلية الاميركية حيث درس الطب . وبعدئذ ارسله الى باريس لاتمام علومه الطبية فمكث فيها سنتين ثم عاد الى الاستانة وقدم فيها الفحص الطبي فاجاد فيه . ومن الاستانة عاد الى مسقط رأسه كفر شيما حيث مكث مدة قصيرة ثم برح سوريا الى هذا القطر وكان في الخامسة والعشرين من عمره . واتخذ مدينة طنطا مركزاً ومكث فيها ٥ سنوات ثم تركها الى القاهرة فاستقر فيها حتى وافته المنية في اول هذه السنة

اخلاقه

آثرنا نقل القطعة التالية عن جريدة البصير الغراء لصاحبها رشيد بك شميل ابن أخ المرحوم الدكتور شبلي شميل وصفاً لاخلاق الفقيد وطباعه :

كان المرحوم دون الربعة كبير الدماغ عريض المنكبين ممتلئ العضل قوي البنية حنطي اللون الى سمرة

وكان مشتعلاً ذكاء بدت فيه منذ الفتوة فراسة نادرة وادراك وسيع وسرعة خاطر قل ان ظهرت في مثله حتى ان الفيلسوف فنديك العالم الاميركي المستشرق العظيم واستاذه في الجامعة الاميركية كان يقول عنه ان عقله لأوسع من دماغه . ولقد برهن على الذكاء النادر والفراسة العجيبة في مواقف كثيرة وفي حوادث طبية عديدة حتى انه كان يدرك المرض بدون أن يمس المريض

وكان حاد الطبع حتى ان المجال ليضيق على مباحثه في مباحثه . اتقن الفلسفة والعلم فكان فيهما استاذاً وبرع في الطب فكان فيه ثقة وانصرف الى الاجتماعيات فكان نصير الضعيف والمظلوم وعدو القوي والمستبد يعشق الهيئة فكان يحسب كل فرد خادماً لها مسخراً وكلما ارتقى هذا الفرد كبرت مهمته في خدمة المجموع

لم يكن يحب المال فانتقم المال منه ولكنه كان يحتقر المال فلا يود أن يصطحب معه ما يحقره . خدم العلم لمجرد العلم ونفع الهيئة لا لتجارة مادية أو ادبية . ولم يستصغر ان يطلب المال جزاء علمه لعلمه أن المال واسطة لنشر ذلك العلم . اذا لقي خيبة كان يلقيها على شخصه من حيث هو انسان لا من حيث هو عالم منزه . فطر على حرية الضمير فلم تكن السياسة بمواجبها والعادات والتقاليد بسننها لتصده عن المجاهرة بافكاره فلسفة وطباً واجتماعاً ودينا بالتأليف والمراسلة والمحاضرة . وأن له الفضل الاوحد في بث روح الحرية الادبية في شرق تعود التذبذب والخضوع

كان يكره التقيد وهذا الكره أبى عليه الترشح للوظائف السياسية الكبرى . ومما نذكره له في هذا الصدد انه كان يقول « انني اكره حمل العصا حتى لا تقيد يدي بشيء » ولكنه اتخذ العصا عكازاً حينما ادركته الشيخوخة مصحوبة بداء الربو

آثاره

للفقيد آثار شتى من رسائل ومقالات وقصائد نشر قليلها على حدة وكثيرها في الجرائد والمجلات العربية . وكان اول كتاب شهر اسمه بين قراء العربية « شرح بخنر

على دارون (سنة ١٨٨٤) وفي اقدامه على نشر ذلك الكتاب دليل قاطع على ما فطر عليه من الشجاعة الادبية . وقد طبعه اخيراً وجمع اليه مقالات أخرى وردود من قلمه سماها جميعاً فلسفة النشوء والارتقاء باعتبار انها الجزء الاول من مجموعة الدكتور شميل . وصدر جزء ثانٍ من تلك المجموعة فيه مقالات وقصائد مما نشر في الصحف والمجلات

وقد اصدر مجلة الشفاء سنة ١٨٨٦ وله فيها مقالات علمية وطبية تنم عن سعة اطلاعه وبعد نظره وعاشت هذه المجلة سبع سنوات

واصدر اخيراً رواية تمثيلية عن الحرب الاوربية وكان آخر ما كتبه رواية ايفيجيني مترجمة شعراً عن رواية راسين الشهيرة

واذا اردنا تلخيص آرائه وجدناها تدور جميعاً حول مذهب النشوء والارتقاء. فقد كان مرجعه في تفسير جميع الظواهر الطبيعية ورائده في اصلاح الهيئة الاجتماعية

قصيدة خليل مطران في رثاء الشميل

لانت صلاب العزائم ... وانبتّ عقد العظائم

قضى حبيب المعالي ... قضى عدوّ المظالم

عصر طواه وشيكاً ... هذا القضاء الداهم

وامّة من سجايا ... بادت كاحلام حالم

في كل مجمع فضل ... قامت عليه المآتم

ماذا دهى العلمَ فيه ... وكان أكمل عالم

ألمّ . بالطب ريب ... كأنه فأس هادم

وصح في كل نفس ... ان الحجى غير عاصم

برغم كل شجاع ... يا شبل انك راغم

فوجئت حتفاً وهذا ... أولى بعز الضياغم

فاليوم تسكن كرهاً ... والدهر حولك قائم

قيام بحر تلاقى ... حبابه والغمائم

غريقه مطمئن ... وموجه متلاطم

***

ما كان منك بعهد هـذا الجمود الدائم
بعد الجهاد تواليـ ـه دائباً غير سائم
وبعد غرّ مساعٍ للحمد غير ذمائم
ياساكن الرمس ضيقاً وكان وسع المعالم
لعلّ قلبك فيه يقظان والجفن نائم
سرٌّ أسائل عنه يوم النوى كل حازم
فما يحير جواباً يزيل حيرة واجم

***

أتستريح وقد كنت ضامناً للمغارم
قد بتَّ أتعبَ ما با ت دون حقٍّ مخاصم
ورحتَ أيأسَ ما را ح ذائد للمآثم
في قيد خز رقيق وقد تفك الاداهم
تركتَ دنياك ناراً شبت على يد غاشم
أضحت مجال منايا بين الجيوش الخضارم
وكنت سلم التآخي فيها وحرب السخائم
تستنهض العقل والعد ل والشعوبَ الجوائم
على مُحلّ المعاصي ومستبيح المحارم
تشكو أسى لنهاب مدعوة بالغنائم
تلوم كل مُليم اذ ليس في الخلق لائم

***

وما برحتَ وفيّاً لكل خل مخالم
وما برحت معيناً أخاك والوقت عارم
ان أقبل الدهر يوماً قاسمت كل مقاسم
لا مبقياً لك الا أدنى نصيب المساهم
وان منيتَ بعُدم فما مرجيك عادم
بيتُ الشفاء مزار يؤمه كل رائم

ما ينثني عنه ماضٍ   حتى يوافي قادم
للداء فيه دواءٌ   وللجراح مراهم
لا حِسبة الله لكن   جود ورحمة راحم
من اريحيٍّ عظيم   ما كان بالمتعاظم
يشفي الجسوم ويلقي   عن العقول الشكائم
يبغي هدى كل قوم   الى الصلاح الملائم
كأنما في يديه   برقٌ على الطرس راقم
آيات نصر مبين   تجلى وأبيات ناظم
مرام كل حكيم   ومتقى كل حاكم
تغشى الحقائق فيها   حيناً مخيلاتُ واهم

❊ ❊ ❊

لله أنت وهمٌ   مبرّح متقادم
من أجل قومك كم بت   في ليال جواهم
ما ان يفرج بث   كربك المتفاقم
وما تني في جهاد   له الرجاء ملازم
تلك البلاد الغوالي   على الحماة الصلادم
تزداد لهفاً عليها   ما ازداد فيها الجرائم
تأبى لها الضيم — ما في   يديك — والدهر ضائم
لولاه والجهلَ اعني   لم يبقَ في الارض ظالم

❊ ❊ ❊

يامن مضى عن تناه   ملءُ النفوس الكرائم
قد اوطنت في خلود   ذكراك بين العوالم
جرت بها فلك نور   على الدموع السواجم
الى شواطئُ مجد   منورات بواسم
فلم يزل يوم ذاك   الرحيل بين المواسم
سقت ثراك غيوث   مخضلة بالمراحم

خليل مطران

السؤال والاقتراح

(١) لا ننشر في هذا الباب الا الاسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القراء فقد نغفل الرد على بعض الاسئلة اما لكونها خصوصية لا تفيد الا أصحابها أو لكوننا قد أجبنا عليها في بعض الاعداد الماضية (٢) نظراً لكثرة الاسئلة التي ترد الينا قد نضطر الى تأجيل الرد على بعضها فنلتمس من السائل عذراً في هذه الحال (٣) ينبغي في الاسئلة ان تذكر فيها أسماء مرسليها . على انه يجوز الرمز الى السؤال باحرف أو بكلمة عند نشر السؤال

الحناء

﴿ ويلكس بار . بنسلفانيا . اميركا ﴾ سابا افندي طنوس سابا

ما تاريخ الحناء وما مغزى استعمالها في الافراح وكيف اتصلت الينا

﴿ الهلال ﴾ اسم الحناء مأخوذ عن كلمة فارسية تدل على شجيرة. الحناء واستعمال الحناء قديم يرجع الى أقدم الازمنة التاريخية فانك تجد الموميات المصرية في الغالب مصبوغة الاظافر بها . وقد استعملها العبرانيون وما برحت هذه العادة منتشرة من شواطئ البحر المتوسط الى شواطئ المحيط الهندي

كيف يتغذى المحار

﴿ بورت هورون . مشيغن . اميركا ﴾ ناصيف افندي مخائيل توما

هل لكم ان تعلموا لنا كيف يتغذى المحار أو البطلينوس (بالانكليزية Oyster) وهو داخل الصدفة

﴿ الهلال ﴾ لا يخفى ان الصدفة تفتح وتقفل بحسب الحاجة فاذا فتحت دخل الماء وما يحمله من مواد مغذية الى الجهاز الهضمي للمحار اذ ان له جهازاً هضمياً كسائر الحيوانات أوّله فم أو ثقب صغير (ولكن ليس فيه أعضاء لذوق الطعام ولوكه) ثم مرئ قصير ثم معدة ويحيط بها غدة كبيرة مزدوجة تفرز العصار الهضمي ثم امعاء طويلة . ومن غرائب هذا الحيوان ان الامعاء فيه تخترق القلب

اسم مصر

﴿ مصر ﴾ محمد افندي علي عرفه و﴿ اسكيو . ارجنتين ﴾ ميخائيل افندي ابراهيم ليوس

لماذا سميت مصر Egypt عند الافرنج وما أصل الاسمين وما معناها ؟

﴿ الهلال ﴾ جاء في الانسيكلوبيديا البريطانية الطبعة الحادية عشرة ما يأتي : ان الاسم الاصلي للقطر المصري هو « كيمي » Kemi ومعناه الارض السوداء اشارة الى ما يحمله النيل من المواد القاتمة اللون . وقد كانوا يكنون عن الصحاري الرملية التي على جانبي النيل بكلمة « تشري » اي الارض الحمراء . ولعل الكلمة الاولى بواسع معناها كانت تشمل الصحراء ايضاً . اما في العبرانية فاسم مصر مصرايم ولعلها مؤلفة من كلمتين تدلان على مصر العليا ومصر السفلى . على ان هذه الكلمة في كثير من الاحيان لا تدل الا على مصر السفلى . . . اما في الاشورية فكان الاسم « مُصري » « ومِصري » وفي العربية مصر . ولا شك ان هذه الكلمات سامية الاصل وقد تكون مشتقة من اللغة الاشورية ومعناها « الارض التي على الحدود » . . . أما كلمة Egypt الاوربية فهي مأخوذة عن الاصل اليوناني « إجبتس » وهذه الكلمة معروفة من عصر هوميروس . فقد وردت في الاوذيسة تارة للدلالة على النيل وطوراً للدلالة على القطر . ولكنها ما لبثت أن اقتصرت على القطر . أما أصل هذه الكلمة فغامض وفيه آراء لا محل لايرادها هنا

اختراع الغواصة

﴿ ريودي جانيرو . البرازيل ﴾ يعقوب افندي انيس بواري

من أول مخترع للغواصات ؟

﴿ الهلال ﴾ لقد جرب كثيرون بناء الغواصات وأقدم المساعي في هذا الباب ترجع الى القرن السادس عشر . على ان اول من صنع غواصة حقيقية على نحو الشكل الذي نعرفه اليوم كان نوردنفلت الذي بنى غواصته الاولى في ستوكهلم عاصمة اسوج سنة ١٨٨٣ لتستعمل في الحرب البحرية . وقد حضر تجربته الرسمية ضباط

بحريون ارسلتهم معظم الدول الكبرى . اما الغواصة فكانت مصنوعة من الفولاذ وطولها ٦٤ قدماً تدار بالبخار وتحمل ٣ او ٤ راكبين يستطيعون المكوث فيها ست ساعات ويتنفسون هواءً مضغوطاً مخزوناً في اوعية مقفلة . وقد جربت تلك الغواصة ثانية في سوثمبتن بانكلترا في ١٩ — ٢٠ دسمبر سنة ١٨٨٧

بيض الفصح

﴿ سكوهكن . اميركا ﴾ مخائيل افندي كعبوش وغيره

ما اصل العادة المنتشرة الى اليوم التي تقضي بتلوين البيض في عيد الفصح

﴿ الهلال ﴾ في الهلال الثامن من السنة الحادية والعشرين مقالة وافية عن بيض الفصح جاء فيها :

لا مشاحة في ان عادة تلوين بيض الفصح قديمة جداً يعزى تاريخها الى ما قبل المسيح باجيال . ويُروى ان المؤمنين كانوا يكرسون يوماً من سنتهم ليحتفلوا فيه ببدء الربيع وكانوا يقضونه بين اللهو والقصف واللعب والرقص ومن جملة عاداتهم في هذا اليوم تلوين البيض اشارة الى مناظر الطبيعة المدبجة بالازهار على اختلاف اشكالها والوانها . بيد اننا لم ندر متى أدخلت هذه العادة في الديانة المسيحية وانتشرت بين معظم المسيحيين . ومهما يكن من الامر فالمخيلة المسيحية قد وضعت لهذه العادة تقاليد شتى لا بد من ذكرها لما فيها من الفكاهة والافادة : يرى البعض ان القديسة مريم المجدلية بعد وفاة السيد وقيامته قصدت رومية المدينة الشهيرة اذ ذاك رغبة في مواجهة القيصر . فمثلت بين يديه وشكت له قساوة بيلاطس والي اليهودية نحو سيدها وكانت عبرات الحزن والتلهف تجري على وجنتيها . وقدمت له بيضة حمراء اشارة الى دم السيد فطيب القيصر قلبها الحزين ووعدها خيراً بالاستقصاء عن هذا الامر ومحاكمة المعتدين . ويزعم آخرون ان احدى الانسات الاسرائيليات اتفق انها حملت في حجرها عدداً من البيض ومرت بصديقة لها مسيحية . فبادرتها الثانية بالسؤال التالي « أتعلمين ايتها الصديقة ان سيدنا له المجد قد قام من الاموات ؟» فاجابت الاسرائيلية لا اصدق ذلك ان لم يتلون ما في حجري من البيض وهكذا كان . وقال غيرهم غير ذلك

اديان العالم

﴿ غينة الفرنسوية ﴾ ملحم افندي مخول

ما عدد الكاثوليك في العالم وعدد الارثوذكس والبروتستنت والمسلمين

﴿ الهلال ﴾ هذا احصاء اهم الاديان حسب آخر تقدير لدينا

الكاثوليك	٢٧٢ مليوناً	البوذيون	١٣٧ مليوناً
الارثوذكس	١٢٠ «	الهندويون (البرهمانيون)	٢٠٩ «
البروتستنت	١٦٦ «	الكونفوشيوسيون والطاويون	٢٩١ «
المسلمون	٢١٦ «	اليهود	١١ «

هل الشمس سائرة الى الفناء ؟

﴿ محلة روح . مصر ﴾ صادق افندي عبد الملك

معلوم ان كل الموجودات سائرة الى الفناء فما قولكم في كوكب الشمس هل تأثر في خلال الزمن الماضي وهل زاد او نقص وهل من نهاية لحرارته ونوره ؟

﴿ الهلال ﴾ من المسائل التي لم يتفق عليها الفلكيون كمية الحرارة المتأتية عن الشمس في ساعات النهار هل هي ثابتة او متغيرة اذ يحتمل ان تختلف تلك الحرارة بين الساعة والاخرى في مقدارها . وان كنا لا نقدر ان نميز ذلك الاختلاف

اما من حيث تغير هذه الحرارة تغيراً ثابتاً متواصلا فلا شك انه لم يحصل ثمت تغير يذكر منذ الفي سنة الى اليوم . والدليل على ذلك ان انواع النبات والحيوان لم تتغير . على ان الارجح ان الانقلابات الكبيرة التي طرأت على الارض قبل الازمنة التاريخية انما نشأت عن تغير الحرارة الشمسية

اما عمر الشمس فاعتماداً على نظرية هلمهوتز القائلة ان الحرارة التي تأتينا من الشمس انما هي نتيجة تقلصها (وقد حسبوا ان هذا التقلص يساوي ٢٠٠ قدم في قطرها بالسنة) لا بد ان يأتي يوم تزول فيه الشمس . ولو بقي التقلص على معدله الحاضر فان الشمس لا تبقى شمساً اكثر من ١٠٠٠٠٠٠٠ سنة . اما في الماضي فقد حسب علماء الفلك اعتماداً على هذه النظرية وعلى القوانين الطبيعية ان الشمس لم تعطِ حرارة على المعدل الحاضر اكثر من ١٨٠٠٠٠٠٠ سنة

﴿ استكشاف الاوقيانوس الباسيفيكي ﴾ ذكرت الجريدة العلمية الاميركية انه في الجلسة الاخيرة للاكاديمية الوطنية للعلوم في واشنطن عرض الاستاذ دافيس مشروع رحلة وافية لاستكشاف الاوقيانوس الباسيفيكي اذ لا يخفى ان ما هو معلوم عنه أقل بكثير مما هو معلوم عن الاوقيانوس الاطلنطيكي . قال الاستاذ المذكور : في شمالي الباسيفيكي مساحة تزيد على ضعفي مساحة الولايات المتحدة لم تستكشف بعد الا استكشافاً ناقصاً ولم يستجس عمقها الا في نقط تبعد الواحدة منها عن الاخرى ٢٥٠ ميلاً ولا شك ان العلوم تستفيد من ذلك الاستكشاف المنوي فائدة عظيمة فعلم الحيوان وعلم النبات وعلم طبقات الارض كلها تجد فيه مواد جديدة — فضلاً عن درس أخلاق الاهالي القاطنين لجزر صغيرة لا يعرف اليوم عنهم الا القليل

مطبوعات جديدة

﴿ The Origins of the Islamic State ﴾ هو ترجمة كتاب فتوح البلدان للبلاذري الى اللغة الانكليزية بقلم الدكتور فيليب خوري حتي الاستاذ في كلية بيروت الاميركية ونزيل نيويورك الآن . ولا حاجة بنا الى بيان منزلة هذا الكتاب في الآداب العربية فهو العمدة في منشأ الدولة الاسلامية وانتشار سلطانها . وانما نقتصر على ذكر ما امتازت به الترجمة الانكليزية التي نحن بصددها من دقة النقل وحسن التنسيق وما اضيف اليها من التعليقات الجغرافية والتاريخية والفهارس الوافية التي تضاعف قيمة الكتاب وتجعله سهل المأخذ قريب المنال . وحبذا لو حذا هذا الحذو طابعو الآثار القديمة في اللغة العربية فانها في الغالب تشوه بدلا من ان تصحح وقلما ترى فيها شرحاً أو تعليقاً او فهرساً يعين على الاستفادة بما فيها من الفوائد المشتتة . والجملة ان هذه الترجمة لا تفيد المستشرقين وحدهم بل تفيد أبناء اللغة العربية كافة بما فيها من الشروح والحواشي والفهارس . وقد طبع الكتاب حلقة من سلسلة مباحث في التاريخ والاقتصاد والقانون الدولي تصدرها جامعة كولومبيا الشهيرة بنيويورك

﴿ صبح الاعشى . الجزء العاشر ﴾ صدر الجزء العاشر من هذا السفر النفيس

الذي تولى نشره دار الكتب السلطانية وثمنه كالاجزاء السابقة ١٢ قرشاً

﴿ رحلة عظمة السلطان حسين في رياض البحرين ﴾ هي وصف واف للرحلة التي قام بها عظمة السلطان في صيف سنة ١٩١٦ في مديريات الغربية والمنوفية والدقهلية الخ . . . وقد افتتحت بلمحة في تاريخ السلطنة المصرية وأعمال عظمة السلطان وأحاديثه وخطبه وختمت بلمحة في أمارة المحمرة . تأليف عبد المسيح أنطاكي بك صاحب جريدة العمران . والكتاب مزين بصور كثيرة لا تخلو منه صفحة ليس فيها صورة لبعض المشاهير والاعيان أو لبعض الحوادث الخطيرة وفيه فضلاً عن ذلك قصائد وفوائد ومقتطفات كثيرة

﴿ الثمرات ﴾ تأليف عبد الرحمن افندي شكري الشاعر المعروف . فيه مقالات فلسفية وأدبيـة مكتوبة في قالب نثري هو أقرب الى الشعر المنثور ، وتبحث في مواضيع مختلفة كاحلام الشباب والضحك والبكاء ووقع الاقدام ورسول الامل الخ . . .

﴿ حديث ابليس ﴾ هو كتاب خلق جمع بين الفكاهة والجد وفيـه مباحث في النفس والحياة لعبد الرحمن شكري أيضاً

﴿ مسائل الحقوق الدولية ﴾ للدكتور روي بربوزا أحد أعضاء مجلس الاعيان البرازيلي وقد نقلها الى العربية نجيب افندي نسيم طراد وطبعت على نفقة جريدة الجديد الغراء

﴿ جغرافية الجرجاوي ﴾ هو كتاب مدرسي للمدارس الثانوية تأليف مسيحه افندي خليل الجرجاوي وقد وصلنا منه جزء خاص باسيا

الجرائد والمجلات

﴿ الكوكب ﴾ جريدة سياسية ادبية اسبوعية يصدرها في القاهرة نخبة من كتاب العرب بادارة الشيخ محمد القلقيلي الازهري . والغرض من انشائها تنشيط الحركة العربية القائمة الآن في الحجاز وتعريف الامة العربية ما لها من الحقوق وما عليها من الواجبات والبحث في المدنية العربيـة وبيان فظائع الاتراك وتوثيق العلائق بين الامة العربية وصديقتها بريطانيا العظمى — ونعم تلك المقاصد . وقد طالعنا الاعداد التي تلقيناها من هذه الجريدة الجديدة فاذا هي سائرة على الخطة التي رسمتها لنفسها . قيمة اشتراكها ٥٠ قرشاً في السنة

﴿ التجارة ﴾ صحيفة زراعية ادبية اسبوعية تصدر في الاسكندرية لصاحبها

عبد الفتاح افندي بركة . وهي فريدة في نوعها وتسد فراغاً بين الصحف العربية . اشتراكها ٧٥ قرشاً في السنة

﴿ المرآة ﴾ هي جريدة اسبوعية ادبية علمية انتقادية اجتماعية تصدر مرتين في الشهر موقتاً لصاحبها ورئيس تحريرها احمد افندي ابراهيم فوده وقد كانت تصدر قبلاً شهرية باسم مرآة الادب . اشتراكها ٣٠ قرشاً بالسنة

﴿ السهام ﴾ هي جريدة نصف شهرية تبحث في جميع المواضيع تصدر في مناوس بالبرازيل لمديرها ومحررها جورج افندي اسحق يارد قيمة اشتراكها في الخارج ٣٥ فرنكا

﴿ ارزة لبنان ﴾ جريدة ثلث شهرية لبنانية سياسية علمية تاريخية تصدر في ريو جانيرو بالبرازيل لصاحبيها وديع افندي عبود ويوسف افندي ايوب الحتي . اشتراكها في الخارج ٢٥ فرنكا

﴿ البيان ﴾ عادت هذه المجلة الى الظهور اسبوعية بعد ان كانت شهرية لمنشئها الشيخ عبد الرحمن البرقوقي وفيها مباحث جامعة بين العلم والاجتماع والادب . ومن محتويات اعدادها التي بين ايدينا مذكرات للدكتور شبلي شميل . اشتراكها في السنة ٦٠ قرشاً

﴿ الانيس ﴾ مجلة جامعة تصدر في سان باولو بالبرازيل مرتين في الشهر لمديرها انطون افندي سعد ويحررها بعض الكتاب . وقد كانت تصدر قبلا بشكل جريدة . قيمة اشتراكها ١٥٠ قرشاً برازيليا

﴿ العواطف ﴾ مجلة نصف شهرية جامعة تصدر في بونس ايرس بالارجنتين لمنشئها انطونيوس افندي . خ . جمل . قيمة اشتراكها في الخارج ليرة انكليزية

﴿ تقويم سنة ١٩١٧ ﴾ صدرت طبعة سنة ١٩١٧ لهذا التقويم النفيس الذي تصدره المطبعة الاميرية وهو يحوي معلومات وفوائد كثيرة لا غنى عنها

جميع هذه الكتب تطلب من مكتبة الهلال بالفجالة بمصر

الولايات المتحدة الاميركية

واحوالها السياسية والاجتماعية والاقتصادية

اتجهت الانظار في الشهر المنصرم الى الولايات المتحدة الاميركية وتتبع الناس حركاتها ومداولاتها بشوق متزايد حتى لقد كادت حوادث الحرب تهمل وتنسى. فرأينا أن نذكر شيئاً يقرب الى الفهم حقيقة تلك البلاد الواسعة الغنية المسماة بحق — بلاد العجائب. وأي عجيبة أعظم من تعمير بلاد واسعة تبلغ مساحتها ثلاثة ارباع مساحة أوربا وأقامة مدنية شائقة بتلك السرعة العظيمة الخارقة! فان استقلال الاميركيين لم يتم الامن نحو قرن وربع قرن وقد كان عددهم في أوائل القرن الماضي لا يزيد على خمسة ملايين فاصبح ٩٢ مليوناً. وليس من شأننا في هذا المقال ايراد تاريخ الولايات المتحدة فقد دون غير مرة في الهلال وانما غرضنا الآن درس احوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية

دستورها ونظامها الاساسي

يرجع نظام الولايات المتحدة الى دستور سنة ١٧٨٧ وهو يقضي بوجود ما يأتي:

اولا حكومة مركزية تنظر في الشؤون العامة للولايات جميعاً. ويرأسها رئيس جمهورية ينتخب لمدة ٤ سنوات وله سلطة واسعة وهو يعين الوزراء. واذا توفي في اثناء رئاسته خلفه للمدة الباقية من الاربع السنوات نائب الرئيس. والسلطة التشريعية مؤلفة من مجلسين: مجلس النواب ومجلس الشيوخ. أما الاول فينتخبه اهل كل ولاية على نسبة عدد السكان وأما الثاني فلكل ولاية عضوان فيه مهما يكن سكانها

ثانياً حكومات الولايات المختلفة. فلكل ولاية حاكم ينتخبه الاهلون وبارلمان مؤلف من مجلس للنواب ومجلس للشيوخ. والولايات المتحدة ٤٧ ولاية (عدا مقاطعات قليلة السكان تابعة للحكومة المركزية. وقد ترفع الى مقام الولايات متى زاد عدد سكانها). وقد كان عدد الولايات في الاصل ١٨ ولاية فقط وكلها في الجهة الشرقية فبلغت عددها الحالي تدريجاً اما باستعمار المقاطعات الغربية او بالفتح والشراء. واليك جدولا يبين الولايات الاصلية والولايات المضافة. والولايات التي بين قوسين هي التي كانت تخص ممالك اجنبية

الولايات الاصلية (في الشرق)	الولايات المكونة الى سنة ١٨٤٨ (في الوسط)	الولايات المكونة بعد ١٨٤٨ (في الوسط والغرب)	
ماين	بنسلفانيا	(تكساس)	
ماساشوستس	كنتكي	(كاليفورنيا)	
كونكتيكت	تنيسي	(اريزونا)	
فرمونت	اوهايو	(مكسيك الجديدة)	
نيوهامشير	(لوزيانا)	وسكنسن	
رود ايلند	انديانا	مينسوتا	
نيويورك	ميسيسيبي	ايوا	
نيوجرزي	ايلينويس	نبرسكا	
دلاوار	الاباما	يوته	
مارلاند	ميسوري	ويومنغ	
فرجينيا الشمالية	(فلوريدا)	داكوتا الشمالية	
« الجنوبية	اركنساس	« الجنوبية	واشنطن
كارولينا الشمالية	مشيغن	كنساس	مونتانا
« الجنوبية		نيفادا	ايداهو
جورجيا		اوريغون	اوكلاهوما

الاهلون واجناسهم

قلنا أن سكان الولايات المتحدة يقدرون اليوم بنحو ٩٢ مليوناً . على ان كثافة السكان لا تزال ضعيفة فان عددهم يبلغ خمس عدد سكان اوربا في حين ان مساحة الولايات المتحدة تبلغ ثلاثة أرباع مساحة القارة الاوربية . أي ان كثافتهم ١٢ في الكيلو متر المربع يقابل ذلك ٣٩ في اوربا

وللاجناس البشرية الاربعة ممثلون في الولايات المتحدة

(١) فالهنود الاصليون المسمون أصحاب البشرة الحمراء ما برحوا قليلي العدد ولا يزيدون اليوم على ٢٦٦٠٠٠ أي نحو جزء من ٣٥٠ من مجموع السكان وهم يقطنون أواسط البلاد ويعيشون معيشة أهل البادية يربون الماشية ويزرعون الارض

(٢) وفيها من الصفر مهاجرون من الصينيين واليابانيين عددهم نحو ٢٢٤٠٠٠ أي نحو جزء من ٤٠٠ من المجموع ومعظمهم يقطنون الولايات الكائنة على الشاطئ الباسيفيكي ويعملون في المصانع باجور زهيدة حتى ان الولايات التي كثر فيها عددهم اضطرت الى سن قوانين لوقف تيار مهاجرتهم

(٣) وفيها من الزنوج والخلاسيين (أي الذين يلدون عن والدين أحدهما أبيض والآخر اسود) نحو ٨٨٠٠٠٠٠ أي اقل من عشر المجموع وقد كانوا عبيداً أُتي بهم من افريقيا ثم تحرروا. ومعظمهم يقطنون الجهات الجنوبية وهي تلائمهم اكثر من ملاءمتها للبيض. ولا يزال البيض ينظرون اليهم بازدراء واحتقار

(٤) أما البيض فهم تسعة أعشار المجموع وعددهم يزيد زيادة مستمرة بسبب المهاجرة اكثر مما بسبب الولادات

المهاجرة

لقد نزح الى الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر مهاجرون من جنسيات مختلفة ولا سيما في مدد معينة فمن ذلك (أولا) ازدياد المهاجرة حوالي سنة ١٨٦٠ اثر استكشاف مناجم الذهب في غربي الولايات المتحدة و (ثانياً) ازديادهم حوالي سنة ١٨٨٠ اذ تكونت المصانع العظيمة وتقدمت الزراعة و (ثالثاً) في السنين الاخيرة بسبب تكاثر عدد السكان في بعض جهات اوربا وزيادتهم عن حاجة بلادهم وصناعتها. وقدكان معدل المهاجرة الى الولايات المتحدة في المدة الاخيرة حوالي المليون في السنة. ومعظمهم يبقون في وطنهم الجديد (نحو أربعة اخماسهم) ولا يرجع منهم الا الخمس تقريباً الى اوطانهم الاصلية. واليك اهم العناصر المهاجرة:

(١) الانكليز (انكلو ساكسون وسكتلنديون وارلنديون). كان المهاجرون منهم فيما مضى اكثر منهم في السنين الاخيرة ويقدر عدد المهاجرين منهم في المئة السنة الماضية بنحو ٨ ملايين. أما في السنين الاخيرة فقد قلوا حتى أصبحوا لا يزيدون على عشر مجموع المهاجرين سنوياً ومعظمهم من الارلنديين. وهم سريعو الاندماج باهل البلاد

(٢) الالمان كثيرون في الولايات المتحدة ولا سيما في الولايات الشمالية الشرقية وقد بلغ المهاجرون منهم الى اميركا في المئة السنة الماضية ٥ ملايين. على انه قد قل عددهم أخيراً اثر توسع المانيا الاقتصادي في الصناعة والتجارة حتى انهم في السنوات الاخيرة كانوا يبلغون جزءاً من ثلاثين من مجموع المهاجرين في السنة. ومن طبائعهم التجمع في جهات خاصة وهذا مما يزيد نفوذهم

(٣) الايتاليون كانوا يفدون بكثرة الى اميركا قبل الحرب حتى لقد أصبح المهاجرون منهم خمس مجموع المهاجرين. ويبلغ عدد المهاجرين منهم في الثلاثين السنة الماضية ٣ ملايين. وهم يقطنون في الغالب الولايات المتوسطة ويعيشون اما من

الفلاحة او من العمل في المصانع

(٤) النمسويون والمجريون ايضاً كانوا يزدادون اقبالا على اميركا حتى كان المهاجرون منهـم سنوياً اخيراً ربع المجموع . ويقدر مهاجروهم في الثلاثين السنة الاخيرة بنحو ٣ ملايين

(٥) الروس زادوا اخيراً بكثرة وعددهم الآن نحو مليونين ونصف مليون . وكان منهم عشر مجموع المهاجرين كل سنة

الحياة الاقتصادية

عمّر المستعمرون الاولون شواطئ الاطلنتيكي ثم اخذوا بتعمير البلاد الداخلية شيئاً فشيئاً . وقد كان لطرق المواصلات شأن عظيم في تسهيل ذلك التعمير . ففي الولايات المتحدة : اولا طرق مواصلات مائية اهمها نهر المسيسبي والبحيرات الكبيرة الخمس الكائنة على الحدود بينها وبين كندا . ثم فيها سكك حديدية متشعبة يبلغ مجموعها نحو ٤٠٠٠٠٠ كيلو متر أي اكثر من مجموع السكك الحديدية في اوربا (٣٢٥٠٠٠ كيلو متر)

ومعظم اهل الولايات المتحدة من سكان الحقول والبراري . على انه وان قلت فيها المدن المتوسطة الحجم ففيها طائفة من المدن الضخمة : من ذلك ٥٠ مدينة يزيد عددسكانها على ١٠٠٠٠٠ نفس ومن تلك الخمسين ٢٨ يزيد عدد سكانها عن ٢٠٠٠٠٠ نفس و٨ فيها اكثر من ٥٠٠٠٠٠ نفس و٣ فيها اكثر من مليون . ويبلغ مجموع سكان المدن المذكورة خمس سكان الولايات المتحدة ومعظمها (نحو ٤٠ منها) كائن في جهة المحيط الاطلنتيكي شمالا وفي الوسط شمالا ايضاً

ونظراً لاتساع البلاد واشتمالها على جهات مختلفة الجو ومتباينة الميزات الطبيعية فقد جمعت بين حاصلات البلاد الباردة والبلاد الحارة . ولا شك انه ليس بين الدول دولة كالولايات المتحدة تستطيع أن تستغني عن الاقطار الاجنبية . فان جمهورية الولايات المتحدة نظراً لاختلاف مواردها ومواهبها الطبيعية اشبه بدول متعددة بينها متاجرة مستديمة بل ان التجارة الداخلية فيها اعظم شأناً من التجارة الخارجية . على انها لتكاثر الصنائع والمصنوعات فيها شعرت في السنين الاخيرة بافتقار الى منافذ في الخارج تصرف فيها بضائعها وسلعها والى مستعمرات تجلب منها بعض المواد الاولية والغذائية . وقد

نشأ عن ذلك دخولها في سلك الدول المستعمرة

ولنر الان ما تتكون منه ثروة تلك البلاد الواسعة :

اولا — الصيد وا ثمار الغابات

ان جهات كثيرة من الولايات المتحدة لا تزال عذراء أي ان المدنية لم تحرمها هبات الطبيعة ففيها حيوانات برية وغابات واسعة اكثر مما في سائر الدول المتمدنية . أما الغابات فتبلغ مساحتها ٢٦٠٠٠٠٠ كيلو متر مربع وهي مع ذلك غير كافية لحاجة البلاد . وفي جبالها من الحيوانات البرية ذات الفرو انواع مختلفة . ويعد الصيد — صيد الحيوانات البرية والمائية — باباً من ابواب ثروتها

ثانياً — الزراعة

ان الزراعة أعظم مورد لثروة الولايات المتحدة . وهي فيها أرقى منها في جميع الاقطار . واسباب امتيازها هي :

اولا — اتساع الاراضي الزراعية . وان تكن مساحتها لا تتجاوز خمسي المساحة كلها . وخمس واحد منهما فقط من الاراضي الجيدة . ولكن هذا الخمس وحده يبلغ ١٦٦٠٠٠٠ كيلو متر مربع أي نحو ثلاثة اضعاف مساحة فرنسا

ثانياً — كثرة الفلاحين من الاهلين ومعظمهم ان لم يكن جميعهم من أصحاب الاملاك الصغيرة . وهذا مما يأول الى تحسين الزراعة اذ يبذل كل فلاح جهده لاستثمار ارضه

ثالثاً — استخدام الوسائل الحديثة من آلات وأسمدة وغير ذلك وفقاً لاحدث الاراء والاستكشافات

ويلحق بالزراعة تربية المواشي . ففي الولايات المتحدة من البقر والخنازير اكثر مما في أي دولة أخرى . ولها المقام الثاني في الخيل والمقام الثالث في الخراف

واليك أهم حاصلاتها الزراعية :

﴿ القطن ﴾ ان ثلثي القطن في العالم يزرع في الولايات المتحدة . وهي تستعمل معظمه في مصانعها . على انها تصدر كل سنة ما يزيد على ضعفي الصادر من مصر والهند معاً

﴿ الحبوب ﴾ للولايات المتحدة المقام الثاني في العالم باعتبار حاصلات الحبوب (والمقام الاول لروسيا) وحاصلاتها تشمل جميع انواع الحبوب المعروفة وكلها تزرع

بكميات كبيرة ولكن أعظمها شأناً عندهم الذرة والقمح

﴿ مزروعات أخرى ﴾ وفضلا عما تقدم ففي الولايات المتحدة مزارع للتبغ وكروم للعنب وحقول تزرع فيها أنواع الفاكهة . ولكن بكميات تقل عن لوازم البلاد (الا التبغ)

وجملة القول أن الزراعة في الولايات المتحدة تتناول أهم الاصناف الحيوية ولكن ينقصها : (أولا) بعض المواد الغذائية كالفاكهة والنبيذ والقهوة والشاي وخصوصاً السكر فهي لا تصنع الا نصف مايلزمها منه و(ثانياً) بعض المواد الاولية للصناعة كالخشب والصوف والجلود ، ولا سيما الكتان والحرير والكاوتشوك

ثالثاً — الصناعة

تمتاز الصناعة الاميركية بامرين :

أولا — التخصص المتناهي . أي ان المصنع الواحد لا يصنع الا صنفاً واحداً بل قد لا يصنع الا جزءاً من صنف واحد — ولكن باتقان عظيم وبكميات هائلة

ثانياً — تجمع الشركات الصناعية أي ان المصانع التي تصنع صنفاً واحداً تتحد معاً وتلغي بذلك المنافسة فيما بينها فتصبح حرة في تعيين الاسعار . وتلك الشركات الاحتكارية العظيمة تسمى trusts . واليك اهم الصناعات :

﴿ استخراج المعادن ﴾ ويدخل في هذا الباب الوقود من فحم وزيت بترول فانهما موجودان بكميات كبيرة فالفحم المستخرج سنوياً يزيد على المستخرج من انكلترا والمانيا معاً وحاصل زيت البترول يزيد على ثلثي حاصل العالم كله

اما من المعادن ففيها انواع مختلفة كالالومينيوم والزئبق والنيكل والرصاص والزنك ولكن اهم معادنها الحديد والنحاس فلها فيهما المقام الاول في العالم كله بل انها تفوق بالدول الاخرى من هذا القبيل بمراحل

ومن المعادن الثمينة فيها الذهب وقد كان لها فيه المقام الاول الى سنة ١٨٩٥ فاصبحت اليوم في المقام الثاني (المقام الاول لافريقيا الجنوبية) . وفيها الفضة ولها فيها ايضاً المقام الثاني (بعد المكسيك)

﴿ الصناعات المحوّلة ﴾ أي التي تحول المواد الاولية الى مستحضرات ومصنوعات مختلفة . وهي على ثلاثة انواع :

١ — الصنائع المعدنية . وللولايات المتحدة في هذا المضمار قصب السبق ولاسيما

الادوات والاشياء المصنوعة من الحديد والفولاذ . ولا يخفى ان من مميزات المدنية الاميركية الاكثار من استعمال الآلات والادوات في جميع دوائر الحياة

٢ — الصنائع الغذائية ولا سيما المستحضرات من لحوم وأسماك وخضار فانها تصنع بكميات عظيمة

٣ — الصنائع النسجية . وهي في هذا المضمار لا تمتاز امتيازها في الامور الاخرى. ففي الانسجة القطنية والصوفية تأتي بعد انكلترا وفي الانسجة الحريرية بعد فرنسا

على انه وان كانت قيمة الحاصلات الزراعية تفوق قيمة الحاصلات الصناعية الا ان احتياجات الولايات المتحدة من حيث المصنوعات أقل من احتياجاتها من حيث المزروعات والمواد الاولية . فان المصنوعات الوحيدة التي تستجلبها من الخارج هي أدوات الزينة والزخرفة

رابعاً — التجارة

قلنا ان التجارة الداخلية في اميركا عظيمة الشأن . على ان تجارتها الخارجية تزداد شأناً في كل سنة . وتقدر حركة التجارة الخارجية (قبيل الحرب) بنحو ٧٠٠ مليون جنيه اي اقل من تجارة كل من انكلترا والمانيا

وقد نشأ عن توسع التجارة الاميركية انها انشأت اسطولا تجارياً ضخماً في الاربعين السنة الماضية . وهو اعظم اسطول تجاري بعد الاسطول الانكليزي ويساوي ثلاثة اضعاف الاسطول الالماني وخمسة اضعاف الاسطول الفرنسي

ومعظم التجارة الاميركية مع انكلترا (نحو الربع) والمانيا وفرنسا، وكندا ودول اميركا المتوسطة واميركا الجنوبية، وجزر استراليا والصين واليابان

الحالة السياسية

الولايات المتحدة أعظم دول العالم الجديد وهي تعد نفسها شبه وصية على تلك الدول. وقد سبق ان ذكرنا في الهلال مذهب منرو ومؤداه « أميركا للاميركيين » أي انه لاهل اميركا وحدهم تسوية شؤونهم ومشاكلهم وليس للدول الاوربية حق التعرض للمسائل الاميركية . وقد عملت الولايات المتحدة بهذا المذهب في عدة حوادث ولا سيما في الخلاف الفرنسي المكسيكي (١٨٦٧) وفي الخلاف بين أسبانيا وكوبا (١٨٩٨) . وبمساعيها عقدت الدول الاميركية في الشمال والجنوب مؤتمرات مختلفة لتوثيق الروابط بينها

ثم ان سياسة أميركا ما برحت تقيم حاجزاً منيعاً من الرسوم الجمركية لتنمي صناعاتها الوطنية وتستغني عن الخارج ولا يخفى ان الرئيس ولسن قد خفف من وطأة تلك الرسوم في مدة رئاسته الاولى :

وللولايات المتحدة مستعمرات اهمها

(١) ألاسكا في الشمال الغربي من القارة الاميركية وقد كانت ملكا لروسيا فاشترتها منها الولايات المتحدة وهي بلاد صيد وفيها مناجم للذهب

(٢) بورتوريكو وهي احدى جزر الانتيل واصلها لاسبانيا ومن حاصلاتها القهوة والتبغ وقصب السكر

(٣) جزر هاواي في المحيط الباسيفيكي ومعظم سكانها الاصليين من الصفر (اليابانيين) وأهم حاصلاتها السكر والقهوة والرز والموز

(٤) جزر الفيلبين وهي تؤلف ارخبيلا واسعا وهي أعظم شأناً من المستعمرات الاخرى وسكانها نحو ٨ ملايين وفيها حاصلات مختلفة من ارز وتبغ وقطن وغير ذلك

تذكار الزواج

معلوم أن السنة الخامسة والعشرين لزواج رجل وامرأة هي عيدهما الفضي وان السنة الخمسين هي العيد الذهبي . على انهم قد اصطلحوا على الرمز الى معظم السنين التالية للزواج ببعض الاسماء واليك قائمة بذلك :

السنة الاولى : قطن
« الثانية : ورق
« الثالثة : جلد
« الرابعة : ثمر وزهر
« الخامسة : خشب
« السادسة : سكر
« السابعة : صوف
« الثامنة : مطاط
« التاسعة : صفصاف
« العاشرة : تنك

السنة الحادية عشرة : فولاذ
« الثانية عشرة : حرير
« الرابعة عشرة : عاج
« الخامسة عشرة : بلور
« العشرين : صيني
« الخامسة والعشرين : فضة
« الثلاثين : لؤلؤ
« الاربعين : ياقوت
« الخمسين : ذهب
« الخامسة والسبعين : الماس

انحلال الجماعات وموتها

بحث اجتماعي

علم الاجتماع من أحدث العلوم ان لم يكن أحدثها — ولسنا نعني بذلك ان الكتاب الاقدمين لم يحفلوا بالمسائل الاجتماعية أو أنهم لم يعنوا بدرس احوال الجماعات وتطور الامم فقد كان لكثيرين منهم نظرات صادقة في فلسفة الاجتماع ومجرى التاريخ وآراء مصيبة في نشوء الدول وسقوطها . ولكن ذلك كان مبعثراً في كتب مختلفة ولم ينشأ للاجتماع علم يستحق هذا الاسم الا في القرن الماضي

على ان أقرب العلوم القديمة الى علم الاجتماع « فلسفة التاريخ » بل ان علم الاجتماع هو في الحقيقة وارثه وخليفته . وقلما نجد اليوم كتاباً يصدر في فلسفة التاريخ في حين أن الكتب الاجتماعية تزداد عدداً كل يوم

ولكن هذا العلم مع تقدمه السريع لا يزال في طفولته لصعوبة استخراج القوانين العامة من الظواهر الاجتماعية . اذ ان تلك الظواهر شديدة التعقد وعواملها كثيرة التشعب والتفاعل . ولكنه قد جمع من المواد وكشف من القواعد ما يجعله حرياً بالدرس والاعتبار

وفي مقدمة المواضيع التي يعنى بها علم الاجتماع درس الاسباب المؤدية الى انحلال الشعوب والجماعات وأحوال تقهقرها وموتها . فهل هذا التقهقر محتم ؟ وما أسبابه ؟ وما نتائجه ؟ وهل يمكن تأجيله أو معالجته ؟ وما الفرق بين موت الافراد وموت الجماعات ؟ تلك بعض الاسئلة التي سنبحث عن جوابها في هذه المقالة

***

ان انحلال الجماعات وموتها أمرٌ طبيعي كانحلال الافراد وموتهم . فلا داعي اذاً للندب والحزن ازاء مجاري الاجتماع — فانها صارمة كمجاري الطبيعة . على ان الكتاب والمؤرخين ما برحوا يعتبرون موت الشعوب كأنه حادث طارئ يمكن ملافاته وينسبونه في الغالب الى حالة العادات والاخلاق أو غير ذلك من العوامل . أولئك يحسبون أن الشعوب جعلت لتعيش أبداً ويرون في موتها أمراً مخالفاً للطبيعة . والحقيقة ان انقراض الجماعات لا يستدعي الدهشة ابداً فانما الجماعات كالافراد احياء

تمر في أدوار معلومة أثناء نموها حتى تنتهي الى أجلها المحتم

ولا بد لنا هنا من الاستفسار عن المقصود من قولنا انحلال الجماعات . فماذا نعني بهذا التعبير ؟

نعني به ان الروابط التي كانت تربط أفراد الجماعة قد تفككت بفعل بعض العوامل الداخلية أو الخارجية — كما تنحل المواد المركبة فتتفرق عناصرها أو تدخل في اتحادات جديدة .

فقد تنحل الجماعة وتموت باعتبارها جماعة ويبقى أفرادها بل قد يبقى معظمهم . ولا بد لهم اذ ذاك من ان يتكيفوا وفقاً لمقتضيات الحال بعد انحلال جامعتهم . أما الذين ليس فيهم المرونة الكافية لذلك التكيف فانهم يتلاشون بتلاشي الجامعة التي كانت تحفظهم

ولا بد من التمييز دائماً بين انحطاط الجماعة كجماعة وانحطاط أفرادها . فانحطاط الجماعة لا يحتم انحطاط الافراد بل قد ينبغ فيها بعض الافراد ويمتازون بصفات باهرة

وعلى كل حال فعلى انقاض الجماعات المنحلة تقوم دائماً جماعات جديدة فتمر بالادوار التي مرّت فيها سالفاتها . على ان نتاج القرائح في الصنائع والفنون والادب لا يفنى بفناء الشعب الذي انتجه بل يبقى في عقول الافراد الذين عرفوا ان يتكيفوا وفقاً لحالتهم الجديدة فينتقل بواسطتهم الى الجماعة المتكونة على آثار الجماعة المنقرضة

ولنتساءل الآن عن الاسباب التي تؤدي الى تفكك الجامعات وانحلال الجماعات . فقد ذكر الكتاب الاجتماعيون اسباباً وعوامل مختلفة هاك أهمها :

(١) العوامل الجنسية والقومية Ethnologique
(٢) « الحيوية والفسيولوجية Biologique
(٣) « الاقتصادية Economique
(٤) « النفسية Psychologique
(٥) « الاجتماعية Social

فلندرس تلك العوامل بالتتابع

١ — العوامل الجنسية والقومية

أصحاب هذا الرأي يقولون أن انحلال الجماعات ينشأ عن فقد نقاوتها الجنسية وضياع ميزاتها القومية . فالامم تنحط بالاختلاط والتمازج اذ تفقد بهما صفاتها الرئيسية

التي قام عليها تمدينها . ومن القائلين بهذا المذهب نيتشه الفيلسوف الالماني الشهير فقد قال :

« يظهر أنه يستولي على الجماعات من حين الى آخر شعور انقباض وانخفاض . . وينشأ هذا الشعور عن أسباب مختلفة : فقد ينتج عن اختلاط اجناس متباينة أو عن اختلاط طبقات متباينة في الجماعة الواحدة (١) . . . أو قد ينشأ عن مهاجرة قوم الى أقليم لم يلائمهم اولم يستطيعوا أن يتكيفوا وفقاً له . او عن فساد في الدم مسبب عن انتشار بعض الامراض كالملاريا والزهري وغيرهما . . . »

وجملة القول أن هذا الرأي يرجع انحطاط الامم وتقهقرها الى الجنس وميزاته . على أنه من الصعب تعيين الميزات الجنسية الرئيسية من سواها . بل ان بعض الكتاب الاجتماعيين يرون انه ليس ثمت اجناس ثابتة الصفات فالاجناس في تطور دائم مستمر

ثم ان المسيو تارد Tarde الكاتب الاجتماعي الشهير قد بين أن تمازج الاجناس ينمي قوة الاختراع والابتكار قال : « ما برحت الشعوب الاوربية في بضعة القرون الاخيرة تزداد اختلاطاً وامتزاجاً ولا ريب في انه بذلك قد زادت قوة الاختراع والابتكار فيها . وكلما تقدمت الامم ضعف شأن العامل الجنسي . فاننا اذا رجعنا الى الماضي وجدنا أن كل أمة كانت تشيد حضارة منسوبة اليها ومصبوغة بصبغتها الجنسية ولكننا اذا نظرنا الى المستقبل خيل لنا عكس ذلك كأن المدنية هي التي أخذت تكيف الشعوب وتدغمها بعضها ببعض لتحدث شعوباً جديدة مرنة قادرة على التكيف وفقاً لتطور الاحوال المادية والادبية »

٢ – العوامل الحيوية والفسيولوجية

والمقصود بها الاسباب الناشئة عن عمل السنن الحيوية أي السنن التي تنطبق على الكائنات الحية وفي مقدمتها سنة الوراثة . وقد علل احدهم انحطاط الامم بما قد سماه « الطفيلية او الحلمية الاجتماعية » Parasitisme Social (٢) وهي تنشأ عن توارث

---

(١) لا يخفى ان نيتشه كان من الناقمين على انتشار الروح الديمقراطية في اوربا وتقلص ظل الطبقات العالية وهو يرى أن تباين الطبقات يرجع الى اختلاف في المولد والجنس . ومن اقواله « ان السويداء التي استولت على أوربا في القرن التاسع عشر والتشاؤم الذي عم اهلها هما في الاصل نتيجة تمازج الطبقات المتباينة وتخالطها . وقد تم هذا التمازج فجأة وبسرعة غريبة »

(٢) هذا الاسم مأخوذ عن الطفيلية في النبات والحيوان ولا يخفى أن هناك انواعاً قد بلغ بها الضعف والانحطاط مبلغاً جعلها لا تستطيع أن تعيش الا عالة على غيرها

الفقر والشقاء في الطبقات المنحطة وتراكم العاهات والعورات فيها من جيل الى جيل . على ان هذا السبب هو نفسه ناشئ عن الحالة الاقتصادية وتوزيع الثروة بين الناس . فهو اقتصادي وحيوي في آن واحد . فكل جيل يرث عن سلفه صفاته المنحطة ويزيد عليها الصفات التي اكتسبها هو في اثناء حياته وهكذا يزداد الشقاء والانحطاط بروزاً مع توالي الاجيال

هذا من جهة الطبقات السفلى . على ان الانحطاط يتراكم أيضاً في جهة اهل الثروة والرفاهية بازدياد ترفهم وانغماسهم في الشهوات والملذات

٣ — العوامل الاقتصادية

ان الاسباب الاقتصادية المؤدية الى انحطاط الجماعات عديدة مختلفة نذكر منها الاسراف في الثروة والاوهام الاقتصادية التي تؤثر في الحياة الاجتماعية باسرها . فقد ينشأ نتائج خطيرة الشأن عن اعتقاد المشترعين مثلاً بالتجارة الحرة (أي بلا رسوم جمركية) في بلاد لا تزال في طفولتها من حيث التقدم الصناعي والمادي، أوعن زيادة الضرائب زيادة شديدة لا يطيقها الاهلون، أوعن نظام الصناعات وحصرها في طبقات مخصوصة تتوارثها (كما كانت الحال في القرون الوسطى في اوربا) أو غير ذلك من الاسباب الاقتصادية

٤ — العوامل النفسية

ان الروابط المعنوية التي تربط كل انسان ببيئته ومحيطه كثيرة متنوعة فانه مقيد من كل جهة بقيود غير محسوسة — قيود الاسرة والآداب والعادات والحكومة الخ ... وبعبارة أخرى ان صور التعاون والترابط في الاجتماع كثيرة متعددة . فاذا ضعفت تلك الروابط والقيود المعنوية لاسباب طرأت اما من الداخل أو الخارج فلا مناص من تطرق الانحلال الى الجماعة وتفكك عراها

على ان قوة التعاون لا تحتم ضياع شخصيات الافراد واستقلالهم بل ان قوى الابتكار والابتداع والاستنباط هي أيضاً في مقدمة العوامل الضرورية لحياة الامم . واذا بقي شعب على قديمه بات من الجمود في حالة هي نذيرة الانحطاط والموت . فضعف الاستقلال الشخصي والابتكار الفردي من أشد الاخطار على حياة الامم

ولا بد للامة لكي تحيا من شعور الثقة بنفسها وبقوتها والاعتقاد بتقاليدها وعاداتها وأخلاقها — ولو كانت كاذبة . فاذا ضعف هذا الاعتقاد وذلك الشعور — اما لسقوط

العقائد التي كانت تؤمن بها او تطرفها في استخدام التقاليد والعقائد الكاذبة (بحيث يصبح البون شاسعاً بين اعتقادات الناس وأعمالهم) — فان الوجدان الاجتماعي — تلك الرابطة المعنوية التي تربط الافراد فيما بينهم — يبدأ بالانحلال ، ويصبح الافراد في حالة اضطراب نفسي ناشئ عن تنافر اعتقاداتهم الشخصية وأعمالهم التي يضطرون اليها لوجودهم في المجتمع

٥ — العوامل الاجتماعية

ذكر سيمل Simmel الكاتب الاجتماعي الالماني عاملاً من هذا القبيل قال : في كثير من الاحيان تنمو طبقة من الطبقات الاجتماعية نمواً سريعاً وتتسلط على سواها وتعد نفسها صاحبة الشأن دون غيرها في حين أنها ليست سوى عضو من جسم كثير الاعضاء . كتوسع نظام الموظفين في بعض الامم توسعاً جعلهم يظنون أنهم محور الحياة الاجتماعية وغايتها وماهم الا وسيلة لتلك الغاية . أو كسيطرة رجال الدين في بعض العصور . أو كسيطرة الجند في عصور أخرى . وقس على ذلك

وذكر كاتب آخر في هذا الباب تأثير الفتح والاستعمار . فانه ينشأ عن سيطرة شعب على شعب آخر تنافر في العقائد والعادات وسائر مظاهر المدنية . فاذا ألجئ المكسور الى اقتباس حضارة المنصور فلامناص من الاضطراب المعنوي الشديد في معيشته وأحواله . فان المدنية تنشأ بالتدريج في الامة الواحدة وهي خلاصة أعمال أفرادها وآرائهم ومشاعرهم . فاذا تحولت عن مجراها الطبيعي تطرق اليها الاختلال حتماً

***

يجدر بنا الآن ان نذكر بعض القوانين العامة للتقهقر الاجتماعي . ولا بد لنا قبل ذلك من تحديد التقدم والتقهقر ولو تحديداً اجمالياً اذ أن تحديدهما من المسائل التي اختلف فيها الكتاب اختلافاً عظيماً

يقال بالاجمال انه ينطوي تحت التطور التقدمي فكرة السير الى الامام والنمو والتحسين والتخصيص والتوافق المستمر بين الوظائف والاعضاء . أما التطور التقهقري فيقال عنه اجمالاً انه يشمل فكرة الرجوع الى خلف والانحطاط والضعف والانحلال

فالقانون الاول في هذا الموضوع هو « أن التقهقر ملازم دائماً للتقدم » ومعنى

ذلك انه لا بد من ملاشاة النظامات الموجودة لتقوم مقامها نظامات جديدة . فكل تغير او اصلاح جديد يستدعي تقهقراً موضعياً

والقانون الثاني يجوز تسميته « قانون بقاء الاثر » ومؤداه انه كما ان التقدم يستلزم تقهقراً موضعياً في الاعضاء أو العادات المراد ابدالها أو الاستغناء عنها كذلك لا بد من بقاء أثر لتلك الاعضاء او العادات مدة قبل اندثارها . وهذا سبب كوننا نجد في العصر الواحد متناقضات كثيرة

***

تلك اهم العوامل التي اوردها الكتاب المختلفون ولم نرَ بداً من الايجاز في ذكرها للالمام بالموضوع في مقال واحد ولا سيما ان هذه المباحث قلما تُطرق في اللغة العربية . وفي نظرنا أن العوامل النفسية والاجتماعية اعظم شأناً من غيرها . فان الروابط الاجتماعية غير المحسوسة هي في الحقيقة حافظة الجماعات وبها حياتها

كلمات في السعادة

انما السعيد من ظن نفسه سعيداً

خير ان تكون سعيداً من ان تكون حكيماً

الفرق بين السعادة والحكمة هو ان من ظن نفسه أسعد الناس فهو أسعدهم في الحقيقة ولكن من ظن نفسه أحكم الناس فما هو الا أشدهم جنوناً

كثيرون من الناس يفتشون عن سعادتهم كما يفتشون عن نظاراتهم — وهي على أنوفهم

القلب الفرح يقتل من الميكروبات اكثر من أشد المطهرات واقواها

السعادة كالفراشة تهرب منك اذا لاحقتها وقد تأتي وتجلس بقربك اذا لم تعبأ بها

ابحث عن السعادة لاجل السعادة لا تجدها ولكن ابحث عن الواجب وقم به تأتي السعادة اليك من تلقاء ذاتها

ينبغي ألا نترك كل أمل بالسعادة الى العالم الآخر وانما ينبغي ان نبحث عن الجنة في هذا العالم قبل العالم الآتي

الدكتور شميل والشبيبة

خطبة ألقاها محرر هذه المجلة في حفلة تأبين الدكتور شبلي شميل

(وصف الحفلة في باب تاريخ الشهر)

سيداتي وسادتي

في هذا النادي الرحب، وعلى هذا المنبر الخطير، وبين مثل هذا الجمع الموقر، وقفت منذ شهور — وقفت ارثي من كان لي اباً ومرشداً ورفيقاً . واليوم جئت ارثي من كان صديقاً للوالد واستاذاً للولد . فاحني الرأس اجلالاً واحتراماً لفقيد الامس ولفقيد اليوم، واستمطر الرحمة على ذينك القبرين الغنيين بما يحويان

ما كنت لاجرأ على الوقوف هذا الموقف لولا دين للفقيد عليَّ وصلة لي به . أما الدين فهو دين الوفاء للمعلم من التلميذ والهادي من المستهدي . واما الصلة فهي صلة الشباب بين شاب في السن والفكر وشاب في الروح والمبادئ

اجل، لقد كان الفقيد شاباً طول حياته، كان شاباً من قمة رأسه وان كللها البياض الى اخمص قدميه وان اتعبهما النشاط . فكيفما تخيلته لا استطيع الآن ان اتمثله شاباً جريئاً مقداماً لا يخشى في الحق لومة لائم ولا تحول في سبيله اشد العقبات والحوائل — واي العقبات اشد واي الحوائل اعظم من تلك التي اقامتها في الشرق تقاليد بالية وعادات كاذبة واوهام قاتلة

من ذا الذي يقرأ نفثات الشميل ثم لا يقول انها نفثات شاب . أليس حقيقاً ان يعد شاباً من قال :

« ان الحركة مهما تكن خير من السكون »

من قال : « انا ابن الانسانية المكبلة في الشرق بقيود ضخمة قديمة اريد ان احطمها بنفسي لتتخلص وتسير في طريق المدنية ولو اصابني وحدي كل اذاها »

أليس شاباً من قال : « مَن منا — نحن الشرقيين — اولى بهزة تصل الى اعماقنا . وقد تقادم علينا السبات حتى بتنا في مرتبة في صف الاحياء ليست بالميتة

فتدفن جثة هامدة ولا هي بالحية فتبعث بشراً سوياً »

أليس بجدير ان يحسب شاباً من كان مبدأه ولسان حاله طول حياته : « يا قوم أقلعوا عن التفكير بعقول الموتى حتى لا يقال عنكم انكم تعيشون في هذا العصر — عصر المدنية والنور — ولكن بعقل وعادات واخلاق هي اجدر بأهل القرون الخالية »

* * *

ما هي الشبيبة وما مميزاتها ؟ اذا طولبت ان احدد الشبيبة قلت أنها تجمع بين عاملين متناقضين — متناقضين ولكن في الظاهر فقط : فهي عهد الحياة وهي ايضاً عهد الاحلام

اما الحياة فانها تتجلى في الشبيبة بأكمل معانيها . وانما تتألف الحياة من شعور وفكر وعمل : فالشعور للتمتع بالجمال ، والفكر للوصول الى الحقيقة ، والعمل للسعي فيما فيه الفائدة والفضيلة

تلك الحياة المؤلفة من شعور وفكر وعمل كانت تتدفق من فقيدنا رحمه الله ، كانت تتدفق من كل خلية من خليات جسمه ، كانت تتجلى في كل حركاته واعماله

ولكنه لم يكتف ان يحيا لنفسه فأراد ان يبث الحياة في وطنه و بلاده ، اراد ان ينهض بالشرق من سباته العميق ، اراد ان ينفخ فيه روحاً فتية نشيطة . وقد كان الشرق في حكم الموجود لا في حكم الحي — وليس كل موجود حياً

واما الاحلام فالشبيبة مرتعها — وليس مرادي تلك الاحلام المظلمة التي تمحو اثرها اشعة الشمس ، ولكني اريد الاحلام الوضاءة الجذابة . لست اعني احلام الليل واضغاثه المزعجة بل احلام النور والعمل ، احلام النفس الحية المستيقظة

تلك كانت احلام فقيدنا طاب ثراه . فقد كان من الذين لم يقنعوا بالحالة الراهنة فتطلبوا الكمال في المجتمع الانساني ، كان من المصلحين اصحاب الاحلام الذهبية ، كان من الذين لم يضلهم ما هو واقع عما يجب ان يقع ويكون

فمن اجدر من الشبيبة ان تبكي على زعيمها ومن احق من الشبان بتخليد ذكره

ونشر روحه — تلك الروح القائمة على دعامتين : دعامة العلم ودعامة الديمقراطية . وما هما الآ قوام المدنية الحديثة

***

الكتّاب في كل عصر فريقان : فريق محافظ وفريق حر . فريق يرجع الى القديم وفريق يبحث عن الجديد . فالاول تابع والثاني مبتدع . هذا يقتدي بمن تقدمه وذاك يقتدي به من يخلفه . وبعبارة اخرى ان في الادب روحين يجوز ان نسميهما الروح الهرمة والروح الفتية

ان ممثلي الروح الهرمة في الشرق كثيرون . ولكن ما اقل ممثلي الروح الفتية ! ما اقل نظراء الشميل ! لو كان بيننا من المصلحين طائفة في جرأته ، في ثباته ، في اقدامه ، لكانت حالتنا المعنوية غير ما هي — وكفى بذلك وصفاً

قال احدهم « العالم يقوم بعاملين : القديم والجديد » اشارة الى ان كليهما ضروري للاجتماع . على انه وان كان القديم ضرورياً لانه الاساس الذي يبنى عليه فالجديد اسمى لانه البناء الذي يشيد على ذلك الاساس ، هو الروح المتحركة التي تستخرج من الكون معاني جديدة وتسير في سبل غير مطروقة ، هو العامل الحيوي الذي يدفع البشرية الى الامام ، هو علة كل تقدم ورقي

بالقديم نحفظ الماضي وبالجديد نشيد المستقبل — ولو بقي شعب على قديمه لبات من الجمود في حالة هي نذير التقهقر والانحطاط والموت

لست انكر ان الروح الشابة المدفوعة ابداً للبحث عن ضالتها قد تضل السبيل وهي تتلمس طريقها في مجاهل الكون وظلماته . فليس الكمال من الصفات البشرية . ولكن كفى المرء شرفاً ان يحكم عقله باخلاص وان يعمل ما يراه في نفسه حقاً . ولرجل اختلق بدعة عن اخلاص في البحث خير وافضل من رجل لم يبقه في عقيدته غير التعصب والتقليد والجهل

ولكن الجمهور ما برح عدو الابتكار والاصلاح . فالفيلسوف في نظر العامة مخلوق خطر رهيب . ومن صفات العقول المنحطة ان تنفر من كل ما يعلو على

ادراكها أو يخالف معتداها او يصدم مصلحتها . ولا شك في ان اشد الناس صمماً من لا يريد ان يسمع

لقد تكفينا نظرة الى التاريخ لنرى ان قادة الفكر البشري ومصلحي الهيئة الاجتماعية انما كانوا من المخالفين لاراء البيئة التي وجدوا فيها ، المقاومين للعادات والاخلاق الشائعة في عصرهم . فبالتجرد عن التأثيرات — التأثيرات الموروثة والمكتسبة — تنمو العبقرية : عبقرية الفلاسفة ، عبقرية المصلحين ، عبقرية الشعراء ، عبقرية المخترعين . فانما تجمعهم جميعاً جامعة الاستنباط والابتداع . وما تاريخ المدنية سوى تاريخ الآراء والاعمال المأثورة عن هؤلاء الملأ الاكرمين

***

من كان كالشميل يجب ان نكرمه بغير ما نكرم به عامة الناس — يجب ان نكرمه بغير الندب والحزن . من شاء ان يكرم الشميل فليقتبس من روحه وليقتد بشجاعته ونشاطه واقدامه . من شاء ان يكرمه فليطلب نصيبه من الارث المعنوي الذي خلفه للعالم العربي . هكذا يكرم الرجال العظام بالاخذ عنهم لا بالبكاء والعويل

وانت ايها الراحل الكريم ثق بان الاثر الذي تركته في النفوس اثبت من ان تمحوه السنون ، وان الحبة التي بذرتها في الشرق سوف تنمو وتملأ الحقول . ولئن جهل فضلك نفر فلسوف يعرفه أولادهم وأولاد أولادهم ولله در شاعرنا القائل :

لئن عاقهم عن شكرك اليوم عائق   وتدريه فالاعقاب للفضل تشكر

قصيدة حافظ بك ابراهيم

في رثاء الشميل

سكن الفيلسوف بعد اضطرابِ   انّ ذاك السكون فصل الخطابِ

لقي الله ربهُ فاتركوا المر   ءَ لديانه فسيح الرحاب

حزن العلم يوم مت ولكن   أمن الدين صيحة المرتاب

كنت تبغي برد اليقين على الا   رض وتسعى وراء لب اللباب

فاسترح ايها المجاهد واهدأ   قد بلغت المراد تحت التراب

الدولة العثمانية

في لبنان وسورية

حكم اربعة قرون (١٥١٧ — ١٩١٦)

٤

﴿ بنو علم الدين وبنو سيفا ﴾ لما قضي على الامير فخر الدين عميد آل معن الاكبر وانحط شأنهم في بلاد الشام خلا الجو لمزاحميهم وحسادهم من امراء البلاد وحكامها وامنوا على سلامتهم وسيادتهم فانتعشوا وطابت نفوسهم . وكان الامير علي علم الدين في مقدمة هؤلاء المزاحمين فوطد سلطته في البلاد وجار على انصار المعنيين ولا سيما على المشايخ الخوازنة حتى اضطر كبراؤهم أن يفروا من وجهه الى توسكانا على نحو ما تقدم . واستعاد قاسم باشا سيفا ولاية طرابلس (١٦٣٤) لكنه لم يلبث ان استوى على منصة الحكم حتى صدر له الامر باللحاق بجيش الدولة في العجم فتظاهر بالجنون واعتزل الولاية وتقلد الحكم مكانه ابن اخته الامير علي بن محمد سيفا فنازعه الولاية خاله الثاني الامير عساف وقهره. ثم عاد الامير علي فقاتل خصمه هذا واستولى بمعاونة حسن آغا مدبر خاله الامير قاسم والامير علي علم الدين على بلاد جبيل وجبة المنيطرة . وهب الحمادية لانجاد الامير عساف فاجتاح جبة المنيطرة واضرم النار فيها وفتك بجماعة من بني المستراح . وانحاز المقدم زين الدين الصواف الى جانب الامير علي سيفا فاشتد ساعده وسطا على زاوية طرابلس وهناك ظفر بعدوه وامعن في رجاله قتلاً وجرحاً وضم الى طرابلس ولايتي جبيل والبترون . واوغل في الجور والبغي فانتزع الباب العالي الولاية منه (١٦٣٥) وعهد بها الى مصطفى باشا النيشانجي فسالمه هذا وتخلى له عن ولايتي جبيل والبترون وألحق بهما الضنية وولى جماعة من ذويه على عكار وحصن الاكراد وصافيتا ارضاء له . وعهد بولاية جبة بشري الى الشيخ ابي كرم يعقوب الحدثي والشيخ ابي جبرائيل يوسف الاهدني . ثم سار مصطفى باشا لمحاربة شاه العجم بعد ان عهد بمحافظة طرابلس الى الامير عساف سيفا . فشق ذلك على الامير علي وسطا على اميون ومعه المقدم محمد ابن علي الصوّاف فقهرهما الامير عساف في أرض عرقا واستولى على جبيل واستتم

نقمته من ابن أخته وحليفه الامير علي علم الدين في وقعة عناز ببلاد الحصن

﴿ نكبة اليمنية ﴾ لم يطل بين الامير علي علم الدين ووزير دمشق عهد الوفاق فتمرّد عميد اليمنية عليه (١٦٣٦) لكنه عجز عن مقاومة جيشه وجيوش الامراء والحكام الذين شدوا ازره كالاميرين عساف سيفا ومراد اللمعي وحاكمي صفد وبيروت . وانهزم بمعشر اليمنيـة الى كسروان فكسره القيسية في مرحاتا والمريج وطاردوه الى النهر البارد واعملوا السيف في رقاب اليمنية على رغم انضمام الامير علي سيفا برجاله اليهم ثم استتموا نقمتهم منهم في جون عكار حيث سبوا نساءهم وغنموا ما كانوا يحملونه من متاع ومال . ورأى ابن علم الدين ان يصلح بين صديقه الامير علي سيفا وخاله الامير عساف فيجتمعان على الاخذ بناصره فخاب مسعاه ولم يحل اتفاقهما دون اجتياح الامير ملحم المعني لبلاد الشوف على اثر نكبة اليمنية هـذه وانتزاعه الولاية من ابن علم الدين

﴿ نكبة بني سيفا الثالثة وعود الولاية الى آل علم الدين ﴾ وتلا ذلك جنوح البيشانجي والي طرابلس الى العصيان وفشله على اثر خذل آل سيفا له ونكثهم عهده ومحاولة استرجاع الحرافشة ولاية بعلبك واخفاقهم وايقاع وزير دمشق برجالهم واقتتال الحمادية وأمراء رأس نحاش وعود الاميرين علي وعساف سيفا الى تنازع الحكم والسيادة وانحياز الامير ملحم المعني الى جانب الامير عساف واستظهارهما على الامير علي وصديقه ابن علم الدين (١٦٣٧) . ثم أسندت ولاية طرابلس الى شاهين باشا وهاله ما منيت البلاد به من البلايا على أيدي بني سيفا فاراد ان يريحها من شرهم ويأمن على سلطته من غدرهم فشنق الامير عسافاً وأوقع بكبار عشيرته على ايدي امراء رأس نحاش وبني حماده . ولم ينج منهم الا الامير علي فاستجار بصديقه ابن علم الدين . وكان عميد اليمنية هذا استعاد ولاية الشوف والقى الرعب في قلوب القيسية وانصارهم ولاسيما الخوازنة والحبيشية . غير ان تغلب الامير ملحم المعني عليه اثر انهزامه من وجه السلطان مراد الى بلاد بشاره (١٦٣٨) وانتزاعه الولاية منه هدأ روعهم واسكن ثائر خوفهم فترة قصيرة انقضت باسترجاع عميد اليمنية زمام الحكم وطرده القيسية من الشوف واسترجاعه ولاية بيروت . وفي السنة التالية تولى طرابلس محمد باشا الارناؤوطي فعصاه بنو سيفا والشيخ ابو كرم الحدثي فانتقم منهم شر انتقام

أما السلطان ابراهيم الذي خلف اخاه مراد الرابع (١٦٤٠ — ١٦٤٨) فقد

جنح لدى تبوئه العرش الى مسالمة الدول فخاب فأله وقضى عليه سوء الطالع بان يفني سني ملكه في حروب دموية هائلة ختمت بفتنة أهليـة ذهبت بتاجه واودت بحياته ونودي بابنه السلطان محمد الرابع خلفاً له (١)

﴿ نكبة بني سيفا الرابعة وظلم ولاة طرابلس ﴾ وفي عهد هذا السلطان ظلت الامور في الديار الشامية جارية في مجراها المعتاد . في اول سنة من خلافته اجتاح عسكر الارناؤوطي والي طرابلس جبة بشري لالقاء القبض على حاكمها الشيخ ابي كرم وأمعن فيها قتلاً وسلباً حتى اضطر هذا الى افتداء بلاده بنفسه فسلم له وعرض الوالي عليه الاسلام فابى واماته شر ميتة . ثم دهم الامير سلمان عميد آل سيفا في عكار . ورابه أمر الحمادية فاجتاح بلادهم والحقها بولاية الامير علي علم الدين فلم يخلص له الامير وانتقض عليه لانتزاعه ولايتي بيروت وصيداء منه . وخلفه حسن باشا (١٦٤٤) فاقتفى أثره في البغي والجور حتى اضطر كثيرون الى هجر اوطانهم. ثم استعاد الارناؤوطي الولاية (١٦٤٦) وأوغل في الظلم فازداد البلاء شدة واحكاماً واشتد تيار المهاجرة. فاستبدله السلطان بمحمد باشا الصوفي. وبعد فترة قصيرة أعاده اليها (١٦٤٧) فعاد الى شر مما كان عليه من التضييق على الرعية وسد منافذ الهناء في وجهها

وهكذا كان عهد السلطان ابراهيم حافلاً بالمكاره والارزاء كعهد سلفه . وخلفه ابنه السلطان محمد الرابع (١٦٤٨ - ١٦٨٧) فطال حكمه غير انه كان سيّئ الطالع نظيره . جلس على سرير السلطنة وهو حديث السن والدولة في حربٍ مع البنادقة . فافضت السلطة فيها الى زمرة من اصحاب المطامع والاهواء افسدت على الدولة أمورها حتى تناولت أنحاءها فوضى عظيمة كانت عوناً للبنادقة على الظفر بها وحشرها في مأزق شديد الخطر عليها لم تجد لها مخرجاً منه الا لتدخل مأزقاً أشد منه خطراً على كيانها . فكانت حرب البنادقة مقدمة لحروب أخرى أعظم شاناً واكثر هولاً

(١) حارب السلطان ابراهيم القوزاق . ثم شهر الحرب على البنادقة سنة ١٦٤٥ لاسرهم شقيقه وعمته في طريقهما الى الحج (وفي رواية ان شقيقه هـذا عاش في اوربا ومات راهباً) وانتزع منهم جزيرة كريت ما عدا عاصمتها كنديا . فشنوا الغارة على بلاد اليونان واضرموا النار في معظم مدنها . فهاج ذلك سخطه وامر باهلاك النصارى في سلطنته فحال مفتي الاستانة دون تنفيذ الامر . وامعن البنادقة في فتوحاتهم وحصر اسطولهم مضيق الدردنيل وتحفزت روسيا للاستيلاء على رومانيا واضرم الانكشارية نار الثورة في الاستانة فحاول السلطان اغتيال زعمائهم فاحبطوا مسعاه وخلعوه سنة ١٦٤٨

خاضت الدولة العثمانية غمارها ضد النمسا وفرنسا وكريت وبولونيا وروسيا وقاست فيها من الشدائد والاهوال ما انهك قواها فخرجت منها مقطعة الاوصال ممزقة الاحشاء. ومما زاد الخطب تفاقماً ان الجيش انقض عليها وعصفت ريح الفتن في انحائها . ولولا مبادرة اقطابها وعلمائها الى خلع السلطان والمناداة باخيه السلطان سليمان الثاني لجل الخطب وذهب باستقلالها (١)

﴿ خاتمة حياة الامير ملحم المعني واخبار بني البشعلاني ﴾ وفي عهد السلطان محمد الرابع نال الديار السورية النصيب الاوفر من البلايا والارزاء التي توالت على السلطنة . ذلك انه لما افضى اليه تاج آل عثمان كانت البلاد رازحة تحت عبء المظالم والنكبات التي انزلها بها نواب الدولة وعمالها ولا سيما محمد باشا الارناؤوطي والي طرابلس إذ كان قد امعن في البغي والاعتساف الى اقصى حد مستطاع . وخلفه عمر باشا (١٦٤٩) فاسترضى آل البشعلاني . وآنس من الامير ملحم المعني جنوحاً الى عصيان بشير باشا وزير دمشق فتوسم في ذلك خيراً وتخلى له من ولاية البترون طمعاً في انحيازه الى جانبه . فكان ذلك باعثاً على اجتماع بشير باشا والامير علي علم الدين على مداهمة ابن معن في وادي التيم غير انه دحر جيشهما وكفى البلاد شرهما . ثم اعادا عليه الكرة فاستظهر عليهما بمعاونة صديقيه الاميرين قاسم وحسين الشهابيين وكال

(١) استفتح السلطان محمد الرابع ملكه بمحاربة البنادقة فاستظهروا عليه سنة ١٦٤٩ وحطموا اسطوله وحصروا الاستانة فاستحكمت حلقات الضيق فيها . وازدادت الازمة شدة لاستفحال امر الانكشارية فقمع الكوبرلي باشا الصدر الاعظم ثورتهم . ثم انبرى لمنازلة البنادقة فكسر الاسطول البندقي في الدردنيل سنة ١٦٥٦ وانتزع منهم ما كانوا احتلوه من الجزر والثغور العثمانية . وتلا ذلك خروج ترنسلفانيا والفلاخ عن طاعة السلطان سنة ١٦٥٨ . وحربه مع فرنسا والنمسا سنة ١٦٦٣ . واستيلاء فرنسا على تونس والجزائر . وثورة اهل كريت بتحريض هذه الدولة وظفر السلطان بهم بعد حروب طويلة افضت الى تخلي البنادقة له عن هذه الجزيرة سنة ١٦٧٠ . وعقده في السنة التالية مع لويس الرابع عشر معاهدة اعترف بمقتضاها لفرنسا بحق حماية الاماكن المقدسة في السلطنة العثمانية كما كانت الحال في عهد السلطان سليمان الاول . ثم حارب السلطان بولونيا وقهرها سنة ١٦٧٢ وطالت الحرب بينه وبين ملكها سوبيسكي البطل البولوني الشهير الى سنة ١٦٧٦ . ثم عادت الدولة الى محاربة النمسا سنة ١٦٨١ وكسرتها وحاصرت فينا سنة ١٦٨٣ فردها ملك بولونيا عنها ونكل بجيوشها . وابرمت على اثر ذلك بين النمسا وبولونيا وروسيا والبندقية الحلفة المقدسة الشهيرة التي اجتمعت هذه الدول عملاً باحكامها على محاربة الدولة فدوخت بلادها ومزقت جيوشها تمزيقاً سنة ١٦٨٥ حتى افضت الحال الى ثورة داخلية عظيمة قضت بخلع السلطان

لها ضربة أشد من الاولى وطارد ابن علم الدين الى أبواب دمشق . ولم تطل بعد ذلك أيام الامير ملحم فادركته منيته سنة ١٦٥٨ وهو في صيداء . فكان ذلك النصر الذي أحرزه على أعدائه خاتمة جميلة لحياته المجيدة التي كانت حافلة بالمكارم والمآثر الغراء . ففقد القيسية به اكبر عميد تولى أمرهم بعد عمه فخر الدين . وعدّ النصارى موته خسارة كبيرة عليهم لانه اقتفى اثر عمه في حبه لهم والاخذ بناصرهم . وهذا ما حمل زعماءهم على اخلاص الود له وتأييد ولديه الاميرين أحمد وقرقماس في ما توالى عليهما من الحوادث . وقد امتاز بعدله وحلمه وشدة غيرته على وطنه وعنايته بشؤون البلاد والعباد الى درجة ليس بعدها زيادة لمستزيد

وفي اثناء ذلك تقلد زمام الحكم في طرابلس حسن باشا (١٦٥١) . وفي عهده انحط شأن بني البشعلاني وانتزع مزاحموهم منهم ولاية جبة بشري . ثم استعادوا نفوذهم في السنة الثانية اذ استرجع الاوناؤوطي باشا ولاية طرابلس وعهد في تدبير شؤونها الى عميدهم أبي رزق كما كان أولا ولقبه بشيخ المشايخ وعزفت له الموسيقى السلطانية . فاستنكر المسلمون ذلك—وهو لا يدين بدينهم . واتهموه زوراً بانه تآمر مع الامير المعني على الوالي . فزجه الاوناؤوطي في السجن مع ذويه وانصاره . ثم تولى طرابلس قره حسن باشا فاطلق سبيله واكرهه على التظاهر بالاسلام لئلا يضطر الى قطع رأسه عملا بامر الباب العالي . ثم التزم اموال جبلة واللاذقية وأقام هناك فانصرفت اذهان حساده عنه ولا سيما بعد انلاذ أقاربه بحمى ابن معن . وخلف قره حسن محمد باشا الكوبرلي (١٦٥٤) فولى الحمادية على جبة بشري وأقرّ بقية الحكام على اقطاعاتهم . وعقبه علي أغا الطباخ (١٦٥٦) وفي عهده التزم الامير فارس ابن مراد اللمعي اموال الجبة ثم تولى بلاد عكار (١٦٥٨) . ثم خلفه قبلان باشا واراد معاقبة الحمادية لوفرة ما اقترفوه من الموبقات ففروا من وجهه واجتاح وادي علمات ودمر دورهم وقراهم

﴿ نكبة القيسية الكبرى ﴾ أما دمشق فتقلد زمام الحكم فيها بعد بشير باشا محمد باشا الكوبرلي (١٦٦٠) . ولم يكد يطأ أرض الشام حتى تحفز للانتقام من الشهابيين لتنكيلهم بجيش دمشق على عهد سلفه . فزحف بجيش عظيم على وادي التيم ومعه الولاة والحكام وفي جملتهم الامير علي علم الدين . ففر الشهابيون الى قهمز في كسروان . ودك الكوبرلي دورهم في حاصبيا وراشيا وولى على بلادهم الاميرين محمد ومنصور ابني الامير علي علم الدين . وابى الاميران احمد وقرقماس ابني الامير احمد

المعني انجاد الوزير وتأهبا لمقاومته فاضطر ان يقنع منهما بنفقة جيشه . واستقل غنيمة من هذه الغزوة فاستنزف أموال جماعة من الانصار الذين قاتلوا تحت رايته . وحاول الامير اسمعيل الكردي الافلات من الشرك الذي نصبه له فاخفق وأماته الوزير شرَّ ميتة . بمثل ذلك كان يكافئ نواب الدولة التركية انصارهم ومحازبيهم على بذلهم ارواحهم وأموالهم في تأييدهم ونصرهم على مزاحميهم واعدائهم . ثم استأنف هذا الطاغية مطاردة الشهابيين وانصارهم المعنيين والخوازنة والحمادية . ورأى هؤلاء ان لا قبل لهم بمقاومته بمن التف حولهم من القيسية فتفرقوا في البلاد وانقطعت اخبار زعمائهم. فجلا الوزير عن البلاد بعد ان قاست من وطأته الشدائد وعهد بولاية الشوف الى الشيخ سرحال العماد ونصب عمالا من اعوانه على بقية الاقطاعات وفرض عليهم خراجاً سنوياً . ثم ظهر الشهابيون والمعنيون في كسروان فعاد الوزير الى مطاردتهم وعاث جيشه فيها ونكب اهلها واضرم النار في دور زعماء القيسيين واتلف املاكهم . ولما اعيته الحيل في القضاء عليهم عمد الى الغدر جرياً على القاعدة المتبعة في الدولة . فاستقدم بحيلة تركية على يد والي صيداء الاميرين احمد وقرقماس المعنيين الى عين مزبود (١٦٦٢) وهو يمنيهما باحسن الامال . وادركا الخطر بعد فوات الفرصة وهمّا بالفرار فاطبق عليهما الجند واصابت ضربة مقتلا من الامير قرقماس فخر صريعاً . أما شقيقه فتمكن من الهرب بعد ان أصيب بجرح بالغ في عنقه وقتل معظم رجاله وتوارى عن الانظار وظل مختفياً زهاء سنتين متواليتين حتى عزل والي صيدا (١٦٦٤) فظهر من مخبأه وانتقم من اليمنية شر انتقام فقاتلهم سنتين متواليتين وانهك قواهم واستتم نقمته منهم في وقعة بيروت سنة ١٦٦٧ فانهزم عميدهم ابن علم الدين بجماعة منهم الى دمشق وأسترجع الامير المعني ولاية الشوف وألحق بها بلاد الغرب والمتن وكسروان واستعاد صديقاه الاميران منصور وعلي الشهابيان ولايتهما على وادي التيم . وتلا ذلك تنازع الحرافشة على ولاية بعلبك (١٦٧١) الى ان افضت الى أحدهم الامير علي ومحاولة الشهابيين الانتقام من بني حيمور أصحاب البقاع لاشتراكهم في الحرب التي أصلى الكوبرلي نارها عليهم في وادي التيم

﴿ استفحال امر الحمادية ونكبتهم الكبرى ﴾ وفي السنة التالية تولى طرابلس حسن باشا فاعاد الحمادية الى اقطاعاتهم فجاروا وبغوا فانتزع الحكم منهم وقاتلهم عند أفقا (١٦٧٥) . فاجتاحوا بلاد جبيل والبترون واستفحل امرهم . فاجتمع ولاة سوريا

على مقاتلتهم وحال توسط الامير احمد المعني دون مطاردة الولاة لهم واطلق والي طرابلس رهائنهم بعد ان دفع اليه الامير ما كان متأخراً عليهم من الاموال . ثم انتهز الحمادية فرصة انصراف هذا الوالي الى قتال التركمان واضرموا نار الفتن في بلاد جبيل والبترون (١٦٧٦) فاستأنف الكرة عليهم واضرم النار في قرى علمات . فثأروا لانفسهم بتدميرهم قرى كثيرة في بلاد جبيل . فاضطر خلفه الى استرضائهم واعاد اليهم اقطاعاتهم فاخلدوا الى السكون

وتلا ذلك تنازع الامير فارس شهاب والامير عمر الحرفوش ولاية بعلبك . واوقع ابن الحرفوش بخصمه في نيحا . فارغمه الامير احمد المعني صديق الشهابيين على دفع ديته وتركه وشأنه . فاستأثر بالحكم ولم يهنأ به طويلا فطرد الى جبيل حيث ادركته منيته (١٦٨٣) . وخيل الى الشهابيين انه لم يعد في استطاعة الحرافشة انتزاع ولاية بعلبك فخاب فألهم وافضت بعد فترة قصيرة الى الامير شديد ابن اخي الامير عمر الحرفوش

أما الحمادية فلم يطب لهم العيش في السكون الذي لزموه على اثر رد والي طرابلس اقطاعاتهم اليهم . فاتخذوا عزله في السنة التالية وسيلة لاخراج رهائنهم من قلعتها عنوة (١٦٨٤) . وعرجوا في عودهم الى جبة المنيطرة على عشقوت وحاولوا نهبها فقاومهم اهلها وقتل منهم احد عشر نفساً [1] . فانتقم منهم والي طرابلس الجديد على يد الامير احمد المعني اذ اجتاح جيش الامير جبة المنيطره ومعه رجال الخوازنة والحبيشية ودك دورهم وقراهم هناك بعد ان اضرم النار فيها . فلاذوا بالفرار الى بعلبك وعرض الوالي على ابن معن الحاق بلادهم بولايته فابى . ثم عادوا فجمعوا شملهم وجاهروا بالعصيان فقمع وكيل الوالي ثورتهم وامات اثني عشر عميداً من انصارهم على الخازوق (١٦٨٦) . ولم يكن ذلك كافياً لكبح جماحهم فنصروا الامير شديد الحرفوش على الوالي في قتال نشب بينهما. فانتقم الوالي منهم واضرم النار في اربعين قرية من قراهم

(١) كان بين الحمادية وآل ثابت في عشقوت ضغائن يرجع عهدها الى سنة ١٦٥٠ اذ فتك خاطر (حفيد المقدم خاطر الحصروني حاكم جبة بشري) ابو ثابت برجل من بني المستراح انسباء الحمادية على اثر اختصامه مع اخيه شمعون الذي قتل في هذا الخصام وفر الى عشقوت واستوطنها. ولهذا كان بنو ثابت اول من هب لمقاومة الحمادية عند محاولتهم نهب وطنهم الجديد . ولم يلبث الحمادية ان امنوا بطش الامير المعني حتى اعادوا الكرة على عشقوت انتقاماً من اهلها لما نالهم بسببهم من المضار لدن اجتياح هذا الامير بلادهم

وفي جملتها العاقوره . فدهموه على عين الباطية في حدود تورين وبددوا عسكره واقتفوا أثره الى جبيل واحرقوا قلعتها

وعقب حوادث الحمادية نكبة آل البشعلاني . ذلك ان حسّاد آل البشعلاني ومزاحميهم هالهم ما شهدوه من تعاظم شأن عميدهم الشيخ يونس فوشوا به الى ارسلان باشا المطرجي والي طرابلس فزجه في السجن مع ذويه وانصاره . فتظاهر بالاسلام ليأمن غدره وانس منه غفلة ففرّ باهله الى بلاد معن

***

لما تبوأ السلطان سليمان الثاني عرش أجداده (١٦٨٧ — ١٦٩١) رأى ان يأخذ الانكشارية باللين فتمردوا عليه وسادت الفوضى عاصمة السلطنة. فتحين أعداء الدولة هذه الفرصة لاجتياح املاكها فاحتل البنادقة ثغور اليونان وساحل دلماسيا (١٦٨٧) واستولى النمساويون على قسم من سربيا (١٦٨٨ — ١٦٨٩) ثم استردها منهم مصطفى باشا الكوبرلي الصدر الاعظم (١٦٩٠) بعد ان اصلح شؤون الدولة وبث في الجيش روح النظام واستمال النصارى الى الدولة واخصهم اهل المورة

وخلف هذا السلطان اخوه احمد الثاني (١٦٩١ — ١٦٩٥) ولم يكد يستقر على العرش حتى عاجلت المنية الصدر الاعظم وهو قائم على محاربة النمسا . فكانت وفاته نكبة على الدولة فاضاعت بعده ما كان تمّ لها على يده من السطوة والنفوذ . واستولى البنادقة على جزيرة صاقص (١٦٩٤) ومات هذا السلطان سنة ١٦٩٥ وخلفه السلطان مصطفى الثاني

اما سورية فلم تكن في عهد هذين السلطانين اسعد حظاً منها في عهد من تقدمهما من السلاطين . فظلت الفتن والنكبات تتوالى وتتعاقب في انحائها على نحو ما كانت عليه سابقاً . ذلك ان استظهار الحمادية على والي طرابلس الاخير شدد عزائمهم . ومما زادهم قحة مجاراة الوالي الذي خلفه لهم واقرارهم على اقطاعاتهم (١٦٩١) وجاء موت الشيخ ابي قانصوه فياض الخازن واخيه الشيخ ابي نادر في سنة واحدة موطداً لسلطتهم ومعززاً لسطوتهم . فعادوا الى سابق عهدهم من ارهاق الناس بالمظالم واوغلوا في النهب والسلب . وتلا ذلك انتقال ولاية طرابلس الى علي باشا القيس (١٦٩٢) فاقرهم على اقطاعاتهم . ثم انتزع الحكم منهم وعهد به الى عمال من بني دندش والحسامي والشاعر ومخلوس . واستعان بالامير احمد المعني عليهم فكسر

الامير شوكتهم على ايدي الخوازنة وطاردهم هؤلاء الى بعلبك ففتك حاكمها بجماعة منهم واجهز العمال الذين تولوا اقطاعاتهم على جماعة آخرين منهم بين قهمز ولاسا . وحسن ما فعله اللقيس بهم في عيني السلطان فرقاه الى منصب الصدارة

﴿ خاتمة حكم المعنيين وانقراض سلالتهم ﴾ ثم تولى طرابلس ارسلان باشا المطرجي (١٦٩٣) ففرض اقطاعات الحمادية على الامير احمد المعني ليأمن شرهم فأبى . وولى المطرجي عليها امراء الاكراد وبني الشاعر وعهد اليهم بالقضاء على سطوتهم ففشلوا وكسرهم الحمادية شر كسرة في عين قبعل بالفتوح . فحنق الوالي على الامير المعني واتهمه بممالئة الحمادية عليه واستصدر امراً من السلطان بعزله عن ولايته وتقليد عدوه الامير موسى علم الدين زمامها . وحشد جيشاً عظيماً في وطا عرموش بالبقاع لمقاتلته . وعلم الامير المعني ان بين الذين انضموا الى جيش الدولة جماعة من انصاره القيسية كالخوازنة بقيادة عميدهم الشيخ حصن والنكدية والعيدية وبعض الزبكية . فوجد ان مقاومته لهذا الجيش الضخم — وقد تخلى عنه معظم حلفائه — ضرب من الحماقة والجهل . فآثر الاعتزال في وادي التيم ريثما يستجمع شتات قواته . ثم زحف على الشوف ومعه الاميران نجم وبشير الشهابيان فاستجار ابن علم الدين بمصطفى باشا والي صيداء فخذله لان الامير المعني حذره من غدره وتمكن بالمال وحسن السياسة من اكتساب ثقته وحمله على استصدار ارادة سلطانية باقراره على ولايته

(البقية تأتي) « المسعودي »

كلمات مختارة

قال أحدهم : لقد تعلمت ان اكون سعيداً بتقليل مطالب نفسي — وقال آخر سعادتي متأتية من قلة مشتهياتي

على فرض اننا فقدنا كل أمل بالسعادة في هذه الحياة فانه يبقى لنا الامل باسعاد الغير

السعادة تقرع بابنا كل يوم ولكننا في كثير من الاحيان لا نسمع قرعها لانه يضيع بين صياحنا وجلبتنا وندبنا حظنا

لا تحمل الا نوعاً واحداً من الشقاء . فان بعض الناس يحملون ثلاثة انواع معاً : كل شقائهم الماضي ، وكل شقائهم الحاضر ، وكل شقائهم الآتي

بحث في النقد

— ٤ —

النقد في فرنسا

١ — الطور الاول : الاصلاح اللغوي وتكوّن الروح الفرنسية

لم تسفر حروب ملوك فرنسا في ايتاليا في اواخر القرن الخامس عشر وأوائل السادس عشر عن فائدة سياسية أو مادية . أنما نتج عن احتكاك الفرنسيين بالايتاليين ان سهلت المواصلات بين القطرين وتوطدت العلاقات بين الشعبين . وكانت ايتاليا في ذلك العهد موطن العلماء والفلاسفة ومنبع التمدين والحضارة فنقل عنهم الفرنسيون عاداتهم وعقائدهم واقتدوا بهم في احراز العلوم والفنون . وقد اشتهر فرنسوا الاول بتقريب ذوي العلم اليه ونشر العلم بين الخاصة والعامة فاستقدم اليه أصحاب الفنون الجميلة فوفد عليه نفر كثير من الكتاب والمصورين الاجانب ونزلوا في قصره ضيوفاً مكرمين ومن جملتهم المصور الايتالي الذائع الصيت ليوناردو دافنشي Leonardo da Vinci

وكان الفرنسيون في اول أمرهم أهل بادية ورثوا عن أجدادهم الغاليين Gaulois عادات وعقائد نم عنها كتاباتهم الغريبة نسقاً ولفظاً ومعنى : فقد كانت لغتهم غير مقيدة بقواعد وشروط ، كانت خليطاً من لغات القبائل والامم التي تحرشت بهم فيها الالفاظ اللاتينية والقوطية والاسبانية والعربية التي تسربت اليها أثر اكتساح جيش قيصر القائد الروماني الشهير لاراضيهم ودخول القوط والعرب اليها . زد على ذلك أنهم كانوا في ذلك الحين اشبه الامم بالعرب قبل الفتح الاسلامي : أسباط وقبائل لكل منها عادات ونظامات خاصة يتكلمون بلغات او لهجات dialectes مختلفة تكاد تكون غريبة الواحدة عن الاخرى . وحصل للفرنسيين مثلما حصل للعرب حين اندماج لغاتهم المتعددة بعضها ببعض وفوز لغة قريش على غيرها من اللغات التي تلاشت أو لم يبق منها الا القليل اللازم المفيد . ولم تتوحد اللغة الفرنسية الا في أواخر القرن السادس عشر كما سيجيء . ومكثت فرنسا على باديتها الى زمن لويس الحادي عشر فجمع شتاتها بقمع ثورة الامراء الاقطاعيين princes féodaux وكسر شوكتهم ، ومن ثم شعر الفرنسي بقوة لم تكن له من قبل استمدها من جمع كلمته تحت لواء ملك حازم .

وأدت الجامعة السياسية الى جامعة اجتماعية دينية لغوية . فلما أذن ضحى النهضة العلمية في ايتاليا كان الشعب الفرنسي على أتم استعداد للاستفادة منها فافاضت عليه نعماً ونمت فيه وأثمرت

وقد أنجبت فرنسا في القرون الوسطى كتاباً عديدين لم يخلد التاريخ الا ذكر القليل منهم — خلد ذكرهم ليكونوا شهوداً على حالة الشعب في تلك العصور المظلمة ورابطة بين الماضي والحاضر ، ولولا ذلك لمحا اسماءهم ورمى بها في بحور النسيان لقلة شأنهم ولانهم غير مستحقين ان يكونوا اعلاماً لبني جنسهم وقدوة لبني الانسان ، اذ لم يضع احدهم كتاباً جديراً بان تتوارثه الاعقاب . ويرجع ذلك الى قلة اهتمامهم بفن الانشاء وتنسيق الكتابة وترتيب الكلام واختيار الالفاظ ، لانهم لم يكونوا ليدركوا في ذلك الوقت الفائدة التي تعود على كتاباتهم ان هم عبروا عن افكارهم بعبارة بليغة تزيد رونقها وتحفظها مدى الايام فجاءت غير منتظمة معنى وقالباً على الانسان قراءتها . هذا فضلاً عن انهم كثيراً ما كانوا يكتبون في مواضيع تمجها النفس ويستعملون لذلك الغرض من بذيء الالفاظ ماتعف الآذان عن سماعه . ولذا فقد يستفز العجب كل من طالع كتب أولئك الكتاب لغرابة اللغة التي كتبوا بها وغلاظتها وصعوبة فهمها حتى على الفرنسيين انفسهم بل يكاد القارئ يحكم بان فرنسيي ذلك العهد كانوا يتكلمون لغة غير لغتهم الحالية . وقد تعظم دهشته اذا هو قارن بين كتاب فرنسا في القرون السابقة للنهضة العلمية والقرون التالية لها اذ حدثت في فرنسا ثورة فكرية قلمية قلبتها من حال الى حال وبثت فيها روح العلم والحضارة

وكانت اول خطوة خطاها رجال الادب تنقيح اللغة وتهذيبها ، فاودوا بكثير من الالفاظ الدخيلة غير الملائمة لروح لغتهم والتراكيب العويصة المستهجنة المناقضة لنسق الكلام عندهم وابدلوها بكلمات وتراكيب يرجع اصلها الى اللغة الغالية . وقد اعانهم درس اللغتين اليونانية واللاتينية على تنميق الكلام وابتداع الفاظ كانوا مفتقرين اليها اشتقوها من الكلمات المقابلة لها في اللغتين المذكورتين . غير ان اللغة الفرنسية لم يتم تهذيبها الا في عهد ماليرب Malherbe الذي سنأتي على ذكره

ولم يمض زمن يسير الا وقد ترجم الفرنسيون جزءاً كبيراً من العلوم اليونانية والآداب اللاتينية متتبعين في هذا الامر خطى جيرانهم الايتاليين فنمت اللغة الفرنسية من جراء ذلك الفاظاً كثيرة وتعابير جديدة عادت عليها بفائدة محسوسة . وقد

اتخذوا مؤلفات الاقدمين اصولا نقلوا عنها ونهجوا على مثالها : اذ كانوا يعتمدون على القدماء اعتماد الاعمى على البصير معتقدين انهم توصلوا الى الحقيقة وانهم كانوا اقرب الى الطبيعة فاجادوا تصويرها والاخذ عنها . قال احد ائمة اللغة الفرنسيين في النهضة العلمية: «كل كتاب اتى موافقاً للطبيعة كان موافقاً للذوق السليم لان الذوق السليم مستمد من الطبيعة واحكام الطبيعة حرية بان نقيد بها كتاباتنا شعراً ونثراً» ومن هنا تدرك نفوذ الاقدمين في ذلك العصر

وكان الفرنسيون في اول امرهم ينقلون عن الكتب اليونانية واللاتينية على السواء. ولكن نظراً للاختلاط المادي والمعنوي الذي حصل بين الغالي والروماني منذ عهد قيصر وللجيرة والقرابة العصبية والدينية التي الفت بينهما فيما بعد اصبح ميل الفرنسي الى الآداب اللاتينية اشد منه الى الآداب اليونانية . فراج تقليد الكتاب الرومانيين. غير أنه لم يغفل الفرنسيون لحظة عن بلاغة اليونانيين وكثيرون من كتابهم نسجوا على منوالهم منهم راسين Racine احد فطاحل شعراء القرن السابع عشر واندريه شينيه André Chénier الذي ذهب ضحية الثورة الفرنسية

وخلاصة القول أن الكتاب الفرنسيين قبل النهضة العلمية كانوا غير مقيدين بقواعد وشروط ، غير مرتبطين فيما بينهم بجامعة قوية تشد ازرهم مثلما نراهم اليوم. فلم يكن لهم منهج معين في التأليف واسلوب عام في الانشاء ، فذهب كل منهم مذهباً خاصاً وفقاً لما اوحته اليه مشاعره فجاءت كتبهم متناقضة في الشكل خالية من النظام والترتيب بعكس مؤلفات الاقدمين او مؤلفات الفرنسيين في القرن السابع عشر فقد كانوا متحدين اتحاداً معنوياً ينسجون على منوال واحد ويكتبون بلغة مهذبة واسلوب واضح لما عرفوه من شأن الانشاء في تخليد آثارهم . وفي اواخر القرن السادس عشر توحدت الآراء فيما يختص بفن الانشاء والمصادر والاصول التي وقع اختيارهم عليها . والفضل في ذلك راجع الى النقد الفيلولوجي. فتوحد النظام وسار الكتاب في طريق واحد بمعنى ان جمعت بينهم جامعة قلمية كانت مرافقة للجامعة السياسية التي نشأت في الوقت ذاته فادت بهم الى التقيد بالقوانين التي ابتدعها النقاد والتمسك بمذاهب فنية قويمة عادت عليهم بفائدة عظيمة . ثم اهتدوا بعد ذلك الى تأليف جمعيات ادبية كانوا يجتمعون فيها متباحثين متسائلين عن احسن المناهج وأفضلها ليسلكوا فيها مما بعثهم على اختيار طريقة القدماء في فن الانشاء وجعلهم يؤثرون الكتابة في المواضيع

العمومية التي تلذ للجمهور عامة كالروايات التمثيلية ، وتتحى الكتاب عن المواضيع الخاصة والشؤون الفردية كالقصائد الغنائية والاعترافات الشخصية وما اشبه ذلك

وقد سبق لنا ان ذكرنا السبب الذي دعا النقد في عصر النهضة العلمية الى اتخاذ الوجهة الفيلولوجية . وقد تبحر النقاد الفرنسيون في هذا العلم ولهم فيه كتب ذات شأن ولكننا لا نرى داعياً للتعليق عليها في درسنا المختصر لقلة الفائدة العائدة علينا من فحصها ، فنقتصر في هذا المقام على ذكر كاتب كان له في ذلك الحين شهرة عامة في اوربا وقد كان لكتاباته وآرائه صدى في جميع الاقطار نعني به ماليرب، وكان شاعراً ونقاداً

ظهر ماليرب في وقت بدأت فرنسا فيه بالنهوض من سباتها العميق وقد كانت منذ زمن طويل هدفاً لمطامع الاسبان حتى اصبح لهم فيها نفوذ يذكر وعقبهم الايتاليون فجلس على عرش البلاد وتولى زمام ادارتها ماري فكارين دي مدسيس فاتخذ البلاط الملكي صبغة اجنبية وصار يتكلم اهله بلغة حكامه يقلدونهم في هندامهم ويتسربلون بعاداتهم : فتسربت الى اللغة الفرنسية الفاظ وتعابير ايتالية واسبانية مسختها وذهبت برونقها . واخذ الشعب يلهج بتلك الالفاظ ويتداولها جزافاً بلا قيد ولا تبصر، فاصبحت اللغة الفرنسية خليطاً ازعج علماء اللغة واهل العلم فاستصرخوا القوم فلقي نداؤهم آذاناً صاغية وتم لهم الفوز وانتهى الامر بان حققوا امانيهم ومآربهم بابادة نفوذ الاجانب في بلادهم وحذف الالفاظ الغريبة التي التقطها الشعب من مخالطته لهم . وكان النقاد منهم يشيرون الى سلاسة الاقدمين في التعبير وينصحون بتقليدهم في استعمال الالفاظ السهلة المتينة

وكان ماليرب المذكور في طليعة اولئك الكتاب وكان له صولة ونفوذ فحاز نصراً مبيناً وفخراً مجيداً . وشعراء فرنسا مدينون له بقواعد النظم التي وضعها واتبعها في شعره وهي قيود صلبة قيد نفسه بها وقيد الشعراء اجمعين . وتختص هذه القواعد باوزان الشعر واسلوبه وبالقافية واختيار الالفاظ . واراد ايضاً ان تكون قريحة الشعراء خاضعة لقواعد المنطق واحكامه حتى لا يشط الشعراء في عوالم الاحلام والخيال شطوطاً غير محمود. فوضع حداً لغلوائهم وخالف في ذلك رأي طائفة الشعراء الغنائيين الذين كانوا يسترسلون في خيالهم بلا قيد ولا حساب . وقد بلغت شدة ماليرب في النقد وصرامته في الحكم درجة فاقت حد المعقول وكانت سبباً في توجيه تهمة التقعر

اليه من معارضيه وخلفائه . غير انه رغماً من ذلك أقر له بوالو Boileau بطول الباع حين قال : « وأخيراً أتى ماليرب — Enfin Malherbe vint » اشارة الى رقي الآداب بفضله

وقد وجد كتاب ذلك العهد الذين اشتغلوا بتنقيح اللغة أعواناً وأنصاراً قديرين في أهل البلاط بعد زوال نفوذ الاجانب . فقد كانوا نساء ورجالا ينتسبون الى الأسر القديمة العريقة في النسب اصحاب المقاطعات والامارات قبلما انضمت تحت لواء واحد وكانوا جميعاً من أهل الرخاء والرفاهية في العيش والكياسة في المعاملة والظرف والادب في الحديث والمجاملة في المعاشرة . اكتسبوا تلك الصفات أو زادت رساخة فيهم عقب نزولهم في قصور ملوك فرنسا الرحيبة ومثولهم لدى شخص الملك واختلاطهم بافراد أسرته . فكان كلامهم مهذباً رقيقاً يجتنبون الالفاظ والاصطلاحات العامية ويمجون الحديث المبتذل : فارتقت اللغة بفضلهم . ولما كان الشعب يميل الى الاقتداء بعلية القوم اقتبس عنهم شيئاً فشيئاً لباسهم وهندامهم وبعض عاداتهم وقلدهم في المعيشة والآداب والكلام . وقد سبق الشعب الى ذلك الامر الكتاب والشعراء لانهم كانوا يفدون على القصر ويختلطون باهله فالفوا ونظموا بعبارة مهذبة لم يدخلها الا الالفاظ الرقيقة . واشتهرت النساء الشريفات في ذلك العصر بحب العلم والادب وانكبابهن عليهما : أولئك هن «النساء العالمات» اللواتي الف فيهن موليير Molière روايته التمثيلية الذائعة الصيت Les femmes savantes وكان الناس يلقبونهن أيضاً بالمتصنعات المهزآت Les précieuses ridicules وللشاعر المذكور رواية أخرى بهذا العنوان. فقد كانت تلك النساء هدفاً لسخرية الكتاب لتصنعهن في المعاملة وتكلفهن في الكلام . ولكن بالرغم من الانتقاد المر الذي رماهن به الكتاب فقد أفدن اللغة افادة عظيمة باستعمالهن تشابيه جديدة وتعابير راقية وابتداعهن كثيراً من الاستعارات البديعة البليغة التي لا يزال كتاب الفرنسيس الى الآن ينسجون على منوالها . غير ان النقاد الذين ظهروا في فرنسا في عصرهن وفي الازمنة التالية وضعوا حداً لتلك الاستعارات وخففوا استعمالها في الكتابة والكلام بحيث أصبحت اللغة بعد ذلك كالماء عذوبة وصفاء ولعل سلاستها سبب من أسباب رواجها في اوربا والعالم أجمع

وظل الكتاب في فرنسا يقلدون القدماء وينقلون عن آثارهم الخالدة وضعاً وموضوعاً حتى ظهور ماليرب المتقدم ذكره . فان نفراً من معاصريه كانوا يمقتون

النقل ويستخفون بالناقلين واليك بعض آرائهم في هذا الصدد : « ان الطبيعة مصدر كل شيء، وينبوع كل فن فلا بدَّ من الرجوع اليها لتوسيع المدارك وتهذيب الشعور ولكن اذا اراد احد ان يتغزل بها ويكتب فيهـا فليطلب منها حاجته رأساً ولا يجعل الاقدمين سلماً اليها وواسطة بينه وبينها ، فما مؤلفات أولئك في الحقيقة الا حاجز يمنعه عن الوصول اليها وقيد يكبل به نفسه . والنقل عن الصورة لا يضارع النقل عن الاصل اذ قد يلحقه تشويه يذهب برونقه فيضل الكاتب المرمى » . هـذا رأيهم في جوهر الكتاب او موضوعه فكانوا يرمون الى الابتداع لا الى النقل الاعمى والتقليد. أما فيما يختص بفن الانشاء ونسق الكلام وطريقة الوصف والتعبير عن الشعور فانهم كانوا يذهبون مذهب الاقدمين على حد قول اندريه شينيه : « لنودع الافكار الجديدة في قالب قديم »

Sur des pensers nouveaux faisons des vers antiques

اي وضع الافكار التي توحيها الحالة الحاضرة — بشرط ان تكون غير مبتذلة — في قالب شعري قديم .

ومجمل القول ان الآداب الفرنسية قبل عصر النهضة العلمية كانت مزيجاً من الاداب الغالية القديمة وآداب الشعوب التي اختلطت بالشعب الفرنسي منذ حرب المئة سنة خالية من النظام والترتيب . وفي النهضـة العلمية نزعت الاداب الى الطبيعة naturalisation de la littérature بفضل رواج العلوم والاداب اليونانية واللاتينية ثم اصطبغت بالصبغة القومية الوطنيـة nationalisation de la littérature عندما قام المصلحون والنقاد يحرضون الناس على الاجانب ويحضونهم على انتزاع سلطتهم المادية والمعنوية ويحثون الكتاب على عـدم تقييد أنفسهم بقيود الاغراب بتقليدهم والنقل عنهم . وقد شعر معشر الكتاب بمضار النقل الاعمى فاقلعوا عنه وجهدوا قرائحهم فابتدعوا . وقد دلهم الابتداع الى الطريق القويم في عالم الادب فكوَّنوا المثال الاعلى للاداب الفرنسية (idéal classique)

م . ب .

الحرب الهوائية

والقوانين الدولية

منطقة هواء الدولة هي المنطقة الهوائيـة الواقعة فوق ارض الدولة داخل سور عمودي وهمي يرتفع عند حدود هذه الدولة

ولم يكن للمناطق الهوائية اهمية تذكر في عالم القوانين الدولية حتى اخترعت المناطيد والطيارات في السنوات الاخيرة وامكن بواسطتها ركوب متن الهواء فاخذت الدول اذ ذاك في تعريف هذه المنطقة وسن القوانين بشأنها وتحديد حق ملكيتها وتقييد حقوق المرور فيها والانتفاع بها

منطقة هواء الدول قبل الحرب الحاضرة

على ان كل ماعمل في هذا الصدد قبل حربنا الحاضرة كان مقتصراً على تحديد الشروط التي تجيز للمناطيد والطيارات القيام باعمال عدائية في مناطق هواء الدول المتحاربة قياساً على قوانين الحرب البحرية . وقد عمدوا في ذلك الى تطبيق قوانين الاسر والحصار والتهريب المتعلقة بالحرب البحرية

وأخذ علماء القوانين الدولية يبحثون في منطقة هواء الدولة وطرق حمايتها . وقد اختلفت الآراء في حق ملكيتها ففريق (وهم الالمان) ارتأى ان تملك الدولة منطقة الهواء التي فوقها الى علو غير محدود . والفريق الآخر اعطى للدولة حق ملكية هذه المنطقة الى علو محدود ينتهي الى اقصى مسافة تصل اليها قنابل المدافع ومعدات الدفاع وفيما تعدى هذا العلو يجوز لاية دولة من الدول تسيير مناطيدها . وقد كان الرأى الثاني قاعدة المناقشات التي دارت في مجمع القانون الدولي الذي عقد في بروكسل سنة ١٩٠٢ وقدر وقتئذ علو منطقة الهواء المذكورة بكيلو متر ونصف كيلو متر. ولكن ما عتم ان تقدم فنَّا الفوتوغرافيا والطيران واصبحت صور الاستحكامات وغيرها تؤخـذ على مسافات بعيدة والطيارات تطير الى علو شاهق فعمد ارباب السياسة الى رأي ثالث يقضي بحرية الطيران في الفضاء مع مراعاة مناطق معينة

لا يجوز الطيران فيها واقترح مجمع القانون الدولي الذي عقد في باريس سنه ١٩١٠ منع الطيران حول الاستحكامات منعاً باتاً ومنع نقل آلات التصوير في الطيارات وكذا منع الطيارات الحربية من الطيران فوق اراضي الدول المحايدة ولو في المناطق غير الممنوعة

وقد أخذت كل دولة بدورها في سن القوانين الصارمة واصدار الاوامر المشددة بشأن طيارات الدول الاخرى حرصاً على مصالحها ودرءا لما قد ينجم عن ذلك من الاضرار بسلامتها وبقوتها الحربية . وكانت انكلترا البادئة في سن هذه القوانين وتبعتها روسيا والنمسا والمانيا وما عتم ان حذت فرنسا حذوها بعد أن شاهدت من تكرار نزول البلونات الالمانية في ارضها ما لا يسوغ التجاوز عنه فاصدرت في ٢١ نوفمبر سنة ١٩١١ أمراً عالياً عينت فيه المناطق الممنوع الطيران فيها في بلادها واشارت بوجوب حصول الطيارة على شهادة تثبت صلاحها للطيران وان يكون لدى الطيار شهادة تثبت مقدرته وحرمت استخدام المواد المفرقعة والات التلغراف اللاسلكي والفوتوغراف ووضعت تعليمات اخرى خاصة بصعود الطيارات وهبوطها وباستعمال الاشارات الاصطلاحية والانوار وغيرها

وبالغت المانيا في التضييق على الطيران في بلادها فعينت في سنة ١٩١٣ المناطق الممنوعة وقررت منع الطيران على مسافة لا تقل عن ٢٥ كيلو متراً من هذه المناطق . وقد توترت على أثر هذا القرار العلاقات الدولية توتراً شديداً وبادرت فرنسا في مقابل ذلك الى اصدار امر عال في اواخر سنة ١٩١٣ منعت بموجبه الطيارين الاجانب في حالة السلم من المرور فوق الاستحكامات والنقط العسكرية والبحرية والخنادق والمعسكرات وميادين التمرين والمناورات وغيرها ومن الطيران على مسافة عشرة كيلومترات من حدود هذه الاماكن . وكل من خالف هذه الاوامر عرض نفسه للسجن وطيارته لقنابل المدافع

وقد ضجت جمعية اتحاد الطيران الدولية من كل هذه الاجراءات الصارمة التي نتج عنهـا منع الرحلات الجوية الى ما وراء الحدود وعقدت مؤتمراً في باريس في

٥ مايوسنة ١٩١٤ طلبت فيه من الدول أن تقتصر هذه الاجراءات المشددة على الشيء الضروري ولكن انّى للدول ان تتساهل في هذا الصدد و بعضها قد اتخذ الطيران وسيلة للتجسس والاستطلاع . واليك أمثلة من ذلك حدثت على الحدود بين فرنسا والمانيا و بين روسيا والمانيا فهاج لها الرأي العام :

في الثالث من شهر ابريل سنة ١٩١٣ هبط منطاد تسبلن الالماني في ميدان المناوارات بلونفيل من مدن فرنسا بينما كانت المناورات قائمة هناك وكان هذا المنطاد آتياً من فريديركسهافن في المانيـا وقد زعمت البلاغات الرسمية وقتئذ ان المنطاد هبط بعد أن فقد توازنه وعلى ذلك أطلق سراحه وسراح من كان فيه من الملكيين واما الضباط فيه فقد اوصلهم اولو امر الى الحدود في أوتومو بيل ! !

ونزل الطيار الفرنسي الكابتن (فور) في ١٧ أبريل سنة ١٩١٤ بالقرب من ريزونفيل بالالزاس وهي من البلدان المحصنة فنبهه بعض المزارعين الى خطأه و بذا امكنه الطيران والافلات بطيارته من قبضة الالمان . على ان الحكومة الفرنسية تلافياً لحدوث ما يؤثر في علاقتها مع المانيا اتخذت اجراءاتها القانونية ضد الطيار المذكور وأصدرت أمرًا بمنع الطيران بالقرب من الحدود وأصدرت المانيا ايضاً أوامر مشددة تقضي بالقبض حالاً على أي طيار ينزل في الاراضي الالمانية وعلى من يصحبه و بمعاقبة أي شخص يساعد « عصفور فرنسا » على الهرب بعد نزوله

وفي يناير سنة ١٩١٤ حكمت روسيا على الطيار الالماني متشيفسكي بالحبس ثلاثة أشهر في وارسو لطيرانه فوق بعض الاستحكامات وحاكمت في بلدة قازان فى ابريل سنة ١٩١٤ الطيار الالماني برايز لاتهامه بالتجسس . وقد كان لهذه الحادثة الاخيرة تأثير عظيم في الدوائر الالمانية وقامت لها الصحافة الالمانية وحملت على روسيا حملة شعواء احتجاجاً على هذا العمل . وكانت المانيا تنظر الى كل طيار اجنبي بعين واجفة وترى فيه جاسوساً يتجسسها و يستطلع دخائلها وهي التي وضعت في بلادها نظاماً هائلاً لتجسس أحوال الدول الاخرى

مناطق هواء الدول اثناء الحرب الحاضرة

لم يحلم احد بان مسألة المناطق الهوائية التي لم تتعد دور المناقشات السلمية تتخذها المانيا ذريعة لاعلان الحرب على فرنسا فانه في يوم ٣ اغسطس سنة ١٩١٤ طلب البارون شون سفير المانيا في باريس جوازات سفره بحجة ان بعض الطيارين الحربيين الفرنسيين اخترقوا حياد البلجيك بان طاروا في جوّها وشوهد بضعة منهم يطيرون في جهات مختلفة في المانيا ورمى أحدهم القنابل على سكة حديد نورمبرج

هذه هي الحجة التي وصفها المسيو فيفياني رئيس الوزارة الفرنسوية وقتئذ بالحجة غير المعقولة في جلسة البرلمان الفرنسي التاريخية التي عقدت في ٤ اغسطس سنة ١٩١٤ احتجاجاً على هذه الاختلاقات التي لا أصل لها. وكيف يسوغ لالمانيا أن تتذرع بمثل هذه الاكاذيب لاعلان الحرب وهي التي لم تتوان عن اختراق حرمة البلاد البلجيكية واعتبار معاهدتها الرسمية بضمان حياد البلجيك قصاصة من ورق. وهل يعقل أن تقوم فرنسا بتلك الحركات العدائية المزعومة التي نسبت اليها زوراً وهي التي قبيل اعلان الحرب امرت بسحب جنودها الى مسافة بعيدة داخل حدودها تلافياً لما يحتمل حدوثه من الاحتكاك بينهم وبين جنود الالمان فيعتبره هؤلاء بمثابة حركة عدائية من قبل فرنسا

فما الذي يكون حكم مناطق هواء الدول بعد ان استندت عليها المانيا رسمياً في اعلانها الحرب على فرنسا؟ وكيف واين يكون ميدان الحرب الهوائية؟ وهل يرى المحايدون من واجباتهم منع الدول المتحاربة من القيام بحركات حربية في منطقة جوهم كما يمنعونها من مثل ذلك في منطقة ارضهم أو مياههم الدولية؟ اذ كثيراً ما يسعى الطيارون للطيران فوق الدول المحايدة لتقصير خط ذهابهم وايابهم أو للالتجاء الى احدى هذه الدول تخلصاً من طيار مطارد أو اجتناباً للقنابل وغيرها.
نعم ان الحرب بدأت قبل أن يتسنى للدول البت في هذه المسألة ولكنها برهنت وستبرهن على بطلان النظرية التي تقضي بملكية الدولة للهواء الذي فوقها الى نقطة

محدودة وها انا نرى كل دولة تميل الى سن القوانين الملائمة لمصلحتها والتي ترمي الى ملكية المنطقة الهوائية ملكاً مطلقاً

يستنتج من هذا ان للدول المتحاربة الحرية في القيام بأي عمل حربي عدائي في منطقة جوها ولكن ليس لها مطلقاً اجراء أي عمل من هذا القبيل داخل منطقة جو الدول المحايدة . وأما حرية المرور في جو هذه الدول فيظهر ان المحايدين يعارضون في ذلك وقد ارسلت حكومة سويسرا الى الدول المتحاربة مذكرة في ٨ اغسطس سنة ١٩١٤ احتجت فيها على مرور طياراتهم فوق سمائها وانذرت باستعمال كل الطرق التي لديها لمنع مرور هذه الطيارات . على ان الدول المتحاربة لم تشأ الاعتراف بملكية الهواء المطلقة ومنع حرية الطيران في جو المحايدين منعاً باتاً . من ذلك انه لما هاجم الطيارون الفرنسيون والانكليز مستودعات مناطيد تسبلن في فريدريكسهافن في ٢١ نوفمبر سنة ١٩١٤ أرسلت حكومة سويسرا احتجاجاً الى وزارة خارجية انكلترا على مرور طياريها في جو سويسرا فاجابتها انكلترا معتذرة عن ذلك ولكنها أفهمتها أن اعتذارها هذا لا ينبغي اعتباره بمنزلة اعتراف من الحكومة البريطانية بوجود حق ملكية الدولة لمنطقة جوها

ويذكر القراء أنه في اثناء هذه الغارة اضطر أحد الطيارين الفرنسيين المدعو جلبير الى النزول بطيارته في أرض سويسرا بسبب عطل أصابها فاخذته سويسرا أسيراً . ثم تمكن من الهرب الى فرنسا ولكن الحكومة الفرنسية أعادته الى أرباب السلطة في سويسرا . وقد جاء عمل فرنسا هذا برهاناً ناصعاً على احترامها للقوانين الدولية فان الطيار يعتبر من المحاربين ويجب في حالة التجائه الى احدى الدول المحايدة أن يعتقل فيها حتى نهاية الحرب

وكثيراً ما اخترقت المانيا حياد جو سويسرا وهولاندا وسرعان ما كانت اعتذاراتها ترسل واعدة بمعاقبة المذنبين وبمنع تكرار حدوث هذه الامور في المستقبل

وقد حدث أن الدانمارك القت القبض على راكبي منطاد من مناطيد تسبلن سقط محترقاً في احدى جزائر الدانمارك وأخذتهم أسرى . واعتقلت حكومة

نروج كذلك ركاب منطاد تسبلن آخر كان عائداً من غارة على سواحل اسكوتلندا فسقط على شاطئ نروج واستولت أيضاً على بقايا هذا المنطاد كغنيمة حربية . الا أنه لم يرق لالمانيا هذه المعاملة فطلبت لطياريها من المحايدين في فبراير سنة ١٩١٦ «حق الالتجاء» الذي يمنحه مؤتمر الهاي للمراكب الحربية بمعنى أنه اذا دخل أحد المناطيد منطقة هواء الدولة المحايدة اثناء عاصفة أو بسبب عطل أو خلل فلا يقتصر واجب الدولة المحايدة على عدم اطلاق القنابل بل يجب أن تفهم هذه الدول أن ليس لها أدنى حق في ذلك

وهناك مسألة أخرى جديرة بالنظر وهي هل للمحايدين أثناء الحرب حق الطيران في منطقة هواء الدول المتحاربة . ولو أعطي للمحايدين هذا الحق كان باعثاً على فسح المجال للتجسس والتهريب ولذا عمدت الدول الى منعه وكانت فرنسا أول من فعل ذلك بأن أصدرت أمراً عالياً في ٣١ يوليو سنة ١٩١٤ أي قبل اعلان الحرب بثلاثة أيام يقضي بمنع الطيران فوق أية بقعة من الاراضي الفرنسية بما في ذلك تونس والجزائر والمستعمرات وبذا وضعت حداً للمناقشة في هذا الموضوع اذ يشمل المنع جميع الطيارين المحايدين والاعداء

الخلاصة

فيفهم مما تقدم أن الدول المحايدة ما زالت تشدد في ميلها الى عدم تقييد ملكيتها المطلقة لمنطقة جوها وهذا الميل يوافق طبائع الامم وغرائزها اذ ليس الوطن عند هذه الامم مقتصراً على الارض والمزروعات والابنية التي عليها بل يشمل الهواء الذي يستنشقه أهاليها والسماء التي تسترسل اليها أبصارهم

فكما أنه يوجد « سماء فرنسا » يوجد ايضاً « سماء ايطاليا » و « سماء المانيا » وغيرها . ولا بد بعد نهاية الحرب الحاضرة من وضع قانون دولي للفصل في هذه المسألة بطريقة ملائمة لحقوق الدول ومتفقة مع تقدمها ورقيها . وستسهل مهمة المندوبين الذين يناط بهم هذا الامر بما يأخذونه من عبر الماضي وأمثلة الحرب الحاضرة ومن القوانين الخصوصية التي سنتها بعض الدول دفاعاً عن كيانها وحرصاً على حيادها

سوق الزواج الملكي

٣ — اسرة رومانوف

اشتهرت قيصرة روسيا الحالية بسمو أخلاقها وظرف معشرها وانصرافها الى الاهتمام بشؤون أولادها . ولا ريب في انها منذ صيرورتها قيصرة على روسيا قد أحدثت انقلاباً عظيماً في بلاط الاسرة المالكة فوضعت حداً للولائم العديدة التي كانت تقام في البلاط ولعل ذلك ناشئ عن شدة اهتمامها بصحة ولي عهدها الصغير السن فقد كان منذ ولادته ضعيف البنية حتى كان والداه شديدي القلق عليه

ولم تكن جلالة الامبراطورة تفتأ تلقن بناتها ما يحتجن اليه من التهذيب اللائق بمقامهن حتى لقد أصبحن قدوة لجميع أميرات اوربا . فقد أنشأت الكبريان منهن — أي الغرندوقة اولغا والغراندوقة تاتيانا — جمعيات عديدة لاسعاف المنكوبين بهذه الحرب مع صغر سنهما وهما تخدمان في المستشفى الذي قد أنشأته والدتهما في القصر الامبراطوري في « تزارسكوي سيلو »

واتفق قبل نشوب هذه الحرب ان ملك سكسونيا زار القيصر فزعم الناس انه يقصد ان يطلب يد الغراندوقة اولغا . وفاتهم ان ملكة سكسونيا يجب ان تكون كاثوليكية المذهب — وان يكن معظم شعبها من طائفة البروتستانت

وفي صيف سنة ١٩١٤ زارت اسرة ملك رومانيا قصر تزارسكوي سيلو فصار الناس يزعمون ان ابن ولي عهد رومانيا سيخطب احدى بنات القيصر . ثم زار القيصر وأسرته ملك رومانيا وملكتها بعد ذلك ببضعة أسابيع . واتفقت الاسرتان على ان يزور الامير كارول (بكر ولي عهد رومانيا) مدينة بتروغراد في شتاء سنة ١٩١٤ . ولكن الحرب نشبت فافسدت جميع الخطط . والارجح انه متى وضعت الحرب أوزارها عاد العالم الى التحدث بامر اقتران ملك رومانيا المقبل باحدى بنات القيصر . ولا شك انه اذا تم ذلك كان من دواعي مسرة ملكة رومانيا الحالية فانها حفيدة المرحوم الامبراطور اسكندر الثاني فهي من دم انكليزي روسي .

واذا تم هذا القران كان له أعظم تأثير في تكييف حالة البلقان السياسية وربما كان فيه القضاء التام على أحلام فرديناند ملك البلغار

ويظهر ان الغراندوقة تاتيانا هي التي ستفوز بعرش رومانيا فان أختها الكبرى — الغراندوقة اولغا — تكره مغادرة روسيا وقد صرحت مراراً انها لن ترضى بمفارقة وطنها على الاطلاق . ولكن المستقبل بيد الله . ويقال ان أحد أولاد الغراندوق قسطنطين يميل اليها ولا يبعد ان يرضى جلالة القيصر بتزويجها اياه ولاسيما ان الشعب الروسي يكره ان تتزوج احدى أميراته أميراً أجنبياً لا يكون من الدين الارثوذكسي الا اذا كان ذلك الامير ولي عهد انكلترا فان أصحاب المقامات العالية في روسيا يتمنون لو تتم هذه الامنية لما يتعلق على تمامها من الخير لكلتا روسيا وانكلترا ولان ذلك يكون خير ضامن للسلام الدولي

ولي عهد سربيا

ومن الاشاعات الدائرة على الالسنة ان الامير اسكندر ولي عهد سربيا كان يرغب في الاقتران بالغراندوقة اولغا . وفي الواقع انه زار بتروغراد لهذا الغرض ولكنه لم يفلح في مهمته فانسحب من هناك قبل ان يعرض نفسه لرفض الغراندوقة الصريح . وكان المسيو باستش رئيس الوزارة السربية قد رافقه في رحلته هذه فلما رأى كيف انتهت سفرة ولي العهد أخذ يعلله بالاماني قائلاً ان للقيصر أربع بنات كلهن في سن الزواج . ولا شك في انهن أغنى الاميرات في العالم فضلاً عن انهن على جانب عظيم من العلم والتربية

ولي العهد

على ان محور آمال روسيا كلها هو الغراندوق الكسيس ولي العهد . وهو متوقد الذهن ولكنه ضعيف البنية جداً ووالداه يحبانه محبة فائقة الوصف ويعتنيان به اعتناء خاصاً . والارجح انهما سيزوجانه وهو بعد فتى صغير السن والمشكلة الكبرى هي انتقاء زوجة له . فالاميرات الالمانيات لا يرضى بهن الشعب الروسي .

وليس من أمل في عقد زواج مع أميرة اسبانية . فلم يبق الا بضع أميرات قلائل منهن الاميرة انجريد ابنة ولي عهد اسوج وعمرها الآن نحو ست سنوات . وهنالك أيضاً بنات عمها (بنات الامير تشارلس انجبرج) وهو من الاسرة الدنمركية المالكة . وهنالك أيضاً تسع أميرات يونانيات منهن ابنتا الملك وبنات عميها الاميرين نقولا واندراوس وكلهن جميلات الطلعة

واذا لم يكن لا هذه ولا تلك فقد يولي ولي عهد روسيا وجهه شطر أسرة الغراندوق سيريل (وهو ابن الغراندوقة فلاديمير) ولهذه الاسرة مقام خاص في بلاط القيصر . وكان زواج الغراندوق سيريل من الحوادث الغرامية الشهيرة فانه تزوج غراندوقة هس (مطلقة الغراندوق هس) فاصبح طريداً محتقراً في أعين الامراء والاميرات الى ان خاطب أبوه القيصر في أمره فاستحصل منه أمراً بعودة الغراندوق سيريل الى روسيا . وهذا الغراندوق على جانب عظيم من الجمال ولكن صحته انحطت وساءت جداً منذ الحرب الروسية اليابانية لانه كان مع الاميرال مكاروف على ظهر البارجة « بتروبالوفسكي » فنسفت البارجة ولم ينج منها الا باعجوبة . وله اليوم ابنتان من زوجته الجميلة المسماة فكتوريا ولهذه الغراندوقة مقام سام في البلاط الروسي فلا تقام حفلة الا وتحضرها . وقد اشتهرت منذ نشوب الحرب باعمالها المبرورة وخدمتها لجمعية الصليب الاحمر وكثيراً ما تذهب بالقطار الحديدي الى خط القتال لتأتي بالجرحى الى بتروغراد

ومما يروى عنها انها كانت في أثناء الحرب الروسية اليابانية مقيمة مع عمتها الدوقة كوبرغ ولم تكن قد تزوجت بعد . ففي صباح اليوم الذي نسفت فيه البارجة « بتروبالوفسكي » خرجت من مقصورتها مذعورة والدموع في عينيها وقالت انها حلمت فرأت ابن عمها سيريل قد غرق في البحر وهو يكافح الموج . وأزعجها ذلك الحلم حتى اضطرت أمها ان ترسل تلغرافاً الى الغراندوق فلاديمير تستعلم به عن صحة سيريل . وبعد بضع ساعات ورد الجواب بان البارجة بتروبالوفسكي قد غرقت وان الغراندوق سيريل نجا من الغرق باعجوبة

هذا وللغراندوقة فلاديمير ولدان آخران هما الغراندوق بوريس والغراندوق اندراوس . وقد اشتهر اولهما بشدة اقدامه وعزمه ولذلك يحبه القيصر وله مقام سام في البلاط وتتمنى كل اميرة ان تكون عروساً له لجمال خلقه وخلقه . على انه قد صرح مراراً بانه لا ينوي ان يتزوج مع ان والدته تسعى لتزويجه من الاميرة مود اوف فايف الانكليزية . أما اخوه فيقضي معظم اوقاته في سان موريتز ويظن انه مصاب بالسل

بقيت لنا كلمة عن الغراندوقة ماري بافلوفنا التي كانت زوجة الامير وليم الاسوجي ثم تطلقت منه في اوائل سنة ١٩١٤ وعادت الى بتروغراد . ومع ان اهالي اسوج كانوا يحبونها فانها لم تستطع سلوان وطنها ولا طاقت احتمال ثلوج اسوج وشتاءها القاسي . وكانت وهي هنالك كثيرة الاسراف والبذخ تنفق من غير حساب . ولم تستطع الاقامة مع زوجها فانفصلت عنه ثم انتهى الانفصال بالطلاق ولما نشبت الحرب الحاضرة تطوعت لخدمة الصليب الاحمر ولا تزال تعمل فيه بهمة لا تعرف الكلل

خواطر

اذا كنت لا تستطيع أن تنظر امامك لان مستقبلك مظلم ولا خلفك لان ماضيك مؤلم فارفع بصرك الى فوق تجد الراحة والسكينة

خير ان تمشي ولو عارجاً من أن تضيع وقتك في ندب حظك والرثاء لشقائك

بالصداقة تتضاعف مسرتنا وتخف آلامنا

لو عنينا العناية الحقة بما يكشفه لنا الله من الآيات لما بقي لنا وقت للتفكير بما لم يكشفه لنا (دوماس الصغير)

الضمير النقي خير الوسادات

بئس الرجل الذي يموت معروفاً من الناس ومجهولاً من نفسه (سنيكا)

العمل يقي الانسان ويشفيه من أمراض كثيرة . فهو الطبيب الاعظم لاضطرابات العقل

اسماء الاعلام

تاريخها واشتقاقها ومعناها

لا يقتصر درس تاريخ الاسماء على معرفة اصلها ومعناها بل انه يفيد فوائد جمة عن حالة الشعوب التي استعملتها وعن تأثير الدين والسياسة فيها ، وعن عاداتها واخلاقها وشاعريتها . ثم انه يدل على ابطال الشعوب وعظمائها — اذ ان الناس سريعو التقليد في الاسماء كما في غيرها — بل يمكن قياس مكانة أولئك الابطال والعظماء بدرجة شيوع اسمائهم . زد على ذلك انه يستنتج من درس بعض الاسماء معرفة الجهات القديمة وموقعها وحدودها ولا يخفى ما لذلك من الشأن في علم الجغرافية التاريخية

على ان استخراج النتائج العلمية من درس الاسماء والاستدلال بها على الاحوال الادبية والاجتماعية بحث قائم بذاته وهو لا يزال في أوله لقلة الباحثين فيه ولا بد له قبل ان يتكوّن على صورة علمية من جمع الامثلة الكثيرة وتحقيقها وتنسيقها

ولا ريب في ان الناس كانوا يقتبسون اسماء آلهتهم ولاسيما ايام كانت تلك الآلهة في اوج رفعتها . وشيوع اسم من الاسماء في عصر مخصوص يدل على ظهور بطل بذلك الاسم حاز اعجاب قومه وتمجيدهم — وقد يكون ذلك البطل ملكاً او سياسياً أو نبياً او غير ذلك

واذا اقتبس شعب ضعيف اسماء شعب اقوى منه فهذا دليل — في الغالب — على انه قد ذل له وخضع لحكمه . ثم ان اعراض قوم عن بعض الاسماء الدينية الاصل واستبدالهم اياها باسماء أخرى كثيراً ما يدل على مجرى التطور الديني . اما الاسماء الجغرافية اي المنسوبة الى مدينة او مقاطعة او نحو ذلك فقد تبقى مستعملة زمناً بعد زوال المدينة او المقاطعة المنسوبة اليها — كاسماء الاشراف الاوربيين مثلا فانهم لا يزالون يتوارثون اسماءهم منذ ازمنة قديمة وان تكن الجهات التي تنسب اليها قد ضئلت او تلاشت

وجملة القول انه يمكن تقسيم الاسماء بالنظر الى اصلها واشتقاقها الى خمسة اقسام رئيسية :

(١) الاسماء المشتقة من اسم إله او قديس او بطل

(٢) الاسماء المنسوبة الى جهة او مدينة او مقاطعة او قرية

(٣) الاسماء الدالة على بعض الصفات — وكثيراً ما لا ينطبق الاسم على المسمى

(٤) الاسماء المركبة

(٥) الاسماء الغامضة المجهولة الاصل

ان الاسماء كالازياء تجيء وتذهب ثم تعود فتهمل ، ولبعضها صبغة عامية وضيعة في حين ان للبعض الآخر رنة عظمة ورفعة . ويلاحظ ذلك عند الانكليز على الخصوص فان طبقات الاشراف عندهم شديدة الاحتفاظ باسمائها ويندر ان تلجأ الى استعمال اسم عامي — وكذلك ايضاً في مصر فللأسماء الخاصة رنة فخمة مخصوصة وقلما يجسر عامي على اقتباسها

واذا درسنا الاسماء في مصر وجدنا لتطورات الحالة السياسية تأثيراً عظيماً فيها : فلما كانت مصر تحت الحكم الروماني اقتبس معظم المصريين اسماءهم . ولكن لما انتشرت فيها الديانة المسيحية اهملت تلك الاسماء واستبدلت باسماء يونانية مسيحية

وبعد ان فصلت كنيسة مصر عن الكنيسة الارثوذكسية اثر مجمع خلقدون رجع الاقباط الى اسمائهم الوثنية انتقاماً لانفسهم فتقلص ظل الاسماء اليونانية . كذلك عقب استيلاء العرب على مصر شاعت الاسماء العربية الصرفة بين الاقباط حتى لقد يخيل لقارئها انها اسماء بعض علماء الجامع الازهر لا اسماء مسيحيين

ولنا في هذا العصر الاخير ايضاً ما يثبت تلك النظرية — أي نظرية تقلب الاسماء وفقاً لتقلب السياسة — فلقد كثرت اليوم الاسماء الافرنكية وخف استعمال الاسماء العربية الموضوعة في قالب تركي (كرفعت وفهمي الخ . . .) وقد كانت كثيرة الشيوع . بل ان وفاة اللورد كتشنر حديثاً كانت باعثاً لكثيرين من الاهلين على اقتباس اسمه

والغرض من هذه المقالة ذكر بعض الاسماء الشائعة بيننا اليوم وبيان اشتقاقها ومعناها وتاريخ استعمالها بقدر المستطاع . وسنقتصر على الاسماء التي من اصل غير عربي

ابراهيم — مشتقاته ابراهام وابرآم وأفرام وافرايم وافرآم وبرهوما الخ . اصله عبري ومعناه (أبو الامم) ويظهر هذا الاسم في التاريخ أولاً علماً لابراهيم الخليل ثم امتنع استعماله بين اليهود ولكنه اعيد في عصر المكابيين . والمشتقات نشأت عن نقل

الاسم الى اليونانية وعن تبادل حرفي الباء والفاء في الاخيرة . راجع التوراة في حكاية سفر التكوين . وهو اسم علم عند كل الامم من مسيحية وغيرها — ويقال ان معنى افرايم (المثمر) ولكن يرجح رجوعها الى ابراهيم

ابادير — أو بادير يرجح انه يوناني الاصل Pater أي الاب واستعماله قريب العهد بين الاقباط

أجيا — Agia اسم انثى يوناني الاصل ومعناه القديسة او الطاهرة يرجع الى عصر الشهداء

أثناسيوس — وطناس وطنوس وأثناس وطنيسة . يوناني الاصل Athanatos ومعناه (الذي لايموت) . شهرة الاسم ترجع الى أثناسيوس اللاهوتي من اهل أوائل القرن الخامس الذي دافع عن المسيحية ضد هرطقة اريوس وكان بطريركاً للاسكندرية وينسب اليه قانون الايمان الذي نص في المجمع المسكوني المنعقد في نيقية

اخنوخ — اسم نبي عبراني معروف . كثير الاستعمال وقد سقط حرف الخاء الاول في نقله الى اليونانية فصار Enoch والعامة تقول نخنوخ ومعناه مأخوذ من (التكريز) راجع تكوين ص ٥ ع ١٨

أستير — Esther اسم عبراني لكوكب الزهرة وهي التي توجت ملكة عوضاً عن Vashti الاشورية . استعمل اسمها اولا في التوراة لشابة يهودية نجت اليهود بشفاعتها عند الملك احشويرش الاشوري . وبمناسبة ذكر سفر استير نقول ان هذا السفر هو الوحيد في التوراة الذي لم يرد فيه اسم الله ولا مرة واحدة

اسحق — عبراني . راجع سفر التكوين ص ١٧ ع ١٩ . معناه (الضحك) ذكر (جروف) Groff في المجلة الأثرية المصرية Revue Egyptologique لسنة ١٨٨٣ أن بين اسماء الامم التي اسرها طوطميس الثالث اسمين هما (اسحق ايل) ويعقوب ايل) واثبت ان هذين الاسمين هما لطائفتين مخصوصتين من اليهود

أرميا — اسم النبي المشهور معناه (الله امر)

أشعيا — اسم النبي المشهور معناه بالعبراني (خلاص الله)

اسماعيل — ابن ابراهيم اسم عبراني معناه (سمع الله) راجع سفر التكوين ص ١٦ ع ١٥

استفانه — يوناني الاصل مؤنث استفان واستفانوس . معناه (التاج) واول

من سمي به استفانوس الشهيد . راجع سفر اعمال الرسل ص ٦ ع ٥ وص ٧ ع ٨ وص ٥٨

إسكندر — ومؤنثه اسكندرة يوناني الاصل ومعناه (المحامي عن الناس) وأول من سمي به في التاريخ اسكندر الاكبر المقدوني . ويرد ذكر هذا الاسم في اعمال الرسل ص ٤ ع ٦ و ١٩ ع ٣٣ وفي مرقس ص ١٥ ع ٢١ وفي رسالة تيموثاوس الاولى ص ١ ع ٢٠ والثانية ص ٤ ع ١٤ . وسمي به من البطالسة اثنان منهما اسكندر ابن كليوباترا

ايوب — اسم للنبي المشهور بصبره . راجع سفره في التوراة . ربما كان معنى اسمه (المضطهد). ويظهر ان ايوب كان عربياً لان تراكيب اللغة في سفره واسماء الحيوانات فيه الخ . مما ينم عن بلاد العرب

اندراوس — اسم لاحد الرسل يوناني الاصل معناه (الرجل) اي فيه صفة الرجولة . راجع مرقس ص ١ ع ٢٩ ومتى ٤ ع ١٨ ومرقس ١٣ ع ٣ ويوحنا ١ ع ٤٠ وص ٦ ع ٨ و ١٢ ع ٢٢ اعمال ١ ع ١٣ . ومنه (نذره)

أروبسيمه — وربسيمه اسم قبطي (؟) الاصل قليل الاستعمال بين السيدات

انجلينا وانجيل — اسم يوناني الاصل معناه (شبيهة بالملائكة)

اماليا — اسم لسيدة مؤنث اميل استعمل حديثاً بين المصريين . لاتيني مأخوذ عن كلمة يونانية معناها (المتملق)

الياس وايليا — اسم عبراني للنبي المعروف . راجع سفر الملوك ص ١٧ ع ١ . واستعمل عند كل الطوائف بعد ذلك معناه (يهوه هو الله)

انطونيوس — طنيوس وانطون وانطوان وانتونينوس الخ . اسم لامبراطور من امبراطرة رومه استعمل بين الاقباط قبل المسيح لاتيني الاصل ومعناه (عوض)

اسرائيل — اسم لطائفة اليهود . راجع تاريخ التسمية في سفر التكوين ص ٣٢ ع ٢٨ . وسمي به يعقوب ومعناه المصارع مع الله أو عسكري الله . عبراني

اكليمنضوس — Clement اسم لبطريرك الاسكندرية المشهور بكتاباته التاريخية عاش في القرن الثاني . وهو لاتيني الاصل معناه (شفيق وحنون)

اقلوديوس — قلادة وقلدس وقلته الخ اسم لامبراطور الرومان . ورد ذكره في سفر اعمال الرسل ص ١١ ع ٢٨ . لاتيني الاصل معناه (الاعرج) ويوجد ثلاثة رجال اشتهروا بهذا الاسم اهمهما اقلوديوس المؤرخ المعاصر لسلا وطيباريوس قلوديوس دروسوس نيرون جرمانس

اسكاروس — اسم متأخر ظهر في القرون المتوسطة معناه (القوي)

ايسيداروس — وسيداروس وسدرة . يوناني او لاتيني . ويوجد بهذا الاسم اثنان من مشاهير الرومان اولهما اسيدورس الجغرافي واسيدور رئيس اساقفة اسبانيا الكاتب المشهور في القرن السابع م

استينا — اسم لسيدة معناه (القوية) يوناني استعمل في القرن الثامن

ابسخيرون — وبسخرون . اسم يوناني ربما كان محرفاً عن اسكاروس مع اضافة حرف الباء وهو اداة التعريف القبطية او كان معناه (الصائم) اسم الشهيد من عصر دكيوس الامبراطور سمي به بسخيرون الجندي

باخوم — باخوميوس اسم احد الرهبان . وهو مؤسس رهبنة الشركة Cenobite عاش في القرن الخامس ولكن الاسم موجود من قديم ويرجع الى عصر البطالسة او ما قبله وسمي به الوثنيون ومعناه (النسر) من القبطية

باسيليوس — باسيلي وواسيلي . ومؤنثه واسيله . معناه ملك وهو اسم باسيلوس بطريرك القيصرية الكبير وينسب اليه كتابة القداس المستعمل في معظم الكنائس الشرقية الآن . يوناني

بارتلماوس — اسم احد الرسل ومعناه (المنسوب الى طلماي) . يوناني

برثانيا — اسم لسيدة معناه (البتولية)

بسطوروس — بسطه واسطاوروس واسطاورو معناه الصليب وحرف الباء هو اداة التعريف القبطية مضافة الى الكلمة اليونانية وقد اشيع استعماله بعد قسطنطين الامبراطور وترجم الى العربية واستعمل اسماً علماً ايضاً

بطرس — بطره وبدروس Pierre يوناني معناه (الصخرة) وكان مستعملا قبل المسيحية ولكن كونه اسم بطرس كبير الحواريين اشهر استعماله

بانوده — اسم قبطي معناه (عبد الله) قليل الاستعمال وحرف في اليونانية الى Paphnutius بافنوتيوس

بسنده — قبطي معناه (الاساس)

بساده — قبطي معناه (النور)

بشاي — قبطي معناه (العيد) وقد استعملت الترجمة العربية اسماً علما

بلامون — وفيلامون . اسم مزيج المقطع الاول منه يوناني معناه (حبيب)

والثاني اسم (آمون) من المعبود الاكبر واستعمل من ابتداء عصر البطالسة ويوافقه (ميامون) المصري الصرف وهو لقب رمسيس الكبير

بقطر — Victor . لاتيني معناه بالعربية (منصور) واستعملت الترجمة ايضاً علماً وكان مستعملا في الوثنية عند الرومان ولكن المسيحيين الاول رمزوا باستعماله الى النصر بالايمان

برسوم — يوناني . معناه (مكشوف الجسم ، عريان) وكان يسمى به متقشف عاش في القرن الرابع عشر للميلاد في عصر شجرة الدر وكان يسمى برسوم العريان لانه كان غاية في التقشف ولكن استعمال عريان مجازي في التعري عن الرذائل

بنيامين — عبراني . معناه (ابن اليمين) او المسعد وهو اسم ابن يعقوب الاصغر وكانت اول تسميته (بن ادنى) اي ابن شقائي . راجع سفر التكوين ص ٣٥ ع ١٨

برباره — اسم لسيدة معناه (الغريبة) وهي شهيدة عاشت تحت حكم دكيوس

بولص — بولا . معناه (الصغير) اسم للرسول الشهير . راجع اسفاره

تادرس — تاوضروس . تدره . دروثاوس . درتاوس . مؤلف من مقطعين يونانيين Theo الله وDora عطية ومعناه (عطا الله)

تفيده — اسم لسيده اصله غير معروف

تيموثاوس — معناه باليوناني المعظم لله

توتو — قبطي معناه (صورة) او تمثال

تسامون — قبطي معناه (ابنة امون)

جنّونه — اسم لسيدة ربما كان مشتقاً من اسم الجنة العربي . (؟ ؟)

جورجي — جرجس . جاورجيوس . جاورج . جريج . جريس . جرس وجورج George مركب من مقطعين يونانيين اولهما Geo اي الارض وثانيهما اورجيوس Orgius اي عامل او فاعل . ومعناه (فلاح) وهو اسم لعدة مشاهير من الشهداء والناس ويعد من اكثر الاسماء انتشاراً بين المسيحيين

جبرائيل — وغبريال وجبره وجبران وجبور وربما ايضاً Jeffrey الانكليزية اسم عبراني لاحد رؤساء الملائكة ومعناه (رجل الله)

جرمانوس — اسم نادر الاستعمال بين الاقباط لاتيني معناه (جرماني)

حزقيال — النبي المشهور راجع سفره معناه (الله قوي) بالعبراني

حنا — وحنين . يوحنا (مونثه حنة) أنا . حنونه . حنينه . ويونس Jean. John Jane . يني الخ . معناه (الله تحنن) اسم ليوحنا بن زكريا . راجع انجيل مرقس . عبراني

داود — اسم لملك اليهود المعروف ابو سليمان الحكيم معناه (المحبوب ؟ ؟)

دميان — جميان . جميانه . اسم يوناني معناه (الغالب ؟) وسميت بهذا الاسم شهيدة استشهدت في حكم دكيوس ومعها اربعون عذراء

ديمتري — متري اسم يوناني معناه (العادل ؟)

دانيال — اسم للنبي المعروف عبراني معناه (الله حاكمي)

رفقه — اسم عبراني معناه (انشوطه) او سمينة

زكريا — زخاري . اصله عبراني معناه (ذكر الله)

سليمان — عبراني . معناه (سلامة)

ساويرس — لاتيني اسم للامبراطور ساويرس Severus وقد سمي به عدة مشاهير . منهم ساويرس ابن المقنع المؤرخ المشهور . معناه (القاسي)

سرافيم — وشاروبيم أسماء للملائكة راجع سفر الخروج معناها مشكوك فيه . أصله عبراني أو مصري

سارابامون — اسم مصري مكون من اسماء ثلاثة معبودات (سار) من اوسار اي أوزيريس و (أب) من حابي معبود النيل و(أمون) المعبود الاكبر وسارابامون هو النطق اليوناني بمجموع الثلاثة الاسماء المصرية وهو من ضمن الاثار الوثنية التي بقيت رغماً من دخول المسيحية الى مصر

سارة — اسم عبراني سميت به امرأة ابراهيم الخليل معناه (رئيسة وملكة)

شنوده — وحرفت في اليونانية الى سانوتيوس Senuthuis اسم قبطي معناه (ابن الله) وكان اسماً لاحد مشاهير الكهنة في ابتداء القرن الخامس دافع عن المسيحية ضد اريوس في مجمع نيقية المسكوني وله دير باسمه في الوجه القبلي يسمى بالدير الابيض

صموئيل — اسم النبي المعروف معناه بالعبراني (سمع الله) او (اسم الله)

صوفيا — يوناني معناه (الحكمة)

صابات — اليصابات وأليزا وليزا . عبراني معناه (الله قسم)

عديلة — ومقابلها الافرنجية Adèle اسم انثى ومعناه بالعربية مشتق من العدل والتعديل . وبالافرنجية غير معروف

عمانوئيل — اسم عبراني معناه (الله معنا)

عازر — معناه (عزاء) عبراني

غطاس — ترجمة الاسم اليوناني Baptiste أي المعمدان

فيلوثاوس — وتاوفيلس وفلتس وفلتاوس . كلها مركبة من مقطعين يونانيين philo ومعناه حبيب و Theos ومعناه الله اي (حبيب الله)

فردوس — اسم انثى معناه (جنة) اصله فارسي

فلبس — فليب . (محب الخيل) يوناني

كيرلس — اسم يوناني معناه (عبد الرب) وسمي به كيرلس الكبير بطريرك الاسكندرية من اهل القرن الخامس

كيرياكوس — يوناني معناه (شريف ، من الاشراف)

كترينا — كتورا . اسم يوناني معناه غير معروف

كركور — غرغور وغريغاريوس واغريغوريوس . اسم رومي لبطريرك مشهور معناه غير معروف

لولا — اسم قبطي معناه (لطيفة) ولولو بالعربية معناها معروف

ليا — اسم سيدة عبراني تكوين ص ٢٩ ع ١٦ . معناه (كسولة أو بقرة وحشية)

لوقا — لوكا اي التابع الى لوكانيا

مكسيموس — معناه (العظيم) يوناني

مكاريوس — مقار مكاري ومعناه سعيد ويوناني

منقريوس — مرقوريوس لاتيني اسم للنجم Mercury عطارد

ميخائيل — ميخا . ميشيل عبراني معناه (مَن كالله) ربما كان استفهاماً ؟

مينا — اسم مصري من أقدم أسماء العالم سمي به اول ملك حكم على مصر معناه (الثابت)

مرقص — اسم لاتيني معناه (مطرقة)

متى — أصله عبراني أي (عطية) وحرفت في اليوناني الى Mattheos فصار معناها (المنتسب الى الله)

مريم — اسم علم لام المسيح معناه (المرّة) عبراني

مجلي — يوناني معناه (الكبير)

مسيحة — اشتقاق من المسيح أي الممسوح

مرثا — عبراني معناه (عزاء)

نسامون — اسم قبطي مصري معناه (المنسوب الى أمون) مستعمل من العائلة ١٨ أي ٢٠٠٠ ق . م .

نوح — معناه (الراحة) عبراني

نخلة — نقولا . معناه (المنصور) يوناني

ويصا — اسم مصري قديم لمعبود (بيسا)

يعقوب — (الذي يعقب) اسم لابن ابراهيم

يوسف — معناه (سيزيد) عبراني

يونان — عبراني معناه (حمامة)

الدكتور جرجي صبحي

عجائب العالم

في العصور القديمة والوسطى والحديثة

اطلعنا في تقويم صدر حديثاً على قائمة حوت عجائب العالم المشهورة في العالم القديم وبجانبها عجائب العصور المتوسطة فعجائب العصر الحديث . وقد ذكرنا هذه القائمة في بعض الاهلة السابقة ولكنها لم تكن وافية فنوردها الان كاملة

عجائب العالم القديم	عجائب العصور الوسطى	عجائب هذا العصر
الاهرام	ملعب الكوليزيوم في رومة	التلغراف اللاسلكي
منارة الاسكندرية	مدافن الاسكندرية	التلفون
حدائق بابل المعلقة	سور الصين العظيم	الطيارة
هيكل ديانا في افسس	آثار ستونهنج بانكلترا	الراديوم
تمثال جوبتر صنع فيدياس	برج بيزا المائل	المطهرات
قبر ارتميزيا (موزوليوم)	برج نانكين (من البورسلين)	تحليل النور بالسبكتروسكوب
تمثال ابولو في رودس (كولوسوس)	جامع ايا صوفيا في الاستانة	اشعة رنتجن

ريح القنابل

هل تُحدث اختلالاً في الجسم بدون اصابته

تلك مسألة اختلفت فيها الآراء . فقد ذُكرت حوادث مختلفة في الحروب السالفة تشير الى حدوث اختلال في بعض اعضاء الجسم او في الجسم كله أثر مرور قنبلة على مقربة من الانسان وان لم تصبه . بل قد ذكروا ان بعض الجنود كانوا يموتون من جراء ذلك من غير أن يظهر على اجسامهم ادنى جرح او اصابة

على ان الاطباء والعلماء الذين درسوا هذا الموضوع في القرن الماضي انكروا تلك الحوادث وعللوها تعليلاً يؤخذ منه أن الريح الناشئة عن مرور قنبلة بقرب الجندي واختلال ضغط الهواء من جراء ذلك لا يؤثران فيه مباشرة تأثيراً يذكر . وانما قد ينشأ التأثير عن الخوف والذعر

ولما نشبت الحرب الحاضرة طرحت هذه المسئلة ثانيةً على بساط البحث ويؤخذ من التقارير والمباحث التي دونت فيها ان الرأي السالف خطأ وان هناك تأثيرًا حقيقياً مسبباً عن ريح القنابل

اما الحوادث المنسوبة الى مرور القنابل بقرب الانسان فعلى انواع متعددة : فقد ذكر مشاهدو الحروب الماضية عللاً متنوعة نشأت عن ذلك منها الصمم والبكم بصورة دائمة او لمدة معينة ، وذكروا ايضاً ان جثثاً كثيرة كانت توجد هامدة من غير ان يقف فاحصوها على ادنى خدش او جرح فيها . والاغرب من ذلك ادعاء بعضهم ان لتلك الرجة الهوائيـة الفجائية تأثيرًا محمودًا شافياً من بعض الامراض العصبية وغيرها

وفي مقدمة الذين عنوا فيما مضى بدرس هذه المسئلة درساً وافياً العالمان الفرنسيان البارون لاري (الذي جاء مصر مع نابليون) وليتريه . وآراؤهما متشابهة فيها فقد ميزا في درسها بين التأثير النفسي والتأثير الجسـدي . أما التأثير النفسي

فهو الخوف والذعر وقد ينشأ عنهما اختلال بعض الوظائف ولا سيما النطق والبصر. اما التأثير الجسدي فقد علَّلاه تعليلاً آخر وهو ان القنبلة اذا وقعت على الجندي عند آخر مسيرها تقع عليه منحنية بحيث يحتمل ان تؤثر في الاعضاء الداخلية كالعظام مثلاً من غير ان تخدش البشرة او اللحم لمرونتهما. ولعل افضل ما يقرب ذلك الى الفهم رض الجسم تحت عجلات العربة فقد تكسر العظام الداخلية من غير ان يجرح الانسان من الخارج

وجملة القول ان هـذه المسئلة كانت تعد عند المستنيرين من الخرافات التي لا ينبغي الالتفات اليها ولا سيما بعد ما كتبه هذان العالمان

أما اليوم فان المسئلة قد اختلفت بعض الشيء لاختلاف القنابل والمقذوفات في هذا العصر عنها في العصور السابقة. فلئن صح انه في استطاعة القنابل الثقيلة رض الجسم من غير خدشه فهذا لا يعقل اليوم باستعمال القذائف المفرقعة التي تدفع بزخم هائل وتنفجر بقوة عظيمة. وقد أثبتت المشاهدات والتجارب العديدة التي أجريت في هذا الباب صحة النظرية القديمة القائلة بتأثر الجسم من اضطراب الضغط الهوائي

ولا بد لنا الآن من ايراد بعض الأمثلة المثبتة لتلك النظرية: فمن ذلك ان أحد الذين نجوا بعد غرق الطراد الالماني «بلوخر» ذكر تأثير تساقط القنابل على تلك المدمرة قال: «كان الرجال يتمايلون ويقعون كأنهم في وسط عاصفة . . . وفي غرفة الماكينات كانت تلك العاصفة تلتقط الرجال وترميهم صرعى بين الآلات والعجلات».

ولا ريب في ان حوادث الصمم الناشئة عن ريح القنابل كثيرة. قال أحد الاطباء: «عالجت جندياً أصيب في خارج أذنه بجرح خفيف من غير ان تدخل الرصاصة الى داخل الاذن الا اني مع ذلك وجدت طبلة أذنه مخروقة. بل ان كثيرين من الجنود والضباط اضطروا الى ترك الخدمة على صفوف القتال لاصابتهم بالصمم وان لم يصابوا بادنى خدش أو جرح. وذكر بعض الاطباء حوادث عمى مسببة عن نفس السبب. وكذلك ذكروا حوادث كثيرة عن فقدان ملكة الكلام وعن

الاضطراب العصبي وغير ذلك

أما حوادث الموت فقد ذكر منها غير واحدة منذ نشوب الحرب ولا ريب اليوم انه يتعذر قبول تعليل العالمين الفرنسيين السالف ذكرهما ولا بد من نسبة تلك الحوادث الى اضطراب الضغط الهوائي وما ينشأ عن ذلك من الاختلال في وظائف الاعضاء ، بل ان الحوادث صريحة الدلالة في هذا المعنى فقد ذكر أحد الاطباء حادث رجل مات لوجوده على مسافة متر من قنبلة ضخمة عند انفجارها (وان لم تصبه شظية واحدة من شظاياها) — مات أثر انفجار رئتيه . وقد أقاموا تجارب في الحيوانات للتثبت من تأثير ريح القنابل فجاءت برهاناً جديداً على صحة تلك النظرية اذ ان أعضاءها كانت تتأثر تأثراً شديداً ولا سيما الرئة والطحال

ومما يثبتها أيضاً ان بعض الجنود كانوا يلقون امواتاً في مواقف طبيعية تدل على ان الموت أصابهم ضربة فجائية . ويتعذر تعليل تلك المواقف بغير تأثير مرور القنابل حتى ولو نسب الموت الى فعل الغازات السامة

فكيف يعلل هذا التأثير ؟ لقد اختلفت الآراء في تعليله فالبعض ينسبونه الى تأثير الهواء المضغوط مباشرة في الاوعية الدموية والاعضاء والبعض الآخر ينسبونه الى حدوث الفراغ بعد ذلك الضغط الشديد . ويرى غيرهم غير ذلك . ولنا في الاسماك ما يقرب الى فهمنا تأثير ضغط الهواء في الجسم فان بعض الاسماك التي تعيش في قاع البحور تنفجر اوعيتها حالما يصعد بها الى عمق اخف من العمق الذي اعتادت ان تعيش فيه . وما سبب ذلك الا اختلاف ضغط الماء على جسم السمكة

الدهر مرآة : ابسم لها تبسم لك ، اعبس لها تعبس لك

ليس الشقاء في الحوادث بل في الطريقة التي نستقبلها بها

كلما ضعف الجسم استأسر العقل وكلما قوي خضع له (روسو)

قبل الايمان بأي شيء يجب أن تؤمن بنفسك

الجمال هو الامضاء الذي يوقعه الله على أعماله

الكلب والانسان

٦ — علاج الكلب الكلِب

أهمل المتطببون الاقدمون تطبيب الكلب الكلِب وغيره من الحيوانات وحصروا جهدهم في ذكر طرق التطبيب في الانسان اذا مرض بهذا الداء

وسنذكر طرقهم ليعلم القارئ ذلك الفرق العظيم بين ما ذكره اولئك المتطببون وما وصل اليهِ اطباء اليوم وليقارن بنفسه كذلك بين قوم صوّروا من الخيال حقاً ومن الوهم علماً وبين قوم جعلوا عمادهم في علومهم ومباحثهم التجارب والاختبار والمشاهدة والاستقراء فحلوا احاجي الطبيعة واماطوا اللثام عما خفي من اسرارها وقواها واناروا طرق الاستكشاف وسهلوا وسائل الابتداع

ورد لداود الانطاكي في كتابه « النزهة المبهجة » في تشحيذ الاذهان وتعديل الامزجة » : ومن العلاج الناجب في سائر العضات تضميدها بالخل والملح والبورق والثوم والبصل والسلق والجرجير ايها وُجد والمكلوب (كذا) يجتهد ان يبقى جرحه مفتوحاً ويعالج بكل ما ينفي الخلط السوداوي وكبد الكلب مشوياً اكلاً ودمه شرباً ونابه تعليقاً أو لحم ابن يومه اذا دق بدقيق الشعير واستعمل كل ذلك مجرب الخ . ثم قال : والكلب اذا رأى في المرآة صورة كلب أو خاف من الماء اول اسبوع فلا علاج له ولا تؤمن غائلة الكلَب قبل ستة اشهر واذا استدارت العين أو احمرت أو شيب بياضها بخضرة فكلَب . وان شك في العضة هل هي من كلب كلِب أم لا فغمست بدمها (يعني العضة) لقمة ورميت الى كلب ولم يأكلها فكلب يجب علاجه وكذا الجرز والشاهبلوط (ابو فروة) اذا وضعا عليها ليلة واطعما دجاجة وماتت فكلب

وقال ايضاً في التذكرة : يجب التوقي عن اكل طعام المعضوض ومشروبه ولا ينبغي لاحد ان يأكل معه ولا من فضلته ومن عضه كلب فعلق على عضته ناب كلب آخر نفعه وأذهب ألم العضة مجرب . ومن عضه كلب فنظر وجهه في المرآة فان كان نظره على العادة الاولى صحيحاً فانه يخلص من مرضه وان رأى في المرآة صورة كلب فانه

يهلك ولا يبرأ . وكذلك من شرب من مرارة الذئب قبل الفزع من الماء خلص من عضة الكلب

وقال السيوطي في كتاب «تسهيل المنافع في الطب والحكمة» صحيفة ٢٤٧ والعلاج ممكن قبل ان ينكر (المريض) الماء فيبدأ عند العضة بان يكوي حولها بالنار وتضمد بثوم وفلفل وملح مدقوقين معجونين بعسل فانه يمنع السم من ان يسري في البدن ويستعمل هذا الشراب : — يؤخذ عسل منزوع الرغوة وسمن منقص يطلعان على النار ويطرح فيه من الثوم المقشر المسحوق قدراً يقوم نفعه ويترك حتى يغلي وتمتزج خاصية الجميع بعضها ببعض ثم ينزل ويشرب منه فاتراً ثم يستعمل ذلك كل يوم على الريق هكذا . فهذا انفع شيء لهذه العلة ويتغذى حساء معمولاً من الحنطة بلبن بقر وسمن وعسل فانه نافع جيد مجرب

وقال شيخنا : لعضة الكلب الكلب يشرب صاحبه من العسل كل يوم ثلاث جرع على الريق كل جرعة ملء الفم . ويكون طعامه البر ويتجنب الحامض رأساً ويكوي موضع العضة ويصان عن الريح القوية ويستعمل ذلك حتى تمضي المدة التي يخاف عليه (المصاب) فيها وهي من الاربعين الى الستين ولا يمس السدس أي الغسل فهذا احسن ادويتها والله اعلم

وقال في صحيفة ٢٤٨ من الكتاب عينه : قال شيخنا جمال الدين رحمه الله قد صدقت هذه التجربة في قوم عدة وهي اذا شرب المعضوض كل يوم على الريق اربعة اواق عسلاً محضاً خالصاً غير مشوب بالماء وصبر عليه الى الظهر واكل خبزاً وسمناً ساذجاً واستدام على العسل والحمية على هذه الصفة كل يوم مع اجتناب كل حامض البتة الى كمال اربعين يوماً برئ براء تاماً ولا يحتاج صاحبه الى علاج غيره سواء بدأ ذلك يوم العضة أو بعد ذلك بايام — وزعم بعضهم أنه جرب لذلك شرب السمن كثيراً مع المواظبة عليه اياماً فنفع من الكلب نفعاً بيناً وكذلك شرب القطران الا انه اورث صاحبه يبساً في العين

واذا بل شعر الانسان بخل عتيق وجعل على عضة الكلب الكلب يبرأ صاحبها . كذلك النخالة اذا عجنت وضمد بها عضة الكلب الكلب انضجت رأس العضة وخرج منها السم وسكن وجعها ومتى رأى المعضوض وجهه في المرآة فرأى فيها انساناً برئ وان رأى كلباً مات فاعرف ذلك

وقال الشعراني في مختصر تذكرة السويدي صحيفة ٨٠ : الحلتيت ينفع من عضة الكلب الكلِب شرباً وضماداً لاسيما اذا أضيف اليه ثوم وكذلك الحولان اذا شرب مراراً كثيرة نفع من عضة الكلب الكلِب واذا شرب منه كل يوم اربعة قراريط ونصف مدة اربعين يوماً متوالية ابرأ عضة الكلب الكلِب وكبد الكلب الذي عض اذا شويت واكل المعضوض منها كل يوم نصف مثقال سلم ولم يفزع من الماء ومما جرب أن من شرب دم كلب صحيح برئ من عضة الكلب الكلِب وكذلك الصوف المحرق ينفع اذا شرب ولحم الصدف اذا خلط بعسل وكذلك انفحة الجرو ثاني يوم يولد اذا أخذت وعجنت بدقيق الشعير وتركت حتي تجف وسقي منها من عضة كلب كلِب كل يوم دانقين من درهم ثلاثة ايام متوالية فانه يبرأ . كذلك الثوم اكلاً وضماداً وشعر الانسان اذا خلط بخل وضمد به ومنقوع لسان الحمل وورق التيل ودقيق الحنطة شرباً وضماداً وعصاره السذاب وزبل الديك او رماد الكرم والخل والاوز المركل هذه تنفع ضماداً

واذا سقي الماء الذي يطفأ فيه الحديد نفعه نفعاً عظيماً وهو لا يعلم انه ماء حديد وكذلك النطرون اذا حل في بول الانسان وضمد به ومما جرب ان الاصبع اليمنى من رجل الكلبة البيضاء اذا وضعت في ماء وشرب منه وكذلك شرب مرارة الذئب ثم ذكر مسألة المرآة السالفة اذا نظر فيها المعقور رأى وجهه وجه كلب فانه لا يبرأ وأشار بضرورة التوقي من اكل وطعام المعضوض ومن شربه أو من فضلته . وقال السيوطي في كتاب « الرحمة في الطب والحكمة » صحيفة ١٦٦ في علاج عضة الكلب : أحرق خرقة كتان وتأخذ رمادها وتعجن بسمن وخل وتوضع على العضة فان الوجع يسكن والورم يخف ويبرأ سريعاً ثم ان اكبر علامات الكلب وابينها الفزع من الماء ورؤية وجه المصاب في المرآة كوجه الكلب وان الكلاب اذا أطعمت لقمة اكل منها المصاب لم تقبلها ثم اشار بالكي والتضميد بالثوم

أما علاج المصاب نفسه فقد ذكر له علاجاً غريباً وهو أن تكتب في يد البقر السوس هذه الاسماء : توسيم عحليم لطول كفة قريم فتقف لشرناب طويم : ويفطر عليه سبعة ايام أو يفطر على الزبد ثلاثة ايام وتكتب هذه بدلا من الاولى وهي : أقش الموز أهون

أو يكتب للمعضوض حرز يعلق في عنقه فيه هذه الاسماء : بزيق بريق انده

زنده شاراقف جارارعج ممروح — او تكتب له هذه الاسماء في سبع قرصات يفطر كل يوم على واحدة منها وهي : فيلَسم فالنبدنا فاعرفو مجمد ما ابد واشرت فندا عسيناه عقدناه حجراً ارحو فقلت اجرح ربقط ياكذا وكذا من علة نزلت بك من علة الكلب المطعور بلا حول — او تكتب له خاتم الغزالي المثلث على خبز شعير غير مقلي وتكون طحنته بنت لم تبلغ الحلم ويطعم ثلاثة ايام وتكتب له : ولما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى الم ترَ كيف فعل ربك باصحاب الفيل

ونحن لا نحاول الرد على هؤلاء ولا نجادلهم في قيمة ما كتبوه ولا نحكم على مبلغهم من العلم بل نترك ذلك للاطباء فهم اصحاب الرأي والشأن ومن يراجع ما كتبناه آنفاً في اختلاف مدة الحضانة في القصر والطول وما ذكرناه عن العقر كيف لا يكون دائماً وابداً معدياً وما قلناه عن الظروف والاحوال التي من اجلها سقط معدل الاصابات الى النصف تقريباً — من يراجع ذلك يدرك سر رواج الاعتقاد الشائع في علاج الكلب بالسمن والعسل والدقيق وشرب مرارة الذئب

ومنذ سبعين سنة تقريباً[١] كان اطباء اوربا يطبون الكلب في الانسان والحيوان بالزئبق وكانوا يغطسون الاخير في الماء على حين غفلة ثم يسرعون في قطع الجزء المعقور ويضمدونه بمرهم مكون من ثلاث اواق من التربنتينا ممزوجة بصفار بيضتين مضاف اليها درهمان من مسحوق الكينا واوقية من الاستركس السائل ودرهم من روح التربنتينا ويستعملون بعد ذلك جرعة اطلقوا عليها اسم الجرعة الضارة للكلب وهي مكونة من منقوع ازهار واوراق الاناغاليس[٢] والفلوى الطياز بنسب مخصوصة يتجرعها الحيوان في النهار ثلاث مرات وفي المساء مرتين مدة ثلاثة ايام ثم يتجرعها صباحاً فقط ستة ايام ويستعملون مع هذه الجرعة احقان ملينة من مغلي ورق الخبازي او الخطمي او البنفسج . ويقول الاستاذ شايبر انه استعمل هذا العلاج في الانسان وغيره فنجح نجاحاً باهراً

هذه أشهر انواع التطبيب الذي كان مستعملاً في الزمن السابق ولعل اقربه الى الصواب كيُّ الجرح العقري او استئصاله مباشرة اما اعطاء المصاب الجرعة الضارة للكلب التي ذكرها روبينيه وقال بنفعها شايبر فانا نعتقد ان الاطباء سيسخرون منها

(١) التطبيب هذا مأخوذ من كتاب الاستاذ يوسف روبينيه وكان من مشاهير اطباء الحيوان في فرنسا (٢) المريجانه الحمراء

والذي يقول بان الكلب ينشأ من اكل حشيش مشتمل على مادة سامة ولا يسمى ذلك الحشيش ولا يشرح لنا تلك المادة السامة لا يبعد عليه أن يخترع جرعة مضادة للكلب واخرى مضادة للسل

ويعتبر العالم المتمدين اليوم الطبيب الذي يعالج الكلب الكلِب وهو عالم بذلك طبيباً مجرماً يستحق العقاب والتنكيل لانه فضلا عما يعرض له نفسه من الهلاك فانه في الوقت نفسه ينقل الاصل المعدي ويبثه بين الابرياء من الناس فمثله كمثل الذي يحمل آلات الهلاك ويهيئ اسباب الجرائم والكلب الكلِب يجب أن يقتل مهما كانت منزلته من قلوب اصحابه ومهما كان نوعه بين أنواع الكلاب وما الفائدة من الابقاء عليه وهو اذا كلب انكر اصحابه وذويهم ومال عليهم جميعاً بالعقر . واذا تقرر ذلك اصبح علاج المرض في الحيوانات محصوراً فيما يسمونه العلاج المانع — وهو ان يعدم الكلب الكلب وتوضع كمامات على افواه جميع كلاب الجهة التي ظهرت فيها الاصابة قال جورز Gourez في كتابه « امراض المجموع العصبي » : ارغام اصحاب الكلاب على وضع كمامات في افواه كلابهم سنة واحدة تكفي لزوال الداء من الجهة التي فشا فيها بتاتاً

ظهرت اصابات كثيرة بالكلب في برلين سنة ١٨٥٣ فارغمت الحكومة اصحاب الكلاب على استعمال الكمامات ثلاث سنوات فمضت تسع سنوات بعد ذلك لم تظهر في غضونها اصابة واحدة وفي سنة ١٨٨٩ ظهرت في لندن ١٢٣ اصابة بالكلب فارغمت الحكومة اصحاب الكلاب باستعمال الكمامات وشددت في مراقبة ذلك فلم تظهر حتى اوائل سنة ١٨٩٢ الا ثلاث اصابات ولما اهملت المراقبة ظهرت ٧٢ اصابة في الثلاثة الشهور الاول من سنة ١٨٩٦ — ويجب أن يكتب على اطواق الكلاب اسماء أصحابها ومحال سكناهم وكل كلب يرى بدون كمامة أو يرى ضالا يقتل مباشرة والكلاب والقطط التي يعقرها كلب كلِب تحبس في اقفاص من الحديد ويراقبها مدة ستة اشهر طبيب موثوق بعلمه ويعالج الجرح العقري في الانسان بواسطة الكي بالحديد المحمى او البوتسا الكاوية أو بحامض الفنيك المركز او نترات الفضة او بكلورات الزنك ويحسن أن يقنع الطبيب المريض بانه قد نجا من الهلاك بعد الكي

(يتبع) الدكتور حسن ذهني

طبيب مستشفى جمعية الرفق بالحيوانات في القاهرة

السؤال والاقتراح

(١) لا ننشر في هذا الباب الا الأسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القراء فقد نغفل الرد على بعض الأسئلة اما لكونها خصوصية لا تفيد الا أصحابها أو لكوننا قد أجبنا عليها في بعض الاعداد الماضية (٢) نظراً لكثرة الاسئلة التي ترد الينا قد نضطر الى تأجيل الرد على بعضها فنلتمس من السائل عذراً في هذه الحال (٣) ينبغي ان تذكر في الاسئلة أسماء مرسليها . على انه يجوز الرمز الى السؤال باحرف أو بكلمة عند نشره

شيعة النصيرية

﴿ كرينوود . مسيسبي ﴾ أسعد افندي سليمان

من هم النصيرية وما هي شيعتهم وما تاريخها والى من ينتسبون في مذهبهم وما هي عقائدهم وعاداتهم ؟

﴿ الهلال ﴾ النصيرية طوائف شتى بعضها في ولاية بيروت والبعض الآخر في ولاية حلب وهم يقيمون في الجبال الكائنة في جهات انطاكيه وطرابلس الشام واللاذقية فيما يلي سلسلة لبنان الشمالية وتعرف هذه الجبال « بجبال النصيرية »

واحصاء النصيرية كما يأتي :

٩٧٠٠٠ في ولاية حلب

٢٥٠٠٠ » » بيروت

١٢٢٠٠٠ مجموعهم

ويوجد منهم أيضاً في دمشق والصالحية

والنصيرية فرع من القرامطة الذين نشأوا في أرض الكوفة من العراق العربي وكان لهم شأن في التاريخ الاسلامي وهذا اللقب مأخوذ من حمدان بن قرمط الذي كان يلقب « بصاحب الخال » و « المطوق » و « المدثر » وقد ظهر سنة ٢٦٤ هـ وسمى تعاليمه بعلم الباطن ولذلك تعرف طائفته أيضاً « بالباطنية » ومن هذه الطائفة الاسماعيلية والرافضة والدولة الفاطمية التي نشأت في مصر

فالنصيرية هم كما تقدم فرقة من الباطنية أو القرامطة يجتهدون في اخفاء مذهبهم وديانتهم ويتظاهرون بالاسلام ، فمن عقائدهم أنهم يقولون بالتناسخ كالدروز ، والناظر

في عقائد هاتين الامتين يرى فرقاً عظيماً بينهما ، اذ ان الدروز يمتازون بالمحافظة على العفة. أما النصيرية فانهم يعتقدون ان الزنا مباح وهم ينقسمون الى فرق متعددة فبعضهم يعتقد ان النساء في درجة الحيوانات لا نفس لهن وعلى ذلك فلا ثواب لهنّ ولا عقاب عليهن

واعتقادهم في التناسخ هو أن الارواح عندهم تحل في البهائم والحشرات والمعادن ويكون ذلك على مقدار ما عليه المتوفى من التوقي أو العصيان . فمن يكرم الضيف ويؤدي حقوق الغرباء تحل روحه في اجساد بشرية على حسب مرتبته فان كان من الابرار تحل روحه في اولاد الملوك والعكس بالعكس

أما إلحادهم فيما يتعلق بالالوهية فلا يشبه عقيدة امة من الامم مطلقاً فهم يقولون ان الالوهية لهابيل ثم انتقلت الى اسماعيل فهارون فشمعون المعروف عند النصارى ببطرس الرسول ثم انتقلت الى عليّ بن ابي طالب واستقرت فيه الى ان صعد الى السماء وحلّ في الشمس وانه موجود فيها حتى الآن ، وهم يدعون المقداد بن الاسود الصحابي برب الناس ، ويقولون ان علياً خلق محمداً وان محمداً خلق سلمان الفارسي وان سلمان خلق المقداد وان المقداد خلق سائر العباد

والخلاصة انهم يشبهون الدروز بعض الشبه في التناسخ ويشبهون المجوس بعبادتهم الشمس وتعظيمهم الكواكب ، ويشبهون النصارى في تعظيمهم بطرس واستعمالهم الخمر في الاجتماعات الدينية وتحليلهم شربها ، ويشبهون الروافض في غلوهم في تعظيم علي بن ابي طالب والائمة الاثني عشر

شهاب الدين المنوفي

﴿ منوف ﴾ بسيوني افندي نجم شهاب الدين

اطلعنا على اسم شهاب الدين المنوفي . ولما كان هذا الاسم يشبه اسمنا وبالاخص انه منسوب الى بلدنا فنرجوكم التكرم بنشر تاريخ هذا الرجل وارشادنا الى كتبه

﴿ الهلال ﴾ هو ابو العباس احمد بن محمد بن محمد بن عبد السلام شهاب الدين المنوفي الشافعي ولد في منوف سنة ٨٤٧ هـ وتعلم وترقى حتى صار قاضياً فيها وتوفي سنة ٩٣١ هـ . وله من المؤلفات :

(١) الفيض المديد في اخبار النيل السعيد . في مرسليا
(٢) البدر الطالع من الضوء اللامع . مختصر الضوء اللامع للسخاوي . في فينا وباريس

المورفين

﴿ منوف ﴾ ومنه

لي صاحب تعود الحقنة تحت الجلد بالمورفين حين تأتيه نوب مرض الجنب حتى اصبح الحقن عنده عادة لا يقدر على تركها . فما رأيكم في ذلك وكيف يمكن حمله على الاقلاع عنها

﴿ الهلال ﴾ أعظم فائدة للمورفين هي تسكين الالم . ولكنه سلاح ذو حدين . فيجب الا يستعمل الا باشارة الطبيب . وعلى الطبيب ان يكون حذراً في الاذن بتكرار استعماله والا نتج عن ذلك تعلق المريض به وقد يكون ذلك أشد ضرراً على المريض من مرضه . ومن يستعمل المورفين مرتين في الاسبوع ويكرر ذلك مراراً يصبح في حكم المعتاد له ويتدرج الى استعماله في كل يوم . والعلاج يكاد يكون مستحيلا خارج المستشفى حيث يلزم المراقبة التامة مع تخفيف الجرعات يومياً وربما أعطي المريض مخدرات اخف فعلا للاستعانة بها مع بعض الادوية وأهمها بيكاربونات الصودا وهو يؤثر في الجسم فيجعله اقل تطلباً للخدر . وفي هذه المدة يكون الطبيب قد جرب التأثير العقلي (البسيكولوجي) واقنع المريض بامكان شفائه فيحصل ذلك فعلاً . وصاحب الارادة القوية لا يعود الى تعاطيه ثانياً

القراءة عن بعد

﴿ كوخوتيباه . سلفادور ﴾ حبيب افندي قطان

هل مقدرة الانسان على القراءة عن بعد متر مرض ؟ وهل يمكن تطبيبه بدون طبيب

﴿ الهلال ﴾ امكان قراءة الاحرف الصغيرة قليلا عن بعد متر مع امكان قراءتها عن قرب هو حالة صحية . ولكن قراءتها عن بعد متر مع عدم امكان ذلك عن قرب فانه حالة مرضية . ويصاب الانسان بذلك بدرجات متفاوتة بعد

من الاربعين ويعالج باستعمال نظارات خصوصية مكبرة وقت اللزوم فقط . ولا يكون ذلك شافياً

التلقيح في النبات والانسان

﴿ الاسكندرية ﴾ حسن افندي عبد المطلب

ان الزهرة اذا كانت بيضاء ولقحت من اخرى حمراء تكتسب بعض صفاتها فهل اذا لقح طفل صغير بدم رجل يكتسب بعض صفاته ؟

﴿ الهلال ﴾ تلقيح نبتة لا يغير في صفاتها . بل ربما غير في صفات النبتة الملقحة النامية عليها . ولا يوجد ادنى مشابهة بين هذا وبين تلقيح طفل بدم رجل اذ مركز الصفات في الانسان الدماغ ولا يمكن أن يؤثر تلقيح الدم في تركيبه او وظيفته

سبب النغش

﴿ مصر ﴾ ا . ر .

ما سبب النغش او « الزغزغة »

﴿ الهلال ﴾ سببه شدة احساس الاعصاب الجلدية في مواضع خصوصية من الجسم

مؤلفات الدكتور غوستاف لوبون

﴿ مصر ﴾ ومنه

ما هي اشهر مؤلفات الدكتور غوستاف لوبون ؟

﴿ الهلال ﴾ للدكتور لوبون مؤلفات كثيرة يمكن ان تقسم على الاجمال الى قسمين : المؤلفات العلمية ، والمؤلفات التاريخية والفلسفية . وقد اشتهر على الخصوص بهذه الاخيرة وأهمها — فضلا عن « مدنيات الهند » و« مدنية العرب » و « مدنيات الشرق الاولى » و « الانسان والجماعات » — « السنن البسيكولوجية (أي النفسية) لتطور الامم » و« بسيكولوجيا الجماعات » و« بسيكولوجيا الاشتراكية » و« بسيكولوجيا التربية » و « البسيكولوجيا السياسية » و « العقائد والآراء » و « حياة الحقائق »

والاطباء وكل ذي مقام سامٍ يتقدمهم حضرة صاحب الدولة الرئيس حسين رشدي باشا ومحضرات اصحاب المعالي عدلي يكن باشا وزير المعارف وسعد زغلول باشا واحمد حشمت باشا واصحاب السعادة احمد زكي باشا ومحمود صدقي باشا واسماعيل حسنين باشا وعدد غفير من الوجهاء والعلماء والادباء

فافتتح الجلسة العالم الفاضل الدكتور عيسى حمدي باشا . وخطب بعده الدكتور كيتنج رئيس مدرسة الطب بالانكليزية . ثم تلاه الدكتور محمود بك ناشد مؤبناً الفقيدين . وبعد ذلك انشد الدكتور سيد بك رفعت قصيدة . ثم سرد الدكتور محمد افندي مبارك تاريخ المغفور له ابراهيم حسن باشا . وتلاه الدكتور محجوب افندي ثابت فتكلم عن خسارة الطب بفقد هذين العالمين الجليلين . ثم وقف الشاب الاديب حسني افندي ميزار الطالب بمدرسة الحقوق فالقى قصيدة . ثم تكلم الدكتور حسن بك كامل من طنطا عن فضل شكري باشا في الطب . ثم الدكتور عبد العزيز بك نظمي في صفات الفقيدين وفي واجبات الطبيب . ثم القى الاديب خيري افندي سعيد قصيدة باسم طلبة مدرسة الطب . وجاء دور حافظ بك ابراهيم فالقى قصيدة عصماء في الفقيدين . ثم قرأ الدكتور سيد بك رفعت ابياتاً نظمتها في رثاء الفقيدين حضرة الطبيبة السيدة عيوشة سامي

ثم وقف الدكتور علي بك ابراهيم رامز نجل المغفور له ابراهيم باشا حسن فالقى كلمة شكر بالفرنسية . وترجم كلامه الى العربية الدكتور عبد العزيز نظمي بك . وتلاه احمد افندي مختار شقيق المغفور له محمد شكري باشا فشكر الحاضرين بالعربية اولا ثم بالفرنسية . وختم الاحتفال كما افتتح ببعض آيات الذكر الحكيم

اللورد كرومر

جاءنا في الشهر المنصرم خبر وفاة اللورد كرومر فكان لهذا الخبر وقع شديد في نفوس المصريين لما عرفوه وخبروه عن ذلك السياسي النابغة الذي تولى منصبه بمصر في احرج الاوقات – وقت الانتقال من حال الى حال — فنظم ادارتها وقام باصلاحاته المشهورة في المالية والزراعة والتجارة وسائر احوال هذا القطر. بل أن تاريخ اللورد كرومر هو في الحقيقة تاريخ الاحتلال في مصر . وقد نشر الهلال في سنته

الخامسة عشرة أثر استعفاء اللورد كرومر مقالة وافية في الرجل وآثاره فنقتصر في هذا المقام على ترجمة الفقيد ومن شاء ان يتوسع في معرفة اعماله في مصر فليطالع المقالة المنشورة في السنة المشار اليها :

هو تاسع ابناء هنري بارنج احد اعضاء البرلمان الانكليزي ووالدته سليسيا انا كريمة الاميرال وندهام . ولد سنة ١٨٤١ ونشأ بمقاطعة نورفلك بانكلترا وسمي افلن بارنج وتثقف في المدارس العليا فلما بلغ السابعة عشرة انتظم في الجندية الانكليزية سنة ١٨٥٨ برتبة ضابط ملازم وبعد عشر سنين ارتقى الى رتبة كبتن (يوزباشي) سنة ١٨٦٨ والى رتبة ماجر (بكباشي) سنة ١٨٧٥ واحيل على المعاش سنة ١٨٧٩ فقضى في الجندية عشرين سنة ونيفاً . على انه تولى المناصب الادارية والسياسية قبل اتمام مدة جنديته فتعين سكرتيراً خاصاً لقريبه اللورد نورثبروك من ١٨٧٢—١٨٧٦ في أثناء حكمه على الهند . فلما طرأ على مصر ما طرأ في اواخر عهد الخديوي اسماعيل من الاضطراب المالي كان قد رقي الى رتبة بكباشي وظهرت مواهبه في المسائل المالية واقتداره على حل مشاكلها فعينته انكلترا سنة ١٨٧٦ مندوباً عنها في صندوق الدين. وفي عام ١٨٧٩ الذي استقال فيه اسماعيل اقيمت المراقبة المالية الثنائية بمصر فتعين الماجر بارنج أحد عضويها ولم يمكث طويلاً فعين مديراً لمالية الهند سنة ١٨٨٠ في عهد اللورد ريبون وظل في هذا المنصب ثلاث سنوات حدثت في الثانية منها الحوادث العرابية واحتلت الجنود الانكليزية مصر . وفي السنة التالية (سنة ١٨٨٣) اوفدته حكومة انكلترا الى مصر بلقب سير وسمته معتمداً سياسياً وقنصلاً جنرالاً لتنفيذ الاصلاح الذي اشار به اللورد دفرين في تقريره

تولى هذا المنصب الهام وهو في الثالثة والاربعين من عمره وقد اعتدل مزاجه وتمرّس بالاعمال السياسية والمالية وعلم انه يعمل عملاً تنظر اليه اوربا بعين الناقد فاخذ يشتغل بنشاط وتعقل واتفق ظهور المهدي وقيام اهل السودان على حكومتهم المصرية فرأى بقاء السودان في حوزة مصر عثرة في سبيل اصلاحها فاشار بسلخه عنها وتفرغ للعمل في احيائها . وعلم ان ثروتها انما تقف على الزراعة وتنظيم المالية فاهتم باصلاح الري بمساعدة السير كولن سكوت مونكريف واستعان على تنظيم المالية بالسير ادجر فنسنت . واقتصر في عمله اولاً على اصلاح هاتين المصلحتين ثم وجه التفاته الى القضاء فاستعان في اصلاحه بالسير جون سكوت والى الجندية بمساعدة السير أفلن وود

ثم السير فرنسيس جرنفل وكان في اثناء ذلك يعمل على تحسين الداخلية والمعارف وسائر مصالح الحكومة المصرية

واعترض عمله في هذا السبيل عراقيل كثيرة اهمها استفحال امر المهدي في السودان ومطامع خليفته عبد الله التعايشي . واغتنم بعض الدول فوضى السودان واشتغال الدراويش بانفسهم فتوجهت مطامعها نحوه فكان الايطاليون في مصوع والبلجيكيون في الكونغو والفرنسيون في غربي افريقيا وكل منهم يتحفز للوثوب على السودان فسبقهم اللورد كرومر الى اقتناصه بحملة مؤلفة من الجيشين المصري والانكليزي بقيادة اللورد كتشنر افتتحت ام درمان وابادت بقية دولة الدراويش واصبح السودان تحت سيطرة الدولتين يخفق فوقها العلمان الانكليزي والمصري. وقد كان له قسط وافر في الاتفاق الانكليزي الفرنسي المعقود في ٤ مايو سنة ١٩٠٤

وما زال اللورد كرومر في هذا المنصب وله الكلمة الاولى والقول النافذ في اصلاح مصر مالياً وادارياً واجتماعياً حتى استقال مراعاة لصحته وقبل استعفاؤه في ١١ ابريل سنة ١٩٠٧ وهو في السادسة والستين من عمره . وقد ارتقى في اثناء ذلك الى رتبة الاشراف سنة ١٨٩٢ وسمي اللورد كرومر من ذلك الحين . ونال رتبة فيكونت سنة ١٨٩٧ ورتبة ارل سنة ١٩٠١ واحرز القاب شرف كثيرة . وقد اسفت الدولة الانكليزية عند استقالته واعطي مكافأة قدرها ٥٠،٠٠٠ جنيه

وفي سنة ١٨٧٦ تزوج السيدة اثل ستانلي كريمة السر رولند ستانلي فتوفيت سنة ١٨٩٨ وقد خلفت له ولدين . فتزوج سنة ١٩٠١ السيدة كاترين ثين ابنة مركيز باث

ولما عاد الى بلاده اهتم بالسياسة الانكليزية والشؤون العامة وله مقالات ومباحث كثيرة في الصحف والمجلات الانكليزية . وفي سنة ١٩٠٨ اصدر كتابه « مصر الحديثة » واردفه في اثناء هذه الحرب بكتاب « عباس الثاني » وهو تكملة لذلك الكتاب

وقد كان رحمه الله حيوي المزاج قوي البنية واسع الصدر دقيق النظر حازماً قوي الحجة يحب ان يسمع اقوال مناظره فاذا تحقق صواب رأي تمسك به وناضل عنه . وكان نزيهاً حرًّا في الفكر والقول والعمل

العائلة والمنزل

كيف نعيش — ٦

وصايا صحية اقرها معهد اطالة الحياة باميركا

٣ — السموم من الخارج

ذكرنا في الفصلين السابقين التسمم الناشئ في الجسم عن الامساك وعن عدم تقويم الجسم . على ان هناك سموماً كثيرة تتطرق الى الجسم من الخارج بصور مختلفة . فمن تلك السموم الخارجية نذكر أولاً المخدرات كالافيون والمورفين والكوكايين والحشيش والكافيين والنيكوتين والكحول . ولا ريب في ان القاعدة الوحيدة لمن يريدون الحصول على النشاط الجسدي والصحة الجيدة هي تجنب تلك المواد وما تدخل فيه تجنباً تاماً ، ومن ذلك المشروبات الروحية والنبيذ والبيرة والتبغ وغيرها حتى القهوة والشاي

ويرى البعض انه ليس في استطاعتهم الكف بتاتاً عن تعاطي تلك المشروبات فيؤثرون الاستعاضة عن القوي منها بالاخف فالاخف وهلم جراً الى ان يتيسر لهم الاقلاع عن العادة — كأن يتعاطى مدمن المشروبات الروحية مثلاً البيرة ثم ينتقل من البيرة الى الشاي الخفيف وهكذا

ولم يحقق الاطباء بعد بالضبط تأثير المشروبات الخفيفة في الجسم ولهم في ذلك آراء متباينة . فقد لا يضر الشاي الاصحاء اذا كان خفيفاً واخذ باعتدال ، على ان الخطر هو صعوبة المداومة باعتدال ولا سيما ان الجسم بطبيعته يتطلب الانتقال من الخفيف الى الاشد ، اذ لا يلبث ان يقل تأثره من الخفيف فيطلب مقداراً اعظم ليتأثر منه وهلم جرًّا . لذلك يفضل الامتناع بالمرة من الاعتماد على الاعتدال . ولا سيما ان التجارب التي اجريت في معهد باستور بباريس قد دلت على

ان الاستمرار في تعاطي كميات قليلة جداً من السموم يأول الى ضرر بليغ في النهاية . واشد الناس تأثرًا من فعل تلك السموم المصابون بعسر الهضم واصحاب المزاجات العصبيــة . وإنا ذاكرون فيما يلي تأثير المواد المذكورة وفقاً لما اثبته العلم الحديث

الكحول

قد ثبت من التجارب العلمية ان « القوة » التي يعتقد معظم الناس انها تأتي من تعاطي المشروبات الروحية ليست الا وهماً خداعاً . فهذا الشعور وقتيٌّ وما هو الا نتيجة شلل وتخدير يصيب حاسة التعب ولا اثر « للقوة » في ذلك . انما هي قوة سلبية ناجمة عن ضعف احساس التعب . والحقيقة ان الانسان بعد ان يتعاطى مقدارًا من الـكحول يصبح اضعف منه قبل ذلك . تلك قضية ثابتة اليوم بعد درس طبقات كثيرة من العمال والمقابلة بين مدمني الخمرة (ولو بكميات قليلة) وغيرهم . على ان الذين قاموا بهذه التجارب وجدوا الاعتقاد عاماً « بالقوة » الناشئة عن الشرب . وقد ثبت ايضاً ان الـكحول تؤثر في الكريات البيضاء وتجعل الجسم اشد قبولاً للامراض الوبائية

ثم ان شرب المشروبات قبل الاكل لتهييج الشهية مضاعف الضرر لان المعدة تـكون فارغة اذ ذاك فيسري السم في الجسم بسرعة

التبغ

لم تعرف مضار التبغ علمياً كما عرفت مضار الـكحول . على انه قد ثبت لدى جميع الذين يتعاطون الالعاب الرياضية ان ادمان التبغ يؤثر في الصحة الجسدية ويضعف في العضلات قوة المثابرة والمقاومة — وان لم يشعر المدخن بذلك . وكثيراً ما يُسمع المدخن يقول : « اني لا اشعر بضرر التبغ الآن فاذا شعرت به اقلعت عنه » . على ان الانسان قد لا يشعر بالضرر الا بعد ان يتأثر منه تأثرًا بليغاً — كما انه في كثير من الاحيان لا يحسّ بعـلة في أسنانه الا بعد ان يتأصل فيها الفساد ويصل الى الاعصاب

وقد اجريت تجارب كثيرة في الحيوانات يؤخذ منها ان للتبغ تأثيراً في الشرايين. ويرجح ان لانتشار التبغ دخلاً في ازدياد الوفيات الراجعة الى امراض الشرايين

الميكروبات

ثم ان الميكروبات — كما لا يخفى — تولد في الجسم سموماً تكثر بتكاثر عددها . وتدخل الميكروبات الى الجسم اما عن طريق البشرة او الاغشية المخاطية . فالرشح مثلاً يتطرق الى الجسم عن طريق الانف . وفي الامكان تجنب صنوف البرد والرشح بالابتعاد عن الامكنة العمومية المزدحمة ولا سيما اذا كان الانسان يشعر بتعب او يرى لسبب من الاسباب انه على استعداد لالتقاطها

ان الميكروبات التي تسبب هذه الامراض تستقر دائماً في الانف ويزداد نشاطها على الخصوص اذا كان الانسان في حالة تعب او عسر هضم او كليهما معاً . واذا تراكم الغبار والدخان في الانف يحسن رشه ببخرة فيها ماء فاتر مع قليل من الملح . ويحظر ادخال الاصابع في الانف كما انه ينبغي تبديل المناديل مراراً كثيرة

اما ميكروب السل فانه ينتقل بواسطة بصاق المسلولين بعد ان ينشف وينتشر في الهواء . والاجدر بمن هو مصاب بهذا الداء ان يبصق في وعاء ثم يحرق البصاق

ولا يخفى ان الملاريا من اشد الامراض انتشاراً وقد ثبت اليوم ان نوعاً من الناموس اسمه Anopheles يحمل جراثيمها . ولمقاومة هذا الناموس يجب اقامة حاجز من الشبك على النوافذ . ولا يكفي ذلك بل يجب ابادة البرك والمستنقعات في الجهات التي يسكنها الناس فقد تكفي حفرة صغيرة فيها ماء راكد لنمو ألوف من تلك الهوام .

وهناك جراثيم مرضيـة كثيرة تتطرق الى الجسم مع الطعام والشراب وفي مقدمتها جراثيم التيفوئيد . وتقدر الاصابات بهذا المرض في الولايات المتحدة وحدها بنحو ٣٠٠٠٠٠ في السنة . وللاتقاء يجب قبل كل شيء شرب الماء المطهر واذا كان الانسان في شك من طهارة الماء يجدر به ان يغليه . وعلى فرض انه لم يكن له بد من تعاطي ماء مشكوك في نظافتـه فالافضل شربه في وسط الطعام أو في آخره

لانه يكون في المعدة اذ ذاك عصارات كثيرة تقتل الميكروبات

ولا ينبغي أن يبرح من الذهن ان الذباب هو ناقل جراثيم التيفوئيد فيجب ابادته وأفضل طريقة لذلك انما هي منع تناسله ولا يخفى ان الذباب يضع بيضه غالباً في الاصطبلات . على انه يضعه أيضاً حيثما يجد مواداً آخذة في الانحلال . فلا بد اذاً من تنظيف الاصطبلات من الاوساخ بل يجدر أيضاً وضع الشبك حواليها . ولا بأس باستعمال مصائد الذباب المختلفة من ورق مصمغ وغير ذلك

على أنه بالرغم من كل الاحتياطات المتقدم ذكرها قد يدخل الذباب والناموس الى المنزل ويمكن اذ ذاك ابادته باستعمال مسحوق خاص اسمه المسحوق الفارسي للحشرات [١] بمعدل نحو ليبرتين (كيلو غرام تقريباً) لكل الف قدم مكعب . وطريقة استعماله ان يوضع في اوعية ويرش عليه قليل من الكحول ثم يحرق فينتشر دخانه في المكان فيقتل الذباب والناموس أو على الاقل يخدره بحيث يمكن كنسه

ولا يكفي محاربة الذباب والناموس فقط بل ان البق والقمل والبراغيث تنقل أمراضاً مختلفة . ومثلها الفيران ايضاً

النظافة

ولا بد لنا في هذا المقام من ذكر كلمة عن النظافة فلنها ضرورية لمنع التسمم. والاستحمام هو أول ماتستدعيه النظافة . فليغسل البدن كل يوم ان امكن . وينبغي دائماً أن يكون الوجه والايدي والاظافر نظيفة ولا سيما قبل الطعام . ويجب الانتباه الى الجروح فان أقل خدش في الجسم كاف لتطرق الجراثيم الى الدم اذا كان مكانه وسخاً أو اذا لمسته اياد متسخة

ويفضل الاستحمام عندما يكون الجسم عارقاً وليس الذ من شعور الانسان بعد الرياضة البدنية والحمام. ومن أهم فوائد الرياضة أنها تسبب العرق وهو ضروري للصحة. ولا ينبغي أن يبرح من الذهن ان الجسم برشح دائماً بكميات لانحس بها

(١) Pyrethrum powder, Persian insect powder

ويجدر بنا قبل ختام هذا الفصل ان نقول كلمة في موضوع قلما يذكر جهاراً — نعني العدوى من الامراض السرية أو الجنسية أو الزهرية — ولا بد لتجنبها من ان يعيش الانسان عيشة صحيـة نظيفة — ليس في الجسم فقط بل في العقل والقلب أيضاً . وليس هذا مكان الافاضة في العواقب الوخيمة التي تلحق الامراض الزهرية اولاً للمصاب بها ثم لنسله فالمجتمع باسره . وللاسف ان هذه المواضيع تهمل في المطبوعات والمجالس . ومن الادلة على ذلك ان قليلين من الناس يعرفون أنه يندر — بل نكاد نقول يستحيل — ان توجد عاهرة غير مصابة ببعض تلك الامراض

قال أحد الاطباء « يجب ارشاد الاولاد والبنات عند سن البلوغ الى معرفة وظيفة التناسل ولا يكفي أن يعرفوا هذه المواضيع معرفة سطحية فقد يضرهم الاشارة اليها بالمجاز وانما يجب متابعة الكلام فيها حتى ترسخ في اذهانهم »

٤ — الاسنان واللثة

ان التسمم عن طريق الفم شديد الانتشار ولذا يجدر ان نفرد فصلاً خاصاً له . واذا بحثنا في وظيفة الفم وفي مقدرته على صيانة نفسه وجدناه خلف بقيـة الاعضاء بمراحل . اذ ان معظمها قادر على حفظ نفسه وابادة الجراثيم والسموم من تلقاء ذاته . فكأن المدنية جنت على الفم ولا سيما الاسنان واللثـة اكثر من جنايتها على سائر الاعضاء . واذا قارنا بين الحيوانات البرية من جهـة والانسان والحيونات الداجنة من جهة اخرى وجدنا ان الاولى قلما تصاب بامراض الاسنان واللثة في حين ان تلك الامراض شديدة الانتشار بين الفريق الثاني

والاخطار التي يتعرض لها الفم نوعان رئيسان : فمنها ما يصيب الاسنان نفسها فيتلفها تلفاً كيماوياً ومنها ما يصيب اللثة والانسجة المحيطة بجذور الاسنان . فلا بد من العناية بالاسنان عناية مستمرة لتلافي تلك الاخطار

ولا يقتصر ضرر الاخطار المتقدم ذكرها على الاسنان واللثة فقط بل ان المواد السامة من جهة ومن جهة اخرى الميكروبات المتولدة فيها لا تلبث ان تلك مع

الطعام وتتطرق الى الجهاز الهضمي فالدم الى ان تستقر عند الانسجة التي تجدها ملائمة لنموها . وقد ثبت اليوم ان امراضاً كثيرة من التي كانوا يجهلون منشأها انما كانت تأتي عن طريق الفم على هذه الصورة

وجملة القول ان الطب الحديث قد اثبت ضرورة الاعتناء بالاسنان. ولعلنا في هذه الديار في حاجة عظيمة الى تكرار التنبيه في هذا الموضوع لشدة اهماله بيننا . واليك اهم طرق العناية المطلوبة :

يجب أولاً الاهتمام بالصحة العامة اذ أنه متى ضعفت قوة المقاومة في الجسم أصبح عرضة للامراض على انواعها . ثم ينبغي مضغ الطعام ولوكه جيداً وأكل المأكولات اليابسة من حين الى آخر. ثم يلزم تنظيف الاسنان بشعرية (فرشة) ويشترط في تلك الشعرية أن يكون شعرها خشناً بعض الشيء ومختلف الطول . ويجب أن يتم التنظيف بسرعة وأفضل أوقاته قبل النوم وبعده . ويستحسن ايضاً تنظيف اللسان بالشعرية ولعل أفضل مسحوق للاسنان هو المؤلف من الطباشير النقي والملح بنسبة ٨ الى ١

على ان قبل كل ذلك يجب استشارة طبيب الاسنان وزيارته من حين الى آخر لتنظيف الاسنان تنظيفاً شاملاً وهو ما لا يستطيع ان يعمله الانسان وحده

قياس الرطوبة في الغرف

اليك طريقة مفيدة لمعرفة درجة الرطوبة في المنازل والغرف . وهي مأخوذة عن « المجلة العلمية » الفرنسية قالت :

ضع في الغرفة المراد فحصها كيلو غراماً من الكلس المطفي حديثاً واقفلها اقفالا محكماً . وبعد مرور ٢٤ ساعة خذ الكلس وزنه فاذا زاد وزنه الاصلي واحداً في المئة (أي ١٠ غرامات للكيلو غرام) فلا بأس بالغرفة ويجوز ان تعد صحية . ولكن اذا كانت الزيادة اكثر من ذلك فالغرفة غير صالحة للسكن

بغداد

في التاريخ والسياسة

قد كان لسقوط بغداد في يد الانكليز رنة فرح وابتهاج لدى دول الحلفاء كما كان له رنة حزن وهلع لدى تركيا وحليفاتها ، كأن ذلك الخبر جاء منذراً للدولة العثمانية بسوء العاقبة التي تنتظرها ومنددا برجالها على الهوة التي رموا فيها بلادهم . ولعله كان اشد وقعاً في قلوب الالمان اذ قضى على مطامعهم في استعمار الشرق . فما برحت بغداد مطمح ابصارهم ومحور آمالهم ولا يخفى ما لبغداد من الخطورة في عالم السياسة فضلاً عن مقامها التاريخي ، فهي من أمهات المدن الشرقية بل هي موطن المدنية الاسلامية ومبعثها ، فاذا ذكر اسمها احيي في الذهن تذكارات جميلة وصوراً بديعة رائقة ، فهو من الالفاظ الساحرة الجذابة التي تهز قلوب الشرقيين عامة والعرب خاصة وتهيج خيالهم . فلا غرابة ان نفتتح بها هذا الهلال ونذكر تاريخها ومدنيتها وآثارها وسائر احوالها معتمدين في ذلك على اوثق المصادر واصحها

تاريخ بغداد

قبل الاسلام

في بغداد وحواليها آثار قليلة ترجع الى قبل الاسلام اهمها آثار قصر كسرى (وتعرف بمدائن كسرى) على مسافة ١٥ ميلاً من جنوبي بغداد على شاطئ دجلة الشرقي ، وآثار برج عظيم مصنوع من الآجر على بعد ٩ اميال من غربي بغداد . وحول هذا البرج آثار ترع قديمة ويستدل من بعض الكتابات ان هذا البرج يرجع الى ١٣٠٠ سنة ق . م . اما المدينة نفسها ففيها بقايا رصيف على الشاطئ الغربي كان مبنياً من الآجر وعليه كتابة لنبوخذنصر وكان اول من استكشفه السر هنري رولنسن سنة ١٨٤٩

وقد ثبت اليوم ان مدينة بغداد بنيت على انقاض مدينة بغدادو البابلية [1] ويرجع

---

(١) اختلف مؤرخو العرب في أصل اسم بغداد فذهبوا في ذلك مذاهب مختلفة جاء في معجم البلدان « . . . قال بعض الاعاجم تفسيره بستان رجل فباغ بستان وداد اسم

ان تاريخها يرجع الى ٢٠٠٠ سنة قبل المسيح . وقد ورد ذكر هذا الاسم في قوائم من مكتبة اشور بني بال الشهيرة . وذكرت ايضاً في حجر ميشو (Michaux) الذي وجد على نهر دجلة وهو ينسب الى زمن تغلات فلاسر الاول (١١٠٠ سنة ق . م .) . وقد ذكرت ايضاً في التلمود ويؤخذ منه انها كانت موجودة في عصر المسيح

العصر العباسي

على ان المؤرخين العرب ذكروا ان موقع مدينة بغداد عند ما شرع المنصور في بنائها (٧٦٢ م) كان خالياً ولم يكن فيه الا دير قديم . اما تاريخ بنائها ووصفها في ابان زهوتها فقد ذكره المرحوم مؤسس الهلال في تاريخ التمدن الاسلامي وفي روايتي العباسة اخت الرشيد وشجرة الدر وشرحه احسن شرح واليك اهم ذلك مع الخرط المعينة على تعيين المواقع :

هي عاصمة العباسيين بناها المنصور سنة ١٤٥ هـ و لا تزال باقية الى اليوم وقد تغير موضعها مراراً . والسبب في بنائها ان السفاح لما بويع بالخلافة واكثر انصاره في العراق وفارس نزل الكوفة ومعه اخوه المنصور . ثم بنى السفاح قرب الانبار مدينة سماها الهاشمية اشارة الى ما يجمع بين العباسيين والعلويين وانتقلا اليها [1] وبها مات السفاح وقبره فيها . واقام المنصور في الهاشمية بضع سنين ثم ثار جماعة الراوندية فكره سكناها وخرج يبحث عن مكان يبني فيه مدينة حصينة فدلوه على مكان بغداد وحسنوه له فبنى فيه مدينة سماها بغداد وعرفت بمدينة المنصور

بناها في الجانب الغربي لدجلة بشكل مستدير وجعل حواليها قطائع لحاشيته ومواليه واتباعه . فلما كانت أيام المهدي جعل معسكره في الجانب الشرقي من دجلة وسمي ذلك المكان عسكر المهدي . ثم انتقل اليه الوجهاء واهل الدولة وبنوا فيه

رجل . وبعضهم يقول بغ اسم لصنم فذكر انه اهدى الى كسرى خصي من المشرق فاقطعه اياها وكان الخصي من عباد الاصنام ببلده فقال بغ دادي أي الصنم اعطاني . وقيل بغ هو البستان وداد اعطى وكان كسرى قد وهب لهذا الخصي هذا البستان فقال بغ داد فسميت به ....
.وقيل ان بغداد كانت قبل سوقاً يقصدها تجار أهل الصين بتجارتهم فيربحون الربح الواسع وكان اسم ملك الصين بغ فكانوا اذا انصرفوا الى بلادهم قالوا بغ داد أي ان هذا الربح الذي ربحناه من عطية الملك الخ ... » وذكر ايضاً ان فيها لغات مختلفة منها بغدان وبغداذ ومغداد وبغدان وهي تسمى أيضاً مدينة السلام

(١) . ابن خلكان ١٥١ ج ١

وانتقلت الخلافة الى الجانب المذكور وامتدت ابنية الخلفاء وحدائقها على ضفة النهر ويسمى جانب بغداد الشرقي الرصافة والجانب الغربي الكرخ

وكانت بغداد في ايام الرشيد آهلة بالقصور والحدائق وأهلها في رغد ورخاء والاموال تنصب في خزائنها بالملايين والخليفة يهب ويجيز والناس يتقاطرون الى بغداد التماساً للكسب بما يرضي الخليفة أو رجاله من أسباب الارتزاق وفيهم العربي والفارسي والرومي والتركي والكردي والارمني والكرجي والسندي والهندي والصيني والزنجي والحبشي على اختلاف الملل والنحل بين صانع وتاجر ونحاس وشاعر ومغنٍّ وأديب ونحوي وراو وفيهم المسلم والذمي والحر والمولى والعبد والغلام والجارية . وكلهم يحومون حول دار الخلافة أو دور الامراء يبيعونهم السلع أو يتملقون اليهم بالمديح أو يدسون اليهم اسباب الزلفى استنزافاً للاموال . وهؤلاء يبذلون الاموال بسخاء يأنفون ان تعد عطاياهم بمئات الدراهم وانما يعدونها بالالوف وألوف الالوف . وكيف يعرفون للمال قيمة وهو ينصب في خزائنهم انصباب السيل اذ كانوا يشاطرون اهل الارض غلاتهم فضلاً عن الجزية والغنيمة . فاذا صار ذلك الى الخليفة وأمرائه استكثروه فانفقوه في من يحوم حولهم من المقربين

وبلغت بغداد معظم عمارتها في أيام المأمون حتى امتدت ابنيتها وبساتينها على بقعة قالوا ان مساحتها ٥٣٧٥٠ جريباً منها ٢٦٧٥٠ جريباً في الجانب الشرقي و ٢٧٠٠٠ في الجانب الغربي [1] والجريب ٣٦٠٠ ذراع مربعة ونسبته الى الفدان كنسبة ١٠٠ / ٣٣٣ ½ فتكون مساحة بغداد كلها نحو ١٦٠٠٠ فدان وهو شيء كثير . ولكن يظهر كأنها عبارة عن مدن متلاصقة . قال الخطيب البغدادي في تاريخه انها اربعون مدينة وان الحمامات بلغ عددها في ايام المأمون ٦٥٠٠٠ حمام [2] وقد اراد صاحب سير الملوك بيان مقدار عمارة بغداد فقال « وكان عدد الحمامات في ذلك الوقت ببغداد ستين الف حمام واقل ما يكون في كل حمام خمسة نفر: حمامي وقيم وزبال ووقاد وسقاء — يكون ذلك ثلاثمائة الف رجل وذكر ان يكون بازاء كل حمام خمسة مساجد يكون ذلك ثلاثمائة الف مسجد وتقدير ذلك ان اقل ما يكون في كل مسجد خمسة نفر يكون ذلك الف الف وخمسمائة الف انسان » [3]

ولا ينطبق هذا التخريج على ما نعلمه من احوال هذه الايام فلا نسلم به كما هو

(١) سير الملوك ٥٥ (٢) ابن خلدون ٢٨٧ ج ١ (٣) سير الملوك ٥٥

ولكنه يدلنا على ما بلغت اليه هذه المدينة من العظمة في عهد ذلك التمدن العجيب . وقد يؤيد ذلك ما رواه الطبري في أثناء كلامه عن الفتنة التي وقعت في بغداد سنة ٢٥٥ هـ . قال « وقيل أنه عبر الجسرين من العامة في ذلك الوقت ١٠٠٠٠٠ انسان في الزواريق . . » [١] فاذا كان هذا عدد الذين عبروا النهر فما قولك بمن لم يعبر فلا نبالغ اذا جعلنا عدد سكان بغداد في ذلك العهد نحو مليون ونصف أو مليونين

ناهيك بما كان من العمارة حول بغداد وفي سائر بلاد السواد — قال ابن حوقل وقد رآها في أثناء القرن الرابع للهجرة « وبين بغداد والكوفة سواد مشتبك غير متميز تخترق اليه أنهار من الفرات . . الخ » [٢] اهـ .

ونظراً لكون بغداد في بلاد معدومة الحجارة وقليلة الاخشاب فقد بنيت ابنيتها من الآجر والقرميد كما بنيت المدن البابلية من قبل . وقد اشتهرت مدينة بغداد كما باشتهرت مدينة بابل بانسجتها الملونة . وقد بلغ من شهرة حريرها المصنوع في حي العتابية (نسبة لعتاب احد معاصري النبي) ان هذا الاسم انتقل الى اسبانيا فايتاليا ففرنسا فانكلترا للدلالة على نوع من الحرير الملون (يسمى بالانكليزية Tabby)

على أن مقام بغداد أخذ يحط تدريجاً بتقلص ظل العباسيين وازدياد نفوذ الجند ولما صارت الخلافة الى المعتصم انتقل منها الى سامرا فهُجرت بغداد ٥٨ سنة . على أن المستعين (سنة ٨٦٥ م) فرّ اليها للتخلص من استبداد الجند . ولكن المدينة لم تلبث ان حوصرت وفتحت . ومن ذلك الحين لم يعد للخلفاء العباسيين الا سلطة اسمية وانما كانت السلطة الفعلية في يد الجند ثم انتقلت الى آل بويه فآل سلجوق

من سقوط الدولة العباسية الى سيطرة الدولة العثمانية

وفي سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) دخلها هولاكو التتري وقتل الخليفة المستعصم بالله وهو آخر الخلفاء العباسيين في بغداد [٣] واعمل فيها السيف والنهب اربعين يوماً . وقد ذكر ابن خلدون ان عدد القتلى بلغ اذ ذاك نحو مليون وثلث مليون . والقيت كتب العلم في دجلة . فسقطت مكانة بغداد من ذلك الحين

(١) الطبري ١٧٣٠ ج ٣ (٢) ابن حوقل ١٦٦ (٣) بلغ عدد الخلفاء العباسيين ٣٧ خليفة

وبقيت بغداد في يد التتر نحو قرن ونصف قرن . وفي سنة ٧٩٥ هـ قدم اليها تيمورلنك المغولي ففر حاكمها احمد بن اويس ودخلها تيمورلنك واستباح فيها القتل والنهب وقصد احمد القاهرة واستنجد بالملك الظاهر برقوق فانجده وسار معه . ولكن تيمورلنك كان قد انتهى من بغداد وأقام فيها نائباً وسار الى جهات أخرى . فاتى احمد وهزم نائب تيمورلنك ودخل المدينة . على ان تيمورلنك ما لبث أن عاد اليها فدخلها وأمر عسكره ان يأتيه كل واحد برأسين من اهلها ففعلوا فملأت جثثهم تلك الارجاء واستصفى ذلك الفاتح ما كان باقياً ببغداد من الاموال والذخيرة ثم ضرب المدينة حتى صارت قاعاً صفصفاً

وظلت بغداد في يد المغوليين نحو قرن من الزمن على وجه التقريب ثم استولى عليها الشاه اسماعيل الاول الصفوي في اوائل القرن السادس عشر ثم استولى عليها العثمانيون ثم استعادها الفرس

الدور العثماني

وظل الفرس والعثمانيون يتداولونها الى سنة ١٦٣٨ اذ فتحها السلطان مراد الرابع بجيش كبير مؤلف من ٣٠٠٠٠٠ مقاتل بعد حصار شديد وامعن في اهلها قتلا لاخلالهم بشروط التسليم

وظلت بيد العثمانيين الى النصف الاول من القرن الثامن عشر اذ استقل واليها احمد باشا بها وبسائر العراق العربي ورام نادر شاه ان يستخلص المدينة والبلاد منه فسار عليه بجيش عظيم وحاصره في بغداد فثبت على الحصار حتى مل نادر شاه وعجز عن اخذ المدينة فتركها وعاد الى بلاده بعد ما مني بخسارة عظيمة

وظلت بغداد والعراق مستقلة عن تركيا الى اوائل القرن الماضي اذ اعادها العثمانيون الى سلطتهم واستقرت بيدهم من ذلك الحين حتى سقطت اخيراً في يد البريطانيين

بغداد اليوم

يبلغ عرض دجلة عند بغداد ٧٠٠ قدم ومعظم المدينة أي نحو اربعة اخماسها على الضفة الشرقية وتعرف بالرصافة والخمس فقط على الضفة الغربية وتعرف بالكرخ . ويصل بين الجهتين جسران راكزان على القوارب . أما عدد سكانها فقد

اختلف تقديرهم بين ٧٥٠٠٠ و ٢٠٠٠٠٠ ولعل الصحيح بين التقديرين . وثلثا السكان من المسلمين ومعظمهم من الشيعة . أما الثلث الباقي فمعظمه من اليهود وقد قدروا بنحو ٣٤٠٠٠ . واما المسيحيون فعددهم حوالي ٦٠٠٠ [1] واكثرهم من الكلدانيين . وبينهم ايضاً يعقوبيون وارمن . واليهود هم أغنى الطبقات وبيدهم تجارة المدينة ومعظم ثروتها

وقد كان لبغداد مكانة تجارية عظيمة قبل افتتاح ترعة السويس . على انه لا يزال لها شأن عظيم اذ انها الحلقة الموصلة بين متاجر الغرب والشرق فضلاً عن حاصلاتها وصناعاتها الخاصة . وأهم صادراتها الصوف والجلود والحبوب والتمر والخيل والحمير . وقد بلغت صادراتها ٨٥٣٩٦٣ ليرة عثمانية في سنة ١٩١٠ ووارداتها ٢٧٣٦٤١٤ ليرة عثمانية

واهم صناعاتها دبغ الجلود وصنع النصول والسروج ونسج الحرير والقطن والصوف وعمل البسط والشالات والاواني والمواعين النحاسية والحلى

وموقع بغداد جميل وهي محفوفة بالبساتين والحدائق وهواؤها جاف جيد الا اذا فاض دجلة فينشأ عن ذلك مستنقعات تنبعث منها الاوبئة والامراض . وهي شديدة الحرارة في الصيف وشديدة البرد في الشتاء حتى يحتاج الاهلون الى الاستدفاء بالنار . وزيهم في الملبوس العمامة والجبة والنساء شديدات التحجب يتزرن بالحبرات الحريرية والفقيرات منهن بالاعبية

وشوارع المدينة متعرجة ضيقة غير مبلطة ولا نظيفة واسواقها مسقوفة كأسواق حلب والشام . وبيوتها مزخرفة من داخلها ولكنها غير جميلة الظاهر الا القليل منها واهمها دار قنصلاتو بريطانيا العظمى على دجلة وهي اعظم دور بغداد وبجانبها دار السيد عبد الرحمن القادري الكيلاني نقيب السادة الاشراف . ودار الحكومة في وسط المدينة . وفي شماليها القلعة . ومن ابنيتها ايضاً الجمرك وهو مبني على انقاض المدرسة المستنصرية التي بناها المستنصر . ومنها دار القنصلية الالمانية

وفي المدينة كثير من الخانات والقهوات والحمامات والمساجد على اختلاف مللها

(١) تلك الارقام مأخوذة عن الطبعة الاخيرة للانسيكلوبيديا البريطانية (١٩١٠) . على ان بين ايدينا احصاء في دليل بديكر المطبوع سنة ١٩١٢ يؤخذ منه ان عدد السكان ٢٠٠٠٠٠ منهم ١٢٠٠٠٠ مسلم و ٥٠٠٠٠ يهودي و ١٥٠٠٠ مسيحي

ومعظم منازل بغداد مبنية بالآجر وقد اخذ اكثره من الآثار القديمة في تلك الجهات ولا سيما من مدائن كسرى وواسط وبابل

واشهر آثارها مشهد الكاظمين موسى بن جعفر ومحمد بن علي الجواد وهما سابع وتاسع خلفاء علي والمكان مقدس عند الشيعة . وهو على الضفة الغربية يصله بالكرخ ترامواي تجره الخيل انشأه مدحت باشا (وهو من الاصلاحات التي ادخلها على المدينة) . ثم مقام عبد القادر الكيلاني وهو لاهل السنة . والمسجدان على جانب عظيم من الزخرفة وقبهما مطلية بالذهب الوهاج

ومن آثارها جامع المرجانية ومأذنة سوق الغزال وجامع الوزير والجامع الكبير وقبر ابي حنيفة في المعظم وقبة معروف الكوخي وقبر زبيدة ومزار الكوهين يوشع للاسرائيليين

خطورتها السياسية

ان بلاد ما بين النهرين هي بطبيعتها طريق الهند والشرق الاقصى فلا غرابة اذا اهتمت بها انكلترا ومنعت تسلط دولة اخرى عليها . ولذا فلم يكن بد من وقوع الخلاف بينها وبين المانيا منذ اخذت هذه الاخيرة تنشر نفوذها في تلك الجهات

ولا يخفى ان سياسة انكلترا ما برحت ترمي الى تأمين طريق الهند من جهة العراق وما بين النهرين . وقد استولت على قبرص لهذا الغرض سنة ١٨٧٨ كما انها بسطت نفوذها في الكويت وسائر الجهات المجاورة لخليج فارس . ومن ذلك ايضا اتفاقها مع روسيا في سنة ١٩٠٧ على تحديد المنطقة الجنوبية من بلاد العجم للنفوذ الانكليزي

اما المانيا فانها ما برحت منذ تكونها تظهر اهتماما بتلك الجهات . وقد كلف الجنرال ملتكي تدريب الجيش العثماني من سنة ١٨٣٦ الى ١٨٤١ وفي سنة ١٨٨٢ ارسل فون درغولتز الى الاستانة للغرض نفسه . وقد بلغ اهتمام الالمان باستعمار تركيا انه في سنة ١٨٩٦ تألف «اتحاد الماني» كان برنامجه يقضي بالاستيلاء على ما بين النهرين وعلى سوريا وحماية آسيا الصغرى

على ان المانيا رأت ان تتخذ منهج الفتح السلمي بطرق مختلفة اهمها انشاء السكك الحديدية . وامر سكة حديد بغداد مشهور لا حاجة بنا الى تفصيله في هذا المقام. وقد كان في نية الالمان مد تلك السكة من بغداد الى خليج فارس

روح الاجتماع (١)

بحث اجتماعي

يكاد علم الاجتماع يكون غير مطروق في اللغة العربية مع انهُ من ألذ العلوم وأمتعها ، بل هو افيدها للانسان واقربها اليه . فقد خُلق الانسان اجتماعيًّا بالطبع ولم يُخلق فلكيًّا أو رياضيًّا أو كيماويًّا ولربما استغنى عن العلوم الفلكية والرياضية والكيماوية ولكنه لن يستغني عن مجتمع يعيش فيهِ . فالاجتماع ضروريٌّ للحياة المعنوية كضرورة الهواء للحياة الجسدية . فهو الجو المعنوي الذي نستنشق عناصره في كل دقيقة من حياتنا

على أنه قد يخطر لبعض الناس في هذا العصر — عصر الاستقلال الشخصي والحرية الفردية — انهم لا يتأثرون من الاجتماع . بل ان البعض يتباهون بانهم يعملون وفقاً لآرائهم الذاتية ويفاخرون بانفرادهم وعزلتهم واستقلالهم في الفكر والقول والعمل . وما هم الا واهمين مخدوعين . فالحقيقة هي ان الانسان مقيد في كل خطوة يخطوها — مقيد بقيود الحكومة والدين والحالة الاقتصادية والعائلة والمدرسة والعادات والرأي العام — تلك القيود غير المحسوسة التي تربطنا فيما بيننا وتكوّن عقولنا وتوجه سلوكنا . وكأن المجتمع يسكب شخصياتنا في قوالب متشابهة فتخرج وليس بينها الا فروق طفيفة ، ومجال الاستنباط والابتداع أمامها ضيق محصور

الاستهواء

الغرض من هذه المقالة بيان تأثير المجتمع في الافراد — او بالحري بيان بعض وجوه هذا التأثير . فالمجال واسع يستغرق مقالات طويلة ولا يمكن في هذا المقام الا ذكر كلمة تمهيدٍ ترشد القارئ الى استبانة روح الاجتماع وقوانينه الاساسية

فالفرد والمجتمع في تفاعل مستمرٍ . على ان الافراد الذين يؤثرون في مجرى المجتمع قليلون وهم نفر المصلحين والمخترعين والفلاسفة وقادة الفكر البشري على العموم . ولكن تأثير المجتمع يلحق كل فرد من افراده

(١) جزء كبير من هذه المقالة ملخص عن كتاب البسيكولوجيا الاجتماعية لروس
E. A. Ross : Social Psychology

ان الطبيعة البشرية مفطورة على التقليد والاقتداء . تلك حقيقة أساسية ، بها يقوم الاجتماع وتنتظم الجماعات . ويعبر الافرنج عن هذه الصفة بكلمة استهواء Suggestibi-lity . والبعض يحللونها الى عناصر ثلاثة تقابل الاقسام المكونة للحياة العقلية — الشعور والفكر والعمل — فالناس يتبادلون التأثر على ثلاث صور : سريان المشاعر والعواطف فيهم (Sympathy) شيوع الافكار والآراء بينهم (Suggestion) تقليد بعضهم للحركات والاعمال الصادرة من البعض الآخر (Imitation)

على اننا في هذه المقالة سندرس تلك العناصر معاً ونبين تأثر الانسان بالاجمال من بيئته وما يحتك به . ويحسن بنا قبل ذلك ان نذكر مثلاً ندرك بواسطته كنه ذلك الاستعداد الطبيعي الذي يجعل الانسان يقتبس افكار الغير وعواطفهم من غير أن يفحصها او يحللها :

كان أستاذ يلقي درساً في الكيمياء على تلاميذه فاشار الى زجاجة مسدودة امامه وقال لهم : « ان في هذه الزجاجة مادةً لها رائحة شديدة أريد أن اقيس سرعة انتشارها في الهواء فارجو من كل واحد منكم أن يرفع يده حالما يشم الرائحة » قال ذلك وفتح الزجاجة وفي يده الساعة . فبعد ثوان قليلة كانت أيدي الجالسين في الصف الاول مرفوعة وبعد هنيهة رفعت الايدي في الصف التالي وهلم جراً . ولم تمض دقيقة حتى كان معظم الموجودين رافعين أيديهم . على ان الاستاذ كان في الحقيقة يقيس قابليتهم للاستهواء لا سرعة انتشار الرائحة . فان الزجاجة كانت تحوي ماء مقطراً لا رائحة له !

ويختلف الاستعداد للاستهواء باختلاف الناس واحوالهم فهو يختلف

(اولاً) وفقاً للجنس ، فبعض الامم أشد قبولاً له من سواها وفي مقدمة تلك الامم السلاف واللاتين فانهم أسرع الى التأثر من الانجلو سكسون . وقد لوحظ أن الخطب تستثير الفرنسيين والايتاليين اكثر مما تستثير الانكليز

(ثانياً) ويختلف أيضاً وفقاً للسن ، فالصغار أشد تأثراً من الكبار . ولذا وجب الانتباه الى ما يتعرضون له من المؤثرات وابعادهم عن السيء منها

(ثالثاً) ويختلف وفقاً للمزاج ، فاصحاب المزاج الدموي والمزاج السوداوي أشد تأثراً من سواهم

(رابعاً) ويختلف حسب الذكورة والانوثة ، فالنساء أشد تأثراً من الرجال . فان نسبة القابلين للتنويم المغنطيسي في الرجال والنساء كنسبة ٣ الى ١٠ — وما التنويم

المغنطيسي الا استغراق في الاستهواء

(خامساً) ويختلف أيضاً وفقاً للحالة العقلية ، فاذا كان الانسان متنبهاً كان أقل تعرضاً للتأثر . وبعكس ذلك اذا كان ذاهلاً او غارقاً في موضوع لا ينتبه لسواه فقد تتطرق الى ذهنه الافكار من غير أن يدري بها

فن أمثلة ذلك أن بعض التلاميذ كانوا يشتغلون في معمل كيماوي وكانوا في أثناء عملهم يصفرون نغمات مختلفة للتسلية — كانوا يفعلون ذلك بصورة ميكانيكية وافكارهم محصورة فيما بين ايديهم . فما كان من أحدهم الا أن جعلهم يصفرون الانغام التي أرادها اذ كان يبدأ بتصفير النغم ورفاقه يتبعونه من غير أن ينتبهوا لذلك

ويحكى عن أستاذ — كان دائماً شارد الافكار — ان امرأته اشارت اليه في ذات مساء ان يصعد الى غرفته ليبدل ثيابه لاستقبال بعض الضيوف . فلما صعد الاستاذ وهو غارق الفكر في بعض شؤونه خلع ثيابه ثم ارتدى قميصه وذهب الى الفراش . فلما فرغ صبر امرأته وهي تنتظره صعدت الى غرفته وما كان أشد دهشتها حين وجدته على هذه الحال ! اما عمل الاستاذ فان تعليله سهل وهو من قبيل الاستهواء الذاتي فانه تعود ان يذهب الى الفراش بعد خلع ثيابه ولما لم يكن متنبهاً في ذلك المساء الى أمر الضيوف انقاد لعادته !

وللصوم ايضاً تأثير عظيم في العقل فانه يجعله دقيق الاحساس . وكذلك التعب الزائد والتهييج الشديد . وقد نسب اليهما مكس نوردو الكاتب الاجتماعي الشهير الضعف العصبي والهستيريا والنورستنيا المستولية على معظم أهل المدنية الحديثة . فان سكنى المدن ومشاغلها وارتباكاتها تضعف الجهاز العصبي وتجعل الانسان عرضة للاستهواء والتأثر من اتفه الاسباب . وقد قدر ذلك الكاتب ان ساكن المدينة يعمل بعقله وأعصابه من ٥ مرات الى ٢٥ مرة أكثر مما كان يعمل اجداده الذين عاشوا قريبين الى الطبيعة

ذكر كاتب فرنسي كان في باريس سنة ١٨٧٠ اثناء الحرب الفرنسية البروسية أن عدداً غفيراً من الباريسيين رأوا في ذات يوم او ظنوا انهم رأوا — بل ان بعضهم ادعى انه قرأ بنفسه — تلغرافاً علق على عامود من عواميد بناء البورصة يبشر بانتصار الفرنسيين على البروسيين . والحقيقة انه لم يكن ثمت شيء من ذلك . وانما تشوق الجمع وتهيجهم العصبي جعلاهم يرون ما كانوا يودون من صميم افئدتهم أن يروه . وسرعان ما تنتشر الانفعالات بين الجماهير المتهيجة !

ولا شك ان الهنود قد بلغوا في فن الاستهواء مبلغاً لم يبلغه الغربيون . ولا عجب

ان تنسب حوادثهم الى الخزعبلات فانما هي حقائق علمية شاهدها غير واحد من العلماء وهي تدلّ من جهة على مقدرة الهنود في هذا الفن ومن جهة أخرى على قابلية الانسان للاستهواء من حيث لايدري . واليك قصة من ذلك : ذكر احد العلماء انه رأى في وسط ميدان واسع من ميادين مدينة اجره رجلاً من طائفة اليوغي (وهم مشهورون بشعوذتهم) فاخذ الرجل ثمرة من المنجو Mango وحفر حفرة في الارض ووضعها فيها ثم غطاها بالتراب . قال العالم : « فما لبثت قليلا حتى رأيت فوق الحفرة شجرة منجو كبيرة كانت صورتها في بادئ الامر غير واضحة ثم اخذت تتضح شيئاً فشيئاً حتى اصبحت لا تميز من الشجرة الحقيقية . وقد حصل كل ذلك في مدة خمس دقائق » وانما تأتي عن تسلط اليوغي على عقول الحاضرين

وذكر الكاتب نفسه ايضاً أنه حضر يوغيًّا آخر في منتصف النهار يجري العملية الآتية بعد ان القى خطبة طويلة مؤثرة : قال « أخذ اليوغي حبلاً طوله ١٥ قدماً تقريباً فامسك احد طرفيه في يده ورمى الطرف الآخر في الهواء فتراءى لي ان الحبل لم يسقط الى الارض بل ظل معلقاً في الهواء الخ . . . »

وقس على ذلك امثلة كثيرة . وهي تدل على درجة تأثر الناس حتى العقلاء منهم وهم لا يشعرون

(سادساً) ويختلف تأثر الناس ايضاً وفقاً لمصدر التأثير ، فاذا كان ذلك المصدر رهيباً جليلاً كان التأثير ابلغ في النفوس واثبت وهو ما يسمى بالافرنجية Prestige ويعنون به تسلط بعض الافراد على العقول إما لبروز شخصيتهم أو لسمو مقامهم أو لخطورة مركزهم . فالولد يبجّل والدهُ ومعلمه ، والحدث يوقر الشجاع المقدام ، والرجل يخشع أمام سيده وكاهنه ورئيسه . وهلم جراً

(سابعاً) ويختلف ايضاً وفقاً لتكرار التأثير ولمدته ، فقد لا يحملك البائع على شراء بضاعته اذا عرضها عليك للمرة الاولى ولكنه قد ينجح اذا كرر السؤال . قال احدهم « حدث لي غير مرة ان اكون سائراً نحو المدينة فيمر أمامي بائع يبيع بعض الجرائد فلا التفت للاول وقد لا اتأثر من الثاني أو الثالث ولكني انتهي بشراء الجريدة من الرابع أو الخامس »

وهذا سر تأثير الرأي العام في الفرد فقد يقاوم الفرد فكرة اذا سمعها من واحد أو من اثنين . ولكنه يضطر غالباً الى التسليم بها ازاء تلك الاصوات المماثلة المتكررة

ولعل هذا ايضاً هو السبب في انه كلما زاد تجمع النــاس قلّ النبوغ بينهم فانهم بجمعهم تستوي افكارهم ومشاربهم واميالهم ولابد لظهورالعبقرية من ان يتحررالانسان من ضغط الجماهير وسلطانهم

فالاستهوا ءاذن —أي قابلية الفرد للتأثروالانفعال وفقاً لتأثرالغير وانفعالهم— هو مستقرالروح الاجتماعية في الطبيعة البشرية . ولولاه ما تكوّنت الجماعات على اختلاف صورها. بقي علينا الآن ان نرى بعض مظاهر هذه الصفة في الحياة الاجتماعية وبعض الصور التي تتخذها بين الناس

الجموع

نريد بهذه الـكلمة مايعبر عنه الانكليز بكلمة crowd أو mob والفرنسيون بكلمة foule فلا مشاحة في ان حالة الانسان وهو بين جمع من الناس غيرحالته منفرداً فقد يأتي أعمالاً ويقول اقوالاً لاتصدر منه في حالة انفراده . وما ذلك الا من تسلط الجمع على الفرد وضغطه له

على انه يجب ان نوضح المقصود تماماً من هذه الـكلمة في بحثنا هذا . فليس مجرد وجود اناس في مكان واحد يكوّن « جمعاً » . فالناس المجتمعون على رصيف المحطة ليسوا جمعاً بالمعنى المحصور الذي نريده ، إذ لا رابطة تربطهم فيما بينهم . وبعكس هؤلاء جماعة من المتعصبين المتظاهرين ، أو جمع من الناس اجتمعوا ليسمعوا خطيباً ، أو تجمهرالمارين لمشاهدة حادث أليم أو نحوذلك . فلا بد لتكوين الجمع من اشتراك في الشعور والاحساس من خوفٍ أو غضبٍ أو أمل أو رغبة

على ان الناس يختلفون في درجة تأثرهم من التجمهر . فالعقلاء اصحاب الشخصية البارزة والفكر الرزين أقل تأثراً من الجهّال المتعصبين

ثم ان العواطف والانفعالات اشد انتشاراً واسرع سرياناً بين الجموع من الافكار والآراء . فكان قوى الحكم والتفكير والتمييز تشل في الجماعات بعض الشلل في حين ان قوى الانفعال والاندفاع والشعور تزداد بروزاً ووضوحاً . ولذا ترى قادة الجماهير والجموع من الافراد الشديدي الحماسة القادرين على تهييج الحاضرين

واذا التأم جمع وتولد فيه انفعال كان مجرى ذلك الانفعال كما يأتي :

(اولاً) ينتشر بالعدوى بين الجمع حتى يشملهم جميعاً ، وهذه العدوى اشبه شيء

بالامواج المتتالية التي تحدث على وجه الماء اثر الحجر يلقى فيه — حتى ان العاقلين الرزينين من المجتمعين لا يلبثون بعد مدة ان ينقادوا للتيار

(ثانياً) يزداد الانفعال تضخماً شيئاً فشيئاً ، فانه لا ينتشر طولاً وعرضاً فقط بين الجماهير بل ينتشر عمقاً ايضاً في النفوس

(ثالثاً) كل انفعال يعد الموجودين للتأثر بسهولة من الانفعال التالي

صفات الجموع

اما صفات الجموع فاليك اخطرها :

(١) التقلب (كلمة Mob الانكليزية مأخوذة من Mobile اي متقلب ومتحرك) فقد ينقلب الجمع على الشخص الذي كان يمجده أو قد يمجد من كان يمقته

وفي التاريخ امثلة كثيرة لذلك نذكر منها مثلين : اولهما انقلاب الشعب الروماني على قاتلي قيصر بعد ان كان راضياً عنهم . حصل ذلك عقب خطبة لانطوني بدأها بتمجيد اولئك القاتلين ثم استدرج الشعب شيئاً فشيئاً الى مقتهم والقيام عليهم

اما الثاني فهو ما حدث لنابوليون بعد رجوعه من منفاه بجزيرة البا وكان العرش في اثناء ذلك قد انتقل الى لويس الثامن عشر . فلما عاد نابوليون ارسل الملك جيشاً لمقاتلته ولم يكن مع نابوليون سوى الف مقاتل ، فما كان منه الا ان اقترب من الجيش وكشف عن صدره قائلاً « اذا كان بينكم من يجسر على قتل امبراطوره فليفعل » فانحاز الجيش في الحال اليه وسار معه الى العاصمة فدخلها منصوراً

(٢) سهولة الاعتقاد ، فان الجمع يصدق بسهولة ما يقدم له على شرط ان يقدم بالطريقة المؤثرة الفعالة

(٣) ضعف التميز والحكم ، فعقل الجمع اشبه شيء بعقل الطفل

(٤) البساطة ، فانه لا يستطيع تشريح الامور وتحليلها

(٥) رداءة السلوك ، لان السلوك الصالح لا ينشأ الا اثر التفكير والتمييز والحكم ولما كانت هذه القوى مفقودة من الجموع فسلوكها يكون في الغالب موافقاً للاهواء والانفعالات الوقتية

منطق الجموع

لهذه الاسباب نرى ان منطق الجموع غير منطق الافراد وطرق اقناعها غير طرق اقناعه فهي بعيدة عن احكام العقل السليم وانما تقتنع وتتأثر عن طريق العواطف ،

وقد ذكر الدكتور غوستاف لوبون الكاتب الاجتماعي الشهير الطرق الآتية للتأثير في الجموع قال :

(١) اظهر للجمع في البدء انك موافق لامياله ومشاربه

(٢) اكد له ما تقول وكرره بحرارة

(٣) اجعل كل واحد من الحضور يتخيل انك تخاطبه . ويتيسر لك ذلك باستخدام حركات العين والصوت والجسم التي تجعل الابصار شاخصة والآذان مصغية

(٤) اهمل البراهين الصحيحة والحقائق المثبتة واياك ان تجادل جدلا منطقياً علمياً

(٥) اكثر من التمثيل والحركات الجسدية التي تبهر الحواس

(٦) اكثر من العبارات المجازية والتشابيه الرنانة والكلمات الساحرة كالوطن والحرية والاخاء والعلم والحق الخ . . .

(٧) وجه كلامك الى اهواء الحضور واميالهم لا الى عقلهم

الجماهير

تلك صفات الجموع المتجمعة جسداً وروحاً في آن واحد . على ان بعض هذه الصفات قد تظهر في اناس لم يجتمعوا باجسادهم في مكان واحد . ويعبر عن ذلك الاتحاد الفكري بكلمة جمهور Public . فان طرق الاتصال الفكري اليوم عديدة متنوعة من تلغراف وتلفون وبريد ولا سيما الجرائد . فكل ذلك يكون بين الناس شبه اجتماع معنويّ دائم لان تلك الوسائل تنقل التأثيرات حالاً الى الناس حيثما كانوا . وقد كان الخبر فيما مضى يستدعي اياماً لينتقل من جهة الى جهة

غير ان انفعال الجمهور على هذه الصورة اخف من انفعال الجموع المتجمعة . لانه يبقى في امكان كل فرد ان يحكّم عقله بعض التحكيم . لان سلطان العواطف يكون اقل منه في الجموع

التقليد والازياء

التقليد نوعان رئيسيان : العرف والعادة ونعني بالاول تقليد المتعارف بين الناس في عصر مخصوص وبالثاني تقليد الموروث عن العصور السالفة . وبعبارة اخرى فالتقليد اما للحاضر أو للماضي

ويجدر بنا ان نأتي بمثل محسوس يوضح لنا شيوع الظواهر النفسية بين طبقات الناس ويبين مقام « التقليد والاقتداء » في المجتمع — وأي مثل افضل من « المودة » أو « الأزياء » فلندرس منشأها وقوانينها واحكامها

« المودة » عبارة عن انماط وأزياء تشيع وتنسى ثم تعود فتهمل . وقد يكون التغيير مفيداً ولكن الفائدة ليست الباعث على تبديل الازياء والانماط . والفرق بين التقدم و « المودة » هو ان التقدم الحقيقي انما ينشأ عن التغيير المفيد في حين ان المودة لا تحتم ان يكون التغيير مفيداً بل قد يكون مضراً . وبعبارة أخرى ان التقدم يسير الى الامام وفقاً للمنفعة ويستعيض دائماً عن المفيد بالافيد . أما « المودة » فانها تسير في دائرة وتنتهي حيث تبتدئ

والغريب ان الجميع ينقادون في هذا التيار بل يكفي ان يتأمل أحدنا في بعض « الازياء » التي كانت شائعة منذ بضع سنوات فيراها اليوم قبيحة الشكل — وقد كانت تعد حينئذ مثال الكمال

واذا بحثنا عن الباعث الاصلي على تقلبات المودة وجدناه في « حب الامتياز عن الغير والبروز عنهم » . هذا هو أيضاً السر الذي يجعل المتوحش والمتمدين على السواء يطلبان الزينة والزخارف على انواعها . وقد وجد السائحون الاولون ان سكان بعض الجزر كانوا يدفعون ثمناً غالياً لبعض الامور الزخرفية في حين انهم كانوا يعرضون عن أدوات مفيدة لانهم لا يستطيعون ان يظهروا بها أمام زملائهم ونظرائهم . كل ذلك يدلنا على ان الانسان مفطور على « كره المساواة »

اما انتشار المودة فانها تمرُّ في دورين : دور التقليد ودور التمييز . فالعامة يقلدون الخاصة على الدوام ولكن هؤلاء يبحثون دائماً عما يميزهم من العامة . فاذا وجدوا نمطاً جديداً تباهوا به ولكن العامة لا يلبثون ان يقتدوا بهم فيلجأون الى نمط آخر وهلم جراً

ومما زاد سلطان المودة على الناس في هذا العصر الروح الديمقراطية التي تمتاز بها المدنية الحديثة . اذ لم يعد اليوم بين الناس تلك الحواجز المنيعة التي كانت تقسمهم الى طبقات لا يجسر اهل طبقة اجتيازها الى غيرها . ومما سهل سبيلها ايضا تقدم الصناعة وسرعة انتشار الازياء بواسطة الجرائد والصور

اللعب والتروّض

بحث بسيكولوجي

عند قرب الاعياد تمتلئ الدكاكين بلُعَب الاطفال ولا تكاد تدخل بيتاً فيه طفل يدب حتى ترى اللعب منثورة بين اداة يزمر بها او كرة يتقاذفها او فرس من خشب او عروس مزينة بأبهى الزينات او غير ذلك

ولا تكاد تسير في مدينة ما حتى تراها مكتظة بالحانات والقهوات يتروض فيها الرجال بلعب « الطاولة » والشطرنج والبلياردو او باحتساء بنت الحان

ولا يوجد بلاد متمدنة الا ولها مصيفات على شواطئ البحور او قنن الجبال او شطوط البحيرات يرحل اليها السكان كل عام لقضاء بضعة اسابيع . بل لا تكاد توجد أمة ليس لها مخدر او مغيب مخصوص تتعاطاه . فالصينيون يدخنون الافيون والافرنج يحتسون الخمر وجميع الامم تكاد تدخن التبغ وتشرب القهوة

وكل هذا منشأه اللعب والهروب من الشغل فشارب الخمر لا يشربها الا ليغيّب ذهنه عن همومه كما يفعل لاعب الشطرنج او المتنزه بين الحقول عند خروجه من مكتب شغله

وقد بحث كثيرون عن منشأ اللعب عند الرجال والاطفال . فقال سبنسر ان الاطفال تلعب لوفرة ما فيها من النشاط والقوة . على ان هذا القول لا يفسر لعب الرجال . فاننا نشاهد الرجل يلعب الدومينو او الشطرنج لانهاك قواه من الشغل لا لوفرتها . بل هو لا يفسر لعب الاطفال تمام التفسير لانه لا يبين السبب الذي يجعل الاطفال تحب اللعب وتكره الشغل . فاننا نرى صبياننا يكترون البسكليتات ويجرون بها في الشوارع حتى يتصببون عرقاً ويلهثون تعباً ومع ذلك يلذ لهم هذا اللعب . ولكن اذا كلفهم احد الذهاب الى محل ما لتأدية احد الاغراض ولو لم يكلفهم من التعب قدر ما يكلفهم لعبهم لرفضوا او قبلوا مكرهين

وقال جروس الالماني ان اللعب هو تمرين على الشغل فالطبيعة في نظره تهيئنا نحن وبقية الحيوانات العليا للمستقبل بالعابنا المختلفة . فالقط يلعب بالكرة ويحاورها على سبيل الاستعداد حين يكبر وتتطلب حياته محاورة الجرذ واقتناصه . والشبل يحاور

ذنب اللبوة لهذا القصد ايضاً . واطفال الانسان تتقاذف الكرة لتتمرن على الرماية وتركب العصا لتتعلم ركوب الخيل والطفلة تلعب بالعروس الخشبية لانها تستعد للامومة الخ .

ولكن يحول دون هذه النظرية وجود العاب لا تدل على استعداد للمستقبل . ثم هي لا تفسر لعب الرجال . ولا ينكر ان ظاهر النظرية صحيح في ما يخص الاطفال

والحقيقة ان الاطفال تلعب لا لأنها تستعد للشغل وتتمرن عليه بل لان كفاءة الشغل من القوى الجديدة في الانسان . فهي حديثة العهد في نشوئه لا تظهر فيه الا بعد ان يجوز سن الطفولة

فقوى الطفل العقلية لا تتعدى قوى أسلافنا المتوحشين . فالجنين يمثل الادوار القديمة التي مرت في نشوء الانسان من الحيوان . والطفل يمثل في نشوئه العقلي تطورات أسلافنا الاولين . فلعب الطفل اليوم هو شغل أسلافنا قديماً

فالطفل يلعب لا لأنه لا يريد ان يشتغل بل لانه لا يعرف كيف يشتغل ومن يلومه على عدم شغله كمن يلومه لانه ليس له شارب أو لحية

اذاً ماهو الشغل وما الفرق بينه وبين اللعب ؟ الشغل هو عمل حاضر غير لذيذ توقعاً لنتيجة بعيدة لذيذة . وأما اللعب فهو عمل لذيذ في حد ذاته لا نتيجة له غير اللذة في تأديته

فالشغل مؤسس على غريزة جديدة في الانسان لم تكن من غرائز أسلافنا المتوحشين ، هي غريزة التبصر . فاسلافنا الاولون لم يزرعوا الارض وينتظروا نصف عام لكي يجنوا غلتها . ولم يبنوا البيوت لكي يؤجروها للسكان وينتظروا فائدتها البعيدة . ولم يحسبوا لمعاش أولادهم أو زوجاتهم . بل كانوا يكتفون بقوت يومهم بما يستخرجونه من بطن الارض من الجذور وما يصيدونه من الاسماك والحشرات والطيور وما يلتقطونه من الاثمار والاعشاب على نحو ما يفعل الآن بعض قبائل البوشمان في جنوب افريقيا ، وعلى نحو ما يفعل القرد المسمى بالغورلا

فالتبصر غريزة جديدة في الانسان . ولذلك فهي أقل الغرائز ثباتاً فيه . وهي لذلك أيضاً آخر الغرائز ظهوراً فيه

فالطفل لا يشتغل لانه لا يتبصر . وهو يلعب لان اللعب شغل أسلافنا القدماء فهو يولد وبه الغرائز القديمة ولكن ليس به الغريزة الجديدة — غريزة التبصر فهي تظهر فيه متأخرة كما ظهرت في النوع الانساني متأخرة

ان التبصر أجد الغرائز الانسانيـة ولذلك فهو أقلها ثباتاً . فهو أول ما يهرم في الشيوخ . فالشيخ اذا خرف انما يفقد غريزة التبصر . فهو لا يزال يروح ويغدو ويأكل ويعرف أصدقاءه وأقرباءه ولـكنه يسيء التصرف في أمواله

والسكير اول ما تخدر فيه هذه الغريزة ايضاً . والمريض كذلك

فالشيخ والسكير والمريض اول ما تبدو فيهم أعراض الضعف لا تكون في غير عجزهم عن الشغل

ومن هنا نفهم معنى لعب الاطفال والرجال . فالطفل يلعب بتقاذف الكرة لانه كذلك كان يفعل أسلافنا . وهو يحب الجري والقفز ولعبة الاختفاء والصيد لان كل هذه الاشياء كانت أشغال أسلافنا . والطفلة تلعب بالعروس الخشبية لا لأنها تمرن وتتهيأ للامومة بل لان امهاتنا السالفة كانت تشتغل منذ ازمان بعيدة بتربيـة الاطفال فالطفلة تولد وبها هذه الغريزة أيضاً

ورياضة الرجال والعابهم تماثل أشغال أسلافنا القديمة . وهي لا تفترق عن العاب الاطفال والصبيان الا بشيء واحد وهو ان الطفل أو الصبي يلعب لان غريزة الشغل لم تنشأ فيـه بعد وأما الرجل فيلعب بتنويم غريزة الشغل أو تخديرها أو اراحتها بأي شكل كان وايقاظ الغرائز القديمة

لقد أوضحنا السبب في سرعة تخدر غريزة الشغل في الانسان . والان يمكننا ان نفهم سر انتشار المخدرات مثل الافيون والخمر وغيرها بين الامم

فالناس حديثو العهد بالشغل . فهم يسأمون بسرعة من دوام اليقظة والانتباه والقلق للمستقبل والدأب على العمل لان هذه غريزة جديدة لم تتعمق جذورها بعد في أعصابهم ولا تفرعت أغصانها في خلايا أدمغتهم . فهم لذلك قد توسلوا الى اخماد هذه الغريزة واراحتها باصناف الخمور والمخدرات

فالخمر أول ما تخدر في الانسان غريزة الشغل . فالسكران لا يشتغل ولا يستطيع الشغل اذا حاوله . ومتى تخدرت غريزة الشغل استيقظت غرائزنا الاولى الوحشية . فالسكران هو في الحقيقة متوحش وقت سكره . ولذلك فهو يفك نفسه من قيود المدنية في أقواله وأفعاله . فالسكر ضرب من اللعب تستيقظ فيه الغرائز القديمة بتخدر غريزة الشغل الجديدة . على نحو ما يريح الانسان يده اليمنى من التعب بتشغيل يده اليسرى

على ان الرجال تلعب أحياناً وتتروض عن غير سكر . فما معنى لعبها ؟

ان من يتأمل في لعب الرجال ورياضتهم يجدها في الحقيقة مثل لعب الاطفال وأشغال أسلافنا المتوحشين . فنحن نتروض بالسير في وسط الحقول وبالصيد على شطوط الانهار وبالتجذيف في القوارب الصغيرة وبالتوقل في الجبال كما يفعل رواد جبال الالب كل عام فبالسير حفاة الاقدام كما يفعل المصطافون في رأس البر . فما معنى هذا ؟ أليس هو ايقاظاً لغرائزنا الوحشية القديمة حتى تستريح غريزتنا الجديدة — غريزة الانتباه والقلق والتبصر — غريزة الشغل ؟

أليست الدومينو والشطرنج وأمثالهما من العاب الرجال كلعبة الاختفاء عند الاطفال ؟ ألا يخفي كل من اللاعبين غرضه ويحدس غرض خصمه ليوقعه ؟

وقديماً كان يفعل أسلافنا المتوحشون ذلك . فكم من مرة تأثرهم العدو وهم يختفون منه ويحدسون غرضه ونحن من نسل اولئك الذين صدقت فراستهم ونجوا من عدوهم . فغرائزهم لا تزال فينا تستيقظ من وقت لآخر ونحن نوقظها ويلذ لنا عملها

كان الانسان في أول عهد الارض جماداً لاصقاً بها لا يقاوم الجاذبية . ثم دبت الحياة في الجماد فصار خلية تتحرك وتقاوم الجاذبية ثم سبح في الماء وارتقت فيه الحياة وقويت فخرج من الماء الى اليابسة وهو يزحف . ثم شب على اربع وها هو الان قد انتصب على قدميه . على انه لا يزال حديث العهد بوقوفه على أقدامه . ولذلك فنحن نتعب من الوقوف أشد التعب ونتعب من الجلوس أقل التعب ولا نستريح الا اذا انطرحنا على الفراش بهيئة السمك

والطفل أول ما يولد يبقى منطرحاً جملة أشهر لا يعرف كيف يجلس . ثم يقعد . ثم يزحف على أربع . وأخيراً يدب متعسراً على قدميه . وكذا الحال في قوانا العقلية . فاحدثها عهداً في نشوء نوعنا اكثرها تعباً لنا وأقلها احتمالا للمخدرات وآخرها ظهوراً في الافراد . أليس من دلائل الجنون الاولي ان يزحف الانسان ويمشي على أربع ؟ فما معنى هذا الا تعطل القوى العقلية الجديدة وانتباه القوى القديمة ؟

ان عمر الفرد لا يقتصر على السنين المعدودة التي عاشها من يوم ولدته أمه . فنحن احياء على هذه الارض من يوم ان نشأت الحياة عليها من الخلية الاولى الى الآن . وانما مرت بنا أدوار تطورنا فيها . فنبتت فينا غرائز جديدة وخمدت اخرى قديمة . غير أن غرائزنا الجديدة لا تزال متقلقلة غير ثابتة لم تندغم بعد في بناء الجسم الانساني

سلامه موسى

حماية الجندي

في الماضي والمستقبل

كثيرة هي الوسائل الحربية القديمة التي بعثت في هذه الحرب بعد اهمالها زمناً طويلاً . ولعل الدروع في مقدمتها . وقد اطلعنا في احدى المجلات العلمية على وصف لتطور الدروع على انواعها منذ اقدم العصور الى هذا اليوم مع بحث في مستقبلها . فرأينا تلخيصه لقراء الهلال مع اضافة كلمة عن لبس الجنود عند العرب

ان تاريخ الوسائل الدفاعية والطرق الواقية في الحروب مرتبط شديد الارتباط بتاريخ الاسلحة ومعدات القتال . ولذا يجدر بنا ان نميز دورين في ذلك التاريخ :

اولاً : دور السلاح الابيض والآلات الدافعة الضعيفة كالقوس والمنجنيق ونحوهما

ثانياً : دور الاسلحة النارية — أي من أواخر القرن الخامس عشر واوائل السادس عشر الى هذا اليوم

١ — دور السلاح الابيض

اذا رجعنا الى اول أزمنة التاريخ رأينا آثاراً للاسلحة الهجومية وقلما نرى آثاراً للوسائل الدفاعية . فهل نستنتج من ذلك انه لم يكن لها وجود في تلك العصور الخالية ؟ كلا . فلا ريب في ان ما كان يرتديه الانسان الاول من جلد وفرو كان يعينه على الدفاع عن حياته . ثم انه لم يلبث ان عرف كيف يستخدم الترس

ثم شرع الانسان بعد ذلك يقي رأسه وسائر جسمه بالخوذ والدروع . وقد ثبت ان استعمالها أحدث من استعمال الاتراس . وقد وجدوا في اوربا خوذاً من البرونز ترجع الى بضعة قرون قبل المسيح كما انهم وجدوا اتراساً مقواة بالحديد والبرونز في فرنسا منذ عهد الغاليين . أما اليونان والرومان فقد استعملوا الدروع والاتراس على أنواع مختلفة

وقد اقتدى العرب في بادئ أمرهم بالروم من حيث ملابسهم الحربية ثم تفننوا فيها وحسنوها وكان الترس عندهم أصناف كل منها يصلح لشيء

فمنها المسطح والمستطيل والمحفر الوسط والمقبب فالمقبب المنحني الاطراف وقد تفننوا في صنع الاتراس ونقشوا عليها الآيات والحكم والاشعار . وتميزت أتراس كل بلد بشكل خاص ومنها الترس الدمشقي والترس العراقي والغرناطي وغيرها

اما الادراع فهي كثيرة عند العرب ومنها الحديد والفولاذ والكتان . وكانوا يسمون درع الكتان « دلاص » ولم يكن يقتني الادراع من العرب غالباً الا الفرسان وهي من صنع الروم أو الفرس على الغالب . وعندهم ادراع مشهورة بأسماء معينة مثل درع خالد بن جعفر فقد كانوا يسمونها ذات الازمة لانها كانت لها عرى تعلق بها اذا اراد لابسها ان يشمرها

وكانت الدرع الكاملة مؤلفة من الجزء الذي يقي الصدر وهو الجوشن . والبيضة والخوذة والمغفر للرأس . ومنها اجزاء للساعدين والساقين والكفين

٢ — دور الاسلحة النارية

على ان الدروع وسائر طرق الوقاية الفردية لم تلبث ان تلاشت شيئاً فشيئاً أثر ظهور الاسلحة النارية . فانه في أوائل القرن السادس عشر كانت تلك الاسلحة قد بلغت درجة من الاتقان لم تبق فائدة للتدرع أذ كان الرصاص والقنابل تخترق الدروع

وبعبارة اخرى ان الاسلحة النارية غيرت شكل القتال فبعد ان كانت الجيوش تتقاتل جسماً لجسم أصبحت تتقاتل على مسافات بعيدة مما جعل الجندي ان يسعى في تخفيف ما يحمله من الثياب والدروع تدريجاً ليتمكن من سرعة الانتقال . ولهذا السبب رأينا طرق الحماية التي كانت مستعملة قبلا تندثر شيئاً فشيئاً وكان اولها الترس ثم الصفائح المدرعة الثقيلة واخيراً الزرد والخوذة

٣ — الحرب الحاضرة

على ان الحرب الحاضرة قد بينت انه يحسن الرجوع الى تدريع الجنود وحمايتهم وقد كانت اول خطوة في هذا السبيل إستعمال الجهازات الواقية من الغازات الخانقة ثم الخوذ الفولاذية التي عم استعمالها في جيوش الحلفاء

فقد وجدوا ان الجروح في الرأس اخذت تتزايد فقررت الحكومة الفرنسية استعمال الخوذ الفولاذية .وقد ثبت انها اتت باحسن النتائج . فكثيرون هم الجنود الذين نجوا من الموت بفضل خوذهم الفولاذية . على ان فائدة الخوذ تقتصر على حماية لابسها من الرصاص الذي يقع منحنياً

على انهم يفكرون اليوم في حماية سائر اجزاء الجسم اسوة بالرأس . فقد ثبت في هذه الحرب ان كثيراً من شظايا القنابل والمفرقعات ضعيفة الزخم بالنسبة الى رصاص البنادق وانه يمكن منعها عن الوصول الى الجسم بلبس صفائح فولاذية وان تكن رقيقة

قال أحد الاطباء العسكريين الذين درسوا هذا الموضوع :

لقد اثبتت الحرب الحاضرة ما يأتي :

اولاً ان الجروح الناشئة عن الشظايا القليلة الزخم اكثر من الجروح الناشئة عن رصاص البنادق والمتراليوز . فان شأن البنادق والمتراليوز ما برح يقل منذ نشوب الحرب . وبعكس ذلك الشرابنل والمفرقعات على انواعها . فان ثلاثة ارباع الجروح ان لم يكن اكثر من ذلك ناشئة عن شظاياها

ثانياً ان تلك الشظايا وان تكن صغيرة الحجم فهي شديدة الخطر لانها تستقر في الجسم وتولد حولها تسمماً لا يلبث ان ينتشر في جميع الاعضاء وكثيراً ما يؤدي الى الموت

ثالثاً كثير من الاصابات بالشظايا يمكن ملافاتها باستعمال صفائح معدنية رقيقة . وقد اثبت ذلك استعمال الخوذ الفولاذية لوقاية الرأس كما ذكرنا

والخلاصة ان حرب الخنادق قد غيرت الاحوال الحربية واستدعت الرجوع الى طرق الوقاية القديمة . والحلفاء يدرسون اليوم هذا الامر باهتمام . وقد نشرنا صورة درع اقترح استعماله فلا غرابة اذا رأينا الجنود بعد قليل على تلك الصورة التي تذكرنا بالعصور السالفة

بحث في النقد

— ٥ —

النقد في فرنسا

٢ — الدور الثاني : بوالو زعيم المحافظين

وضع ماليرب الحجر الاول للبناء الشائق الذي شيده زملاؤه وخلفاؤه في القرن السابع عشر وتوارثته الاجيال من بعدهم . والحق يقال انه رغم صغر شأنه في الشعر والادب قد حاز في النقد شهرة واسعة خلدت اسمه وطيبت ذكره . ونحا نحو ماليرب في علم النقد غيره من معاصريه الذين انفقوا حياتهم في درس الآداب والعلوم القديمة ووضع خطة رشيدة ومنهج قويم للآداب الفرنسية : وهم الفيلولوجيون . ونخص منهم بالذكر اثنين كان لهما شأن خطير في عصرها : شابلان Chapelain وبلزاك Balzac

أما شابلان فكانت شهرته في الحقيقة اوسع من علمه . ولولا ان الوزير الكبير الكردينال ريشليو كلفه في سنة ١٦٢٩ انشاء الاكاديمية الفرنسية ورئاستها لاغفلنا ذكره . وقد كان مع قلة درايته اعظم نفوذاً من معاصريه الذين كانوا اولى منه واحق برئاسة ذلك المجمع الادبي

أن الفائدة التي عادت على الآداب الفرنسية من وراء تأليف ذلك المجمع غنية عن كل بيان . ويكفيه شرفاً انه ضم اعظم كتاب فرنسا ويكفي أولئك حظاً ان عدوا من اعضائه . وقد اوعز ريشليو الى رجال الادب في انشائه تحت رعايته رغبة منه في السيطرة على الافكار لما كان للعلم والادب في عصره من النفوذ الشديد . فكان تأليفه في بادئ الامر لغرض سياسي : يؤيد ذلك ما حرره اعضاء المجمع تحت رئاسة شابلان في انتقاد رواية السيد le Cid للشاعر النابغة بيير كورنيل Pierre Corneille . فان الشاعر المذكور اخذ موضوع روايته عن كاتب اسباني — وكانت اسبانيا وفرنسا منذ عهد فيليب الثاني في عداء ونزاع — فغضب الوزير على الشاعر وسعى سعياً متواصلا في تحقير روايته والحط من قدره . وقد اشتهر ريشليو بالمكر والدهاء ، فرأى ان منع تمثيل الرواية يكسبها شهرة واقبالاً فآثر الانتصار على غريمه بطريق القلم وبواسطة الادباء نظراء كورنيل فاستصدر من اعضاء المجمع كتاباً تحت عنوان : « آراء الاكاديمية

في رواية السيد « Sentiments de l'Académie sur le Cid » . فجاء هذا الكتاب بالرغم من الانتقاد الشديد الجائر اول بحث عملي في النقد . وقد اجاد واضعوه في تطبيق قواعد النظم وشروط التأليف على الرواية المذكورة . غير ان النقاد في ذلك الوقت كانوا يعتبرون معرفة القواعد أس كل نجاح ذاهبين مذهب لونجين اليوناني (راجع المقالة الثانية في النقد عند الرومان) فضلوا السبيل . ولكن مما لا ريب فيه ان اعضاء هذا المجمع افادوا اللغة الفرنسية فائدة لا تحصى اذ ألفوا قاموساً لغوياً (١٦٣٩ — ١٦٩٤) جمعوا فيه جميع الكلمات المتداولة بين الطبقة الراقية ، اي انهم نقحوا اللغة وهذبوها بإهمال الالفاظ الخشنة التي ما عتمت ان تلاشت بالتدريج لقلة استعمالها حتى ماتت . وفي الوقت نفسه وضع فوجلا Vaugelas أجروميته المشهورة في سنة ١٦٤٧ وكان ظهورها آخر عهد الاصلاح اللغوي

أما بلزاك فقد وقف حياته للكتابة والتأليف وصرف وقته في وضع قواعد الكتابة النثرية وشروطها . وكان له آراء سديدة خالفت آراء معاصريه ولكنها حازت رضى بوالو . غير ان الحظ كان جحوداً فتركه يعمه في ظلمات النسيان — والشهرة على حد قول بعضهم حظ في بعض الاحيان . انتقد بلزاك الكتاب القائلين بتقليد القدماء تقليداً كلياً ، فابان ان تقليد الشيء الحسن ليس بالامر الميسور بالنظر الى التفاوت العظيم بين القرائح المبتدعة وسواها ، وان من كان النقل رائده لا يأخذ غالباً الا عيوب الذين ينقل عنهم . فقد سها عن أولئك الكتاب ان الانسان غير معصوم عن الخطإ فغفلوا عن الاغلاط المحشوة بها مؤلفات الاقدمين فنقلوها بدون تروٍ

فكان بلزاك أول من رفض مجاراة القدماء وجاهر بوجوب مراقبة كتبهم وفحصها فحصاً دقيقاً قبل الفصل في شأنها واعتبارها أصولا ومصادر . وقد أفضت تعاليمه الى اضعاف نفوذ القدماء وانتهاج بعض الكتاب المبتدعين منهجاً جديداً أدى بهم الى تكوين روح جديدة للآداب الفرنسية . غير ان الكتاب لم ينهجوا ذلك المنهج بصفة عمومية الا بعد النزاع الشديد الذي قام بين بوالو زعيم الكتاب المحافظين وبيرولت Perrault زعيم الكتاب الاحرار . وهو ما سنتكلم عنه في الطور الثالث (المنافسة بين القديم والحديث)

وقد جمعت الاكاديمية بين كتاب ذلك العصر وأوجدت بينهم صلة متينة ورابطة وثيقة . فتوحدت الاراء وانتظمت وسار الكتاب في طريق واحد متعاونين في البحث

والتأليف . وحوت الاكاديمية ضمن أعضائها ناقداً بصيراً عمت شهرته جميع الاقطار الاوربية في القرن السابع عشر وهو بوالو ديبريو Boileau Despréaux

يمثل بوالو علم النقد في عصر الملك العظيم لويس الرابع عشر . فقد فاق نفوذه كل نفوذ وقضى على كل ذي شهرة في زمانه ولا سيما أثر اصداره كتابه في فن النظم Art poétique (سنة ١٦٧٤)

أتى بوالو في عصر كانت الآداب الفرنسية فيه متنحية المنهج القديم — منهج اليونان والرومان . انما كان الكتاب قبله يسيئون تقليد القدماء في الانشاء والتأليف والنقل عن كتبهم لعدم تمييزهم الصالح من الفاسد : فذهب كل واحد منهم مذهباً في التقليد خاصاً به حسب ما أوحته اليه مشاعره وأغراضه

وكانوا في الوقت نفسه يترفعون عن استعمال التعابير والالفاظ العامية التي قضى عليها قاموس المجمع الادبي لانهم كانوا يختلطون بالاشراف اهل التحذلق والتصنع Les Précieux ويقتدون بهم في الكتابة والمحادثة . ابتدع هؤلاء الاشراف لغة مزخرفة محشوة باستعارات عويصة مستهجنة وتشابيه غامضة تنافي سلاسة اللغة الفرنسية الاصلية وعذوبتها ووضوحها . وكان أهل العلم والادب يكتبون لهؤلاء الاشراف دون سواهم وجل غرضهم اكتساب رضاهم فلذلك كتبوا بلغتهم . على ان فئة من الكتاب العاميين مثل موليير الذين لم تربطهم رابطة التعارف والتودد بعلية القوم جهلوا أو تجاهلوا لغتهم فكتبوا بلغة الشعب البسيطة : أولئك هم الكتاب الحقيقيون الذين لم يشوهوا الجوهر بزخرف الكلم

وكان بوالو من أصل وضيع نشأ بين العامة وتلقى عنهم علومه ومعارفه واقتدى بهم في كل شيء فنقل عاداتهم ومشاربهم . ومن طباع الفرنسي أو الغالي الغريزية السخرية والحرية في القول يقول الحق جهاراً بدون تنصل ولا خوف . فلم يحجم بوالو عن مقابلة مؤلفات الكتاب اللائذين بالاشراف بالتهكم والتقريع فاصدر أهاجيه المشهورة Satires يهجو فيها الكتاب والاشراف والنساء المتحذلقات ، ولم ينج ذو نقيصة من قدحه . ولكن لم تفه شفتاه الا بالحق ولم يخط قلمه الا الصواب . ولم يقرأ الفرنسيون مبحثاً في «النقد الادبي» قبل الاهاجي ، فكان بوالو مبتدع هذا الضرب من النقد

غير ان الرجل لم تذع شهرته وتعم فرنسا الا بعد صدور كتابه في فن النظم — وهو

من الآثار الفرنسية الخالدة التي لن يمحوها الدهر — أودعه آراءه في الشعر وذكر فيه القواعد المختصة بكل أسلوب من أساليبه وكل فرع من فروعه ، وضمنه نصائح ثمينة للكتاب جديرة بعنايتهم . وقد اشترط على كل من أراد اتخاذ الكتابة حرفة ان تتوافر فيه شروط الكاتب الحقيقية وان يكون حائزاً جميع الصفات التي تؤهله للتأليف بشكل يرضي القراء : من عبقرية عصماء وعقل مبتدع وذوق سليم وشعور رقيق وعلم باصول اللغة وقواعدها ومعرفة تامة بالآداب القديمة لتكون لديه بمنزلة مصادر يرجع اليها وأصول ينسج على منوالها . وكان للعقل عنده أعظم شأن فمنحه المرتبة الاولى فى عداد الصفات البشرية عامة ومميزات أهل العلم خاصة . فتراه دائماً أبداً يكرر النصح على الكتاب ألا يكتبوا شيئاً الا والعقل رائدهم في كتابته

وقد تصدى بوالو في كتابه المذكور الى البحث في مسألة خطيرة وجه اليها كل عنايته وهي : هل الجمال بوجه عام — وهو محور الفنون الجميلة — من الاشياء الاكيدة الثابتة التي لا تتغير ? وكان جوابه بالايجاب : لان الفنون الجميلة — مثل الشعر والتصوير — التي تتجلى فيها روح الجمال ليست مختصة بأمة من الامم او زمان من الازمنة . وقد أدت هذه النظرية الى التسليم أيضاً بأن الذوق السليم الذي يميز الغث من السمين لا يمكن أن يتغير بتغير الاقاليم والعصور فيصدر حكمين مختلفين على شيء واحد : فان ما كان جميلا البارحة هو كذلك اليوم وغداً . ودليل ذلك أن رواية تمثيلية مثل اوديب الملك التي حازت رضى اليونان في العصور الاولى لا تزال الى الآن تستفز اعجاب الناس اجمعين بالرغم من تفاوت المشارب والآراء والحضارة بين العهدين القديم والحديث ، كذلك شعر الجاهلية فقد جاء موافقاً لذوقنا . والا ما نال اعجابنا وحذونا حذو الجاهليين في النظم . هذا هو السبب الذي دعا بوالو الى حث الكتاب على تقليد القدماء واتباع القواعد التي استخلصها من كتبهم . وهو آخر كاتب في القرن السابع عشر اعترف بنفوذ الاقدمين واعتبر تعاليمهم وقال بوجوب تقليدهم

وقد اوصى ايضاً بالنقل عن الطبيعة والرجوع اليها في كل وقت لتغذية المدارك اذ أنها المدرسة الحقيقية التي تتلقى فيها العلوم الصحيحة والفنون الجميلة . فليس في عرفه صحة لزعم القائلين بان في الطبيعة اشياء واحياء خالية من كل حسن وجمال حتى تحمل الناقل او المصور على تذويقها . فلسان حاله كان : أن كل شيء جميل في الطبيعة وجمالها دائم ثابت ، وقد جاءت مؤلفات الاقدمين صورة مطابقة لها فعاشت ووصلت الينا

بالرغم من القرون الطويلة التي مرت عليها . فان الشعور والوجدان في الانسان لايختلفان بمرور الزمان ما دام المنبت الذي نشأنا منه جميعنا واحداً ولذا فان ما وافقهم يوافقنا . على ان هنالك فئتين من الكتاب الاقدمين الذين وصلت الينا اخبارهم : فريق منهم تعرض للمواضيع الخصوصية الوقتية — تلك التي لا تهم الا شعباً مخصوصاً وزمناً معيناً ، والفريق الآخر كتب في مواضيع عمومية وحقائق ثابتة راهنة لا تتزعزع — تلك هي الكتب التي لا يخني الدهر عليها يهرم الانسان ولا تهرم وان كللتها عشرات القرون

ولذا كان بوالو ينتقد الكتاب المدعين العلم والمعرفة على اللغة المزخرفة التي كانوا يكتبون بها ويخبئون تحت زخرفها الكاذب فارغ الافكار ومبتذل الاراء. فاذا كتبوا في موضوع لم يوفوه حقه من البحث والتحقيق : فجاءت كتبهم خالية من كل فائدة . واذا مروا بمحيا يريدون تصويره نظروا اليه نظرة سطحية ولم يروا فيه الا ما تقع عليه أعينهم : فتأتي الصورة خالية من كل روح وحياة . والويل لمن كان ينتقد هؤلاء الكتاب المدعين الذين لم يفلحوا الا في تقريظ انفسهم فانهم كانوا يرمونه بالجهل والضلال قائلين : ألا ترى اننا نصلح عيوب الطبيعة ونحسن الصورة التي ننقلها عنها ! قال بوالو : لقد ضل هؤلاء. تالله ان كل شيء جميل في الطبيعة حتى الثعبان اذا احسنت تصويره والصحراء اذا احسنت وصفها ، فاجعل الطبيعة مدار بحثك ودرسك لان الطبيعة جذابة بلا تصنع عقيم وزخرف فاسد ، ولن تجد الحقيقة الا في الاشياء الطبيعية وكل شيء جميل في موضعه . فما على الكاتب الا ان ينقل الاشياء كما هي بلا تزويق ويورد الحقائق على علاتها بلا تمنيق . وعلى ذلك فكان بوالو اول من ارشد الى تمثيل الآداب للطبيعية Réalisme

وقد افضت تعاليم بوالو الى اندماج الاداب الفرنسية والآداب اليونانية اللاتينية. اذ اراد ألا يتبع الكتاب في التأليف الا احكام المنطق واكد عليهم تحكيم العقل في كل ما يكتبون. ثم دعاهم الى ان ينهجوا منهج الاقدمين في فن الكتابة وسبك الكلام وانتقاء الالفاظ والتعابير : فوفق بين الروح الفنية القديمة والروح العلمية الحديثة التي نشأت على أثر ظهور مؤلفات ديكارت Descartes وبسكال Pascal وهما من شهيري كتاب فرنسا وفلاسفتها في عصر لويس الرابع عشر . وكان اهتمام بوالو بفن الانشاء أكثر من اهتمامه بالمعاني حتى كاد يفضل العبارة الرشيقة البليغة على المعنى السامي

الغزير . ومن آرائه الشائعة ان غرض الفن توليد المسرة والارتياح في القارئ . فان كتب احدهم كتاباً لم يسبب ذلك الارتياح فقد ضل السبيل واخطأ المرمى . ولذا كان يسخط على الكتاب الذين ألفوا في المواضيع التي أحدثت ضرراً للقارئ ويناوئهم العداء ويقابل كتبهم بالنقد الشديد . وقد عاب موليير لوضعه روايات تمثيلية مجونية اورد فيها قبائح فئة من الناس بشكل يضحك ولا يهدي — الشيء الذي تشمئز منه النفوس الابية . فكان بوالو يميل الى تمثيل الآداب للطبيعة بشرط ألا يكون التمثيل داعياً لاستمالة بعضهم الى الموبقات وانتهاجهم المحرمات — وكان يجل الكتاب المتأدبين في التعبير الذين لا يشينون كتاباتهم بالفاظ غير مهذبة

هذه هي مبادئ بوالو بسطناها باختصار . وكان بودنا ان نورد سائر آرائه في النقد لما فيها من الفائدة العظيمة ، الا أن ضيق المقام لا يسمح لنا بذلك

وقد زعم بعضهم ان تعاليم بوالو كانت سبباً في اماتة القرائح المبتدعة والعواطف والخيال . ولكنه في الحقيقة كان ازاء الكتاب من معاصريه بمثابة مرشد يدلهم الى المنهج القويم . فلم يحصر مداركهم ولم يضعف فيهم الشعور والقريحة والخيال . ومثله مثل استاذ في فن التصوير يلقي على تلاميذه دروساً في الرسم ثم يتركهم وشأنهم يبتدعون ما توحيه اليهم قرائحهم ، اذ قال : « عبثاً يحاول احد ان يكتب ان لم تكن فيه ملكة الكتابة . فان لكل شخص مزية تؤهله الى العمل والنجاح في مهنة مخصوصة يجب عليه الا يتركها الى سواها »

ويتبين لنا مما تقدم ان بوالو كان من فئة النقاد الفيلولوجيين . ولكنه اهتم خصيصاً بالنقد الادبي وجهل سواه . وقد وقع في خطأ جسيم اذ غض النظر عن نقطة مهمة وهي الحكم على المؤلفات بالنسبة الى الزمان والمكان اللذين صدرت فيهما : ولا عجب في ذلك فانه كان غير عالم بالتاريخ ولم يشأ ان يبحث الا في الادبيات وكل ما تعدى دائرتها المحدودة كان مجهولاً لديه

٣ — الطور الثالث : المنافسة بين القديم والحديث

وكان لبوالو أعداء كثيرون وخصوصاً في المجتمعات الادبية التي كان يرتادها الاشراف وغيرهم من علية القوم وفئة من الكتاب المدعين المغرورين بانفسهم الحاسدين لكل ذي شهرة . ومن جملة أولئك الكتاب شارل پيرولت Charles Perrault

وفونتنيل Fontenelle أما نوابغ الشعر والنثر في عصره فكانوا موالين له جميعاً وكلهم يعترفون بفضله

وقد شهر بيرولت على خصمه حرباً عواناً يوم تلا قصيدته في « قرن لويس العظيم » ، تلاها على ملء من أعضاء الاكاديمية الفرنسية وفي حضرة بوالو . فلم يطق بوالو صبراً على سماعها لما فيها من الاغلاط الفاحشة : فخرج قبل ان يفرغ الشويعر من قراءة قصيدته ساخطاً عليه وعلى كل من كتب شعراً كذلك الشعر

وكان موضوع تلك القصيدة المقارنة بين طائفة الكتاب في عصر لويس الرابع عشر والكتاب الاقدمين . وقد فضل بيرولت كتاب عصره ومن ضمنهم الكويتب والشويعر . قال : « ان الطبيعة لم تتغير منذ عهد اليونان والرومان . وكما انها منحت هؤلاء عقلاً رزيناً وذوقاً سليماً فهي لا تبخل على رجال اليوم بتلك المزايا والصفات . وعلى ذلك فالعبقرية موجودة في كتابنا مثلما كانت في الاقدمين . ولكن بالنظر الى ان الكتاب الحاليين جاؤوا بعد الاقدمين فهم أعلم منهم وأدرى بشؤون الفن والادب » . وقد فات بيرولت ان الانسان يختلف باختلاف الاقاليم ويتكيف وفقاً للتطور الدائم المستمر وان النوع البشري اما ان يكون في تقدم ورقي اذا دامت جامعته السياسية والمدنية أو في هبوط وتقهقر اذا تلاشت دولته وذهبت حضارته

وقد لاقت نظرية بيرولت اقبالاً عظيماً لدى الكتاب الاصاغر في عهده لانها جاءت على مرامهم . أما النوابغ فيهم فقد تواروا في رمسهم وهبطت الآداب من بعدهم . اذ زال نفوذ الاقدمين وماتت الروح الادبية العاملة وصار الكتاب الباقون لا يفقهون الفن الصحيح فسار كل منهم في طريق جديد خاص مدعياً ان الآداب لا تتقدم الا بخروجها عن التقليد . وبذلك ابتدأ عصر التقهقر

وقبل ان ننتقل الى ذلك العصر يجدر بنا أن نلقي نظرة اجمالية الى حالة الآداب في عهد لويس الرابع عشر : فقد استفرد ذلك الملك العظيم بشؤون السياسة والادارة فترك لطبقة الاشراف وقتاً ثميناً صرفوه في تأليف الجمعيات الادبية ولذا اشتهر ذلك العصر بحيازته للآداب والفنون . ومن ميزاته ايضاً انه كان عصر تدين . ودليل ذلك ان اعظم المؤلفات التي صدرت في القرن السابع عشر بحثت في مواضيع دينية

م ٠ ب ٠

سوق الزواج الملكي

٤ — الاسرة الانكليزية

من التقاليد المعروفة عن الاسرة الانكليزية المالكة ان الغالب في زواج افرادها ان يكون مبنياً على الحب بدلا من الاغراض السياسية . فقد كان زواج المرحومة الملكة فيكتوريا نفسها حادثة من الحوادث الغرامية الشهيرة التي جاءت باحسن النتائج حتى عزمت الملكة ان تأذن لجميع اميرات البلاط وامرائها ان يتزوجوا من يشاءون

فزواج الاميرة فيكتوريا بولي عهد المانيا (الامبراطور فردريك) كان من الحوادث الغرامية السعيدة وقد قالت عنه الملكة في مذكراتها انه كان قراناً ميموناً ادى الى سعادة الزوجين في معيشتها البيتية

وكذلك كان زواج الاميرة بياتريس بالامير هنري اوف باتنبرج

ومن الحوادث الخطيرة التي جرت في عهد الملكة فكتوريا زواج الاميرة لويز بالماركيز لورن احد اشراف سكوتلندا ووارث احدى الدوقيات . وقد أقام هذا الحادث انكلترا وأقعدها فلام بعضهم الملكة على تساهلها ولكنها لم تعبأ بتلك الاقوال لانها كانت تنظر الى سعادة الاميرة وتفضلها على كل اعتبار آخر . وقد أيدت الحوادث حسن اختيارها فان معيشة الاميرة مع الماركيز كانت معيشة سعادة وهناء

وفي الواقع ان زواج الاميرة لويز كان فاتحة عصر جديد في تاريخ زواج الاميرات الانكليزيات . ولم يحدث زواج بعده في البلاط الانكليزي حتى سنة ١٨٧٣ وهي السنة التي اقترن فيها الدوق اوف ادنبرغ (ابن المرحومة الملكة فكتوريا الثاني) بالغراندوقة ماري الكسندروفنا كريمة قيصر روسيا وقد كان هذا القران من الحوادث الغرامية والسياسية معاً لانه ادى الى تقرب جديد بين

الاسرتين الروسية والانكليزية بعد ان كان النفور قد استحكم بينهما بسبب حرب القريم . وقد كانت الغراندوقة ماري على جانب عظيم من الثروة ودماثة الاخلاق حتى كانت المرحومة الملكة فكتوريا تباهي بها . قيل انها اهتمت بحفلة زواجها الذي عقد في بطرسبرج (بتروغراد) وحضره جمهور كبير من ملوك اوربا وامرائها ومنهم ولي عهد انكلترا يومئذٍ وولي عهد المانيا وزوجته وكثيرون آخرون . وقد أعرب جميعهم عن شدة سرورهم لما لاقوه من حسن الضيافة . ولا تزال كاتبة هذه السطور تتذكر انه عندما عادت ولية عهد المانيا الى برلين ارتني سواراً بديعاً كان قد أهداه اليها قيصر روسيا في يوم مغادرتها بتروغراد

وقدم العروس والعريس الى انكلترا بعد عقد زواجهما فاستقبلتهما عند المحطة الملكة فكتوريا بذاتها ومنذ ذلك اليوم أصبح للغراندوقة مقام سام في البلاط

وبعد ذلك بنحو ست سنوات اقترن الدوق اوف كنوت (اخو الدوق اوف ادنبرغ وابن الملكة فكتوريا) بالاميرة لويز مرغريت . وكان قد رآها لاول مرة في حفلة زواج اختها الاميرة ماري البروسية بالامير هنري الهولندي فاحبها وأحبته وطلب من امه ان تأذن له في الاقتران بها . وقد كان الدوق احب اولاد الملكة اليها فلم يسعها الا ان تجيبه الى طلبه . وما هي الا ايام قلائل حتى تم عقد الزواج في قصر وندزور . ومع كون الاميرة من أصل بروسي فقد أظهرت حباً غريباً لزوجها وغيرة على مصلحة الدولة الانكليزية مما لا يكاد يصدقه الفكر

ولم يكن في اقترانها بالدوق اوف كنوت شيء من الاعتبارات السياسية بل قد كان مبنياً على الحب المخلص . ولذلك كانت معيشة العريسين هنيئة وقد ربت الاميرة اولادها تربية صالحة ونفخت فيهم حب الوطن والتفاني في خدمة الدولة حتى انه لما نشبت الحرب سخطت على امبراطور المانيا وأعربت عن مزيد حقدها عليه

***

وبعد زواج الدوق اوف كنوت بثلاث سنوات اقترن ابن الملكة الاصغر

(الامير ليو بولد دوق اوف الباني) بالاميرة هيلانة اخت ملكة هولندا . و بعد سنتين توفي الامير ليو بولد فتنحت زوجته عن حضور حفلات البلاط وانقطعت الى تربية ولديها وكان أصغرهما قد ولد بعد وفاة ابيه . ولما كان هذا الولد سيرث دوقية كوبرغ في حاله وفاة عمه الدوق اوف ادنبرغ أخذته امه الى المانيا لتهذبه هناك . وفي سنة ١٩٠٠ ورث الدوقية المشار اليها . ولما نشبت الحرب الحاضرة لم يكن سلوكه مما يرضي الحكومة الانكليزية فقررت حرمانه من بعض الامتيازات. أما اخته الاميرة اليس فقد حافظت على اخلاصها لوطنها وتفانيها في سبيله حتى انها أقسمت بانها لن تتزوج اميراً أجنبياً . وفي الواقع انها تزوجت الامير الكسندر اوف تيك اخا جلالة الملكة ماري وهي تقيم الآن في قصر امها أو في وندزور حيث تلاقي من الملك انعطافاً عظيماً

***

ولا يخفى ان الاميرة بياتريس كانت اعز بنات المرحومة الملكة فكتوريا وأحبهم اليها . وقد كانت الملكة تعتمد عليها في جميع الشؤون وتحترم آراءها السياسية ايما احترام . واتفق مرة ان الملكة ذهبت معها الى دارمستاد لترى احفادها الذين كانوا يقيمون هنالك . فوقعت عين الامير هنري اوف باتنبرغ على الاميرة بياتريس فاحبها وأحبته . وكان الامير من أجمل امراء اوربا وانبغهم . ولكن الاميرة خافت ان هي تزوجت وفارقت امها الملكة فقد يحزنها فراقها وربما لم تعش طويلا بعده . ولذلك فضلت السكوت الى ان درت الملكة بالمسألة فسعت لاتمام عقد الزواج الذي كان في الحقيقة من الحوادث الغرامية الكبيرة وقد آل الى معيشة هنيئة

ومن غرائب الاتفاق انه قبل زواج الامير هنري اوف باتنبرغ كان ضابطاً في الجيش البروسي . وكانت كاتبة هذه السطور مقيمة يومئذ في برلين وكثيراً ما اجتمعت به في منزل أحد الاصدقاء . وفي ذات يوم ذكرنا امام الامير حكاية امرأة تضرب الرمل وقد اشتهر أمرها وذاع اسمها بين الخاصة والعامة فقررنا ان نقصدها

متنكرين ونستكشفها المستقبل . فلما وصلنا استقبلتنا ضاربة الرمل وأخذت تسرد علينا بعض أخبار الماضي مما لم نكن في حاجة الى استعادته الى الذاكرة . ولما جاء دور الامير هنري تنبأت له بانه سيتزوج امرأة يهواها قلبه ثم قالت له بعد احجام قليل : لي شيء آخر أود ان اخبرك به وهو ان تحذر « الشقراء » . فاغرقنا جميعاً في الضحك وظللنا نداعب الامير ذلك الفصل كله ونحذره من « الشقراء » على طريق الهزل . ومن غرائب الصدف ان الامير مات بعد مدة قصيرة على ظهر طرادة انكليزيه تدعى « بلوند » أي « الشقراء »

***

هذا ولا يخفى انه يندر تصاهر الاسر المالكة التي تختلف عقائدها الدينية . واذا تذكرنا ان فرنسا جمهورية وايطاليا كاثوليكية (على رغم استرخاء العلاقات الدينية بينها وبين الحبر الروماني) ودولتي الوسط معاديتان لدول الحلفاء لم يبق من الدول التي يمكن ان تتم المصاهرة بينها وبين انكلترا سوى روسيا والدول السكندنافية وهولندا . وهذا يحمل على الاعتقاد بان المستقبل القريب كفيل بضم اسرتي رومانوف وساكس كوبرغ فان كلا الشعبين الانكليزي والروسي موافق على هذه المصاهرة ميال الى تحقيقها . والارجح ان التزاوج بين اسرتي رومانوف وهوهنزولرن قد انقطع حبله بسبب الحرب الحاضرة وقد كان الزي الشائع قبلاً في بلاط القيصر ان يقترن الامراء الروسيون باميرات المانيات

ولا ريب في انه اذا تمت المصاهرة بين اسرة رومانوف والاسرة الانكليزية المالكة كان ذلك لخير الامبراطوريتين بل لخير العالم اجمع . فان هذه الحرب قد أظهرت اهميه علاقات القرابة بادارة دفة الامور السياسية

وقد يظن البعض ان معظم حوادث الزواج التي تقع في قصور الملوك هي حوادث سياسية محضة . وهو خطأ محض فقد قالت احدى الاميرات الانكليزيات ان في قصور الملوك قلوباً كثيرة منكسرة . ولا جدال في ذلك لان عواطف البشر واحدة في ما يتعلق بالحب والغرام

آثار حضارة بغداد

وصفحة من تاريخ عظمتها ومدنيتها

لبغداد في التاريخ الاسلامي شهرة فائقة ، ومنزلة سامية لم تبلغها مدينة غيرها ، ومكانة عالية لم تدركها حاضرة قبلها ، ولا غرو فهذه المدينة العتيقة قد نشأت مع نشوء تمدن العرب ، فنضج فيها ، وابتدأ عهدها بابتداء أعظم دولهم وهي دولة العباسيين الذين جمعوا فيها بين ضخامة الدولة ومظاهر العظمة مع ابهة الملك في ابهج أحواله وافخم اطواره ، فعاشت في ازهر عصورهم وزهت بزهو ايامهم وعمرت اطول حقبة في تاريخ مجدهم وحضارتهم حتى شاخت في الحضارة وهرمت في المدنية

واذا عدوا ازهى العصور في حكم العرب عصرين : (١) عصر العباسيين في بغداد (٢) وعصر الامويين في قرطبة ، فللزوراء[1] بلا شك المرتبة الاولى والمنزلة الكبرى فقد كان عصرها الاول هو عصرهم الذهبي الذي انبلج منه صبح العلم في العالم اجمع

تلك هي «حاضرة العباسيين» التي خلفت «دمشق» عاصمة الامويين بعد ان خلفت تلك «المدينة» عاصمة الراشدين فصارت قاعدة الحكم الثالثة في الاسلام . الا ان عصرها قد امتاز عن العصرين الاولين بانتهاء العرب من فتوحاتهم وحروبهم وتفرغهم للعلوم والفنون وارتشاف مناهل العرفان فاينعت فيها الصنائع والفنون وأثمرت الآداب وعمرت دور العلم والفلسفة

ابتناها المنصور مؤسس دولتهم بالقرب من اطلال بابل عاصمة البابليين ، كأن الله اراد ان يعيد الى تلك البقعة ما كان لها من السيادة فصار لها الحكم على اكثر من نصف العالم في ذلك العهد

رأى المنصور موقع بغداد شرعة للدنيا : فكل ما يأتي في دجلة من اواسط

---

(١) الزوراء من اسماء بغداد سميت بذلك لان يوم تأسيسها كان موافقاً لطالع القوس كما انبأتنا به بعض التواريخ : وللزوراء جملة معان في العربية منها القدح والقوس وغيره فربما سميت بذلك لانها بنيت مدورة كالقدح وكان قصر الخليفة في وسطها كاناء من فضة على شاطىء دجلة وقد جاء في تاريخ اخبار الدول وآثار الاول ص ٤٣٣ ما نصه : « ليس في الدنيا مدينة مدورة غيرها (اي الزوراء) »

الايلة والاهواز وفارس وعمان واليمامة والبحرين : فاليها يرقى ، وما يأتي من الموصل، واذربيجان وارمينيا مما يحمل في السفن في دجلة ، وما يأتي من الرقة والشام والثغور، ومصر والمغرب مما يحمل في السفن : فبها يرسي

وصلت مدينة المنصور عاصمة العواصم أيام العباسيين الى ذروة مجدها وأرقى درجات عمرانها في عهد هارون الرشيد وابنه المأمون عضد العلم وسند العلماء ، ذلك الوقت الذي زهت فيه بالبرامكة وغيرهم من العظماء وفاضت عليها الثروة من جميع الاطراف وطفحت خزائنها بالاموال التي كانت تحمل اليها من جميع الاقطار فكان حكمها يتناول آسيا وافريقيا وانتهت اليها سيادة العالم، فجعل هذان الخليفتان مدينة السلام [١] مركز الحكمة والعلم كما كانت مركز الاسلام وعاصمته الدينية والعاصمة السياسية لمعظم بلدانه لما كان الاسلام ركن حضارة الدنيا

لم تكن دار الخلافة مثوى الخلفاء ومقر العلماء فقط بل كانت أيضاً خزانة معارف الشرق ومدرسته التي نبغ فيها الفلاسفة والكتاب والعلماء على انواعهم فكانت جامعة لابهة الخلافة ومركز القوة وشرف العلم واتقان الفنون ومجد الصناعة [٢] وعظمة التجارة فقد كانت لها التجارات الواسعة مع الهند والصين وما وراء البحار

هذه هي بغداد التي وصفها ابن عقيل وهي في قمة عزها بقوله :

ما مثل بغداد في الدنيا ولا الدين ... على تقلبها في كل ما حين
تحيا النفوس برياها اذا نفحت ... وحرشت بين اوراق الرياحين
سقياً لتلك القصور الشاهقات وما ... تخفي من البقر الانسية العين
تستن دجلة فيما بينها فترى ... دهم السفين تعالت كالبراذين

فاق العباسيون في قاعدة ملكهم كل الممالك المتحضرة في عهدهم في كثير من أسباب البذخ والترف لما وصلت اليه دولتهم من الثروة العظيمة [٣] وبسطة العيش

(١) من اسماء بغداد. نقل ياقوت في معجمه انها سميت مدينة السلام لان السلام هو الله فارادوا مدينة الله . وهي تسمى « مدينة السلام » لان دجلة يقال لها « وادي السلام »

(٢) كانت بغداد من اعظم البلاد الصناعية في العالم ايام زهو العباسيين ؛ فقد كان فيها معامل للزجاج يعمل فيها زجاج مرصع باليواقيت والصدف ، ومعامل لعمل الانسجة واقمشة الحرير والصوف الرقيقة؛ كالكشمير وقماش الدمقس ؛ وكان العرب فيها قد اتقنوا صناعة السجاد الثمين الفاخر الذي كان يزين بابدع التصاوير برسوم النباتات والاسود والفيلة

(٣) فان من وصلت ثروتهم في هذا العهد الى الملايين كانوا يعدون بالالوف منهم آل

والتوسع في الرغد فكانوا قدوة لمن عاصرهم ومن قام بعدهم من الدول الاسلامية كما كانت بغداد قبلة الامصار وكعبة القصاد من جميع الاقطار فرفلت في حلل الهناء والرخاء لما بلغته من العمران وسعة الحال

فلا عجب اذا سموها جنة المشرق وعروس مدنه ، وبالجملة كانت اطاراً بديعاً عظيماً حوى مناظر شتى من ضروب المدنية الراقية والنظم الاجتماعية السامية ، فبهرت حضارتها العالم وسحرت أعين الناس فضربوا بها الامثال حتى العامة منهم فقد روى الثعالبي في كتابه خاص الخاص مثلا عامياً كان شائعاً في عصره في القرن الخامس للهجرة هو : « الدنيا هي البصرة ولا مثلك يا بغداد !! » [1] وصاروا ينسبون اليها كل ما اتصل بذلك فكانوا اذا أرادوا ان يقولوا « فلان تمدين » قالوا « تبغدد » أي سكن بغداد واحتك بالبغداديين وتشبه بهم كما نقول اليوم انه تمدين اذا ذهب الى لندن أو باريس أو احتك بالاوربيين وأخذ عنهم

وقد بقيت آثار حضارة بغداد هذه في لغة العامة حتى عهدنا الحاضر فحفظوا في لغتهم هذه الكلمة التي اشتقوها من اسمها علماً على الحضارة كأنهما مترادفان فصاروا يلقبون من ينهج نهج المتحضرين في صفاتهم وظرفهم بانه « يتبغدد » أي يتيه دلالاً وعجباً ويسلك مسلك البغداديين في الرقة والدلال وهما من أخلاق المتحضرين

بل من آثار تمدينها وتأثيرها في الفنون ان لم تزل تسمى باسمها طريقة خاصة في البناء بالخشب لم تزل معروفة حتى اليوم « بالبغدادلي » او « الخشب البغدادلي » ويظهر ان البغداديين اول من ابتكر هذه الطريقة الدقيقة الجميلة بالبناء بالواح الخشب الرفيع واستعملوها بكثرة في مدينتهم حتى عرفت بها وقد اخذها الاتراك عنهم كما يظهر من هذه الصيغة التركية الظاهرة على هذا الرسم ثم اخذها الناس عن الاتراك بعد ذلك على هذا الشكل

وبلغ من تأثير حضارة بغداد ايضاً وانتشارها في العالم اقتباس كثير من الامم طرقها الخاصة في التعلم ومحافظتها عليها حتى الامم النائية منها . ومما يدل على ذلك من هذا القبيل ما هو معروف عند الهنود في ترتيب حروفهم الهجائية العربية التي يكتبون

جصاص باعة الجواهر الثمينة فقد كان لهؤلاء شهرة واسعة مثل شهرة ركفلر وروتشيلد . وقد صادرهم الخليفة العباسي « المقتدر بالله » لما اختفى عندهم ابن المعتز فاخذ منهم نقوداً قال المؤرخون عنها انها ١٦ مليون دينار

(١) خاص الخاص للثعالبي ص ١٢ طبعة مصر

بها لغتهم الاوردية الهندستانية فانهم يسبقون الواو على الهاء بعكس ماعندنا ويسمون ذلك بالطريقة « البغدادية » لاقتباسهم طريقة التعليم عن بغداد ومدرستها النظامية القديمة

ومن آثار حضارتها وما بلغته صناعتها من الاتقان والجمال ما اشتهر عن حريرها وثيابها « العتابية » نسبة الى حي من احيائها معروف بهذا الاسم. وذكره ابن جبير في رحلته فقال « ومن اسماء المحلات العتابية وبها تصنع الثياب العتابية وهي حرير وقطن مختلفات الالوان [1] الخ » فقد انتقل هذا الاسم الى اسبانيا ومنها انتشر في جميع اوربا وحفظته لغاتها للدلالة على هذا النوع من الحرير الملون

***

تلك كانت حالة بغداد حتى داهمتها عصور الهمجية فاناخت على حضارتها حتى لم يبق منها الا أثرها الماثل وسيرتها العاطرة فذهب رسمها وبقي شهير اسمها وهي بالاضافة الى ما كانت عليه قبل التفات أعين النوائب اليها كالطلل الدارس والاثر الطامس تدخل تحت قول ابي تمام حبيب بن اوس :

لا انت انت ولا الديار ديار

بل كأن ابا تمام قد اطلع على ما آل اليه أمرها حين قال فيها

لقد أقام على بغداد ناعيها فليبكها لخراب الدهر باكيها
كانت على ملئها والحرب موقدة والنار تطفأ حسناً في نواحيها
ترجى لها عودة في الدهر صالحة فالآن أضمر منها اليأس راجيها
مثل العجوز التي دالت شبيبتها وبان عنها جمال كان يحظيها

وقد بكاها العالم بعد زوال عزها فقال فيها شاعرها :

بكيت دماً على بغداد لما فقدت نضارة العيش الانيق
تبدلنا هموماً من سرور ومن سعة تبدلنا بضيق
اصابتنا من الحساد عين فافنت اهلها بالمنجنيق
وقوم أحرقوا بالنار قسراً ونائحة تنوح على غريق

هذا ونحن نتمنى ان تكون لك يا دار السلام في عهدك الجديد يقظة تنبعث منها مدنيتك السالفة وحضارتك الزاهرة

ع . عبادة

(١) رحلة ابن جبير ص ٢٠٤ طبعة مصر

تخليص الغرقى

ووسائل النجاة من الغرق

أخذت مسألة انتشال الغرقى وتأمين حياة المسافرين في البحار دوراً خطيراً في السنوات الاخيرة ولا سيما عقب غرق الباخرة تيتانيك الشهيرة في سنة ١٩١٢ وحوادث الغواصات في الحرب الحاضرة فشرع اولو الشأن يستنبطون العدد التي يعتقدون فيها القدرة على دره هذه الاخطار. وقد أثبتت التجارب قلة الفائدة التي تأتي من استخدام المعدات السالفة عند ما تسطو المياه المزمجرة على ظهر الباخرة أو يفاجئ المركب طوربيد غواصة فيلقي الرعب في افئدة البحارة والمسافرين ويشل الايدي عن المبادرة الى تخليص الغرقى والمنكوبين

ولنأت الان على الطرق الممكن اتخاذها لدرء اخطار الغرق وذكر المعدات المقتضى ايجادها في المراكب لتسهيل النجاة

الطرق الواقية من حوادث الغرق الفجائي

وأهم هذه الحوادث تنشأ عن الانواء والاصطدام والجنوح والحريق والالتقاء بالغواصات أو بالالغام العائمة

ولو وجه صناع البواخر جل التفاتهم الى بناء بواخر متينة ذات الات قوية وغرف محكمة الصنع لا تنفذ فيها المياه بدلا من انشاء البواخر المزخرفة الحاوية لانواع اللهو والترف امكن اجتناب كثير من الحوادث المحزنة . ولا يخفى ان اجتناب الحوادث الناتجة عن التقلبات الجوية أو الاصطدام بالصخور أو الشواطئ يتوقف على مهارة ربان الباخرة وحسن درايته . وفيما خلا ذلك من الاخطار يجب ان يزود كل مركب بمعدات اطفاء الحريق وتلغراف لاسلكي واجهزة لنقل الاصوات تحت المياه ومنع اصطدام المراكب بعضها ببعض

ولا حاجة بنا الى وصف التلغراف اللاسلكي فان شهرته قد طبقت الخافقين وقلما تخلو منه اليوم باخرة وانما يحسن بنا ان نذكر ان بواسطته تبقى البواخر في اتصال دائم بعضها مع بعض او مع الشاطئ فتأمن كثيراً من الاخطار وتضمن

ورود النجدات في حالة الخطر . وهناك أجهزة مخصوصة لتبادل الاشارات ونقل الاصوات تحت الماء بسرعة توازي اربعة اضعاف السرعة التي ينتقل بها الصوت في الهواء . وأهم مزية لهذه الاجهزة اجتناب تصادم السفن في الليل أو أثناء الضباب الكثيف وبعض السفن تستخدمها في تبادل الاخبار بواسطة أصوات متفق عليها . وقد تنجح هذه الواسطة في معرفة سير الغواصات على مسافات بعيدة

اخطار الغواصات والالغام البحرية

يعلم القراء الطرق الوحشية التي يستعملها الالمان لاغراق البواخر بواسطة غواصاتهم فكم من ربان رأى باخرته تغرق وقد بقر بطنها طوربيد غواصة بدون انذار ولا امهال وكم من غواصة حالت دون تخليص الركاب أو تركتهم في القوارب تائهين تتلاعب بهم الامواج والرياح بعد ان اودت بمركبهم الى اليم ظلماً وعدواناً

لا حاجة بنا الى ذكر احصاء البواخر والانفس التي راحت ضحية هذه الاعمال وانما نكتفي بالقول ان المانيا في حرب غواصاتها لم تستثن المحايدين بل اخذت تغرق جميع البواخر على السواء حتى ضجت الدول المحايدة من هذه الفظائع وقامت الولايات المتحدة وقعدت وعمدت الى قطع علاقاتها مع المانيا استنكاراً لاعمالها العدائية

على انهُ قد تنجح بعض الاحتياطات في وقاية البواخر من هجوم الغواصات . فمن ذلك ان تسلح تلك البواخر بالمدافع . واهم ما يجب على القبطان عمله أن لا يعرض جانبي باخرته لطوربيد الغواصة فاذا رآها امامه عمد الى نطحها بمقدم الباخرة واغراقها واذا لم تنجح هذه الحركة عليه ان يجعل سير باخرته متعرجاً بحيث لا تتوصل الغواصة الى مواجهة احد جانبيها وكثيراً ما تنجح هذه الحيلة في نجاة البواخر من خطر الطوربيد

وهناك خطر آخر وهو الالغام البحرية وهي عبارة عن اجهزة بشكل صناديق مقفلة داخلها مواد تنفجر عند ما تمس أي جسم يابس

والالغام البحرية تبثها الدول في نقط معينة من مياهها لمنع كل اعتداء عليها في هذه المنطقة وليس ثمت خطر لو ظلت في مكانها إذ يسهل اجتنابها ولكن كثيراً ما تنزع من مكانها ويجرفها التيار في طول البحر وعرضه فاذا قدر لمركب ان يصطدم بها أثناء سفره انفجرت واودت بالمركب ومن فيه

وسائل التخليص على ظهر السفن

اهم وسائل تخليص الغرقى هي قوارب النجاة والاطواف (وهي اخشاب متلاصقة ومشدودة بعضها ببعض) والاحزمة والصدريات المصنوعة من الفلين والاخشاب لمن يريد النجاة بمفرده لو تعذر ركوب القوارب

يوضع عدد من القوارب على ظهر البواخر بنسبة حجمها ومحمولها وعدد المسافرين فيها وتصنع هذه القوارب صنعاً متيناً من الاخشاب او المعادن ويترك في جوانبها فراغ مسدود سداً محكماً ويركب حولها طبقة من الفلين او غيره من المواد الخفيفة . ويجب ان تكون القوارب على استعداد تام لكل حادث مفاجئ وتزود ببعض المؤن والماء وتركز على ظهر الباخرة حيث توجد آلات رافعة لنقلها وتدليتها الى البحر بسرعة ويخصص لكل قارب عوامة لالتقاط من يكون قد سقط في البحر

وهناك عوامة مخصوصة في الباخرة تضيء عند رميها في الماء فترشد البواخر الاخرى الى قوارب النجاة التائهة في عرض البحر

وفيها ايضاً مدفع واسهم نارية لقذف الحبال او الاسلاك من باخرة الى أخرى واستخدامها في نقل الغرقى وغيرهم ذهاباً واياباً . هذا فضلاً عن العدد الكافي من الاحزمة والصدريات وغيرها . وهناك قوارب مخصوصة تطوى وتفتح بسهولة مصنوعة من بعض الاخشاب المكسية بقماش لا ينفذ فيه الماء ولكنها شديدة الخفة حتى أنها قد لا تستطيع مقاومة الامواج والرياح

معاهدة لندن

لم تهتم الدول بمعدات تخليص الغرقى اهتماماً جدياً الا بعد حادثة غرق التيتانيك الشهيرة التي اظهرت النقص الهائل في وسائل النجاة

وقد اجتمع مؤتمر دولي في لندن في ٢٠ يناير سنة ١٩١٤ للبحث في هذه الامور وعقد اتفاق وقع عليها جميع الدول على ان يتم تنفيذه في سنة ١٩٢٠ وهاك ملخص بنوده :

انشاء غرف هواء في البواخر مسدودة سداً محكماً لمساعدتها على البقاء عائمة فوق سطح الماء . وتركيب آلات التلغراف اللاسلكي في كل باخرة واستخدامه ليلاً

ونهاراً لالتقاط الاخبار فضلاً عن ضرورة وجود قوارب متينة ومعدات أخرى للنجاة تكفي جميع الركاب الذين في الباخرة

وقد نصت هذه المعاهدة على انه يجب ان تكفي قوارب النجاة لحمل ٧٥ ٪ من ركاب السفينة والباقي ينزلون في اطواف مركبة على صناديق عوامة متينة

عوامات النجاة

هذه العوامات لها شكل الاطار أو الحلقة مصنوعة من مادة خفيفة للغاية ومكسوة بقماش متين لا ينفذ فيه الماء وفي كل سفينة عوامة مربوطة بحبل طوله ٢٥ متراً على الاقل لانتشال أي شخص يسقط في البحر وعوامة أخرى فيها مواد كيماوية كالكلس المفسفر (Calcium phosphoré) أو غيره تضيء عند القائها في البحر كما سبق البيان (انظر الشكل)

الاحزمة والصدريات والحبال

ويجهز كل مركب بعدد كاف من هذه المعدات لتخليص الافراد . وقد تفنن المخترعون في اختراع حزام مخصوص يمكن بواسطته للانسان ان يبقى في الماء كأنه واقف

وقد اخترع بعضهم اكياساً تملأ بالهواء عند حلول الخطر وتربط بالجسم وفريق صنع ملابس مركباً فيها قطع من الفلين تضمن لمن يلبسها ان يبقى عائماً

وهناك حبال عديدة في قوارب النجاة ترمى لمن يكون معرضاً للغرق فتنتشله

كيف تستخدم القوارب لانتشال الغرقى

اعتادت البواخر ان تصفّ قوارب النجاة على ظهرها فعند ما يراد انزالها الى البحر يعلق الواحد بعد الآخر باسلاك مخصوصة في بكرة مثبتة في عامود متين يدلى الى البحر . ولا يخفى ما في ذلك من العاقة والخطر الشديد على نفوس الركاب فان القارب عند نزوله الى البحر من علو شاهق قد يصطدم بجوانب الباخرة فيعرض من فيه لخطر الموت ولا سيما عند اشتداد الرياح وتلاطم الامواج . ناهيك بما يقتضيه هذا العمل من الوقت الطويل في تدلية القارب وسحب الاسلاك ثانية لتدلي القوارب الاخرى واحداً واحداً

لذلك سعى المخترعون والمهندسون في استنباط الوسائل لتلافي هذا النقص واقترح طرقاً عديدة لا تخلو من الفائدة نذكر هنا اهمها وهي طريقة القبطان موجه

(Mauger) التي أقرها مؤتمر لندن . وبهذه الطريقة يمكن ارسال جملة قوارب الى البحر بسرعة فائقة وذلك بان تصف بعض القوارب على ظهر المركب الاسفل على خط حديدي لسهولة دفعها ونقلها . ويعلق بعضها ببكر يجر على سلك حديدي يمتد من أحد جانبي المركب الى الجانب الآخر . وقد ركب هذا السلك بطريقة ميكانيكية تجعل القوارب المعلقة به تزلق بسرعة الى الماء الواحد تلو الآخر . وعند ما يتم انزال القوارب المعلقة الى البحر تكون القوارب المصفوفة قد لحقت بها في الحال بنفس الطريقة . ولا يقتضي لهذا العمل أكثر من نصف ساعة الا اذا حدث ما لم يكن في الحسبان . وقد أشار مؤتمر لندن بضرورة استخدام نوتية حائزين على شهادات عالية لادارة حركة هذه القوارب

طرق اخرى للنجاة

وقد تلبي المراكب المسافرة استغاثة الباخرة المنكوبة أو قد تكون هذه الباخرة قريبة من الشاطئ بحيث تصل أخبارها الى الاهلين هناك . فاول ما يجب عمله في هذين الحالين وضع قاعدة اتصال بواسطة الاسلاك أو الحبال بين الباخرة والمراكب الاخرى أو الشاطئ . وذلك باستخدام مدفع مخصوص لقذف الاسلاك والحبال وبعض المراكب تستخدم لذلك الاسهم النارية

والمدفع المذكور صغير الحجم يقذف قذيفته الى بعد ٣٠٠ متر على الاكثر وبعض الاسهم تقذف الى أبعد من ذلك . وعند ما تصل الحبال أو الاسلاك الى المراكب الاخرى أو الى الشاطئ تستخدم ذهاباً واياباً في تخليص الركاب واحداً بعد الآخر وتربط بها عوامة كي لا تعرض الراكب للغرق

وقد أنشأت الدول البحرية على شواطئها سلسلة محطات لانتشال الغرقى ووضعت فيها القوارب والحبال وغيرها من وسائل النجاة

وخصصت احدى العائلات المثرية في فرنسا مائة الف فرنك بصفة جائزة تعطى لمن يبرز احسن اختراع واف لانتشال الغرقى . ثم استبدلت هذه الجائزة بفتح معرض دائم في معهد الفنون والصنائع في فرنسا يجوز للمخترعين من جميع البلاد عرض اختراعاتهم فيه

كلمة الختام

ولا يجب ان نغفل أموراً أخرى لا تقل أهمية عما سبق نعني ضرورة وضع قاعدة منظمة للسهر والحراسة ومراقبة التقلبات الجوية أثناء الليل والضباب وتركيب القدر الكافي من الانوار الكشافة لا سيما في مؤخر المركب وتحديد أقصى سرعة لسير السفن اثناء الضباب اذ كثيراً ما تسعى شركات الملاحة الى مزاحمة نظيراتها بان تزيد سرعة مراكبها رغم ما ينجم عن ذلك من الحوادث . على ان أخطار الغرق الاعتيادية الناشئة عن العواصف والانواء والاصطدام بالصخور وغيرها لا تذكر مهما عظمت أزاء خطر الغواصات والالغام . ولا مطمح للعالم الآن الا زوال هذه الحرب الضروس حتى تعود المياه الى مجاريها وتقوم الدول بتنفيذ نصوص مؤتمر لندن حرصا على الالوف من الارواح

لوعة البعد

حبيبي ما بعد الديار بمانع ودادي فان الود يزداد بالبعد
فلا تحسبني قد نسيتك انني لازداد حباً كلما زدت في الصد
تذكرنيك الريح ان هي أقبلت بريا الخزامى والقرنفل والورد
وكاس الطلى ان أبعدت من هواجسي ونحسي وأدنت من سرور ومن سعد
وشمس الضحى ان أشرقت في صبيحة موردة تحكي لنا حمرة الخد
وبدر الدجى ان لاح في الليل وجهه وأشرق في جنح من الليل مسود
وزهر الربى ان كان ريان عاطراً وغصن النقى ان كان معتدل القد
ويذكرنيك الطيف ان زار في الكرى فاحيا رجاء كاد يقبر في لحد
فقل لي بحق الحب هل أنت ذاكري أم اعتضت عني صاحباً لك من بعدي
ألا لعن الله البعاد ولؤمه فقد كاد يغري بالقطيعة والصد
فان أفِ بالعهد الذي كان بيننا فان حبيبي لا يفي لي بالعهد
حبيبي اني منك أسوان حائر الى ان يريني الله رأيك في الرد
عليك سلام الله ما دمت عاشقاً وما دب في قلبي دبيب من الوجد

محمد عبد اللطيف النشار

الدولة العثمانية

في لبنان وسورية

حكم اربعة قرون (١٥١٧ — ١٩١٦)

٥

جلس السلطان مصطفى الثاني على العرش (١٦٩٥ — ١٧٠٣) وأعداء الدولة يتحفزون للاجهاز عليها . وكان شجاعاً مشغفاً بالفتح . فحارب بولونيا وقاد الجيش بنفسه فقهرها . وحارب بطرس الاكبر قيصر الروس . وأطال بما ابتكره من أساليب الدفاع وقوف الجيش الروسي أمام أزوف سنة كاملة قبل ان يفتحها القيصر (١٦٩٦) . وتحرشت به النمسا فقهرها أولاً . ثم كسرته في حرب البشناق (١٦٩٧) فاستجمع قواه وأجلاها عنها . واسترد جزيرة صاقس من البنادقة . غير ان معاهدة الصلح التي أبرمها مع أعدائه على يد لويس الرابع عشر (١٦٩٩) أخرجت معظم الولايات البلقانية من يده . ثم انصرف الى تنظيم شؤون الدولة فتعرض له الانكشارية وقاموا بفتنة عظيمة أفضت الى خلعه والمناداة باخيه السلطان احمد الثالث

أما سوريا فكان عهد هـذا السلطان شؤماً عليها اذ حلّ بها القحط والغلاء في السنة الثانية لملكه (١٦٩٦) . وجاءت مضاعفة أموال التكاليف ضغثاً على ابالة فاضطر عدد كبير من أهلها الى هجر أوطانهم . وتلا ذلك فتك المطرجي والي طرابلس بالشيخ يونس البشعلاني الشهير [١] وانقراض سلالة بني معن وافضاء الولاية الى الشهابيين

(١) قال ده لاروك في تاريخ رحلته الى لبنان ما يؤخذ منه ان الشيخ يونس كان عظيم النفوذ واسع الثروة ذكي الفؤاد حكيماً . وكان له عند وزراء الدولة وأقطابها من سمو المكانة ما أوغر صدور حساده حقداً عليه . فسجنه ارسلان باشا المطرجي مع ذويه عملا باشارتهم . ثم تظاهر بالاسـلام لينجو من شرهم . فافتى مفتي الاستانة ان اسلامه باطل لانه اكره عليه اكراهاً . فجاهر بنصرانيته وتولى برية طرابلس خمس سنوات الى أن تولى طرابلس قبلان باشا المطرجي (١٦٩٥) فحمله حساد الشيخ يونس على زجه في السجن سنتين متواليتين حاول فيهما مراراً ان يستميله الى الاسلام فاخفق واماته على الخازوق (١٦٩٧) . ومن ذلك الحين انحط شأن آل البشعلاني ولم يحل عطف ملك فرنسا وتفاصله عليهم دون ما حل بهم على اثر هذه النكبة من البؤس والشقاء

﴿ ولاية الامراء الشهابيين ﴾ انقضت سنة ١٦٩٧ وبها انقضى حكم الامراء المعنيين على اثر موت الامير احمد المعني . فكانت مدة ولايتهم ٥٧٩ سنة (١١١٨ — ١٦٩٧) . فاختار أعيان البلاد خلفاً له ابن اخته الامير بشير حسين الشهابي امير راشيا [1] . غير ان الامير حسين بن فخر الدين المعني كان لا يزال في الاستانة فتمكن من حمل السلطان على تولية الامير حيدر بن الامير موسى شهاب لانه حفيد الامير احمد المعني لبنته . وكان الامير حيدر لا يزال قاصراً فتقلد الامير بشير زمام الولاية ريثما يبلغ الامير القاصر سن الرشد . وبذلك تم انتقال ولاية آل معن الى الشهابيين (١٦٩٧ — ١٨٤٢)

﴿ ولاية الامير بشير الاول الشهابي ﴾ استوى الامير بشير حسين الشهابي على منصّة الامارة والفوضى ضاربة أطنابها في الديار الشامية . فاعدّ للنضال عدّته . ولم يكد يستتب له الامر حتى عصفت ريح الثورة في بلاد بشارة فقمعها وكال للشيخ مشرف اليمني مضرم نارها ضربة شديدة قاضية . فتخلى له قبلان باشا والي صيداء عن هذه البلاد مكافأة له . فولى عليهـا الامير منصور بن أخيه واناب عنه في تدبير شؤونها عمر بن أبي زيدان أبا ظاهر العمر الشهير لانه كان قيسيًّا من أنصاره . وعلى اثر ذلك جاهر الحمادية بالعصيان واسترسلوا في البغي والفجور . فردّ والي طرابلس كيدهم الى نحرهم وألحق اقطاعاتهم بولاية الامير الشهابي لينجو من شرّهم . وبذلك امتدت ولايته من صفد الى حدود طرابلس . وهاج فوز ابن شهاب كوامن الحسد والحقد في صدر عدوّه الامير موسى علم الدين فتذرع بما كان بين خصمه هذا وبين والي طرابلس وصيداء الاخوين من الولاء المتبادل للوشاية بهم الى السلطان بانهم تآمروا على خلع طاعته . وأمَّ الاستانة في هـذه المهمة فخاب مسعاه (١٧٠٠) . وتعاظم نفوذ الامير الشهابي وانبسط رواق مجـده وسلطانه . ولولا اشتداد وطأة الاوبئة وحلول الضنك والشقاء في تلك السنة لجاءت فاتحة ولاية الشهابيين خاتمة حسنة جميـلة لتاريخ القرن السابع عشر في الديار الشامية

---

(١) ان انتقال ولاية آل معن الى الشهابيين انما كان باختيار أهل البلاد أنفسهم عملا بعادات اللبنانيين وتقاليدهم الموروثة من ازمنة عريقة في القدم . وفي ذلك ما يكفي للدلالة على ان استقلال لبنان التام في شؤونه الداخلية يرتقي الى اقدم أزمنة التاريخ

سورية في القرن الثامن عشر

بزغت شمس القرن الثامن عشر وزوابع الحروب تهب على السلطنة العثمانية . فجلس السلطان احمد الثالث على العرش (١٧٠٣ — ١٧٣٠) وهو مزعزع الاركان . وقد طالت خلافته ولكنها كانت حافلة بالكوارث والنكبات . استهل ملكه بالضرب على أيدي الانكشارية . ثم حارب الروس وملكهم يومئذ بطرس الاكبر . وتلا ذلك حربه مع بولونيا وقهره لها وانحياز النمسا الى جانبها واستظهارها على الترك . وحارب الفرس وقهرهم ثم مال الى مسالمتهم . فشق ذلك على الانكشارية وخلعوه ونادوا باخيه السلطان محمود (١)

﴿ ولاية الامير حيدر الشهابي ﴾ أما في سورية فكان عهد هذا السلطان حافلاً بالفتن والحروب كعهد سلفه . انقضى في مفتتح ملكه حكم الامير بشير الشهابي (١٧٠٧) واستوى على منصة الامارة الامير حيدر شهاب . فاستهل حكمه بفتح بلاد بشارة وكسر شوكة مشايخها بني علي الصغير وآل منكر وصعب . وولى عليها الشيخ محمود أباهرموش (١٧٠٨) فلم يحفظ هذا الشيخ ذمامه وانحاز الى عدوه الامير يوسف علم الدين وحارباه فاستظهرا عليه بمعاونة آل ارسلان وبشير باشا والي صيداء وطارداه الى غزير . وهناك دارت رحى الحرب واحرز ابن شهاب وأنصاره القيسية نصراً مبيناً . الا انه أحجم عن تعقب اليمنية لتكاثر عددهم وآثر الاعتصام في مغارة عذرائيل بالهرمل . واتهم الحبيشيون بني الخازن بممالئة الامير حيدر . وصادف تنصل هؤلاء من هذه التهمة هوى من نفس الامير يوسف علم الدين فنكب بني حبيش وأضرم النار في غزير انتقاماً منهم

(١) كان بطرس الاكبر أشد قياصرة الروس رغبة في تجزئة تركيا كما يستجلى من وصيته الشهيرة . وقد حاربه السلطان احمد الثالث وتمكن بعد حروب هائلة من حصره ومعشوقته كاترينا في مدينة أزوف (١٧١٠) وأرغمه على الصلح (١٧١١). ثم استؤنفت الحرب بينهما وعقبتها معاهدة ادرنة (١٧١٣) فجاءت في مصلحة تركيا . ثم قضت عليهما المصلحة المشتركة بابرام حلفة مجحفة بحقوق بولونيا والنمسا جاءت على أثر انتصار الثانية للاولى في حربها مع الترك وقهرها لهم (١٧١٦ — ١٧١٧) . فصان بذلك عرشه ومملكته . ثم اتفق مع القيصر على اقتسام جانب من مملكة الفرس فكان هذا الاتفاق قاضياً على عرشه اذ حاربه الفرس وغلبوا على أمرهم (١٧٢٥). ثم اجتاحوا املاك الدولة فاحجم السلطان عن محاربتهم . وهاج احجامه غضب الانكشارية فخلعوه . ومن حسناته انه أنشأ في الاستانة داراً للطباعة . وكان ذلك أول عهد الدولة بهذا الفن

﴿ نكبة اليمنية الكبرى وانقضاء ولاية آل علم الدين ﴾ عاد الامير اليمني الى بلاد الشوف وعهد في تدبير شؤونها الى ابي هرموش . فجار وبغى واشتدت وطأته على القيسية . فقلق الامير حيدر على مصير قومه وهب من مخبأه لانقاذهم من شره وطغيانه . وتمكن بمعاونة من شد ازره من امراء القيسية ومشايخهم كاللمعيين والعمادية والخوازنة من حشد جيش كبير والتنكيل باليمنيـة في يوم عين دارا الشهير وانتزاع الولاية منهم . وقتل في هذه الحرب ثلاثة من آل علم الدين . ووقع ثلاثة آخرون في الاسر وهم الامراء يوسف ومنصور واحمد . فقطع الامير الشهابي رؤوسهم . وبذلك انقرضت سلالتهم وانقضى حكمهم . وكافأ من خاض في جانبه غمار هذه الحرب من اللمعيين وآل عماد والقاضي ونكد وتلحوق وعبد الملك وجنبلاط فاقطعهم الاقطاعات . ووقع حسن بلاء اللمعيين فيها ولاسيما الامير عبد الله من نفسه وقعاً جميلا . فبالغ في اكرامهم وصاهرهم واقرهم على القابهم . وصرف آخر سني حكمه بالغبطة والهناء . ووافته منيته سنة ١٧٣٢ وله تسعة اولاد (١) . وكان عادلاً حليماً كريماً . وفي عهده ارتفع شأن القيسية وذل الحزب اليمني . وقد ارضى البلاد واحرز ثقة الدولة

تبوأ السلطان محمود الاول عرش بني عثمان (١٧٣٠ — ١٧٥٤) والسلطة في العاصمة لزعيم الثوار . ففتك به وانصرف الى حرب الفرس فقهرهم (١٧٣٢—١٧٣٦) . وتحرشت به روسيا والنمسا فحاربهما وصالحهما على شروط في مصلحته (١٧٣٩) . ولكي يأمن جانبهما حالف فرنسا واسوج . ومات حتف انفه . وخلفه السلطان عثمان الثالث . وقد احرز السلطان محمود بحلمه وعدله وحبه للمساواة بين رعاياه مكانة رفيعة قلّ من احرزها بين سلاطين آل عثمان . وفي عهده اتسع نطاق السلطنة وعظم شأنها

على ان عدل السلطان محمود لم يتعدَّ دائرة عاصمته . فكان صداه في الولايات ولا سيما في سورية ضعيفاً خافتاً لم يقوَ على شق حجب الضمائر المتصلبة . وظل عمال الدولة يسومون الناس خسفاً وظلماً ويبذرون بذور الفتن بين احزابها المتنافرة . وقد افضى الحكم في ولاياتها الثلاثة دمشق وصيداء وطرابلس الى ولاة وطنيين من آل

(١) رزق الامير حيدر اولاده من اربع زوجات : الامراء ملحم واحمد ومنصور ويونس وعلي ومعن وحسين من بنتي عمه الشقيقتين . وعمر من والدة الامير مراد اللمعي . وبشير من بنت الامير حسين اللمعي عميد اللمعيين

العظم (١٧٣٤) وعظمت شوكتهم وانبسط رواق سلطانهم . أما امارة لبنان فكانت قد آلت بموافقة سعد الدين باشا العظم والي صيداء(١٧٣٢) الى الامير ملحم بن الامير حيدرشهاب . فافتتح حكمه بقمع ثورة بني علي الصغيراصحاب بلاد بشارة . فتهيبه الناس وتعاظمت سطوته . غير ان ولاءه لسعد الدين كان قذى في عيني اخيه اسعد باشا والي دمشق . فاضمرله الشرولكنه عجزعن كسرشوكته . وتعقبه الاميرالى ابواب دمشق (١٧٤١) . وازداد بن العظم حنقاً على الامير ولا سيما بعد تنكيله ببني منكر وبني صعب اصحاب جبل عامل (١٧٤٣) تأييداً لسلطة صديقه سعد الدين باشا . وانتهز فرصة الحاق بعلبك بولاية الامير الشهابي (١٧٤٧) لاغراء الامير حيدر الحرفوش صاحب هذا الاقطاع بمحاربته . فقضى ابن شهاب على امنيته بكسره لهما في قبّ الياس شر كسرة وعهد الى اخيه الامير حسين في ولاية بعلبك . وابت الاقدار الا معاندة اسعد باشا العظم فضرب السلطان عنقه قبل أن يتاح له ان ينتقم من الامير ملحم . وخلفه في ولاية دمشق ابن عمه سليمان باشا العظم والي طرابلس. ثم خلت ولاية صيداء بموت سعد الدين باشا فخلفه عثمان باشا المحصّل واراد اذلال الامير الشهابي ففشل . أما سليمان باشا فسالم الامير ملحم وتودد اليه . فشد ازره في استئصال الانكشارية والقضاء على من نصرهم من بني تلحوق وعبد الملك (١٧٤٨) . على ان ولاء الامير لابن العظم لم يحل دون رجوع هذا الى القاعدة التي ألفها ولاة سورية في معاملة امراء لبنان ولا سيما بعد ان الحقت بيروت بولاية ابن شهاب ووفق الى قمع ثورة بني منكر وتعاظم شأنه . فكان ذلك باعثاً على تحرش سليمان باشا به والتحفز لمحاربته (١٧٥٠) . وتلا ذلك خروج النكدية عن طاعة الاميرفكسر شوكتهم (١٧٥١) . غير انه لم يكد يطمئن على امارته حتى ألمّ بصحته انحراف شغله عن شؤون البلاد (١٧٥٤) . فاكرهه اعيانها على التخلي عن الولاية الى اخويه الاميرين احمد ومنصور . وصرف آخر سني حياته في بيروت حيث انقطع الى درس الفقه . وادركته منيته سنة ١٧٦١ وله ستة اولاد[١] . وكان حازماً مقداماً . ويذكر المؤرخون له من المآثر الجليلة ما رفعه الى مصاف اكبر امراء لبنان

(١) كان للامير ملحم ستة اولاد . محمد ويوسف وقاسم وسيد احمد وافندي وحيدر . وكان الشيخ سعد الخوري صالح مدبراً لولايته . وعند دنو اجله أقامه وصياً عليهم فكان ذلك باعثاً على تعزيز مركز الشيخ سعد وارتفاع شأن بيته من بعده

اما السلطان عثمان الثالث (١٧٥٤ — ١٧٥٧) فلم يقع في عهده ما هو خليق بالاعتبار سوى ما اشتهر به من الخروج متنكراً لتفقد احوال رعيته بنفسه وهو ما يعد من مفاخر الخلفاء الاولين

وخلفه السلطان مصطفى الثالث (١٧٥٧ — ١٧٧٤). فامتاز بميله الى الاصلاح. وتمَّ له بعض ما كان يمني النفس به منه على يد وزيره الحازم راغب باشا المصلح الشهير. غير ان موت هذا الوزير وحرب الدولة مع الروس حالا دون بلوغه الحد الاقصى من امانيه. وقضت ثورة اليونان وخروج علي بك المصري عن طاعته على البقية الباقية من آماله. ومات والحرب على اشدّها بين الدولة وروسيا وخلفه عبد الحميد الاول[1]

﴿ تنازع الشهابيين الولاية ﴾ اول ما يسترعي الابصار من الحوادث التي افتتح بها عهد هذين السلطانين في الديار الشامية فتنة نشبت في دمشق وكان للدروز لبنان شأن فيها اذ نصروا الانكشارية على القباقول وقاسى الوالي الشدائد في اعادة الامن الى نصابه (١٧٥٥ — ١٧٥٧) . وتخلل هذه الثورة انتقاض الامير قاسم عمر على عميه الاميرين احمد ومنصور الواليين الشهابيين وتآمره مع اخيهما الامير ملحم الوالي السابق على خلعهما واقتسام ولايتهما. وابحر الامير قاسم الى الاستانة في هذه المهمة (١٧٥٨). ففشل اولاً واضطر الى مصالحة عميه. ثم ظفر بالولاية واستولى على بيروت فجأة. فتعرض له اعيان البلاد واعادوا الولاية الى صاحبيها فارضياه باقطاع عين دار وازوجه احدهما الامير منصور بنته (١٧٦٢). فاخلد الى السكون. وتوفي في غزير سنة ١٦٦٧ وولداه الاميران حسن وبشير « الكبير » في سن الطفولة

﴿ اليزبكية والجنبلاطية وولاية الامير يوسف ﴾ كان خروج الامير قاسم من ساحة النضال فاتحة عهد النزاع بين الواليين الاخوين وانقسام اللبنانيين الى حزبين

---

(١) كان راغب باشا أول من فكر في انشاء خليج عظيم بين البوسفور ودجلة. فحال موته دون انشائه ومهد السبيل لتحرش كاترينا الثانية قيصرة روسيا الشهيرة بالدولة وشهرها الحرب عليها واستيلاء الروس على ولاياتها البلقانية واغراق أسطولهم للاسطول العثماني بعد ان اضرم النار فيه خدعة (١٧٧٠) . وتلا ذلك احتلال الروس لبلاد القرم وانتصار الجيش العثماني على نهر الدانوب (١٧٧٢) وخروج الامير علي المصري على الدولة باغراء الروس واكتساحه جنوب سورية بمعاونة ظاهر العمر والي عكاء الشهير وغير ذلك من النكبات التي نغصت عيش السلطان مصطفى الى النفس الاخير من حياته

كبيرين : حزب اليزبكية وعميده الامير احمد . وحزب الجنبلاطية وعميده الامير منصور. ثم اتفق الحزبان على شد ازر الامير منصور ولا سيما بعد ان رجحت كفته على أثر تعيين محمد باشا العظم والي صيداء له . واضطر الامير احمد أن يتخلى لاخيه عن حقه في الولاية . فتركه وشأنه ولكنه انتقم من صديقه الامير يوسف ابن الامير ملحم أخيه ومن محازبيه النكدية . فافضى ذلك الى تآمر الشيخ سعد الخوري والشيخ علي جنبلاط زعيم اليزبكية والشيخ كليب النكدي على خلع الامير منصور وتولية الامير يوسف مكانه . وأيدهم والي دمشق وابنه والي طرابلس وقلداه ولاية جبيل (١٧٦٣) . وأحسن الامير يوسف سياسة البلاد وانجد والي دمشق في حصار قلعة سانور (١٧٦٤) فابلى بلاء حسناً . ونازعه الحمادية اصحاب جبيل والبترون ولاية اقطاعاتهم فاستظهر عليهم في أميون على رغم مساعدة والي طرابلس لهم (١٧٦٦) . فتعاظم أمره وكثر انصاره . أما الامير منصور فحاول ايقاع الشقاق بين زعماء اليزبكية اضعافاً لشأنهم فخاب مسعاه وكادت ولاية الشوف تفضي الى الامير يوسف لولا أنه لم يبادر الى استرضائهم .

﴿ الامير علي المصري والشيخ ضاهر العمر ﴾ وفي خلال ذلك وقعت بين الشيخ ضاهر العمر والي عكاء وبين عثمان باشا الصادق والي دمشق نفرة افضت الى القتال . وانحاز الامير منصور شهاب الى جانب عثمان باشا فقوي ساعده . وكان ابن العمر يدرك مقاصد الامير علي المصري ومطامعه فاستماله اليه . ومده هذا بعشرة آلاف مقاتل بقيادة اسماعيل بك . فتقهقر عثمان باشا بجيشه الى المزيريب . غير أن القائد المصري أحجم عن مقاتلته حرمة للدولة . وكان علي بك المصري خبر كفاءة محمد بك ابي الذهب عند اكتساحه الحجاز بتحريض روسيا وطرده الشريف منها . فعهد اليه في قيادة حملة جديدة سيرها على سورية . فحقق ظنه به واوقع بجيش عثمان باشا ودخل دمشق ظافراً (١٧٧٠) فانهزم الوالي الى حمص وتخلف الامير منصور عنه بتحريض ضاهر العمر . على أن اشفاق اسماعيل بك من تبعة الخروج على الدولة أدى بابي الذهب الى الجلاء بجيشه فجأة عن دمشق . فعاد عثمان باشا اليها وفي أثره الامير يوسف شهاب الذي كان انحاز الى جانبه . فخلع عليه وسار الامير الى الشوف . فالتف الاعيان حوله واكرهوا الامير منصوراً على التخلي له عن الولاية . فدانت البلاد لسلطان الامير يوسف من طرابلس الى حدود صيداء . واستوطن خصمه هذا بيروت الى سنة ١٧٧٤ حيث وافته منيته وله اربعة اولاد : موسى ومراد وحمود وحيدر

﴿ مصير الامير علي المصري ﴾ أما ابو الذهب فحاول ان يلقي تبعة جلائه عن سورية على ضاهر العمر ففشل . وأراد الامير علي معاقبته على خيانته . فحاربه وظفر بمعاونة اسمعيل بك بسرير مصر . ففر الامير علي الى عكاء بعشرة آلاف من فرسان الغز . وفي أثناء ذلك انتهز عثمان باشا فرصة جلاء الجيش المصري عن سورية للانتقام من ضاهر العمر وزحف على عكاء بجيش عظيم ومعه ابنه درويش باشا والي صيداء والامير يوسف شهاب. فكسرهم ابن العمر على بحيرة الحولة كسرة عظيمة . ثم تولى دمشق عثمان باشا المصري فاقتفى أثر سلفه في مناجزة الشيخ ضاهر ومعاداته وحاول بمعاونة الامير يوسف انتزاع ولاية صيداء منه فعجز دونها . وحال الاسطول الروسي دون سقوطها في يده واحتل رجال الاسطول مدينة بيروت ثم جلوا عنها بعد ان انزلوا الويلات باهلها وبمن كان ينزلها من الشهابيين (١٧٧١) . واستفز انتصار ابن العمر علي بك المصري للثأر من أبي الذهب وزحف بجيشه لاسترجاع أمارة مصر منه . فالتقاه هذا عند غزة وكسره وأسره وهو مصاب بجرح بالغ فعالجه الى ان اوشك جرحه ان يبرأ فدس له السم فيه ومات (١٧٧٢)

﴿ ظهور الجزار ﴾ وفي خلال ذلك ظهر احمد الجزار في مصر وهو بشناقي الاصل . جاءها في ولاية الامير علي المصري وارتكب من الموبقات ما حمل الحكومة على تعقبه . ففر الى لبنان (١٧٧٠) وأقام في بيروت بامر الامير يوسف شهاب . واشترك في حصار صيداء فابلى فيه بلاء حسناً . وعهد اليه الامير في حماية بيروت من اغارات الروس بثلثمئة مقاتل من المغاربة . فانصرف الى تحصينها وحدثته نفسه بالاستقلال في ولايتها فجاهر بالعصيان على حين غفلة . فحصره الامير فيها وشدّ الاسطول الروسي أزره حتى سدّا عليه منافذ النجاة واكرهاه على الجلاء عنها بشفاعة ضاهر العمر بعد ان ثبت على الحصار أربعة أشهر . واستعاد الامير يوسف ولايته عليها

﴿ مصير أبي الذهب ونكبة آل العمر ﴾ أما ضاهر العمر فعفا الباب العالي عنه وولاه على صيداء وعكاء وحيفا ويافا والرملة ونابلس وصفد (١٧٧٢) . فانقاد اليه أهل البلاد وتعاظمت سطوته . فهاج ذلك كوامن الحقد والحسد في صدر أبي الذهب أمير مصر . فاكتسح فلسطين بعد استئذان الباب العالي (١٧٧٤) . وفتح يافا عنوة وحاكمها يومئذ الشيخ كريم ابن ضاهر العمر . فاضطر هذا بازاء خذل الامير يوسف له ان يلوذ بالفرار . ونكب الفاتح المصري أهل البلاد وفتك برهبان دير ايليا النبي ودكّه

من أساسه . غير انه لم يهنأ بفتحه هذا فادركته منيته فجأة وهو يصرخ : « ردوا عني هذا الشيخ المفترس . » ويريد به ايليا النبي . وخيّل الى ضاهر العمر انه أمن بموت هذا الطاغية على حياته وسلطته . فخاب فأله اذ اتفق قائد الاسطول العثماني ومحمد باشا العظم والي القدس على محاصرته في عكاء . فجزع على مصيره وعمد الى الفرار ولا سيما بعد تخلي أعوانه عنه وخذل احمد الدنكزلي والي صيداء له فابتدره أحد المغاربة وهو خارج من المدينة برصاصة أودت بحياته . وسلمت عكاء لقائد الاسطول ففتك بابنه سعيد وأنعم السلطان على ابنيه عثمان واحمد بمنصبين في الدولة تعويضاً عن قتل أبيهما واخيهما . ونهب امير البحر ما كان في خزائن آل العمر من التحف النادرة والاموال الوفيرة بعد قتل ابراهيم الصباغ قيم بيتهم

﴿ تعاظم شأن الامير يوسف ﴾ وفي أثناء ذلك كان الامير يوسف منصرفاً الى توطيد سلطته في لبنان فنكب الحمادية وطردهم من اقطاعاتهم (١٧٧١) . ثم انتقم من أنصارهم بني رعد أصحاب الضنية . وأراد عثمان باشا والي دمشق انتزاع البقاع من أخيه الامير سيد احمد فانبرى له الامير يوسف وكسره بمعاونة ضاهر العمر (١٧٧٣) ووطد مركز اخيه . فكان جزاؤه منه انه خرج عليه يريد الاستقلال بالولاية من دونه . واعتصم في قلعة قب الياس. وذكر عثمان باشا ما نا له من مذلة الانكسار بسببه فنصر الامير يوسف عليه واكرهاه هو وصديقه الامير منصور شهاب صاحب راشيا على التماس العفو صاغرين

أما السلطان عبدالحميد الاول (١٧٧٤ — ١٧٨٩) فجلس على العرش والقيصرة كاترينا العظيمة تحفز لاسترجاع ما اغتصبه سلفه من أملاك روسيا . فحاربها وغلب على امره واضطر أن يعترف لها بامتلاك بلاد القرم. ثم استؤنفت الحرب بينهما (١٧٨٨) وانحازت النمسا الى جانب روسيا ومات السلطان قبل أن تضع الحرب اوزارها [1]

البقية تأتي «المسعودي»

(١) منيت الدولة العثمانية في عهد هذا السلطان بخسارة جسيمة اذ قهرتها روسيا في الحرب التي نشبت بينهما على اثر اقتسامها بولونيا مع النمسا وبروسيا (١٧٧٢) وانتزعت منها بلاد القرم . ثم تدرعت باعتراف السلطان لها بحق حماية الارثوذكس في سلطنته لاثارة خواطرهم عليه . وأردفت ذلك باعلان حمايتها على بلاد الكرج. فشهر السلطان الحرب عليها وشدت النمسا ازرها . ومات وهو قائم على محاربة الدولتين

الكلب والانسان

٧ — العلاج العمومي

متى ظهرت أعراض الكَلَب فانه لا فائدة من العلاج ويقول بعضهم ان هنالك اصابات قليلة جداً شفيت بجعل المصاب في مكان مظلم ثم معالجته بالمرفين الاتروبين أوالكلورال أوالازرين . فاذا عضّ انسان من كلب تحققت اصابته بالكلب وجب الاسراع في معالجته بطريقة باستور وهي تلقيحه أولا باصل معدي خفيف جداً والتدرج بعد ذلك الى تلقيحه باصل أقوى فاقوى حتى تصبح بنية المصاب قادرة على ان تحمل التلقيح باصل معدي لو لقح به أولاً أحدث فيه المرض . ويستعملون الآن في الثلاثة الايام الاولى من العلاج التلقيح أيضاً بسيرم دم خروف مو[...] ضد الكلب . ويقول اسلر بانه في سنة ١٩٠٢ حصلت في باريس وفاتان [...] ١١٠٣ مصاب عولج بطريقة باستور

وهنالك قديس اسمه سان هوبير يعتقد بعض المسيحيين في اوربا بانه حامي الصيادين وان مار بطرس قد خوله القدرة على شفاء المصابين بداء الكَلَب والطريقة المتبعة في علاج المصابين بالكلب في الدير المسمى باسم هذا القديس ان يؤتى بالمصاب وتجرح جبهته بمشرط ويدس في الجرح قطعة صغيرة من الوشاح الاكليروسي وتثبت هذه القطعة في الجرح بربطه ربطاً محكماً ويظل الرباط مشدوداً تسعة ايام ينام في غضونها المصاب عاري الجسم ملفوفاً في لباس ابيض ويشرب الماء بكوبة من زجاج ويشرب النبيذ ولو كان مشوباً بالماء ويأكل لحم الخنزير الذكر والدجاجة التي لا يزيد عمرها عن سنة ويأكل الاسماك الباردة ذات القشور الصدفية المستديرة ويهمل حلق لحيته طول هذه المدة ولا يمشط شعره اربعين يوماً

والمستعمل في علاج الكَلَب في الكنيسة القبطية الارثوذكسية صلوة خاصة تدعى صلوة القديس ابو تربو[1] وهي نافعة ومجربة على قول البعض — وحكاية ذلك القديس وصلوته كما ورد في « القنديل[2] » هي كما يأتي : كان في زمان الاضطهاد في ايام الملك

---

(١) اسم يوناني معناه الشافي (٢) نقلنا هذه الصلوة كما وردت ولم نتعرض لما فيها من الاغلاط النحوية وغيرها

ديقلاديانوس انسان مبارك اسمه تربو وكان هذا القديس مثابراً على الصوم والصلاة محباً للغرباء والمساكين. وكان تاماً في قامته. فاشتاق بان يعترف باسم السيد المسيح الطاهر لينال الشهادة فنهض واعترف بالمسيح امام الملوك الكفرة. ونال عذاباً كثيراً واظهر الله آيات وعجائب كثيرة على يده. ولذلك آمن اناس كثيرون من الذين عاينوا العجائب التي كانت تجري على يده من قبل السيد المسيح. ورجعوا من عبادة الاوثان ونالوا اكاليل الشهادة وان الكفرة لما عاينوا هذا وتعبوا من عذاب القديس طرحوه في السجن الى أن اهلك الله الملك الكافر ديقلاديانوس وملك بعده الملك المحب لله قسطنطين. فامر أن يخرجوا جميع من كان في السجن من المعترفين القديسين المؤمنين بالسيد المسيح له المجد وأمر ان يمضي كل واحد منهم الى حال سبيله ويبشر بالمسيح في جميع الارض. وصار فرح من جميع المسكونة وبالاكثر للقديس ابو تربو فصار يبشر في جميع الارض باسم السيد المسيح. وكان في احد الايام وهو ماش في وقت الظهيرة انه وجد كلباً سعراناً يزبد من فيه وهو يزأر كالاسد والماء سائل من فيه ويمشي بانحناء على جنبه كالاعرج ويميل الى هنا وهناك وعيناه كلون الذهب الاحمر وهو كالسكران من الخمر. فلما رأى القديس أبو تربو اقبل اليه من بعيد وهو يزأر كالاسد. اما القديس ابو تربو فلما رآه مقبلاً اليه من بعيد عرف أن به شيطاناً ردياً فرفع عينه الى السماء وبسط يديه وصلى هكذا قائلاً: « يا ربي والهي يسوع المسيح اسمع صلاتي فاهتف اليك اليوم انا عبدك تربو. لكي ترسل ملاكك ليعينني في هذه الساعة الصعبة. نجّني يا رب من فم هذا الوحش الردي المختبل الكلب الكلِب كما نجيت دانيال من افواه الاسد الضارية وكما نجيت يونان من بطن الحوت وداود من يد الفلسطيني الغريب الجنس وكما نجيت الثلاثة الفتية القديسين من اتون النار المتوقدة. انقذني من هذا الوحش الردي لانك أنت رحيم ومتحنن على الجبلة التي خلقتها على صورتك ومثالك ومخلص جميع المتوكلين عليك. نجني بيمينك الغير المدروك. اذكر يا رب اني تراب وانا لحم ودم يا معين من ليس له معين وملجأ من ليس له ملجأ وسامع صوت من يهتف اليك بقلب مستقيم فلك ينبغي المجد ولابيك الصالح والروح القدس الآن وكل اوان والى دهر الداهرين آمين». فللوقت ارسل الله ملاكه ونجاه واعطاه السلام وقال له: «يا قديس الله أبو تربو بعون الله الذي قبلت على إسمه هذه الشدائد امدد العصاة التي بيدك فان الرب ارسلني اليك وأمرك بهذا وانا أقويك

كما قويت تادرس الاسفهسلار حتى قتل التنين الردي وخلص اولاد الارملة الايتام . »
ومسك ملاك الرب بيد القديس ابو تربو والعصاة فيها وجعلها على الكلب الكلِب فقتله فصاح الروح النجس الساكن فيه قائلاً : « انا أحلف لك يا قديس الله ابو تربو باسم الله خالق السموات والارض والبحار وكلما فيها انه حيث يذكر اسم الله واسمك فيه لا ادخله ابداً لاجل الملاك الماشي معك الذي قواك حتى قتلتني وقتلت المسكن الذي كان لي . واني اقول لك اني لا اعود ابداً اقيم في مكان يكون اسم الله واسمك فيه» . فامر ملاك الرب الارض ان تفتح فاها فنزل الروح النجس الى الاعماق
وبعد ذلك قال ملاك الرب للقديس أبو تربو : « أقول لك يارجل الله أبو تربو ان الرب أعطاك السلطان على هذا الروح النجس الردي في حياتك وبعد نياحتك من اتعاب هذا العالم . اذا سعر كلب بهذا الروح وصار الكلب النجس يعض أحداً رجلا كان أو امرأة صغيراً كان أو كبيراً حراً أو عبداً فرساً أو ثوراً أو بهيمة او أي شيء من جميع ما خلقه الله له اربع قوائم فاذا اكلهم هذا الوحش الردي الشرير الكلب الكلِب حيث ما يذكر اسم الله واسمك ويقال يا الله إله القديس ابو تربو أعضد عبيدك الذين يأكلون من هذا الفطير ويشربون من هذا الماء أشفهم يا رب واجذب سم هذا الوحش في هذا الوقت من هذا المريض . لاتجعله يفزع ولا يضطرب ولا يخاف ولا يصيبه شيء من الشر ولا يضره سم الكلب لان الرب امرني أن اكون معك في حياتك وبعد خروجك من الجسد يفعلون هذه الصلوة لانها باسم الله وباسم الملائكة وباسمك» . ولما فرغ الملاك من كلامه مع القديس أبو تربو سجد القديس للرب وصلى صلاة طويلة وشكره على اسمه وعلى ما وهبه وأرسل ملاكه ونجاه من الروح النجس الشرير

وبعد ذلك شاع اسم القديس ابو تربو في كل مكان انه يشفي كل من يأتي اليه معضوضاً من الكلب الكلِب بقوة الله الكائنة معه كما وعده بذلك على الارض الى الابد . فكانت امرأة مسكينة لها ابن وحيد عضه الكلب الكلِب وسال منه دم حتى يئست والدته من الحيوة . وقد بلغها خبر القديس ابو تربو فاخذت ابنها الوحيد المتألم وأخذت معه سبع خبزات فطير وسبع جبنات بلا ملح وسبع تمرات وقليلاً من الزيت الطيب وقليلاً من الخمر وحملتها للولد الذي اكله الكلب في ازار ابيض معلق في عنقه وجاءت به الى القديس أبي تربو فلما دنت منه ورأته خجلت ان تقرب اليه . وأمرت ابنها ان يمضي اليه ليبارك عليه فتقدم الصبي وسأله أن يصلي عليه ليشفى بصلاته . ولما رآه

القديس ابو تربو قال له : « مرحباً بك يا ولدي ماذا جئت تطلب » فقال له الصبي ولم يعلم انه القديس ابو تربو : « جئت انا المسكين الى القديس ابو تربو ليصلي عليَّ لكي يشفيني الرب ويعافيني لان الكلب الكليب عضني » فدعا القديس ابو تربو للوقت سبعة اطفال بلا خطية مباركين وقال لهم : « ايها الاطفال المباركين اتبعوني ومهما قلت لكم فاعيدوه اليّ » فاجلس الصبي قدامه ومعه الفطير والجبن والخمر والتمر ووعاء مملوء ماء وقليل من زيت طيب وامرهم ان يدوروا حوله سبع دورات والاطفال يتبعونه وهو يقول لهم مرحباً بكم ايها الاطفال السلام عليكم فيقولون له وعليك السلام يا معلم. فيقول لهم ماذا جئتم تطلبون فيقولون له جئنا نطلب الشفاء والعافية من الله ومن القديس ابو تربو. فيقول لهم امضوا بسلامة الرب يشفيه ويعافيه برحمته كوعده الصادق لي انا عبده المعترف باسمه ولما انتهت السبع الدورات وقف القديس ابو تربو وحول وجهه الى الشرق وبسط يديه ورفع عينيه الى السماء وصلى هكذا قائلاً :« يا ربي والهي استمع لدعائي واسمع طلبتي لانك انت الذي خلقت السماء والارض والبحار والانهار وكل مافيها وخلقت الجبال والاكام والاودية وكونت الشمس والقمر وكونت الفردوس في شرق عدن وجبلت الانسان على صورتك وخلقت الدبابات والوحوش وكلما يدب على الارض كلها بكلمتك . انت القائل لتخرج الارض كاجناسها وخلقت الطيور كاجناسها واتيت بالجميع الى آدم فسماها واخضعها تحت قدميه لكي يكون سلطان للانسان على ما خلقت واسكنت مخافتك في قلوبها الى احقاب الدهور. ونظرت الى آدم انه وحيد فجعلت له امرأة تؤانسه لكي ينمو جنس البشر فدخل العدو في الحية والحية اطغت حواء وحواء اطغت آدم وخالفا وصيتك وخرجا من الفردوس فرحمتهما وارسلت ابنك الوحيد حتى خلصهما من جهنم القصوى . وعتقت العالم من يد ابليس ورددت آدم وذريته الى الفردوس دفعة اخرى بدمك الكريم على عود الصليب واعطيتنا السلطان ان ندوس الحيات والعقارب ونشرب السم القاتل فلا يؤذينا فلهذا أنا عبدك تربو المسكين انظر اليَّ في هذه الساعة أنا عبدك اسمع تضرعي واقبل صلاتي اليك . فانك عالم انا لحم ودم وروح يذهب ولا يعود . انظر من علوك المقدس الى عبدك فلان برحمتك وتحننك وانزع عنه الكلب الكليب وقلق الروح النجس . واجذب سمه منه الى خارج ولا تدع خوفه في قلبه وانزع منه الاضطراب وثبته بقوتك وحصنه بقوة ملائكتك الاطهار لانك أنت نجيت داود من يد الفلسطيني

ودانيال من أفواه الاسد الضارية وأنقذت يونان من بطن الحوت وخلصت الثلاثة الفتية من اتون النار المتوقدة وارميا من جوف الحمأة وأبا القديس مورقوريوس من وجوه الكلاب وقويت الشهداء في عذابهم وأرسلت رئيس الملائكة ميخائيل الى تادرس الاسفهسلار باوخيطيس وقويته حتى قتل التنين وأنت معين لكل من يهتف اليك كما نطقت بالروح القدس على فم داود » ثم يقول هذه المزامير: مزمور (١٩) اوله يستجيب لك الرب . ومزمور (٢٢) اوله : الرب يرعاني . ومزمور (١١٨) اوله طوباهم جميع الذين بلا عيب . ومزمور (١٢٠) اوله : رفعت عينيَّ الى الجبال

ثم يقول هذه الطلبة : « يا رب اسمع لي تضرعي أنا عبدك اطلب اليك اليوم وفي كل زمان وفي هذه الساعة تراءف على عبدك (فلان) لتخلصه من الكلب الكلِب ولا يمرض ولا يصير فيه جرح ولا يتألم من سم فمه ولا تجعل لاسنانه علامة في جسده ولا تخاف نفسه ولا تتغير حواسه ولا تقلق روحه بل يكون ثابتاً بقوتك المقدسة ولك ينبغي المجد والاكرام والسجود الآن وكل اوان والى دهر الداهرين آمين » ثم يجمع الكاهن سبعة اطفال ويشبك بعضهم بايدي بعض ويدوروا سبع دورات وهم يقولون بالقبطية ما معناه « آمن بانك ستشفى بالمرة وانك ستخلص من دائك بقوة وبفرح من الواهب المنعم الاول الفائق له الحمد الآن وكل اوان يا ايها الشافي [1] »

فاذا انتهت السبع الدورات يقف العريف الكبير او الشماس الكبير الذي في الاطفال قدام الكاهن ويقول له السلام عليك أيها المعلم فيقول له عليك السلام يا ولدي ماذا جئت تطلب يقول له قد جئت اطلب الشفاء والعافية من عند الله والقديس ابي تربو. ثم يتناول من الفطير بفمه والكاهن ماسكاً له ويأخذه من فمه ويضعه في حجر الذي اكله الكلب . وكذلك يأخذ بقية الاطفال السبعة سبع لقمات ويدع المريض يفطر عليها سبعة أيام ويشرب قليلا من الماء والخمر ويدهن من الزيت المصلى عليه فانه يبرأ ببركة الله والقديس ابي تربو — اهـ عن « القنديل » حرفياً

الدكتور حسن ذهني
طبيب جمعية الرفق بالحيوانات في القاهرة

(١) قال حضرة العالم الفاضل اقلاديوس لبيب بك : « ان هذه الجملة في الاصل يمكن ان تكون من اللغة اليونانية وانما محرفة عن أصلها ويفهم بان معناها يقرب من قولك آمن بانك الخ »

مقدمة

« فيجنيا في الاوليد »

بقلم المرحوم العلامة شبلي الشميل مترجم الرواية المذكورة نظماً

مأساة شعرية في خمسة فصول . واضعها الاول أوريبيد في القرن الخامس قبل الميلاد . أخذها عنه راسين في القرن السابع عشر بعد الميلاد ونظمها بالفرنساوية متصرفاً فيها بما قرّبها من عصره وابعدها شيئاً عن العصر الذي وُضعت له . وقد مثلت للمرة الاولى في فرسايل سنة ١٦٧٤

وقائع الرواية مستخرجة من غزوة طروادة . وحكاية ذلك ان باريس بن بريام ملك الطرواديين خطف زوجة منيلاس اخي اغممنون . فكبرت الاهانة على الاغريق فهبوا على بكرة ابيهم يطلبون الانتقام . فاجتمع رؤساؤهم وعقدوا عليهم لاغممنون وحشدوا جنودهم واعدوا اسطولاً ضخماً في مياه اوليد (فرضة بحرية من بلاد اليونان القديمة) لغزو طروادة . هذه هي الحكاية الهوميرية كما في الالياذة

ومن هنا تبتدئ حوادث الرواية على ما في الاصل اليوناني والفرع الفرنساوي فان الاسطول لم يستطع الانتقال مدة شهرين لسكون الريح . فاستدلوا من ذلك على غيظ الآلهة وأقرّوا على استرضائها . فقام زعيمهم اغممنون ومعه ثلاثة من رؤسائهم وهم منيلاس ونسطور وعولوس الى سادن هيكل ديانا المدعو كلكاس . فكان جوابه ان ضحِّ فيجنيا . وفيجنيا اسم بنت الملك اغممنون

فلم يخامر احداً شك بان المطلوبة بنت الملك . وانقضَّ النبأ عليه كالصاعقة . وجعلت تتنازعه عواطفه نحو بنته من جهة وحبه للسلطة وتمسكه بها من جهة أخرى . وزاده ارتباكاً وقوعه بين اشيل عنترة اليونان وهو خطيب ابنته وهي عبلته . فكان يخشاه . وبين عولوس حكيمهم الاكبر وهذا كان لا يدع فرصة تفوته لتقريع أغممنون وحمله على القيام بما يجب عليه نحو دينه ووطنه كما اوجس فيه ضعفاً أو تراخياً

وفي الرواية فتاة أخرى تعرف باسم ريفيل مقيمة مع فيجينيا في بيت ابيها سبية أسرها اشيل يوم غزوته للسبوس وسلمها الى خطيئته ولم يكن احد يعلم عن أصلها شيئاً ولكن الدلائل كانت تدل على انها بنت نعم . ولم تكن هي تعرف عن نفسها سوى أن اسم ريفيل ليس اسمها الحقيقي وان والديها اقصياها يوم ولادتها وعهدا بتربيتها الى كفيل قتل في واقعة لسبوس المتقدم ذكرها . وكل ما اطلعها عليه هذا الكفيل انها من أسرة شريفة من الطرواديين . ثم استزادت على ذلك علماً بان كلكاس السادن واقف على سرّ والديها وحقيقة اسمها

وريفيل هذه من محدثات راسين ليس لها وجود في رواية أوريبيد الاصلية وراسين لم يختلقها اختلاقاً لانهـا موجودة في اساطيرهم . وانما ضمنها لروايته وجعل لها شأناً عظيماً فيها . فلما وقعت في حب اشيل وغدت تكره فيجينيا بسبب ذلك ولكنها لم تبح بحبها وكتمت غيرتها

فلما جاءت فيجينيا الى الاوليد بطلب ابيها لتزويجها من اشيل في الظاهر ولتضحيتها في الحقيقة جاءت ريفيل معها . وكانت نفسها تحدثها أن تذهب الى كلكاس وتستطلع منه سرّ مولدها وحقيقة اهلها ولكنها كانت تحجم لان الوحي في رواية يقول انها يوم تعرف مولدها تموت . الاّ انها لما فضحت المؤامرة على فيجينيا ورأت ان أشيل لما درى بالخديعة قام يبث فيجينيا ما بقلبه من لواعج الحب وهبّ للدفاع عنها مقتحماً كل ما يعترضه من الاهوال اكلتها نار الغيرة ويئست من الحيـاة . فقامت حينئذٍ الى كلكاس وتقدمت اليـه بعزم ثابت . فلما انكشف امرها وعرف القوم انها ابنة هيلانة من « تيزيس » قبل زواجها بمنيلاس وهي بعد في بيت ابيهـا وان اسمها الحقيقي « فيجينيا » وانها هي التي يطلبها الوحي بالذات ضجوا يطلبون تضحيتها . ولكن قبل ان تمتد يد كلكاس اليها تناولت السكين من على المذبح وطعنت نفسها بيدها وخرّت قتيلا . وما جعل دمها يسيل حتى هبت الريح واقلعت السفن وهدأ غضب الآلهة وهكذا نجت بنت الملك . وهنا انتهت الرواية

***

وقد ابدع راسين في تمثيل اشخاصها اذ جعلهم امثلة أحكم تصويرها فجعل ممنون مثال الحب الوالدي الذي تتنازعه اعراض الدنيا وحب السلطة وزوجته مثال الامومة الخالصة التي لا يشوبها شيء كأنها اللبوة الذائدة عن اشبالها . وجعل عولوس مثال الرجل المتمسك بعقيدته وما يظنه الواجب المفروض واشيل مثال الشهامة والبسالة وريفيل مثال الغيرة التي ما بعدها غيرة . وصوَّر فيجنيا اقنوم الوداعة والحب الصادق . كل ذلك طبيعي نشهده كل يوم في الحياة الاجتماعية ليس عليه ادنى شيء من التعمل او الصناعة

وما عدا ذلك ففي الرواية من المواعظ والحكم والحماسة والمفاخرة لتقبيح القبيح وتنظيم المليح ما يجعل الفكاهة مقرونة بالفائدة . ولا سيما ان كثيراً من هذه الفضائل الاجتماعية أخذ يتداعى في هذا التمدن الوحشي الرافع عقيرته اليوم من تعليم بعض الامم الضالة التي كان العلم في يدها كالمخالب للوحوش الضارية

وأما كيف اني عنيت بهذه الرواية واقت انظر — على ضد ما ارتني كمن عيناه في قذاله — فسببه في هذه الحرب الجنونية . فقد اسأمتني حتى اسقمتني فوق ما بي من ذلك . فوددت لو اني انصرف ببقيتي الى ما يلهيني عن مطالعة حوادثها المروعة وسماع اخبارها الشائنة . فعمدت الى كتب الادب وما كانت لتشغلني في الماضي . على انني تخطيت حديثها الى قديمها — وذلك اما لاني اعتبرت أن لهذا الحديث يداً سوداء في هذه الحرب الشنيعة او لانه قصَّر كدليل الى سواء السبيل ، سواء فيه المتناهي في التأنق او المتبذل في التسفل وكلاهما اقرب الى الوضع منه الى الطبع حليف الاجتهاد — تخطيته الى روايات الاقدمين لما فيها من الفكاهة المقرونة بالفائدة

ووقفت اتفاقاً عند روايات راسين ثم عند الرواية التي هي موضوعنا هنا . ولا ادري لماذا في البدء حاولت نظم شيء منها بل اعلم بعد ذلك اني وجدته اشغل لي من كل شيء سواه

ولم اركب في نظمها مركب العاني المفرغ جهده لئلا يتصل ذلك بالقارئ ون

سرَّ احياناً اكثر بما يفهم أقلَّ . مراعياً في اللغة سنن التحوُّل والغرض المقصود قبل كل شيء . ولم تمر ايام حتى وجدتني قطعت بها شوطاً بعيداً فاعتبرت نفسي ملزماً باتمامها ثم هممت بطبعها وها انا الآن أقدمها للجمهور للمطالعة والتمثيل اذا اعجبت ووجد ارتياح اليها والا فقد قضيت بها بعض وطري

شبلي شميل

(الهلال) للعلامة المرحوم الدكتور شبلي شميل آثار لم تنشر بعد منها ترجمة رواية « فيجينيا في الاوليد » نظماً وقد نشرنا مقدمتها في هذا الجزء من الهلال . وسننشر في الجزء التالي مقتطفات منها ومن غيرها من كتاباته

معلومات عن الكرة الارضية

مساحة الجزر في البحار تعادل نحو ضعفي مساحة الانهر والبحيرات في القارات

معدل ارتفاع الارض عن سطح البحر ٢٣٠٠ قدم ومعدل عمق البحر ١٢٦٠٠ قدم

اعلى قمة على الارض يبلغ ارتفاعها ٢٩٠٠٢ قدم (في جبال هيملايا) واعمق مكان من البحر يبلغ عمقه ٣٢٠٨٨ (حوالي جزر الفيلبين) — فتكون المسافة بين اعلى نقطة واعمق نقطة نحو ٦١٠٩٠ قدماً أي نحو ١١½ ميلاً

كان يقدر سكان الارض عند وفاة الامبراطور اغسطس بنحو ٥٤٠٠٠٠٠٠ نفس ويرجح أنه حتى القرن الخامس عشر لم يزد سكان اوربا على ٥٠٠٠٠٠٠٠ . ولو بقي ازدياد السكان على معدله الحاضر لكان عدد الناس بعد قرن نحو ٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠ نفس

كانت نسبة النساء لكل الف رجل كما يأتي (في ١٩١٠) : الولايات المتحدة ٣٤ انكلترا ١٠٦٨ المانيا ١٠٢٦ فرنسا ١٠٣٣

يخضع الناس لستين حكومة ٥٧ منها مستقلة و ٣ شبه مستقلة . اكبرها الامبراطوريتان الانكليزية والروسية واصغرهما موناكو وسان مارينو

معدل طول الحياة البشرية ٣٣ سنة . وربع الذين يولدون يموتون قبل السادسة من عمرهم ونصفهم قبل سن ١٦ وواحد في المئة فقط يبلغ ٦٥ سنة

اسرة رومانوف

وتنازل الملوك في التاريخ

انصرفت الاذهان في الشهر المنصرم عن الحوادث الحربية الى الانقلاب العظيم الذي تم في روسيا وتنازل القيصر نقولا الثاني عن عرشه بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن ابنه الكسيس . وقد علم الجميع الآن انه في مقدمة الاسباب التي ادت الى هذا الانقلاب تعاظم نفوذ الالمان في البلاط الامبراطوري . ولا غرابة في ذلك فان القيصرة المانية الاصل ومثلها معظم اميرات اسرة رومانوف . بل ان هذه الاسرة ما برحت منذ اكثر من قرنين شديدة الاختلاط بالاسر الالمانية فقد تزوج معظم القياصرة والامراء اميرات المانيات حتى انه يصح القول بان اسرة رومانوف الحالية فيها دم الماني بقدر ما فيها دم روسي

ولا يخفى ان اسرة رومانوف ترجع بنسبها الانثوي الى ميخائيل رومانوف الذي انتخب قيصراً على الروس سنة ١٦١٣ . اما نسبها الذكري فيرجع الى الدوق كارل فريدريك اوف هولستين - غوتورب المولود سنة ١٧٠٠ وهو من فرع لاسرة الدنبرغ الالمانية . وقد تزوج بانّـا (حنة) ابنة بطرس الاكبر الذي اراد بذلك توثيق العرى بين روسيا والدول الاوربية

وقد خلف بطرس الاول امرأته كاترينا ثم حفيده بطرس الثاني وبه نهاية السلسلة الذكرية من اسرة رومانوف

ثم تولت العرش انـا (سنة ١٧٣٠) فايفان السادس فاليزابث وهم من السلسلة النسائية لاسرة رومانوف

ثم بطرس الثالث وهو من اسرة هولستين - غوتورب السابق ذكرها واليه ترجع الاسرة الحاضرة مباشرة ولهذا السبب فهي تسمى اسرة رومانوف - هولستين

واليك قائمة باسماء القياصرة منذ عهد مخائيل رومانوف الى اليوم مع سني جلوسهم . وهم كما ذكرنا مقسومون الى ثلاثة اقسام :

اولاً — سلسلة رومانوف الذكرية النسب :

مخائيل (١٦١٣) . الكسيس (١٦٤٥) . فيودور (١٦٧٦) . ايفان

وبطرس الاول (١٦٨٢) . بطرس الاول (١٦٨٩) . كاترينا الاولى (١٧٢٥) بطرس الثاني (١٧٢٧)

ثانياً — سلسلة رومانوف النسائية النسب :

أنّـا (١٧٣٠) . ايفان السادس (١٧٤٠) . اليزابت (١٧٤١)

ثالثاً — سلسلة رومانوف ـ هولستين :

بطرس الثالث (١٧٦٢) . كاترينا الثانيـة (١٧٦٢) . بولس (١٧٩٦) اسكندر الاول (١٨٠١) . نقولا الاول (١٨٢٥) . اسكندرالثاني (١٨٥٥) . اسكندر الثالث (١٨٨١) . نقولا الثاني (١٨٩٤)

* * *

أما القيصر نقولا الثاني فقد ولد في ١٨ مايو سنة ١٨٦٨ وخلف أباه اسكندر الثالث [1] في اول نوفمبر سنة ١٨٩٤ . وتزوج في ٢٦ من الشهر نفسه امرأته الاميرة الكسندرة اليس ابنة لوويغ الرابع غراندوق هيس

وقد رزق أربع بنات وولداً ذكراً : اولغا (ولدت سنة ١٨٩٥) . تاتيانا (١٨٩٧) . ماري (١٨٩٩) . انستاسيا (١٩٠١) . الكسيس (١٩٠٤)

وللقيصر السابق شقيق وشقيقتان وهم :

(١) الغراندوق ميخائيل المولود في ديسمبر سنة ١٨٧٨

(٢) الغراندوقة زينيا المولودة سنة ١٨٧٥ . وقد تزوجت الغراندوق اسكندر سنة ١٨٩٤ ورزقت ستة أولاد وبنتاً

(٣) الغراندوقة اولغا المولودة سنة ١٨٨٢ . وقد تزوجت الامير بطرس اوف اولدنبرغ وحلت زواجها في اكتوبر سنة ١٩١٦

أما عموم القيصر وعماته فهم :

(١) الغراندوق فلاديمير ولد ١٨٤٧ وتوفي ١٩٠٩ تزوج الاميرة ماري اوف مكلنبرغ شورين ١٨٧٤ ورزق ثلاثة اولاد وابنة وهم : سيريل وبوريس واندريه وهيلانة

(٢) الغراندوق الكسيس ولد ١٨٨٠ وتوفي ١٩٠٨ وقدكان أميرالا ولم يتزوج

(٣) الغراندوقة ماري ولدت ١٨٥٣ وتزوجت دوق ادنبرغ ابن الملكة

---

(١) أمه الاميرة داجمار ابنة كريستيان التاسع ملك الدانمارك

فيكتوريا (المتوفى ١٩٠٠)

(٤) الغراندوق سرجيوس ولد ١٨٥٣ وتزوج الاميرة الزابت اوف هيس — دارمستاد ١٨٨٤ ثم قتل ١٩٠٥ ولم يترك نسلاً

(٥) الغراندوق بولس ولد ١٨٦٠ تزوج الاميرة الكسندرا اليونانية ١٨٨٩ التي توفيت سنة ١٨٩١ تاركة ولداً وابنة وهما : ديمتري وماري

وفضلا عن عماته وعمومه المذكورين فالقيصر السابق ثلاثة عموم لابيه وهم :

(١) الغراندوق قسطنطين : ولد ١٨٢٧ وتوفي ١٨٩٢ تزوج الاميرة الكسندرا اوف ساكس التنبرغ ١٨٤٨ ورزق منها خمسة اولاد اكبرهم الغراندوق نقولا المولود ١٨٥٠ ومنهم الغراندوقة اولغا المولودة ١٨٦١ (وقد تزوجت ملك اليونان السابق)

(٢) الغراندوق نقولا ولد ١٨٣١ وتوفي ١٨٩١ تزوج الاميرة الكسندرا اوف الدنبرغ ١٨٥٦ ورزق ولدين الغراندوق نقولا والغراندوق بطرس

(٣) الغراندوق ميخائيل ولد ١٤٣٢ وتوفي ١٩٠٩ تزوج الاميرة سيسيليا اوف بادن ١٨٥٧ ورزق منها ستة اولاد

تنازل الملوك

يشبه التنازل الاستعفاء بل هو ضرب من ضروبه ولا يطلق الا على المناصب الرفيعة . وهو في عرف القانونيين « عدول اختياري عن الملك والسلطة » غير ان التاريخ يدلنا على ان تنازل الملوك في الغالب ليس الا ستاراً يخفي سقوطهم من على العروش اما اتقاء لثورة أو خوفاً على اسرتهم ان تطرد وتقصى عن السلطة

وقد يكون التنازل عاماً ، أو جزئياً كتنازل بطرس ملك السرب لابنه اسكندر ، أو شرطياً كتنازل نابوليون على شرط ان يولى ابنه مكانه

ويجوز للملوك المطلقين ان يتنازلوا عن عروشهم في أي ساعة يشاؤون ولكن ذلك لا يجوز في الحكومات الملكية المقيدة كانكلترا مثلا ولا يكون التنازل فيها شرعياً الا بموافقة مجلس الاشراف ومجلس العامة

وحوادث التنازل في التاريخ كثيرة في جميع العصور وعند جميع الامم ولا يسع المقام ذكرها جميعاً وانما نقتصر على الحوادث التي حدثت منذ اول القرن التاسع عشر

الى اليوم . فهاك قائمة بذلك :

شارل عمانوئيل الرابع (ساردينيا)	١٨٠٢
شارل الرابع (اسبانيا)	١٨٠٨
جوزيف بونابارت (نابولي)	١٨٠٨
غوستاف الرابع (اسوج)	١٨٠٩
لويس بونابارت (هولندا)	١٨١٠
نابوليون الاول	٤ ابريل ١٨١٤ و ٢٢ يونيو ١٨١٥
فيكتور عمانوئيل (ساردينيا)	١٨٢١
شارل العاشر (فرنسا)	١٨٣٠
بدرو الاول (برازيل)	١٨٣١
ميجيل أو ميشيل (برتوغال)	١٨٣٤
وليم الاول (هولندا)	١٨٤٠
لويس فيليب (ملك فرنسا)	١٨٤٨
لويس شارل (بافاريا)	١٨٤٨
فردينان الاول (النمسا)	١٨٤٨
شارل البرت (سردينيا)	١٨٤٩
ليوبولد الثاني (توسكانيا)	١٨٥٩
اوثون (ملك اليونان)	١٨٦٢
ايزابلا الثانية (اسبانيا)	١٨٧٠
اميديوس الاول (اسبانيا)	١٨٧٣
تيرس (رئيس الجمهورية الفرنسية)	١٨٧٣
المارشال مكماهون (رئيس الجمهورية الفرنسية)	١٨٧٩
الخديوي اسماعيل	١٨٧٩
اسكندر (بلغاريا)	١٨٨٦
ميلان (الصرب)	١٨٨٩
السلطان عبد الحميد	١٩٠٩

انفاس الليل

أنا والنجم في الدجى ساهران   اتراه عناه ما قد عناني ؟
لك قلب يا نجم يخفق احساساً   (م) بهذا الوجود جم الحنان
بيد اني أراك ترمقني شزراً   (م) وتغضي الجفون عما أعاني
سلسل النور في نواحي فؤادي   ففؤادي كالليل أسوان عان
وأبن لي خيال من كان في العين   (م) ربيعاً وكان صيف جناني

* * *

عللاني من قبل ان تنعياني   خياتي طريدة الحدثان
انما المرء في أمانيه كالحالم   (م) بالعيش في رياض الجنان
لهف نفسي على أمانيّ نفسي   وشباب الحياة في عنفوان
كنّ راح الفؤاد ما جنني الليل   (م) ولم تغف في الدجى العينان
أين مني تلك الليالي التي ولت   (م) سراعاً والقلب جم الاماني
حيث وجه السماء يبسم بشراً   كابتسام الجنان في نيسان
صرت لا شيء غير ذكرى وأنات   (م) تذيب الفؤاد في كل آن

* * *

من لقلب يهيم في الكون عان   يتظنّى خلوده وهو فان
وتراه وهو القوي ضعيفاً   كلما هيج الدجى ما يعاني
ايه يا ليل يا شبيه حياتي   ما أرى فيك من مصيخ حان
أنت يا ليل لا ترقّ لشاك   يا نذير البلاء في عين مان [1]
ان في صمتك العميق لساناً   يخز القلب مثل وخز السنان
رب صمت تفيض فيه المعاني   وحديث كالسم في الآذان [2]
أنت يا ليل يا نجيّ فؤادي   تذكر القلب بالجمال الفاني

* * *

كم سهرنا والقلب أسوان عان   وسهرنا والقلب جذلان هان

---

(١) هو ماني للثنوي القائل ان الخير كله في النور والشر كله في الظلام
(٢) السم في الاذن مميت كما جاء في هملت شكسبير

يقطع الغافل الغبي لياليه (م) رقاداً والليل جم المعاني
مات حياً من أسلم الجفن للنوم (م) وهذي الحياة هذي الثواني

* * *

فيك يا ليل يقرأ المرء سفر الكون (م) في اعين النجوم الرواني
وبيان العيون اوقع في النفس (م) لدى الصمت من بيان اللسان

* * *

شمل الناس في ظلامك يا ليل (م) سكون هو الحمام الثاني
غير شاد أقام في جنحك الحالك (م) يشدو بفاتن الالحان (١)
طائر بات هائماً في فضا الله (م) ما عاش لا يرى في مكان
نحن صنوان في الحياة غريبان (م) عن الناس في الدجى غرقان

* * *

ما لهذا الشروق احمر قاني ولهذا الغروب احمر قاني
صور كلها الحياة وتمضي مسرعات كالخيل في الميدان
بين هذا وذاك تسبح في الفكر (م) طويلاً والقلب في خفقان

* * *

هي نفس تشق بما تملاه (م) تباعاً في طلعة الاكوان
وحياة الوجود بحر عباب نحن غرقاه من قديم الزمان

* * *

كل ما تبصر العيون من الاشياء (م) في الكون صورة الاذهان
ولعمري هذه الحقائق وهم صورتها قريحة الانسان
سائل العمي ما ترون من الكون (م) يجيبوك عنه مثل العيان
واسأل الصم هل تصيخون سمعاً لخفايا هواجس الوجدان
يبصر القلب منك لا العينان ويصيخ الضمير لا الأذنان

زكريا ابراهيم
جزارين

اسكندرية

(١) هو البلبل لانه وحده من الطيور من يشدو بالليل

العائلة والمنزل

كيف نعيش — ٧

وصايا صحية اقرّها معهد اطالة الحياة في اميركا

الفصل الرابع

الحركة

١ — العمل واللعب والراحة والنوم

للحركة صورتان : العمل واللعب ، كذلك للسكون صورتان الراحة والنوم . وهي جميعها ضرورية للحياة الصحية

ويجب على الانسان ان يتناوبها في كل يوم من حياته فيعمل ويلعب ويستريح وينام مع حفظ التناسب والموازنة بين تلك الأحوال . واذا اضطر في ذات يوم الى الاخلال بالموازنة بينها وجب عليه اعادتها في اليوم التالي . فاذا لم ينم جيداً في بعض الليالي فعليه ان ينتهز اول فرصة تسنح له للاستعاضة عما فاته . كذلك اذا لم يعمل رياضة يوماً ما وجب عليه ان يزيد مقدار الرياضة في اليوم التالي . وهلم جرا

واذا لم يكن في استطاعة الانسان أن يحفظ الموازنة بين العمل واللعب والراحة والنوم في كل يوم فيجدر به أن يسعى لحفظها في الاسبوع بمجمله أي انه اذا جهد نفسه في ثلاثة ايام او اربعة اردفها بايام يستريح فيها الراحة اللازمة له . ولكن الافضل ان يجعل حسابه باليوم لا بالاسبوع

على أن الناس يختلفون في درجة احتياجهم الى كل من العمل واللعب والراحة والنوم فعلى كل واحد أن يرى الملائم له من ذلك

العمل

واول ضروريات الحياة العمل ويتعذر ان نجد امراً أشد ضرورة للحياة الصحية

التامة من العمل المفيد ذي الغاية الحميدة . ولا بد للانسان ايضاً من احلام ومطا
تسمو اليها نفسه بل ان الانصراف لتحقيق أمنية قد ينسي صاحبها كثيراً من
الآلام ويخفف وطأتها عليه . ثم ان العمل بحد ذاته اذا تمّ برغبة وحماسة ينشط
الجسم ويقويه

على أنه ينبغي للانسان ألا يتمادى في شغله وأن يذعن الى دلائل التعب حا
تبدو فيه . ولا بد من تنويع العمل فانه يزيد النشاط ويساعد على الاجادة . فا
انصرف الانسان الى عمل واحد لا يلبث ان يسأمه فلا يستطيع اتقانه

ومن اضرار هذه المدنية انها تحصر التعب على الغالب في عضو خاص لا في
الجسم كله . ولذا فالانسان مضطر الى ترويض سائر اعضائه لحفظ الموازنة بينها
خذ مثلاً العين فانها تحمل اليوم عبئاً ثقيلاً ومعظم عملها عن كثب وقلما يتاح له
أن تنظر الى الافق أو الخلاء وفي ذلك راحة لها . وينشأ عن تحديق النظر علل
مختلفة يجهل سببها كالصداع والدوخة وغير ذلك . ولا بد لصيانة العين من الحصول
على النور الكافي للعمل ومن اراحتها بين حين وآخر واستعمال النظارات عند
اللزوم واجتناب القراءة في القطرات والعربات

الرياضة

لا بد من الرياضة لتلافي الاضرار الناشئة عن الجهد والعمل المستمر . ويحسن أ
يخصص الانسان ساعة كل يوم لذلك . ولا بد له على الاقل من ربع ساعة ينصرف
فيها الى الرياضة بشدة

وافضل انواع الرياضة ما ينبه القلب والرئتين كالركض والمشي بسرعة وصعود
الجبال والسباحة . ويحسن ايضاً اتيان شيء من الرياضة الخفيفة بعد الطعام
ثم ان التمرين العضلي المنتظم في الاندية المخصصة لذلك مفيد في كل حال . ومن
الخطإ الاعتقاد الشائع بأنه اذا لم يشعر الانسان بلذة اثناء ترويضه فانه لا يستفيد شيئاً
من رياضته . فقد ثبت أن فائدة الرياضة اكيدة وان رافقها ملال . على أنه لا ريب
في ان الرياضة الجذابة أفضل من سواها لانها تستدعي الحماسة وهو مفيد للجسم

حد ذاته . وينبغي ألا تقتصر الرياضة على صنوف الرياضة البدنية بل يجب أن شمل رياضة القوى العقلية — الشعور والفكر والارادة — بسماع الموسيقى وحضور لروايات الجيدة و بالتأمل والتفكير و بتذليل النفس وتقليل مطالبها الخ . .

ويحسن بالانسان ايضاً أن يتخذ موضوعاً او عملاً ما ينصرف اليه في ساعات راغه . ويسمى ذلك عند الانكليز hobby و Avocation ويجب أن يكون نوع هذا الموضوع أو العمل بعيداً عن نوع المهنة الاعتيادية . فكثيرون من الرجال العظام كانوا يصرفون جزءاً كبيراً من فراغهم في زراعة الازهار او في النجارة او في التصوير وغير ذلك

وللقراءة شأن كبير اليوم ولكنها سلاح ذو حدين فقد تفيد او تضر وفقاً لجودة الكتب او رداءتها . والاحداث شديدو التأثر من هذا القبيل فينبغي ارشادهم مراقبتهم . وعلى الاجمال يصح القول بان أفيد الكتب هي ارزنها واعقلها

وهناك ضروب من الالعاب والملاهي يخشى ان يجر مدمنها الى الفساد كلعب لورق والرقص وغيرها فاذا لم يعتدل الانسان فيها انقاد اليها بحيث يصبح لعب لورق قماراً والرقص فسقاً وقس على ذلك

الراحة

ان الاستراحة ضرورية للانسان كلما شعر بتعب . ويحسن به اذ ذاك أن يستلقي على ظهره . يحكى عن رئيس جامعة انه سئل يوماً عن سر نشاطه ومقدرته على العمل فقال : « السر في ذلك هو انني لا اركض اذا استطعت ان امشي ولا امشي اذا استطعت ان اقف ولا اقف اذا استطعت ان اجلس ولا اجلس اذا استطعت أن استلقي على ظهري »

تلك النصائح حسنة لمن كان بطبيعة عمله كثير الحركة كثير المشاغل . أما الكسالى فيجب ان يتبعوا هذه النصيحة معكوسة — أي ألا يستلقوا على ظهورهم اذا استطاعوا الجلوس وألا يجلسوا اذا استطاعوا الوقوف وألا يقفوا اذا استطاعوا المشي وألا يمشوا اذا استطاعوا الركض

النوم

يمكن المعرضين للقلق ان يتوصلوا الى النوم بالانتباه الى صوت واحد متكرر (كصوت ساعة مثلاً) او الى فكرة واحدة ، كذلك الرياضة بعد الظهر تساعد على النوم في الليل ومثلها الحمامات الفاترة ، والتنفس العميق البطيء .

بالنوم يستعيد الانسان قواه المفقودة ولا يكفي ان يكون النوم طويلاً في الزمن فقط بل يجب ان يكون مريحاً هادئاً . وعلى الاجمال فالوقت اللازم من النوم يتراوح بين ٧ و ٩ ساعات والاحداث أشد حاجة الى النوم من الكبار

والافضل ان ينام الانسان خالي المعدة فالطعام وان سهل النوم في البدء فانه يزعج النائم أثناء نومه . ويجب ان يهوّى مكان النوم وأن يكون الفراش ناشفاً بعض الشيء

٢ — سكون العقل وعمله

قلنا ان العقل يحتاج الى الحركة والسكون مثل ما يحتاج الجسم . ولا ريب في ان الارتباط شديد بين صحة العقل وصحة الجسد

وكثيراً ما يشعر الانسان بضيق او كرب وما السبب الا حالته الصحية . فان اعتلال صحته يجعله سريع الغضب من اتفه الاسباب وقد تكون العلة الحقيقية الموجبة للضيق والكرب الامساك او جهد العين او عدم تقويم الجسم او قلة الرياضة أو تعاطي الكحول او غير ذلك . فالدواء الناجع في هذه الاحوال يكون اما حقنة او نظارات او رياضة أو نحو ذلك

ولا شك في ان الصحة الجيدة توقظ القوى العقلية الكامنة . وفي كثير من الاحيان يجب نسبة العجز في الاعمال العقلية الى اعتلال جسدي وهذا القول يصح خصوصاً على اصحاب الفنون الجميلة . ومن اقوال ابكتيتوس « ان الانسان لا يستطيع أن يبلغ ارقى درجات الفلسفة الا بالصحة الكاملة المستفيضة »

على ان غرضنا الاول هنا بيان تأثير الحالة العقلية في الجسد . وقد ذكر احد الذين ربوا الدجاج ونجحوا في تربيته نجاحاً علمياً انه ثبت لديه ان تخويف الدجاج

وارهابه بالحركات والاصوات المزعجة كان يقلل من بيضها بعكس ما اذا عوملت معاملة حسنة رقيقة.

وفي استطاعة كل واحد منا ان يتثبت من تأثير حالته النفسية في جسمه بمراقبة نفسه : فان الخجل يورد الخدود ، والخوف يسرع حركة القلب والتنفس ، والحزن يسقط الدموع الخ . . . على ان التأثير قد لا يكون ظاهراً للعيان كتأثير الاهتمام الشديد والانهماك الكثير وهو ما يعبر عنه الانكليز بكلمة Worry فانه من امراض هذه المدنية اذ ترى معظم الناس مقطبي الحواجب عابسي الوجوه . ولا ريب في ان لذلك سيئ التأثير في صحتهم

ومن الناس من يصابون بوسواس من جهة عنايتهم بصحتهم الا ان هؤلاء لا يلتفتون الا للامور الجسدية فينظمون معيشتهم ويقننون مآكلهم ومشروباتهم الخ . . . ويفوتهم للاسف ان اهتمامهم الشديد هذا من الاسباب التي تضر بهم

على الانسان اما ان يتعود الاذعان للحوادث كما تأتي والا يبقى مرتبكاً خائفاً متوقعاً المصائب والرزايا

كل شيء عادة حتى السعادة . عود نفسك ألا تعبأ بالامور والحوادث وان عاكستك ترَ نفسك سعيداً . قد يستغرب القارئ هذا القول لاول وهلة ولكنه اذا عرفت كيف « يتفلسف » عند اللزوم وعوّد نفسه الخضوع لما لا قدرة له ان يغيره فان السعادة ليست بعيدة عنه . وانما السعيد — كما قال احدهم — من اعتقد نفسه سعيداً

بل ان كاتباً انكليزياً ذهب الى ابعد من ذلك فقال « ان السعادة واجب ينبغي لنا تأديته وللاسف اننا شديدو الاهمال لهذا الواجب »



تاريخ الشهر

على الحدود المصرية

قد تقدم الجيش البريطاني في جنوبي فلسطين تقدماً محسوساً وجميع الدلائل تد
على قرب حدوث امور خطيرة في تلك الجهات . وقد صدر بلاغ بتاريخ ٧ مارس
هذا نصهُ :

« تقهقرت الجنود العثمانية في جنوب فلسطين الى جوار خان يونس والشا
وذلك من عهد استرجاعنا العريش . وقد قضت الشهرين الماضيين منهمكة باعداد مر
منيع جداً للدفاع في « ولي شيخ نوران » فبنت خمسين حصناً او اكثر ووص
بالخنادق بعضها ببعض ثم تخلت امس عن هذا المركز الدفاعي المحكم وتفرقت ف
بين غزة وتل الشريعة وشمالي تل الشريعة على محاذاة السكة الحديدية لانها تحاذ
ان تقابل جنودنا المتقدمة اليها وتقاتلها

« وقد قضت طياراتنا امس النهار بطوله في قذف القنابل على كتائب الاعـ
المتقهقرين وقطراتهم وسككهم ومهماتهم والحقت بهم خسائر فادحة في العدد والذخ
وبلغ ما قذفته عليهم من المواد الشديدة الانفجار نحو طن . هذا عدا انهم س
خسروا خسائر جسيمة في غاراتنا المتواصلة عليهم في خلال الشهرين الماضيين ومن
هذه الخسائر تدمير ثلاث طيارات من طياراتهم في غارة حديثة على مستودع للطيار
هذا وقد استأنفت طياراتنا اليوم الغارات على الاعداء »

وصدر بلاغ رسمي بتاريخ ٢٨ مارس هاك نصه :

« قدمنا جنودنا مسيرة ١٥ ميلاً من رفح الى وادي غزة الواقع على بعد خم
اميال من غزة غرباً لنحمي العمل في السكة الحديدية

« وقد قابلنا في شرق ذلك الوادي قوة عثمانية مؤلفة من نحو ٢٠ مقاتل بش
رائعة في يومي ٢٦ مارس الحالي و٢٧ منه فخسرت خسارة عظيمة فادحة جداً وة
خسارتها بين ٦ آلاف مقاتل و٧ آلاف مقاتل

«هذا عدا أننا أسرنا منها ٩٠٠ ومن جملتهم القائد العام وجميع الذين في مركز قيادة الفرقة الثالثة والخمسين العثمانية و ٤ ضباط و٣٢ صف ضابط وعسكرياً نمسويين و٥ صف ضباط وعساكر الماتين وغنمنا مدفعين من مدافع الهوتزر النمسوية من عيار ٤٠٢ »

الانقلاب الروسي

كان للانقلاب الروسي أعظم وقع في النفوس وعدته الشعوب الراقية فوزاً كبيراً للمبادئ الديمقراطية . وقد تلقى معتمد روسيا في القاهرة بلاغاً رسمياً عن هذا الانقلاب فرأينا أن نثبته بحروفه لقيمته التاريخية :

وزارة الخارجية الروسية ببترغراد ١٩ مارس ١٩١٧

نقلت اليكم شركة بتروغراد التلغرافية تفصيل الحوادث التي وقعت في الايام الاخيرة وسقوط النظام السياسي القديم في روسيا . ذلك النظام الذي اندك وانهدم شر انهدام باستنكار الشعب له لسوء تصرفه وعجزه وقلة رويته

وان اجماع أصحاب العقول والافكار والآراء السليمة على كره النظام الزائل المضمحل سهل المعقد من هذه الازمة وجعل حلها قريباً . لان جميع العقلاء المدركين انضموا بكل مسرة وارتياح الى علم الثورة وامدهم الجيش بقوته ومؤازرته . ونال جل الشعب في أقل من ثمانية أيام فوزاً باهراً كاملاً . وهذه السرعة في اتمام العمل ساعد لحسن الحظ على ان تكون ضحايا الحوادث قليلة جداً حتى ان قلتها تدعو الى العجب اذا قيست بما يقع عادة في مثل هذه الحوادث والانقلابات الكبيرة الجليلة الشأن كهذا الانقلاب

ففي كتاب وقعه القيصر نقولا الثاني في قصر بسكوف في ٢ مارس ١٩١٧ على الحساب الشرقي (١٥ مارس على الحساب الغربي) تنازل جلالته عن العرش بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن ابنه ولي العهد الكسيس نقولاويتش لاخيه الغرندوق ميشل الكسندرويتش ولما ابلغ ذلك الغرندوق ميشل في ٣ مارس (١٦ مارس) سنة ١٩١٧ تنحى عن تحمل أعباء السلطة العليا الى ان تقرر الجمعية الدستورية التي تنتخب على قاعدة الاقتراع شكل الحكومة وتقرر القوانين الاساسية للبلاد الروسية

وفي كتاب التنازل دعا الغرندوق ميشل الشعب الروسي الى الخضوع للحكومة

الوقتية المؤلفة من دوما الامبراطورية الى أن تعلن الامة ارادتها ولقد نشر تأليف الحكومة الوقتية وبرنامجها السياسي واذيع في البلاد الاجنبية

والحكومة التي تتولى السلطة في أشد الاوقات حرجاً خارجاً وداخلا لا يذكر له مثيل في تاريخ هذه الامبراطورية مدركة المهمة الكبرى الملقاة على عا فهي ستصرف همها قبل كل شيء الى اصلاح الهفوات التي ارتكبتها الحكومة السا والى تأييد النظام والراحة في البلاد والى اعداد الوسائل اللازمة لتعلن الامة اراد بكل حرية على مصيرها المستقبل في سياستها الداخلية

والوزارة التي انتظمت في سلكها وولتني الامور الخارجية تحترم العهود والمواث الدولية التي أبرمتها الحكومة التي قد سقطت وتجعل العهد الذي اعطته روسيا ء نفسها مقدساً وانا سنوثق بكل عناية واهتمام الروابط التي تربطنا باصدقائنا وحلفا ولنا ملء الثقة بان هذه الروابط تزداد على عهد النظام الجديد وثوقاً وتمكناً والحكو الجديدة تسير على مذهب الديموقراطية فتحترم حقوق الشعوب الصغيرة والكب وحرية تقدم هذه الشعوب وترقيها والاتفاق الحسن بين الامم . ولكن هـ الحكومة لا تغفل لحظة عن الظروف الخارجية الحرجة التي تولت اثناءها السلطة

فان روسيا لم ترد الحرب التي صبغت العالم منذ ثلاث سنين بالدماء . ولكنها كا ضحية العدوان والاعتداء المدبر منذ زمن بعيد . فهي ستظل تكافح في المستقبل رو الغزو والامتلاك المتسلطة على الامة المفترسة التي خيل اليها ان باستطاعتها أن تقر سيادتها التي لا تحتمل ولا تطاق على الامم المجاورة لها وان تحكم في اوربا في القر العشرين عار الحكم العسكري البروسي

فروسيا الامينة الصادقة على العهود والمواثيق التي تربطها بحلفائها المجيدين ارتباً لا انفصام له عاقدة النية مثلهم على ان توفر للشعوب والامم مهما كان الامر عم السلام على قاعدة تقرير نظام دولي ثابت ليضمن فيه الحق والعدالة . فهي ستقاتل أ جانبهم عدوها وعدوهم حتى النهاية دون هدنة ولا هوادة والحكومة التي انا م ستصرف كل عزمتها الى اعداد معدات النصر . وستصرف الى اصلاح هفوا الحكومة السابقة تلك الهفوات التي عرقلت الى الآن همة الشعب الروسي واقدا على التضحية وهي موقنة بان الارتياح العظيم الذي تولى الشعب كله سيضاعف القو ويعجل بساعة النصر والفوز — فوز روسيا المجددة شبابها وفوز حلفائها واصدقائها »

الجامعة السلطانية الكبرى

من المشاريع الجليلة التي اهتمت بها وزارة المعارف انشاء جامعة كبرى على مثال الجامعات الاوربية مع اضافة الصبغة الشرقية اليها وقد ورد في مشروع ميزانية وزارة المعارف لهذه السنة ذكر الاسباب التي حملت الوزارة على التفكير في هذا المشروع فمن ذلك قولها :

« . . . ويقال بالاختصار ان النظام الحالي تعوزه الروح التي تبعث على الهمة وحب التمسك باهداب العلوم والمعارف كما انه لم يولد في النفوس اطماعاً علميـة عظيمة ولم يوجد في البلاد نهضة ذات أثر كبير في عالم العلوم بل هو على العكس من ذلك نظام فوائده مادية محضة يحمل الطلاب على الظن بان نيل الدبلوم هو الغرض الوحيـد الذي يجب وضعه نصب أعينهم . . . »

ثم ذكرت ان عدد التلاميذ الذين يتمون الدروس الثانوية ويريدون مواصلة درسهم بعدها ما برح في ازدياد وان بينهم كثيرين يريدون تلقي دروس عالية لا بقصد تأهيلهم لمهنة خاصة بل لمجرد ترقية مداركهم وزيادة معلوماتهم العامة . ثم قالت :

« وفضلاً عما تقدم فان تاريخ مصر الطويل المفعم بالحوادث والتقلبات المختلفة وموقعها الجغرافي ومركزها الادبي في العالم الاسلامي كلها يشير الى وجوب ايجاد كلية بالقاهرة تكون مقراً لدرس العلوم الشرقية . . .

« كل هذه الاعتبارات تشير الى أن الوقت قد حان لايجاد مقررات دراسية راقية على النمط الحقيقي المتبع في الجامعات وعلى الاخص انشاء قسم للآداب وقسم للعلوم وآخر للعلوم الشرقية فان انشاء هذه الاقسام الثلاثة يسدّ كثيراً من ابواب النقص المشاهد في التعليم العالي . واذا ربطت المدارس العليا بعضها ببعض ربطاً تاماً ووضعت جميعها تحت سلطة واحدة تكوّنت منها جامعة بالمعنى الصحيح شاملة لعدة أقسام علمية »

وقد وافق مجلس الوزراء بادئ ذي بدء على هذا المشروع في جلسة ٢٧ فبراير وعهد الى وزارة المعارف في أعداد لائحة تبين فيها نظام الجامعة وادارتها تمهيداً لاعادة النظر في المشروع والبت فيه نهائيًا . وقد شرعت وزارة المعارف في تنفيذ هذا القرار واختارت بذلك لجنة مؤلفة من اكابر شيوخ التدريس والتعليم الوطنيين والاجانب برئاسة اسماعيل حسنين باشا وكيل وزارة المعارف

السؤال والاقتراح

(١) لا ننشر في هذا الباب الا الاسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القراء فقد نغفل الرد على بعض الاسئلة اما لكونها خصوصية لا تفيد الا أصحابها أو لكوننا قد أجبنا عليها في بعض الاعداد الماضية (٢) نظراً لكثرة الاسئلة التي ترد الينا قد نضطر الى تأجيل الرد على بعضها فنلتمس من السائلين عذراً في هذه الحال (٣) ينبغي ان تذكر في الاسئلة أسماء مرسليها . على انه يجوز الرمز الى اسم السائل باحرف أو بكلمة

مرآة الاسكندرية ومنارتها

﴿ الاسكندرية ﴾ حسين افندي صالح

ما رأيكم في مرآة الاسكندرية ؟ أكان تأثيرها من حيث احراق سفن العدو وتدميرها اذا وجهت اليها نتيجة مباحثهم العلمية والفنية ؟ أم يرجع ذلك (كما يقال) الى سحرهم وما كتبوه عليها من الرموز والطلاسم ، واذا كان من الوجهة الثانية فهل كان لقدماء المصريين مقدرة على القيام باعمال سحرية هي في نظرنا خرافية أكثر منها حقيقية كانشائهم المسلات التي قيل عنها بانها تمنع الناموس والجراد وغير ذلك

﴿ الهلال ﴾ للمؤرخين في مرآة الاسكندرية ومنارتها أقوال متضاربة وآراء متناقضة متباينة وعلى الاخص بعض مؤرخي العهد السابق الذين كان لا هم لهم الآ سرد العجائب ونقل الغرائب عمن سلف من المتقدمين . واليك كلام السيوطي الذي جمعه من أقوال المؤرخين قال :

« وهي مبنية بحجارة مهندمة مضببة بالرصاص على قناطر من زجاج والقناطر على ظهر سرطان من نحاس وفيها نحو ثلاثمائة بيت بعضها فوق بعض تصعد الدابة بحملها الى سائر البيوت من داخلها وللبيوت طاقات تنظر الى البحر واختلف أهل التاريخ فيمن بناها فقيل أنها من بناء الاسكندر وقيل من بناء دلوكة الملكة ويقال ان طولها كان ألف ذراع وكان في أعلاها تماثيل من نحاس منها تمثال قد أشار بسبابة يده اليمنى نحو الشمس أينما كانت من الفلك يدور معها حيثما دارت ومنها تمثال وجهه الى البحر اذا صار العدو منهم على نحو من ليلة سمع له صوت هائل يعلم به أهل المدينة طروق العدو ومنها تمثال كلما مضت من الليل ساعة صوت صوتاً مطرباً

وكان باعلاه مرآة ترى منها قسطنطينية وبينهما عرض البحر فكلما جهز الروم جيشاً رؤي في المرآة . وحكى المسعودي ان هذه المنارة كانت في وسط الاسكندرية وانها تعد من بنيان العالم العجيبة بناها بعض ملوك اليونان يقال انه الاسكندر لما كان بينهم وبين الروم من الحروب فجعلوا هذه المنارة مرقباً وجعلوا فيها مرآة من الاحجار المشففة يشاهد فيها مراكب البحر اذا أقبلت من رومية على مسافة تعجز الابصار عن ادراكها »

فبينما ترى هذا اذا بك ترى بعض المحققين ممن نميل الى رأيهم ينفي جل هذه العجائب والغرائب . قال ياقوت :

« وأما منارة الاسكندرية فقد قدّمنا اكثارهم في وصفها ومبالغتهم في عظمها وتهويلهم في أمرها وكل ذلك كذب لا يستحي حاكيه ولا يراقب الله راويه ولقد شاهدتها في جماعة من العلماء وكل عاد منا متعجباً من تخرص الرواة وذلك انما هي بنية مربعة شبيهة بالحصن والصومعة مثل سائر الابنية ولقد رأيت ركناً من أركانها وقد تهدم فدعمه الملك الصالح رزيك أو غيره من وزراء المصريين واستجده فكان أحكم وأتقن وأحسن من الذي كان قبله وهو ظاهر فيه كالشامة لان حجارة هذا المستجد أحكم وأعظم من القديم وأحسن وضعاً ورصفاً »

وقال :

« ولقد تطلبت الموضع الذي زعموا ان المرآة كانت فيه فما وجدته ولا أثره والذي يزعمون انها كانت فيه هو حائط بينه وبين الارض نحو مائة ذراع أو أكثر وكيف ينظر في مرآة بينها وبين الناظر فيها مائة ذراع أو اكثر ومن أعلى المنارة فلا سبيل للناظر في هذا الموضع فهذا الذي شاهدته وضبطته وكل ما يحكى غير هذا فهو كذب لا أصل له »

فاصبحنا ازاء هذا التناقض لا نعرف تماماً الغرض من هذه المرآة ؟ والذي نرجحه أن المنارة لم تكن الا لتهتدي بها السفن والمحقق تاريخاً ان الذي بناها هو بطليموس فيلادلفوس . اما المرآة فاذا كان خبرها صحيحاً فانما وضعت لمعاكسة سفن العدو وتضليلها عند دخول الميناء بعكس أشعة الشمس نحوها لا لاحراقها وتدميرها

ويظهر أن تخبط المؤرخين في ذكر مرآة الاسكندرية ومنارتها يشبه من كل الوجوه تخبطهم في احراق مكتبة هذه البلدة . أما نسبة هذه المنارة الى قدماء المصريين

كما يظهر من كلامكم خطأ وحديث خرافة اذ الاسكندرية وكل ماينسب اليها لايرجع عهده الا الى الاسكندر باني هذه المدينة ومن خلفه من البطالسة

وكذلك القول في انشاء المسلات لمنع الناموس والجراد فانهم لم ينصبوا هذه المسلات رصداً لاعمال سحرية لا تخرج عن حد الخرافة بل نصبوها تذكاراً للفتوحات والوقائع العظيمة وتخليداً لذكر الملوك والفاتحين كما يتضح من الكتابات الهيروغليفية التي كتبت عليها

الفتنة

﴿ دمنهور ﴾ احمد افندي زيدان

ارجو أن تتكرموا بالافادة عن ماهية شجر « الفُتنة » وزهره واسمه وهل يستخرج منه عطر طيب الرائحة حقيقة ؟ واين يزرع كثيراً وفي اي البلدان كان منشأه وهل هذا النوع اصيل في مصر وهل نجحت زراعته فيها

﴿ الهلال ﴾ اسم هذا الشجر في اللسان النباتي « أكاسيا فارنيزيانا » وهو يستعمل في مصر لعمل السياجات مع السنط اذ هو يتكاثر بالبذور بسهولة الا ان السنط اجود منه من حيث الاخشاب كما انه يفضل السنط في عمل السياجات وما اشبهها . واصل شجر « الفتنة » من اوربا الجنوبية وأسيا الصغرى وهناك كان منشأه وقد نجحت زراعته في القطر المصري نجاحاً عظيماً اكثر من نجاحه في وطنه الاصلي

وهو يزرع بكثرة في مصر ولا سيما في الصعيد فيصير بفضل نجاح نبته فيها اشجاراً لطيفة جميلة تنمو عليها ازهار جيدة كثيرة ذات رائحة ذكية يستخرجون منها العطر الطيب الرائحة المشهور « بالفتنة »

اسرة هابسبورغ واسرة رومانوف

﴿ مصر ﴾ صموئيل افندي المنقبادي

ارجو الافادة عن أسرتي هابسبورغ ورومانوف أيهما اقدم عهداً

﴿ الهلال ﴾ ذكرنا في مقالة « أسرة رومانوف » في غير هذا المكان ما يكفي لمعرفة تاريخ تلك الاسرة وخلاصة ذلك أنها ترجع بنسبها الى ميخائيل رومانوف الذي

انتخب قيصراً سنة ١٦١٣ . وان السلسلة الذكرية من نسله انتهت بموت بطرس الثاني (سنة ١٧٣٠) فخلفته انَّا وبها تبدأ سلسلة رومانوف الانثوية النسب الى سنة ١٧٦٢ اذ تبدأ سلسلة رومانوف ـ هولستين واليها تنتسب الاسرة الحاضرة مباشرة

اما أسرة هابسبورغ فهي تنسب الى رودلف اوف هابسبورغ وهو امير جرماني ولد سنة ١٢١٨ وانتخب ملكاً سنة ١٢٧٣ وقد انتهت السلسلة الذكرية لنسله سنة ١٧٤٠ اذ ارتقت العرش ماريا تريزا التي كانت قد تزوجت فرنسيس الاول من اسرة لورين . ولذا فالاسرة تسمى أسرة هابسبورغ ـ لورين

جوج وماجوج

﴿ رشمند جامايكا ﴾ الياس افندي موسى الحوري

هل أمة جوج وماجوج موجودة في الوقت الحاضر فقد سمعت البعض ينسبونهم الى الصينيين واليابانيين

﴿ الهلال ﴾ كان جوج رئيساً على قبيلتي ماشك وتوبال الوارد ذكرهما في التوراة وكان ماجوج ثاني ابناء يافث . وفي نبوة حزقيال يشير هذا الاسم الى اهل جوج . وقد يقصد بالاسمين قبائل السكيثيين المتوحشة الذين كانوا يأتون من الشمال بقوات عظيمة فرساناً ومشاة مسلحين بالقسي . وزعم بعضهم ان المقصود بجوج وماجوج أهل الصين وقال البعض بل هم الروس

سليمان الحكيم والحيوانات

﴿ ماموا غينا الفرنسية ﴾ نجيب افندي الصباغ الحايك

نسمع كثيراً بان سليمان الحكيم كان يكلم الطيور والوحوش والعشب والشجر . فما أصل ذلك ؟

﴿ الهلال ﴾ ليس في التوراة ما يدل على ان سليمان الحكيم كان يكلم الطيور وانما ورد ذلك في غير التوراة

فولتير وفريدريك

صداقتهما وتنافرهما

ومنتخبات من مذكرات فولتير عن البلاط البروسي

ليس ألذ للقارئ من الوقوف على دخائل الملوك والعظماء وما كان من أمر معيشتهم البيتية ومعاملتهم لاصدقائهم . على ان التاريخ يضن عادة بهذه التفاصيل الممتعة فلا يرينا من مشاهير الرجال الا حروبهم وفتوحاتهم . بل كان تقادم الزمن عليهم يلبسهم حلة من الوقار والهيبة تخرج بهم من صف البشر . والحقيقة ان مشاهير الرجال كانوا رجالاً قبل كل شيء . بل كثيراً ما كانت اعمالهم اشبه باعمال الصبيان منها باعمال الرجال

ولعل ماجرى بين فولتير وفريدريك خير برهان على ماتقدم . وانا ذاكرون فيما يلي خبر علاقتهما باختصار ونتبع ذلك بمقتطفات من مذكرات فولتير عن الايام التي قضاها في بروسيا . وقد نشرت تلك المذكرات للمرة الاولى في امستردام سنة ١٧٨٤ وقال عنها ماكولي المؤرخ الانكليزي الشهير ان التاريخ لا يعرف رسالة فيها من قارص الكلام ولاذعه مثل ما في تلك المذكرات

***

لا يخفى ما كان لفولتير من الصيت الذائع في عصره وما كان لكتاباته من التأثير الشديد في اوربا . وفي مقدمة المعجبين به كان فريدريك ملك بروسيا المعروف بفريدريك العظيم . ويرجع اعجابه به الى زمن شبابه اذ كان ولياً للعهد وما برح بعد ارتقائه العرش يلحُّ عليه بالقدوم اليه

واخيراً قبل فولتير الدعوة ولا سيما ان المركيزة دي بومبادور كانت اذ ذاك صاحبة القول الفصل في شؤون المملكة الفرنسية ولم تكن راضية عنه . ففي ١٥ يوليو سنة ١٧٥١ غادر فولتير باريس فوصل الى برلين في ١٠ يوليو [1]

وقد اختلف حكم المؤرخين على سلوك الصديقين فلام بعضهم فولتير ولام آخرون فريدريك . على ان الحقيقة هي ان كلا منهما أساء التصرف من بعض الوجوه . ولا

---

(١) ولد فولتير سنة ١٦٦٤ وتوفي سنة ١٧٧٨

ريب في ان فريدريك أحسن ضيافة فولتير في أول الامر وعين له راتباً قدره ٢٠٠٠٠ فرنك في السنة . الا ان فولتير ما لبث ان ندم بعض الندم لمغادرته وطنه بلا استئذان ولا سيما ان مواطنيه عدوا سفره خيانة . فالحّ في الحصول على اذن من ملك فرنسا فحصل عليه

ولم يكن في استطاعة الرجلين ان يتفقا اتفاقاً دائماً . فقد كان فولتير صاحب أنفة وكبر من جهة ومن جهة أخرى كان حاد اللسان كثير المشاكل فعادى الكثيرين من مقربي فريدريك وبينهم الشعراء والادباء والعلماء . بل انه بعد قدومه بستة أشهر اتهم بالتلاعب في بعض الاوراق المالية . فنفر منه الملك وكاد يخرجه من مملكته ، ولكنه ما لبث أن عاد اليه وأخذ يستعين به في تصحيح منظوماته

وفي ذات يوم من خريف سنة ١٧٥١ نقل « لامتري » La Mettrie وهو احد اطباء البلاط الى فولتير كلمة قالها فيه فريدريك وهي قوله « لا ازال في حاجة اليه لتصحيح كتاباتي ومتى عصرت البرتقالة نطرح القشرة » فاستشاط فولتير غيظاً عند سماعه هذا القول واضمر الحقد لمضيفه . وأخذ منذ ذلك الحين يترقب الفرص للتخلص من القصر البروسي

وزاد الشر تفاقماً خلاف حدث بينه وبين موبرتوي Maupertuis احد نظرائه (وكان رئيس اكاديمية العلوم) وتفصيل ذلك ان موبرتوي اختلف مع اديب اسمه كونيج فانحاز فردريك الى موبرتوي اما فولتير فانحاز الى كونيج . ثم ان فولتير نشر رسالة حادة تهكم فيها على موبرتوي . ويقال انه حصل على اذن الملك في نشرها! (اذ لم يكن من اللائق نشرها بلا اذن) بحيلة غريبة وهي انه قدم الى الملك رسالة اخرى ليأذن له بنشرها فوضع الملك في آخر صفحة منها اشارة باجازة ذلك فما كان من فولتير الا ان انتزع هذه الصفحة ووضعها في آخر رسالة الهجاء

لم يستطع فولتير بعد هذه الاعمال البقاء في برلين بالرغم من انه صالح فريدريك . وما برح يسعى للرجوع الى وطنه من ذلك الحين واخيراً حصل على جواز السفر وفي ٢٦ مارس سنة ١٧٥٣ غادر برلين

ولم تكن هذه نهاية علاقته بفريدريك : فبعد ثلاثة أشهر من مغادرته برلين القي عليه القبض في فرنكفورت وعومل معاملة خشنة فظيعة بحجة انه سرق مخطوطات لفريدريك . ثم أفرج عنه بعد ان قضى اياماً في الحجر فأتم رحلته

يدرك القارئ مما تقدم ما حمل فولتير على كتابة مذكراته الشهيرة فقد كانت خير وسيلة انتقم بها من فريدريك . وانا ذاكرون فيما يلي مقتطفات من تلك المذكرات الممتعة المفيدة :

والد فريدريك

لما كنت في بروكسل سنة ١٧٤٠ توفي في برلين ملك بروسيا فريدريك وليم الذي كان اقل الملوك صبراً وبلا ريب اكثرهم اقتصاداً واعظمهم ثروة نقدية . . .

ولعله لم يختلف اب عن ابنه كما اختلف فريدريك وليم عن ابنه فريدريك (المعروف بالكبير)

اما الوالد فقد كان همجياً بتمام معنى الكلمة . ولم يفكر في طول حياته الا بجمع المال وانشاء اجمل جيش في اوربا باقل ما يمكن من النفقة

ولم يكن شعب اشد فقراً من شعبه كما انه لم يكن ملك اغنى منه . وكان فريدريك وليم قد اشترى بثمن بخس جزءاً كبيراً من املاك الاشراف . على ان هؤلاء لم يلبثوا ان بددوا ماقبضوه فضلاً عن ان نصف ماقبضوه عاد الى خزينة الملك عن طريق الضرائب

وكان اذا قتل احد الرعية ارنباً بقرب املاك الملك او قطع غصناً او اتى اقل ذنب لا يلبث ان يجبر على دفع غرامة

بل اذا ولدت فتاة ولداً كان ينبغي للوالدة او للوالد او للاهلين ان يدفعوا شيئاً من المال

ومن امثلة ذلك ان بارونة كنبهوزن وهي اغنى ارملة في برلين (اي ان دخلها كان يتراوح بين سبعة آلاف وثمانية آلاف ليرة) اتهمت بانها وضعت ولداً في السنة الثانية من ترملها . فما كان من الملك الا ان كتب اليها بخط يده يقول انه ينبغي لها صوناً لعرضها ان ترسل حالاً ٣٠٠٠٠ ليرة الى الخزينة . فاضطرت الى اقتراض المبلغ وخرب بيتها

وكان في مدينة لاهاي سفير للملك اسمه لويسيوس ولا ريب انه كان اقل السفراء اجرة . فان ذلك المسكين اضطر في ذات يوم طلباً للتدفئة ان يقطع بعض الاشجار في حديقة كانت ملكاً للاسرة البروسية . فتلقى بعد ايام قليلة رسالة من سيده الملك يخبره بانه قد حسم سنة من مرتبه . فيئس لويسيوس من حاله وقطع عنقه بالموسى

الوحيدة التي كانت لديه . ولكن خادماً اسعفه وخاص حياته المنكودة . وقد قابلت سعادته بنفسي في لاهاي وكان يستعطي على باب قصر ملك بروسيا
الا ان تركيا تعد جمهورية بجانب استبداد فريدريك ولیم ! . . .

***

وقد كان الملك في كل يوم يستعرض فرقة الجبابرة وهي الفرقة التي كان يحبها كثيراً ويبذل لها بشيء من السخاء . وكان الصف الاول منها مؤلفاً من رجال يبلغ طول اقصرهم سبع اقدام وكان يستجلبهم من جهات مختلفة من اوربا واسيا (١)

الاب والابن

يدرك القارئ مما تقدم دهشة الاب وغضبه عند ما كان يرى ابنه وولي عهده مؤدباً رقيقاً يميل الى الفنون والعلوم ويحب الشعر والموسيقى !

فكان اذا رأى كتاباً بين يديه رماه في النار واذا وجد معه آلة موسيقية حطمها
فسئم الامير معاملة والده وقرر في ذات يوم من سنة ١٧٣٠ الفرار من القصر .
ولما لم يكن لديه من مال والده ما يكفي للسفر اقترض مبلغاً لهذا الغرض . وكان قد اتفق مع شابين لمرافقته في سفره

. . . على انه في ساعة السفر علم الملك بالحيلة فالقى القبض على الشبان الثلاثة . . .
وقد تبادر الى ذهن الملك في اول الامر ان لابنته الاميرة غولمين يداً في المؤامرة ولما كان يحكم في الامور بسرعة عظيمة اقبل عليها يرفسها برجله واوشكت الاميرة ان تقع من النافذة لولا ان والدتها تداركتها في آخر لحظة وامسكتها من ثوبها

---

(١) لم يكتف هذا الملك الغريب الاطوار بتأليف فرقة الجبابرة ولكنه رأى من الواجب عليه ان يستحضر لهم فرقة من النساء الكبيرات الجسم لحفظ النسل وتحسينه. فقد كان يجمعهن من اطراف مملكته ويغصبهن على الاقتران بالجبابرة . . . ومن أغرب ما يحكى من هذا القبيل ان الملك كان يتنزه يوماً في ضواحي بوتسدام واذا بامرأة طويلة القامة قوية العضل فاستدعاها اليه في الحال وكتب كلمة على ورقة سلمها اياها وامرها ان توصلها الى مأمور الجهة. على أن صاحبتنا التي لم تكن تعرف القراءة استثقلت هذه الكلفة فرأت امرأة فقيرة طاعنة في السن بقربها فاعطتها بعض الدراهم وكلفتها القيام بالمهمة فذهبت العجوز الى المأمور فقرأ الرسالة واذا بها « أمر بتزويج ناقلة هذه الرسالة بطبال الفرقة الاولى من حرسي » والامضاء « ولهلم الملك » . ولما كانت طاعة الاوامر العليا من الصفات البروسية لم يتردد المأمور في تنفيذ الامر . . . وكذلك الطبال لم يتردد !

وقد بقي من آثار هذا الحادث تشويه في صدر الاميرة تحت الثدي الايسر تذكاراً للحنو الابوي . وقد شرفتني بان أرتني اياه

***

وكان للامير خليلة تعرف شيئاً من الموسيقى . . .
على ان الاب ما لبث ان علم بالامر فامر ان يؤتى بها الى ميدان بوتسدام فاوسعت ضرباً على مرأى منه ومن حبيبها ثم أمر الملك بنقل ولي العهد الى قلعة بعيدة فقضي فيها أشهراً محبوساً
وفي اثناء سجنه دخل عليه يوماً ضابط طاعن في السن يتبعه أربعة من الجنود والجميع يبكون بكاء مراً . فلم يشك فريدريك في ان الامر قد صدر بقطع عنقه . . . على ان الضابط والجنود جروه الى النافذة وهم لا يزالون يبكون وثبتوه في مكانه فشاهد أمامه أحد رفيقيه اللذين كانا قد عزما على الهرب معه وهو يقطع رأسه . . . فمد اليه يده ثم أغمي عليه . وقد حضر الملك هذا المشهد كما حضر مشهد الخليلة المتقدم ذكره . أما الرفيق الآخر فقد تمكن من الهرب الى هولندا ومنها الى البورتغال
على ان الملك لم يكتف بذلك . فقد كان غرضه ان يقطع عنق ابنه . وكان يرى ان عنده ثلاثة أولاد آخرين لا يظلمون الشمر وفيهم الكفاءة لعظمة بروسيا . . .
ولكن الامبراطور كارلوس السادس ادعى ان الامير الملكي بصفته أحد أمراء الامبراطورية ينبغي محاكمته امام مجلس امبراطوري عال . واوفد الكونت سكندورف الى الملك لتأنيبه . . .
وقد قابلت هذا الكونت بعدئذ في ساكس وأقسم لي بانه لقي صعوبة عظيمة في اقناع الوالد بالعدول عن قطع رقبة ابنه

فريدريك

وبما ان الملك لم يكن يشرك معه ولي عهده في اعمال المملكة — بل انه لم يكن في تلك المملكة عمل الا الاستعراض — كان فريديك يكاتب أدباء فرنسا المشهورين . وقد وقع العبء الأثقل من ذلك عليّ
وكانت رسائله أحياناً في شكل قصائد وأحياناً كانت مقالات فلسفية وتاريخية وسياسية . وقد كان يلقبني بالرجل الالهي فسميته « سليمان »

ولم تكن النعوت تكلفنا شيئاً

وقد طبعت بعض رسائله الفضة في مجموعة مؤلفاتي ولحسن الحظ ان ما طبع لا يبلغ جزءاً من ثلاثين من مجموعها

وفي ذات يوم ارسل الينا رسولاً فاستقبلناه استقبالاً باهراً وافنا الزينات والانوار ومن ذلك جملة كتبت بحروف كبيرة وهي « أمل الجنس البشري»

ولاغرابة في أن أكون قد عللت نفسي ببعض الامل فقد كنت محقاً في ذلك اذ كان فريدريك يخاطبني دائماً بقوله « صديقي العزيز » ولطالما وعدني باقامة الادلة القاطعة على مودته حالما يرتقي العرش

فلما ارتقى العرش كنت في بروكسل فارسل سفيراً خاصاً الى فرنسا اسمه كاماس فبعث اليَّ السفير في الحال رسولا يبلغني انهُ لا يستطيع القدوم اليَّ لشدة تعبه ويقترح ان اذهب اليه لان لديه هدية ثمينة سيقدمها اليَّ من قِبَل سيده الملك . . . . فهرولت مسرعاً واذا بالسفير ووراء كرسيه وعاء فيه نبيذ من اقبية الملك السابق قد ارسله اليَّ الملك لاشربه . . . وتلك كانت الهدية

***

كان فريدريك قبل وفاة والده قد شرع في تأليف كتاب يدحض فيه مبادئ ما كيافلي . ولا شك انه لو كان لما كيافلي تلميذ من الامراء لكانت اول نصيحة ينصحه اياها أن ينكر مبادئه ويدحضها

على ان هذا الاعتبار لم يتبادر الى ذهن الامير . فانه كتب ما كتب عن صدق نية أيام كان ولياً للعهد اذ كان يطري من كل قلبه الاعتدال والعدل الخ .

وذكر فولتير ان فريدريك ارسل اليه مسودات الكتاب الى بروكسل لتصحيحها وطبعها . . . على انه ندم أخيراً على سعيه اذ رأى الامير بعد ان أصبح ملكاً ينقض المبادئ التي دوَّنها في كتابه . ثم ذكر فولتير ما كتبه فريدريك عن تاريخ بعض فتوحاته ومن جملة ذلك الفقرة الآتية التي عدل عن نشرها بناء على نصح فولتير وهي بالحرف الواحد :

« زد على هذه الاعتبارات وجود جيش على تمام الاهبة للحرب وخزينة ممتلئة مالاً وحدة طبعي — ترَ الاسباب التي حملتني على محاربة ماريا تريزا ملكة بوهيميا المجر... ان الطمع والمصلحة ورغبتي في تحدث الناس عني كانت الدوافع لشهر الحرب»

واستبد فريدريك بالاكليروس استبداده بالرعية فكان يبيح الطلاق مع

مقاومة الاكليروس . ففي ذات يوم ذكر له قسيس ان الطلاق ممنوع واستشهد بالعهد القديم فاجابه فريدريك « قد كان موسى يقود الاسرائيليين كما يشاء وأنا اقود البروسيين كما أشاء »

صورة الحبيب

أعربت فيه ريشة الرسام — عن جلال كالبدر ليل التمام
لم يكن حسنه لتأخذه العين (م) جهاراً في يقظة أو منام
وكذا الشمس ليس تملكها الاعين (م) إلا إن حجّبت بالغمام
فاذا بي أراه نوراً على الطرس (م) وظلاً قد مثّلاه امامي
أيّ هذا الحبيب انك كالنجم (م) قريب ضياؤه وهو سامي
لك حسن تغض من دونه الابصار (م) من هيبة ومن اعظام

***

صورة لست بعدها أبد الدهر (م) بشاك من النوى والغرام
صامتٌ عندها الحبيب وقاراً — غير ما في لحاظه من كلام
من كلام به القلب يدرك معناه (م) وبعض الكلام كالالهام
هي كالطيف بيد اني أراه — زائري في الضياء لا في الظلام
ليت أني اذا شكوت اليها — حر ما بي تبل نار أوامي
عجباً انني أرى الحسن فيها — مفصحاً وهي بعد في اعجام
كلما جال ناظري في محياها (م) يقنت الخلود للأجسام
ايه يا صورة الحبيب أحلم — انت ام انت آية الأيام
ليت حظي من اصطحابك حظي — منه في صحبة له ولزام
آمنٌ فيك من صروف الليالي — أبد الدهر حسنه وهيامي
لك ما عشت من فؤادي أطار — واذا مت فاخلدي في نظامي

اسكندرية — زكريا ابراهيم

استخدام الجند الاسلامي

في الدول المسيحية

بيّنا في مقالة سابقة لنا نشرت في الهلال [١] عن الجيوش الشرقية في الحرب الاوربية ان الدول المتحاربة قد استعانت باهل الشرق وخاصة بالمسلمين في محاربة اعدائها وقلنا في صدر هذه المقالة « ان الحرب الحاضرة قد اظهرت اهمية مساعدة الجنود الشرقيين وعظيم شأنهم في الجيوش الاوربية فرأينا من فعالهم في ميادين القتال ما ادهش اهل اوربا قاطبة حتى ميزوا عن سواهم من سائر الجنود وصارت الفرق التي جندتها الدول الثلاث الكبرى من املاكها في الشرق موضع اعجاب الغرب بل هي زهرة جنوده ، فكما ان فرسان « القوزاق » هم زهرة الجيش الروسي كذلك الجزائريون « التركو » و « الزواف » و « السباهي » في الجيش الفرنسوي و « الهنود » في الجيش الانكليزي . وما ذلك الا لتقاليدهم المجيدة في الحروب وبسالتهم وما اشتهر عنهم من ضروب الشجاعة والفروسية ولا عجب فهم من سلالة الفاتحين وتاريخهم يشهد لهم بالفضل العظيم في الحروب القديمة والحديثة »

ونريد الآن ان نبين في هذه المقالة ان هذه ليست باول مرة اندمج فيها الجند الاسلامي في صفوف المسيحيين وقاتل دفاعاً عن مصالح الدول المسيحية وامتاز بالبسالة والثبات والبلاء في جميع الحروب التي دخلها فلازمه النصر والظفر

بل في التاريخ من الامثلة العديدة العجيبة عن استخدام المسلمين في الدول النصرانية ما تلذ مطالعته ويعجب لما احتوى عليه من الموضوعات الدقيقة الهامة الحديثة البحث والنشر

فقد اندفع المسلمون في احيان كثيرة باسباب الجوار او الطمع في المال وأمل الكسب والغنم والتعطش للنهب او الخوف من فقد المؤونة والعيش فانخرطوا في صفوف المسيحيين والبوذيين اوالبراهمين وقاتلوا تحت اعلامهم ، اوانهم تحت مؤثرات وعوامل سياسية قذفت بهم بلادهم الى هذه المهنة الشاقة فيما وراء البحار

---

(١) جزء ٢ سنة ٢٤ نوفبر سنة ١٩١٥

الا انا سنكتفي الان ببيان استخدامهم في جيوش المسيحيين ودولهم فنتتبع ذلك منذ اقدم الازمنة وفي مختلف العصور والدول مستضيئين بكتابات البحاثة الكولونل فيتز كلارانس في المجلة الاسيوية وغيره من العلماء الذين كتبوا في هذا الموضوع أو طرقوه عرضا . ونبدأ الكلام بذكر امثلة من ذلك في تاريخ العرب قبل الاسلام فنقول :

الجند العربي والدول المتحضرة

قبل الاسلام

ان اخلاق العرب القدماء وعاداتهم وضروب معيشتهم البدوية وحياتهم الاستقلالية الحربية التي اكتسبوها من طبائع اقليمهم هي اخلاق شعب حربي بدوي تعود خشونة المعيشة وامتاز بالشجاعة والمهارة في الحروب لتفرده عن المجتمع وتوحشه في الضواحي وبعده عن المدن وحامياتها ، فكان يعد من اصلح الشعوب التي ترقى بالجندية وترفعها ولاسيما اذا تدرب على الحروب النظامية ، وتسلح بالسلاح الكامل . ولذلك نهضت الامم المتحضرة التي تكتنف جزيرتهم على اتخاذهم في جنديتها ، ونرى من التاريخ انهم التحقوا من اقدم الازمنة بخدمة الممالك القوية التي جاوروها بصفة جنود مرتزقة أو على شكل فرق مستقلة برئاستها ونظامها ، فقد انخرطوا في جيوش الفراعنة واليهود واليونان والرومان والاحباش والفرس وغيرهم من الامم التي نهضت منذ فتوحات الاسكندر الى فتوحات الاسلام فكان لهم في جندية كل هؤلاء شأن عظيم ومقام رفيع

وآخر ما سطره التاريخ من ذلك دخولهم في خدمة الدولتين العظيمتين دولة الفرس في شمالهم الشرقي ودولة الروم في شمالهم الغربي وبقاؤهم على ذلك حتى ظهور الاسلام ، فقد كان المناذرة في الحيرة على حدود العراق عمالاً للفرس في العراق كما كان الغساسنة عمالاً للروم في الشام وكما كانت ربيعة تقيم في الجزيرة ببلاد الفرس ، فكان ملوك المناذرة وملوك الغساسنة واسياد ربيعة داخلين في خدمة هاتين الدولتين كل منهما ينصر الدولة التي يتبعها في حروبها مع الاخرى بجنوده وكتائبه المنظمة من العرب ، فقد ذكروا انه كان للمناذرة كتيبتان منظمتان تسمى احداهما الدوسر والاخرى الشهباء

الجند العربي بعد الاسلام

فلما اتحد العرب بجامعة الدين بعد الاسلام وصاروا يداً واحدة في محاربة اعدائهم نجلت روحهم الحربية المتوقدة بحماسة الدين فحازت جيوشهم من النجاح وسعة الفتوح ما لو نظرنا الى سرعته لظل بلا مثيل حتى اليوم ، ففتحوا الفتوحات العظيمة ودوخوا الامم وداموا على هذه الحمية الحربية يهاجمون ويحاربون دفاعاً عن حدودهم المترامية الاطراف قروناً عديدة فصدوا الترك فيما وراء جيحون ، والروم في مضايق جبال طوروس حتى اوقعوا الرعب في قلوب الامم وكانوا يحاربون الروم كل سنة حرباً يسمونها « صائفة » حفظاً لهذا النشاط الحربي ، وقد مكنهم نجاحهم البحري وعلى الاخص بعد احتلالهم قبرص من امتلاك جزائر هامة في البحر الابيض المتوسط والاغارة على شواطئ اليونان وايطاليا وفرنسا ، بل قد مكنهم ايضاً أن يستوطنوا اوربا فامتدت غاراتهم وسطوة قطاع الطرق منهم الى مسافات بعيدة في الداخل وجاوزت فصيلة منهم جبل سان برنار Mont Saint-Bernard وحرقت سان موريس (Saint-Maurice) في مقاطعة فالي (Valais) بسويسرا ، حتى ان صقلية سقطت بايديهم في اوائل القرن التاسع للميلاد

استخدام الجند الاسلامي في ممالك ايطاليا

فهذه الاخلاق الحربية التي اشتهروا بها عند جميع الامم بهرت العالم والهمت بعض الشعوب المغلوبة على امرها فكرة الاستمداد بهم والاستعانة بيسالتهم وحماستهم الملتهبة في محاربة اعدائها . وقد سنحت فرصة تحقيق هذه الفكرة لاهل نابولي Napolitains في محاربتهم دوقات بنفيان Duc Bénévent فقد استمدوا بهم واستقدموا عدداً عظيماً من الجند الاسلامي في افريقيا كان له اعظم الشأن في تلك الحرب [1] لخططهم التي استحقوا عليها الثناء مع حسن بلائهم في القتال حببتهم الى اعدائهم

(١) بل ان اهل نابولي كانوا عوناً كبيراً للعرب عند فتحهم ايطاليا ومحاولتهم اكتساح اوربا بطريقها فارشدوهم الى شواطئ البحر الادرياتيك والتقى اسطول العرب الكبير بعمارة البندقية فدمرها ونزل بعض العرب عند مصب نهر بو . واتصلوا الى ايستريا وبلغوا ابواب رومية وخربوا كنيستين هناك كانتا خارج السور . واسروا من هذه الجهات الاسرى وساقوهم عبيداً الى بالرم بصقلية والقيروان بافريقيا . ولولا مناعة رومية وضخامة أسوارها وضعف آلات الهدم عند العرب لنالوا ما طالما نشدوه من اكتساح اوربا

وجعلتهم يندمجون بعد بضع سنين في خدمة هؤلاء الدوقات (دوقات بينفان) اعدائهم قبيل ذلك ، والذين كانوا يحاربونهم قبلاً . فسر بهم هؤلاء الدوقات ووزعوهم فرقاً عديدة عسكرت بجوار حصن باري Bari الواقع على الادرياتيك والذي استولوا عليه بعد ذلك بقليل

ومن اعجب الإشياء التي رواها التاريخ ان خصم اسرة الدوقات هذه وعدوها الالد في الجنوب وهو الدوق دي سالرنو duc de Salerne صحت عزيمته على طرد اعدائه ومحاربتهم بنفس هذه الجيوش ، فاستقدم جنوداً من مسلمي اسبانيا ليحاربوا هؤلاء الجنود الذين اتوا من افريقيا . واقامهم في تارنت Tarente . فهؤلاء الجنود المرتزقة الذين استقدمهم دوقات ايطاليا وأمراؤها من البلدان الاسلامية كانوا من رعاع العامة واسافل طبقات الشعب في بلادهم فعاثوا في الارض فساداً وعمت سطوتهم البلاد التي استقدمتهم ليدافعوا عنها فضيقوا على أهلها من الاوربيين وآذوهم في ديارهم حتى ان الدوقات والامراء سادة البلاد لم يجرأوا على وضع حد لشرورهم فيردعوا هؤلاء الجنود الذين هم عمادهم وسندهم الوحيد في مقاتلة بعضهم البعض . وقد كان هؤلاء الجنود متمسكين بعقائدهم الدينية تمسكاً شديداً حتى أنه ما كان يفوتهم سب الاوربيين واهانتهم وتسفيه عاداتهم ومعتقداتهم وتخريب ما تصل اليه يدهم من أشيائهم المقدسة ، ظانين أن ذلك هو الدين وما هو في الحقيقة الا دين العامة من المتعصبين الجاهلين

ولما كانت بايديهم القوة وهي أهم مقاليد الحكم في البلاد أصبحوا شبه مستقلين لا حاكم يحكمهم ولا والي يردعهم . وقد صادف ذلك هجوم العرب على ايطاليا وتفرق أمرائهم على شواطئها يغزون ويحتلون ويفتحون بلا رابطة ولا رادع فاستولوا على عدد عظيم من الاماكن المحصنة على شواطئ بحر الادرياتيك وفي اقليم كالابريا Calabre مثل باري Bari وكومس Cumes واكريبولي Acripoli وراس ماتيرا Cap de Matera وفينوزا Venosa وكانوزا Canosa وغيرها وبلغت غزواتهم وتخريبهم كل البلاد الممتدة من الحصن الهائل الواقع على شواطئ جاريليانو Garigliano حتى أسوار روما بل ان النكبات التي انزلها هؤلاء الشرقيون من العرب والمغاربة باللومبارديين[1]

---

(١) شعب جرماني استوطن ما بين الالب (l'Elbe) والاودر (l'Oder) واغار على ايطاليا في القرن السادس للميلاد واسس هناك مملكة قوية كان آخر ملوكها ديدير (Didier) الذي تغلب عليه شارلمان

Lombards واستسكان الامراء الايطاليين وتفرق كلمتهم كانت من أهم الاسباب في حملة لويس الثاني على ايطاليا ، وبعد ان حاربت هذه الحملة حرباً سجالاً دامت عدة سنين تمكن اخيراً هذا الامير من كبح جماحهم وردعهم عن مفاسدهم كما تمكن بمساعدة الامبراطور اليوناني من ادخال مدينة باري في حكمه وكانت أهم حصونهم بعد حصار طويل في البر والبحر دام مدة خمس سنين

محاربة المسلمين الالمانيه

في جيوش اليونان بايطاليا

وفي القرن التالي للحوادث السالفة الذكر حينما رجحت كفة آل ساكس وقويت شوكتهم ونفوذهم في ايطاليا ادخل الامبراطوران اليونانيان باسيل وقسطنطين في جيوشهما جنوداً شتى من مسلمي افريقيا وصقلية وآسيا فحاربوا تحت اعلامهما امبراطور الالمان اوتون الاول Othon I وخلفه فأثخنوا في جنود اعدائهم وابلوا فيهم البلاء الحسن وعند انتصارهم في موقعة بازنتيلو Bazentillo التي رد بها جنوب ايطاليا الى حكم امبراطرة القسطنطينية لبضع سنوات ، سقطت بسالة الالمان امام جهد العرب ومهارة فرسانهم وجلدهم على القتال حتى قال المؤرخ موراتوري Muratori : « ان الشرقيين انتصروا في هذه الموقعة انتصاراً باهراً وفازوا فوزاً مبيناً فكانوا سادة ساحة القتال المتحكمين فيها طول المعركة » . ويقال مثل ذلك في النورمانديين [١] الذين تغلبوا على بقايا قوات الفرنسويين والالمانيين واليونانيين والعرب في ايطاليا فان

---

(١) النورمانديون قوم اشداء هبطوا من سكنديناڤيا في القرن التاسع واكتسحوا فرنسا وتوالوا عليها زمناً وعلى غيرها وفي القرن الحادي عشر اطمعهم خصب ايطاليا وضعف حكومتها وتضعضع حكامها فانتظموا في سلك حكومتها بالاجرة كما انتظم العرب في سلكها في ذلك العهد وما قبله وكما انتظم الاتراك في جند العباسيين على عهد المعتصم . فما لبثوا ان ترقوا حتى استولوا على مناصب الحكومة ونحوها بعد العرب كما فعل الاتراك في بغداد . وكان الروم كثيراً ما يستنصرونهم على العرب ولم ينقض النصف الاول من القرن الحادي عشر حتى صارت سيادة ايطاليا في ايديهم فطمعوا بالسلطة ورأوا تضعضع العرب في صقلية ففتحوها كما فتحها العرب وحلوا محلهم فيها الا انهم لم يغيروا شيئاً من صبغة التمدين العربي الاسلامي الذي كان غالباً على صقلية

هؤلاء الآخرين لعبوا دوراً هاماً في جيش روبرت جويسكار [1] وساعدوه على فتح أقاليم كالابريا سنة ١٠٦٠ م الذي كان على حافة السقوط تحت حكم مواطنيهم

هذا وقد يظن انه في اثناء المائة والخمسين السنة التي تلت هذا العصر لم يعمل العرب في تاريخ ايطاليا اعمالا تستحق الذكر وتلفت النظر ، الا انه من الخطأ الحكم بذلك فاننا رأيناهم قبل فتحهم ايطاليا وبعد خروجها من ايديهم قد انتظموا في سلك جندية حكوماتها المسيحية واستولوا على اهم مناصبها . والبحث عن سلوكهم وخطتهم فيها اثناء ذلك الوقت يستدعي من التطويل والاسهاب ما ليس هذا مقامه . الا اننا نكتفي بذكر اجمال حالتهم اثناء الاربع عشرة سنة التي عاصرت حكمهم لها

فقد ظلت ايطاليا ١٤ سنة يتمتع باخصب ارضها شرذمة من العرب لا يزيدون على بضعة الوف او مئات وكانوا يتعرضون لمراكب الافرنج ينهبونها ، وكان دوقا سبوليتو وتوسكانا ناقمين على البابا فتواطأ العرب على سلب البابا املاكه . وكذلك فعلت جمهوريات جايته ونابولي وامالفي وسالرنو فاتحدت مع امير صقلية العربي وحاربوا البابا تحت لواء واحد . وظل احد البابوات سنتين يؤدي الجزية للعرب عن كرسيه وقد تخلى عنه اعوانه ، ثم تخلصت ايطاليا من العرب لكن نفوذهم بقي فيها بضع عشرات السنين بعدهم

استخدام الجند الاسلامي

في جيوش المسيحيين باسبانيا

لما فتح العرب افريقيا واسبانيا لقبوا فيها بالمور (Les Maures) أي المغاربة لفتحهم موريتانيا القديمة وعرفوا بذلك اللقب عند الاسبانيين وغيرهم في اوروبا ، مع ان العرب لم يدخلوا وحدهم للفتح في اسبانيا بل استعانوا بالبربر وهم مثلهم أقوياء أشداء ذو بأس شديد في الحرب والقتال فاستحقوا ان يشاركوا العرب الفاتحين في لقبهم الجديد . ظل البربر في الجيوش العربية باسبانيا ووطنهم افريقيا ، واعتمد عليهم ملوك غرناطة وقرطبة وطليطلة في حروبهم مع الفيسقوط الذين نزلوا من جبالهم في استوريا وشمال اسبانيا لاسترداد بلادهم من العرب فكانت الحرب متواصلة على الحدود

(١) روبرت جويسكار كونت كالابريا احد غزاة النورمانديين . وهو الذي اسس مملكة نابولي . ولد سنة ١٠١٣ وتوفي سنة ١٠٨٥ ميلادية

بين الطرفين ولذلك كانت في تغيير دائم فجعلوا على طولها جنوداً منهم ومن العرب كانوا مظهراً للنقمة والفزع على أعدائهم

استكثر العرب منهم في اسبانيا فادخلوهم بكثرة في جيوشهم كما أدخلوا فيها عدداً عظيماً من القوط ورعاياهم المسيحيين في اسبانيا كما فعلوا بالاقباط في مصر والاحباش والعبيد في افريقيا وغيرهم . ولا عجب فان الاستعانة بغير المسلمين في الجيوش الاسلامية كانت في تلك العصور شائعة الا ان الاستعانة بالجنود المسلمين في جيوش المسيحيين باسبانيا كانت أكثر منها شيوعاً كما سترى . فان ملوك أسبانيا أكثروا فيما بعد من استخدام المغاربة الذين حرف الافرنج من رعيتهم في أسبانيا والبرتغال اسمهم فدعوهم « بالموجار Almogares » « والجارف Algarve » وهما محرفتان عن « المغربي Almogavares »و« المغرب Almogreb » فلم تكن تخلو جيوش هؤلاء الملوك من فرق عديدة من المغاربة

بل ان « السيد [1] » نفسه البطل الاسباني الشهير قد استخدمهم في حروبه مع الملك الفونس السادس صاحب استورية وليون وقشتالة بشمال الاندلس فانه جمع جيشاً عظيماً من المغاربة والمسيحيين ودخل به أراضي ذلك الملك يقتل ويخرّب كل ما يعثر عليه ، وقد استخدم جيشه هذا حينما اتفق مع امير سرقسطة وامير البراسين وهما من أمراء المسلمين وقاتل معهما امير الارجون المسيحي وأخاه في الدين ، فكان لجنوده المسلمين أعظم الفضل في انتصاراته

ظل المغاربة (Maures) على ممر الايام يعدون من افضل الجند وأشجعه واشتهروا بذلك شهرة فائقة ليس في اسبانيا وحدها بل في صقلية وايطاليا وآسيا الصغرى وبلاد اليونان حيث ذاعت شهرتهم وسطوتهم هناك حتى اواخر القرن الثالث عشر واوائل الرابع عشر للميلاد فكانوا يسمون « الموجافار Almogavares » ومفردها Almogavar وهي مأخوذة عن كلمة « المغاور » العربية . فهم لقبوا بالصفة الغالبة على حياتهم وشكل المعيشة التي اختصوا بها « وهي الاغارة »

فهؤلاء هم أول من دخل من المسلمين في خدمة ملوك اسبانيا واشرافها كجنود

(١) يسميه اهل اسبانيا « أسيد كمبردور » اسمه محرف عن كلمة « السيد » العربية وكبردور البراز أي السيد البراز أو المبارز . وترى عنه كلاماً مفصلاً في صفحة ٣٠ من هلال هذه السنة في مقالتنا عن تأثير الحروب في الآداب

مرتزقة في الجيوش المسيحية في القرن الحادي عشر وما بعده . وقد تزايدوا وارتة
بسرعة في جيوش هؤلاء الامراء (المسيحيين) الذين يحتمل انهم اتبعوا في استخدا
الحكمة القائلة : اضرب عدوك بكل ما تصل اليه يدك ، الا انه من المرجح انه
قبلوهم في جيوشهم بسرور وفرح زائد اذ لم يكن لهم من الاتباع والحاشية ما يركنو
الى اخلاصه فان الاشراف التابعين لهم كان جل اخلاصهم الظاهري مقاو
القوات الاسلامية العاملة في الجيش والتي كان منها على الدوام الحرس الملك
« الشرطة » وكان يؤلف من عشرات الالوف من الرجال

بقي المغاربة في جيوش الاسبانيين حتى القرن الرابع عشر فعرفوا البلاد جيد
بفضل سياحاتهم وتوغلهم في حملاتهم على الحدود فكان منهم الادلاء والفرسان والمش
ولذلك كانوا في الجيش الاسبانيولي على جانب عظيم من الاهمية لما كانوا يقومون
من اخطر الاعمال التي عليها أكبر مسؤولية فقد كان عليهم ان يبحثوا عن مواط
المؤونة والمواد اللازمة للجيش وان يقوموا بحراسته وان يتلمسوا مواضع الضعف
في جيش اعدائهم ويرشدوا المهاجمين اليها من اخوانهم الى غير ذلك . وقد كانت لم
قوانين خاصة صارمة يخضعون لها وامتحانات شديدة يمرون بها امام رؤسائهم من
« الادلاء » و « المقدمين » . وبالاجمال كانت لهم نظماً خاصة في الجيش الاسبانيو
اقتبسها عنهم الاسبان كما اقتبسوا عنهم كثيراً من الطرق الجليلة في الفنون الحربية

نزح هؤلاء الجنود في اواخر القرن الثالث عشر واوائل القرن الرابع عش
من اسبانيا الى صقلية ليقاتلوا في صفوف الاراجونيين في حروبهم مع الفرنسي
فامتازوا في هذه المواقع بالثبات الباهر الذي لم يسع الفرنسيين معه الا الاعجاب بم
لما أوتوه من الفروسية وضروب البسالة . ومن ذلك ان الفرنسيين اسروا احد هؤلا
المغاربة فارسلوه الى اميرهم كاعجوبة فاقترح عليهم ان يبارزه أشجع فرسانهم ويتسلح
ما شاء بالسلاح الكامل على ان يردوا اليه سلاحه فقط فيقاتله وهو راجل والآخر
على ظهر جواده واذا ظفر بخصمه اخلوا سبيله . فقبلوا هذا الشرط وتقدم الي
فارس من شجعانهم ليبارزه الا انه ما عتم حتى صرعه المغربي . فلم يكن في وسعهم ا
اخلاء سبيله فعاد الى مسينا ولما علم ملك الاراجونيين بذلك ارسل الى الفرنسيين
عشرة من اسراهم مقرراً هذا المبدأ لاميرهم وهو : ان كل مغربي يحلون فكاكه يبادلم
عنه بعشرة من اسراهم ! !

ولما انتهت هـذه الحرب انتقل هؤلاء المغاربة الى خدمة الامبراطور اليوناني أندرونيك Andronic مع فرقة الجند الكتلانية Catalans الذائعة الصيت والمرتزقة الاراجونيين ، ولا يسعنا الآن لضيق المقام تفصيل خدماتهم وذكر الجيوش المسيحية العديدة التي بها التحق هؤلاء الجنود لكثرة ذلك وتعدده في التاريخ فقد التحقوا بجيوش عديدة من ملوك ايطاليا كآل سواب Maison de Souabe وغيرهم وانضموا الى فصائل جنود سان جورج في اسيا الصغرى وباسطول روجر دي فلور Rogers de Flor الذي اقلع بهم الى القسطنطينية فتلقاهم امبراطورها بالفرح الزائد كما ذكر مونسادا وكانوا نقمة على الجنويين ومن معهم من فرسان التتر

هذا فضلاً عن اندماجهم في حكومة الامبراطور فريدريك صديق العرب الذي أدخلهم في جيوشه وقاموا له باجل الخدم ، وكثر ذلك في تلك العصور وما تلاها مما يضيق المقام عن ذكره في هذا المقال عبد الفتاح عباده

لطيفتان

يؤثر عن حداثة الملكة ولهلمينا (ملكة هولندا) أنها كانت يوماً تراقب مربيتها وهي تهيئ لها الفطور فبادرتها بالسؤال قائلة :

— هل نظاراتك تكبر الاشياء ؟

— قليلاً يا ابنتي

— اذن ألا يمكنك خلعها عند ما تعطيني فطوري ؟

***

في يوم شديد الحر ذهب المستر اندرو كرنجي الى احد مديري اعماله فقال له :

— اني مسافر الى اوربا يا صاح اذ لا استطيع احتمال هذا الحر وانه يسوءني ان اتركك هنا ولكنك لا تستطيع ان تتصور ما اشعر به من الراحة حين ابتعد عن الشاطئ .

فاجابه المدير وكان صديقه منذ زمن طويل :

— لا ولا انت تستطيع ان تتصور ما اشعر به انا ايضاً من الراحة حينئذ

آفة الادمان

في الفتيان

اخي اميل

تستصلح ان تنشر في الهلال ما سأذكره

عظة ارجو ان تكون نافعة وان آلمت

خطرتُ منذ ايام خطرة لا لترويح الفؤاد بل لزيارة طبيب والوقت أصيل . فاني لفي الترام وقد وقف في احدى محطاته اذ علا المركبة غلام ناعم الاظفار قعد منها مقعداً متطرفاً . نظرت فاذا الغلام لا يستتبّ به المقام ولا يستقرّ رأسه بين كتفيه فادركت انه ثمل ثم تثبتُّ انه سكران حتى لا يعي فخشيت ان يموت في مكانه . لم تكن الا هنيهة حتى تحرك بغتة بنشاط — والشباب حياة مجددة في كل ساعة — وكأنني به قد ازمع الوثوب منحدراً والقطار موجف في سيره فمددت يدي اليه فعقته وما زلت ارقبه، كلما هم بالهبوط انقطع قلبي اشفاقاً عليه، حتى يسر الله ان وقف بنا القطار في محطة . فترجل الفتى ومضى يسبّني غفر له الله وشفاه

على انها لم تكن سكرة عارضة فيما تبينت من حاله بل احدى سكرات الادمان . الادمان في هذه السن . من الذي يتصور مرمى هذه الكلمات ولا يأخذ منه الجزع مأخذه ؟

تلك ويا للأسف حادثة لم تجئ فذّة فقد اذيع منذ اشهر فيما اذكر بين عبر الحياة اليومية التي تسميها الصحف بالحوادث المحلية ان غلاماً يناهز الثامنة عشرة وجد ميتاً موت فجأة في مشرب قهوة باحد البنادر فرابت وفاته فبحث الاطباء في جوفه واذا بين يديهم كبد محترقة ورئتان ذائبتان ومعدة وامعاء مدخنة تدخيناً وكل اولئك بفعل الخمر

***

هتان واقعتان عرفناهما وكم من واقعة تفوتنا لحصول الاصابات والوفيات منسوبة الى الامراض مع ان اكبر سبب فيها هو الادمان . فمن هو اذن في مجتمعنا ذلك الذي يستدرج امثال الغلامين الذين ذكرناهما الى المعاقرة واين مربي اولئك النشء وما شأنه معهم ؟

اكاد لا اشك في ان قرين السوء — وما اكثره في هذا الجيل بين الفتية الذين اهمل تأديبهم صغاراً — هو الذي يزيّن لليافعين من اضراب الولدين الآنف خبرهما تعاطي الخمر . وقد اجرأ ان أقول ان خادم البيت ربما كان المغريَ الاول بتلك الموبقة . فاذا الفها الطفل على طول المدى لم يعزز عليه جلب النقود حتى من غير مجلب لقضاء لباناته . فان تعذر المال الوافي بتعاطي خمرة نظيفة لم تتعذر الدريهمات التي تيسر له في ادنى الحانات تجرع تلك الصنوف التي تستخرج من الخشب والقاذورات في مصانع معلومة بعصر تهيئ تحت اسماء الانبذة والاشربة الأُخر سموماً توقد الجمر في احشاء متناوليها وتفضي بهم الى الهلاك

فأما مربي الولد فان كان ذا سعة فهو في الغالب حاضر كالغائب شأنه مع ابنه شأن مدير الفندق مع نزيله لا يعنيه ان يراه أو يتعهده ولكنه يعلم انه نزيله وان له عليه إعداد المآكل والمرقد . وما يفتأ والد الطفل منصرفاً الى ملاهيه لا يهمه من أمره الا علمه انه سالم الجسم ولا يعتقد له عليه حقاً سوى ان يورثه مالاً يعيش به مكفول المستقبل . امّا اذا كان والد الطفل فقيراً فهو انما يلقي به في منطلق الحياة كما يلقي السبع بجروه الذي كملت انيابه والطائر بفرخه الذي نما ريشه وعلى الله بعد ذلك تدبيره واليه مصيره

هذه كلمات موجزة حاولت ان اجمع فيها طائفة من الحقائق التي تقع برأى ومسمع منّا عسى ان يكون في نشرها عظة لقوم يتعظون أو لعل في الجهر بها ايقاظاً لنيام يستيقظون

خليل مطران

مقدمة

مذكرات شبلي شميل

(الهلال) تنشر اليوم المقدمة التي اعدها المرحوم شبلي شميل لمذكراته قياماً بوعدنا ان تتحف القراء بمقتطفات من آثار الفقيد غير المنشورة . ولا ريب في ان هذه المقدمة هي من احسن ما كتبه الشميل

عنيت في صيف عام ١٩١٢ بتقييد بعض حوادث مما مرّ عليّ ، وتعليق بعض خواطر مما يعنُّ لي ، عساي أجد فيها ما أشغل به اوقات الفراغ وافرّج كرب العزلة حتى اذا كاد الصيف ينقضي نشبت الحرب البلقانية ، فوقفتُ في تلك حيث وقفت وعلَّقت على هذه ما علَّقت . ثم ضممت الى ذلك بعض ما تيسر لي العثور عليه من مطويّ لم ينشر ، ومنشور مبعثر . وجمعت الكل في هذا الكتاب فجاء « من كل واد عصا » او من كل نبتة زهرة — على ذوق القارئ — وسميته حوادث وخواطر

حوادث هي بعض مذكراتي في حياتي القليلة الاختلاط الكثيرة الاعتزال . ان لم تتسع للرواية فقد تستوقف بدقة التحليل ، وان اقفرت من القديم والمأنوس فقد يكون فيها شيء من الجديد الطلي ، وان كثر فيها الجدّ فقد لا تخلو من الفكاهة ، وان اكثرت فيها المعلقات الخصوصية فلم اهمل من خلالها المرامي العمومية . حوادث لم انقلها عن يومية مدوّن فيها كل ما كان يعرض لي كما يفعل البعض ولا سيما الافرنج في مذكراتهم ، ولكنني اعتمدت فيها على ذاكرة قلما تخونني في الوقائع ، وان كانت تعثر كثيراً في التاريخ

وخواطر هي بعض افكاري اطلقها تجول في ما حولي ، وتمرُّ بي حتى اعماق نفسي ، وتنطق عن نظري الخاص ولو خالفت احكامي احكام سواي . وان لم ادّع لها العصمة فاني اربأ بها أن تميل مع الهوى ولو لقيت ما لقيت من عواصف العواطف الغالبة حتى الساعة على افعال سائر الناس ، والمتمكنة فينا اكثر من سوانا على نوع خاص

حوادث وخواطر سردتها سرداً ، كما جاءت عفواً غير متبع فيها نهجاً مخصوصاً

ولم اتعمّل فيها غالباً لئلا يجمح بي جواد المبنى فيخرجني عن جادّة المعنى . فهجرت الوحشيّ الفحليَّ ، ولم اقع في الحضريّ المترهّل ، وتقربت كثيراً من العامة عسى أن تكون البلاغة في ما كان ادنى الى تبليغ المراد

قلت الحضريّ المترهل لاني أرى اليوم ميلا كبيراً للتباري في نهج من الانشاء ان أجاد فيه البعض فقد قلَّ فيه المفلحون . وان حلا في بعض المواقف فن المصاب ما يغشي . يرقق فيه اللفظ حتى لا يكاد يغشى السمع . يطوف على الازهار ويناجي نفوس الكواكب ، ويستمطر دموع الملائكة ، ويثير اشجانَ القلوب . ولكن يحار الجنان في فهمه اذا تقصاه الى لبه . فلا هو نشيد الاناشيد ، ولا هو مراثي ارميا ، ولا هو مصابرة ايوب ، حتى ولا تسبيح داود على قيثارته . وهو خليط منها يتلألأ ولكن كالبرق الخلّب ولا يبقى من جيده في الذهن الا اثر النسيم على صفحات الماء ، ومن رديئه الا اثر الكابوس في الحالم . وشأنه في الحالين شأن الماس الكاذب ، فلا هو حلية للتنافس ، ولا هو الفحم النافع باعتبار ان الماس الحقيقي فحم متبلور . كأننا لم نهجر التقعر الجاف الا لنقع في الرقيق المائع . وبينهما ضحايا الفكر مقتولة على مذبح هيكل العواطف الثائرة او الذابلة . ولكم عرض لي وانا اسمع هذا الشعر الجديد المنثور ، ان تذبل عيناي ، وتتدلّى يداي ، ويتهادى ذراعاي ، كأنهما جناحان هبّا بي للتصفيق ولكنهما هبّا متكسرين فصرت بهما كالطير الواقع . وما الناس بحاجة الى هذا التنويم المخدّر بعد ذلك المثار الجاهلي المدمر

حوادث وخواطر لم أدارِ فيها ولم أحابِ وان اغضب ذلك النفوس التي لم تألف الا الهدهدة . واذا كنت اكثر فيها من الانتقاد أطلقه على ما حولي واتناول به حتى نفسي فلأن الانتقاد يبعث على التفكير . عسى أن يغلب علينا ما لا نحب مما يحمد « فنحس بفكرنا » لا لاننا نفكر دائماً بشعورنا وقلما تنجح اعمال العقل اذا غلبته العواطف

ولا اخشى حملات العقلاء فاحترام كل فكر ضروري لحياة الفكر . والاصغاء الى كل نظر واجب . وادفع حملات سواهم مستنصراً عليهم أبناءهم من اصلابهم . فهم الذين يثأرون منهم . يثأرون للأفراد المجني عليهم والمجتمع الذي يسيئون اليه . وسرعان ما يكون هذا الانتشار اليوم

***

قلت اني تقربت كثيراً الى العامة ولا أريد بذلك اني تنزّلت اليهم ، بل أريد اني تحدّيت الاسلوب الذي ينفتح للجميع على حدٍّ سوا ، بدون أن يضطر فيه الى تعمل يوجبه التأنق في الانشاء كثيراً ما يذهب بجهد الكاتب ، وقد يُستمهل فهم القارئ حيث يجب ان يستحث ، ونحن ان لم نكن في عصر الوقت فيه ثمين لنا فهو ثمين لسوانا ، عسانا ان لا نبقى مقيدين في الاغلال على مدى الاجيال . واستعملت كثيراً من الفاظهم التي تعبر جيداً عن المراد والتي ان وجد بعد العناء في معجم اللغة ما يقوم مقامها ، فقد يعزّ حتى على الاديب مغزاه حتى يتقصّاه في مكانه ، والمقصود من الكتابة ليس الاغلاق . كما اني أثبتُّ كثيراً من كلامهم الجاري مجرى المثل ، لان الامثال حكمة الشعوب التي تعبر عن أحوالهم ومجرى افكارهم في كل أطوارهم ، ونهجت نهج الامم الراقية من متقدمين ومتأخرين ، ونهج العرب أنفسهم في ابّان حضارتهم في مستحدثات الصناعة ومستنبطات العلم فلم أتحول عن مسمّياتها في لغاتها ، الا حيث أمنت اللبس ولم أخشَ التشويش ، ولا سيما في هذا العصر الكهربائي الذي يتدفق فيه المستجد كل يوم تدفق السيل ، حتى صار التحول عنه الى أوضاع الاجتهاد خروجاً عن المأنوس المدرك الى الوحشي المغلق . متبعاً في كل ذلك سنة التحول التي تتناول كل شيء في الطبيعة والانسان في العمران ، والتي لا يقوى عليها حتى ولا الجامدون المتمكنون من جمودهم مهما جمدوا

***

العمران اليوم لم يعد يخشى عليه من التقهقر ولا من الوقوف ، حتى يبقى الابناء كالآباء ، أو يحطوا عنهم كما كان يحصل كثيراً في الماضي . فلم يبق كثير التخاذل — وكل سنّ بسنّ — حتى يكثر التذبذب في ارتقائه ، ولا ضعيف الوسائل في الذود عن مدنيته حتى تمتد اليه يد الهمجية وتعبث به ، ولا كثير التشرد في علمه حتى يضلل كثيراً في دنياه . ولا يبعد الزمن الذي يصبح التمدن فيه شديد التضامن يطلق يده في سائر المعمورة اطلاق الشريك ، ويقوم هو نفسه بالتنفيذ قيام القدير

كان استقلال الاوطان في القديم عظيماً لشدة انفصالها بعضها عن بعض ، والتخاذل كثيراً جداً لشدة تباين مصالحها في اعتبارها . وكانت الحروب الطاحنة مستمرّة . والبشر يكادون يكونون متساوين في وسائل الدفاع والهجوم — متمدنين كانوا أم متوحشين — فلم يكن من الصعب على أية أمة بربرية ذات نجدة في الحروب

ان تتغلب على أعظم أمة متمدنة ازالت منها رفاهية المدنية كثيراً من مزايا هذه النجدة ، فاما تبيدها أو تنزلها الى الحضيض وتعيدها معها الى التوحش . فكانت الحروب اندفاعاً وشجاعة وصبراً على المشقات ، أكثر منها رأياً وتدبيراً واستعصاماً بالمعدات ، والنصر فيها متوقفاً على هذه النجدة أكثر منها على العلم . وأما اليوم فقد صارت المدنية لا تغلب ، وصار النصر في الحروب من ثمار العلم وحده

فالعلم اليوم لم يبق كله أو جله كما كان في الماضي علم كلام ونظر ، تتباين فيه الافكار ، وتختلف المشارب وتبقى الاوطان متباعدة فيما بينها . بل صار علم تجربة وعمل قلب كل ذلك الى الضد . فتوطدت المدنية بالاكتشافات العجيبة ، والاختراعات البديعة ، وانهارت على الاقطار ، وشرعت تسطو على الافكار ، لسهولة اختلاط الامم بتقريب المسافات . وسيكون لهذا العامل في الفتح شأن أعظم من السيف الذي صار اليوم خادماً للعلم ، نصيراً للمدنية ، لازماً أحياناً لسرعة انتشارها ، بعد ان كان يستعصي عليها ويعبث بها غالباً

فبعد ان كانت المدنية في الماضي كشعلة النار تطفئها الرياح والاعاصير وتترك في مكانها الرماد الهامد ، صارت اليوم كبقعة الزيت في الثوب تمد فيه وتنتشر مع بقائها ثابتة في مكانها . ولا ريب ان المركز الذي ستنتشر منه أشعة هذا التمدن الزاهر في الاقطار القريبة والبعيدة ، كما تنتشر اشعة الشمس فوق الارض ، هو اليوم ممالك اميركا المتحدة في العالم الجديد ، واوربا في العالم القديم ، لانهما مصدر هذا العلم الراقي ومسرحه اليوم ، ولان أممهما به أرقى الامم ، وستبقيان كذلك . الا اذا صح تخرص العلماء — والعلماء لهم تخرصات — وطغى الجليد في آلاف السنين ، وغطى اوربا كما هو في القطب ، فتزحف أممها زحفاً الى اقطار تؤهل ، لا انها تنقرض انقراضاً كما كان يحصل لو كان العمران على حالاته الاولى القديمة . ولا يكون الخلف حينئذ اضعف من السلف حيثما كان

ولكن اوربا نفسها حتى اليوم ليست واحدة في منازعها ، ولا متفقة في مراميها ، ولا تزال متخاذلة حتى الساعة في المصالح العامة . لان العلم الحديث لم ينشأ فيها حقيقة الا منذ قرن ، ولم ترسخ قدمه الا منذ نصف قرن ، ولم ينتشر بعد بين الجماهير انتشار العلوم القديمة ، ولم يتناول نظاماتها ليزيل أثر القديم منها — ومع ذلك فاوربا فعلت اليوم في هذا السبيل كثيراً في هذا الزمن القصير ، ولو انها لم تستطع حتى

الساعة التوفيق التام فيما بينها ومنع الحروب البربرية مع سواها ، لنشر دعوة المدنية تامة عامة بسبب هذا التخاذل

ولكن اوربا اليوم على شفير نهضة لا تطول كثيراً حتى يصبح هذا التخاذل الباقي فيها أتفاقاً وتضامناً يتكفلان بنشر هذه الدعوة في زمن قريب بالنسبة الى الاجيال الماضية ، ويحولان اوربا نفسها ممالك متحدة . ولا شك ان هذا القول سيبدو غريباً جداً للذين لا يزالون حتى اليوم عائشين باوهم وأفكارهم في الماضي (البعيد) فيقيسون كل شيء عليه ، والذين لا يعنون كثيراً بتاريخ المقابلة فلا يرون الفرق العظيم بين سرعة سير العمران اليوم وتباطؤه في الماضي ، والذين يذهلون عن تأثير العلوم الحديثة في الطبائع والاخلاق ، فلا يقدرون ارتقاء العمران اليوم في القوة المادية ورجاحة العقل حق قدره ، والذين تستوقفهم الجزئيات فلا يشملون بنظرهم الكليات ، فلا يرون الا عثرات الانتقال من طور الى طور واكثرها من متخلفات الماضي ، ويغضون الطرف عن المحاسن الاخرى الكلية — ولكنه قول لا ريب فيه للذين ينظرون الى كل ذلك ويحسبون حساباً لسرعة ارتقاء العمران المتسارعة على نسبة النواميس الطبيعية نفسها كجاذبية الثقل فيعلمون ان السنة اليوم صارت كمئات السنين في الماضي بل آلافها

فمتى انتشر التعليم الحديث ، وصار الاهم في المدارس ، لا كما هو حتى اليوم ، أقرب الى الكماليات منه الى الحاجيات الضروريات ، ورسخت الكليات المستخرجة منه في الطبائع ، وانتقلت في الاخلاق الى تطبيق نظامات الاجتماع عليها ضرورة ، اصبح هذا الذي يبدو لنا اليوم مستحيلاً في غاية الامكان بل صار في حكم الواجب الضروري ، لان الاخلاق والطبائع ونظامات الاجتماع ليست الا نتيجة التربية العقلية نفسها وهذه خاضعة لنوع العلم — وما تمخض الامم الراقية اليوم لمقاومة نزعات دولها وحكوماتها الغالب فيها حتى الساعة نظام التربية القديمة الا دليل على قرب هذا اليوم ، وقرب تبديل هذا العتيق الرث بما يقتضيه نظام الاجتماع الجديد الراقي من التضامن الكلي حتى يتأيد العمران التام ، وتصبح الاوطان المختلفة ممالك متحدة فيه مبتدئة بالارقى . ومتى تم ذلك لاوربا سهل عليها حينئذ ان تجعل ارادتها حكماً لا يعارض ، وتضامنها قوة نافذة من دون ان تضطر الى حروب كالحروب التي نشاهدها حتى اليوم ، ولو قلّ قلة . واتسعت حلقة المدنية حتى يصبح انتشارها في

العالم سلمياً بحتاً ، واذا دعت الحال الى حرب فلا يطول أمرها ، للاقتدار العظيم حينئذ على قمع ثورات الهمجية مهما كانت حتى لا يبقى للهمجية مكان

حينئذ تصير المراكز الراقية تعتبر الامم المتقهقرة والحكومات المخربة أوبئة اجتماعية حقيقية بالنظر الى خيرات الارض الضائعة والى قوى البشر الذاهبة سدًى ، وتقوم في وجهها كما هي تقوم اليوم في وجه الاوبئة المرضيَّة لصدّها حتى في اقصى المعمورة . وما كان العمران يفعل ذلك في الامراض في الماضي ، حتى ان ابقراط رفض متشامخاً اغاثة ملك الفرس لدفع الطاعون عن بلاده كما في أخبار الاولين ، ولو انها أخبار في حكم الاساطير ، وما الاساطير نفسها الا عنوان مستوى العقول ، وكيفية نظرها في الامور وفهمها لها . وأما اليوم وان كانت الحروب لا تزال بشناعة حروب الاولين وأقسى بالنظر الى عددها ، فان الاعداء صاروا يعطفون بعضهم على بعض ويحسنون الى الجرحى والاسرى وصار الناس يؤلفون الوفود للمساعدات المالية والاغاثات الطبية وكان الامر على الضد في الماضي

وحينئذٍ يبطل التغني كما نفعل اليوم بابطال الهم كما اسميهم أي ابطال الهمجية الذين يبنون صروح مجدهم برؤوس القتلى على ظهور الحمقى في ارض اقفرت الا من الجهل . ويصير الابطال الحقيقيون اولئك الذين يخدمون الاجتماع باكتشافاتهم واختراعاتهم وارشادهم كالمسري ونيوتون ودروين وجنر وبستور وغيرهم من ابطال الفكر والعلم والاحسان . ولا يبقى من ابطال الحروب الذين يستحقون هذا الاسم الا اولئك الذين لم يخوضوا غمارها الا مضطرين لدك حصون الهمجية نصراً لدعوة التمدن العام لا أولئك الذين يقومون بجهلهم ويحاولون أن يدوسوا بسنابك خيلهم معالم المدنية ليقفوا سداً في وجه العمران

والذي يحقق هذا القول هو ان العمران لم يشهد في كل القرون الماضية ، مهما غالى المغالون بتمدن الاقدمين ، حركة مثل هذه الحركة التي تدفعه اليوم الى هذه الغاية الكبرى . بل لم يكن من الممكن لاحد ان يستخرج من مبادئ التمدن القديم ما يحمله على هذا الامل بناء على تأثير العلم فيه يومئذٍ . لان العلم في الماضي لم يكن يتسع فيه مثل هذا القول للباحثين . ولذلك ظلَّ العالم رغماً من اديانه وتعاليم كبار فلاسفته ميداناً للحروب البربرية المخربة ، لاخضاع الامم اخضاع اذلال واضاعة حقوق الجماهير في مصلحة الافراد . بل كثيراً ما كانت المنازع الدينية من

اكبر اسباب هذه الحروب — وما ذلك الا لقيام دعوة المصلحين على مبادئ منتشرة ان صدقت مرة اخطأت مراراً وان صحت في القول لم تصدق في العمل ، لاختلاف تأثيرها في التربية الاجتماعية العامة ، وللاستناد فيها على علم اكثره موضوع غير مطبوع . فضلاً عن استئثار الخاصة دون العامة بهذه المبادئ واستئثارهم وحدهم بالعصر ، وصرفها الى مصلحتهم ضدّ مصلحة الجمهور ، الذي لم يكن من السهل عليه الالمام بها ، ولا الوقوف عند حدّ يسهل الاتفاق عليه — حتى ان الثورة الفرنسوية التي قامت على شيء من تفهم حقوق الامم ، بناء على شيء من العلم الصحيح ضعيف ، وبناء على الظلم خاصة الذي جعل الناس يميلون بعامل الانفجار من شدة الضغط الى استماع كلمة المصلحين ، لم يطل امرها حتى عادت الى التخبط والوقوع في الفوضى ، لانها لم تجد في مبادئ التعاليم التي كانت تجاذبها ما يثبتها في خطتها الاصلاحية — واما اليوم فلاخوف على المجتمعات المنتشرة فيها مبادئ التعاليم الحديثة ان تتخاذل ، لوحدة مبدإ هذه التعاليم الطبيعي ، حتى لو قسرت اليوم امم اوربا بجهل حكوماتها على حرب بينها لما كان ذلك الا لخير العمران ، ولدارت الدائرة على العروش المتقلقلة ، والتيجان الصادئة ، وقامت الامم مسرعة تتصافح من فوق الحدود

وكل هذا البيان الطويل يبين بالبرهان القاطع ، هذه الحقيقة الصغيرة بنفسها ، الكبيرة جدًّا بنتائجها في العمران ، وهي ان الاولاد اليوم سيكونون دائماً خيراً من الآباء والاجداد ، وما كانوا كذلك في الماضي ، بل كثيراً ما كانوا يتخذلونهم ، سنة النشوء في الطبيعة العمياء ، ولو أدت الى الارتقاء اخيراً ، ولكن بعد الوقوف الكثير والتقهقر غالباً . وهي كانت سنة العمران ايضاً في الماضي — واما اليوم فاتقاء هذا التذبذب والتقهقر في سير الاجتماع صار غير متعذر علينا ، لما بلغناه من العلم الصحيح الذي سنسرع فيه ويسرع بنا ، حتى يصير ارتقاء العمران العام مطرداً لا تقهقراً او وقوفاً يعتدّ به في نواميس الاجتماع . وحتى يكتسح العمران الراقي العالم اجمع

ولا يكون هذا الاكتساح اذلالاً للامم المكتسحة ، وافناء واستعباداً لها كما كان في الماضي ، وكما قد يتهمه البعض اليوم ، اعناتاً أو ادلالاً أو توهماً ، بل يكون نشراً للمدنية الصحيحة وادماجاً يستغرق الناس بعضهم في بعض لتعمير الارض بهم كما تدل الدلائل الكثيرة اليوم — فاهلاً بدولة العلم الحديث وسلام على ابطاله الفاتحين

شبلي شميل

بين أمس وغد

تحوّلنا المقبل

خطبة القاها محرر هذه المجلة في الحفلة السنوية لجمعية الاتحاد والاحسان السورية في طنطا يوم الاحد ٢٩ ابريل سنة ١٩١٧

سيداتي وسادتي

نحن في عصر فريد بين العصور

نحن في عصر كل يوم منه يعادل سنة وكل سنة تعادل قرناً

نحن في عصر سريع الابتعاد عن الماضي سريع التقدم نحو المستقبل

على صفوف القتال ووراء صفوف القتال ، في البلاد المحاربة وفي البلاد المحايدة ، في الشرق وفي الغرب تتمخض الانسانية باعظم انقلاب طرأ على حياتها

ان هذه الحرب محك للشعوب ، هي بمنزلة « جرد » لقواها ومواردها ، بل هي « تصفية حساب » شاملة : القادر ثابت في موقفه والعاجز يشهر افلاسه

فماذا يكون موقفنا بازاء هذه الازمة البشرية التي تضؤل بجانبها اشد الازمات التاريخية ؟

هل نقف مكتوفي الايدي — كما طالما وقفنا ؟

هل نظل نائمين والعالم باسره آخذ في الانقلاب ؟

هل نحافظ على جمودنا امام هذا التبدل المتواصل وذلك التحول الشامل ؟

هل نكتفي بمشاهدة الحوادث الجارية كما نشاهد حوادث الصور المتحركة — ونحن لاهون ؟

لنا أن نختار أحد امرين لا ثالث لهما : الاضمحلال او التحول مع تحول البشرية

ان « التكيف وفقاً للبيئة » شرط أساسي لجميع المخلوقات الحية — افراداً وجماعات . فلا يستطيع الانسان ان يعيش في وسط او في عصر ما لم يندمج فيه

ويتشرب روحه — والا لفظه الوسط وانكره العصر

كذلك الشعوب لا تنمو ما لم تتدبر محيطها وتدرك مميزات عصرها وتتخلق باخلاق زمانها

***

لقد أصيب الشرق منذ زمن طويل بجمود غم جميع اعضائه — جمود تركه في حكم الموجود فقط لا في حكم الحي ، وليس كل موجود حياً : جمود في اللغة ، جمود في العادات والاخلاق ، جمود في الدين ، جمود في التربية والتعليم ، جمود في عوامل الاجتماع جميعاً

فليس الغريب مع هذا الجمود الشامل أن يكون الشرق على ما به من التقهقر . بل الغريب ان يظل فيه رمق من الحياة

اذا اردنا ان نحيا حياة حقيقية وجب علينا ألا نخشى العوامل والآراء الجديدة . بل وجب أن ننفخ في ماضينا البالي روحاً فتية نشيطة تبعث فيه القوة والحياة

فبالقديم نحفظ الماضي وبالجديد نشيد المستقبل . وان لمن دلائل الانحطاط الاجتماعي ان يعيش قوم في القرن العشرين بعقول وعادات واخلاق هي اجدر باهل القرون الخالية

ان حيوية الامم وقابليتها للتقدم والارتقاء تقاس باستعدادها للاقلاع عن الماضي . انظروا الى الصينيين وهم أشد البشر تمسكا بالقديم تروا ما تؤول اليه أمة تعيش في ماضيها وتهمل حاضرها

ان معظم ما لدينا من الآراء والعادات مأخوذ عن عصور سالفة ، موروث عن اناس عاشوا في غير احوالنا : كانت آراؤهم وعاداتهم موافقة لعصرهم واحوالهم . أما اليوم فقد زال التوافق بين ما ورثناه من الآراء والعادات وما نحن به من الحضارة والمدنية

فقد اصبحنا — ولا سيما المستنيرين الناهضين منا — نشاهد رسوماً لا ندرك أصلها ، ونرى ظواهر لا نفهم باطنها ، ونسمع كلمات لا نعرف معناها

هذا شأن الامم التاعسة التي تعيش من ذكرى الامس لا من عمل اليوم — تلك التي تهتم بالعرض دون الجوهر ، وتؤخذ بالوهم دون الحقيقة

***

كثيرة هي العادات والآراء الشائعة بيننا التي ينبغي لنا الاقلاع عنها كي ندخل في سلك الامم الحية الراقية . فلنلق نظرة على بعضها

ففي موضوع التربية والتعليم مثلاً كان ولا يزال الرأي الغالب ان التعليم خاص:

اولاً — بطبقة معينة هي طبقة الموسرين

ثانياً — بمكان معين هو المدرسة

ثالثاً — بزمن معين هو سن الحداثة

والحقيقة ان العلم ليس خاصاً بطبقة معينة بل هو ملك عام للانسانية فلطالما خرج العظماء من اكواخ الفقراء — ولا هو خاص بمكان معين فما المدرسة الا قسم تحضيري لمدرسة العالم — ولا هو خاص بزمن معين فليست الحداثة وحدها زمن التعلم والاستفادة وانما العاقل من ظل متعلماً مستفيداً طول حياته

فليس التعلم حفظ الاسئولات واستظهارها، ولا تأدية الامتحانات ، ولا استيعاب الحوادث وسرد الوقائع

كلا . ليست هذه أهم وظائف المدارس

المدرسة الحقيقية تربي الانسان باكمله . تربيه قبل أن تعلمه . تربي جسمه . تربي عواطفه . تربي فكره . تربي ارادته . تربيه من حيث هو فرد ومن حيث هو عضو في مجتمع

المدرسة الحقيقية يجب ان تكون صورة مصغرة للعالم ، يجب أن تهيئ الشاب لخوض غمار الحياة ، يجب أن تعده قبل كل شيء بعدة وافية من الاخلاق المتينة الراقية

فانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

كان الانسان في اول امره لا يعتمد الا على بطشه وقوته فكانت السيطرة لصاحب البطش والقوة

ثم اصبح الانسان الذكي يستخدم الاقوياء بعلمه ودهائه فاصبحت السيطرة لاصحاب العلم والدهاء

اما اليوم فقد كاد العلم يعم جميع الطبقات . وانما تحولت السيطرة الى اصحاب الاخلاق الراقية . السيطرة لاهل الاقدام والثبات والمجالدة والشجاعة ، السيطرة لاهل الارادة الحديدية : اذ لا يستطيع شيء ان يقف في سبيل الارادة القوية والعزم النافذ

فان الارادة كالايمان تزحزح الجبال

* * *

ولننتقل الآن الى موضوع آخر حري بان نعتبر فيه ، موضوع اللغة والادب

فاول ما ينبغي لنا التثبت منه هو ان اللغة واسطة للتفاهم — لنقل المعاني — وليست غاية بحد ذاتها

على اننا ما برحنا منذ عهد بعيد — وهذا شأن الشعوب المتقهقرة — نعنى بتنميق العبارة لا بجوهر الموضوع ، ننظر الى الكلمات دون المعاني ، نهتم بالقالب لا بالقلب

بل قد بلغ من سيطرة هذا الوهم على عقولنا ان كل من قدر على سرد الكلام مع مراعاة قواعد الصرف والنحو يعد كاتباً ويبيح لنفسه الخوض في أي مبحث من المباحث العلمية او الاجتماعية او الاقتصادية في حين أن الفرع منها بل فرع الفرع يستغرق حياة عالم بكاملها لاستيفائه

وينبغي ألا يبرح من ذهننا ان اللغة بمنزلة كائن حي ، وان الالفاظ والعبارات تتنازع البقاء فيبقى منها الاصلح . ثم ان اللغة تابعة لاحوال الانسان واستكشافاته واختراعاته واستنباطاته فكيف نريدها جامدة والانسان لم يفتأ يستكشف ويخترع ويستنبط ؟

كذلك الادب يجب ان يوافق روح العصر . نعم ان الاقدمين تركوا لنا نماذج بديعة الصنعة ولكننا اذا اكتفينا بتقليدها وتصويرها ظللنا حيث نحن بل

رجعنا القهقرى اذ ان النقل قلما يحاكي الاصل

وكيف السبيل الى التقدم اذا كنا قانعين بما لدينا مكتفين بما ورثنا ؟ فانه لا تقدم بلا ابتداع واستحداث

* * *

وهنالك مسئلة أخرى خطيرة الشأن لا نزال فيها خلف العالم المتمدن بمراحل : مسئلة المرأة

فالمرأة هي الام، وهي الاخت، وهي الزوجة . ومن ذا الذي لم يكن لامه او لاخته او لزوجته القسط الاوفر في تكوين خلقه وتوجيه مجرى حياته . الا رحم الله مؤسس الهلال القائل « الامة نسيج الامهات »

لقد رفعت هذه الحرب منزلة المرأة اذ أبانت ما تستطيعه متى كلفت امراً خطيراً . فاذا كان بيننا اناس لا يزالون يعتبرون المرأة لعبة يلهى بها الرجل او حلية يزدان بها البيت ، اذا كان بيننا قوم يجهلون مقام المرأة في المجتمع ووظيفتها فيه ، اذا كان بيننا نفر كهؤلاء فلينظروا الى ما قد اتته المرأة وما تأتيه كل يوم في ساحات القتال ، وفي ساحات العمل ، وفي ساحات الشقاء

لست من القائلين بالمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة بل لست أرى ذلك من مصلحة المرأة نفسها ، اذ ان الطبيعة والمجتمع قد حددا لها دائرة اختصاص لا تقل شأناً ومكانة عن دائرة اختصاص الرجل . ولا ريب في ان تقسيم العمل بينهما من عوامل التقدم والارتقاء

على اننا نحن الشرقيين لم نصل بعد من التقدم الى ما يحملنا على خوض هذا البحث وانما يهمنا اليوم :

ان نحترم المرأة فتحترم نفسها

ان نعلمها فتعلم الاجيال المقبلة

ان نجعلها تعتمد على نفسها فنعتمد عليها عند الحاجة

* * *

اود ايضاً ان اقول كلمة في موضوع طالما اسأنا فهمه : موضوع الدين

الدين يتبع احوال الشعوب واخلاقها فاذا نهضت نهض واذا انحطت انحط . وكما ان ادراك الفرد للحقائق الدينية وتصوره لها يختلف مع تقدمه في السن . كذلك الامم يتطور اعتقادها مع تطورها وتقدمها في الحضارة والمدنية

جميع الاديان في اول امرها توجه جل اهتمامها الى سلوك الناس وتعاملهم وترشدهم الى خير السبل العملية . ففي الاصل الدين هو المعاملة قبل اي شيء اخر

ولكن متى ضعف الشعب وهبطت اخلاقه يصبح شديد الاهتمام بالطقوس والرسوم ، شديد التمسك بالتقاليد والخرافات ، شديد العناية بالنظريات والجدليات يحفل بها ويتعصب لها بكل قواه ولكنه عند العمل ينسى روح الدين وجوهره ويرمي بالتعاليم الدينية عرض الحائط

ذلك هو منشأ آفة الشرق الكبرى : التعصب الديني

***

تلك بعض المسائل التي لا نزال متخلفين فيها . ولا يأذن لي الوقت ان ابحث في مسائل أخرى جوهرية كالزواج والأسرة والعادات الشائعة . انما بقي مسألة تقال فيها كلمة لانها تناسب هذا المقام : اعني الاحسان

ففي موضوع الاحسان كما في المواضيع الاخرى يجب ان نغير نظرنا ونبدل افكارنا

ان العقلاء اليوم يقللون من استعمال كلمة «احسان» ويستعملون مكانها كلمتين : كلمة « واجب » وكلمة « خدمة »

أولاً الاحسان واجب : ففي البدء كان الفقر محترماً لان الجميع كانوا فقراء وكان كل شيء للجميع . ولم تنشأ طبقة الاغنياء الا بعد ان اعترف لهم المجتمع بحق الملكية وسن القوانين الحامية لملوكاتهم . فيحق للمجتمع الذي اعطى الاغنياء ما اعطى وحفظ ثروتهم ومالهم ان يأخذ بعض ما اعطى

قال كرنجي المثري الشهير : « لم يجن الغني ثروته الا من عرق الفقير ومن

العدل ان يردها اليه قبل الممات »

ثانياً الاحسان خدمة : فليس كل احسان احساناً بل قد يجرضرراً على المحسن اليه . فلايكفي ان يبذل الانسان دريهمات لاعانة محتاج اعانة موقتة . وانما الاحسان الحقيقي هو ذاك الذي يبحث عن جذور الداء فيستأصلها ، وهو ذاك الذي يرمي الى خدمة الفقير خدمة تنتشله مما هو فيه ، هو ذاك الذي يعينه على اعانة نفسه

ولله در الشاعر اذ قال :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا   مضر كوضع السيف في موضع الندى

ان الاحسان كالطب نوعان : علاج ووقاية ، مداواة وقتية ومناعة مستديمة . وفيها يصدق المثل القائل «درهم وقاية خير من قنطار علاج »

وفي مقدمة طرق الوقاية من الفقر التعليم . اجل حاربوا الفقر بالتعليم . ومتى منع الفقر منعت معه معظم الامراض الاجتماعية . وقد صدق الشيخ محمد عبده اذ قال : العفة ثوب تمزقه الفاقة

ان هذه الحرب الطاحنة المستعرة نارها اليوم سوف تزيد عدد المحتاجين والفقراء فقد قيل ان الحرب تترك بعدها ثلاثة جيوش : جيش من الفقراء وجيش من المشوهين وجيش من الباكين

اجل . سوف تكثر الاصوات المنتحبة المتوسلة فلنصغ لها ولنعمل على تسكينها . وما كان اسعد الانسانية لو لبى المرء صيحات المفتقرين تلبيته لصيحات شهواته واهوائه

شذرات

الملك جورج أقدر الملوك كتابة على الآلة الكاتبة Typewriter . ولعل الدكتور ولسن اول مناظر له بين رؤساء الحكومات

* * *

من أشهر النباتيين الذين لا يأكلون اللحوم ساره برنار الممثلة الشهيرة وروادن النحات الفرنسي وجورج برنارد شو الكاتب الانكليزي

الخوف والغضب

بحث بسيكولوجي

يوصف الانسان بانه حيوان عاقل

فاذا كان الغرض بهذا القول تميز الانسان على الحيوان بالعقل فهو صحيح فان أحط الناس لا يزال يعقل اكثر من أرقى الحيوانات ولكن اذا كان الغرض من وصف الانسان بالعقل انه يعتمد في سلوكه على عقله فهو غير صحيح

فان العقل أداة دقيقة قلما نستعملها في حياتنا العمومية وانما نعتمد في ذلك على غرائزنا . فنحن نأكل ونشرب ونمشي وننام ونحب ونكره بواسطة غرائزنا وليس بواسطة عقولنا . واذا جلسنا الى المائدة لنأكل فانما نفعل ذلك لان للجوع سلطاناً على نفوسنا يدفعنا الى طلب الطعام ولأن الطعام أيضاً لذيذ شهي . فليس منا من يأكل لان عقله يملي عليه أن الطعام مفيد لابقاء مقو للجسم

وكذا الحال في بقية أعمالنا فاننا نتصرف فيها بحسب ما توحيه الينا غرائزنا . والسبب في ذلك ان الغريزة اثبت وأصل في جهازنا العصبي من العقل . فاتباع أوامرها أروح للجسم وأسهل عليه من اتباع أوامر العقل . فالاستسلام للغضب أو الحب مثلاً أسهل من الامساك عنهما

ولا جدال في فائدة الغرائز فهي نتيجة تجارب أسلافنا وما انتابهم من المحن والمصائب . بل هي حكمتهم وفلسفتهم التي استخرجوها من حياتهم الماضية حينما كانوا يعيشون على اغصان الاشجار ويقاتلون الوحوش والزواحف ويسبون نساء أعدائهم وينازعون الطبيعة التي تعج بمئات الاعداء والمحن

على ان بعض هذه الغرائز قد زالت فائدتها لنا وان كانت قد أفادت اسلافنا . فنحن لذلك نستغرب وجودها عندنا ولا يمكننا تفسيرها حتى نعرف فائدتها لاسلافنا

فالخوف من الغرائز التي نشعر في تمدننا الحاضر اننا في غنى عنها . ولا يمكننا ان نفهم أسبابه الا اذا عرفنا معيشة أسلافنا وما كان يتطلبه منهم ناموس تنازع البقاء من نشوء غريزة الخوف على جملة أشكاله

ولما كان الطفل اكثر اعتماداً على غرائزه من الرجل لعدم نمو القوى العاقلة فيه

بعد كان من البديهي ان يخاف اكثر من الرجل . فالطفل يمثل في قواه العقلية اسلافنا القدماء . فهو على ثدي أمه يخاف الغرباء واذا شدن وترعرع انقلب خوفه الى حياء . والحياء ضرب من الخوف يصيب الصبيان وبعض الشبان . لا فائدة منه لنا الآن ولكنه كان ذا قيمة عظيمة في نشوء اسلافنا . لأنهم كانوا ينظرون للغريب كما ينظرون للعدو . فكانوا يحذرونه ويتوقونه . ولا يزال أسلوب التحية عندنا بل وعند جميع الامم تقريباً يدل على الخوف من الغرباء . فنحن نسلم بيدنا اليمنى لكي نثبت خلوها من السلاح . وعند ما نقول « السلام عليكم » نثبت اننا نريد بذلك السلام لا القتال

واذا احمر وجه فتياتنا « خجلاً » عند محادثتهن مع الشبان فانما ذلك لأنهن يخشين من هؤلاء الشبان السبي والاغتصاب . وهن يفعلن ذلك عن غير وعي منهن شأن الغرائز جميعها فاننا نشعر بها عن غير وعي منا بلا تعمد أو قصد . فقد كان الزواج قديماً سبياً يخطف فيه الشاب زوجته وينتزعها من بين أهلها

ومما يخيف الاطفال اكثر من الرجال الانفراد في مكان مظلم . وبعض الرجال لا يزال يخشى الظلمة . فانا لنشعر برجفة عند ما ننفرد في مكان مهجور يحيطنا هدوء الليل الحالك الصامت . فنحس كأن ارواحاً شريرة تحوم حولنا تبغي افتراسنا

فخوف الظلمة طبيعي في الانسان فهو مهماز للطفل يدفعه الى مرافقة والدته والالتصاق بها طول الليل حتى لا يقع بين مخالب الوحوش التي كانت تعوف مغاور أسلافنا وأعشاشهم

ومما يخيفنا نحن والقردة اطفالا ورجالاً على حد سواء منظر الثعابين . فكما تخشى الدجاجة الحدأة أو الصقر وتقوقي لفراخها عند رؤيتها لهما كذلك نخشى نحن والقردة الثعابين ونهرب منها ، لا نحتاج في ذلك الى معلم لينبهنا الى ضررها . قال داروين « والقردة تخاف الافاعي بغريزتها ولكن حب الاستطلاع مع ذلك يدفعها الى الدنو من صندوق الافاعي (في حديقة الحيوانات) وهي ترجف هلعاً فتفتح غطاءه وتطل عليها ثم تهرب . وقد جربت مع القردة تجربة من هذا النوع فاتيت بثعبان صناعي ووضعته بينها فاصطفت حواليه وجعلت تحملق فيه وتوترت أعصابها في هذه اللحظة لدرجة مضحكة . فقد وقعت صدفة كرة فقفزت صارخة الى أعلى القفص كأنها حسبت ان الثعبان تحرك اليها »

فالثعبان عدو القردة يأوي الى الاشجار التي تأوي اليها ويأكل صغارها ولا بد

انه كان يفعل ذلك مع أسلافنا . وهذا سر خوفنا منه الآن

ومما نخافه وقوفنا على حروف المباني العالية فقد نكون آمنين السقوط ومع ذلك لا نزال قلقين مما يدل على ان الخوف غريزي متسلسل الينا من أسلافنا الذين كانوا يفترشون أغصان الاشجار معرضين لخطر السقوط عند أقل غفوة . وهو خطر لا يزال يرعبنا حتى في أحلامنا . فان أطفالنا لا تزال تحلم انها تتدهور في هوة عميقة ولكنها لا تصل الى القرار . ويفسر البسيكولوجيون ذلك بأن أسلافنا كانوا يقعون أحياناً من الاشجار لغفوة تصيبهم أو شجار يقع بينهم فمن انتبه منهم وأمسك بالاغصان قبل ان يصل للارض نجا وانسل ومن لم يستطع ذلك مات وانقطع نسله . ونحن أبناء أولئك الناجين الذين أمتحنوا بهذه المحنة وقد كان هذا الحلم يرعبهم حتى ينتبهوا له كما يرعبنا الآن وان زالت فائدته لنا

وهناك ضرب من الخوف يبلغ بصاحبه حد المرض يسمى في الطب اغورافوبيا Agoraphobia اذا أصيب به أحد صار يخشى عبور الميادين أو الشوارع الواسعة فاذا رأى سهلاً متسعاً أصيب برعدة يكاد يغمى عليه منها . وهذا الخوف موجود عند بعض الحيوانات مثل الفأر والقط . فالقط لا يسير في وسط الشوارع بل بجوانب الجدران والفأر يتستر باصغر الاشياء وأشد ما يخشى ان يوجد في مكان مكشوف . والظاهر ان هذه الغريزة كانت في أسلافنا وفائدتها ظاهرة لهم وهي وجوب تسترهم لكي لا تراهم الوحوش . واكثر الناس يشعر بهذه الغريزة بدرجة خفيفة وغيرهم تقوى فيهم حتى تصير مرضاً

لقد تكلمنا عن ظواهر الخوف وأشكاله بما فيه الكفاية . على ان للخوف نتائج قلما يدرك سرها من لا يعرف نظريات النشوء . فانا اذا رأينا شيئاً مخوفاً مثل ثعبان أو ثور نطاح كان أول خاطر لنا ان نجري ونهرب . على انه بدلاً من ذلك نقعد عن الحركة ويغمى علينا كأن الطبيعة كما يظهر لاول وهلة تنزع منا سلاحنا . ولكن الحقيقة ان هذا الاغماء هو ضرب من التماوت نتظاهر فيه بالموت كما يفعل الثعلب حتى يتركنا خصمنا . فان اكثر الحيوانات ومنها الثعبان لا تأكل الميتة . وأحياناً اذا لم نستطع الهروب او التماوت نصاب بقشعريرة ويقف شعرنا فنخيف بذلك خصمنا على نحو ما ينتفش ريش الديك ويرتفع عرفه اذا وقف للقتال . والقشعريرة التي تنساب في جسمنا هي في الحقيقة توارد الدم الى أصول الشعر حتى يقف . وقد كان جسم

الانسان قديماً مكسواً بالشعر فكان ينتفش عند لقاء الخصم حتى يلقي في قلبه الرعب
والغضب يلي الخوف . فلا بأس بهذه المناسبة ان نلقي نظرة على ظواهره . فاول ما يبدو في الانسان عند الغضب سرعة تنفسه ونحن من هذا القبيل مثل الحيوانات والغرض من ذلك تطهير الدم استعداداً لجهد القتال القادم

ونحن في مصر لنا عادة في الغضب يشاركنا فيها بعض الامم. وهي البصق في وجه الذي نغضب منه . وهي ليست عادة صناعية . فان الرضاب يكثر وقت الغضب . والعرب يقولون « أرغى الرجل وأزبد » اذا غضب . والقصد من كثرة الرضاب الاستعداد لاكل الخصم الذي نقاتله . لان الرضاب يسهل الهضم

واكثر الناس اذا غضبوا ضربوا الارض باقدامهم أو الطاولة بايديهم . والقردة تفعل ذلك أيضاً

لقد أشرت في الكلام عن الخوف ان الزواج كان قديماً سبياً واغتصاباً . وبعضهم يظن ان تقبيل العاشق لمعشوقته هذه الايام هو صورة مهذبة للعض اذ كان الذكر يعض الانثى التي سباها . لانه كان يغتصبها غاصباً . ويستشهدون على ذلك بان العاشق هذه الايام لا يزال يقول لحبيبته « اني أحبك حتى لأود ان آكلك »

سلامه موسى

ماذا يفعل غليوم لما يتضايق

من عادات الامبراطور غليوم اذا تضايق ان يداعب طرف أذنه باصابعه . ويحكى عنه لما كان في بلاد الانكليز أثر وفاة الملكة فكتوريا انه تلقى يوماً افادة تلغرافية بحضور ولد من أقاربه لم يتجاوز السادسة من عمره . ويظهر أن الامبراطور لم يسره بعض ما جاء في الرسالة فاخذ يمط أذنه كالعادة فجرت المحادثة التالية . سأله الولد :

— لماذا تمط أذنك ؟

— لانني متضايق يا بني

— وهل تفعل ذلك دائماً لما تتضايق ؟

— أجل يا بني

— واذا كنت متضايقاً جداً جداً . ماذا تفعل ؟

— اذن امط اذن أحد غيري

الجهاد في الحياة

بحث اجتماعي

الحياة الاجتماعية ميدان قتال لتنازع البقاء لا مناص منه لكل ابن انثى لافرق في ذلك بين شجاع وجبان ، بين شاك واعزل ، بين قوي وضعيف . وليس ما يستفيده الطلبة في المدرسة الا سلاح يتسلحون به وتمرين يرتاضون به استعداداً لخوض عباب القتال في العالم ولا يفوز في هذا القتال للحياة الا النشيط المسلح المدرب

ان الحياة الاجتماعية معترك حقيقي يقتضي جهاداً صادقاً من جميع الناس على السواء فالافراد . جميعاً تضمهم جماعات متنوعة عديدة فمنها جماعة كبيرة كالجامعة الدينية أو الامة وجماعة صغيرة كالنقابة الزراعية أو جمعية الرياضة البدنية . ومنها جماعة طبيعية كالاسرة ، وجماعة مصنوعة كشركة المساهمين أو فئة المحترفين صناعة واحدة. ومنها جماعة دائمة كالماسونية ، وجماعة موقتة كنقابة المعتصبين أو لجان الحفلات والاعياد . وكلما تقدمت الحضارة ازدادت صلات الافراد بالجماعات فترى ابن اليوم في آن واحد عضواً في البلد الذي يسكنه وتابعاً لاحد المذاهب الدينية وعضواً في جمعية ادبية وأباً لاسرة وجندياً في الجيش ومساهماً في شركة أو عاملاً فيها الى غير ذلك . وجميع هذه الدوائر تتجاذب الافراد وتكثر علاقاتهم وتفرض عليهم فروضاً خصوصية متضاربة ، علاوة على أنها تستبد بهم وتجور عليهم بعوامل الآداب الجماعية والعوائد القومية والرأي العام وزعمات الجمهور الوهمية . فان لم يقاوم المرء هذه العوامل ويبدِ في مقاومتها الحزم والعزم يفقد كثيراً من قوته وحريته في العمل ويعرض شخصيته للغرق والضياع في بحار الجموع المتلاطمة

يخرج الشاب الى العالم من دار العلم والتهذيب وقد تلقن فيها المبادئ القويمة وتشربها وما اشدّ ما يعتريه من الدهشة والذهول عند ولوجه العالم اذ تصطدم مبادئه هذه بالحياة الاجتماعية كما هي ! فهذه تختلف اختلافاً كبيراً عن مثال الحياة الذي رسمته دار التربية في ذهنه لان معظم حياتنا في العالم صورة ورياء وكذب

لا نجد بين وجداننا النفساني والمظاهر الاجتماعية في العالم نسبة تامة ولا نرى في ما سنّ من القوانين العمرانية ما يوافق شعورنا الحقوقي تمام الموافقة . فكثير من الاحساسات الحقوقية ليس له ما يعبر عنه في الظاهر أو يدل عليه وكلما يشعر بالبون الشاسع بين نظاماتنا الموضوعة ومعتقدنا الحقيقي وبين العوائد المتبعة في مجتمعنا وفكرنا الداخلي فيها

ان ما يحترمه الجمهور قد لا يكون له قيمة في اعين الافراد المفكرين لانه يخالف فكرهم الخاص واعتقادهم الصميم فنرى كثيرين يتظاهرون باحترام خارجي الاشخاص أو اوضاع لا يعتبرونها في الواقع بشيء . وقد يحملهم الجبن على مجاراة الجموع والتعلق بعوائد سخيفة أو عقائد وهمية يرون في ضمائرهم انه لا أساس لها

وهذا النزاع الدائم بين ما هو متفق عليه في المجموع وما نعتقده شخصياً له صدى يتردد في حياة الافراد الادبية ويحدث في النفس رد فعل مؤلم فيثير عواطفنا ويستنهض همة الراقين فينا لمقاومة عوامل تلك العوائد القومية والآداب الاجتماعية التي الفها الجمهور ودرج عليها . والمقاومة لا تقوم الا بالجهاد والمكافحة فاذا جاهد الراقون فينا قوّموا اعوجاج الامة وساروا بها في سبيل الرقي والنجاح

غير ان جهاد الافراد لا يجدي نفعاً ان لم تطلق لهم حرية العمل ويوسع لهم مجال اظهار قواهم المستكنة . فالنظاميون الذين يتغنون بمزايا الادارة المحكمة ويضيّقون على القوات الفردية يقضون على ابتكار الافراد واقدامهم ونشاطهم ويعجزون عن السير بنا في معارج الفلاح

انظر الى سبق بريطانيا العظمى لسائر الدول في مضمار الاستعمار والقوة الاقتصادية تر سره في تلك التربية الاستقلالية التي امتاز بها الانجلوسا كسون على سواهم من الشعوب فصحت عزيمة افرادهم على العمل وعظم نجاحهم

فانتظام الادارة اذا وأحكامها لا يغنيان الافراد عن الجهاد في المجتمع . كذلك ليس في استطاعة مبدإ اجتماعي اياً كان ان يغني الافراد بما فيه من حسن التصور وأحكام الوضع عن الجهاد في الحياة جهادا متواصلاً . فلا فردوس على الارض والقتال

في الميدان الاجتماعي دائم ما دام الاجتماع

قتال بين الدوائر الاجتماعية المتضاربة وقتال بين الفرد وبيئته الاجتماعية لكي يطرح عن نفسه المؤثرات الاجتماعية من كل صنف ويتصرف بملء حريته الشخصية

تخيل بعض المفكرين ان مصير الجماعات الانسانية جميعها هو ان تتخذ تلك الجماعات شكلاً واحداً متساوياً ويسود السلام في المعمور. فالتوفيق بين الشعوب والامم ومنع الحروب بينها قد يتيسر بالتحكيم الدولي أو بازالة الحواجز الشاهقة الفاصلة بين الامم أو بغير ذلك. ولكن التوحيد الاجتماعي بين الافراد ان هو الا وهم واضغاث أحلام لان عنصر التنوع بين بني الانسان خالد. وخالد عنصر التنازع. فحياة المجتمع الانساني لا تنمو بمطاوعة الافراد ومجاراتهم لتيار المجتمع بل هي تنمو وتزهو بمقاومتهم لذلك التيار ومواصلتهم السير الى الامام

المكافحة أم كل خير. اذا صح ان الانسان حيوان سياسي — كما قال ارسطو — فمرمى سياسته الاستقلال وحكم النفس الذاتي. والاستقلال يستوجب الجهاد والمكافحة

انا نرمي الى هذا الاستقلال وتبدي ارادتنا الفردية للحياة في كل عمل نعمله، في كل بناء نبنيه، حتى فيما نشيده للجماعات ولم يكن عليه مسحة شخصية كالتعاليم الادبية والمبادئ الاجتماعية التي يضعها الاديون منا والمشترعون. فهذه المرسومات — مع ما في ظاهرها من اللاشخصية — ان هي الا تعبير عن غرائز واضعيها الحيوية. مثال ذلك ان الوازع اذا نهى عن القتل والسرقة فلكي يأمن على حياته وماله وان المؤدب اذا أمر باكرام الوالدين فلكي يضمن لنفسه اكرام أولاده

فالانسان لا يفتأ يعمل حفظا لبقائه الشخصي واستمتاعاً بالحياة على اتم ما يمكن. والعمل هو السنة العظمى للجنس البشري وعبثاً نعلل النفس بان نخلد يوماً الى الراحة والسكينة ونفرغ من العمل والكفاح. فبالعمل والكفاح من غير انقطاع ينجو الفرد من قيود المجتمع المعنوية ويظل مستمتعاً بحريته وقوته

بولس مصوبع

الدولة العثمانية

في لبنان وسورية

حكم اربعة قرون (١٥١٧ — ١٩١٦)

— ٧ —

سورية في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين

دخل القرن التاسع عشر وسورة الاضطراب في سورية على أشدها . واظهر عوامل التفريق المبيدة القارضة التي تجلت فيها انما بدت باتم مظاهرها في لبنان حيث كان الانقسام قد فعل في الشعب اللبناني فعل النار في الهشيم . فكان فرقاً واحزاباً لا رابط لها ولا صلة بين اجزائها المتعددة المتنابذة الاصلة المنفعة الذاتية التي تضيع في جنبها المصلحة المشتركة وتكون عرضة للتفكك والتلاشي لاول حادث يطرأ عليها . كل ذلك والسلطة في الجيل لمن كان من امرائه اوفر ثروة واقوى شكيمة من سواه فيستهوي رجال الدولة بماله فيركنون اليه ويتزاحمون على خطب مودته أو يرهبهم بسطوته فيتجنبون اغضابه حتى اذا ما انسوا منه غفلة بطشوا به وظفروا ببغيتهم منه

﴿ انقضاء ولاية الجزار ومصير ابناء الامير يوسف وبني باز ﴾ ذلك كان شأن السوريين واللبنانيين مع من عهدت الدولة اليه من رجالها في سياسة بلادهم وصيانة ارواحهم وارزاقهم وهو ما نجد له في تاريخ لبنان وسورية من الامثلة الحية المحسوسة ما لا يقع تحت حصر ولاسيما في عهد الجزار السفاح الشهير

تذرع الجزار بانقسام كلمة اللبنانيين وتعدد احزابهم في مفتتح هذا القرن لقضاء لباناته منهم . وقد تقدم لنا انه كان ناقماً على الامير بشير يتحين الفرص للايقاع به . وكان الامير عباس شهاب طامعاً في الولاية والمشايخ العمادية يؤيدونه . وقام من جهة اخرى الامير سلمان سيد احمد يلتمسها لنفسه ومن ورائه الشيخ بشير جنبلاط . فجاء خذل الشهابيين وانصارهم لعميدهم الاكبر على هذا النحو ممهداً للجزار سبيل الانتقام منه . فأيد الامير عباس وزحف هذا على دير القمر فانبرى له الامير بشير ومعه ابناء الامير يوسف والامير سلمان وهزموه الى المتن (١٨٠٢) وانحاز اللمعيون وآل

تلحوق الى الامير بشير فاستكتبهم على يد الشيخ بشير جنبلاط وثيقة بانهم لا يقبلون سواه اميراً عليهم . فاضطر الجزار أن يعيده الى الولاية بعد ان اوعز اليه بهدم جونيه . وكان ذلك آخر العهد بحكم الجزار فقضى نحبه سنة ١٨٠٤ . واغتصب ولاية عكاء اسماعيل باشا فلم يعترف الامير بشير به . ووقع ذلك وقعاً حسناً لدى الباب العالي فالحق بولايته دمشق وصيدا وطرابلس وولى على عكاء ابراهيم باشا ففتحها بمعاونة الامير وفتك باسماعيل باشا . وأعجب هذا الوالي بما أبداه جرجس باز في حصار هذا الحصن المنيع من آيات البسالة والدهاء فقربه منه . وهاج ذلك سخط الامير بشير على ابن باز ولا سيما انه كان يحفظ الغلّ له ولاخيه عبد الاحد لما أتياه من الاعمال المنافية لمصلحته تأييداً لابناء الامير يوسف فعقد العزيمة على التخلص منهما وقد ظفر بغيته فاغتالهما على يد اليزبكية وقبض على الاميرين حسين وسعد الدين ابني الامير يوسف وسمل عيونهما (١٨٠٧)

نودي بالسلطان مصطفى الرابع (١٨٠٧ — ١٨٠٨) وسطوة الانكشارية آخذة في الازدياد وسرت روح الثورة في الجيش وهو قائم على محاربة الروس فاختل نظامه وكاد الروس يقهرونه لو لم يغلبوا على أمرهم ازاء حملات نابوليون الصادقة في بلاد البغدان ويضطرهم الظافر الى مصالحته على شروط في مصلحة الترك (١٨٠٧) . على ان ذلك لم يحل دون تمادي الثوار في طغيانهم ففتك السلطان بسلفه السلطان سليم وطرح لهم جثته فازدادوا هياجاً وخلعوه ونودي بالسلطان محمود الثاني

طالت خلافة السلطان محمود (١٨٠٨ — ١٨٣٩) الا أنها كانت حافلة بالقلاقل والحروب . عهد في الصدارة الى البيرقدار أحد زعماء الثوار وهو يرجو ان يتمكن بواسطته من تنظيم وجاقات الانكشارية فعارضوه . وأراد ارهابهم بقتله السلطان مصطفى والقاء جثته اليهم ففشل واكرهوه على الاذعان لمشيئتهم . ثم انصرف الى تأمين السلطنة من الخارج فصالح الانكليز (١٨٠٩) . اما الروس فابوا الصلح وظلت الحرب سجالاً بينه وبينهم الى سنة ١٨١٢ اذ صالحوه على شروط في مصلحته . غير ان هذا الصلح أفقده صداقة نابوليون لان الروس تفرغوا لمحاربته وارغموه على الجلاء عن بلادهم بعد أن هلك معظم جيشه . ثم ثار السربيون على الدولة فقهرتهم (١٨١٧) وتلا ذلك ظهور الوهابيين في بلاد العرب فقهرهم محمد علي والي مصر وردهم الى طاعة الدولة على يد ابنيه طوسن باشا وابراهيم باشا (١٨١١ — ١٨١٩) ثم قام

اليونان بثورتهم الشهيرة (١٨٢٢) التي افضت الى استقلالهم (١٨٣٠) بعد حروب هائلة اشترك فيها محمد علي في جانب الدولة وفرنسا وروسيا وانكلترا في جانب اليونان . ثم احتلت فرنسا جزائر الغرب . واستولى محمد علي على سورية والاناضول (١٨٣٠) . ومات السلطان محمود والازمة السياسية التي نشأت عن المسألة المصرية على أشدّها وخلفه السلطان عبد المجيد (١)

وقد توالت في عهد السلطان محمود على البلاد العثمانية محن شديدة تضاءل دونها ما منيت به في عهد سلفائه من الخطوب المدلهمة . فتك الامير بشير بابني باز ونكب ابناء الامير يوسف . فاطمأن على سلامته وسلطانه الى حين اذ عهد اليه سليمان باشا والي صيداء بولايتي الشوف وكسروان على مدى الحياة (١٨٠٩). ثم نقل هذا الوالي الى دمشق فانتهز فرصة انصراف وزيرها يوسف باشا الكنج الى محاربة الوهابيين في حوران لانتزاع الحكم منه . وقد ظفر بمراده بمعاونة الامير بشير فصادقه وآخاه وولى ابنه الامير قاسم على جبيل وابنه الثاني الامير خليل على البقاع . ونصر الامير دروز جبل الشيخ على أعدائهم فانقادوا اليه . وتهيبه اهل البلاد ﴿ عامية انطلياس ﴾ وفي سنة ١٨١٩ مات سليمان باشا وبموته انقضى عهد

(١) كان الصلح الذي ابرمه السلطان محمود مع الروس وبالاً على الدولة لانه مهد للروس سبيل الانتصار على ابوليون فتخلى هذا القائد العظيم عنها في حربها ضد السربيين (١٨١٢ — ١٨١٧) ومنيت بخسائر فادحة اقعدتها عن كسر شوكة الوهابيين بنفسها وهم انقضوا عليها واستولوا على المدينة ومكة ودانت لهم البلاد العربية فاضطرت ان تلجأ الى سيف محمد علي لاخضاعهم وهي غافلة عما كان يمني النفس به من التوسع في الملك حتى خرج عليها وأوغلت جيوشه في بلادها وكسرتها في معركة نصيبين تلك الكسرة العظيمة التي تصدعت لها اركان العرش العثماني . ووقفت فرنسا في المسألة المصرية في جانب محمد علي وقفة كادت تفضي الى حرب اوربية عظيمة وتقضي على استقلال الدولة العثمانية لولا تصدي انكلترا لها وابرامها مع روسيا وبروسيا والنمسا معاهدة سنة ١٨٤٠ التي ضمنت سلامة الدولة . واعراض هذا السلطان عن فرنسا كان له نتيجة اخرى سيئة بدت على اتمها في حرب اليونان حيث غلبت الدولة على امرها واطبقت روسيا على ولاياتها البلقانية . ولولا توسط اوربا وارغامها السلطان على الاعتراف باستقلال اليونان والفلاخ والبغدان وبحق المرور لسفن روسيا في مضيق الاستانة لاستولى الروس على عاصمة السلطنة (١٨٢٩) . على ان قضاء السلطان محمود على سطوة الانكشارية وافنائه لهم على بكرة ابيهم اثر معارضتهم له في تنظيم الجيش (١٨٢٦) وانقاذه السلطنة من شرهم انما هو مأثرة جليلة من المآثر الغراء التي عجز اسلافه دونها

الراحة النسبية التي تمتع بها الشعب السوري في الفترة القصيرة التي عقبت موت الجزا
اذ تولى زمام الحكم في صيداء عبد الله باشا الخازندار وتحرش بالامير بشير
فاسترضاه هذا بمليون قرش . واراد الاميران يجمع المبلغ من البلاد . فعارضه اللبنانيون
في المتن وكسروان . وآنسوا من المطران يوسف اسطفان ميلاً الى تعضيدهم فازدادوا
هياجاً وعقدوا في انطلياس برئاسة الشيخ فضل الخازن اجتماعاً عظيماً قرروا فيه عدم
دفع الضرائب مرتين . واكرهوا الخازندار على مجاراتهم وخلع الامير بشير وتولية
الاميرين حسن علي وسلمان سيد احمد الشهابيين بعد ان تظاهرا بالاسلام . فانصرف
الواليان الجديدان الى مطاردة الامير بشير وأرغماه على الفرار الى حوران مع من
انحاز اليه من اللمعيين واستتب لهما الامر . غير انهما جارا على اهل البلاد فقلبوا لهما
ظهر المجن واكرهوهما على التخلي لخصمهما عن الولاية . واضطر الخازندار الى الاذعان لهم

﴿ عامية لحفد ﴾ على ان اتفاق كلمة اللبنانيين على طاعة الامير بشير لم يثنِ
الاميرين العاصيين عن عزمهما . فتذرعا بما فرض على البلاد من الضرائب الاضافية
لاهاجة الخواطر عليه ولا سيما في بلاد جبيل حيث حشد معارضوه جماً غفيراً من
أنصارهم في قرية لحفد ونادوا بالثورة . فزحف بجيشه عليها كالسيل الجارف . الا انه
اضطر بازاء ما شاهده من تكاثر عددهم وتكاتفهم ان يخفف من وطأته عليهم . فطمعوا
بحلمه وناوشوه في غرفين . فحمل عليهم حملة صادقة وهزمهم . وتعرض الاميران
العاصيان بثوار المتن والقاطع للشيخ بشير جنبلاط في طريقه الى جبيل حيث كان
الامير بشير ينتظره فاستظهر عليهما . وخذلهما الخوازنة وأعيان جبة بشرى فلاذا
بالفرار . ودخل أعيان البلاد في طاعة الامير بشير فعفا عنهم بعد ان تقاضى منهم
اجزية باهظة توسل بها لاستمالة الخازندار واكتساب مودته

﴿ درويش باشا والامير بشير ﴾ لم يكد الامير بشير يفرغ من قمع ثورة
اللبنانيين حتى وقع بينه وبين درويش باشا والي دمشق خلاف أفضى الى امتشاق
الحسام . فتراوحت كفة النصر بين الخانبين على رغم انحياز عبد الله باشا والي صيداء
الى جانب الامير وحسن بلاء ابنه الامير خليل . ثم شد ابنه هذا على جيش دمشق
وقهره . فعظم الامر على درويش باشا وأعاد الكرة عليه ففشل . وكال الامير له
ولحلفائه الامراء منصور وفارس وسلمان سيد احمد الشهابيين ضربة أشد من الاولى .
طرب عبد الله باشا لهذا النصر المبين فنفح الامير بخلعة نفيسة وسيف مرصع

بالجواهر الكريمة . ثم حاول درويش باشا استمالة الامير بشير فخذله الامير وقاتله في معركة المزّة الشهيرة ومزق جيشه تمزيقاً ولاذ الامراء بالفرار . فشق على الباب العالي انكسار جيشه وولى درويش باشا على صيداء ومدّه بنجدة عثمانية بقيادة والي حلب . فاشتد ساعده واضطر الامير بشير ان يتخلى عن الحكم ويغادر البلاد الى مصر ومعه ابناه الامير خليل والامير امين . فعهد الوزيران في ولاية لبنان الى الامير عباس شهاب . ثم زحفا لفتح عكاء وطرد الخازندار منها (١٨٢٢)

﴿ الامير بشير ومحمد علي باشا ﴾ وصل الامير بشير الى مصر ومحمد علي يرقب الفرص لفتح سورية . وأدرك بثاقب بصيرته أن بطلاً عظيماً نظير الامير بشير يبلغه المراد ان هو ظفر بمودته . فرحب به اعظم ترحيب ودعاه الى تعضيده في ما كان يمني النفس به من الفتح والاستعمار . فصادفت دعوته هذه هوى من نفس الامير وبعث يسأل عبد الله باشا الثبات على الحصار ريثما يصل اليه بالجيش المصري . وفي أثناء ذلك عفا الباب العالي عن الامير وعن صديقه عبد الله باشا اجابة لملتمس محمد علي . فركب الامير الى عكاء ومعه سلحدار من لدن عزيز مصر يحمل الى مصطفى باشا فرمان الدولة بالعفو عن الخازندار وكتاباً من محمد علي برفع الحصار عن المدينة . فاذعن الوزير وانصرف . واستأنف الامير بشير سيره الى لبنان ودخل بتدين ظافراً

﴿ حركة المختارة ﴾ وفي أثناء تغيّب الامير بشير عن لبنان توثقت عرى المودة بين صديقه الشيخ بشير جنبلاط وبين مزاحمه الامير عباس . فنقم على ابن جنبلاط لخيانته عهده . وتآمر هذا مع الامراء اللمعيين وفريق من الشهابيين على خلعه . وحاول أن يستميل عبد الله باشا الى الامير عباس فخذله واضطر الشيخ بشير أن يفر بمحازبيه الى ايالة دمشق فحوران . ثم اشتد ساعده بمن انضم اليه من آل ارسلان ونكد والعماد وغيرهم . فجمعوا قواتهم في المختارة واطبقوا بها على بتدين . واراد الامير بشير اخذهم باللين فاصروا على المقاومة وانقض عليهم بنخبة رجاله الاشاوس وكسرهم . غير انهم ثبتوا له واعاد الكرة عليهم ولقي من اقبال وزيري دمشق وصيداء والاميرين شديد مراد وحيدر اسمعيل اللمعيين على تعضيده ما شدد عزيمته فاستظهر على العصاة ولاذوا بالفرار فتعقبهم ابنه الامير خليل ووقع فريق منهم في كمين نصبه لهم قائد جيش دمشق فقبض عليهم وبينهم الشيخ بشير جنبلاط والشيخ امين العماد فشنقهما عبدالله باشا في صيداء . وانتقم الامير بشير من الامير عباس ونسيبيه الاميرين الاخوين

فارس وسلمان سيد احمد فسمل اعينهم وقطع رؤوس ألسنتهم

﴿ غزوة اليونان لبيروت وثورة النابلسيين ﴾ وفي خلال هذه الفترة كانت حرب الاستقلال في بلاد اليونان على أشدها وغزا الاسطول اليوناني بيروت (١٨٢٦) فصده أهلها المسلمون عنها . واتهم النصارى بالاتفاق مع الاروام على هذه الغزوة واراد عبد الله باشا معاقبتهم فحال توسط الامير بشير دون ذلك . وعقب هذه الغزوة انتقاض النابلسيين على عبد الله باشا واعتصموا في قلعة سانور الشهيرة (١٨٣٠) . وثبتوا على الحصار ثلاثة اشهر ابدوا فيها من آيات البسالة ما اوقع الرعب في قلب الوزير . واخترقوا نطاق الحصار وكادوا يوقعون بجيشه لو لم يتصدَّ لهم الامير بشير وابنه الامير خليل ويقهراهم ويكرهاهم على التسليم . ودُكَّت القلعة من اساسها وعاد الامير الى لبنان وألوية الظفر تخفق فوق رأسه

﴿ حملة ابراهيم باشا على سورية ﴾ لما دانت البلاد المصرية لسلطان محمد علي تاقت نفسه الى الفتح والتبسط في الملك . وكانت سورية مطمحاً لبصره . وقد أتيح له أن يكون رجل عظيم كالامير بشير موالياً له وممهداً له السبيل الى تحقيق امنيته . ووجد في انصراف الدولة الى حرب اليونان وفي امتناع الخازندار عن تسليمه من فر من العمال المصريين الى ايالته هرباً من السخرة أحسن فرصة لاكتساح الديار السورية . فحمل عليها ابنه ابراهيم باشا الفاتح الشهير ومعه سليمان بك الفرنساوي بجيش عظيم (١٨٣١) وفتح غزَّة ويافا والقدس ونابلس وحلَّ في حيفا ملتقى الجيشين البحري والبري فجعلها قاعدة لاعماله الحربية . واستأنف الزحف على عكاء فحصرها براً وبحراً . ووافاه الامير بشير اليها بنخبة رجاله . وزحف عثمان باشا والي حلب بعشرين الف مقاتل لرد الغازي . فانبرى له الامير خليل ابن الامير بشير بألفي مقاتل من اللبنانيين وقهره عند طرابلس . ثم استتم نقمته منه بمعاونة مصطفى أغا بربر حاكم طرابلس . وتعقبه الفاتح المصري وقهره في جوار حمص ومزَّق جيشه . ثم عاد الى عكاء وفتحها عنوة بمعاونة الامير بشير وأسر عبد الله باشا (١٨٣٢) . وزحف الفاتحان على دمشق فدخلاها ظافرين . وكسرا حسين باشا القائد العثماني على بحيرة حمص وطارده البطل المصري الى حلب وفتحها عنوة بعد معركة هائلة بيعت فيها الارواح بيع السماح (يوليو ١٨٣٢) . ثم اجهز على جيش عثمان باشا في بوغاز كيليكيا . واوغل في الاناضول وكسر رشيد باشا عند قونية كسرة عظيمة (دسمبر

١٨٣٢) ووقف عند مدينة بورصة . وتلا ذلك اضطرام نار الفتن في بلاد صفد وطرابلس وجبال النصيرية وبلاد عكار (١٨٣٣) فقمعها الامير بشير وابنه الامير خليل . واراد ابراهيم باشا سد الفراغ الذي وقع في صفوف جيشه فاكره دروز لبنان على الانتظام في سلك الجندية بعد ان جمع أسلحتهم وأسلحة المسيحيين (١٨٣٤) . وأراد في السنة التالية تجنيد دروز حوران ووادي التيم فابوا الاذعان وانحاز اليهم العرب وقاتلوا والي دمشق وكسروه . وشد ازرهم شبلي العريان البطل الشهير فاستفحل أمرهم . وانزلوا بالجيش المصري خسارة فادحة حتى نشط ابراهيم باشا لقاتلتهم بنفسه فوفق بمعاونة الامير خليل ومن انضوى تحت رايته من نصارى لبنان الى كسر شوكتهم واكراههم على القاء السلاح . واعجب الفاتح المصري ببسالة عميدهم شبلي العريان فعهد اليه في قيادة كتيبة من الفرسان . وتلا ذلك خروج عرب الصفا عن طاعة ابراهيم باشا فكبح جماحهم الامير مسعود ابن الامير خليل (١٨٣٦)

﴿المسألة المصرية﴾ كان لفتوحات ابراهيم باشا صدى عظيم في اوربا . وأشفقت روسيا ان تسقط الاستانة في يده وهي طامعة فيها فمدّت الدولة العثمانية بفرقة من جيشها . وأبى محمد علي التخلي عما فتحه من بلادها لقاء اعطائها له ولاية مصر على مدى العمر وتخويله الحق في تعيين ولاة سورية (١٨٣٣) واستأنف ابراهيم باشا القتال في جوار نصيبين فاحرز نصراً عظيماً وسحق الجيش العثماني . وعقب ذلك موت السلطان محمود وتسليم الاسطول العثماني الى الاسطول المصري فازداد الشر تفاقماً . وتعذر على الدول حل المسألة المصرية على وجه يتفق مع مصالحها المتناقضة . وتفاقم الخلاف بين فرنسا وانكلترا حتى خيف من نشوب حرب اوربية . وكانت فرنسا تؤيد محمد علي وتلح في اعطائه مصر وسورية وآطنة . وعرضت انكلترا ان يعطى نصف سورية الجنوبي بعد اخراج عكا منه . وعقد مؤتمر في لندن (١٨٤٠) فلم يسفر عن نتيجة حاسمة . وأراد تيارس الوزير الفرنساوي الشهير اكراه الباب العالي على الانصياع لمشيئة دولته ففشل . واتفقت انكلترا وروسيا وبروسيا والنمسا على اخراج الجيش المصري من بلاد الدولة عنوة وعهدن الى انكلترا والنمسا في تنفيذ هذا الاتفاق (١٨٤٠)

(البقية تأتي) «المسعودي»

الانسان واللحوم

— ٢ —

الديانة المسيحية

لم تعن الديانة المسيحية السمحاء بالمآكل من اللحوم وغيرها ولم تجعل لها مركز ممتازاً بين رسومها وطقوسها أو موضعاً خاصاً بين أوامرها ونواهيها ولم يرد عن السيد المسيح أنه قال بطهارة نوع منها ونجاسة آخر بل كان في نظره عليه السلام أن كل ما يأكله الانسان طاهر قال : « ليس ما يدخل الفم ينجس الانسان بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الانسان [1] » وانما حذر الناس من التطرف في العناية بالمأكل والمشرب حيث قال : « لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون [2] » وقال أيضاً لمرتا : « أنت تهتمين وتضطربين لاجل أمور كثيرة ولكن الحاجة الى واحد [3] »

أما هو نفسه فلم يصل الينا في ما علمناه عن ذاته الشريفة أنه في حياته الارضية أكل اللحوم الحمراء الا مضطراً وذلك مرة واحدة اذ اكل من خروف مشوي عمره سنة [4] واكل غير مرة خبزاً « من قمح وشعير » وسمكاً مشوياً وعسل نحل . وأما تحريم بعض اللحوم في الديانة المسيحية فقد جاءت به جماعة الرسل الطاهرين [5] ورد ذلك في قولهم : « قد سر الروح القدس وسررنا نحن ايضاً أن لا نضع ثقلاً أزيد من هذا الذي لا بد منه وهو أن تباعدوا عن الدم والمخنوق وذبيحة الاوثان » وليس ثمَّ نص على تحريم نوع من اللحوم غير هذه ولم يرد في الابركسيس شيء يفهم منه نجاسة أي حيوان بل بالعكس أن ما ورد فيه تفهم منه الطهارة المطلقة في جميع الحيوانات وفي جميع ما خلق الله . فقد جاء : « قصد بطرس فوق السطح ليصلي وقت الساعة السادسة وكان قد جاع وهو يريد الاكل وكانوا يعدون له فوقع عليه سبات فابصر السماء مفتوحة واذا هو بملاءة مربوطة باربعة اطرافها كمثل ثوب عظيم نازلاً مدلى على الارض وكان فيه كل ذي اربع ارجل وكل دبابات الارض وطير السماء وكان اليه صوت قائلاً قم يا بطرس اذبح وكل فقال له حاشا يا رب لاني لم آكل قط دنساً ولا رجساً

---

(١) متى ١٥ : ١١ (٢) متى اصحاح ٦ : ٢٥ (٣) لوقا اصحاح ١٠ : ٤١
(٤) سفر الخروج اصحاح ١٢ الفصح (٥) الابركسيس

ثم ناداه الصوت قائلا ما طهره الله لا تدنسه أنت وكان هذا على ثلاث مرات [١] »
وورد في سفر التكوين بهذا المعنى: « ورأى الله كل ماخلقه فاذا هو حسن جداً [٢] »

يظهر مما تقدم أن جميع الحيوانات طاهرة في حكم الديانة المسيحية بلا قيد ولا شرط ويحل اكل لحمها ما خلا الدم والمخنوقة عند بعضها

وورد في كتاب المجموع الصفوي للشيخ الصفي أبي الفضائل بن العسال صفحة ٢١٠ تحت عنوان المآكل: « أما ما سوى الدم والمخنوقة وذبيحة الاوثان وما كسره السبع فمباح لنا شرعاً لا نمتنع عن شيء منه الا ما هو في حكم ما حرم في الشريعة أما لكونه يؤدي الى فساد اعتقاد أو فساد أخلاق أو فساد بدن »

ويستلخص ما حرم على القياس في قسمين :

اولهما — ما لا يصلح للغذاء ولا للدواء فمن ذلك : في الحيوان ذوات السموم وذات الناب والمخلب والكواسر وما يأكل السموم . وفي النبات كل سام أو كل مفسد للعقل والبدن . وعلى هذا الحكم يحرم اكل أي لحم أو نبات يضر بالجسم الصحيح أو يذهب بالعقل ويحل اكل كل شيء فيه شفاء من علة

ثانيهما — مما حرم على القياس هو كل ما يكون مشكوكا في نفعه ، وكل ما كان نافعاً ولكنه يؤكل أمام شخص يضر به أكله فيشتهيه لو يراه يؤكل أمامه فيأكل منه فيقع به الضرر

والى هذين القسمين أشار بولس الرسول بقوله في رسالة روما :

« ومن هو ضعيف في الايمان فاقبلوه لا لمحاكمة الافكار . واحدٌ يؤمن أن يأكل كل شيء وأما الضعيف فيأكل بقولا . لا يزدر من يأكل بمن لا يأكل . ولا يدن من لا يأكل من يأكل لان الله قبله . اني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيء نجساً بذاته الا من يحسب شيئاً نجساً فله هو نجسٌ . فان كان اخوك بسبب طعامك يحزن فلست تسلك بعد حسب المحبة . لا تهلك بطعامك ذلك الذي مات المسيح لاجله فلا يفتر على صلاحكم . لان ليس ملكوت الله اكلا وشربا . بل هو برٌ وسلام وفرحٌ في الروح القدس . لا تنقض لاجل الطعام عمل الله . كل الاشياء طاهرة لكنه شرٌ للانسان الذي يأكل بعثرة . حسن أن لا تأكل لحماً ولا تشرب خمراً ولا شيئاً يصطدم به اخوك أو يعثر او يضعف . ألك ايمانٌ . فليكن لك بنفسك امام الله .

---

(١) اع ١٠ : ٩ - ١٦ (٢) سفر التكوين اصحاح ٢ : ٣١

طوبى لمن يدين نفسه في ما يستحسنه . وأما الذي يرتاب فان أكل يدان لان ذلك ليس من الايمان فهو خطية »

ومن قوله ايضاً في رسالته الاولى الى اهل كورنثوس : « كل الاشياء تحل لي لكن ليس كل الاشياء توافق . كل الاشياء تحل لي لكن لا يتسلط عليَّ شيء . الاطعمة للجوف والجوف للاطعمة والله سيبيدها هذا وتلك . ولكن الجسد ليس للزنا بل للرب والربُّ للجسد »

« كل الاشياء تحل لي لكن ليس كل الاشياء توافق . توافق كل الاشياء تحل لي ولكن ليس كل الاشياء تبني . لا يطلب احد ما هو لنفسه بل كل واحد ما هو بالآخر . كل ما يباع في الملحمة كلوه غير فاحصين عن شيء من اجل الضمير . لان للرب الارض وملأها . وان كان احد من غير المؤمنين يدعوكم وتريدون أن تذهبوا فكل ما يقدم لكم كلوا منه غير فاحصين من اجل الضمير . ولكن ان قال احد هذا مذبوح لوثن فلا تأكلوا من اجل ذاك الذي اعلمكم والضمير لان للرب الارض وملأها . اقول الضمير ليس ضميرك انت بل ضمير الآخر . لانه لماذا يحكم في حريتي من ضمير آخر . فان كنت انا اتناول بشكر فلماذا يفترى عليَّ لاجل ما اشكر عليه . فاذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله . كونوا بلا عثرة لليهود ولليونانيين ولكنيسة الله . كما انا ايضاً أرضي الجميع في كل شيء غير طالب ما يوافق نفسي بل الكثيرين لكي يخلصوا »

وقياساً على قوله « كل ما يباع في الملحمة فكلوه الخ » يباح اكل لحم الخنزير — هذا مع العلم بعدم ورود نص بتحريمه — بشرط أن يذبح بالطريقة المتبعة في المجازر بالطبع

ومن قوله لتيموثاوس : « وفي اليوم الآخر اقبلنا الى صيداء فعامل يوليوس بولس بالرفق وأذن له أن يذهب الى اصدقائه ليحصل على عناية منهم ثم اقلعنا من هناك وسافرنا في البحر من تحت قبرص لان الرياح كانت مضادة »

وجاء في الكتب القديمة غير المطبوعة مما في خزائن الاب المحترم القمص بطرس عبد الملاك ما يأتي بالحرف : « انه محرم على رجال الاكليروس اكل لحم فيه دم نفسه مما نهشه سبع او اكل ميتة ومن يفعل ذلك منهم يقطع . هذا ما امر به الناموس . وان كان علمانياً فليفرق » « واما أسقف او قس او شماس او ما دون ذلك من الكهنة

امتنع عن التزويج واكل اللحم وشرب الخمر على انها نجسة وان يجعل نفسه افضل من غيره بذلك وانه لا يحل له ولا يأكله لهذه العلة ففعله ذلك جهالة وطغيان لان كل ما خلقه الله حسن جداً . وان الذكر والانثى خليقة الله خلقهما الخلقة الجميلة جداً فقد بذلك مفترياً صار على خلقة الله ويجهل ايضاً ان ذلك من جوهر خلقته فليقطع من كنيسة الله وكذلك ايضاً العلماني المؤمن اذا هو امتنع عن ذلك واذا تركوا ذلك على انه طريق للعبادة والزهد وترك اللذات بعد اقرارهم انها حلال وانما تركوا ذلك هيبة لله وطلب رضائه فذلك مباح لهم »

« وايما اسقف او قس او شماس او واحد من المؤمنين اكل لحم غير مذبوح او شيء قد افترسه سبع او ذئب او ميتة او غير ذلك فليقطع من درجته لان هذه الاشياء قد نهي عنها وهي مرضية امام الله »

والخلاصة مما ذكرنا ان السيد المسيح أكل اللحم الاحمر ولم ينه عن اكل اي نوع منه ولم يفضل نوعاً على نوع وانما بعض المسيحيين حرموا اكل الميتة والمنخنقة والدم وما اهل لغير الله به والقوانين الرسولية والكنسية وهي التي حرمت ما كسره السبع والذئب والحيوانات المفترسة واحلت كل ما يذبح في المجزرة

هذا ما فهمناه من ارشاد الاب المحترم وصديقنا الاستاذ القمص بطرس عبد الملاك وغيره من الواقفين على احكام المسيحية السمحاء في مسألة اكل اللحوم

الديانة الاسلامية

يجب علينا قبل ان نذكر ما حرم اكله من لحوم الحيوانات وما احل منها في الديانة الاسلامية السمحاء ان نذكر شيئاً من عادات العرب قبل الاسلام مما هو داخل في بحثنا

قال ملتبرون : « ان العرب اهل قناعة يكفيهم يسير الغذاء وهم لا يكثرون من اكل اللحم وقد كان اكل لحم الخنزير عندهم حراماً فجاءت الديانة الاسلامية مقرة تحريمه »

وكان من عادة العرب اكل الفصيد وهو دم كان يوضع في معى تشوى وكذلك اكل الفصيدة وهي تمر يعجن ويشاب بدم وتسمى ايضاً بالفصدة وكان بعضهم لا يأكل الميتة ولا ما اهل لغير الله به أي ما يذبح على اسم الاصنام . فان زيداً ابن

عمر بن نيفل نهى عن ذلك . قالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله « صلعم » يقول « سمعت زيداً بن عمر بن نيفل يعيب كل ما ذبح لغير الله فكان يقول لقريش الشاة خلقها الله وانزل لها الماء من السماء وانبت لها من الارض الكلاء ثم تذبحونها على غير اسم الله . قال فما اكلت شيئاً ذبح على النصب — أي على الاصنام — حتى اكرمني الله برسالته » وكان زيد بن عمر بن نيفل ينهى عن الوأد ايضاً ويستحيي الموؤدة : أي يأخذها من أبيها ويكفلها

ولما سأل النبيَّ عنه ابنهُ سعيد قال له صلى الله عليه وسلم: « أنه يبعث يوم القيامة أمة واحدة »

وليس زيد بن عمر بن نيفل وحده الذي كان ينهي عن اكل الميتة وما ذبح على اسم الاصنام بل كان هناك ثلاثة آخرون منهم ورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث وعبد الله بن جحش والاخير منهم ادرك البعثة واسلم ثم هاجر الى الحبشة وتنصر ومات على نصرانيته

وكان بعضهم يحل اكل الميتة ومن هؤلاء عمر بن لحى الخزاعي — كان يقول للعرب كيف لا تأكلون ما قتل الله وتأكلون ما قتلتم — وهو اول من ابتدع السائبة وبحر البحيرة وحمى الحامي ووصل الوصيلة

اخرج ابن جرير وغيره عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله يقول لاكثم ابن الجون : « يا اكثم عرضت عليَّ النار فرأيت فيها عمر بن لحى بن قمعة بن خندق يجر قُصبه في النار فما رأيت رجلا اشبه برجل منك به ولا به منك فقال اكثم اخشى أن يضرني شبهه يا رسول الله فقال لا انك مؤمن وهو كافر انه أول من غيَّر دين ابراهيم وبحر البحيرة وسيب السائبة وحمى الحامي »

وجاء في خبر آخر عن ابن عباس « وحمى الوصيلة »

واخرج عبد الرازق وغيره عن زيد ابن اسلم قال رسول الله « والله اني لاعرف اول من سيب السوائب ونصب النصب وأول من غيَّر دين ابراهيم » قالوا من هو يا رسول الله قال « عمر بن لحي آخر بني كعب لقد رأيته يجر قصبه في النار يؤذي أهل النار بريح قصبه واني لاعرف من بحر البحائر » قالوا من هو يا رسول الله قال « رجل من بني مدلج كانت له ناقتان فجذع آذانهما وحرم البانهما وظهورهما وقال هاتان لله ثم احتاج اليهما فشرب البانهما وركب ظهورهما ولقد رأيته في النار وهما

تقضمانه بافواههما وتطأ آنه باخفافهما »

ونزل القرآن بتحريم ذلك كله قال تعالى « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون » سورة المائدة

﴿ السائبة ﴾ هي الناقة تبطن عشرة ابطن اناث فتهمل ولا تركب ولا يجز وبرها ولا يشرب لبنها الا لضيف . وقيل هي التي تسيب للاصنام فتعطى للسدنة ولا يطعم من لبنها الا أبناء السبيل ونحوهم — روي ذلك عن ابن عباس وابن مسعود . وقيل هي البعير يدرك نتاج نتاجه فيترك ولا يركب . وقيل كان الرجل اذا قدم من سفر بعيد أو نجت دابته من مشقة او حرب قال هي سائبة ينزع من ظهرها فقارة أو عظماً وكانت لا تمنع عن ماء ولا كلاء ولا تركب . وقيل هي ما ترك يسجح عليه . وقيل هي البعير يعتق على ان لا يكون عليه ولاء ولا عقل ولا ميراث

﴿ البحيرة ﴾ فعيلة بمعنى مفعولة — من البحر وهو الشق والتاء للنقل الى الاسمية أو لحذف الموصوف — قال الزجاج كان اهل الجاهلية اذا انتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا اذنها وشقوها وامتنعوا من نحرها وركوبها ولا تطرد من ماء ولا تمنع عن مرعى وهي البحيرة . وعن قتادة انها اذا انتجت خمسة ابطن نظر في الخامس فان كان ذكراً ذبحوه واكلوه وان كانت أنثى شقوا أذنها وتركوها ترعى ولا يستعملها احد في حلب او ركوب ونحو ذلك . وقيل البحيرة هي الانثى التي تكون خامس بطن وكانوا لا يحلون لحمها ولبنها للنساء فان ماتت اشترك الرجال والنساء في اكلها . وعن محمد بن اسحق ومجاهد انها بنت السائبة وكانت تهمل ايضاً . وقيل هي التي ولدت خمساً او سبعاً وقيل عشرة ابطن وتترك هملاً فاذا ماتت أحلت للرجال خاصة . وعن المسيب أنها التي تمنع لبنها للطواغيت فلا تحلب وقيل هي التي ولدت خمس اناث فشقوا اذنها وتركوها هملاً وجعلها في القاموس على هذا القول من الشاء خاصة وكما تسمى بالبحيرة تسمى بالعزيزة وقيل هي الشب الذي اذا وُلد شقوا اذنه وقالوا اللهم ان عاش فعي وان مات فذكى واذا مات اكلوه وقيل هي التي تترك في المرعي بلا راع

﴿ الوصيلة ﴾ فعيلة بمعنى فاعلة وقيل مفعولة . قال الفراء هي الشاة تنتج سبعة ابطن عناقين عناقين فاذا ولدت في آخرها عناقاً وجدياً قيل وصلت أخاها فلا يشرب

لبن الام الا الرجال دون النساء وتجري مجرى السائبة

وقال الزجاج هي الشاة اذا ولدت ذكراً كان لآلهتهم واذا ولدت انثى كانت لهم واذا ولدت ذكراً وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم . وقيل هي الشاة تلد ذكراً ثم انثى فتصل اخاها فلا يذبحون اخاها من اجلها واذا وُلدت ذكراً قالوا هذا قربان لآلهتنا .

وعن ابن عباس هي الشاة تنتج سبعة ابطن فاذا كان السابع انثى لم ينتفع النساء منها بشيء الا ان تموت فتأكلها الرجال والنساء وكذا ان كان ذكراً او انثى قالوا وصلت اخاها فتترك معه ولا ينتفع بها الرجال دون النساء فان ماتت اشتركوا فيها

وقال ابن قتيبة اذا كان السابع ذكراً ذبح واكلوا منه دون النساء وقالوا خالصة لذكورنا محرمة على ازواجنا وان كانت انثى تركت في الغنم وان كان ذكراً وانثى كقول ابن عباس . وقال محمد بن اسحاق هي الشاة تنتج عشر اناث متواليات من خمسة ابطن فما ولدت بعده تأكله الذكور دون الاناث فان وُلدت ذكراً وانثى معاً قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوه لمكانها

وقيل هي الشاة تنتج خمسة ابطن او ثلاثة فان كان جديا ذبحوه وان كان انثى ابقوها وان كان ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها

وقيل الوصيلة من الابل هي الناقة تبكر فتلد انثى ثم تثني بولادة انثى أخرى ليس بينهما ذكر فيتركونها لآلهتهم ويقولون قد وصلت انثى بانثى ليس بينهما ذكر

وقيل هي الناقة التي وصلت بين عشرة ابطن لا ذكر بينها

﴿ الحامي ﴾ هو فاعل من الحمى بمعنى المنع واختلف فيه ايضاً قال الفراء هو الفحل اذا لقح ولد ولده فيقولون قد حمي ظهره فيهمل ولا يطرد عن ماء ولا مرعى

وعن ابن عباس وابن مسعود وابي عبيدة والزجاج انه الفحل يولد من ظهره عشرة ابطن فيقولون حمي ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى

وقال الشافعي انه الفحل يضرب في مال صاحبه عشر سنين وقيل هو الفحل ينتج له سبع اناث متواليات فيحمى ظهره

الدكتور حسن ذهني

طبيب جمعية الرفق بالحيوان في القاهرة

بحث في النقد

— ٧ —

النقد في فرنسا

الطور السادس : النقد في أوائل القرن التاسع عشر

ليس من يجهل أن جان جاك روسو كان من اساطنة كتاب القرن الثامن عشر وفلاسفته ومن قادة الافكار في عصره . وقد أغفلنا ذكره عند ما تكلمنا عن النقد في زمانه لانه لم يشتغل به ، الا ان مؤلفاته لا تخلو من مباحث في الادب غزيرة الفائدة ، ولكن تأثيرها لم يظهر الا في القرن التالي لقرنه

رأينا فولتير وغيره من معاصريه يتبعون في مصنفاتهم الادبية قواعد وقوانين مقررة ويحرصون اشد الحرص على تطبيقها . أما روسو فلم يكن يعبأ بها بل كان يزدريها . وقد جاءت مؤلفاته خير ميراث خلفه القرن الثامن عشر رغماً من زعم القائلين بان الكاتب لا يبدع الا اذا اتبع القواعد المنصوص عليها في كتب اللغة والبيان . وقد حازت كتبه رضى الجميع حتى أعدائه ومنافسيه . ونهج منهجه من خلفه من الكتاب الذين استفزهم اعجابهم به حتى فضلوه على غريمه فولتير

كان الكتاب والشعراء في القرنين السابع عشر والثامن عشر لا يكتبون الا في الموضوعات العمومية التي تهم الشعب عامة . فلست تجد في مؤلفاتهم ما ينبئك عن شعورهم ووجداناتهم . فلما ظهر كتاب الاعترافات Les Confessions لروسو دهش الناس لغرابته قلباً وقالباً وأعجبوا به مع انهم لم يألفوا مطالعة مثل هذا النوع . ومن ثم نشأ الادب الروائي Romantisme

الادب الروائي صنف من الموضوعات الادبية محوره شخصية الكاتب ، بمعنى انه اذا الف رواية أو نظم قصيدة كان هو بطلها : فيحدث الناس في كليهما عن حياته وعواطفه ، ويروي لهم من الحوادث تلك التي لها علاقة بنفسه دون سواها ، ويبحث في الامور من حيث تأثيرها فيه

وقد انتشر الادب الروائي في القرن التاسع عشر ، وأقام بناءه الساحر على انقاض آداب القرنين السالفين : فزالت دولة ماليرب وبوالو وبيرولت وفولتير ، وقامت دولة

روسو صاحب كتاب التربية أو اميل وهيلوئيز الجديدة والعقد الاجتماعي والاعترافات وغيرها . ولكن الادب الروائي لم يرج الا بعد الثورة الفرنسية . غير ان برناردان دي سان بيير (وهو واضع روايتي بولس وفرجيني والكوخ الهندي) عمد قبل ذلك الى تقليد روسو ، فكان أسبق الكتاب الى انتهاج منهجه الى ان جاءت مدام دي ستايل وشاتوبريان . فاعجبا كثيراً بمؤلفات روسو وحبذا طريقته

وكلا شاتوبريان ومدام دي ستايل عريقا النسب . وقد اضطرتهما الثورة الى هجر فرنسا : فهاجر الاول الى انجلترا فاميركا ، وذهبت الثانية الى المانيا . فدرسا أحوال الاقطار التي نزلا فيها وأخلاق أهلها وعاداتهم وآدابهم . فالف شاتوبريان كتاباً في الآداب الانجليزية وكتبت مدام دي ستايل مؤلفاً ضخماً عن المانيا . وللكاتبين المذكورين آراء خاصة في النقد استخلصاها من درس الا داب الاجنبية التي اعجبا بها اعجاباً شديداً

وقد اشتهر شاتوبريان — وهو عمدة كتاب القرن التاسع عشر — بصناعة الانشا والوصف ، واجاد الشعر النثري فضارع اعظم كتاب القرون السابقة ، ولكنه لم يكن غزير الافكار . فهو في الحقيقة مصور اكثر مما هو كاتب . وله اربع روايات — اشهرها اتالا ورينيه — كان لها تأثير عظيم في النفوس . وبصدورها تم فوز الادب الروائي على الآداب القديمة

أما مدام دي ستايل فقد كانت على عكس زميلها . فان اسلوبها في الانشاء ضعيف وتصويرها الاشياء اضعف : ويرجع ذلك الى ضعف خيالها المبتور الاجنحة وقلة شعورها مع انها امرأة . على انه لئن كان شاتوبريان مصوراً وشاعراً فمدام دي ستايل كاتبة بكل معنى الكلمة ، وهي احق منه بتلك التسمية لغزارة افكارها وسمو مداركها : فان مؤلفاتها تنم عن عقل رزين عامل محقق لم تعصه صعاب المباحث وغوامض الحقائق . وقد بلغ اعجابها بالاداب الالمانية ان جعلها تضل في احكامها ، حتى اصبح الاغراض ظاهر في مؤلفاتها . وليس شأننا في هذا المقام مناقشتها في آرائها الخصوصية ، وانما يهمنا معرفة تأثيرها في سير العلوم والاداب وتطور النقد في عصرها . فقد كان نفوذها عظيما اذ وجهت انظار الفرنسيين الى آداب طالما جهلوها ، فاوردت لهم في كتابها عن المانيا امثلة كثيرة مختلفة من منظوم الالمان ومنثورهم لا تخلو من جمال في المعنى والوصف والتركيب ، حتى اذا ما حازت رضاهم جعلوها أنموذجاً ينقلون عنه بدلا من المثال الاعلى الوحيد الذي وضعه بوالو . وقد استفاد الفرنسيون من اطلاعهم على الاداب الاجنبيه

في توسيع مداركهم كما استفاد اجدادهم في النهضة العلمية وكما استفاد العرب من قبلهم اثر اختلاطهم باليونان

وقد بحثت مدام دي ستايل في علاقة الدين والسياسة والوسط بالاداب ، فجارت في ذلك مونتسكيو . ودرست تطور الافكار والاراء مع تطور الزمان وتقدم العلوم والاداب ، وقارنت بين الاداب الفرنسية والاداب الاجنبية فوجدت الاداب الفرنسية احط مرتبة من سواها لفساد القواعد التي استخلصها اليانيون من كتب اليونان والرومان واتبعها الشعراء والكتاب في منظوماتهم ومصنفاتهم . ونسبت تفوق الاداب الالمانية والانكليزية الى ازدراء كتاب الالمان والانكليز بالقواعد المذكورة واستسلامهم الى وحي قلوبهم الحساسة ، ومجاراتهم لمقتضيات عصرهم

وقد استخلصت مدام دي ستايل مجموع آرائها في النقد من المقارنة بين الاداب الفرنسية وغيرها . وكانت ترمي الى اندماج الاداب الاوربية — وليس اللغات — بمعنى انها كانت تكره حصر آداب كل شعب في حدود بلاده : لان ما يخلفه الشعراء والكتاب والفلاسفة انما هو ميراث للانسانية جمعاء . وليس لامة نضج فيها نابغة ان تستفرد بما تركه ، كما انه لا عار على الاجانب اذا التمسوا نصيبهم من ارثه ولو كان على غير مذهبهم ودينهم . قالت مدام دي ستايل ما معناه : لقد نجد في مطالعتنا كتب الاجانب افكاراً جديدة نغتنمها فنزيد ثروتنا الادبية . ان الاداب تهرم مثل الشعوب ، فلا بد من بذور غريبة جديدة نغرسها في ارضنا من حين الى حين . فلنذهب الى منبع الجمال والحقيقة اين كان كي نستقي منه ونروي مداركنا ومشاعرنا . وقالت في مقام آخر : ان الفرنسين ، وهم ارقى الشعوب اللاتينية ، يميلون الى الاداب القديمة Classique والانكليز ، وهم ارقى الشعوب الجرمانية ، يميلون الى الاداب الحديثة الروائية Romantique وكل من الامتين تفتخر بادابها : مما يدل على اختلاف في مداركهما وشعورهما وذوقهما . وليس ذلك الاختلاف ناشئاً عن اسباب طارئة وقتية ، انما السبب الحقيقي هو الفرق العظيم بين مخيلة الفرنسي وعقله من جهة ومخيلة الانكليزي وعقله من جهة اخرى

وقد اعترضت على طريقة النقد الادبي الذي كان محوره فحص الكتب من حيث لغتها وموضوعها والمقارنة بينها ، وهو آخر ماوصل اليه النقد الى عهد فولتير . وقد اصبح غرض النقد ، بفضل تأثيرها ، درس الكتب من حيث علاقتها بالعصور التي

صدرت فيها واحوال الشعوب التي انتجتها من حيث الاخلاق والعادات والحضارة قالت: أن نظرنا الى الاشياء نسبي ، وحكمنا على المؤلفات يتغير بالنظر الى زمن ظهورها ومكانه

ولنعد الان الى شاتوبريان ونذكر كلمة عن كتابه « عبقرية النصرانية » Genie du Christianisme الذي ضمنه آراءه في الاداب وفي النقد . صدر هذا المؤلف في اواخر القرن الغابر وكان لظهوره دوي عظيم وقد احدث تأثيراً شديداً في الاداب الفرنسية اذ اصبح مثالاً ينسج عليه

وقد خلف شاتوبريان رواية تمثيلية شعرية وجملة قصائد لا يقرأها احد الآن، لان الرجل لم يشتهر بالنظم . ولكننا اذا طالعنا نثره وجدناه يحتوي على اوصاف وخيالات شعرية قلما نجد نظيرها في اجود القصائد

ان شعراء القرون الوسطى وكل الكتاب الحافظين الذين خلفوهم واتبعوهم في تقليد الاقدمين كانوا وثنيين — وثنيين في كتاباتهم وليس في عقيدتهم — بمعنى انهم كانوا اذا كتبوا في الشعر القصصي ادخلوا فيه آلهة اليونان والرومان وجعلوها في عداد ابطال رواياتهم . وقد كان في وسعهم الاستعاضة عن تلك الالهة بالاله الذي يعبدون وبملائكته وانبيائه وقديسيه . الا انهم لم يروا الى ذلك سبيلاً — مع ان النصرانية لم تحرم هذا الامر — حتى ان بوالو في كتابه « فن النظم » عدّ ذلك من المستحيلات : لان الخيال اذا سبح في سماء الوثنية الغنية بالهتها وجد ما لا يجده في سماء النصرانية . فلما جاء شاتوبريان قال باستبدال الالهة القديمة بالملائكة والانبياء وألف رواية مشهورة من نوع الالياذة اسمها « الشهداء »

وقد وصف شاتوبريان في كتابه « عبقرية النصرانية » كل الاثار الثمينة التي أوحت بها النصرانية الى ابنائها : من معابد وتماثيل وقبور واوان ذهبية وفضية وخلاف ذلك . ثم فحص حالة الفنون الجميلة مثل الشعر والتصوير منذ انتشار المسيحية ، وأبان جمال صنع تلك المصنوعات فولد في نفوس القراء شعوراً جديداً

وورث الادب من شاتوبريان طريقة جديدة في الوصف والتعبير ، وأصبح النثر بفضله يضارع الشعر رقة وعذوبة . وقد اشتهر بمجازته جميع اساليب الانشاء واسرار اللغة قديمها وحديثها ، حتى اذا كتب عن المتقدمين وضع في افواههم نفس اللغة التي كانوا يتكلمون بها . أما النقد فقد غيرت تعاليم شاتوبريان أغراضه ومذاهبه . قال :

أن العقل وحده لاينتج اعمالاً عظيمة . نخالف بذلك رأي بوالو القائل بان العقل دون العواطف مصدر كل أثر ذي شأن . على اننا اذا طبقنا نظرية بوالو على النقد اضمحل لان النقد علم اكثر مما هو فن ، وهو يعمل باحكام العقل لا باحكام الشعور

الطور السابع : النقد في النصف الاول من القرن التاسع عشر

قالت مدام دي ستايل وقال شاتوبريان بان الحكم على المؤلفات يكون بالنظر الى الزمان والمكان اللذين صدرت فيهما ، وان غرض النقد اظهار الحسنات لا السيئات ، خلافاً لرأي بوالو. وان لا فائدة من قواعد وشروط تقيد الناقد لدى ابداء رأيه في كتاب وحكمه على كاتب ، وان الناقد الحقيقي من حكّم عقله وقلبه معاً وليس الواحد دون الآخر . فكان مذهبهما التساهل المحض

وقد نشاء عن ذلك ان زالت اغراض النقد الحقيقية : الشرح والحكم والترتيب. اذ ان الذين اتبعوهما وجاوروهما في آرائهما شطوا شطوطاً بعيداً: فاتخذ كل واحد منهم منهجاً خاصاً حسب ما أوحت اليه مشاعره ، فاصبح النقد عبارة عن آراء متشعبة متناقضة . غير ان تلك الفوضى لم تدم طويلاً ، فقد احتاط لها ثلاثة من كتاب النصف الاول من القرن الغابر وهم كوزان Cousin وجيزو Guizot وفيلمان Villemain واليك شذرات نقتطفها من كتبهم تدلك على رأيهم في النقد وكيف طبقوا قواعده

قال كوزان في تمهيد تاريخ الفلسفة : أعطني خريطة مملكة وصف لي موقعها الجغرافي وحالة جوها وتربتها ومائها واخبرني عن مواردها الطبيعية من جماد ونبات وحيوان وانا اتعهد لك بان اخبرك عن الذين يقطنونها وأحوالهم الادبية والآراء الشائعة بينهم . فالتاريخ في عرفه مسألة طبيعية (فسيولوجية) يحلها بواسطة العلم

وقال جيزو في كتاب تاريخ التمدن في فرنسا ما معناه : لقد صدرت كتب عديدة في المباحث التاريخية والفلسفية، ولكن لم ينظر اصحاب تلك الكتب الى المسائل التي بحثوا فيها الا من جهة واحدة — وهذا شأن مؤرخي العرب فاذا كتب احدهم عن انتشار الاسلام مثلاً اكتفى بسرد الحوادث والوقائع ، وذكر الابطال والمشاهير ، وفاته ان يصف بلاد العرب وتربتها وجوها لمعرفة تأثيرها في ابنائها ، وان يبين حالة العرب في ذلك الوقت من جهة الدين والسياسة والعادات والعلوم والآداب والاخلاق ، وان يذكر الاسباب التي مهدت للعرب الفوز على أعدائهم مع قلة

عددهم ووفرة أعدائهم الخ . فلا بد للباحث من ان يعتبر هذه العوامل جميعها ويضمها في نظرة واحدة وفكرة شاملة

فكوزان وجيزو مبتدعا التاريخ الفلسفي في فرنسا، وقد طبقا قواعد العلم الحديث على التاريخ . ونحا نحوهما فيلمان في ميدان الادبيات ، فالف كتاباً حاز شهرة واسعة في عهده، وهو تاريخ الآداب الفرنسية في القرن الثامن عشر. وقد اراد من ذلك الكتاب اظهار تأثير الافكار والكتب في حالة الامة الاجتماعية والادبية في زمن معين . ودرس فيه ايضاً تأثير الاداب الانجليزية والالمانية في الآداب الفرنسية، مع انه لم يكن هنالك صلة بينهما ، ولكنه فعل ذلك رغبة منه في درس الآداب بصفة عامة شاملة ليجاري زميليه في نوع مباحثهما العلمية ، وقد افلح بعض الشيء . ولكن الشهرة التي اكتسبها من وراء هذا الكتاب ليست لقيمته الحقيقية بل لحداثته ، فقد كان اول من كتب في الآداب بوجه عام ودرس سير الشعراء والكتاب في سياق الكلام . غير انه لم يجد في هذا المضمار اجادة سانت بوف Sainte-Beuve فقد تقرأ سيره الآن فلا تشفي منك غليلا . ولكن النقد مدين له بانه اوجد رابطة متينة بين التاريخ وفلسفته وبين العلوم والآداب، ففتح له سبيلا جديداً سار فيه من خلفه من مشاهير النقاد

الطور الثامن : سانت بوف

من طالع كتب هذا الرجل ظهر له انه كان يكتب مدفوعاً بدافع قوي ، دافع الافكار المتراكمة والمعارف الغزيرة وحب الفن الذي خلق له . وقد عاش خمساً وستين سنة كتب في اثنائها اكثر من خمسة وستين مجلداً كلها في النقد . ولا بد لنا ، قبل تخصيص الكلام عنه ، من كلمة نقولها في ميشيليه Michelet فانه الف في التاريخ كتباً لم يأت أحد بمثلها من قبل . وكان له في مباحثه مذاهب خاصة . وقد قضى معظم حياته في ايجاد البراهين على نظرية له في التاريخ وهي أن تاريخ شعب يختلف عن تاريخ شعب آخر بنسبة اختلاف هذين الشعبين في الجنس والعنصر ، أي ان الجنسية هي العامل الاول في حضارة الامم وتاريخها . فالامم اللاتينية الاصل لها مميزات لا تجدها في الامم الجرمانية الاصل . وقد لا تخلو هذه النظرية من الخطأ، ولكن تطبيقها على علم النقد افاده فائدة عظيمة كما سيتبين ذلك فيما بعد . وقد افاض ميشيليه في مباحثه التاريخية واوضح باجلى بيان الرابطة العظيمة الموجودة بين الامة والارض التي تعيش عليها، حتى يخيل لمن يطالع كتبه أنه يرمي الى القول بان الانسان

ينشأ كما تنشأ الاشجار والازهار : أي انه كما تختلف الاشجار والازهار باختلاف تربتها ، كذلك الناس يختلفون باختلاف مواطنهم . فكان ميشيليه يرى أن الشاعر الفرنسي مثلا ليس مرآة للشعب الفرنسي فقط ، بل هو مرآة لارض الفرنسيين ايضاً

لما شب سانت بوف كانت العلوم الحديثة آخذة في التقدم والارتقاء ، فتلقاها على أمهر الاساتذة . ولما خلا لنفسه وأحس في قلبه وعقله قوة تدفعه الى التأليف كتب رواية ثم نشر ديوان شعر ، ولكنه كان ذا بصيرة نيرة فرأى بين معاصريه من فاقوه في فن الروايات وفن الشعر ، فتركهما آسفاً حاقداً . وقد قال عن نفسه انه يميل الى الاستطلاع ، وان هذا الميل كان سبب المباحث البسيكولوجية التي خاضها والدروس في الفسيولوجيا الاخلاقية التي قام بها . وقال ايضاً انه يجب على الناقد الحقيقي ألا يكون حسوداً ، وألا يكون له ميل خاص الى نوع من الاداب دون غيره او الى طريقة في الانشاء دون سواها ، والا كان حكمه شاذاً وباطلا . وقد كان حسوداً ، فحقد على معاصريه الذين فاقوه مثل ستاندهال وبلزاك الروائيين المشهورين والفريد دي فينيي Alfred de Vigny الشاعر الفيلسوف ، فكانوا ألد اعدائه ، وحقد ايضاً على الباقين الا من كان من الطبقة الثانية فكان يرفع مقامهم لانهم لم يحولوا دون تقدمه

وقد ابتدأ بتقليد فيلمان في الانتقاد مع ادخال تعديلات اخذها عن العلماء الفسيولوجيين ، ثم انه انتقد على فيلمان تقصيره في البحث وغموضه . قال أن من أراد أن يكتب عن شاعر أو كاتب فليبحث في حياة الرجل وسيرته بحثاً دقيقاً ليعرف كيف كان يعيش في منزله وفي الخارج حتى يمكن تصويره في جميع صوره . ولذا كان سانت بوف مولعاً بقراءة رسائل الذين كان يرغب في الكتابة عنهم ومفكراتهم واعترافاتهم لانهم يظهرون فيها غالباً في مظاهرهم الحقيقية .

يعلم الجميع أن التصوير فن ، وأن له قواعد معلومة ، وانه يجب على المصور أن يكون ملماً بعض الالمام بعلم التشريح الوصفي ليتيسر له حفظ النسبة والموازنة بين اعضاء الجسم الذي يصوره (سواء كان ذلك الجسم لانسان أو حيوان) . وقد أراد سانت بوف تطبيق علم التشريح وعلمي الفيسيولوجيا والبسيكولوجيا على تراجم الشعراء والكتاب ، لان التراجم صور يجب على كاتبها ان يراعي فيها شروط التصوير

أما التشريح فبه يستبان جسم صاحب الترجمة وشكله الظاهر : فيذكر اذا كان طويلا

او قصيراً ، نحيلا او بدناً ، قبيحاً او جميلا . اما الفيسيولوجيا فتوضح مايختص بمعيشة الكاتب المادية وصحته وسلوكه الخاص . ويلزم لذلك معرفة حالة الجو في البلد الذي يقطنه ، والقبيلة التي ينتمي اليها ، والعائلة التي هو منها ، ولاسيما ان للوالدين أثراً عظيماً في تكوين الولد عقلاً وجسماً . ومما يلزم ايضاً معرفته هل كان صاحب الترجمة من عائلة عريقة في النسب ام خاملة الذكر ، وهل عاش في عسر ام يسر ، وهل كان صالحاً ام شريراً ، شهماً ام جباناً . وكيف احب وما كان ميله الى النساء . وقد يؤدي ذلك البحث عفواً الى معرفة احوال الكاتب النفسانية ، ولذلك يضطر الناقد الى درس احوال الوسط الذي عاش فيه صاحب الترجمة : فيدرس اخلاق الناس وعاداتهم وتأثيرهم فيه وراثه فيهم وغير ذلك . فاذا عرف الناقد كل ذلك سهل عليه تصوير صاحب الترجمة صورة ناطقة .

وعلى هذا النسق كتب سانت بوف كتباً عديدة في النقد ، والف كتاب بور رويال Port Royal الشهير وهو اسم محل اوى اليه بعض الكتّاب فاعتزلوا عن العالم وانقطعوا للعبادة والكتابة . وقد وجد سانت بوف ان الرجال تنقسم الى اقسام كالنباتات والحيوانات . وقد سمى تلك الجماعات بالاسر العقلية familles d'esprits وهي درجات مختلفة في الرقي والادراك . وسمى هذا النوع من المباحث الادبية التاريخ الطبيعي للعقول البشرية Histoire naturelle des esprits . قال انهُ يوجد بين العقول اوجه تشابه واوجه تناقض كما بين الاجسام ، وان مهمة النقد اظهار ذلك بكل ايضاح

وقد جاهر سانت بوف بان غرض النقد ليس ابداء حكم الناقد الخصوصي على المؤلفات لانه عرضة للاهواء ، فقال ان النقد الصحيح يعلمنا ان نترفع عن تلك الاهواء وان نجعل حكمنا صادقاً : فان الواحد منا قد لا يستحسن الشعر الغنائي ولكنه مع ذلك يسلم بما هو حسن منه ويقرّ به — تلك الصفات قلما توجد في المتقدين ولذا فالصالح منهم قليل

وقد خالف من سبقه من النقاد الذين ادعوا ان لا أهمية للغة الكاتب واسلوب انشائه في المؤلفات المرغوب في نقدها ، لان غرض النقد في عرفهم ليس الا ايضاح علاقة تلك المؤلفات بالشعب الذي نضجت فيه وتمدينهم في عصر من العصور — كان النقد درس تاريخي محض — قال : اننا كثيراً ما نحب كتاباً لاسلوبه وافكار الكاتب الخصوصية وشخصيته المتجلية في مؤلفه . وفي ذلك خالف زميله تين Taine

الصحافة السياسية في انكلترا [1]

واهم الصحف الانكليزية

الصحافة بوجه الاجمال

للصحافة الانكليزية شأن في تكوين المملكة الانكليزية السياسي ليس له مثيل في غيرها من البلاد . ومن أسباب ذلك أن السياسة الانكليزية هي سياسة احزاب وليس الفرد في عالم السياسة سوى مركز ثانوي ما لم يكن ذلك الفرد رئيس الوزراء أو رئيس المعارضين بل حتى في هذه الحال انما يرجع مقامه ونفوذه الى كونه رئيس حزبه . فان كان له عدا مركزه السياسي مركز أدبي أو شخصية رفيعة كما كان لسالسبوري وغلادستون وبيكنسفيلد ازدادت سلطته في هذا المركز ولكنه لا يستعملها الا باسم حزبه وفي مصلحة ذلك الحزب فقط . فالجرائد الانكليزية السياسية ليست اذاً بلسان حال اشخاص ولكنها تمثل آراء احزابها وتقاليدها . وقد اخذت الاحزاب الانكليزية منذ عهد غير بعيد ان تتجزأ الى اجزاء فأثر هذا التجزؤ في صحافة حزبي الاحرار والمحافظين وخصوصاً حزب الاحرار لان العرى التي تربط حزب المحافظين أشد منها في حزب الاحرار . ومع ذلك فان الجرائد ما زالت تعبر عن رأي المجموع لا رأي واحد منها . والخلاصة ان الجرائد الانكليزية هي لسان حال أحزاب ولذا كانت مقالاتها غير ممضاة باسم الافراد وستبقى هذه الطريقة متبعة ما دام تكوين بلاد الانكليز السياسي على ما هو الآن

غير ان بعض الجرائد الحديثة النشأة قد أخذت تنشر مقالات انتقادية موقعة باسماء كاتبيها وجريدة التيمس نفسها لا تحجم من آن الى آخر عن نشر مقالات ممضاة بتوقيع كاتبيها لكن هذه المقالات تتناول مسائل خاصة ولا تحمل الجرائد تبعة الافكار التي يذيعها كاتبوها

وتعتبر الجرائد الانكليزية أول واجباتها اذاعة الاخبار الصادقة . وأما المدافعة عن أعمال الحزب الذي تنتمي اليه ونصح قرائها وارشادهم فتلك من الامور الثانوية لديها .

---

(١) من محاضرة القاها سقراط سبيرو بك في نادي الشبان المسيحيين في ٥ ابريل الماضي

ومما يدل على ذلك المكانة التي تعطيها للاخبار الخارجية ومحاضر جلسات مجلس النواب واعمال المحاكم والحركة التجارية والمالية واخبار التمثيل والمعارض وانتقاد الكتب الحديثة وغير ذلك في حين أنها لا تخصص سوى عامودين أو ثلاثة أعمدة على الاكثر للمقالات الرئيسية التي لا تخلو جريدة من مقالتين أو ثلاث منها كل يوم . على أن الجرائد الحديثة النشأة كثيراً ما تكتفي بمقالتين بل بمقالة واحدة منها

ثم ان توافق الآراء المنشورة في احدى الجرائد الانكليزية أمر لا يهم رئيس تحريرها فهو لا يرى من بأس مثلا أن ينشر مقالة بعث بها اليه مكاتبه في فينا أو باريس أو روما وان لم تتفق مع ما جاء في مقالته الافتتاحية لانه يرى أن واجبه نحو قرائه ايصال الاخبار اليهم . ولهذا السبب بعينه تنشر الجرائد الانكليزية اقوال خصومها الالداء على سبيل الاخبار فقط وقد لا تعلق عليها شيئاً في مقالاتها الافتتاحية لانها تعتبر هذه الاقوال من قبيل الاخبار التي ينبغي لها نشرها . ومع أن سكان لندن يبلغون نحو ثمانية ملايين نفس فعدد جرائدها السياسية يقل عنه في أي مدينة كبرى من مدن العالم ولذا كان ما يطبع منها شيء كثير جداً . على ان باب الربح — أن لم اقل سبب ثروتها — ليس ما تطبعه من النسخ ولو كانت تعد بمئات الالوف بل ما تنشر من الاعلانات

ولا يخفى ما لدى تلك الجرائد من الوسائل الميكانيكية المستحدثة وما تستخدم من ضروب التنظيم والاقتصاد وحسن الادارة . فان الالات على انواعها تقوم مقام العمال في معظم الادوار التي تمر بها الجريدة من صف حروفها الى توزيعها

هذه كلمة اجمالية عن الجرائد الانكليزية السياسية . فلننظر الان في أمر كل منها على حدته

التيمس

لا شك ان أعظم جرائد لندن جريدة التيمس التي يجوز ان يقال عنها انها أعظم جرائد العالم بأسره . أسسها جون والتر وصدر اول عدد منها في اول يناير سنة ١٧٨٨ ولها وجهان كما جاء في ذلك العدد وجه بشوش ضحوك تلتفت به نحو أصدقاء بلاد الانكليز ومريديها والآخر مقطب عبوس تحوله دائماً نحو أعدائها . ومن ذلك العهد الى الآن ظلت التيمس أمينة على هذا المبدإ ولم يمض عليها الا زمن يسير حتى حلت

الصحافة الانجليزية مركزاً سامياً ثم أخذت تتسع شهرتها فلم يأت الجيل التاسع عشر حتى صارت بمنزلة نظام من نظامات الشعب الانجليزي

وسبب هذا المركز السامي سرعة وصول الاخبار اليها وصدقها لان كل خبر تأتيها يمحص قبل نشره ، وعدم التحيز لأحد ولا لقوم فهي تنشر أقوال أعدائها كما تنشر أقوال مريديها ، وصداقتها وولاؤها لقرائها صداقة وولاء يقوم عليهما البرهان كل يوم

نعم ان التيمس كغيرها من الجرائد قد تدخل عليها الخديعة وتجوز عليها الحيلة لكن وقوع مثل ذلك (وهو نادر) لم يصدر مرة واحدة عن سوء نية الجريدة وهي تخن يوماً من الايام ما تعتبره واجبها نحو نفسها ونحو قرائها . ولذا يعلم العالم بأسره ان أقوال التيمس تكاد تكون مقدسة لا ريب فيها ولا شك

وبقيت التيمس جيلا كاملا وهي مستقلة تمام الاستقلال في سياسة البلاد الداخلية أو بعبارة أخرى على الحياد التام فلم تكن من حزب الاحرار ولا من حزب المحافظين ولكنها اتبعت الرأي العام فكانت تعضد الوزراء سواء كانوا من الحزب الواحد أو من الحزب الآخر . وأما في السياسة الخارجية فلم تحد قيد شعرة عن الخطة التي اختطها جون والتر الاول

ومازالت منذ ذلك الوقت وهي أشد عدو لخصوم بلادها ولكل سياسي أو ملك يشتم منه العداء لمصالح بلاد الانكليز . ولكن منذ خمس وعشرين سنة عدلت التيمس منهجها فصارت لسان حال حزب الاتحاديين ومن أنصار القائلين بوجوب تعديل التعريفة الجمركية أي فرض الضرائب على الواردات ومن المعادين للقائلين باعطاء الارلنديين الاستقلال الاداري الذي يطلبونه . على انها منذ عهد قريب أخذت تميل الى هذا الرأي الاخير فصرحت ان المسألة تستدعي البحث ولكنها لم تزد على ذلك شيئاً . ولا يبرح من الذهن ان هذا القول اقرار مهم من التيمس يحتفظ به الارلنديون وسوف يذكرون به الاتحاديين

والتيمس أيضاً امبيريالستية أي امبراطورية النزعة فكراً وقولا أي انها تعتقد بمستقبل امبراطورية انكليزية تجمعها روابط الاصل والجنس والتاريخ وهي كما لا يخفى أقوى الروابط والعوامل وترجو ان يزاد عليها رابطة أقوى هي رابطة المصالح المادية ونظام بحري وعسكري للدفاع عنها بطريقة تشترك فيها جميع المستعمرات ذات

الاستقلال الاداري فتمدها بالرجال والمهمات والمال كما امدتها في هذه الحرب

أما من حيث السياسة الخارجية فالتيمس تعضد جميع الوزراء سواء كانوا من حزب الاحرار او من حزب المحافظين لانهم مهما اختلفت صبغتهم ليس لهم سوى سياسة واحدة استمروا عليها استمراراً هو سر من أسرار المملكة الانكليزية وموضوع اعجاب البلاد الاجنبية . فلا فرق بين سياسة اللورد سالسبري الخارجية وسياسة اللورد روزبري واللورد لانسداون واللورد جراي لان مصالح بريطانيا العظمى وعظمتها وشرفها هي المحرك لهم جميعاً والغرض الذي يسعون اليه

ولكن لا يتوهمن أحد ان التيمس لسان حال الحكومة أو انها جريدة شبيهة بالرسمية وانما هي جريدة أقوالها اصدق من غيرها وأخبارها أسرع وصولا اليها منها الى سواها وما ذلك الا لان التيمس هي التيمس وما لها من المكانة السامية والاهمية العظمى في العالم باسره . وكثيراً ما أسرّ وزراء الحكومات الاوربية وملوكها لمكاتبي التيمس أسراراً هامة وأخباراً خطيرة حتى تذاع على صفحات تلك الجريدة الفريدة في مكانتها

وتمتاز جريدة التيمس باهتمامها بالشؤون الخارجية وأخبارها من هذا القبيل أوفى وأصدق من أخبار أي جريدة أخرى وتمتاز ايضاً بالمقالات الوثيقة التي تنشرها عن المسائل الاقتصادية والمالية والتجارية والصناعية والادبية والاستعمارية والبحرية والحربية وكلها من اقلام رجال لهم القول الفصل في تلك المواضيع

ولا يخفى انه لا يمكن الحصول على مثل هذه المقالات الا لجريدة مواردها المادية غزيرة جداً ولكن نخبر أصحاب التيمس انهم يصرفون جزءاً عظيماً من دخل جريدتهم في زيادة نفوذها وتحسين موارد اخبارها . ومع نفوذ هذه الجريدة التي يفتخر بها أصحابها لم يرد احد منهم الحصول على لقب من القاب الشرف فانهم ما زالوا يلقبون بلقب مستر والتر الواحد منهم بعد الاخر الى ان انتقلت اخيراً الى لورد نور ثكليف . وكفاهم ذلك الاسم شرفاً بل يكتفي باقل منه كثيرون غيرهم من اصحاب الجرائد الانكليزية . على انه لا يتبادر الى الذهن ان اصحاب التيمس لم يجنوا ثمرة أعمالهم وان جريدتهم ادارة خيرية وقفت على خدمة البلاد . نعم ان غرضهم الاول تلك الخدمة ولكن فائدتهم المادية من جراء هذه الخدمة كانت عظيمة لا يستهان بها فابعادية بر وود التي يمتلكونها اكبر دليل على ذلك . ولكنهم لو انصرفوا الى

احراز الثروة فقط ولم ينفقوا معظم دخلهم في ترقية جريدتهم لكانوا اليوم من اغنى أغنياء العالم ولكانت المملكة البريطانية في تلك الحال قد فقدت ركناً أدبياً قوياً

ومما يحسن ذكره ان الجرائد الانكليزية الاخرى من لندنية وغيرها لا تحسد التيمس على نجاحها ومركزها الفريد ولاتكيد لها المكائد لحطها والقدح في مقامها واقوالها بل تفتخر برفعتها ومنزلتها في العالم . فاين نحن في الشرق من هذه الروح ؟

وقبل ختام الكلام عن هذه الجريدة اقول ان عدد ما يطبع من اعدادها كان الى عهد قريب لا يتجاوز الاربعين الفاً في اليوم . الا انها بعد ان خفض ثمنها اخيراً اصبحت تطبع مئات الالوف . وراتب رئيس التحرير لا يقل عن خمسة آلاف جنيه في العام . ومن اعظم رؤساء التحرير الذين تولوا ادارتها المستر دالين الذي تعين لهذا المركز الخطير وهو في الرابعة والعشرين من عمره وبقي يدير دفتها ستاً وثلاثين سنة

وقد كان للتيمس مراسل في باريس هو المسيو دوبلوتز الذي طبقت شهرته الآفاق فقد عرف ملوك العالم وعرفوه ولم يكن في اوربا سياسي او وزير ليس بينه وبين دوبلوتز صلة صداقة او معرفة على الاقل واكبر برهان على مقدرته انه بعث الى جريدته بصورة معاهدة برلين التي أبرمت عام ١٨٧٨ قبل ان علمت بها حكومات اوربا بثمان واربعين ساعة . وكان يرسل الى جريدته كل يوم رسالة برقية ولكي لا تتأخر تلك الرسالة عن ميعادها استأجر سلكاً تلغرافياً خصوصياً بين لندن وباريس من الساعة السادسة الى الساعة الثامنة من مساء كل يوم . وكان راتبه على ما يقال عشرة آلاف جنيه في العام وكان يلقب بسفير التيمس في باريس

واخيراً لا ارى وصفاً للتيمس اوقع مما قاله احد اعضاء مجلس الاعيان في ذلك المجلس عند بلوغ التيمس مئة عام من عمرها وهو : ان اردت ان اترك للاجيال المقبلة دليلاً على عظمة بلادنا وما وصلت اليه من المجد لا اترك لها اساطيلنا ولا دور العلم عندنا ولا مصانعنا وتجارتنا ولا برلماننا هذا بل اترك لها مجموعة اعداد التيمس في المئة العام الماضية

(في الهلال القادم تتمة الكلام عن سائر الصحف الانكليزية)

السؤال والاقتراح

(١) لا ننشر في هذا الباب الا الاسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القراء فقد نغفل الرد على بعض الاسئلة اما لكونها خصوصية لا تفيد الا أصحابها أو لكوننا قد أجبنا عليها في بعض الاعداد الماضية (٢) نظراً لكثرة الاسئلة التي ترد الينا قد نضطر الى تأجيل الرد على بعضها فنلتمس من السائلين عذراً في هذه الحال (٣) ينبغي ان تذكر في الاسئلة أسماء مرسليها . على انه يجوز الرمز الى اسم السائل باحرف أو بكلمة عند النشر

بنو هلال و بنو سليم

﴿ القاهرة ﴾ رشيد افندي موسى زلوم

أرجو ان تتكرموا بالاجابة على الاسئلة الآتية : من هم بنو هلال وبنو سليم المذكورون في كتب القصص وماهو تاريخهم الحقيقي ؟ ومن هم ابطالهم وهل لذلك أصل وفي أي كتاب جاء ذكرهم بخلاف سيرة بني هلال التي أعتقد أنها خرافية ؟

﴿ الهلال ﴾ بنو هلال وبنو سليم بطنان من مضر من العدنانية كانوا حتى عصر الدولة الفاطمية لا يزالون أحياء ناجعة أهل بادية محلاتهم وراء الحجاز مما يلي نجد : فبنو سليم من جهة المدينة ، وبنو هلال من جبل غزوان عند الطائف . فكانوا يطوفون رحلة الشتاء والصيف أطراف العراق والشام فيغيرون على الضواحي ويفسدون السابلة وربما أغار بنو سليم على الحاج أيام الموسم بمكة وأيام الزيارة بالمدينة . ثم ظهر القرامطة فتحيز بنو سليم لهم وعاثوا في البلاد وقد عجز الخلفاء العباسيون عن قمعهم فلما أفضت خلافة مصر الى العزيز بالله الفاطمي كان القرامطة قد تغلبوا على الشام فانتزعها العزيز منهم وردهم الى قراهم في البحرين ونقل أشياعهم من بني هلال وسليم وأنزلهم بالصعيد في العدوة الشرقية من بحر النيل فاقاموا هناك وكان لهم اضرار في البلاد والخلفاء يدارونهم ويبحثون عن وسيلة يتخلصون بها منهم ، فاتفق بعد سنين ان المعز بن باديس عامل الفاطميين على افريقيا شق عصا الطاعة لاسباب يطول شرحها وبايع للدولة العباسية وقطع اسم الخليفة الفاطمي من الخطبة والطراز والاعلام واتخذ الرايات السود (شارة) العباسيين فعظم الامر على الخليفة الفاطمي بالقاهرة وهو يومئذ المنتصر بالله فاشار عليه وزيره الحسن بن علي ان يقرب اليه أحياء هلال

وسليم المذكورين ويصطنع مشايخهم ويوليهم اعمال افريقيا ويرسلهم لتولي امورها فاذا فازوا كانت احدى الحسنيين والا فانه تخلص منهم وتكون مصر قد نجت من شرورهم . فانفذ الخليفة المستنصر وزيره الى هذه الاحياء في الصعيد سنة ٤٤١ هـ فاجزل لهم العطاء وحرضهم على الذهاب الى افريقيا وبذل لكل منهم بعيراً وديناراً وقال لهم « قد أعطيناكم المغرب وملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الآبق » وكتب الى اهل المغرب « أما بعد فقد أنفذنا اليكم خيولاً فحولا وأرسلنا عليكم رجالاً كهولا ليقضي الله أمراً كان مفعولاً » . ففرحوا وجازوا النيل وساروا الى برقة ففتحوها ونزلوا بها وافتتحوا سائر امصارها واستباحوها وكتبوا لاخوانهم بمصر يرغبونهم في الغزو فجاءوا وتقارعوا على البلاد كالجراد المنتشر لا يمرون على شيء الا أتوا عليه حتى وصلوا افريقيا سنة ٤٤٣ فخاف المعز كثرتهم وحشد جيوشه لحربهم فحصلت بينهما واقعة خارج القيروان انكسر فيها المعز وفرّ الى القيروان ونهب العرب معسكره وقتلوا من رجاله جمعاً كثيراً ثم حاصروه في القيروان وغلبوه واقتسموا البلاد ثانية فكان لهلال من تونس الى المغرب . وما زالوا يحاربون زناتة وصنهاجة هناك حتى أخرجوا المغرب كله من ايديهم وأذلوا اهله واستعبدوهم وعظم البلاء

ومن بطون هلال أقامت هناك رياح وزغبة والمعقل وقره وجشم والأثبج وغيرها واشهر من تلك القبائل في الحروب المتقدم ذكرها رجالات مذكورون وابطال كان من اشرافهم حسان بن سرحان واخوه بدر وفضل بن ناهض وينسبون الى دريد بن الأثبج وماضي بن مقرب ونيونة بن قرّة ، وسلامة بن رزق وهو ابو زيد الهلالي صاحب القصة المشهورة التي هذا هو اصلها التاريخي ، وهو من بني كبير من بطون كرفة بن الأثبج . ومن ابطالهم ايضاً التاريخيين دياب بن غانم وغيره

فترون من ذلك ان هؤلاء الناس ليسوا خرافيين لوجود قصص لهم . أما الكتب التاريخية التي تكلمت عنهم فكثيرة اذ ذكرهم مستفيض في التاريخ واوثق من كتب عنهم وفصل أخبارهم ابن خلدون في تاريخه جزء ٦ ص ١٤ وما بعدها

تاريخ الطربوش

(القاهرة) منسّى افندي القمص تلميذ بالمدرسة الاكليريكية

كيف وجدت القبعة المصرية المسماة (الطربوش) معناها وتاريخها ومن أنشأها

وعمن اخذها المصريون وما هي الاحوال والاشكال التي طرأت على الطربوش حتى صار على شكله الحالي

﴿ الهلال ﴾ الطربوش لفظ فارسي وهو في اصله الفارسي « سربوش » مركب من لفظين : (سر) رأس و (بوش) غطاء ويراد به غطاء الرأس وهو المعنى المراد بالطربوش وقد ابدلت السين طاء بالاستعمال . اما تاريخ الطربوش فهو طويل تقلب فيه على احوال شتى قبل وصوله الى شكله الحالي ، واقدم من استعمل الطربوش هم الاتراك والارجح انهم اخذوه عن اليونان الخاضعين لهم فقد كانوا يلبسون شكلاً يشبهه ، الا انه في اول استعماله في دولة الاتراك كان يشبه التاج مثلث الشكل بلا عمامة حوله يلبسه الامراء والوزراء ويلبسون معه من الثياب ما يميز رتبة لابسه ، ويظهر انهم لفوا عليه العمامة بعدئذ واختاروا له اللون الاحمر ثم استعاضوا عن العمامة بكساء من الخيطان الخضراء كالشراريب تتعلق في قمته وترسل الى دائرة حتى تغطيه لمجرد الزينة ثم حسروا تلك الشراريب عن الجبهة لئلا تضايق اللابس وجعلوها سوداء فاصبحت الشراريب تحيط بالطربوش من كل جهاته الا الامام ، ثم ضموا الشرابة ضمة واحدة وهي الزر المعروف . وقد شاع استعمال الطربوش في بلاد الدولة العثمانية في ايام عبد الحميد فاصبح شعار الجهادية وكان شكله اسطوانياً ذي اربع زوايا هي أثر طياته وكان يعرف بالطربوش المغربي لانهم كانوا يستجلبونه من بلاد المغرب ولما شاع بين العامة كان بعضهم يلف حوله عمامة صغيرة أو كبيرة وله زر طويل ازرق اللون يرسل الى الوراء فوق العمامة ولا يزال هذا هو شكل العمامة حتى اليوم

فلما كانت ايام السلطان عبد العزيز صنعوا منه شكلاً مخروطاً مقطوع القمة سمي عزيزيًّا نسبة الى السلطان المذكور وهو الباقي الى الان . وقد لازم الطربوش العزيزي السترة والبنطلون الافرنجي كما لازم الطربوش المغربي السروال والكبران لباس العصر الماضي وكما لازمت العمامة الجبة والقفطان

ايليا التشبي

﴿ جوكانيبا . البرازيل ﴾ الياس أفندي المقري

ورد في سفر الملوك الاول الاصحاح السابع عشر عدد اول « وقال ايليا التشبي من

مستوطني جلعاد . . . » فما نسبه ومن أبوه وامه ؟

﴿ الهلال ﴾ لا يعرف ابوه وامه اذ لم يرد لهما ذكر

انواع الروايات التمثيلية

﴿ اسيوط ﴾ عبده افندي نجيب عوض

أرجو الافادة عن الاصطلاحات الفنية الآتية مع ذكر الاصل الذي اشتقت منه :

تراجيدي ، كوميدي ، دراما ، ميلودراما ، فودفيل

﴿ الهلال ﴾ كلمة دراما او درام Drame اعم هذه الكلمات اذ تطلق على الروايات التمثيلية اجمالا فيدخل في ذلك نوع المأساة او تراجيدي والنوع المجوني او كوميدي . على انها تطلق اليوم في الغالب على الروايات المختلطة أي التي تجمع بين النوعين . وهي مأخوذة عن كلمة يونانية معناها حكاية او قصة او تمثيل

اما التراجيدي Tragédie فتطلق على الروايات التمثيلية التي من شأنها تحريك عواطف الانسان بشدة وتمثيل الاخلاق السامية كالشجاعة والحب والمروءة والرأفة وغيرها . وهي مشتقة من كلمة يونانية الأصل تدل على الحزن

وأما الكوميدي Comédie فهي على عكس التراجيدي تمثل من الاخلاق والعادات والحوادث ما من شأنه الضحك والتسلية وترمي احياناً الى الانتقاد وهي مشتقة من كلمة يونانية تدل على الضحك

المليودراما Melodrame مؤلفة من كلمتين : كلمة Melo اليونانية ومعناها غناء وكلمة دراما المتقدمة وكان يراد بها قديماً روايات يتخللها شيء من الموسيقى . أما اليوم فيراد بها الروايات التمثيلية الكثيرة الحوادث الغريبة المواقف المظيمة التشويق مما يلذ للعامة ويؤثر في الجماهير

اما كلمة فودفيل Vaudeville فقد اختلفوا في ردها الى أصلها وأما الارجح انها محرفة عن كلمة Vaux-de-Vire التي كانت تطلق على اغانٍ مختلفة الاغراض وخصوصاً الاغاني التي ترمي الى التهكم والاستهزاء . وقد سميت هذه الاغاني بذلك الاسم لانها اشتهرت في مكان اسمه Val de Vire . اما اليوم فهي تطلق على الكوميدي الخفيفة الروح الكثيرة التلاعب التي لا يقصد منها درساً ولا انتقاداً

تاريخ الشهر

ميدان فلسطين

لم تقع حوادث خطيرة الشأن الى حين كتابة هذا . وكانت التلغرافات قد نقلت الينا سابقاً خبر ضرب بيروت في ٢٢ ابريل اذ دخلت سفينة حربية فرنسية من سفن الدورية ميناء بيروت المحصن عند الساعة السادسة صباحاً واطلقت ٢٤ قذيفة من مدافعها على مراكز العدو على الميناء ووجه اليها العدو نار مدافعه

أما البلاغات التي صدرت في هذه الاثناء فهي :

القاهرة السبت في ٥ مايو سنة ١٩١٧

لم يقع في ميدان فلسطين حادث ذو شأن يذكر من عهد صدور البلاغ السابق لهذا حتى الآن بل انقضت المدة التي عقبت تقدمنا الاخير في تعزيز المواقع والتأهب وقد وقعت في خلال هذه المدة معارك صغيرة كان الفوز فيها كلها لنا بلا استثناء وضايقت دورياتنا وجنودنا الراكبة الاعداء مضايقة مستمرة وكانت تأسر منهم الاسرى كل يوم في المعارك الصغيرة التي قاتلتهم فيها

وبلغ مجموع الاسرى الذين اسرناهم في شهر ابريل ٤٢٩ اسيراً

ونشطت طياراتنا نشاطاً عظيماً في استطلاع مواقع الاعداء وقذفت القنابل عليهم وعلى خطوط مواصلاتهم وضربت مدفعيتنا استحكاماتهم في غزة وضواحيها ضرباً محكماً واصابت مدافعهم غير مرة ونسفت اكواماً من ذخيرتهم

وفي يوم اول مايو انفجر مستودع ذخيرة من مستودعات ذخائرهم في جامع غزة الكبير او في جواره ودوى الانفجار دوياً عظيماً جداً وشعر بهزته على مسافة بعيدة ويخشى أن يكون الانفجار قد هدم الجامع

***

القاهرة الاربعاء في ١٦ مايو سنة ١٩١٧

لم يطرأ تغيير يذكر على الحالة في ميدان فلسطين في الفترة التي من اول مايو الحالي الى ١٠ منه

وقد دمرت قواتنا الخفيفة السريعة السكة الحديدية والكباري والآبار والصهاريج التي انشأها الاعداء في العوجا وبيرين وقسيمه في الادوار الاولى من حملتهم

وواصلت مدفعياتنا وطياراتنا ضرب الاعداء في استحكاماتهم وخطوط مواصلاتهم أسرت كشافاتنا ثمانين اسيراً او اكثر في النصف الاول من شهر مايو الحالي

***

مصر الاثنين في ٢٨ مايو

ذكرنا في بلاغ سابق بتاريخ ١٦ مايو ان العدو انشأ في ادوار الحرب الاولى سكة حديد من بير سبع فالعصلوج فالعوجا الى القسيمة فلما زحف جنودنا الى فلسطين اكره العدو على التخلي عن الجزء الجنوبي من هذا الخط فاقتلع القسم الذي بين العوجا والقسيمة وأخذ يحاول سد حاجته الى مهمات سكة الحديد بنقل القضبان والفلنكات من هذا الجزء لينشئ بها خطوطاً حربية وراء موقعه في غزة . أما الخط بين بئر سبع والعوجا فظل سليماً ولو بقي لكان من المحتمل ان يستعين العدو به ليحشد الجنود على جناح السرعة على ميمنتنا في منطقة العوجا

فاستقر القرار على منع العدو من الانتفاع بهذا الخط. ولهذا الغرض قامت جنودنا الراكبة بحركات حربية على جانب عظيم من الاهمية يوم ٢٣ مايو فخرجت كتيبتان من جنودنا المذكورة من مواقعها مساء ٢٢ مايو وبلغت المواقع التي قصدتها في صباح ٢٣ مايو وكانت الكتيبة الجنوبية مؤلفة من جنود الهجانة الامبراطورية وعهد اليها في تخريب الخط الممتد من العوجا الى الشمال . وكانت الكتيبة الشمالية مؤلفة من رماة نيوزيلندا الراكبين فعهد اليها في مثل هذه المهمة من العوجا الى الجنوب اي ان الكتيبتين كانتا تسيران الواحدة نحو الاخرى وتمكنتا في أثناء النهار من تدمير خط سكة الحديد تدميراً تاماً فنسفتا جميع الكباري وبينها ثلاثة في كل كبري منها ٢٤ قنطرة وحطمتا جميع القضبان والمسامير والفلنكات ولم تتركا سوى جزء صغير بين الاقسام التي خربتها كل كتيبة من الكتيبتين وهذا الجزء يفصله عن الشمال اكثر من ستة اميال عن الخط المخرب

وكان يستر هاتين الكتيبتين في اعمالهما قوة من فرساننا ظهرت امام بير سبع عند فجر يوم ٢٣ مايو واحتلت آكاماً غربيها وعلى بعد اربعة اميال منها ومن هناك اطلقت القنابل على الكبري الكبير الواقع الى الشمال الغربي من بئر سبع وعلى بعد خمسة اميال منها

فدمرته وفصلت بير سبع عما يليها من الشمال فانقطعت مواصلاتها بالسكة الحديدية

ولم يلق جنودنا مقاومة تذكر من العثمانيين والظاهر انهم اخذوا على غرة بهذه المفاجأة وتغلب جنودنا في الحال على فصائل صغيرة من رجال السكة الحديدية العثمانيين المسلحين فقتلوا جانباً منهم واسروا الباقين

وبلغ طول الخط الذي خربه جنودنا ١٥ ميلا ودمروا جميع الكباري والبرابخ وهي تزيد على ثلاثين

وعادت كتائبنا جميعاً سالمة الى قواعدها من غير أن تصاب بأقل خسارة بعد ما قطعت ٧٠ ميلا في ليلتين وقضت ساعات النهار في أعمال التدمير والاستطلاع

شذرات

لدى المستر لنسنغ وزير الخارجية الاميركية نسخة من الكتاب المقدس فريدة في بابها اهدتها اليه امرأته وما برح منذ قرانه يعلق عليها الحواشي والمذكرات ويرسم عليها الصور والخرط حتى أصبحت اليوم ولا صفحة منها خالية من زيادات كثيرة . على ان الوزير بارع في الرسم والخط ولذا فترى تعليقاته ورسومه واضحة نظيفة يمكن حفرها وطبعها بلا تغيير فيها . ويعد المستر لنسنغ في مقدمة الضليعين في كل ما يتعلق بالكتاب المقدس فانه ما برح منذ حداثته يكرس نصف ساعة كل يوم لقراءته ودرسه

* * *

اسم سارة برنار الحقيقي روزين برنار ، ولدت في باريس ، أبوها فرنسي وأمها ولدت في هولندا ، وهي اسرائيلية الاصل ، وربيت في دير ، وتزوجت يونانياً اسمه جاك داملا . وقد مثلت في حياتها أكثر من ١٥٠ دوراً وعمرها اليوم ٧٢ سنة ولها ولد واحد

* * *

اعترف اديسن المخترع الاميركي الشهير ان التربية الوحيدة التي نالها في حداثته كانت تربية أمه له . وقد بدأ في الثانية عشرة من عمره يبيع الجرائد وكان يسرق الحمص من عربات السكة الحديدية

* * *

العائلة والمنزل

كيف نعيش — ٩

وصايا صحية اقرّها معهد اطالة الحياة بأميركا

٣ — الحوائل دون الصحة

لا يكفي ان يعرف الانسان كيف ينبغي له ان يعيش . فبئس العلم غير المقرون بالعمل . قال مودي الواعظ الشهير : « ركبت مرة قطاراً غير الذي كنت أريده فنبهني أحدهم الى ذلك فعلمت خطأي . على اني لم استفد من علمي هذا الا لما أخذت حوائجي وانتقلت بها الى القطار المطلوب » . ان كثيرين من الناس يخصون طريق الصحة على علم منهم بخطأهم ، حتى المستنيرين تراهم يسيئون الى صحتهم لاعن جهل بل عن اهمال . فقد تمكنت من الناس العادات المضرة بالصحة ولا سيما اهل المدن حتى أصبح الاقلاع عنها يستدعي ارادة قوية . وقلما يبدأ الواحد منا بالسير على الطرق الصحية المقررة ما لم يصب بداء عضال أو بانذار شديد يمثل له نتيجة اهماله

ويعتقد الانسان في الغالب متى كان متمتعاً بصحته انه ليس في حاجة الى التقيد بالقواعد الصحية فيقيم الادلة والبراهين المبررة لقعوده عنها . فمن ذلك ان العمل بتلك القواعد يستدعي نفقة لا يستهان بها ، فهي في نظره من الكماليات التي لا ينالها الا الغني . لا ريب في ان الثروة تسهل للانسان أمر العناية بصحته — هذا اذا عرف كيف يستخدمها — ولكن القواعد الجوهرية للصحة سهلة المنال لكل من يبتغيها

ودون الفقراء حائلان رئيسيان يمنعانهم عن الصحة التامة وهما : المسكن غير الصحي والعمل غير الصحي . اذ لا ريب في ان الملايين من البشر متخلفون في هذا المضمار . على انهم مع ذلك يستطيعون تحسين حالهم من هذين القبيلين اذا وجهوا عنايتهم الى أمر صحتهم وفي مقدمة ذلك الاكثار من النوافذ الجالبة للهواء النقي في المسكن وفي المصنع . وقد خطا الاوربيون في هذا المضمار خطى واسعة فترى العمال اليوم يفقهون معنى المعيشة الصحية ولهم منازل في الخلاء يتعاونون مع اصحاب المعامل والجمعيات

الخيرية على بنائها واستئجارها . وقد علم رؤساؤهم بالاختبار ان مصلحتهم — فضلا عن واجبهم الانساني — تقضي عليهم بان يكون عمالهم متمتعين بالصحة الجيدة

واذا أخرجنا مسألتي المسكن والمصنع فقليلون جداً هم الذين يحول فقرهم دون استخدامهم للوسائل الصحية . فان الصحة من النعم التي تنال بمجرد طلبها . فمعظم الناس يستطيعون ان يناموا في الهواء الطلق أو على الاقل يستطيعون تهوية أماكن نومهم ، ويستطيعون التنفس تنفساً عميقاً . كذلك لا يتكلف الانسان شيئاً اذا وقف وجلس ومشي وهو مستقيم الجسم . وقس على ذلك سائر الطرائق الصحية التي اسلفنا الكلام عنها كالامتناع عن المشروبات الروحية والتبغ والاعتدال في المأكل ومضغ الطعام الخ

ثم ان الطعام الصحي ميسور لكل انسان فالاطعمة الرخيصة الثمن تحوي جميع العناصر المطلوبة للتغذية بل قد وجدوا ان قيمة اللحم والبيض وما شاكل ذلك باهظة بالنسبة الى العناصر المغذية فيها . فاذا قابلنا مثلا الخبز وهو من ارخص الاصناف بالمحار وهو من اغلاها وجدنا ان سعر هذا الاخير خمسون ضعف سعر الاول وذلك لمقدار معين من الغذاء

ان معظم قواعد الصحة لا يكلف حفظها شيئاً . على انه اذا انفق الانسان مالاً في سبيل صحته فانه يعوض عن نفقته اضعاف مقدارها . وخير أن يبذل الانسان ماله في ما يقيه الامراض من بذله في معالجتها . والجملة ان من يمتنع عن الوسائل الصحية بحجة الاقتصاد فهو على قول المثل الانكليزي « حكيم في الدراهم ومجنون في القناطير »

ويتذرع الكثيرون من اصحاب الاعمال ايضاً بان وقتهم يحول دون انتجاعهم المسلك الصحي كأنهم يستكثرون بذل ساعة من يومهم في سبيل صحتهم على اعتقاد ان اشتغالهم تلك الساعة يزيد في دخلهم . ولسنا نقصد بهذا القول اولئك الذين تحكم عليهم قوانين عملهم بالتقيد زمناً معيناً من النهار وانما نريد اصحاب الاعمال الحرة . والغريب ان المستقلين في العمل هم في الغالب الذين يحملون انفسهم فوق طاقتها . ولا ريب في ان الانسان موهوم فيما يكسبه من جراء عمله فوق ما يحتمل . فانما هو خاسر ، بل ان الرياضة تكسب الانسان نشاطاً جسدياً وعقلياً فتزيد مقدرته على العمل . فان العقل كالموسى يحتاج الى الشحذ في كل يوم . بل ان العقل البشري

أشبه شيء بالآلة الميكانيكية التي لا بد من توقيفها عن العمل بين حين وحين لتزييتها وتنظيفها وتصليحها

وهناك فريق من الناس يتذرعون بما تستدعيه الرياضة البدنية والمعيشة الصحية من المشقة والاهتمام . نعم ان الاقلاع عن العادات غير الصحية يكلف شيئاً من المشقة اذ ان تغيير العادة يستدعي دائماً بعض الجهد . ولكن كل عمل مفيد لا يقوم الا بالارادة والعزم ومتى سلك الانسان مسلكاً صحياً وثابر عليه وجد ان العادات الصحية لا تقل سهولة عن العادات غير الصحية .

والخلاصة أن السير على القواعد الصحية ليس تقييداً للانسان بل تحريراً له . فان تلك القواعد طبيعية وليست صناعية سهلة وليست صعبة بسيطة وليست مركبة

٤ — مجال الصحة

لا ريب ان الفريق الاكبر من الناس لا يقدرون ما يقف على العمل بالقواعد الصحية من السعادة وما يمنع بها من الآلام والوفيات المبكرة . ولعل بعض الاحصاءات تبين مجال الصحة وما ينجم عنها

ثبت من بعض التقارير الموثوق بها ان في الولايات المتحدة وحدها يمكن منع ٦٠٠٠٠٠ وفاة كل يوم لو عمل الناس بالقواعد الصحية ، وان نصف الثلاثة الملايين من الاسرّة المخصصة للمرضى فيها يمكن الاستغناء عنها على اقل تقدير ، وان الخسارة المالية من التعطيل الناشئ عن المرض أو الموت يقدر بلا اقل من ٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه في السنة ، وان معدل عمر الفرد ينقص ١٥ سنة عما ينبغي أن يكون

ان امراضاً كثيرة تدخل على الانسان وهو لا يدري بها فلا تلبث ان تثبت فيه الى أن تتأصل فيتعذر قلعها . وقد وجد معهد اطالة الحياة باميركا بين موظفي المصارف والمحلات التجارية ممن معدل عمرهم ٢٧ سنة ان واحداً في المئة فقط خال من بعض الامراض أو العادات غير الصحية وان ٨٩ في المئة لا يدرون ما بهم من العلل الكامنة

لقد أصبح النزر اليسير من الناس في المدن يبلغون الاربعين وهم حافظون جسمهم وصحتهم . وقلما تجد انساناً لا يشكو من صداع او سمنة او ارق او فقر دم او اختلال في القلب او علة في الصدر او او . . وقد تكون تلك العلل خفيفة فلا يحفل بها صاحبها ولكنه اذا عبث بها طويلا ولم يصغ لنذير الطبيعة لا يلبث ان تشتد وتتأصل فيه . فان قوانين الصحة صارمة كقوانين الطبيعة لا تعرف نقضاً ولا ابراماً

ان بين الناس اختلافات شديدة من حيث قوة المقاومة فبهم فبينا البعض يتعذر عليهم صعود سلم ترى آخرين يتسلقون أعلى الجبال من غير ان يشعروا بتعب . على ان بعض الاقوياء يستهزئون بقوانين الصحة ظناً منهم أنها للضعفاء وليست لهم . والحقيقة أنها للجميع وان لم تظهر عواقب اهمالها بنفس السرعة . بل قد يموت القوي البنية مبكراً اذا اهمل قوانين الصحة في حين ان الضعيف النحيف يعمر طويلا بفضل محافظته عليها

عجائب المخلوقات

قرود غريبة

نشرنا في هذا الجزء صور ثلاثة أنواع من القرود الغريبة وانا ذاكرون في يلي كلمة عن كل منها :

أولها الساكي (ازاء صفحة ٧٨٤) وهو قرد غليظ المنظر ابيض الوجه يقطن اميركا الجنوبية . وجسم هذا القرد أسود ما عدا وجهه فانه ابيض . والحدود الفاصلة بين البياض والسواد واضحة كل الوضوح بحيث يتبادر الى ذهن الناظر اليه لاول مرة ان وجهه مصبوغ او انه لابس وجهاً مصنوعاً كوجه المساخر. ومع ان منظره منفر فهذا القرد مشهور برقته ولطفه وخلوده الى السكينة

أما «الاي - أي» المنشورة صورته ازاء صفحة ٧٨٥ فليس في شكله الخارجي ما يدل على انه من فصيلة القرود . وهو لا يوجد الا في جزيرة مدغسكر الفرنسية في المحيط الهندي . وقد قام على هذا الحيوان خلاف طويل بين العلماء . فكان يظن في الاول انه من الحيوانات القارضة لمشابهة اسنانه لاسنانها . ولكن بعد الفحص وجدوا ان اسنان الافراخ تختلف عن أسنان الافراد الذين اكتمل نموهم . ثم وجدت اوجه شبه تشريحية كثيرة اثبتت نسب «الاي - اي» الى القرود بالرغم من الفرق في الشكل الخارجي

انتشار الديموقراطية
في العالم

« الديموقراطية هي الاعتقاد ان مسراتنا
تتضاعف بالمشاركة »

لقد تطورت مجاري الحرب في السنوات الثلاث الماضية وتبدلت اغراضها غير مرة من حيث التجارة والصناعة والفتح والاستعمار الخ . على انها قد بلغت اليوم دوراً لم يبق معه مجال للشك في ان اعظم اثر تخلفه هذه العاصفة انما يلحق تكوين الحكومات ونظمها الداخلية . فقد تقدمت الشعوب في هذه الاثناء شوطاً بعيداً في سبيل الحكم الديموقراطي حتى ان روسيا التي ما برحت مثالاً للدول الرجعية قد انتهجت ذلك المنهج وانتزعت زمامها من ايدي فئة المستأثرين وسلمته الى ممثلي الشعب ونوابه

ويرى كثيرون من السياسيين انه لا مناص لالمانيا وحليفاتها ايضاً من التحول وفقاً لتحول العالم من هذا القبيل . والادلة كثيرة على تزعزع أركان الحكم الاستبدادي فيها . قال اخيراً احد ممثلي الحكومة الفرنسية في الولايات المتحدة : « انه في استطاعتنا رد الالمان الى حدودهم متى شئنا ولكن ذلك يكلفنا مليون نفس وهو ثمن باهظ لا ندفعه الا اذا لم نرَ بداً منه . على اننا لسنا بمضطرين الى ذلك وانما يكفينا ان نضيق الخناق على المانيا الى ان يدرك الشعب الالماني ان المصائب التي حلت به قد تأتت عن استبدد حكامه فيثور عليهم — وحينئذٍ تنتهي الحرب بانتهاء نظام الحكومة الالمانية الحاضر . وبعبارة أخرى ان مسئلة نهاية الحرب هي مسئلة تتعلق بسياسة المانيا الداخلية »

اجل . ان نتائج الحرب الاقتصادية والمالية والصناعية ضئيلة بجانب التحوّل السياسي الذي طرأ على حياة الشعوب . فقد عجلت الحرب تقدمها نحو الحكم الديموقراطي . وسوف يقوم على الاشلاء المكدسة والانقاض المتراكمة عالم جديد مبني على احترام الحقوق شعاره « الفرد خادم المجموع »

أنواع الحكومة

اتفق الكتاب في علم السياسة منذ زمن ارسطو على تقسيم الحكومات الى ثلاثة أنواع رئيسية : فاما ان يحكم الشعب رجل واحد أو ان يحكمه نفر قليل بالنسبة الى مجموعه أو ان يحكمه جماعة كثيرون بالنسبة الى ذلك المجموع

فحكم الفرد يسمى ملكية Monarchy

وحكم النفر القليل يسمى ارستوقراطية Aristocracy

وحكم الجماعة يسمى ديموقراطية Democracy

على ان ارسطو قد قسم كلا من هذه الانواع الثلاثة الى قسمين : الحكم الصالح والحكم الباطل . فيكون الحكم صالحاً — سواء كان حكم فرد أو نفر أو جماعة — متى عني بمصلحة المحكومين عناية حقة ، ويكون باطلاً متى آل الى استئثار الحاكم أو الحكام بالسلطة والمنفعة

ما هي الديموقراطية

ولا بد هنا من الاشارة الى فرق جوهري بين الديموقراطية عند اليونان والديموقراطية في الدول الحديثة . فقد كانت مدن اليونان مستقلة تحكم نفسها كأن كل مدينة دولة قائمة بذاتها . وقد امتاز هذا النظام بان اهل المدينة كانوا يجتمعون في أوقات معينة لينظروا في شؤونهم العامة فيتولونها مباشرة . أما اليوم فالحكم الديموقراطي انما يقوم « بالانابة » فلئن صح في المدن الصغيرة ان ينظر الشعب في اموره مباشرة فذلك لا يتيسر في الدول الحديثة الكبيرة ولا بد من مجالس نيابية يجتمع فيها نواب الشعب ويسنون القوانين بالنيابة عنه

والحكم الديموقراطي مؤسس على المساواة ازاء القانون ولا امتياز فيه لاحد الا ما يخوله المجموع للقيام بمهام تقتضيها المصلحة العامة . وتلك الوظائف الممتازة مباحة للجميع على شرط الحصول على الاهلية المطلوبة لها . وبعبارة أخرى ليس في الشعوب الديموقراطية فئة « حاكمة » بطبيعتها محتكرة السلطة وانما

السلطة الحقيقية في يد الشعب يمنحها من يشاء

والواجب الاول على الديموقراطية رفع المستوى العقلي والمساواة بقدر الامكان بين الناس من حيث التمتع بخيرات هذا العالم . وعلى ذلك فتنحصر اغراض الحكم الديموقراطي في بابين رئيسيين :

(١) نشر التعليم والتهذيب

(٢) احكام التعاون والتعاضد لازالة ما بين الافراد من الفروقات

تقدم العالم نحو الحكم الديموقراطي

ويجدر بنا الآن ان نبين كيف نشأ الحكم الديموقراطي في العالم الحديث وكيف امتد سلطانه حتى كاد يعم جميع البلاد المتمدنة

وضع اول حجر لبناء الديموقراطية الحديثة سنة ١٢١٥ اذ منح الملك يوحنا الامة الانكليزية الوثيقة الموسومة « بمغنا كارتا » أي المنشور الاعظم . والحقيقة ان هذا المنشور لم يختلف كثيراً عن منشورات الملوك السابقين ولكن اهميته زادت فيما بعد واصبح يجسم في اعين الانكليز الحرية المقدسة التي ينشدونها

وكان الحجر الثاني للديموقراطية الاوربيـة موقعة مورغارتن في سويسرا (سنة ١٣١٥) التي نال بها السويسريون حريتهم وتخلصوا من استبداد آل هبسبورغ

وبعد هذه الموقعة بجيل اي سنة ١٣٤٧ نالت هولندا ايضاً استقلالها

تلك كانت بذور الحركة الديموقراطية العظيمة التي ما برحت تنمو بالرغم من العقبات والعثرات التي أقامها الاستبداد في سبيلها

واذا نظر القارئ الى الخريطة المنشورة في الصفحة التاليـة يرى اوربا غارقة في ظلام الاستبداد الا بقعاً صغيرة ناصعة البياض وهي التي ولدت فيهـا الحرية الاوربية ونشأ الحكم الدستوري النيابي وهي : انكلترا وسويسرا وهولندا وقد تقدم ذكرها ، وبعض المدن الايطالية التجارية ، وشمالي اسبانيا ، وبعض المدن الالمانية الحرة وهي المعروفة بالمعاقدة الهانزية Hanseatic League واهمها همبورغ وبريمن ولوبك



فجر الديموقراطية

البقع البيضاء هي مبعث الحرية في العالم

على ان معظم هذه المدن والمقاطعات ما برحت ان انطفأ فيها نور الحرية الضعيف فسقطت ثانية في ايدي المستبدين وظلت مظلومة الى القرن الماضي — ولم يبق للحرية مقر في اوربا الا انكلترا وسويسرا وهولندا

ثم جاءت الثورة الاميركية وتلتها زوبعة الثورة الفرنسية فتزعزعت العروش وخاف الملوك على سلطانهم ولكن الزوبعة لم تلبث ان همدت . وماجاءت سنة ١٨١٥ حتى خيم الاستبداد على سماء اوربا ثانية بعد سقوط نبوليون ونفيه الى جزيرة القديسة هيلانة اذ اصبحت اوربا تحت نفوذ « الاتحاد المقدس » المؤلف من قيصر روسيا وامبراطور النمسا وملك بروسيا وملك فرنسا، وغايته اخماد كل حركة يشتم منها رائحة الحرية

على ان التعطش الى الحرية كان كامناً في الصدور والغريب ان اول الامم التي أظهرت رغبتها في الحرية في القرن الماضي كانت الدول البلقانية وفي مقدمتها اليونان فرومانيا سنة ١٨٢١

واخذت الحركات الديموقراطية بعد ذلك تمتد وتنتشر في العالم انتشاراً مطرداً مما يطول بنا تفصيله وهو مشهور لكل مطلع على تاريخ القرن الماضي . وقد كانت الدول الاوربية عند نشوب الحرب مقسومة الى قسمين : دول ديموقراطية المذهب لا تجيز شهر الحرب الا بامر الشعب، ودول استبدادية النزعة لرؤسائها القول الفصل في الشؤون الحربية . أما القسم الاخير فقد كان مؤلفاً من اربع دول وهي روسيا والمانيا والنمسا وتركيا ولكن روسيا قد خرجت اخيراً من هذا الصف ودخلت في صف الدول الديموقراطية

واذا رجع القارىء الى الخريطة المنشورة في صدر هذا الهلال تبين له مقدار ما بلغته الديموقراطية من الانتشار : فالجهات البيضاء هي تلك التي لها حكومات مسؤولة عن اعمالها أمام الشعب وبعكسها الجهات السوداء . أما الجهات ذات الخطوط المتقاطعة فهي المستعمرات والحمايات التابعة لبعض الدول

فيتبين من ذلك ان العصر القادم هو عصر الديموقراطية — اي حكم الشعب للشعب . على ان للديموقراطية اخطاراً كما لسائر انواع الحكومة اذ قد تستعيض عن استبداد الفرد باستبداد الجماهير . ولكن اختبار الدول المتقدمة في الرقي السياسي يؤمل ان يتلافى العالم تلك الاخطار

كرم ماسح الاحذية

يؤثر عن بادرسكي الموسيقي البولوني الشهير (وهو معروف بانه يرخي شعره) انه كان يوماً في احدى ضواحي بوستن باميركا واذا بماسح احذية يعرض عليه خدمته فنظر بادرسكي الى وجهه فوجده قذراً فقال له :

— لا . لا اريد مسح حذائي ولكنك اذا غسلت وجهك اعطيتك ربع ريال

فاستحسن الحدث الاقتراح وذهب في الحال فغسل وجهه وعاد الى الموسيقي فسلمه ربع الريال . ولكن الحدث ما لبث ان اعاده اليه قائلاً :

— لا يا سيدي الافضل ان تأخذه انت لتقص به شعرك الطويل

صفحات غريبة من التاريخ الاسلامي

صور من حياة المسلمين إبان تمدينهم

الجوامع

بنى العرب الفاتحون المسجد مجرداً عن كل زينة فجعلوا حوشه متسعاً وصحنه رحباً للاجتماعات العمومية والسياسية فضلاً عن الاجتماعات الدينية واروقته تشبه المدارس الاغريقية القديمة فكان أحسن مثال للعظمة البسيطة

لم تكن وظيفة الجامع قاصرة على اقامة الصلاة فيه بل كان له وظائف هامة أخرى ومنافع جليلة سامية استفاد منها المسلمون ايما فائدة على أختلاف العصور والازمنة كما سترى فيما يأتي :

فاول وظائف الجامع ان المسلمين استعملوه في صدر الاسلام مكاناً للصلاة ثم للجيش ينزل فيه ثم لبيت المال ودار الضرب وها هو جامع عمرو احسن مثال لذلك . فقد روى المقريزي ان « بيت المال الذي في علو الفوارة بالجامع بناه اسامة بن زيد التوخي متولي الخراج بمصر سنة ٩٧ في ايام سليمان بن عبد الملك وامير مصر يومئذ عبد الملك بن رفاعة الفهمي وكان مال المسلمين فيه » وقال : « وفي سنة ٣٧٨ امر العزيز بعمل الفوّارة تحت قبة بيت المال فعملت » الى ان قال : « ان ابا عمرو الحارث لما ولي القضاء من قبل المتوكل على الله سنة ٢٣٧ امر ببناء الرحبة الملاصقة لدار الضرب ليتّسع الناس بها . . . . ثم زاد فيه (اي في الجامع) ابو بكر محمد بن عبد الله الخازن رواقاً واحداً من دار الضرب وهو الرواق ذو المحراب والشبا كين المتصل برحبة الحارث الخ [1] »

ثم توسعوا في منافع الجامع ووظائفه فجعلوه مكاناً يدرس فيه العلم والدين ويعلم فيه صبيان المسلمين قبل ان ينشئوا المدارس كما كان الحال بالجامع الازهر ولا يزال وجعلوا فيه الكتب على انواعها . قال المقريزي عند كلامه على جامع الحاكم ص ٢٧٨ ج ٢ « وعمل فيه خزانة كتب جليلة وجعل فيه عدة متصدرين لتلقين

(١) مقريزي ج ٢ ص ٢٤٩ و ٢٥٠

القرآن الكريم وعدة قرّاء يتناوبون قراءة القرآن ومعلماً يقرئ ايتام المسلمين كتاب الله عز وجل وحفر فيه صهريجاً بصحن الجامع ليملأ في كل سنة من ماء النيل ويسبل منه الماء في كل يوم ويستقي منه الناس يوم الجمعة » وقال عن جامع المؤيد ص ٣٤٩ « ودخل (السلطان) خزانة الكتب التي عملت هناك وقد حمل اليها كتباً كثيرة في انواع العلوم كانت بقلعة الجبل وقدّم له ناصر الدين محمد البارزيّ كاتب السر خمسمائة مجلد قيمتها الف دينار فاقر ذلك بالخزانة »

وقد انشأوا بالجوامع الصيدليات وفيها الادوية والاشربة ورتبوا لها الاطباء وذلك قبل بنائهم المستشفيات والمارستانات فقد ذكر المقريزي ايضاً انه كان في جامع ابن طولون خزانة شراب فيها جميع الاشربة والادوية وعليها خدم وفيها طبيب الخ فكان في الجوامع دور الكتب (الكتبخانات) والصيدليات (الاجزاخانات) فضلا عن انها كانت ولا تزال ملجأ الضعفاء والفقراء من اهل العلم وغيرهم

وقد كان يقرأ على منابرها التي خصصت للوعظ والخطب الدينية مراسيم الملوك ومنشوراتهم السياسية على الاهلين والسجلات الخاصة بالانعامات مما هو خاص الان بالجرائد . ومن ذلك ما رواه المقريزي (ص ١٥ ج ٢) انه قرئ سجل على سائر المنابر بتلقيب القائد حسين بقائد القواد وخلع عليه

هذا ولم يقتصر الحال في وظائف الجوامع ومنافعها على ما تقدم بل قد استخدمت لحصون يلجأون اليها وقت الحاجة فشيدوها واسعة كبيرة تكتنفها الاسوار الضخمة الشامخة التي لا تعمل فيها المعاول والمنجنيقات وجعلوا فيها المزاغل لرمي العدو منها بسهامهم ونبالهم ونيرانهم كما احاطوا بعضها بالخنادق ، والمتأمل اليوم في الجوامع الأثرية العظيمة الباقية يرى كل ذلك

بل كثيراً ما استعملت الجوامع مكاناً لدفن العظماء والملوك فيها من مشيديها فكان يخصص في الجامع قبر لمشيده سواء كان ملكاً أو اميراً

هذا وقد استعمل المسجد في الصدر الاول من الاسلام سجناً للمجرمين . قال صاحب شفاء الغليل « ولم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم سجن وكان يحبس في المسجد أو في الدهليز حيث امكن فلما كان زمن سيدنا علي رضي الله عنه أحدث السجن وكان اول من احدثه في

الاسلام وسماه نافعاً ولم يكن حصناً فانفلت منه الناس فبنى آخر وسماه مخيّساً [١] »

فترى من كل ما تقدم ان الجوامع قد استعملت لاغراض شتى في عصور مختلفة من التاريخ الاسلامي فكانت مكاناً لنزول الجيش وبيت المال ودار الضرب وجعلوا فيها المدارس ودار الكتب والصيدليات والاشربة والاطباء كما كانت ملجأ الفقراء ومقابر العظماء وسجون المجرمين ومنابر السياسيين وحصون المتملكين والسلاطين ممن كانوا يتنافسون في انشائها ويبالغون في الاحتفال بافتتاحها وارصاد الاوقاف عليها

تقليد العظماء من الملوك

الناصر والعمارة

يقولون : « الناس على دين ملوكهم » لتشبههم بهم في أعمالهم وأفعالهم وجميع أحوالهم ومن أغرب الشواهد التي رواها التاريخ وتحقق صحة هذه الحكمة المأثورة والمثل الشائع ما روي عن الناصر محمد بن قلاوون وكثرة العمارة في عهده فقد كان محباً للعمارة كلفاً بها ناهمة في تشييد العمارات والمساجد والقصور فعمّر عدة أماكن وجوامع وقصور ومناظر وترع وجسور وخلجان؛ منها جامع القلعة ومعظم أماكنها والقصر الابلق والمجرى الذي كان ينقل عليه الماء من النيل الى القلعة والميدان ومناظر الميدان على النيل وقناطر السباع على الخليج ومناظر سرياقوس والخانقاه وحفر الخليج الناصري بظاهر القاهرة والجامع الناصري وجامع القلعة والمدرسة الناصرية الخ . وهكذا كان حال أمرائه فقد تبعوه في محبة العمارة وقلدوه في انشائها وعلى الاخص في انشاء الجوامع : فالماس [٢] أحد مماليكه أنشأ جامعاً سمي باسمه وكذلك قوصون أنشأ جامعه المشهور والمارداني وآل ملك والفخر وايدمر الخطيري والتركاني وشيخو وابن عبد الظاهر [٣] وغيرهم ، فكل هؤلاء مماليكه وأمراؤه وكلهم أنشأوا الجوامع في عهده اقتداء به ، وكثر ذلك في زمانه حتى ان طباخه أنشأ جامعاً

---

(١) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٠٩

(٢) مما ذكره التاريخ عن هذا الامير الذي تقلب في أعلى وظائف الحكومة انه كان لا يعرف كلمة من العربية

(٣) تجد كلاماً مسهباً على جوامعهم في خطط مصر للمقريزي من ص ٣٠٧ الى ص ٣١٥ ج ٢

(سمي جامع الطباخ في باب اللوق) ودادته أنشأت جامعاً !! (سمي جامع الست حدق دادة الملك الناصر)

ملجأ للنساء المهجورات

أي عصر زاهر في التاريخ الاسلامي كثرت فيه الملاجىء على انواعها رحمة بالفقراء ومأوى للضعفاء والغرباء وغيرهم . وكانوا يسمون هذه الملاجىء « ربطاً » جمع رباط فمن أغرب هذه الربط او الملاجىء ذلك الملجأ الذي كان يسمى « برباط البغدادية » وهو الذي بنته السيدة تذكارباي خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس للشيخة الصالحة زينب المعروفة ببنت البغدادية فانزلتها به ومعها النساء الخيرات ، وكان به دائماً شيخة تعظ النساء وتفقههن

ومزية هذا الملجأ انه كانت تودع فيه النساء اللاتي طلقن او هجرن حتى يتزوجن او يرجعن الى ازواجهن صيانة لهن . وهذا هو نهاية المحافظة على الاعراض وناموس الآداب . وقد كان له قوانين في غاية العدل والشدة وبه مربيات مرشدات يؤدبن من خرج عنها فكان فيه من نهاية الضبط وغاية الاحتراز والمواظبة على وظائف العبادات ما لا نهاية له

المستشفيات والممرضات
في التمدين الاسلامي

ان ما يعرف اليوم بالمستشفى كان يعرف في عهد التمدين الاسلامي « بالمارستان » او « البيمارستان » وهي كلمة فارسية معناها مكان المرضى ، الا ان هذه الكلمة قد حرفها العوام اليوم الى « مُرستان » واطلقوها خاصة على مستشفى المجاذيب بعد ان كانت تطلق على جميع المستشفيات على انواعها

وقد كانت المستشفيات في الاسلام في غاية النظام يعالج فيها المرضى على اختلاف طوائفهم ونحلهم وامراضهم وفيها لكل مرض قاعة او قاعات خصوصية يطوفها الطبيب المختص بها وبين يديه المشارفون والقوّام لخدمة المرضى فيتفقد المرضى ويصف لهم الادوية ويكتب لكل مريض دواءه (١)

ولم تكن المستشفيات عندهم لمعالجة المرضى فقط بل كانت ايضاً تلقى فيها الدروس

---

(١) طبقات الاطباء لابن ابي صيبعة ص ١٥٥ ج ٢

في الطب والصيدلة وتمارس بها هاتان الصناعتان وكان بها الاطباء على اختلاف انواعهم عندهم ففيهم الجراحون والكحالون والمجبرون والفاصدون والاطباء الطبيعيون الخ .

قد نظن اليوم عند ما نرى ممرضات الصليب الاحمر وخدماتهن الجليلة في الحرب الحاضرة ان المرأة المسلمة لم تبلغ هذا الشأو ولم تعمل في تلك العصور الزاهية مثل هذه الخدمات النافعة او ان الحجاب قد حال بينها وبين ذلك . الا ان من يمعن النظر في مثل هذه الغوامض من التاريخ يرى عكس ذلك فقد كان في الاسلام ممرضات بالمعنى المعروف اليوم لخدمة المرضى وتضميد جروحهم والاعتناء بهم في المستشفيات وفي ساحات القتال

أما في المستشفيات فقد ذكر المقريزي انه كان في المارستان الكبير المنصوري ممرضات سماهن فراشات لخدمة المرضى قال « وجعل السلطان فيه فراشين من الرجال والنساء لخدمة المرضى وقرر لهم المعاليم » الخ . وردد ذكر ذلك غيره من المؤرخين الذين تكلموا على المارستانات كابن أبي أصيبعة في طبقات الاطباء وابن خلكان والقفطي وغيرهم . والمارستان المنصوري هذا لا تزال اثاره باقية الى الآن في شارع النحاسين

أما في ساحات القتال فمن يقرأ تاريخ الفتوحات الاسلامية وما تلاها من الحروب في صدر الاسلام يرى شأن المرأة العربية وما بلغته من الشأو البعيد في البسالة والفروسية وتحريض الرجال على الحرب واسعاف الجرحى والتفاني في ذلك مما يعجز القلم عن وصفه ، وقد حفظ التاريخ اسماء كثيرات منهن اشتهرن في ساحات الحرب برباطة الجأش والجرأة في انقاذ المصابين وصرعى القتال والمدافعة والمبارزة وعلى اجسامهن الدروع ، غير اللاتي حفظ اسماءهن وسيرهن ممن كن يطفن حومة الوغى اثناء القتال ليسقين الجرحى ويضمدن جراحهم وهن كثيرات ولا تزال هذه العادة باقية الى اليوم عند اهل البادية

وقد قرأنا في احدى المجلات الحديثة نموذجاً من كتاب « تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول (صلعم) من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية » وفيه ذكر ممرضة من النساء في العهد النبوي اسمها « رُفيدة » كانت تداوي جرحى الحرب وتحتسب بنفسها على من كان به ضيعة من المسلمين . فاين نساؤنا اليوم ، مسلمات القرن الرابع عشر ، ممن بلغن في المدنية الغاية القصوى ونبغن

في التفنن في الازياء و (المودات) وتلك النسوة العربيات ، أين هنَّ الان وهذه الاغراض الشريفة والخدمات الجليلة التي هي ابلغ عنوان للتمدين الحقيقي ، أي منزلة يضعن فيها انفسهن حينما يبصرون ممرضات الصليب الاحمر وتقع العين على العين وأي وجدان يشعرن به ؟

مستشفيات نقالة

هذا وقد كان في الدول الاسلامية من ضروب المارستانات مارستان نقال يحملونه على البغال او الجمال على نحو المستشفيات النقالة في دول اوربا وامريكا الآن ، وقد نص على ذلك ابن خلكان والقفطي فقد ذكر انه كان في معسكر السلطان محمود السلجوقي مارستان يحمله اربعون جملاً يستصحبه العسكر حيثما توجهوا [1]

لبس البياض والحداد

السواد هو عادة شعار الحداد والحزن عند اكثر الامم القديمة وفي الدول الاسلامية حتى ان بعض تلك الدول كدولة العباسيين قد اتخذته شعاراً رسمياً لها في ملابسها واعلامها وشعائرها الا ان من خلفهم في مصر من دول المماليك قد اتخذوا البياض شارة للحزن والحداد ، وهذه من اغرب العادات التي دخلت البلاد الاسلامية وذهبت بذهاب اصحابها ، فقد كان الامراء وكبار الدولة من المماليك يلبسون البياض عند وفاة الملوك والسلاطين منهم حزناً وحداداً عليهم . قال المقريزي : « واخرج الملك الصالح في تابوت وصلي عليه بعد صلاة الجمعة وسائر الامراء واهل الدولة قد لبسوا البياض حزناً عليه وقطع المماليك شعور رؤوسهم [2] الخ »

وهذه العادات شائعة اليوم في اماكن عديدة من الهند والشرق الاقصى

ع . عباده

(١) تراجم الحكماء وابن خلكان ص ٢٤٧ ج ١
(٢) المقريزي ص ٣٧٤ ج ٢

الدولة العثمانية

في لبنان وسورية

حكم اربعة قرون (١٥١٧ — ١٩١٦)

— ٨ —

﴿ صدى المسألة المصرية في لبنان وسورية ﴾ كان لتصرف الدول في حل المسألة المصرية على الوجه المتقدم تأثير شديد في الديار الشامية . فشرع عمال انكلترا في تحريض اللبنانيين على خلع طاعة محمد علي . وخاف ابراهيم باشا والامير بشير ان يفضي ذلك الى ما لا تحمد عقباه . فعمدا الى جمع الاسلحة منهم . فقاوموهما واضطرمت نار الفتن في انحاء شتى من البلاد . وتولى قيادة العصاة أبو سمرا غانم البكاسيني والشيخ فرنسيس ابو نادر الخازن وفريق من الامراء الشهابيين واللمعيين الذين كانوا ناقمين على الامير بشير وفي جملتهم الامير محمود سلمان والامير علي منصور الشهابيين . واجتاح عثمان باشا بلاد المتن وا كره اهلها على تسليم اسلحتهم . ونهج نهجه الامير خليل في كسروان فجار على اهلها وقبض على معظم زعماء الثوار ما عدا الشيخ ابو نادر الخازن حيث كان قد فرّ الى قبرص فنفاهم الامير بشير الى سنار بالسودان

﴿ جلاء ابراهيم باشا عن سورية ﴾ اما محمد علي فلم يذعن لمشيئة الدول المتحدة وطرد سفراءها من قصره يوم اتوا لتبليغه قرار المؤتمر . ولما ايقن بعد سقوط وزارة تيارس ان فرنسا مرغمة على التخلي عنه كانت بوارج الدول تطلق قنابل مدافعها على ثغور سورية وقـد انزلت الى البر عشرة آلاف مقاتل من الانكليز والاتراك فوزعوا الاسلحة على العصاة فاشتد ساعدهم واستأنفوا القتال فاستظهر ابو سمرا البكاسيني على الامير مجيـد شهاب ثم كسر الجيش المصري في عيناتا شرّ كسرة . ودهم الكسروانيون عثمان باشا والامير خليل شهاب في وطا الجوز . وظلت الحرب سجالا بين الفريقين الى أن وصـل ابراهيم باشا بجيشه ودحر الكسروانيين وأطلق ايدي النهب في طول البلاد وعرضها وأضرم النار في القرى والمزارع وبات كثير من المعاهد الدينية طعمة للنار . ولم يسع الامير بشير القاء السلاح واولاده واحفاده بين يدي ابرهيم باشا يقاتلون في صفوف جيشه . فعزله القائد العثماني من ولاية لبنان وعهد فيها بايعاز

المستر فود الانكليزي الى الامير بشير قاسم ملحم شهاب ومده بالف مقاتل . فزحف على صرود كسروان لشدّ ازر الكسروانيين . فلموا شعثهم وانقضوا على الجيش المصري وهزموه وظلوا يعملون سيوفهم في اقفيته حتى حط رحاله في البقاع ثم اوغل في الانهزام الى المتن . وهناك استتم العصاة نقمتهم منه في بحرصاف واكرهوه على الفرار . وشعر الامير بشير بحرج موقفه فسار الى صيداء للتسليم . فتطرّق اليأس الى قلب ابراهيم باشا واسودت الدنيا في عينيه . وفي اثناء ذلك كان محمد علي اذعن لمشيئة الدول المتحدة وجعل السلطان ولاية مصر ملكا له ولذريته (١٨٤١) . فبعث يستدعي ابنه من سورية وصدع هذا بالامر وجلا بفلول جيشه عنها

﴿ مصير الامير بشير ﴾ اما الامير بشير فالقى سلاحه بين يدي خالد باشا والي صيداء فبالغ في اكرامه . واباح له عزت باشا القائد العثماني العام اختيار مكان لاقامته في غير سورية وفرنسا . فاختار جزيرة مالطة وابحر اليها مع حاشية كبيرة ولهذا لقب بالمالطي . ثم انتقل الى الاستانة وتوفي فيها سنة ١٨٥٠

وكان الامير بشير بطلا مغواراً تضرب الامثال بجرأته واقدامه وبسالته وكبر نفسه . وكان مهاباً يزوي منظره بمنظر الاسد ويلقي الرعب في قلب محدّثه او الناظر اليه مهما كان جريئاً رابط الجاش . وكان على صلابة عوده حليماً حكيماً مدبراً يضع الاشياء في اماكنها عادلا منصفاً لا يؤخذ بهوى النفس . ومع ما كان مأثوراً عنه من شدة الوطأة على اعدائه فان السيف لم يكن عنده أول علاج يلجأ اليه لردهم الى طاعته أو لدرء شرهم عنه . وكان شديد الولاء لاصدقائه شديد العطف عليهم في ساعات محنتهم . وكثيراً ما كان يستهدف للمخاطر من أجلهم كما جرى له مع ابراهيم باشا حيث جازف بامارته وفقدها تأييداً له للمحافظة على عهده معه . وعلى الجملة فان هذا الامير العظيم الشأن تسامى في اخلاقه وقوة بصيرته واطواره وأعماله الى طبقة تعجز دونها مشاهير الشرق واقطابهم . ولو نشأ في غير سورية وفي غير الظروف التي احاطت به لذكر المؤرخون اسمه بجانب اسم قيصر والاسكندر وبومبايوس وغيرهم من كبار الفاتحين

***

خلف السلطان عبد المجيد اباه على العرش (١٨٣٩ — ١٨٦١) والفاتح المصري على ابواب الاستانة . فاصدر فرمان الاصلاح الشهير وهو يرجو بذلك أن

يستميل الدول اليه فتنصفه في قضيته مع محمد علي وقد ظفر بغيته وجلت الجيوش المصرية عن بلاده . وفي عهده أنشئت مملكة رومانيا (١٨٥٩) وحدثت مذابح لستين الشهيرة في لبنان (١٨٦٠) وخلفه السلطان عبد العزيز

﴿ الحروب الاهلية الثلاثة بين المسيحيين والدروز ﴾ أما لبنان فتولى الحكم فيه الامير بشير قاسم الشهابي الصغير . ولم يطل حكمه فعزله الباب العالي أثر الفتن التي قامت سنة ١٨٤١ بين المسيحيين والدروز . وعرض مصطفى نوري باشا على اللبنانيين قبول وال عليهم من رجال الدولة . فاذعن الدروز لمشيئته وعارضه المسيحيون اشد معارضة . غير ان الباب العالي لم يعبأ بمعارضتهم وعين عمر باشا النمساوي حاكما للبنان فلم يفلح في السياسة التي اتبعها في ادارة شؤونه . واتفق الدروز والنصارى على إخراجه من لبنان عنوة . وخاف الباب العالي ان يؤدي اصراره على تأييده الى ما لا تحمد عقباه فوافق اسعد باشا والي صيداء على ما اقترحه من قسمة لبنان الى قائمقاميتين احداهما للنصارى والاخرى للدروز واختار للاولى الامير حيدر اسماعيل ابي اللمع وللثانية الامير احمد عباس ارسلان (١٨٤٤)

على ان شقة الخلاف كانت قد اتسعت بين النصارى والدروز . وما زال هذا الخلاف يتزايد حتى أفضى الى الفتنة الاهلية المعروفة بالحركة الثانية (١٨٤٥) . ثم وصل شكيب افندي الى سورية لجمع الاسلحة من اللبنانيين ووفق بين القائمقامين اللبنانيين . وتلا ذلك موت الامير حيدر اللمعي (١٨٥٤) فخلفه نسيبه الامير بشير احمد ابي اللمع ولكنه خالف خطته فنقم عليه اللبنانيون وثاروا عليه فاضطر الباب العالي ان يقيله من منصبه . غير ان اعتزاله الحكم لم يحل دون انتقامه من خصومه ولا سيما الخوازنة فتذرع بما آنسه من ميل فريق من زعماء الكسروانيين الى كسر شوكتهم لتحريضهم عليهم فنشبت في كسروان فتنة كبرى أصاب الخوازنة فيها ضرر بليغ (١٨٥٩) ولولا توسط البطريركية المارونية وقنصلية فرنسا لجلّ الخطب وعظم البلاء . وتلت هذه الفتنة مذابح سنة ١٨٦٠ التي أفضت الى النظام اللبناني الحديث

أما السلطان عبد العزيز (١٨٦١ — ١٨٧٦) فقد حارب الجبل الاسود عدة سنين . وفي عهده ظفر السربيون باستقلالهم وثار أهل كريت على الدولة وأكرهوها على منحهم امتيازات كبرى . وقد زار باريس ومصر وخلع بمؤامرة . وخلفه السلطان مراد (١٨٧٦) فلم يملك الا أسبوعاً واحداً وخلفه شقيقه عبد الحميد الطاغية الشهير (١٨٧٦

— ١٩٠٩) والسلطنة محفوفة بالمخاطر . فوضع لها نظاماً دستورياً على يد وزيره مدحت باشا المصلح الكبير . ثم الغاه وحلّ مجلس المبعوثان الذي ألفه وأوغل في الظلم والاعتساف وسخر البلاد والعباد لقضاء أوطاره السافلة وسفك من الدماء البريئة وارتكب من المعاصي والموبقات في سبيل شهواته وملاذه ما ترتجف له أعصاب الانسانية ووجلا ويندي له جبينها خجلا . ثم خلعه الاتحاديون وأجلسوا أخاه محمد الخامس على العرش (١٩٠٩) فاستسلم الى مشيئتهم لضعفه ولانه صنيعتهم . فاستأثروا بالسلطة من دونه وجاروا وبغوا فقامت الفتن في انحاء شتى من السلطنة وسلخت منها في حربي الطليان والبلقان (١٩١٢ — ١٩١٣) جزر بحر ايجه وطرابلس الغرب ومعظم املاكها في اوربا . وانقسم الاتحاديون بعضهم على بعض وتألف حزب الائتلافيين برئاسة الاميرال صادق بك وغرضه احترام حقوق العناصر العثمانية والاستعانة برجالها على النهوض بالدولة الى مستوى الدول القوية الراقية خلافاً لحزب الاتحاديين الذي جعل غرضه تتريك هذه العناصر والقضاء على ما لا يستطاع تتريكه منها ولا سيما العنصرين الارمني والعربي

❁ لبنان بعد نظامه الحديث ❁ أما لبنان فاول من تولاه بعد نظامه الحديث داود باشا الارمني (١٨٦١ — ١٨٦٨) فاساء التصرف مع اللبنانيين واراد مخالفة النظام فعارضوه وانبرى له يوسف بك كرم البطل اللبناني الشهير وكانت بينهما حرب عوان استظهر هذا البطل فيها على العساكر العثمانية في كثير من المعارك التي نشبت بينه وبينها وانتهت بخروجه من لبنان (١٨٦٤) واقامته في فرنسا

وخلفه فرنقو باشا (١٨٦٨ — ١٨٧٢) . فسلخ سهل البقاع عن لبنان وبذلك حرم اللبنانيين مورداً من أعظم موارد ثروتهم . وكان متديناً محباً لاهل الجبل

ثم تولى رستم باشا الايتالي (١٨٧٣ — ١٨٨٢) فاجرى العدل بين الناس . غير انه ضحى مصلحة الجبل خدمة للدولة بتنازله لها عن الاعانة السنوية التي كانت تدفعها اليه سداً لعجز ميزانيته . واضطهد الاكليروس فكان عهده حافلاً بالفتن

وخلفه واصه باشا الالباني (١٨٨٢ — ١٨٩١) . وفي عهده شاعت الرشوة في دوائر الحكومة اللبنانية شيوعاً عظيماً وسادت الفوضى واشتد تيار المهاجرة

ثم جاء نعوم باشا الحلبي السوري (١٨٩٢ — ١٩٠٢) فظلت الرشوة كما كانت في عهد سلفه ولولا ذلك لما كان في طريقة حكمه للبلاد ما يؤاخذ عليه

وخلفه مظفر باشا البولوني (١٩٠٢ — ١٩٠٧) . وكان حسن النية محبـاً للاصلاح لكنه كان قليل التروي متقلباً سريع الحكم كرجال الجندية محاطاً بحاشية فاسدة فلم تتمكن من تنفيذ خطة الاصلاح التي رسمها ولا سيما انه حرض الشعب على قلب ظهر المجن للاكليروس والاعيان فاضطرب حبل الامن ومات وسورة القلق في الجبل على اشدها

ثم تولى لبنان يوسف فرنقو باشا (١٩٠٨—١٩١٢) فاستتب الامن في لبنان . وكان نزيهاً حليماً وقد ايد جمعيات الاصلاح اللبنانية التي تألفت في ايامه . وفي عهده اعلن الدستور العثماني فتصرف في ما تلا ذلك من الحوادث تصرفاً ممدوحاً

وحكم بعده قيومجيان باشا الارمني (١٩١٢—١٩١٤) فعضد جمعيات الاصلاح اللبنانية واهتم في شؤون لبنان اهتماماً كبيراً فاحبه اللبنانيون والتفوا حوله فكان ذلك باعثاً على اقالته من منصبه واستبداله بعلي منيف بك احد رجال الاتحاديين

تلك خلاصة موجزة لتاريخ لبنان بعد تطوره الحديث يؤخذ منها أن هذا الجبل لم يرتق على عهد المتصرفين الذين تداولوا الحكم فيه الا بفضل النظام اللبناني الحديث اذ امن اللبنانيون شر الفتن والحروب فانصرفوا الى الاخذ باسباب العمران . وكان لهم من ذكائهم الفطري وقابليتهم لسرعة الاقتباس ومضاء عزائمهم وصدق وطنيتهم ما مهد لهم سبيل النهوض ببلادهم الى مستوى اكثر الاقطار الشرقية رقياً ونجاحاً . وكان للمهاجرة التي طغا تيارها في الربع الاخير من القرن الماضي شأن خطير في هذا النهوض السريع المدهش حيث اتسع لمعشر اللبنانيين المجال لاظهار مواهبهم في ما قاموا به في خارج بلادهم من الاعمال الباهرة التي في كل فرع من فروعها ما يكفي للدلالة على ان لهم من المقدرة الذاتية ما لو قرن بانتظام العمل وانكار النفس وشيء من القوة الخارجية لبلغوا اذن ببلادهم الغاية القصوى من النجاح الذي ينشدونه لها

❊ سورية بعد نظام لبنان الحديث ❊ اما سورية فقسمت بعد فتنة الستين الى ثلاث ولايات : بيروت وسورية (دمشق) وحلب . وجُعلت رتب ولاتها دون رتبة حاكم لبنان ايذاناً برفع سلطتهم عنه . وحلَّ محلهم في السيطرة على اعماله والاشراف على حكومته قناصل الدول الاوربية فكانت وطأتهم عليه دون وطأة اولئك الولاة

وقد كان دستور لبنان نعمة جلّى لسورية لانه غلّ ايدي الحكام عن ارتكاب ما كانت تسوغ لهم سلطتهم الواسعة ان يرتكبوه من الفظائع والمنكرات فيها وفي ما كان داخلاً منها في حكم امراء الجبل . وكان لانتشار المدارس فيها بعد سن هذا النظام شأن كبير في ايقاظ شعور السوريين فاقبلوا عليها اقبالا عظيماً ونشأ الجيل الجديد راقياً متنوراً ميالا الى انتهاج خطة الاوربيين في ترقية البلاد واصلاح شأنها . وبدت طلائع هذه النهضة على اتمّها في بيروت حتى باتت كعبة القصاد من طلاب العلم ومنتجعي المعارف كما كان شأنها في عهد الرومان . ولولا سيف عبد الحميد الذي كان معلقاً فوق رؤوس الفئة المتنورة من العثمانيين لدخل القرن العشرين على سورية وهي سيدة الممالك الشرقية

ولقد توهم فريق من السوريين ان ذهاب دولة عبد الحميد وقيام دولة الاتحاديين على انقاضها آخر عقبة اقامتها يد الاستبداد في سبيل نهوضهم . فخاب فألهم اذ وضع الاتحاديون خطة منظمة للقضاء على ما لا يستطاع ادماجه في العنصر التركي من العناصر العثمانية . ولكنهم تسرعوا في اظهار نواياهم الخبيثة وافضت سياستهم الخرقاء الى اتحاد هذه العناصر واجماع كلمة الناطقين بالضاد على مناهضتهم واحباط مساعيهم . وبدا في الحرب الناشبة اليوم تعصب هذه الطغمة الضالة الطاغية للجنسية التركية بافظع اشكاله اذ أعلنت حكم الارهاب في الديار الشامية وحكمت في قضيّة العرب والسوريين السيف الذي حكمته في قضية الارمن . على أنه لا يزال في العنصر العربي السوري من القوات الكامنة ما يكفي لتلقين هؤلاء الطغاة السفاحين درساً مفيداً يذكركم بخاتمة ملك بايزيد وسليم الثالث ومصطفى الرابع . وما بطش الشريف حسين ابن علي في الامس بجيش التوارنيين وقيام دولة بني هاشم على أنقاض دولتهم في الحجاز ودخول الاسد البريطاني عاصمة العباسيين ووقوفه على أبواب بيت المقدس — ما كل ذلك الا مظهر من مظاهر الانقلاب العظيم الذي نتوقع حدوثه في الشرق العربي . ونحن اليوم نشهد هذا الصراع عن كثب ولنا في العبر التي تجلت لابصارنا فيه ما يكفي للدلالة على ان جهاد العرب والسوريين سيسفر عن تحرير تلك الارض المقدسة من ربقة الحكم التركي الذي أبهظ كاهلها أربعة قرون كاملة ودخولها في عصر جديد اذا توافرت لها فيه أسباب العمران كان أسعد عصر مرّ بها منذ انبثاق فجر التاريخ الى اليوم

« المسعودي »

ابن خلدون والجغرافيا [1]

أيها السادة

ان ابن خلدون كان حكيماً مؤرخاً فقيهاً كاتباً شاعراً مصنفاً وهو احد نوابغ العالم الذين عاشوا أفذاذاً في عصور لم تعرف اقدارهم ومن اجل ذلك كانت حياته كلها شقاء ومحنة

توالت عليه الهموم والاكدار واكب عليه الدهر فلم ينصرف عن تحصيل العلم وتمحيصه وهو في نظر كثيرين واضع علمي العمران والاجتماع بما خط في مقدمته وان كان قد سبقه الى ذلك كثير من حكماء اليونان بيد انه بوّب وفصل فاحسن أيما احسان

وقد كان من العلوم التي عني بدرسها علم الجغرافيا فوضع في مقدمته فذلكة منه جاء فيها بما يستحق العجب بالقياس الى زمنه ومعاصريه من اهل الاقطار الاخرى — وقد المع الى مباحث شتى من الجغرافية الطبيعية والوصفية والفلكية ولا نستطيع في درس واحد أن نفصل كل ما ذكره بل حسبنا ان نرجعه الى مباحث نكشف فيها عن وجه الصواب فنقول :

لقد قال أن شكل الارض كري دون أن يعنى باقامة الدليل بل عزاه الى الحكماء فكأنه سلم بصحته على حين ان القول بذلك وقتئذ في الاقطار الاخرى كان كفراً والحاداً

ثم قال : « ان الارض محفوفة بعنصر الماء كأنها عنبة طافية عليه فانحسر الماء عن بعض جوانبها لما اراد الله من تكوين الحيوانات فيها وعمرانها بالنوع البشري » كانه يريد انها جسم كري ملقى في الماء فانحسر عنه للحكمة التي ذكرها ولم يبين سبب هذا الانحسار . ولذلك لا اجد بداً من بسط القول فيه وفاقاً لما وصل اليه العلماء الباحثون : ان الارض في بدء امرها كانت مصهورة من شدة الحرارة وكان اديمها مائعاً محاطاً بكرة من البخار فلما بردت القشرة وبرد الجو المحيط بها برد البخار فتكاثف وهطل من السماء مطراً غزيراً جرى بقانون الجاذبية الى ما انخفض من وهاد هذه القشرة وسكن فيها . واذ ان الارض مركبة من مواد ذات مسام كان ولا يزال يدخل الماء

---

(١) محاضرة القاها صاحب العزة جاد المولى بك الموظف بالديوان المالي السلطاني في جامعة الشعب في العاشر من شهر مايو سنة ١٩١٧

في تركيبها فيسمى عند علماء الكيمياء بماء التبلور وكلما برد جانب من الارض وجمد وتبلور انحبس فيه جانب من الماء فهذا هو سبب الانحسار

ثم قال « ليس الماء تحت الارض وانما التحت الطبعي قلب الارض ووسط كرتها الذي هو مركزها والكل يطلبه بما فيه من الثقل » وهذا صحيح لاغبار عليه اذ هو عين ما يقوله العلماء اليوم من ان الارض تجذب ما على سطحها كما تجذب برادة الحديد قطعة من المغناطيس لقوة تسمى الجاذبية وبها تجذب الماء والاشجار والمنازل والناس ايضاً بحيث لا يسقط شيء منها في الفراغ المحيط بها مهما يكن وضعه

ثم قال « ان الذي انحسر عنه الماء من الارض هو النصف من سطح كرتها في شكل دائرة أحاط العنصر المائي بها من جميع جهاتها » ولعمري ان هذا مقدار تقريبي لان العلماء قد وصلوا بالطرائق الفنية الى ان الماء الملح يشغل نحو ثلاثة ارباع مساحة سطح الكرة ومعذرته في ذلك ان علم البحار ما كان قد وصل الى المرتبة التي بلغها — سنة الله في خلقه يرث الخلف الصالح من سلفه العلم فيهذبه ويمحصه والخلف الصالح لا يرى غضاضة ولا خسيفة في ان يزدري بما وصل اليه عفوا صفوا فيصبح كلا على غيره جاهلاً بما لسلفه من المفاخر والمحاسن

ثم قال « ان المعمور وهو في القسم الشمالي من الكرة منقسم الى سبعة اقاليم محدودة بحدود وهمية بين المشرق والمغرب متساوية في العرض مختلفة في الطول فالاقليم الاول اطول مما بعده وكذا الثاني الى آخرها فيكون السابع أقصر لما اقتضاه وضع الدائرة الناشئة من انحسار الماء عن كرة الارض وكل واحد من هذه الاقاليم منقسم بعشرة أجزاء من المغرب الى المشرق على التوالي » .

وكلامه في هذا المبحث غامض كأنه ليس على يقين مما يقول وانما هو يحكي كلام غيره والحقيقة هي ان خطوط العروض كلها دوائر تامة وأكبرها خط الاستواء لان الارض ليست تامة التكوين بل منتفخة عند خط الاستواء منبطحة عند قطبيها ثم تصغر هذه الخطوط بالتدريج حتى تتلاشى عند القطبين

وبعد ان فرغ المؤلف من تقسيم المعمور من الارض الى سبعة أقاليم قسم هذه الاقاليم الى منحرف ومعتدل وأفاض في تأثير الهواء في الوان البشر والكثير من أحوالهم فجاء في كلامه بما يشبه كلام علماء القرنين الماضيين اذ يقولون « ان الانسان يأخذ في البياض كلما بعد من خط الاستواء وان الجو البارد يتمخض عن أناس

صغيري القامة وأن الجو هو الذي جعل شكل حواجب الزنوج على ما هي عليه وأحدث ضيقاً في عيونهم وهو السبب في كثرة التؤمين بمصر »

وهو يقول « من الخرافات ما يقال من ان السودان هم ولد حام بن نوح اختصوا بلون السواد لدعوة عليه من ابيه والذي ورد في التوراة ان نوحاً دعا على ابنه حام وليس فيه ذكر السواد والقول بذلك غفلة عن طبائع الكائنات لان سبب هذا اللون هو الحرارة المتضاعفة فان الشمس تسامت رؤوسهم مرتين في كل سنة فتطول المسامتة عامة الفصول فيكثر الضوء لاجلها ويلح القيظ الشديد وتسود جلودهم ولذلك فان اهل الشمال من الاقليمين السادس والسابع شملهم البياض من مزاج هوائهم للبرد المفرط بالشمال ولان الشمس لا تزال بافقهم في دائرة مرأى العين او ما قرب منها ولا ترتفع الى المسامتة فلذلك يشتد البرد عامة الفصول فتبيض الالوان وتنتهي الى الزعورة ويتبع ذلك زرقة العيون وبرش الجلود وصهوبة الشعور واقتضت امزجة اهويتهم انحرافاً في خلقهم »

فمن هذا يتبين ان ابن خلدون وعلماء القرنين الماضيين ارادوا من الجو او الاقليم معنى اكثر مما يريده العلماء اليوم لانهم ادخلوا فيه ما يسمى الآن « البيئة الطبيعية » دع عنك أنهم بنوا نتائجهم على ادلة ناقصة وواقعات حصلت في زمن قليل على حين ان علماء اليوم قد درسوا الموضوع دراسة مفصلة وأمعنوا في فحصه وتعمقوا في بحثه. من اجل ذلك يجدر بنا ان نعرف اولاً تأثيره في الالوان فنقول : لا ريب في ان الجو هو أهم العوامل في بيئة الانسان الطبيعية وليس كل السبب في احداث اختلاف الالوان لان الجنس الاحمر وجد قاطناً قارة امريكا من أقصاها الى أقصاها في البقاع الباردة والبقاع المعتدلة والبقاع الحارة والبقاع المرطوبة الباردة فلو كان الجو هو كل السبب في اختلاف الالوان لكان لون هذا الجنس مختلفاً

ومع هـذا فلندع الاستدلال بالعبارات المنطقية ثم ندرس المسألة دراسة فنية فنقول : من النواميس التي وضعها دارون ناموس تنازع البقا وناموس الانتخاب الطبيعي وناموس الوراثة أما الاول فحاصله ان كل موجود يكافح في سبيل بقـائه وان أفضى ذلك الى اعتداء على غيره . وأما الثـاني فهو نتيجة الاول لانه هو ما يسمى ببقاء الانسب. وأما الثالث فمجمله أن الاصول تعتورها عوارض شتى تنتقل الى اعقابها كل يصيبه شطراً منها ثم تعتور الاعقاب عوارض تنتقل منها الى اعقاب الاعقاب وعلى ممر

الدهور والاحقاب يوجد عقب يخالف الاصول مخالفة تامة . من اجل ذلك اجمع الجغرافيون الحديثون على أن الكائنات الحية سواء أكان حيواناً ام نباتاً تعتورها تغييرات إما ان تكون ناشئة من عوارض خارجية او من جنوح كامن في الكائنات الحية الى مغايرة أصولها تدريجاً مما يفضي الى ايجاد الفردية وانه في حلبة كفاح النبات والحيوان في سبيل البقاء للافراد التي تظهر عليها علائم المغايرة ميزة على اترابها وعلى ممر الدهور والاحقاب واستمرار مغايرة الخلف للسلف لا بد أن تنشأ أنواع جديدة

هذا هو رأي دارون والعلماء الحديثين وابن خلدون قد سبقهم في هذا اذ يقول « ان التميز بين الاجناس يكون باحوالها وخواصها . وان هذه كلها تتبدل في الاعقاب ولا يجب استمرارها سنة الله في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلاً »

وان ابن خلدون لم يعن ببحث هجرة الجنس البشري ، وعذره في ذلك ان علم طبقات الارض — وهو خير عون على ذلك — لم يكن شيئاً مذكوراً والان قد وصل العلماء الى أن اليابس كان متصل الاجزاء ففصل بعضه من بعض لاسباب جيولوجية كالبراكين والتآكل بواسطة الماء . وكلنا يعلم ان البراكين كثيراً ماخسفت بجزيرة واحدثت أخرى فالمهاجرة حصلت قبل الفصل. وحسبنا أن نلقي نظرة على شكل ساحل أفريقيـة الشرقي وساحل امريكا الجنوبية الغربي فلو ركبا بعضهما على بعض لانطبقا تمام الانطباق. اضف الى ذلك انعلماء طبقات الارض كشفوا في اقاصي العالم ادوات حجرية متشابهة استخلصوا منها أن الانسان كان في زمن من الازمان فيبقعة واحدة ثم انتشر في الارض فالجنس الاسود نشأ فوق التربة الافريقية والاسترالية ومنه ذهب فريق الى امريكا والاصفر فوق التربة الاسيوية والاحمر فوق الامريكية والجنس الابيض قبل هجرته الى أوربا نشأ في الاصقاع الصحراوية بشمال أفريقية التي لا شك في انها كانت وقتئذ ذات جو معتدل رطب وقت ان كانت اوربا شمالاً وجنوباً مغطاة بطبقة من الثلج كما هي الحال في جزيرة جرينلاند

قلنا بناء على هذه الهجرة ان الجنس الاسود اتخذ اول وطن له افريقية وأستراليا وحينئذ يكون سبب سواد جلودهم هو الحر والرطوبة بيد ان ناموس الانتخاب الطبيعي يقضي بانه كان يجب ان تبيض الوانهم لان الاعقاب كما قدمنا فيها جنوح ذاتي يفضي الى مخالفة الاصول فيما يفيد هذه الاعقاب والسواد ليس من مصلحة السودان لان الاجسام السوداء تمتص حرارة اكثر من البيضاء وانها تصير اشد حرارة اذا عرضت

للشمس وعلى هذا يكون اللون الاسود اسوأ شيء مني به السودان . بيد ان سواد الوجوه يحمي العينين من شدة ضوء الشمس في المناطق الحارة ولهذا فالقول بأن هناك جنوحاً ذاتياً الى اكتساب لون السواد لا يخلو من وجه وان كان السبب الاول فيه هو تأثير لفح الشمس وهذا الجنوح يعمل على ابقائه ٠

ألم تروا ان اهل الصحاري وهماليا يضعون الكحل في عيونهم ليذودوا عنها مضار أشعة الشمس المنعكسة على الرمال والثلوج

الجنس الاصفر — لم يذكر ابن خلدون اللون الاصفر بل ادمجه في اللون الابيض اذ يقول في سكان الاقاليم المعتدلة « ان هؤلاء هم اهل المغرب والشام والبمين والعراقين والهند والسند والصين الخ » على حين ان العلماء قالوا ان هذا الجنس نشأ وظل في جميع ارجاء اسيا ما عدا البقاع الحارة وان لونه ناشيء من الجو القارى المنحرف

اللون الاحمر — لا نستطيع ان نجزم بأن سبب اللون الاحمر هو الجو بل جملة العوامل التي في البيئة الطبيعية لان الحمر في بلاد امريكا حيث يرحلون يجدون الجو ملائماً لهم لا يغير شيئاً من الوانهم وسحنهم وهيئاتهم على حين ان سلالة الانكليز الذين هاجروا الى اميركا قد صارت شعورهم سبطة تشبه شعور الهنود الاصليين وان الذين استوطنوا استراليا قد صارت شعورهم خشنة مثل الاستراليين الاصليين

الفروق بين الاجناس في الصفات العقلية والاجتماعية وتأثير الجو في ذلك — يقول ابن خلدون « ان العلوم والصناعات والمباني والملابس مخصوصة بالاعتدال وان سكان الاقاليم المعتدلة هم أعدل أجساماً وألواناً وأخلاقاً ونشأ عن هذا الاعتدال انهم على غاية من التوسط في مسكنهم وملابسهم وأقواتهم وصناعاتهم ولذلك كان فيهم الملك والدول والشرائع والعلوم والبلدان والامصار والمباني والفراسة والصناعات الفائقة وهؤلاء هم العرب والروم وفارس وبنو اسرائيل واليونان وأهل السند والهند »

ومعنى قوله هذا هو عين ما يقوله علماء الاجتماع من ان الحضارة قديماً وحديثاً نبتت في المنطقة المعتدلة الشمالية لا الجنوبية (لقلة مقدار اليابس فيها) ويستثنى من هذه القاعدة الهنود الحمر الذين نبتوا فوق هضبة مكسيكا بالمنطقة الحارة فهؤلاء كانت لهم مدنية قبل استيلاء الاسبانيين عليهم وكذلك أهل الهند وسرنديب (سيلان) لان ارتفاع اقليم هضبة المكسيك أحدث لها جواً تنمو فيه أسباب الحضارة والمدنية ووفرة

الاودية الخصبة في الهند كانت سبباً في حدوث حضارة عليها سمات حضار الاقاليم المعتدلة

بيد انه مما يسترعي النظر انه في العصور القديمة والعصور الوسطى كانت الممالك المتمدينة في البقاع الدافئة من المنطقة المعتدلة الشمالية مثل اليونان وايطاليا ومصر وبعض البلاد العربية وان الحضارة الآن الى الشمال من خط عرض ٤٥ أي في الجزء البارد من المنطقة المعتدلة الشمالية. من أجل ذلك استنتج العلماء هذه القاعدة وهي

« مثل الامم مثل الآحاد تنضج وتبلغ ما أعد لها من الكمال بتريث في الجو البارد اكثر منه في الجو الدافىء »

بيد انا لو تأملنا قليلا وعلمنا ان الجنس الابيض قبل هجرته الى اوربا كان في افريقيا الشمالية وقت كانت اوربا مغطاة بالثلوج لساغ لنا ان نقول انه بدأ هجرته الى اوربا الجنوبية بعد ان ذاب ما عليها من الثلج فكان جو الجنوب من اوربا وقتئذ عائل جو البقاع التي هي مهد الحضارة الآن لان البقاع الثلجية كانت لا تزال الى الشمال منه كما ان البقاع الثلجية هي الآن الى الشمال من مثوى الحضارة الحالية ومن هذا لا حرج علينا اذا استنتجنا ان الحضارة انما تنبت في جو معتدل هو اميل الى البرودة منه الى الحرارة

تأثير الهواء في أخلاق البشر

يقول ابن خلدون أن الحرارة مفشية للهواء والبخار مخلخلة له زائدة في كميته ولما كان السودان ساكنين في الاقليم الحار واستولى الحر على أمزجتهم وفي أصل تكوينهم كان في ارواحهم من الحرارة على نسبة أبدانهم واقليمهم فتكون أرواحهم بالقياس الى ارواح اهل الاقليم الرابع أشد حراً فتكون اكثر تفشياً فتكون أسرع فرحاً وسروراً واكثر انبساطاً ويجيء الطيش على اثر هذا ولذلك كان من خلقهم على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب والولوع بالرقص وهذا صحيح لا غبار عليه

غير انه أورد اهل البلاد البحرية وألحقهم قليلاً بمن تقدم ذكرهم فاخطأ في الالحاق وفي تعليله

اما خطأه في الالحاق فلأن اهل البحار اهل اقدام على ركوب الاهوال والمخاطر وليسوا من اهل الفتور والكسل فالدول البحرية قديماً وحديثاً لها المكانة السامية

الدرجة الرفيعة في عالمي المادة والادب

وأما خطأه في التعليل فلأنه يقول « وسبب ذلك انه لما كان هواؤها متضاعف الحرارة بما ينعكس عليه من اضواء بسيط البحر واشعته كانت حصتهم من توابع الحرارة في الفرح والخفة منها اكثر في بلاد التلول والجبال الباردة

وكان احرى به ان يقول ان البلاد البحرية معتدلة في الغالب واهلها من اهل الاعتدال لان الماء يمتص الحرارة ببطء ويخرجها ببطء ولذلك فهو بعد من الانحراف في جميع اطواره . ثم ضرب لذلك مثلا بالموازنة بين مصر القاهرة وفاس فقال :

« انظر كيف غلب عليهم (القاهريين) الفرح والخفة والغفلة عن العواقب حتى انهم لا يدخرون اقوات سنيهم ولا شهرهم وعامة ما كلهم من اسواقهم وفاس على العكس منها في التوغل في التلول الباردة ولهذا ترى كيف اهلها مطرقون اطراق الحزن وكيف افرطوا في نظر العواقب حتى ان الرجل منهم ليدخر قوت سنتين من حبوب الحنطة، ولعمري ان هذا حكم خطأ من كل وجوهه »

تأثير الجو في المساكن واحوال المعيشة

يقول ابن خلدون ان سكان الاقاليم المنحرفة يبنون مساكنهم بالطين والقصب وفيهم من يسكن الكهوف والغياض كاهل الاقليم الاول واقواتهم من الذرة والعشب وملابسهم من اوراق الشجر وفواكهم غريبة التكوين مائلة الى الانحراف.... واما سكان الاقاليم المعتدلة فهم على غاية من التوسط في مساكنهم واقواتهم وصناعاتهم ....

ولهذا يريد بأن الانسان في اي درجة من درجات حضارته متأثر بأقليمه كما يتأثر الحيوان . غير ان الحيوان اما ان ينمو ويبلغ ما قدر له او يصبح هدفاً لسهام الاحوال الجغرافية على حين ان الانسان يكافحها أو يخضد شوكتها ومع هذا فهو منفعل بها في فكره وعمله وصناعته وسياسته الاجتماعية . والقول بغير هذا انكار لقواعد العلوم الطبيعية واغفال للروابط التي بين الانسان والحيوان والتي بينه وبين الاحوال الخارجية التي يرتبط بها وجوده

بيد ان الانسان وهو في حالة الهمجية متأثر مباشرة بهذه الاحوال الجغرافية فاذا خطا خطوة اوسع فانها هي التي ترسم له عاداته ومهنه اذ هي التي جعلت سكان الصحاري بدواً ورعاة غنم وسكان اودية الانهار زراعاً وسكان الشواطىء البحرية تجاراً واهل اقدام على ركوب الاهوال والمخاطر حتى اذا استقر به القرار وشملته

اسباب الحضارة نجد الجو والمناظر والمنتجات الطبيعية وسبل المواصلات والمعاوضات مدلية بتأثرها فيه فهي التي جعلت أمة غنية مستقلة بنفسها وأخرى جريئة مقدامة على المشروعات وأخرى واقفة جامدة

على ان التأثير لم يقف عند الشؤون المادية بل سرى الى ميله الشعري وحبه للحرية وحكومة ونظامها فاكسبها لون صفات الاقاليم الطبيعية

رثاء طفلة

أمست نصيب شعوب	يا ويحه من نصيب
زهراء لم يُجن منها	غير الاسى والنحيب
كدرة في يمين	غابت يبطن قليب
عاشت كزهرة روض	في عمرها والطيب
ولت فاذ هي ذكرى	كعهدها المحبوب
الشمس عند ضحاها	كالشمس عند الغروب
تأبى علينا المنايا	إلا اقتسام القلوب
يا طفلة غيبوها	في جندل وكثيب
ما كنت للقبر روحاً	الروح بين الجنوب
روّت ثراك الفوادي	بهيدب شؤبوب
وآنستك الليالي	بنجمها المشبوب
وراوحتك شذاها	ريح الصبا والجنوب
ما انت الا حياة	في مشهد ومغيب
كزهرة الروض تنبي	عن نفسها في الغيوب (١)
قريبة انت منا	ورب ناء قريب
سيان موت شباب	من الانام وشيب
الموت في حالتيه	مودي بكل حبيب

اسكندرية زكريا ابراهيم

(١) تذبل الزهرة على فرعها فنعلم ان الذي غاب منها صورتها لا حياتها النامية الكفيلة لها بالعودة في الربيع المقبل

الانسان واللحوم

— ٣ —

وكانت العرب تكني عن اللحم بتحفة [١] ابراهيم وترى ان أجوده وأفخره ما كان من عجز الابل وسنامها وكان محسنوهم وأسخياؤهم لا يعطون الفقراء والمساكين الا منهما . استطعمت ماوية ابنة عفزر حاتم طي والنابغة الذبياني ورجلاً من البنبتين (من أهالي مكة) لتعرف مبلغ كل منهم في شيمة الكرم وكانوا اذ ذاك يتزاحمون على زواجها فاعطاها حاتم وهي بلباس السائلة المستجدية ترعيبة [٢] وقطعة من عجز ما نحره وأعطاها الآخران من مواضع أخرى مما نحراه ففاز حاتم على صاحبيه بعطيته هذه وتزوجها [٣]

وكانت العرب ترى اكل اللحم وشرب الخمر وغسل الرأس من ملاذ الحياة وأنواع النعيم ومن متناوَل المتنازين بجلائل الاعمال فكان اذا عُير الرجل أعوزه الشيء قال هي عليّ حرام حتى اناله . ورأى زرارة الحنظلي ولده لقيطاً مختالا تياهاً يضرب غلمانه وهو يومئذ شاب فقال له لقد أصبحت تصنع صنيعاً كأنما جئتني بمائة من هجان المنذر بن ماء السماء أو تزوجت بنت ذي الجدين سيد بني ربيعة قال لقيط لله عليّ ان لا يمس رأسي غسل او آكل لحماً أو أشرب خمراً حتى أجمعها جميعاً أو أموت . ولقيط هذا هو القائل يوم جبلة

ان الشواء والنشيل [٤] والرُغف والقَيْنة الحسناء والكاس الأنف [٥]
للضاربين الهام والخيل قطف [٦]

ولما بلغ امرأ القيس مقتل أبيه آلى على نفسه ألا يأكل لحماً أو يشرب خمراً حتى يثأر — ولقد يبلغ جوى الحزن ولوعة الاسى بالثاكل منهم مبلغاً غريباً حتى انه ليعمد الى نحر اولاد النوق والشياه والقائها على نظر امهاتها فترغو وتثغو حزناً عليها فاذا رأت النساء هذه العجماوات تبكين اولادهن ثارت عواطفهن وتنبهت عوامل شجنهن وامعنّ في البكاء واسترسلن في العويل

---

(١) التحفة بسكون الحاء وفتحها الهدية (٢) قطع السنام (٣) قيل ان ماوية أم عدي ولد حاتم وقيل أن ام عدي هي النوار (٤) اللحم المطبوخ بغير تابل (٥) الكاس لم يشرب فيه بعد (٦) التي تسير سيراً بطيئاً

لما قتل بنو عقيل جعفر [١] بن عُلبة قام ابوه الى كل ناقة وشاة له فنحر وذبح اولادها وتركها بين أيديها وقال أبكين على جعفر فجعلت النوق ترغو والشياه تثغو والنساء يصحن ويلطمن وجوههن ويندبن وابوه يبكي معهن فما رؤي ان يوماً كان افظع ولا اوجع من يومئذ وما رؤي ان مناحة حارة مثلها أنسان وحيوان كانت أجرى لدمع المصاب واشعل لنيران تذكره من تلك المناحة ولم يُعلم أكانوا يأكلون لحوم تلك الحيوانات المذبوحة أم يتركونها

وكانت العرب تقدم اللحم للضيف مبالغة في اكرامه والاحتفاء به فاذا عزم على الرحيل زودوه منه ايضاً ومن لم يزود ضيفه لحماً قالت زوده زاد الضب سخرية منه لاعتقادها ان الضب لايشرب الماء ويغتذي بالريح . وجاء في المثل أروى من الضب وقال ابن المعتز مشيراً الى ذلك

يقول أكلنا لحم جدي وبطة وتسع دجاجات سمان بألبان
وقد كذب الملعون ما كان زاده سوى زاد ضب يبلع الريح عطشان

وكان أثمن ما تذبحه العرب كرائم الخيل وكوم الجلاد [٢] قال زياد الاعجم يرثي المغيرة ابن المهلب

فاذا مررت بقبره فاعقر به كوم الجلاد وكل طرف [٣] سابح

وقالت النوار امرأة حاتم جاءت جارة لنا وقالت أتيتك من عند اصبية يتعاوون عواء الذئاب من الجوع فما أجد معولاً الا عليك ابا عدي فقال اعجليهم فقد اشبعك الله واياهم فاقبلت المرأة تحمل أثنين ويمشي جنباتها اربعة كانها نعامة حولها رئالها [٤] فقام الى فرسه فوجأ [٥] لبته بمدية ثم كشطه ودفع المدية الى المرأة وقال شأنك الآن فاجتمعوا على اللحم فقال سوأة أتأكلون دون الصريم [٦] ثم اقبل يأتيهم بيتاً

(١) جعفر بن علبة شاعر مقل قتل رجلا من بني عقيل وافاد منه عامل مكة السري عبد الله الهاشمي

(٢) الكوم القطعة من الابل والجلاد غزيرات اللبن منها

(٣) الكريم الاب والام من الناس والخيل

(٤) ولد النعام

(٥) ضربه — واللبة المنحر كما قال ابن قتيبة

(٦) المجذوذ المقطوع

يتاً ويقول : هبوا أيها القوم عليكم بالنار فاجتمعوا ولا والله ما ذاق منه مضغة واصبحنا وما على الارض الا عظم وحافر

وكانت الاضياف تعيب على المضيف تلكأه في تقديم اللحم اليهم ولا تقبل له عذراً ان امسك عليهم . قال ابو عثمان عن التوزي عن ابي عبيدة انه كان رجل بالبصرة من موالي بني سعد يقال له ثبيت وكان كثير الصلاة صالحاً وكانت الاعراب تنزل عليه فنزل به قوم منهم ليلة فلم يعشهم وقام يصلي فقال رجل منهم

لخبز يا ثبيت عليه لحم أحب الي من صوت القرآن
تبيت تدهور [١] القرآن حولي كأنك عند رأسي عقربان
فلو اطعمتني خبزاً ولحماً حمدتك والطعام له مكان

وكان اشراف العرب يهدون العنبر في كروش الحيوانات المدبوغة . قال الاعشى اتيت سلامة ذا فايش فاطلت المقام ببابه حتى وصلت اليه بعد مدة وأنشدته قولي

ان محلا وان مرتحلا وان في شعر من مضى مثلا
الشعر قلدته سلامة ذا فا يش والشيء حيث ما جعلا

فقال صدقت الشيء حيث ما جعل وامر لي بمائة من الابل وكساني حللا واعطاني كرشاً مدبوغة ومملوءة عنبراً

وكانوا يتحزمون [٢] في اكل اللحم ويعيبون على الشره الذي يجمعه بين يديه ويلتهم نصيب اكيله منه او يكومه فوق رغيفه كالقبة ويسمونه المقبب للزراية به

وكانوا يستنكفون ان يذبحوا الحيوان بايديهم ترفعاً وانفة ويكلون ذلك الى غير ذوي الجدة والنبل منهم واذا اضطروا الى الذبح بايديهم اساؤوه قال « قطر الغنوى »

حفاة المحزى لا يحزون مفصلا ولا يأكلون اللحم الا تحزما

وكانوا يستحبون تعجيل ما كان من الصيد ويستظرفونه ولهذا يصفونه في اشعارهم قال « امرؤ القيس »

فظل طهاة اللحم ما بين منضج صفيف [٣] شواء أو قدير معجل

---

(١) دهور الكلام تحم بعضه في اثر بعض ودهور الشيء جمعه وقذفه في مهواة
(٢) التحزم اكل اللحم قليلا قليلا بعد تقطيعه قطعاً صغيرة
(٣) الصفيف ما صف في الشمس ليجف وعلى الجمر ليشوى « يقال لحم صفيف »

وكانوا اذا اجدبوا يطعمون خيلهم لحماً مع انهم يعتقدون في الوقت نفسه ضرر ذلك . قال « النمر بن تولب » يصف قدومه على السيد الرسول ويشير الى هذا

انا اتيناك وقد طال السفر نقود خيلا ضمّراً فيها عسر
نطعمها اللحم اذا قل الشجر والخيل في اطعامها اللحم ضرر [1]

وكانوا يذبحون لله أول ما تنتجه الناقة وهو الفرَعُ ولا يأكلونه رجاء البركة وكثرة نسل الام وفي الخبر ان السيد الرسول كره ذلك اذ قال لسائله عنه (وان تتركه حتى يكون ابن مخاض [2] او ابن لبون خير من ان تكفئ اناءك وتوله ناقتك وتدعه يلصق لحمه بوبره) وفي حديث آخر (لا فرع ولا عتيرة [3]) وكان « رؤبة » من رجّاز الاسلام ومن فصحاء العرب المذكورين المقدمين ومن مخضرمي الدولتين أخذ عنه وجوه أهل اللغة وكانوا يقتدون به ويحتجون بشعره ويجعلونه اماماً يأكل الفأر. قال ابو عبيدة دخلت على رؤبة وهو يحيل جرذاناً على النار فقلت أتأكلها ؟ قال نعم انها خير من دجاجكم وانظف من دواجنكم وهل يأكل الفأر الا نقي البر ولباب الطعام. وكان من اطعمة الاشراف والسراة الخاميز [4] والسكباج [5] والمضهب [6] والقلية [7] والطباهجة [8] والخميط [9] والمفؤود [10] والوجيئة [11]

(١) اذا اطعم الحصان لحماً لم يهضمه وخرج منه كما هو وقد يضر الحيوان اكله
(٢) ابن الناقة « الفصيل » اذا دخل في السنة الثانية فاذا طعن في الثالثة فهو ابن لبون
(٣) العتيرة بفتح العين ذبيحة كانت تذبحها العرب في اليوم الاول من شهر رجب وتسمى ايضاً الرجبية والجمع عتائر
(٤) مرق السكباج المبرد المصفى من الدهن
(٥) مرق يعمل من اللحم والخل وهو معرب سكبي بالفارسية وربما جعل فيه زعفران ولهذا وصف بالاصفر في قوله ان عمر كان يأكل السكباج الاصفر وكان الرشيد يأكل خاميز الظبي
(٦) المضهب اي المقطع وضهبه شواه على حجارة محماة وقيل شواه ولم يبالغ في نضجه
(٧) ما قلي فجعل مع الطبيخ ليطيبه
(٨) طعام من بيض وبصل ولحم مشرح معرب تباهه بالفارسية
(٩) الجدي المسلوخ المشوي فان نزع شعره فشوي فسميط يقال اطعمنا يوماً خيطاً ويوماً سميطاً
(١٠) فأد اللحم في النار شواه وفأدت الخبزة اذا امللتها وخبزتها في الملة والمفؤود المشوي والملة الرماد الحار او الجمر
(١١) تمر وجراد يدقان ثم يلتان بسمن اوزيت وقيل التمر يدق حتى يخرج نواه ثم يبل بلبن او سمن حتى يتدن ويلزم بعضه بعضاً ثم يؤكل

الوهيسة [١] والحنيذ [٢] والثريد [٣] والحريرة [٤] . اما السوقة والرعاع فكانوا أكلون لحوم الحمير قال الشاعر

اكلنا به لحم الحمار ولم نكن لنأكله الا بشعب الجدائر

وكان بنو اسد يأكلون الكلاب . عاب ذلك عليهم الفرزدق في قوله

اذا اسديّ جاع يوماً ببلدة وكان سميناً كلبه فهو آكله

وكانوا يأكلون الهبيد [٥] والفظ [٦] والخطفة [٧] واذا أقحلوا اكلوا الحُلم [٨] كبار مدقوقة مع الوبر أو الشعر المحلوق مخلوطاً بالدقيق على ما فيه من القمل . بل لاعرابي ماذا تأكلون ، قال نأكل كل ما دب ودرج الا أم حبين [٩] وقال بعضهم لت باعرابي فاضافني فأتى بحية فشواها فاطعمنيها ثم أتى بماء منتن فسقانيه فلما أردت لارتحال قال ألا اقت . طعام طيب وماء غير . وكان أغنياء قريش وفقراؤها يستون التحلي باحسن عادات العرب وكان معدومهم لا يهتبدون الهبيد ولا يأكلون

---

(١) طعام للعرب مكون من جراد جاف مدقوق ومخلوط بدسم

(٢) الحنيذ المشويّ ومنه جاء بعجل حنيذ اي مشوي وفسره ابو زيد بالنضيج وآخر بالذي يقطر ماؤه بعد الشي ونقل الازهري عن الفراء حنيذ ما حفرت له في الارض ثم غمم فيها وهو من فعل اهل البادية الى ان قال والشواء المحنوذ الذي القيت فوقه الحجارة المردوفة بالنار حتى ينشوي شواء شديداً فيتهرى تحتها

(٣) قطع الخبز المبلولة بماء اللحم واول من هشم الثريد هاشم الجد الثالث للنبي المشار ليه في قول الشاعر

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

وسنت القدر تسنيتاً طرح فيها السنوت اي الكمون — عجاف اي ضعاف

(٤) أن تنصب القدر بلحم يقطع صغاراً في ماء كثير فاذا نضج ذر عليه الدقيق فان لم يكن لحم فهي العصيدة واول من عملها « سويد بن هرمي » على ما يقولون

(٥) قال في الاساس الهبيد حب الحنظل وهبد فلانا اطعمه الهبيد اي حب الحنظل والاهتباد أن تأخذ حب الحنظل وهو يابس وتجعله في موضع وتصب عليه الماء وتدلكه ثم تصب عليه الماء وتفعل ذلك ايضاً حتى تذهب مرارته ثم يدق ويطبخ

(٦) ماء الكرش

(٧) ما اختطفه الذئب او غيره من جسم الحيوان وقد نهى النبي عن اكلها بقوله « ما ابين من الحي فهو منه »

(٨) كبار القراد

(٩) دويبة كابن عرس قال ابن قتيبة في كتابه ادب الكاتب اكذب من دب ودرج اي اكذب من الاحياء والاموات يقال للقوم اذا انقرضوا درجوا

الحشرات دوناً عن سائر معدمي القبائل الاخر وكانت لهم تقاليد وسنن يقدسونها ويحافظون عليها ويقول بعضهم انها مأخوذة من ديانة ابراهيم . وكان السيد الكامل عليه السلام يأكل اللحم بأنواعه وان اكله لم يزد عليه نوعاً آخر

قال ابن القيم في كتابه زاد الميعاد أكل رسول الله لحم الجزور والضأن والدجاج ولحم الحُبارى والارنب . روى مالك انه أخذ ارنباً فجاء أبا طلحة فذبحه وبعث الى النبي بوركه وفخذه فقبلهما قال البخاري قبلهما وأكل منهما .وجاء سعد بن عبادة النبي بصحفة مملوءة مخاً فقال ما هذا يا أبا ثابت قال والذي بعثك بالحق لقد نحرت وذبحت أربعين ذات كبد فاحببت ان اشبعك من المخ قال فأكل ودعا له بخير . وروى الامام احمد وابن ماجي والترمذي عن الحارث الزبايدي قال أكلنا مع رسول الله لحماً قد شوى فمسحنا ايدينا بالحصباء فقمنا نصلي ولم نتوضأ . واخرج الشيخان عن ابن رافع قال اشهد لكنت اشوي لرسول الله بطن الشاة ثم صلى ولم يتوضأ . وقال أبو موسى رأيت رسول الله يأكل لحم الدجاج وكان احب اللحم اليه لحم الذراع وعراق[1] الشاة . ولم يأكل لحم الضب ولم ينه عنه وأكله خالد بن الوليد فلم ينكر ذلك عليه . ومر على قوم يأكلون منه فدعوه للأكل معهم فاعتذر اليهم قائلا تعافه نفسي ويأباه طبعي . وكان لا يأكل الاكل ما لين من الطعام قال « لا آكل الاكل ما لوّق لي » ونهى عن الرغب[2] قال الرغب شؤم وعن لحم المجثمة[3] وعن لحم الابل المذبوحة للمفاخرة لانها مما اهل لغير الله به والعرب كانت تتبارى بان يعقر كل منهم عدداً من ابله فايهم كان عقره اكثر كان غالباً

وفي حديث انه نهى عن ذوات المخلب من الطير ولكن مالكاً والليث والاوزاعي اباحوا اكل لحم الطير كله لضعف هذا الحديث عندهم واحتجوا بالايات المبيحة وقال الابهري ليس في ذي المخلب عن النبي نهي صحيح وقال غيره لم يثبت حديث النهي عن اكل كل ذي المخلب لان ميمون بن مهران رواه عن ابن عباس وسقط بينهما سعيد بن جبير فصار هذا علة تحطه عن رتبة الصحيح

وفي حديث آخر ان النبي (صلعم) نهى عن ذوات الناب من السباع ولم يثبت هذا

(١) العظم عري عنه معظم اللحم

(٢) الرغب كثرة الاكل وشدة النهمة

(٣) المجثمة ـ الحيوان ينصب ويرمى حتى يقتل

الحديث عند مالك ولذلك كره أكلها فقط

أما من صح عندهم حديث تحريم ذوات الناب من السباع فقد اختلفوا في تعريفها فقال بعضهم المراد بذي الناب ما يتقوى بنابه ويصطاد وفي الحاوي للماوردي قال الشافعي انه ما قويت أنيابه فعدا بها على الحيوان طالباً غير مطلوب فكان عدوه بانيابه علة تحريمه . وقال المروزي هو ما كان عيشه بانيابه . وقال أبو حنيفة هو ما أفترس بانيابه وان بدأ بالعدو وان عاش بغير أنيابه

ونشأ عن هذه الاختلافات طبعاً اختلاف فيما أحل أكل لحمه وما حرم من الحيوانات التي ينطبق عليها معنى ذوات الناب عند قوم ولا ينطبق عند آخرين

الدكتور حسن ذهني

طبيب جمعية الرفق بالحيوان في القاهرة

التقبيل

عشقت خدوداً للحسان نواضراً يهبن حياة للورى وحماما
شقيت ولو ادركت منهن قبلة لما رمت يوماً في الحياة مراما
تأثمن من تقبيلهن تحرجاً ولم ارَ في تقبيلهن أثاما
اذا انطبقت في صفحة الخد قبلة فقد تركت فيه هوى وغراما
وتنطق بالمكنون في كل مهجة فتحسب تقبيل الخدود كلاما
على ان فيها نغمة تبعث الاسى وتقدح في صدر المحب هياما
ولو سمع التقبيل في اللحد ميت لفضّ صفيحاً حوله ورجاما
وقام على صوت يلذ سماعه ويحيي رفاته في الثرى وعظاما
عجبت وهذا كله بعض وصفها علام تضن الغانيات علاما

عبد اللطيف النشار

المعارك الجوية

وارتقاء الطيران

من كان يحلم ان فن الطيران يصل في بضع سنوات الى درجة من التقدم يمكن بها قيام الطيارات بمعارك جوية وحركات حربيـة لا تقل أهمية عن المعارك البرية والبحرية بعد ان كان الطيران مقتصراً على اجراء حركات بسيطة محدودة المجال . ولقد أظهرت الحرب الجوية الحاضرة للملأ ما انطوت عليه طبائع الفرنسيين والانكليز من الشجاعة والجرأة وحب المجازفـة والاقدام وبرهنت على تفوقهم في المهارة الفنية من هذا القبيل

والطيارات الحربية على انواع أهمها الطيارات الـكشافة ومهمتها استكشاف مراكز العدو واستحكاماته وارشاد المدفعية اليها . والطيارات المحاربة لالقاء القنابل ومحاربة الطيارات المعادية . ويرافق هذه الطيارات أثناء عملها طيارات مطاردة مدرعة سريعة الحركة

ولا يمكننا هنا ايراد جميع الطرق التي يتخذها الطيارون في مهاجمة اعدائهم ومطاردتهم والايقاع بهم فنكتفي بامثلة قليلة من ذلك . وحسبنا الاشارة الى أنه يكاد يكون لـكل من الطيارين الشهيرين طرق خاصة في القتال الجوي

وهاك مثلاً من مئات تحدث يومياً في ميادين القتال في فرنسا :

كان الطيار الفرنسي الشهير نافار (Navarre) يستكشف مواقع العـدو واذا به يرى نفسه محاطاً بست طيارات المانية أربع منها حوله وواحدة فوقه وأخرى تحته حتى كان يخيل لمن يراه أنه قضي عليه بالهلاك . ولـكنه مع هذا الموقف الرهيب ظل محافظاً على رباطة جأشه وأدار دفة طيارته وقام بحركة انقلاب فوق الطيارات الالمانية حتى اصبح خلفها ثم أخذ في مهاجمتها وأطلق عليها وابلاً من قنابل مترااليوزه فاسقط اثنتين منها ولاذت البقية بالفرار وقد خبلتها تلك المهارة الفائقة

وقلما تتعدى الطيارات الالمانية في ميادين القتال منطقة هواء جيوشها بل تظل

فوقهم لتحول دون اقتراب طيارات الحلفاء من هذه المنطقة واستطلاع حركاتهم . ولكن الطيارات الفرنسية لا تبالي بالاخطار وتطير فوق الخطوط الالمانية حتى تمنع الطيارين الالمان من استطلاع الخطوط الفرنسية ولا سيما أثناء خطط الهجوم العظيمة كهجوم السوم وفردون . وكثيراً ما يشتبك الطيارون الفرنسيون في معارك جوية على مسافة عشرين كيلومتراً أو ثلاثين خلف الخطوط الالمانية

وأهم مزية للطيارات المطاردة سرعة طيرانها وارتفاعها . ويجتهد الطيارون قدر استطاعتهم أن يرتفعوا بطياراتهم فوق أعدائهم حتى يتمكنوا من الانقضاض عليهم واصابتهم عند سنوح الفرصة . على أن هذه السرعة كثيراً ما تحدث اضراراً فادحة واخطاراً جسيمة أهمها تكسر أجنحة الطيارة أو تفكك قطعها . فالطيارة التي تطير بسرعة ١٨٠ كيلومتراً في الساعة وترتفع الى علو ٢٠٠٠ متر في سبع دقائق كثيراً ما تنحدر لمطاردة عدو بحيث يكاد يكون انحدارها رأسياً فتتعرض اذ ذاك للتكسر والسقوط

والاحوال الجوية تأثير كبير في الطيران وأوفق الاوقات حين يكون الجو صاحياً والسماء مغطاة بسحب الصيف الناصعة فانها تسهل للطيار الاختباء فيها ومباغتة خصمه الآمن عند سنوح الفرصة فيخرج اليه من مخباه وينقض عليه . وكثيراً ما استعمل الطيارون هذه الحيلة فكانوا يرسلون فوق خطوط العدو طيارة قديمة الطرز تطير على مقربة من الارض وتكون بمنزلة فخ ينصب للتغرير بطياري العدو فيهب هؤلاء لمطاردتها ويكون أولئك اذ ذاك مختبئين طي الغيوم يرقبون المعركة حتى اذا رأوا الفرصة ملائمة هبطوا على الاعداء وأودوا بهم الى الدمار

وليس من الضروري أن تنتهي المعارك الجوية بتحطيم الطيارات أو تعطيلها فقد حدث غير مرة أن طياراً فرنسياً هاجم طياراً المانياً فشعر هذا بقصوره عن منازلة خصمه وسلم له خوفاً من أن يحيق به الوبال . وفي مثل هذه الاحوال يرفع الضابط الرقيب في الطيارة المغلوبة يديه علامة التسليم ويدير الطيار الدليل دفة الطيارة نحو خطوط الاعداء تخفرها الطيارات الظافرة حتى تنزل في ميدان الطيران

ولم تعنَ الدول قبل الحرب بمسألة تسليح الطيارات ولا سيما في فرنسا . وقد اتت الحرب والقليل من الطيارات مسلح بمدافع المتراليوز أو غيرها من معدات الحرب والدفاع . وكان اغلب الطيارين يقتصرون في الدفاع عن انفسهم على استخدام البنادق البسيطة . واما الان فلا ترى طيارة حربية الاَّ وهي مسلحة بالمتراليوز ومنها ما لها مدفعان أو ثلاثة من هذا الطراز

وتركب هذه المدافع عادة على الطبقة العليا من الطيارة امام مقعد الطيار وتكون مثبتة في مكانها . وقد كان الرفاص في ما مضى يعوق اطلاق الرصاص اما اليوم فالطيارة تطلق قنابلها من خلال الواحه بطريقة ميكانيكية مبتكرة

واول من وضع المتراليوز واستعمله بالطريقة الانف ذكرها الطيار الفرنسوي الشهير جاروس (Garros) وقد وقع اسيراً في قبضة الالمان

وفي بعض الطيارات يركب مدفع ثان متحرك في وسط الطيارة ويركز على قاعدة متحركة يمكن بواسطتها تصويب المدفع الى كل الجهات حسب الاقتضاء . وفي البعض منها خرق يخترق جسم الطيارة من فوق الى تحت ويمكن من خلاله تصويب المدفع نحو طيارة معادية ولولا هذا الثقب لظلت الطيارة المعادية مستترة عن عين الرقيب

وخلاصة القول ان فن الطيران قد ارتقى في السنوات الاخيرة ولا سيما اثناء الحرب ارتقاء عظيماً واصبح يضارع الفنون الحربية الاخرى اهمية ودقة

وقد تفنن الطيارون في المناورات والمعارك الجوية تفنناً اصبحوا بفضله يعدون في مصاف ابطال الحروب وجعل لهم المقام الاول بين اهل الشجاعة والاقدام ولا يمضي وقت قصير حتى توضع لهذا الفن القواعد وتسن له القوانين اسوة بقواعد الحروب البرية والبحرية . وان غداً لناظره قريب

الصحافة السياسية في انكلترا

واهم الصحف الانكليزية

هذه تتمة المحاضرة التي القاها سقراط سبيرو بك في نادي الشبان المسيحيين في القاهرة في ٥ ابريل الماضي وقد نشرنا القسم الاول منها في الجزء الماضي وفيه كلام اجمالي عن الصحف الانكليزية عامة ثم عن جريدة التيمس خاصة وهاك الكلام عن سائر الصحف الشهيرة :

المورننج بوست

هي أقدم جريدة لندنيـة فقد أسست عام ١٧٧٢ أي قبل ظهور التيمس بستة عشر عاماً وبلغ ما يطبع منها عام ١٨٠٣ نحو ٤٠٠٠ نسخة مع ان ما كان يطبع من التيمس في ذلك الوقت لم يزد على نصف هذا العدد . على ان نفوذ الجريدة أمر لا علاقة له بعدد ما تطبعه من النسخ والا لكان لبعض الجرائد الثرثارة التي تطبع بمئات الالوف في اليوم تأثير أعظم ونفوذ أوسع من أمهات الجرائد الجدية

وقد كانت المورننج بوست منذ نشأتها جريدة حزب المحافظين ولم يأت أول القرن التاسع عشر حتى صارت لسان حال الوزارة . وجزء كبير منها خاص باخبار الهيئة الاجتماعيـة والآداب والسياسة الخارجية وقد حافظت على صبغتها السياسية والاجتماعية الى الآن ولـكنها لا تهتم بالآداب اهتمامها بهـا في الماضي . وفي منتصف القرن التاسع عشر صارت المورننج بوست جريدة الارستقراطيين أي الاعيان وكان ثمنها ٣ بنسات ولكن صاحبها أنقص ثمنها الى بني واحد (٤ مليات) في عام ١٨٨١ وجعل صبغتها سياسية اكثر ممـا كانت فازداد الاقبال عليها بسبب هذا التغيير وازداد بذلك ربح صاحبها المستر الجرنون بورثويك وأخذت ترتقي منذ ذلك الحين حتى وصلت الى الدرجـة الاولى بين جرائد عاصمة الانكليز التي تدافع عن حزب المحافظين

وقد ظلت المورننج بوست مثابرة على هذه الخطة الى الآن ولكنها لا تتبع آراء رؤساء حزب المحافظين اتباعاً أعمى فانها تناضلهم من وقت الى آخر ولا تحجم عن تقريعهم وتشديد النكير عليهم اذا دعت الحال الى ذلك . فانها لم تسلم بانفصال ارلندا عن بلاد

الانكليز وليس من رأيها تغيير التعريفة الجمركية . وبعبارة أخرى انها لسان حال حزب الاتحاديين الشاب الذي يرأسه المستر أوستن شامبرلين

ولم يكد المستر بالفور يقول انه يرى استشارة الامة في امر التعريفة الجمركية حتى صاحت المورننج بوست صيحة هائلة وقامت على رئيس الحزب فسلقته بالسنة حداد . اما سياستها الخارجية فهي كسياسة باقي الجرائد الانكليزية وقد كان من رأيها التجنيد الاجباري الذي اشار به اللورد روبرتس

الدالي تلغراف

قلت ان التيمس اشهر الجرائد الانكليزية ولا شك في ان الجريدة التالية لها في الشهرة هي جريدة الدالي تلغراف . تأسست عام ١٨٥٥ ولاقت من بدأة عهدها مصاعب شتى الى ان ابتاعها المستر ليفي لاسون بثمن لا يزيد عن سمائة جنيه . ولما كان الرجل على جانب عظيم من الذكاء عنّ له ان يبيع جريدته للجمهور بثمن لا يزيد عن بني واحد على شرط ان تكون مساوية للجرائد الكبرى التي تباع بثلاث بنسات كالتيمس والمورننج بوست من حيث الاخبار خصوصاً وباقي موادها عموماً . ان هذا العمل يظهر لنا بسيطاً في هذه الايام التي تباع فيها الجرائد الكبرى بنصف بني ولكنه كان جسارة عظيمة من صاحب الدالي تلغراف في ذلك الوقت

ومن غريب الامور ان المستر لاسون لم يكن من ارباب الاقلام الا انه استخدم محررين من الطراز الاول فكانت ادارة جريدته عبارة عن مجتمع للكتاب . ثم ان ثمن الجريدة البخس والطريقة التي جرت عليها في نشر الاخبار ورسائلها الخارجية التي كان يدبجها اعظم الكتاب وأمهر المراسلين استجلبت اليها الانظار فزاد عدد القراء زيادة مطردة ولم يمض زمن طويل حتى وصلت الدالي تلغراف الى الحالة التي هي عليها الآن

وقد كانت الدالي تلغراف من اكبر انصار المستر غلادستون والمعجبين به ولكن لما عاد المستر دزرائلي (اللورد بيكنسفلد) الى رئاسة الوزارة بعد مؤتمر برلين حولت الدالي تلغراف سياستها ومالت الى حزب المحافظين ولم تزل الى الان محافظة على هذه الخطة . وهي جريدة الدرجة الوسطى من الهيئة الاجتماعية اللندنية وخطتها امبريالية واتحادية

ومما يدون بالفخر لهذه الجريدة انها قامت بنفقات رحلة ستانلي الرحالة العظيم الى مجاهل افريقيا للبحث عن لفنستون واشتركت في رحلته الثانية مع النيويورك هرالد في تلك القارة السوداء كما يقول الانكليز

ومن مميزات هذه الجريدة الرسالة التي تنشرها كل يوم من باريز ولا تنقص عن عامود لتنبيّ الانكليز بكل احوال عاصمة فرنسا السياسية والادبية والفنية . وهي تنشر كل اسبوع مقالة بقلم احد كبار العلماء في موضوع علمي محض ومن اشهر كاتبي تلك المقالات الشائقة السير راي لانكستر رئيس المتحف الطبيعي

***

جميع الجرائد التي اتيت على ذكرها الى الان من جرائد المحافظين والاتحاديين. فلنذكر شيئاً عن جرائد حزب الاحرار

من غريب الامور ان جرائد هذا الحزب لم تصادف نجاحاً كنجاح جرائد حزب المحافظين لان مدينة لندن هي على وجه العموم من هذا الحزب الاخير فلا عجب مع ذلك اذا كانت اعظم جرائد الاحرار واغناها في غير عاصمة البلاد الانكليزية

الدالي نيوز

تأسست هذه الجريدة في عام ١٨٤٦ وكانت منذ نشأتها لسان حال المتطرفين من الاحرار وكان احد محرريها الكاتب الطائر الصيت شارلس دكنس المشهور برواياته التي يندر ان لا يقرأها احد من الانكليز . وقد كان انتشارها في بعض الاحيان قليلاً ولكنها لم تتخلَّ عن آرائها ولم تغير مبادئها فقد أسست على مبادئ حزب الاحرار ولا تزال على هذا المبدإ الى الان . وهي جريدة ديموقراطية محضة تدافع عن استقلال ارلندا الاداري وحرية تبادل المصنوعات ومطالب حزب العمال وتطلب اخراج الاشراف من حق التشريع وقد كانت عدوة التجنيد العام

أما من حيث السياسة الخارجية فهي تنظر الى جميع الدول بعين الصداقة فلا تفضل واحدة منها على الاخرى ولكنها مع ذلك تعتبر جميع الشعوب الاجنبية كما كان الرومانيون في قديم الزمان يعتبرونهم — بل كما يعتبرهم الصينيون الان — شعوباً متوحشة . نعم ان هذه الافكار قد اخذت تتغير ولكنها لم تتلاش بعد لانها ما زالت شائعة بين الوسط الذي ينتشر فيه الدالي نيوز . فهذا الوسط الشديد التمسك

بجنسيته يرأف بحال الاجانب ويشفق عليهم شفقة مسيحية ولكنه مع ذلك يحسبهم احط منزلة منه ولذا فهو يدافع عنهم ولكنه لا يساويهم بنفسه ولا يريد ان يكون بينه وبينهم صلة نسب . ويعتبر بعض الانكليز حتى اليوم جميع الاجانب بمقام الزنوج او البرابرة

وقد اخذ بعضهم على الدالي نيوز ميلها فيما مضى الى الالمانيين ولكن هذا القول خطأ لان اميالها لم تكن المانية اكثر مما كانت فرنسوية او تركية لانها تقول بمصادقة جميع الامم على السواء . ولكن من يدعي انه صديق الجميع يصبح عديم الاصدقاء . ولذا فمع ان للدالي نيوز اميالاً طيبة نحو الجميع فانها عدوة كل اتحاد وكل تفاهم وكل تواطؤ بين الدول من شأنه تقييد المملكة الانكليزية

الدالي كرونكل

هذه الجريدة حديثة العهد في شكلها الحالي لم يمض عليها اكثر من خمس وثلاثين سنة فهي اذاً أصغر جرائد الصباح سناً . وقد كانت في بادىء عهدها اسبوعية ونصف اسبوعية ولكن في عام ١٨٧٧ اشتراها أصحابها الحاليون وجعلوها جريدة يومية مصبوغة بصبغة حزب الاحرار وسموها بالاسم المعروفة به اليوم . ولم يمض عليها زمن طويل حتى انتشرت انتشاراً عظيماً وصارت مرآة لآراء الاحرار ولكنها تعبر عن آراء رؤوس الحزب وبالتالي آراء الاحرار المفكرين . ومما زاد في نجاحها انها لم تبخس أعداءها حقهم وانها تسير مع الايام فضلا عن يقظتها واختلاف المواضيع التي تبحث فيها وصدق اخبارها وسلاسة أسلوبها . ومع أنها جريدة حزب الاحرار فان حزب المحافظين لما كان متبوئاً دست الوزارة لم يأنف من ان يبلغها أخباره لنشرها

الدالي مايل

قد كان لظهور هذه الجريدة دوي عظيم في البلاد الانكليزية ولم تكد تظهر حتى انتشرت انتشاراً عظيما . وقد فعل أصحابها ما فعل أصحاب الدالي تلغراف قبل ذلك بخمسين سنة . لان أصحاب الدالي تلغراف باعوا بيني واحد جريدة تساوي غيرها من الجرائد التي تباع بضعف هذا الثمن واصحاب الدالي مايل باعوا جريدتهم بنصف بني وهي موازية من حيث المواد لاي جريدة اخرى تباع بيني واحد . ويطبع منها الآن في اليوم الواحد مئات الالوف من النسخ ومما امتازت به طريقتها في تحرير

الاخبار بالاختصار وتزيينها برسوم عند الحاجة وما تعقبه عليها من الافكار السديدة والآراء الصائبة . ويقرأها الجميع أو على الاقل فمن لا يقرأها يمرّ بنظره على ما فيها وقد صارت جريدة أصحاب الاشغال الذين لا وقت عندهم لتصفح الجرائد الكبيرة الحجم كالدالي تلغراف وغيرها فان مجرد القاء النظر عليها يكفي لمعرفة أخبار اليوم من داخلية وخارجيـة وأخبار المعية الملكية وما يجري في الهيئة الاجتماعيـة واخبار التياترات وما ظهر من الكتب الحديثة وبالاختصار كل ما جرى في اليوم الماضي مما يهم الجمهور معرفته . أما من حيث السياسة فالدالي ميل من حزب الاتحاديين

***

هذه جميعاً جرائد الصباح ولكن في عاصمة بلاد الانكليز جرائد أخرى يومية تظهر في المساء . نعم ان بعض الجرائد الكبرى تنشر نحو الساعة الثانية بعد الظهر طبعة ثانية حاوية للاخبار التي وردت عليها بعد ظهور الطبعة الاولى (حوالي الساعة السادسة صباحاً) لكن هذه الطبعة الثانية ليس فيها شيء من المقالات الرئيسية غير ما ظهر في الطبعة الاولى . ولذلك كان لا بد لكل حزب من الاحزاب السياسية من جريدة أو جرائد تظهر عند الغروب حاوية لمقالات سياسية جديدة . ومن جرائد المساء جريدة الجلوب وهي أقدم جرائد المساء عهداً وتنتمي الى حزب المحافظين ولكنها مع ذلك تنشر مقالات تهم مجموع الامة لا طائفة واحدة من الطوائف السياسية . وجريدة الوست منستر غازت وهي من جرائد حزب الاحرار ومن مميزاتها الصورة الهزلية التي ينشرها كل يوم السير ف . جولد وهي مع انها كثيراً ما تكون قارصة الا انها لم تكن يوماً من الايام جارحة . وجريدة البال مال غازت وهي لسان حال حزب الاتحاديين المستقل ومن مميزاتها المسائل المالية وأخبار الالعاب الرياضية . وقد رأس تحريرها زمناً الطيب الذكر المستر وليم استيد الذي غرق في الباخرة تيتانك وكانت اذ ذاك اعظم جرائد المساء واكثرها انتشاراً . ومما يروى عنها ان المستر استيد نشر فيها سلسلة مقالات عن الرقيق الابيض في لندن تحت عنوان The Maiden's tribute أثار فيها الرأي العام وقد أقيمت عليه بسببها قضية جنائية حكم عليه فيها بالسجن ستة أشهر . وقد قال رحمه الله انه يفتخر بهذا الحكم عليه لانه لم يجن جناية بل أدى خدمة لامته تشكره عليها

بقي لي كلمة واحدة عن جميع هذه الجرائد تتعلق بما تنقده عن المقالات التي

يبعث بها اليها غير محرريها المأجورين . قلت فيما مضى من الكلام ان هذه الجرائد تستكتب أعظم الكتاب الاختصاصيين وتدفع لهم أجوراً عن مقالاتهم لا يحلم بالحصول على مثلها كاتب في جرائدنا العربية . ولكل جريدة من هذه الجرائد تعريفة خاصة بها — كما لكل منها تعريفة خاصة بالاعلانات . فبعض هذه الجرائد تدفع ثلاثة جنيهات عن العمود الواحد وبعضها تدفع خمسة جنيهات . الا ان الرسائل التي يحررها كبار الرجال من السياسيين وغيرهم لا تقدر باقل من العشرين الى الخمسين جنيهاً عن المقالة الواحدة . وقد قال أمامي المرحوم المستر الفرد اوستن شاعر الملك السابق ان جريدة الاستاندارد كانت تدفع له خمساً وعشرين جنيهاً عن المقالة الافتتاحية الواحدة . وقد قرأت ان المستر غلادستون تقاضى مائتين وخمسين جنيهاً عن مقالة نشرت في مجلة القرن التاسع عشر واللورد تنيسون شاعر الملك الاسبق كان يتقاضى مایة جنيه عن كل قصيدة وبعض قصائده لم تزد على العشرين بيتاً

***

لم اقصد في هذه الخطبة ان اذكر لكم تاريخ الصحافة اللندنية بل جل غرضي بيان اميال الجرائد المشهورة منها وشيء عن احوالها . وقد اخذت كل هذه الجرائد منذ عشرة او خمسة عشر عاماً ان تحذو حذو الجرائد الاميركية في ذكر الاخبار اليوم بالاختصار عملاً بمبدأ الاطباء الذين يقولون ان الجسم البشري يتغذى بما تهضمه المعدة لا بما يدخل فيها . فالتطويل في المقالات والتوسع في ذكر الاخبار لا يفيدان القارئ لان جل قصده من قراءة الصحف معرفة ما يجري في البلاد . اما الاطناب في الوصف والاسهاب في التعليق على مواضيع ومسائل اكل عليها الدهر وشرب فمما يمل منه القارئ اللبيب

***

فمما تقدم نرى (اولاً) ان كل جريدة من الجرائد الانكليزية تنتمي الى حزب من الاحزاب السياسية تعبر عن آرائه وتدافع عنه ولكن ليس دفاعاً أعمى بل دفاع جريدة حرة شريفة لا تتأخر عن انتقاد حزبها اذا رأت منه ما لا ينطبق على مبادئه او على ما تراه صالحاً للبلاد . (ثانياً) انها تعتبر أهم واجباتها اذاعة الاخبار الصادقة لان الغرض الاول من الجريدة انما هو التقاط الاخبار ونشرها باسرع ما يمكن . اما الدفاع عن الحزب السياسي الذي تمثله فذلك امر ثانوي في نظرها . (ثالثاً) انها لا تحجم عن نشر آراء مخالفة لخطتها وسياستها لانها تعتبر هذه الاراء جزءاً من اخبار

اليوم لا بد من اطلاع القراء عليه . (رابعاً) ان اصحابها لم يضعوا نصب اعينهم اكتساب المال بكل الطرق الميسورة فان المصلحة العامة ابداً نصب اعينهم . (خامساً) ان جزءا لا يستهان به من دخل الجريدة ينفق على نقد أمهر الكتبة وارباب الاقلام واصحاب العقول الكبيرة الذين لهم القول الفصل في الامور العمومية والمسائل التي يهم الجمهور معرفتها . (سادساً) انها تبتكر المواضيع الشائقة اللذيذة المفيدة وتشغل جانباً غير صغير من اعدادها بمقالات في الادب والعلوم والفنون والتجارة وغيرها لانها ترى ان الجريدة يجب ان تكون كباقة الازهار يرى فيها كل قارىء من الالوان والروائح ما يحب ويشتهي ولانها مرآة العصر ينعكس فيها كل ما هو جار في العالم من وسائل التقدم المادي والادبي . (سابعاً) ان الصدق والشرف وسامي المبادىء رائدها في كل حرف تخطه وهي لا تمزج الشخصيات بالعموميات . (ثامناً) ان محرريها ومكاتبيها من اقدر الناس . (تاسعاً) ان مركز الجريدة الادبي ومكانتها في العالم لا يتوقفان على عدد ما تطبعه من النسخ بدليل ان التيمس اعظم جرائد العالم لا يطبع منها سوى جزء مما يطبع من الجرائد الاخرى

كلمات للدكتور غوستاف لوبون

السكوت عند السياسيين — كما عند النساء — هو في الغالب خير ايضاح واجلى بيان

خير للشعب ان يغير مزاجه العقلي من ان يزيد معداته ومهماته

اقدر الرجال على قيادة الجماهير لا يلبثون ان ينقادوا لها عند حد معلوم

خير لرجال السياسة ان يدركوا نظر الناس الى الامور وتصورهم لها من ان يدركوا حقيقة تلك الامور وجوهرها

في مقدمة الشروط اللازمة لسيطرة الحاكم ان يستطيع توليد العقائد في رعيته وتكبيرها وابادتها حسب اللزوم

الحاضر صنيعة الماضي ومهيء المستقبل

ليس في التاريخ حوادث بسيطة فكل حادث يكتنف نشوءه اسباب خفية وعوامل بعيدة فضلا عن الاسباب الظاهرة والعوامل القريبة

بحث في النقد

— ٨ —

النقد في فرنسا

الطور التاسع : النقد العلمي . هيبوليت تين

النقد في عرف سانت بوف بحث بسيكولوجي الغرض منه ايضاح تاريخ حياة الكاتب ومداركه ووجدانه ، وعلاقة مؤلفاته بالامة التي هو فرد من افرادها والبلد الذي هو ثمرة من ثماره . وقد امتنع من الحكم على الكتب لانه كان يعتقد ان الناقد لا يتيسر له التجرد عن ميوله الشخصية ، مما يضطره الى ان يكون مغرضاً في حكمه . وعلى ذلك فقد اغفل بعض شروط النقد الحقيقي : ومنها الحكم والترتيب . وقد نجح في التراجم ، ولكنه فعل مثل صانع السلاسل اجاد في صنع الحلقات ولم يفلح في وصلها . ومع ذلك فقد زعم انه اتبع في النقد الطرق العلمية ، على ان العلم يقضي بان يشمل البحث اجزاء الموضوع الذي يدرسه ففسد زعمه . هذا مافات سانت بوف ووفق اليه زميله تين . اذ طبق هذا الاخير قواعد العلم الحديث على النقد ، فابتدع مذهباً جديداً في هذا الفن كان له تأثير شديد في مصير الآداب

لمذهب تين اركان ثلاثة : الجنس والوسط والزمان . وقد زعم ان الكاتب صنيعة تلك العوامل الثلاثة . وقد سبق تين كتاب عديدون ذكروا شيئاً عن تأثير الجنس والوسط في المؤلفات ، غير انهم لم يبينوا ذلك التأثير بوضوح تام ، ولم ينهجوا في بحثهم منهجاً علمياً ، كما انهم لم يأتوا ببراهين كافية يؤيدون بها اقوالهم . فمثلهم ازاء تين مثل نحاتي الاحجار ازاء البناء الذي يستعين بتلك الحجارة ليشيد قصراً فخماً

ومن الآراء العلمية الشائعة في عهد تين ان المواهب العقلية — مثل الخيال والذاكرة والشعور وغيرها — إما ان تكون في مستوى واحد ، وإما ان تقوى احداها وتضعف الاخرى . فاشتداد قوة الذاكرة في رجل يقابلها ضعف في ذكائه مثلا . وترى ايضاً ان الشعوب التي اشتهرت بقوة الخيال وشدة الاحساس ، فمالت الى الشعر والفنون الجميلة ، لا تقوى على الاعمال الفلسفية التي تستدعي عقلاً راجحاً

وذكاء مفرطاً . فهنالك تباين بين الشعوب في المدارك والمشاعر وجميع القوى العقلية. ويرى ان نسبة الفرد الى الامة كنسبة الفرع الى الشجرة . ولا يخفى ان الاشجار اصناف عديدة ، وكذلك الامم . وكما ان غصون الشجرة الواحدة متشابهة في جوهرها، مهما اختلفت في شكلها ، كذلك افراد الامة . على ان غصون الاشجار المختلفة تختلف بعضها عن بعض . وتجد نفس الاختلاف بين افراد الامم : فبين الانجليزي والفرنسي بون شاسع في الاخلاق والعادات ، وفي المدارك والمشارب ، يترتب عليه تفاوت نظرهما الى الاشياء وادراكهما الحقائق . هذا هو تأثير الجنس في الفرد : فالفرد يظهر في عالم الوجود وقد فطر على غرائز ورثها عن والديه ، كما ورثاها عن والديهما — غرائز تجدها في مواطنيهم جميعاً ، لانها خصيصة بالشعب الذي ينتسبون اليه ، وهي التي سماها تين بالصفات الجوهرية caractères essentiels

غير اننا اذا رجعنا الى اقوال علماء الحيوان التي استعان بها ليؤيد نظريته ، وجدنا ان الصفات الجوهرية لاتكفي لتمييز كل حيوان من سواه . فقد تشترك عدة حيوانات مختلفة في صفة من الصفات العامة ، ولا بد لتمييز بعضها من بعض من معرفة صفاتها الخاصة المميزة لكل منها . بل ان بين افراد النوع الواحد فروقاً يسهل ملاحظتها ويتيسر بها تمييز كلب من كلب وهر من هر وقس على ذلك . واذا اعتبرنا ذلك في الانسان ، وجدنا ان لكل فرد ذاتية خاصة عدا الصفات المشتركة بينه وبين بني جنسه أو بني شعبه أو قبيلته . فلابي العلاء ذاتية تجعل له صورة مخصوصة في ذهننا تختلف عن صورة ابي فراس مثلا ، مع انهما من جنس واحد ونشآ في عصر واحد ، مما جعل كلاً منهما ينحو نحواً مخصوصاً . هذا ما اخطأ فيه تين ؛ فقد فاته ان لشخصية الكاتب المقام الاول في مؤلفاته . وفاته ايضاً انه قد يظهر احياناً بين افراد امة لم تشتهر باحراز العلوم الفلسفية مثلا ، فيلسوف يندر نظيره في الامم الاخرى . فالبرتغاليون مثلا قلما نجد فيهم استعداداً للفلسفة النظرية métaphysique ومع ذلك فسبينوزا Spinoza ، وهو من مشاهير الفلاسفة النظريين ، برتغالي الاصل

ولننتقل الآن الى الركن الثاني من اركان مذهب تين : الوسط . الوسط عبارة عن مجموع الاحوال والحوادث والطوارئ التي تكتنف حياة الامة فتغير العادات وتبدل العقائد وتحول الامة احياناً برمتها فتقلبها من حال الى حال . وهذه الحوادث والطوارئ إما ان تكون سياسية كتغيير نظام الحكومة ، أو تاريخية مثل حدوث حرب أو

ثورة ، أو اجتماعية مثل ظهور مصلحين اجتماعيين أو دينيين ، أو طبيعية وهي الوسط الجغرافي أي موقع البلاد وشكلها وتربتها وحالة جوها ونحو ذلك — يتأثر الانسان عادة من كل ذلك ، ولكنه يستطيع نبذ هذه التأثيرات . فقد تنشب الحرب في بلد ويظل احد قاطنيها منزوياً في قاعته يكاد لا يدري بها فلا يعيرها أقل التفات ولا يصغي الا لوحي فؤاده ، فينظم شعراً رقيقاً أو يؤلف كتاباً فلسفياً أو غير ذلك . وفي الوقت نفسه قد نرى مصوراً خلا لنفسه ينقل على لوح أمامه صورة ارتسمت على مخيلته . وعلى ذلك فقد تكون آثار الكتاب واصحاب الفنون الجميلة خالية من تأثير الوسط . على ان العلماء اليوم يعتقدون جميعاً بتأثير الوسط ، ولكن ليس بالدرجة التي كان تين يتصورها

أما الركن الثالث — الزمان — فقد قال تين بشأنه : أن الشعب مثل النبات يمر بادوار متتابعة . فكما انه من البراعم (أو الازرار) تنشأ الازهار فالأثمار فالبذور ، كذلك الكتاب يتعاقبون ويرث خلفهم السلف ويستعين بما ادخره . فمن ذلك نرى ان المقصود من تأثير الزمان هو تأثير المؤلفات في المؤلفات

بقي علينا كلمة نقولها في مذهب تين لنستوفيه حقه من الشرح . فقد ورد في كتابه تاريخ الاداب الانكليزية : « كما اننا ندرس الصدفة لنعرف الحيوان الذي يسكنها فاننا ندرس الكتب لنعرف واضعيها » . فرد عليه برونتيير بقوله : « ان هذه النظرية لا تصدق دائماً . اولاً — لاننا قد نقرأ كتاباً لنطلع فيه على ما يوافق مشربنا ويلذ لنا ، ولنقف على معيشة الناس في عصر صاحب الكتاب . وقد نفكر في الكاتب لدى قراءة كتابه ، ولكن ذلك يكون عرضاً في الغالب ، بل هو آخر شيء يخطر على بالنا . ثانياً — لو فرضنا اننا نقرأ الكتاب لنعرف كاتبه ، فالواجب علينا في هذه الحال ان نبحث عن الفرق بين ذلك الكاتب وسواه ، مما يضطرنا الى مطالعة الكتب الكثيرة ، وان نقارنه بهم لنحدد له مكاناً بينهم . فلا يمكننا اذاً الجزم بان الغرض الحقيقي من قراءة كتاب هو معرفة كاتبه . وقد ارغم تين اخيراً على التصريح بان بعض آثار السلف لا تفيدنا شيئاً اذا اردنا ان نستخلص منها درس شخصية اصحابها فقط ، اوحالة الشعب في زمن ظهورها ومكانه . فانما الفائدة التي نجتنيها من وراء فحص التماثيل اليونانية ودرس التصوير في ايتاليا وهولاندا هي ادراك ماهية الفنون الجميلة بحد ذاتها وبقطع النظر عمن اشتغل بها ، وادراك ماهية الجمال على وجه الاجمال . وقد

وضع تين كتاباً نفيساً في « فلسفة الفنون الجميلة » نص فيه على قواعد النقد وشروطه . ومما يجدر ذكره انه كان يرمي بقدر المستطاع الى اضعاف شخصية الصانع في صنعه ، خوفاً من ان يصبح الفن عرضة للاهواء والتقلبات ، ولكي ينهج المنهج القويم الذي تثبت افضليته باقرار الخبيرين . بمعنى انه اذا وضع احدهم كتاباً ، فلا يخصص القسم الاوفر منه للكلام عن نفسه ، ولا بداء آراء جديدة شاذة في موضوع قد سبق ان بتّ فيه نهائياً . واذا نظم شاعر قصيدة ، فلا يتبع طريقة خاصة في الوزن والقافية تنافي الذوق السليم ، وتنافي الطريقة المعروفة التي ايدها فطاحل الشعراء . فمثل ذلك الكتاب ومثل تلك القصيدة لا حظ لهما في البقاء . وكان يرى تين ان غرض الفن تمثيل الطبيعة تمثيلاً مباحاً فيه بعض التصرف والتحسين (لان الريشة في يد المصور ليست آلة فوتوغرافية تنقل الاشياء على علاتها)

أما فيما يختص بالحكم على المؤلفات ، فقد كان ينظر الى اعتبارات ثلاث : اولها جوهر الكتاب ، اي ان قيمته تكون بنسبة ما فيه من الحقائق الثابتة والصور الدائمة والحوادث المشاهدة في كل عصر : فروايات شكسبير ذات قيمة عظيمة لان فيها من الحقائق والصور والحوادث ما ينطبق على كل مكان وزمان . ثانيها فائدته العملية ، اي ان الكتاب يعلو شأنه اذا كانت الحقائق المذكورة فيه مفيدة للمجتمع الانساني ، كأن يرشد الى أصلاح عيوبه ومساوئه ، والعكس بالعكس ، ولكن فات تين ان هنالك كتباً قلما تفيد من الوجهة العملية ، وهي مع ذلك أحق من سواها بالثناء والتقريظ . ونحن لو رأينا رأي تين لاضطررنا الى تفضيل ابي الإسود الدؤلي على امرئ القيس ، لان هذا الاخير صور في معلقته حوادث تجرح الاذان العفيفة . ثالثها اسلوب الكتاب وانشاؤه ، مما دعى تين الى الاعتراف اخيراً بشخصية الكاتب وعبقريته الفردية

هذا هو مذهب تين بسطناه للقراء مع ملاحظات اشد خصم له وهو فرديناند برونتيير صاحب مذهب النشوء والارتقاء في النقد والاداب . ولسنا نقر بصحة تلك الملاحظات كلها ، غير اننا لا نعتقد كذلك ان الجنس والوسط والزمان هي كل شيء في حياة الكاتب ، لانه لا يجب ان يبرح من ذهننا ان للشخصية المقام الاول . ولكننا لا نرى سبيلا الى انكار تأثير تلك العوامل الثلاثة

وقد اقر برونتيير نفسه بان تين اعظم ناقد ظهر في عصره ، وابرع استاذ لابناء زمانه . والفضل في ذلك راجع الى غزارة افكاره المستحدثة السامية في كل موضوع

درسه، وخصوصاً في النقد . فقد وسع نطاقه وجعله في منزلة محقق عامل وحاكم عادل ومرشد عاقل لجميع الآداب والعلوم . ويجدر بنا أن نشير الى ان قواعد النقد التي بسطناها في المقالة الاولى مبنية على آراء تين

فمعظم الفضل في النقد الحديث راجع الى هيبوليت تين . وقد كان يكفي للناقد قبل ذلك أن يكون ذا ذوق سليم وعقل راجح . ثم اصبح مضطراً أن يتلقن العلوم الطبيعية والفلسفية ، وان يلمّ في الوقت نفسه بالاداب الاجنبية وتاريخها . ويجب ايضاً ان تتوافر فيه جميع الشروط الاخرى من موهبة غريزية للنقد وارادة شديدة تنحاز الى عقله الراجح دون عواطفه المتقلبة واهوائه الخداعة

الطور العاشر : النقد ومذهب التحول

اراد برونتيير الاقتداء بالمحدثين المتمذهبين بمذهب التحول ، فنظر الى النقد نظرهم الى العلوم الطبيعية . ولمذهبه في النقد ركنان هما شخصية الكاتب ، وتأثير المؤلفات في المؤلفات . وقد اوضح رأيه في كتاب « مختصر تاريخ الاداب الفرنسية »

والمراد بشخصية الكاتب مواهبه العقلية واستعداده للتأليف ومقدرته في الانشاء وسعة معارفه . فالفرق الظاهر بين مؤلفات ابن خلدون ومؤلفات غيره من مؤرخي العرب ناتج عن الفرق بين مداركه ومداركهم . أما تأثير المؤلفات في المؤلفات فهو ما نلاحظه في ترقي العلوم . فان الطب مثلا لم يتقدم الا تدريجاً بما ورثه الخلف من آثار السلف ومباحثهم وتجاربهم . ولولا تسلسل مؤرخي الفرنج ونقادهم في القرن التاسع عشر ووضعهم المناهج الحديثة في التاريخ والنقد وتنقيحهم اياها شيئاً فشيئاً ، ما كتب جرجي زيدان تاريخ التمدن الاسلامي كما ابرزه لنا . وقد دعا مذهب برونتيير الى البحث عن الرابطة الموجودة بين المؤلفات وعلاقتها بعضها ببعض ، والى ايضاح تسلسل الافكار في العصور المتتابعة والى ادراك اسباب تطور الاداب . الا ان ذلك المذهب لايخلو من اغلاط كسواه من المذاهب : فقد اضطره الى اهمال بعض الكتاب النوابغ ، بداعي أن مؤلفاتهم لم تؤثر في الكتّاب الذين أتوا بعدهم ، فاغفل ذكرهم كأنهم لم يكونوا ، في حين انه ذكر آخرين أحط منهم شأناً ، لان مؤلفاتهم احدثت تأثيراً فيمن جاء بعدهم

لقد كانت غاية برونتيير وزملائه تطبيق قواعد العلم الطبيعي على النقد ، ولكنهم اخطأوا المرمى اذ ان النقد ليس علماً فقط كما انه ليس فناً فقط . بل هو علم وفن في آن

احد ، وعلى ذلك فلا يجوز ان تطبق قواعد احدهما عليه دون قواعد الثاني . ولسنا نقصد من قولنا هذا أن نبخس الرجل حقه . فان برونتيير من الكتاب المعدودين الذين يستشهد بارائهم في النقد والادب ، وله مؤلفات كللها المجمع الفرنسي . وقد كان له صولة ونفوذ ساد على كتاب عصره ولم يقو احد على منازلته في ميدان الكتابة . وقد شهر حرباً قلمية على نفر من الكتاب كتبوا في النقد كانهم يكتبون قصة او رواية ، ونخص منهم جول ليمتر واناتول فرانس (ولا يزال ثانيهما في قيد الحياة)

اشتهر فرانس وليمتر بالنقد الانفعالي impressioniste او الشخصي subjective يقرأ احدهما كتاباً ويسر بمطالعته فيمتدحه ، ثم يعيد مطالعته بعد زمن ويستاء منه فيسخط عليه . فالنقد في يدهم كالحرباء التي تتلون مع الاحوال . على ان واجب الناقد المعتدل ، اذا حكم ، أن يكون حكمه ثابتاً لا يتحول لاي سبب من الاسباب . فقد يمل احدهم قراءة بعض فطاحل الشعراء ويشعر بانه مضطر مع ذلك الى الاعتراف بعلو شأنهم . وقد انتقد برونتيير طريقة الكاتبين المذكورين انتقاداً شديداً لانه كان يعتقد ان النقد المتقلب الذي لا يثبت على حكم وقرار ليس نقداً ، بل رأياً خاصاً لا يعول عليه

بقي لنا كلمة نقولها في النقد في اوائل القرن الحالي : فان سانت بوف وتين وبرونتيير تواروا في رمسهم ، وفقد النقد بفقدهم منعشي آماله وامانيه . ولم يظهر بعدهم من يمكننا الاعتماد عليه في هذا الموضوع . كأنه اصاب النقد ما اصاب سواه من العلوم التي راجت ردحاً من الزمن ثم تلاشت . ولا ريب ان الخسارة عظيمة على الاداب من جراء ذلك

الا ان الكتاب الذين يشتغلون بالنقد في الزمن الحالي يقتفون اثر اميل فاجيه المتوفى في العام الغابر . وكان المذكور اقدر زملاء برونتيير وخلفائه

لم ترق المذاهب لفاجيه ، فتنحى عنها وفضل ان يكون مثل السائح المتجول الذي يقف حيثما يشاء ، ويمر مروراً في البلاد التي لا يود ان يمكث فيها . فاذا كتب عن رحلته وصف المدن التي نزل فيها بدون ذكر الفيافي والقفار والانهر والجبال التي مر بها وقطعها ليصل الى تلك المدن كأنها لم تكن . هكذا فاجيه ، فان له تراجم متفرقة قلما تجد مثيلها . فهو ان درس كتاباً فحصه بعناية الطبيب الذي يشرح جثة ، فلا تفوته فائتة ، ولا يبصر شيئاً الا ويحدث عنه ملياً بعبارات تزيد معانيها على عدد كلماتها.

يصور صاحب الترجمة بقلم متين صورة ترسخ في الذهن . وقد كان يرمي دائماً الى ايضاح مدارك الكاتب بواسطة كتبه واظهار العلاقة بين وجدانه ومؤلفاته . ولكنه لم يهتم قط في ايجاد صلة الكتاب بعضهم ببعض. فلا نعرف له مؤلفاً نظر فيه الى الاداب نظر شاملة جامعة . فهو خليفة سانت بوف ولكنه تفوّق عليه باحكامه وملاحظاته الفلسفيه

ومما يجدر ذكره ان سانت بوف وتين وبرونتيير وفاجيه لم يقروا ويعترفوا الا بالنقد الخارجي أو غير الشخصي objective خلافاً لرأي فرانس وليمتر وخلافاً لنفر آخرين من النقاد الذين لم يعتدوا الانشاء واسطة فقط بل غرضاً . وقد زعمو ان نقدهم هو ضرب من ضروب النقد الفني Artistique . فذهبوا مذهب ذلك البياني الذي يهتم بالعَرَض دون الجوهر ، فيفضّل مقامات الحريري على كتاب الاغاني مثلاً ، لانها امتن لغة وصاحبها اكثر تضلعاً في علم النحو

هذا هو تاريخ النقد في فرنسا . وقد بينا الاطوار التي مرّ بها وشرحنا مذاهبه الحديثة . وقد يستغني القارئ عن درس النقد عند الامم الاخرى لسببين : احدهما ان الفرنسيين اهتموا به ونجحوا فيه اكثر من سواهم ، والاخر ان من اطلع على النقد عندهم فقد عرفه ايضاً عند سائر الامم ، خصوصاً في صورته الحديثة ، لاحكام الروابط العلمية في العالم المتمدن

ولا بأس لتتمة الفائدة من ذكر اسماء بعض مشاهير النقاد الالمان والانجليز ليرجع اليهم من يشاء التوسع في الموضوع . ففي المانيا : لينسنج [١] وهردر [٢] وهيجل [٣] وشليجل [٤] — وفي انجلترا : دريدن [٥] وجونسون [٦] وهيوم [٧] وهازليت [٨] وماكولي [٩] وكارليل [١٠] وامرسن [١١] ورسكن [١٢]

م . ب .

---

(١) Lessing (١٧٢٩ ـ ١٧٨١) (٢) Herder (١٧٤٤ ـ ١٨٠٣)
(٣) Hegel (١٧٧٠ ـ ١٨٣١) (٤) Schlegel (١٧٦٧ ـ ١٨٤٥)
(٥) Dryden (١٦٣١ ـ ١٧٠٠) (٦) Johnson (١٧٠٩ ـ ١٧٨٤)
(٧) Hume (١٧١١ ـ ١٧٧٦) (٨) Hazlitt (١٧٧٨ ـ ١٨٣٠)
(٩) Macaulay (١٨٠٠ ـ ١٨٥٩) (١٠) Carlyle (١٧٩٥ ـ ١٨٨١)
(١١) Emerson (١٨٠٣ ـ ١٨٨٢) (١٢) Ruskin (١٨١٩ ـ ١٩٠٠)

المناظرة والمراسلة

صلوة القديس «أبو تربو» وشفاء الكلب

حضرة محرر الهلال

أقرأ دائماً مقالات الاستاذ الدكتور حسن ذهني طبيب جمعية الرفق بالحيوان القاهرة التي ينشرها في الهلال الاغر بلذة وشوق عظيمين معجباً بطلاوة عبارتها جودة مبناها ومعناها وما فيها من حقائق العلم والآراء الناصحة الناصعة — على أني بعد ما طالعت الفصل السابع من مقالته التي عنوانها «الكلب والانسان» المدرج في الهلال عدد ٧ مجلد ٢٥ نالني من الدهش والاستغراب شيء كثير، وكدت لا أصدق عيني فيما قرأت، فقد أتى الدكتور الفاضل على تفصيل خرافة طويلة من خرافات الاقباط في شفاء الكلب تسمى «صلوة أبو تربو» نسبة لواضعها أحد مضطهدي المسيحية في أيام دقلديانس امبراطور الرومان — والذي ادهشني ما أعهده في الدكتور ذهني من الرقي العصري المنزه عن أمثال هذه السخافات العتيقة المضحكة التي كذبها العلم الحديث أيما تكذيب وأنكرها العقل السليم الراجح في طوره الجديد، فانه لا يسلم في هذا العصر — عصر الحقائق لا الخيالات — بان «أبو تربو» هذا له من القوة والبركة والنفوذ لدى الالهة ما يستطيع بها ان يشفي المكلوبين على أيدي القساوسة والشمامسة بعد مرور نحو ١٨ قرناً على سكناه القبر! كما لا يعقل ان مجرد دوران سبعة أطفال (أطهار أبرار!) حول المكلوب سبع دورات، وأكله فطيرهم سبعة أيام — ذلك الفطير الذي يقضمه العرفاء والشمامسة والاطفال بأفواههم ويقدمونه للمريض بهذه الصورة التي تتقزز منها الانفس — لا يعقل أبداً أن هذه الحماقات تبرىء المكلوب وتطهر جسده من تسمم الكلب الكلِب بعد ما بدد العلم ظلمات تلك الافكار الغبية المنحطة. ولو أن باستور رحمه الله أوصانا «بأبو تربو» وأيد لنا طريقته ببراهينه الكيمية القاطعة لآمنا بذلك القديس وقلنا طوبى للمكلوب الذي يشفيه ابو تربو!

***

بقي لي ان أتساءل : ما الذي حدا الدكتور ذهني العالم العصري المستنير أن ينشر في مجلة علمية راقية كالهلال فصلاً طويلاً عريضاً في طريقة « أبو تربو » الخرافية هذه ؟ فهو لا بد ان يكون له غرض واحد من ثلاثة ، فاما أنه يعترف بصحة هذه الطريقة وهو ينشرها لاتباعها والعمل بها ، وهذا ما انزهه عنه كل التنزيه ، واما ان يكون غرضه مجرّد الرواية على سبيل سرد احدى الطرق المتبعة في مداواة داء الكَلَب ، فهذا لا بأس به لو كان حضرته علق على الفصل بما يوحيه اليه ضميره الحيّ واخلاصه نحو أفراد امته من التصريح بتكذيب هذه الطريقة وخروجها عن حدود العلم والعقل ، وهو لم يفعل ، وإما انه يقصد التهكم والسخر من بعض عوائد الاقباط الخرافية فان كان ذلك فوالله لقد أحسن مزيد الاحسان

ولقد دعاني لكتابة ما تقدم معرفتي الاكيدة بما للدكتور ذهني من المكانة الرفيعة في قلوب الكثيرين وثقتهم باقواله وارشاداته — لئلا يظنوا ذلك القول منه تحريضاً لهم على اتباع طريقة « أبو تربو » القديس المتصل بما وراء الطبيعة واجتناب طريقة باستور العالم العملي منشىء علم البكتريولوجيا الذي لم يتصل الا بالطبيعة فقط ! . . .

***

وجدير بي هنا ان الفت مصلحة الصحة الى الفطير الذي يأكله المكلوبون بالصفة الآنفة الذكر أي بعد ما يكون قد قضمه الشمامسة والعرفاء والسبعة الاطفال الاطهار بأفواههم اذ لا يبعد ان لعابهم الذي سيصل الى امعاء المكلوب مع الفطير يكون محتوياً على جراثيم مرضية كمكروب التيفوس او الدفتريا أو غيرهما وسرعان ما تنتقل اذ ذاك العدوى فيصبح هم المكلوب همين وويله ويلين ولا ينفعه حينئذ أبو تربو ولا أعوانه ! . . .

ميخائيل ابراهيم
الزقازيق معلم قبطي ارثوذكسي

قرأت نقد حضرة الاديب ميخائيل افندي ابراهيم على ذكر علاج القديس «أبو تربو» في الكلب وعدم تعليقي عليه وأؤكد لحضرة الناقد اني ذكرته على سبيل سرد احدى الطرق المستعملة في مداواة هذا المرض وأوافقه على انه علاج خارج عن حدود العقل والعلم بل علاج مؤذ وضار أيضاً لان طريقة عمله مسهلة لاسباب العدوى لا سيما اذا كان بين « المتربين ؟ » قس أو شماس أو طفل مصاب بمرض معد

أما كوني قصدت بالنشر التهكم والسخرية من بعض عوائد الاقباط فاني اخجل ان انكر ذلك أمام حضرة ناقدي وأمام من يرون رأيي فيما عنق من امثال هذه لاعتقادات والعادات التي لا تزال آخذة بخناق الكثير من المسلمين والاقباط على لسواء وحالة من قلوبهم محلا موجباً للاسف وضيق الصدر

ونشعر من جهة أخرى بأنه سيأتي زمن فيه يتناول ناموس بقاء الانفع كل مالا فائدة فيه من امثال هذه الخرافات . فلا يعجل ناقدي فان قومنا لم يعتادوا بعدُ سماع الحق وكل آت قريب . وحبذا لو قبل مزيد شكري على ما أسداه اليَّ من الثناء مما لا أراني اهلا له . والله يوفقني واياه للصواب

الدكتور حسن ذهني

اساس الحب

حضرة محرر الهلال

اشار حضرة العالم الفاضل سلامه افندي موسى في مقالته النفيسة عن الخوف والغضب الى ان تقبيل العاشقين هو في الحقيقة ضرب من العض . وقد استنتج ذلك اولا من ان الانسان كان في الازمنة القديمة يقتنص حليلته فكان يحتاج الى اخضاعها له بالعنف وثانياً لان العاشق يقول الآن لمعشوقته عن احساس طبيعي لا شك فيه « اني احبك حتى لاود ان آكلك »

فاذكرني هذا بقول لنيتشه عن الحب جاء فيه « ان اساس الحب هو الكراهة القتالة التي بين الجنسين وليست وسائله الا مظهراً من مظاهر الحرب بينهما »

ثم عرضت أمام عين عقلي ما اعرفه من التاريخ الطبيعي فوجدت ما يثبت ان في ثمرة الحب الشهية الزاهية دودة خبيثة ان لم تدل على كراهية بين الجنسين فلا اقل من دلالتها على عداء متأصل بينهما : ألا ترى ان الحب اول ما يبدو في الاحياء الدنيا لا يتخذ غير شكل الاكل ? فالاميبة وهي احط الاحياء المعروفة اذا ارادت ان تتزاوج مع اميبة أخرى تقدمت الواحدة نحو الاخرى وتلاصقا وتآكلا

وأنثى العقرب عند ما يلقحها الذكر تقبض عليه وتأكله عن آخره . وانثى العنكبوت لا تأذن للذكر أن يقترب منها فيلقحها الا بعد ان يكد ويكدح امامها نحو اربع ساعات في اظهار محاسنه فاذا افلح وتغلب على كراهيتها له ولقحها انتبهت هي اليه على الفور وقبضت عليه والتهمته التهاماً حتى لا تبقي على ذرة منه

فهذا بعض ما يثبت عندي ان وراء القبلة الناعمة البسيطة اسناناً نهاشة تتوق اكل الحبيب وايلامه
قارئ

نحاء و بداء

حضرة محرر الهلال

اطلعت في هلال مايو على كلمتي نحاء وبداء اللتين صاغهما الشاعر الكريم مطرا لكلمة Capricieux الفرنسية او كلمة Capricious الانكليزية فاحببت ان انبهكم الى ما جاء في القاموس في مادة رفض قال: ورجل قُبَضَة رُفَضَة كهُمَزة يتمسك بالشيء ثم يدعه. وهما وان كانتا كلمتين الا انهما كالتوابع فتغتفر ذلك لان المعنى فيهما ادق مما صاغه الشاعر الكريم ولا سيما ان بدا لا يتعدى بنفسه فتكرموا بنشر ذلك

مدرسة القضاء الشرعي امين ابراهيم الخولي

﴿ الهلال ﴾ نشكر لحضرة المراسل اهتمامه بايجاد ما يعبر عن المعنى المقصود انما يعترض على حضرته بان المطلوب كلمة واحدة تؤدي المعنى اذ لا يخفى ان في استعمال كلمتين متتابعتين شيئاً من التكلف

الى مشتركي الهلال

في الخارج

نظراً لاضطراب المواصلات في الوقت الحاضر نرجو من مشتركي الهلال ان يردفوا الشيكات والحوالات التي ارسلت الينا اخيراً او التي يراد ارسالها بصورة ثانية منها Duplicate

نلفت نظر حضرات المشتركين الى خطورة هذا التنبيه واهميته العظيمة فالعمل به في مصلحتهم كما هو في مصلحتنا

وقد سبق لنا ان طلبنا ان تكون جميع الشيكات والحوالات المالية على المصارف المصرية أو الانكليزية دون سواها فنكرر طلبنا هذا الآن

العائلة والمنزل

كيف نعيش — ١٠

وصايا صحية اقرّها معهد اطالة الحياة باميركا

٥ — الصحة والتمدن

لا يسع المتبصر في حالة البشر وما ينتابهم من العلل والامراض والمصائب الا ان يتساءل عن السبب الذي ادى الى هذه الحالة التي لا يعقل ان تكون الطبيعة قد قضت بها على بني الانسان

والجواب على ذلك هو ان الانسان يجني ثمار الاغلاط التي ارتكبها عن جهل أو عن اهمال فقد اخلّ بالتوازن الذي قضت به سنن الطبيعة بين قواه ومواهبه العقلية والجسدية وافسد الصلة بينه وبين العالم الخارجي . ولقد جنى عليه تمدنه اذ ادخل على حياته عوامل جديدة تقتضي تدبيراً خاصاً ولكنه قلما عرف كيف يتدبر تلك العوامل الجديدة ويتلافى اخطارها

فكل تقدم تقدمته الانسانية نحو الحضارة والمدنية احدث خطراً جديداً . فسكنى المنازل ولبس الثياب وطبخ المأكولات وتقسيم الصنائع الخ . . . كل ذلك يستدعي احتياطات خاصة . ويجدر بنا ان ننظر في كل من هذه المسائل بشيء من التبسط فنقول :

المنازل

ان اختراع المنازل قد مكن الانسان من ان يقطن اقاليم مختلفة الجو والحرارة فهي تؤيه وتدفئه وتقيه طوارئ الطبيعة وشر الحيوانات المفترسة . تلك حسنات لا يستهان بها . ولكن المعيشة في داخل المنازل هي ايضاً علة امراض كثيرة فقد خلق الانسان ليعيش في الهواء الطلق كما تعيش الحيوانات القريبة اليه شكلاً وتركيباً

بل ان الانسان ما برح يبتعد عن الهواء الطلق مع تقدم فن البناء . فقد كانت

نازله في البدء معرضة للهواء كثيرة الفتحات الجالبة للهواء ثم اخذت تجمع المنازل تقفل فتحاتها حتى أصبح الانسان وهو في بيته كأنه في عزلة عن العالم الخارجي يش مسجوناً على هذه الصورة نحو ٢٠ ساعة في النهار . وليس ادل على تأثير سكنى لنازل غير الصحية من مراقبة سير مرض السل فان منبته المساكن القليلة الهواء. الاحصاءات الرسمية صريحة الدلالة على ذلك

ومن الادلة على ذلك ان بعض الشعوب التي كانت تعيش في حضن الطبيعة لم عرف مرض السل ولكنها حالما انتقلت الى المدن أصبح السل يفتك بها فتكا ذريعاً . ذكر منها زنوج اميركا وهنودها

لذلك لابد لنا اليوم من تلافي أخطار المنازل بفتح النوافذ وتهوية الغرف والاكثار ن الخروج الى الهواء الطلق والتنفس العميق الخ ...

الملابس

للملابس ايضاً اضرار عظيمة بجانب فوائدها . فقلما تجد في الشعوب العائشة على لفطرة الطبيعية من يهتم بالملابس حتى في أشد الاقاليم برداً . أما نحن أهل الحضارة والمدنية فقد شُغلنا بالملابس انشغالا عظيماً وأسأنا استعمالها . وقلما ندرك ان اصفرار البشرة (وهو دليل ضعفها وعجزها عن مقاومة تقلبات الجو) والصلع وتشويه الاقدام واختلال الوظائف الداخلية ليست الا بعض النتائج الناشئة عن الملابس غير الصحية

ولذا فقد اصبحنا ولا غنى لنا عن تخفيف الملابس وجعلها واسعة ذات خلايا ينفذ منها الهواء الى الجسم

الطبخ

كذلك الطبخ وهو من اختراعات الحضارة . فقد زاد تلذذ الانسان بصنوف المأكولات ولكنه من جهة أخرى قد أضعف الاسنان وافسد الجهاز الهضمي .

وقد ثبت لعلماء الحيوان من درس تركيب الانسان ومقارنته بالحيوانات القريبة منه انه خلق ليعيش من اكل الاثمار والاعشاب وانواع الخضار . على انه وان استعملها اليوم بعض الشيء فقد اصبح جل اعتماده على الطعام المطبوخ وعلى الخبز والسمن واللحم وغير ذلك من المأكولات المستجمعة للغذاء في حجم صغير في حين ان الانسان كان يعتمد على المأكولات الضخمة والنيئة واليابسة مما يستدعي عمل الاسنان والمعدة بشدة

والجملة ان ما تقوم به اليوم المطحنة والمطبخ والسكينة والشوكة كانت تقوم بها اسنان الانسان . ومن ثم ضعفها

هذا فضلاً عن الاضرار الناشئة عن السرعة في الاكل والاكثار من الاطعمة المستجمعة للغذاء في حجم صغير والاكثار من اكل اللحوم واستخدام المقبلات التي تدفع الانسان الى الاكل فوق قدرته أو حاجته

* * *

هذه بعض الاضرار التي جنتها المدنية على الانسان . وهناك اختراعات أخرى جاءت بها المدنية فافادت من بعض الوجوه ولكنها اضرت من وجوه أخرى نذكر منها الكراسي التي يسيء الكثيرون استعمالها فيجلسون عليها بطريقة تعرقل حركة الاعضاء الداخلية . ومنها أيضاً الطباعة : فبجانب فوائدها العظيمة قد اضرت بالانسان اذ جعلته يمعن نظره في حروف دقيقة بدلا من ان يرسله الى مدى بعيد بلا جهدٍ ولا ضغط . ومنها تقسيم الاعمال فقد نشأ عن ذلك زيادة الثروة وتقدم الفنون والصنائع ولكنه قد اخل بالتوازن بين اعمال الانسان العقلية والجسدية اذ جعله اشبه شيء بآلة ميكانيكية يقتصر عملها على حركات معلومة . فضلا عن الاخطار الملازمة لبعض الصنائع وصعوبة الاحتفاظ بالقوانين الصحية في المعامل

ولا بد لنا قبل الختام من الاشارة الى اكثار المتمدنين من الادوية التي يعتقدون فيها القدرة على ملافاة الاضرار المتقدم ذكرها . على أن معظم تلك الادوية شر من الادواء في معظم الاحيان

لقد أصبحنا وكاننا لا نستطيع أن نستيقظ الا بتعاطي القهوة ولا نحرك أمعاءنا الا بالملينات ولا نفتح شهيتنا الا بالمقبلات ولا نجد الراحة الا في التخدير الناشئ عن استعمال التبغ الى آخر ما هنالك من الطرق المفتعلة . ولا ريب في أننا بذلك نسيء الى انفسنا اذ نتوهم ان تلك الوسائل الصناعية تقوم مقام الوسائل الطبيعية

ان نتيجة هذه المعيشة هي بلا شك تقصير عمر الانسان. فان معظم الحيوانات ذوات الثدي تبلغ من العمر خمسة اضعاف مدة نموها أي ما بين ولادتها واكمال نموها . وبما أن هذه المدة في الانسان تقدر بنحو ٢٥ سنة فعمر الانسان الطبيعي ١٢٥ سنة

* * *

لسنا نريد بما تقدم أن يترك الناس منازلهم ومدنهم وأن يعودوا الى حضن الطبيعة

وينسوا ما كانوا به من مدنية وارتقاء . اذ يبنغي لنا ان نسير الامام لا ان نرجع الى الوراء . والسبيل الى التقدم في هذا الباب هواستخدام المدنية في تلافي اخطار المدنية فنها الداء ومنها الدواء . ولنا في العلم الصحيح وهو أعظم ركن للمدنية خير معين لنا على اصلاح ما افسدته من حالتنا الصحية

فلسنا نبغي هدم المنازل بل تهويتها ، ولا ان نسير عارين الجسم بل ان نرتدي الملابس الواسعة المريحة ، ولا ان نتغذى كما كان يتغذى اجدادنا الاولون بل ان نوفق بين مأكولاتنا والقواعد الصحية ، ولا ان نقلع عن استعمال الكراسي بل ان نستعمل الكراسي المريحة ، ولا ان نبطل القراءة بل ان نطالع الكتب الواضحة الطبع وان نستعمل النظارات عند الاقتضاء . وقس على ذلك

الكتاب قديماً وحديثاً

يؤثر عن المستر ويلس H. G. Wells الكاتب الروائي الانكليزي الشهير انه دار مرة بينه وبين صديق له حديث عن الفرق في المعيشة بين الكتاب في العصور القديمة والكتاب في هذا العصر الذين يتقاضون أجوراً عالية وتعد كتاباتهم بالسطر بل بالكلمة

فهز المستر ويلس رأسه وقال :

— الفرق بين الفريقين ان الكتاب الاقدمون كانوا يموتون فقراً وكتبهم تعيش . أما كتاب اليوم فانهم يعيشون بسعة ولكن كتبهم لا تلبث أن تموت

تصحيح خطأ

ورد خطأ في مقالة « بحث في النقد » المدرجة في الجزء السابق من الهلال في السطر الثاني من صفحة ٧٦٥ فقد جاء ذكر بوالو والصواب شاتوبريان

السؤال والاقتراح

(١) لا ننشر في هذا الباب الا الاسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القراء فقد نغفل الرد على بعض الاسئلة اما لكونها خصوصية لا تفيد الا أصحابها أو لكوننا قد أجبنا عليها في بعض الاعداد الماضية (٢) نظراً لكثرة الاسئلة التي ترد الينا قد نضطر الى تأجيل الرد على بعضها فنلتمس من السائلين عذراً في هذه الحال (٣) ينبغي ان تذكر في الاسئلة أسماء مرسليها . على انه يجوز الرمز الى اسم السائل باحرف أو بكلمة عند النشر

زيادة المرء في دنياه نقصان

﴿ ريوكورتو . كوروبا . الارجنتين ﴾ مخائيل افندي . ع . بوديزيك

نرجو ان تتكرموا بافادتنا عن البيت الآتي ومن أي قصيدة هو ولمن وما تاريخ قائله مع ذكر بعض ابيات من هذه القصيدة ، والبيت هو :

زيادة المرء في دنياه نقصان ... وربحه غير محض الخير خسران

وهل هناك قصيدة يشبه مطلعها هذا البيت ؟

﴿ الهلال ﴾ البيت هو مطلع نونية ابي الفتح البستي الشهيرة بما حوته من الابيات الرائقة البديعة التي جرت مجرى الامثال وهذا هو ما قصده منها فقد قال من أولها :

وارع سمعك امثالا افصلها ... كما يفصل ياقوت ومرجان

واشار الى ذلك ايضاً في آخرها بقوله

خذها سوائر امثال مهذبة ... فيها لمن يبتغي التبيان تبيان

وأبو الفتح البستي هو علي بن محمد الكاتب البستي الشاعر المشهور صاحب الطريقة الانيقة والتجنيس الانيس البديع التأسيس ، كان في عنفوان شبابه كاتباً لبايتوز صاحب بست فلما فتحها الامير ناصر الدولة سبكتكين اراد أبو الفتح ان يتنحى عن الخدمة فدخل عليه فاستحضره وفوض اليه مهمات ديوانه مع كون بايتوز في قيد الحياة . فاشفق من سعي حساده فطلب أن يعتزل في بعض اطراف المملكة حتى تسكن الفتنة ويستقر الامر فأجيب الى طلبه واشار عليه بناحية الرفج فبقي فيها حتى استدناه السلطان المعظم يمين الدولة محمد بن سبكتكين . فبقي عنده الى ان زحزحه

القضاء عن خدمته ونبذه الى ديار الترك فانتقل بها الى جوار ربه سنة ٤٠٠ ﻫ

أما القصيدة فطويلة ونكتفي منها بذكر بعض ما انتقيناه منها وهو بعد المطلع :

احسن الى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الانسان احسان
وكن على الدهر معواناً لذي امل ... يرجو نداك فان الحر معوان
واشدد يديك بحبل الله معتصماً ... فانه الركن ان خانتك اركان
من يتق الله يحمد في عواقبه ... ويكفه شرّ من عزوا ومن هانوا
من استعان بغير الله في طلب ... فان ناصره عجز وخذلان
من كان للخير منّاعاً فليس له ... على الحقيقة اخوان واخدان
من جاد بالمال مال الناس قاطبة ... اليه والمال للانسان فتان
من سالم الناس يسلم من غوائلهم ... وعاش وهو قرير العين جذلان
من يزرع الشر يحصد في عواقبه ... ندامة ولحصد الزرع ابان
والناس اعوان من والته دولته ... وهم عليه اذا عادته اعوان
سحبان من غير مال باقل حصرٌ ... وباقل في ثراء المال سحبان
لا تحسب الناس طبعاً واحداً فلهم ... غرائز لست تحصيهنّ الوان

ومنها

وللامور مواقيت مقدرة ... وكل أمر له حدٌّ وميزان
فلا تكن عجلا في الامر تطلبه ... فليس يحمد قبل النضج بحران
اذا جفاك خليلٌ كنت تألفه ... فاطلب سواه فكل الناس اخوان
حسب الفتى عقله خلا يعاشره ... اذا تحاماه اخوان وخلان
اذا نبا بكريم موطن فله ... وراءه في بسيط الارض اوطان
لا تحسبن سروراً دائماً ابداً ... من سرّه زمن ساءته ازمان
لا تغترر بشباب رائق خضل ... فكم تقدم قبل الشيب شبان
حسب الشبيبة تبلي عذر صاحبها ... ما عذر أشيب يستهويه شيطان

وحسب البستي من الحكم هذه الابيات التي كل بيت منها ابلغ موعظة وأثمن نصيحة

ولعلكم تقصدون بطلب القصيدة التي يشبه مطلعها البيت الذي سألتم عنه قصيدة

أبي البقاء الرندي في رثاء الاندلس فان مطلعها يشبه مطلع قصيدة البستي وهو :

لكل شيء اذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته ازمان

حال العالم لو لم يخرج المسلمون من الاندلس

﴿ مصر ﴾ احمد عبد العال سلامة

ارجو ان تتفضلوا بالاجابة على السؤال الاتي :

كيف كان حال العالم لو لم يخرج المسلمون من الاندلس . وهل يصح أن يكون موضوعاً لمناظرة الادباء في الهلال ؟

﴿ الهلال ﴾ هذا السؤال يضم بين جوانبه موضوعاً واسعاً متشعب المباحث على جانب عظيم من الاهمية . لذلك لا يمكن قطعاً الالمام به في نظرة قصيرة او كلمة صغيرة كما لو فعلنا الان ، فاننا لا يمكننا الاجابة عليه الا اذا عرفنا تماماً كيف تكون حالة العرب الاندلسيين وجيرانهم الاسبانيين وقد عرفنا من التاريخ انهم كانوا دولاً متشعبة متفرقة الكلمة متباينة الاراء والمذاهب والمقاصد ، وهل كان يمكن أن تعيش هذه الممالك المختلفة الدين والجنسية في بقعة واحدة مع العداء الشديد المستحكم بينهم دون أن يبيد احدهم الثاني او يخرجه من ملكه ، واذا فرضنا أن العرب اتحدت كلهم كما حصل في عهد يوسف تاشفين واجتمعوا تحت أمرة رجل محنك واستطاعوا ان يتغلبوا على الاسبانيين ويفتحوا بقية الاندلس فتحاً ثانياً اذاً لاصبح الاندلس كله للمسلمين ولصار في اوربا مملكة اسلامية لسانها عربي ودينها اسلامي وما وجدت دولتا اسبانيا والبرتغال اللتان لعبتا في التاريخ الحديث دوراً هاماً سواء في الاستعمار وتدويخ بعض أمم أوربا في البر والبحر أو في محاربة الشرق واكتشاف اميركا واستعمارها ، واذا كان قد صار حال المسلمين في الاندلس هكذا فلا بد أنهم كانوا قد حافظوا على علومهم وتقدمهم في المدنية وزاد تأثيرهم في أوربا وعلى الاخص في البلاد المجاورة لهم كفرنسا وايطاليا وغيرها وبالاجمال كانوا قد غيروا وجه التاريخ الحديث ولا سيما لو كانوا قد دخلوا حروباً أوربية وانتصروا فيها طبقاً لما ينتظر من وجودهم في أوربا ، ولامتدت روحهم في الشرق والعالم العربي وراء نفوذهم

يه وقد تكون النتيجة عظيمة لو كانت علاقتهم حسنة بالاتراك في المشرق ، هذا أما ر بقوا في الاندلس وأصابهم ما أصاب الشرق من السبات والخمول لوجدت مسألة شرقية ثانية » . كل هذه الاحتمالات والمسائل كان يصح أن تحصل ولا يمكن حلها الا اذا درست كل وجهة من الاوجه السالفة درساً وافياً وهذا لا يتسنى لنا الان

ونحن نحبذ نشر هذا الاقتراح في الهلال لمناظرة الادباء والكتاب ونرحب بكل مقال يكتب لنا عنه

الكتابة وتاريخها

﴿ فريتون سيراليون ﴾ محمد افندي تامر فخري

كيف توصل الانسان الى الكتابة ومتى كان ذلك ؟

﴿ الهلال ﴾ توصل الانسان الى الكتابة بالتدريج وفقاً لناموس الارتقاء وقد كانت الكتابة في الاصل رسوماً تمثل الاشياء فيفهمها كل من يطلع عليها كالكتابة الهيروغليفية . فاخذت هذه الرسوم تتحول شيئاً فشيئاً الى اشارات مختصرة لا يفهمها الا من تعلمها . وما زال عددها يقل حتى انحصرت في بضع عشرات وهي ما نسميه بالحروف الابجدية ولا يزال فيها آثار من أصلها التصويري . أما تعيين الزمن الذي بدأ فيه الانسان بالكتابة فليس بميسور وانما يقال بالاجمال أن وجود الكتابة يستدعي شيئاً من الارتقاء والحضارة . وبعض القبائل المتوحشة كالاسكيمو والتسوكتسو وغيرها لا يزالون في دور الكتابة التصويرية الى اليوم

العلَم البرازيلي

﴿ موكوكا . سان باولو . برازيل ﴾ الياس افندي جرجس

ما معنى النجمات التي في وسط العلَم البرازيلي

﴿ الهلال ﴾ في وسط العلم البرازيلي ٢١ نجمة تكني كل واحدة منها عن ولاية من الولايات التي تتألف منها البرازيل . كذلك علم الولايات المتحدة الاميركية فيه ٤٨ نجمة تمثل تلك الولايات

مذهب التحول وشكل الحيوانات

﴿ اتبرا . السودان ﴾ احمد افندي صالح

من يطلع على كتاب طبقات الامم للمرحوم مؤسس الهلال يكتفي علماً بمسئلة النشوء والارتقاء ولكن لي ملحوظة على هذا المذهب ارجو الرد عنها وهي : ان المصريين القدماء نقشوا على جدران هياكلهم صور الحيوانات منذ اربعين قرناً وهي لم تتغير عن شكلها الحاضر فما تعليل ذلك ؟

﴿ الهلال ﴾ ان مذهب النشوء والارتقاء يقول بتحول الحيوانات وتغير شكلها باعتبار انها موجودة على الارض منذ عشرات ومئات الالوف من السنين . فالاف السنين في أعين الطبيعة بمنزلة الدقائق عندنا . فلا غرابة بعد ذلك أن لانجد فرقاً محسوساً في شكل الانسان والحيوان اثناء الاربعين قرناً التي ذكرتموها

كيف نشأت الدولة

﴿ أبو تيج . مصر ﴾ أمين افندي غالي

كيف نشأت الحكومات وكيف كان شكلها في أول أمرها ؟

﴿ الهلال ﴾ في كتاب مبادىء علم السياسة الذي نشرناه ملحقاً للسنة ٢٣ من الهلال فصل واف في هذا الموضوع يؤخذ منه أن هناك نظريات مختلفة عن منشأ الدول والحكومات أهمها :

نظرية العقد الاجتماعي — واشهر القائلين بها روسو ومؤداها ان الانسان كان في اول عهده عائشاً عيشة طبيعية غير خاضع لقانون الا ما توحيه اليه غريزته ثم هجر تلك الحالة واستبدلها بالانضمام الى مجتمع انساني كان له فيه ارتباط مع سائر افراده تخضع لسلطة المجموع عن رضاه ونال مقابل ذلك تعهد المجموع بحمايته — أي ان هذا الانتقال تم بتعاقد بين الناس

نظرية المصدر الالهي — وخلاصتها أن الملوك والحكام مقامون من قبل الله فليس للامة حق في تقييد سلطتهم وهو مذهب الالمان اليوم

نظرية القوة — وعلل آخرون منشأ الحكومات بنظرية القوة الاستبدادية

مبدأها القول المأثور ان الحق للقوة أي ان الدول نشأت بتغلب القوي على الضعيف — ولا ريب ان في هذه النظرية شيئا من الصحة

تلك اهم النظريات في منشأ الحكومة . على ان النظرية الحائزة للرضى اليوم هي طرية النشؤ التاريخي أي ان الدولة ليست نظاماً فجائياً ولا هي اختراع فرد بل هي ظام نشأ نشوءاً تدريجياً منذ أقصى أزمنة التاريخ وما برح يتحسن ويرتقي الى ان بلغ حالته الحاضرة

الروايات

﴿ كوراسو . جزر الانتيل ﴾ انطانيوس افندي يعقوب عبود

ما هو تاريخ الروايات ومتى عم انتشارها

﴿ الهلال ﴾ لكل شعب من الشعوب قصص وحكايات يتناقلها الجيل عن لآخر . على ان الروايات بشكلها الحاضر حديثة العهد — وان يكن اليونان والرومان د طرقوا بابها . أما في القرون الوسطى فقد كانت معظم الروايات والقصص خرافية تحدث بالشجاعة والفروسية ونحو ذلك

ولعل فن الروايات لم يبدأ بشكله الحديث الا منذ القرن السادس عشر واول ن كتب فيه رابليه الفرنسي وسرفنتس الاسباني . وما برح هذا الفن يرتقي ويتقدم حتى أصبح له المقام الاول بين آداب الامم المتمدنة

أصل الالمان

﴿ مصر ﴾ الياس افندي مخائيل

سمعنا عن الالمان انهم من أصل شرقي فهل هذا صحيح ؟

﴿ الهلال ﴾ في ملحق هذه السنة بيان أصل الالمان بالتفصيل